

رسالة موصى بطبعها

رقم (٢٤)



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
مكة المكرمة



٤٠٠٠٠٧٦

الإمام محمد بن يحيى الذهلي محدثاً مع تحقيق الجزء المنتقى من زهرياته

إعداد

سليمان بن سعيد بن مريزق الحسيري

الجزء الأول

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

ح) جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

العسيري ، سليمان بن سعيد بن مريون

الإمام محمد بن يحيى الذهلي محدثاً مع تحقيق الجزء المتبقى من زهرياته -
مكة المكرمة .

١٣٣٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ١٣٦-٥-٠٣-٩٩٦٠

١ - الذهلي ، محمد بن يحيى ، ت ٢٥٨ هـ ٢ - الحديث - مصطلح أ - العنوان

١٧ / ٠٤٥٨

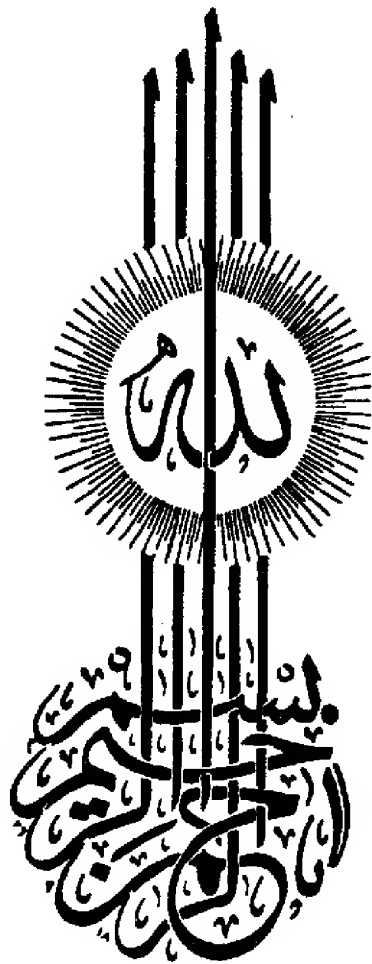
ديوي ٢٣٧,٦

رقم الايداع : ١٧ / ٠٤٥٨

ردمك : ١٣٦-٥-٠٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى



أصل هذا العمل رسالة ماجستير بعنوان (الإمام محمد بن
يحيى الذهلي محدثاً مع تحقيق الجزء المنتقى من زهرياته)
كلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة : قسم الدراسات العليا
الشرعية فرع الكتاب والسنة .
أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..
وبالله التوفيق

قال أبو طاهر السلفي في مدحه لأئمة الحديث :

وكالذهلي شمس الشرق عدل
يعدله المعادي والموالي

سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٢

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١) .
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾^(٢) . ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾^(٣) .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة^(٤) .
الحمد لله . اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا ، وهديتنا وعلمتنا ، وأنقذتنا وفرجت عنا .

لك الحمد بالإيمان ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبت عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمتنا ، وجمعت فرقتنا ، وأحسنست معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً ، ولك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، أو سر أو علانية ، أو خاصة أو عامة ، أو حي أو ميت ، أو شاهد أو غائب . لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت .

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء آية (١) .

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠ ، ٧١) .

(٤) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه
الغر الميامين ، ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين . . . أما بعد .

فقد كانت بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منَّة كبرى ، ونعمة
تتري أسداها الله تبارك وتعالى للبشرية كافة ، وهي مع ذلك حجتة عليهم
إلى قيام الساعة . قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (١) . وقال ﴿ إنا أرسلناك
بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾ (٢) .

فأشرقت الأرض بهذا النور ، واستيقظت البشرية من سباتها العميق ،
وتحررت من ريقه الأهواء ، وانتعشت بالحق ، وسرت فيها روح الجد والعمل
والإبداع ، فسعدت وأسعدت . وضمن ﷺ لها استمرار ذلك بحفاظها على
ركيزتين أساسيتين متعاضدتين . القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

وقد تكفل عز وجل بحفظ كتابه فقال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون ﴾ (٣) فلم يكن لأعداء الله من سبيل إلى الطعن والتشكيك في هذا المصدر
السماوي المصون . ولما كانت السنة تالية للقرآن في الأهمية ، وكل سببانه تبيان
هذا الكتاب إلى حبيبه ومصطفاه من خلقه محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك
الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (٤) . فكانت سنته ﷺ مبينة للكتاب ، وشارحة
له ، وموضحة لمعانيه ، ومفسرة لمبهمه ، ومقيدة لمطلقه ، ومفصلة لمجمله ، فهي
كالشرح للكتاب . . . ولولا السنة المطهرة لتعطل جانب عظيم من الدين .

(١) سورة الأحزاب آية (٤٥-٤٦) .

(٢) سورة البقرة آية (١١٩) .

(٣) سورة الحجر آية (٩) .

(٤) سورة النحل آية (٤٤) .

وحين أدرك أولئك المتسللون عظيم قدرها، وسلامة منهجها، وشموله لجميع مناحي الحياة، توجهت سهامهم إليها تكذيباً وتشكيكاً وتوهيناً، فتكسرت سهامهم على النصال وباءت محاولاتهم بالخسران والوبال.

وقد عرف الرعيل الأول للسنه مكانتها السامقة وأهميتها الكبيرة، فرعوها حق رعايتها، وأودعوا حبها سويداء قلوبهم. وانصبت جهودهم على المحافظة التامة على ميراث النبوة، قولاً وفعلًا وتقريراً ووصفاً.

وبدأت تلك الجهود من عهد كبار الصحابة، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فاستوثقوا من الأخبار، وشدد غيرهم الرحال إلى الآفاق لطلب حديث واحد، وعظموا جميعاً حديث رسول الله ﷺ، وغلظوا على من عارضه ولو كان أقرب الناس. فضربوا بذلك أروع الأمثلة للحفاظ على تراث نبينا ﷺ غصاً طرياً كما صدر عنه فجرحوا وعدلوا، وقبلوا وردوا. ومن بعدهم حمل التابعون وأتباعهم هذا التأصيل لمنهج الحفاظ على السنة النبوية. وكونوا على مدى عدة أجيال نتائج كبرى، وثروة ضخمة، وأسماء لامعة، ومواقف خالدة، وجماعة مباركة، أصبح حديث رسول الله ﷺ اسماً لهم، ولقب تشريف يعتزون به.

فاسمهم المحدثون، وصناعتهم حديث رسول الله ﷺ يحفظونه ويبينون معانيه، ويتفقهون به، ويتأدبون بأدبه، ومن ثم ينخلونه نخلًا من روايات الكذابين، وأوهام المغفلين، فتتبعوا الطرق، ويبينوا العلل، ودرسوا الأسانيد، وعرفوا بالرواة واحداً واحداً، جرحاً وتعديلاً بأنزه الطرق وأبعدها عن المداهنة وأقربها للصحة. وتفننوا في التصنيف على الموطآت والمسانيد والصحاح والعلل الخ.

وقد شرفت عصور الأمة الإسلامية الأولى بشخصيات من هذا النمط، كانت لهم الجهود الواضحة من الحفظ والمدارسة، والرحلة والمتابعة للحديث وعلومه، وتركوا أثراً باقية إلى هذه الساعة وإلى ما يشاء الله.

والإمام محمد بن يحيى الذهلي (١٧٢ - ٢٥٨) أحد رجال الحديث ونقاده، واسم لامع في فترة نضوج التأليف فيه، والتقعيد لشتى فنونه ومطالبه، وهي ما يسمى بالعصر الذهبي للسنة. وإمام فحل من فحول المنهج العقدي السلفي الصافي في المشرق الإسلامي (نيسابور)، بل كان موسوماً بالتشدد في السنة.

ومع شهرة هذا الإمام في مجالي العقيدة والحديث النبوي الشريف، إلا أنني لم أعهد أحداً قام بتعريف الأمة به وبجهوده في الحفاظ على سنة المصطفى ﷺ. الأمر الذي حدا بي أن أخصّه بدراسة وافية للحصول على الدرجة العلمية «الماجستير».

كان هذا هو السبب العام لاختيار هذه الأطروحة. أما الأسباب المباشرة أو الخاصة فساوِجها في العنوان التالي :

أسباب اختيار الموضوع

تمكّن حب الحديث النبوي الشريف وأهله في قلبي، في تلك الليالي المباركة في المسجد الحرام، في حلقة الشيخ علي بن محمد الهندي حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية، والتي شرح فيها صحيح الإمام البخاري رحمه الله تلك الفترة من دراستي بالجامعة، وازداد حبي لهذه الشخصيات السامقة حين قرأت ترجمة الحافظ الإمام الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)، ووقفت على معاني الهمة والعمل الدؤوب لما قرأ صحيح البخاري في خمسة أيام على كريمة بنت أحمد المروزيه بالمسجد الحرام، فَشَغُفْتُ بقراءة تراجم المحدثين وعلماء الأمة.

ولما كنت أقرأ ترجمة الإمام البخاري في آخر كتاب هدي الساري، مقدمة فتح الباري لابن حجر، وقفت على وحشته مع الإمام محمد يحيى الذهلي

بسبب مسألة اللفظ ، فألمني كثيراً ما حصل بينهما ، فسألت الشيخ الهندي عن الإمام الذهلي ، فأثنى عليه كثيراً ، ونوه بكتابه الزهريات وشهرته بين علماء الأمة ، فكانت تلك بداية العلاقة بذلك الإمام الجيهذا رحمه الله ، وتبلورت تلك العلاقة إلى رغبة ملحة في التعرف على هذه الشخصية لأمر :

الأول : محاولة الوقوف على حقيقة (مسألة اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم لا ؟ وآثارها على المحدثين) والتي كانت سبباً في فرقة الإمامين على فضلها وعلمهما . فأفردت لها فصلاً كاملاً ، تتبعاً ودراسة وتحليلاً .

الثاني : لما اقتربت من شخص الإمام الذهلي بالإطلاع على ترجمته في المصادر المختلفة ، وجدته علماً بارزاً ، وإماماً من أئمة الدين ، وأميراً من أمراء المؤمنين في الحديث لا يقل في مكانته عن أئمة عصره أحمد بن حنبل ، وعلي ابن المديني ، وابن معين ، والبخاري وسواهم . فكان ذلك سبباً في متابعة ترجمته وأخباره العلمية بعد تأكدي من أنه لم يدرس دراسة وافية على النحو الذي انتهجته في هذه الرسالة .

الثالث : اشتهر الإمام الذهلي بأنه من نقاد الحديث الذين أثرت عنهم أقوال في الجرح والتعديل ، وفي معرفة علل الحديث وبالأخص علل حديث الزهري ، فكان من الواجب تسجيل جهوده تلك خصوصاً ، وإسهاماته العظيمة في علم الحديث عموماً ، لكي تجمع في مكان واحد فتضاف بعد دراستها وتنظيمها إلى إسهامات علماء هذه الأمة المجيدة .

عوائق ومصاعب البحث :

ما من شك أن إنشاء موضوع لا تتوفر مصادر مادته العلمية التي يستمد منها الباحث مادة بحثه ، وإبراز وحدة متكاملة من المعلومات عن شخص تفصل بيننا وبينه آماد بعيدة وقرون متطاولة ، مع دراسة شاملة لجهوده في الفنون التي برز فيها . . . ما من شك أنه تعيقه عوائق وتكتنفه مصاعب . .

وموضوع الإمام الذهلي محدثاً، قد عاقتني في سبيل إنجازها على الصورة التي أرتضيتها أمور أُجملُ متفرقها في الأمرين التاليين :-

الأول : هو عدم وجود مصنفاته رحمه الله وبالأخص (الزهريات) ، و (علل حديث الزهري) ، ودفن أبي عمرو المستملي لما يقرب من ألفي جزء من تصانيفه بعد وفاته بأمر منه !! ثمّ كان حائلاً دون التمتع باستقراء جهود الذهلي الحديثية ، على الوجه الذي يليق بمكانته التي أشار إليها الأئمة السالفين والخالفين .

فلم يكن أمامي إلا التشمير عن ساعد الجد والغوص في بطون الكتب ، فأمضيت أوقاتاً طويلة في جرد ما أمكنتني جرده (من كتب الحديث وشروحها) كالكتب الستة باستثناء صحيح مسلم^(١) ، وسنن الدارمي ، وسنن الدارقطني والعلل له ، والسنن الكبرى والصغرى للإمام البيهقي وشعب الإيمان له ، ودلائل النبوة له ، وكتب ابن خزيمة وسواها . وكتب التراجم كتهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ، وثمانية أجزاء من سير أعلام النبلاء ، والتجريح والتعديل للباجي ، وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر ، والضعفاء للبخاري ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي ، والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي .

ورجعت لفهارس بعض الكتب مما يدل على المطلوب فيها ، واستنبطته كالثقات لابن حبان ، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ، وشرح علل الترمذي لابن رجب ، والضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي ، وتحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج لابن الملقن .

ثم عرجت على كتب (المصطلح وعلوم الحديث) مثل موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ، والسابق واللاحق له ، والجامع لأخلاق الراوي

(١) لأنه لم يرو عن الذهلي في مصنفاته ، بسبب مسألة اللفظ . انظر تفصيل ذلك ص ٣٨١-٣٨٢ .

وآداب السامع له أيضاً ، وتقييد العلم له ، والكفاية له ، والإلماع للقاضي عياض ،
ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ، ومقدمة ابن الصلاح مع التقييد
والإيضاح للعراقي ، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر ، ثم الموضوعات لابن
الجوزي ، والفوائد المجموعة للشوكاني ، والمراسيل لأبي داود ، وبغية
الملتبس في سباعات حديث مالك بن أنس ، وأجزاء من التمهيد لابن عبد البر .

وبعض كتب (العقيدة) كالبعث والنشور للبيهقي ، واللالكائي في شرح
أصول اعتقاد أهل السنة . ومسألة العلو والتزول لابن القيسراني . وكتب أخرى
في فنون مختلفة كتاريخ جرجان للسهمي ، ومختصر قيام الليل للمروزي ،
وتعظيم قدر الصلاة له ، وكتاب العظمة لأبي الشيخ ، والتنكيل للشيخ العلمي .

وغير ذلك مما لا أستطيع حصره ، أو مما لم أجرده كله لظني بعدم وجود ما
يخص الإمام رحمه الله تعالى فيه . فتحصل لي بعد ذلك من المعلومات القيمة ،
والنكات المفيدة ، فرائد وقلائد ألبسته حلية المحدثين ، وكسته نبل العلماء
العاملين ، وبوآته منازل أفراد الأمة القلائل الذين يشار إليهم بالبنان .

الثاني : الأمر الآخر الذي استوقفني مدة لا بأس بها ، هو أمر فني يتعلق
بكيفية عرض ما تحصل من معلومات ومسائل . ولم يكن الأمر الذي توخّيته
مجرد سرد لما احتوته بطاقات البحث ، وإنما رغبت في عرض جهود الإمام
الذهلي عرضاً يبرز إمامته وجهبذته ، من خلال عطاءه الشامل في علوم الحديث ،
وبالتالي يتبين لنا مدى تضلعه المعرفي في هذا العلم ، وإلمامه بشتى أساسياته
 وأنواعه وفنونه ، ومدى ترابطها مع بعضها بعضاً .

لذا فإنني قد استلهمت في تقسيم الباب الثالث وهو صلب الرسالة
والذي تناول الإمام الذهلي محدثاً ، المنهج الذي اتبعه العلامة فضيلة الدكتور
محمد محمد السماحي رحمه الله تعالى في كتابه المبكر ، الفريد في ترتيبه

« المنهج الحديث في علوم الحديث » بأقسامه الثلاثة، قسم مصطلح الحديث، وقسم الرواة، وقسم الرواية.

حيث جعل كل قسم وحدة موضوعية تكمل الوحدة التي تليها، وهو بذلك قد ترسم الترتيب المنطقي لعلوم الحديث، والذي ابتدأه الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها وفارق فيه تقسيمات المتقدمين .

وقد تمثل هذا المنهج الحديث واستفاد منه الدكتور نور الدين عتر في كتابه « منهج النقد في علوم الحديث » وزاده بياناً وإيضاحاً وترتيباً وإن كان لم يشر إلى ذلك، وسيأتي ذكره لمزايا هذا المنهج الذي أصَّله العلامة السماحي في مكانه عند التمهيد للباب الثالث .

ونظراً لدقة الدكتور العتر في الترتيب، وحسن تمثله لفكرة وابتكار شيخه السماحي الموسعة، فإنني قد أنزلت فصول ومباحث الباب الثالث على غرار تقسيمه مع إضافات حتمتها منهجية البحث .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنوّه بأن ما عثرت عليه من جهود للذهلي لا تستغرق جميع مسميات وفنون مصطلح الحديث، ولكن أكثرها، كما سيلاحظ هناك تكرار لبعض المعلومات، يكون لذكرها في الموضع الآخر مناسبة مختلفة أو نكتة مفيدة .

هذا وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وثلاثة ملاحق . أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وعوائقه وخطة البحث فيه .

وأما الباب الأول : فقد تناولت فيه عصر الإمام الذهلي وحياته الشخصية وجعلته في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر الإمام الذهلي وتحتة المباحث التالية :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الدينية .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية .

المبحث الرابع : الحالة العلمية .

الفصل الثاني : ترجمة الإمام الذهلي وتحتها المباحث التالية :

المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبته إلى ذهل .

المبحث الثاني : موطنه نيسابور ، ومولده .

المبحث الثالث : أسرته .

المبحث الرابع : وفاته .

الفصل الثالث : تحدث فيه عن صفاته الخلقية والخلقية وتحتها

المباحث التالية :

المبحث الأول : صفاته الخلقية ومظهره .

المبحث الثاني : صفاته الخلقية ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أدبه وصبره ووفرة عقله .

المطلب الثاني : تواضعه واعترافه لغيره بالفضل .

المطلب الثالث : ميله إلى الوعظ والتذكير بالله .

المطلب الرابع : ورعه وتقواه .

وأما الباب الثاني فقد تناولت فيه حياته العلمية والاجتماعية

والفكرية .

وفيه تمهيد وأربعة فصول .

الفصل الأول : تحدث فيه عن عوامل بروز شخصيته العلمية ،

ويشمل المباحث التالية :

المبحث الأول : بيّنت فيه أثر الدوافع الاجتماعية في زمانه، وما أوتيّه من مواهب ذاتية في شخصيته .

المبحث الثاني : بيّنت فيه أهمية الرحلة في طلب العلم، ومرتبة الإمام الذهلي في طبقات الراحلين إلى الآفاق، ثم سكّلت خط رحلاته وعدد مرات خروجه من نيسابور إستنباطاً من أقوال العلماء .

المبحث الثالث : أشرت فيه إلى أهمية التلمذ على الشيوخ في العلم والفضل، وبيّنت أثرهم في بناء شخصيات طلابهم، أردفت كل ذلك بتراجم فيها بعض التوسع عن عشرة من كبار مشايخه، وسردت الباقي في الملحق الأول من ملاحق الرسالة .

المبحث الرابع : أشرت فيه إلى أهمية بناء العلاقة بين الشيوخ وطلبتهم على المودة والحرص على تعلم العلم، ثم ترجمت لعشرة من أقرب تلاميذه إليه، وسردت الباقي في الملحق الثاني من ملاحق الرسالة .

الفصل الثاني : تناولت فيه بالدراسة مكانة الإمام الذهلي العلمية والاجتماعية وآثاره، ويشمل هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : عُنيّت فيه ببيان مكانته العلمية في المشرق خصوصاً، وفي بقية البلاد عمومًا، وكونه أحد كبار نقاد الأخبار والرجال .

المبحث الثاني : عرّجت فيه على آثار الإمام الذهلي العلمية، وتصنيف ابن حبان له فيمن أمعنوا في الكتابة، وبيان فداحة الخسارة بدفته ما يقارب ألفي جزء من كتبه، ثم عدّدت ما عرف منها كالزهريات والعلل والجزاء، مع وصفها وبيان أهميتها .

المبحث الثالث : بيّنت فيه مكانة الإمام الذهلي رحمه الله الاجتماعية داخل نيسابور وخارجها، وكونه من ذلك الرعيل الذي جمع بين العلم

والعمل الدؤوب من أجل صلاح المجتمع ، وصونه من أيدي العابثين ،
ثم ذكرت ثناء العلماء عليه وجميل ذكركم له .

الفصل الثالث : عُنيتُ فيه ببيان حياة الإمام الذهلي الفكرية ، وهي
وقفة لازمة عند دراسة أي شخصية مهمة لمعرفة أبعادها ومنطلقاتها ، ويشمل
هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : عقيدة الإمام الذهلي : وقد توصلت فيه إلى أنه سلفي
العقيدة ، متبع للسنّة ، بل موصوف بالتشدد فيها . . . بلّه أنّه كان من كبار
الأئمة الذين يستشهد بأقوالهم ومواقفهم في قضايا الاعتقاد .

المبحث الثاني : بينتُ فيه إتجاهه الفقهي ، ومن خلال استعراض وتحليل
جهوده الفقهية يتضح أنه كان من الأئمة المجتهدين ، بعيداً في منهجه عن
التقليد والمتابعة ، كما سيأتي في عباراته .

الفصل الرابع : بسطت فيه القول في مسألة اللفظ بالقرآن ، وما وقع
بين الإمامين الذهلي والبخاري بسببها ، وأثرها في صفوف المحدثين . وهي
مسألة تعتبر ريبية لمسألة خلق القرآن ، وقد بذلت فيها غاية جهدي ،
استقصاءً ، وجمعاً ، وتحليلاً ، وتوجيهاً ، وذلك لأن الإمام الذهلي طرف
أساسي ومهم فيها ، فكان لابد من عرضها عرضاً علمياً ، وتحليلها بحيادٍ
بغية إظهار الحق في أمر أساء كثير من المتأخرين عرضه وتوجيهه .

ويشتمل هذا المبحث المهم على تمهيد وخمسة مباحث :

المبحث الأول : بينت فيه أن الخلاف في مسألة اللفظ كائن بين أهل
الحديث .

المبحث الثاني : عرّفت فيه بأول من أثار المسألة .

المبحث الثالث : ألقى فيه الضوء على المسألة ، ويشتمل على المطالب

التالية :

المطلب الأول : تعريف اللفظ واللفظية .

المطلب الثاني : مقالة الإمام أحمد ومراده بها .

المطلب الثالث : نشأة القضية وسبب الإشتباه .

المبحث الرابع : عرض تفصيلي لما حصل بين الإمامين الذهلي والبخاري من وحشة ، ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : مبررات الحديث عن هذه الوحشة .

المطلب الثاني : عرض الأحداث .

المطلب الثالث : إعتذارات العلماء عنهما وتوجيهاتهم لما حدث .

المبحث الخامس : أثرها في صفوف المحدثين .

وأما **الباب الثالث** فقد أفردته بتفصيل أثر الإمام الذهلي في الحديث وعلومه .

ويعتبر هذا الباب صلب الموضوع وأهم أبواب الرسالة ، لأنه يعرف بشخصية الإمام الذهلي كإمام وعالم ترك آثاراً جليلة ، وقَعَدَ قواعد واضحة في معرفة الحديث النبوي ومصطلحه ، في فترة تعتبر مبكرة في تاريخ هذا العلم ، كما أنني قسمت هذا الباب التقسيم المنطقي الذي يبرز شمولية علم الإمام الذهلي لأغلب مفردات علم المصطلح ، ويبيِّن حُسْنَ صناعته في علوم رواة الحديث ونقدهم ، وعلوم روايته ، وكذا معاييرهِ النقدية في القبول والرد للأحاديث ، وأخيراً إلمامه بعلوم الإسناد والمتن كلاً على حدة ، وختمت الباب بجهوده في العلوم المشتركة بينهما وبيراسته في علم العلل الذي اشتهر به .

وقد اشتمل هذا التقسيم على تمهيد وخمسة فصول .

الفصل الأول : أثره في علوم الرواة . وتحت المباحث التالية :

المبحث الأول : العلوم المعرفة بأحوال الرواة . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : صفة من تقبل روايته ومن ترد .

المطلب الثاني : عرضت فيه آثاره في الجرح والتعديل ، وكذا منهجه فيه .
المطلب الثالث : معرفته بالاختلاط .
المطلب الرابع : معرفته بالوحدان .

المبحث الثاني : العلوم المعرفة بأشخاص الرواة . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : علوم الرواة التاريخية . ويشمل النقاط التالية :
أولاً : معرفته بتاريخ وفيات الرواة ، ثانياً : معرفته بطبقات الرواة .
ثالثاً : معرفته بالاخوة والاخوات . رابعاً : معرفته برواية الآباء عن الأبناء .
خامساً : معرفته برواية الأبناء عن الآباء .

المطلب الثاني : علوم أسماء الرواة ويشمل :

أولاً : معرفته بأسماء ونعوت الرواة المختلفة . ثانياً : معرفته بالأسماء
والكناة . ثالثاً : معرفته بالمهمل من أسماء الرواة . رابعاً : معرفته بالمتفق
والمفترق . خامساً : معرفته بالمؤتلف والمختلف . سادساً : معرفته بالمتشابه
المقلوب . سابعاً : معرفته بألقاب المحدثين . ثامناً : معرفته بأوطان الرواة .
تاسعاً : معرفته بمصطلح الموالي من العلماء والرواة .

المبحث الثالث : إهتمام الإمام الذهلي بسماعات الرواة وإمكان اللقاء بينهم ،
ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أهمية السماعات عند المحدثين .

المطلب الثاني : نماذج من إهتمام الإمام الذهلي بالسماعات .

المبحث الرابع : المفاضلة والتمييز ، والموازنة بين الرواة والأسانيد ، ويشمل
المطالب التالية :

المطلب الأول : مفاضلته وتمييزه بين الرواة .

المطلب الثاني : مفاضلته وموازنته بين الأسانيد .

المبحث الخامس : معرفته بشئون الرواة الخاصة، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : معرفته بمقدار ما عند الرواة من الحديث .

المطلب الثاني : معرفته بمن تدور عليهم أحاديث الرواة .

المطلب الثالث : معرفته بأقارب الرواة .

المطلب الرابع : متفرقات في أخبار الرواة الخاصة .

الفصل الثاني : أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث .

وقد عقدت هذا الفصل لإبراز جانب الرواية عند الإمام رحمه الله من حيث آدابها أيام الطلب وأيام الأداء والعطاء، وعرجت على آثاره في أنواع الأداء والتحمل . ثم بيّنت آثاره في كتابة الحديث وقواعدها . وأخيراً ضربت نماذج من روايته للحديث وأفضت في بيان منهجه في الرواية إذ هو المقصود من هذا الباب، ويشمل هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : أثره في آداب طالب الحديث من خلال التزامه بها .

المبحث الثاني : أثره في آداب المحدث من خلال اتصافه بها .

المبحث الثالث : أثره في أنواع الأداء والتحمل .

المبحث الرابع : أثره في كتابة الحديث .

المبحث الخامس : أثره في رواية الحديث، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : انتخبت عشرة نماذج من رواياته من عشرة كتب مختلفة لأشهر تلاميذه . وأشارت إلى ذكر بقيتها في الملحق الثالث من ملاحق الرسالة مرتباً كتب أصحابها حسب الأهمية . وقد نافذت رواياته فيها على أربعمئة وألف « ١٤٠٠ » رواية .

المطلب الثاني : سجّلت فيه أبرز خصائص منهج الإمام الذهلي في رواية الحديث . ويشمل النقاط التالية :

أ - خصائص منهج الإمام الذهلي في الرواية .

ب - مقارنته ومعارضته بين الروايات .

ج - المقارنة والمعارضة بين رواياته وروايات غيره .

د - لطائف روايات الإمام الذهلي .

الفصل الثالث : أثر الإمام الذهلي في علوم الحديث من حيث القبول والرد .

ويعتبر هذا الفصل مرحلة منطقية تالية لعلوم الرواة وعلوم الرواية وهو يُعنى ببيان شروط سلامة انتقال الحديث من راوٍ لآخر ، من خلال المعرفة التامة بأحوال الرواة وقواعد الرواية . وجعلت تحته المباحث التالية :

المبحث الأول : معرفته بالصحيح وما يتفرع عنه . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريفه للخبر المقبول المحتج به .

المطلب الثاني : تصحيحه للأحاديث .

المطلب الثالث : حكمه بأصح ما في الباب .

المطلب الرابع : معرفته بأصح أسانيد اليمينين .

المبحث الثاني : وصفه لأحاديث الرواة بالحسن ومراده بذلك .

المبحث الثالث : تضعيفه للأحاديث واصطلاحاته في ذلك .

الفصل الرابع : أثر الإمام الذهلي في علوم كل من المتن والسند ، وتحت المباحث التالية :

المبحث الأول : أثره في علوم المتن . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أثره في علوم المتن من حيث قائله . ويشتمل على النقاط

التالية :

أ - معرفته بالحديث المرفوع .

ب - معرفته بالحديث الموقوف .

المطلب الثاني : أثره في علوم المتن من حيث درايته ويشتمل على بيانه لغريب الحديث .

المبحث الثاني : أثره في علوم السند . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أثره في علوم السند من حيث الاتصال ، ويشتمل على معرفته بالمصطلحات التالية :

أ - المسند .

ب - المعنعن .

ج - النازل .

د - المزيد في متصل الأسانيد .

المطلب الثاني : أثره في علوم السند من حيث الانقطاع ، ويشتمل على معرفته بالمصطلحات التالية :

أ - المنقطع .

ب - المرسل .

ج - المعضل .

د - المدكس .

الفصل الخامس : أثر الإمام الذهلي في العلوم المشتركة بين المتن والسند ، وتحته المباحث التالية :

المبحث الأول : معرفة الإمام الذهلي بالعلوم الناشئة من عدم تعدد الرواة . وهي إشارته للحديث الفرد والغريب .

المبحث الثاني : معرفة الإمام الذهلي بالعلوم الناشئة من تعدد الرواة مع اتفاقهم ، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : معرفته بالمشهور والمستفيض .

المطلب الثاني : معرفته بالمتابعات .

المبحث الثالث : معرفة الإمام الذهلي بالعلوم الناشئة من تعدد الرواة مع اختلافهم ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : معرفته بالشاذ والمحفوظ .

المطلب الثاني : معرفته بالمنكر .

المطلب الثالث : معرفته بالمدرج .

المطلب الرابع : معرفته بالمصحف .

المطلب الخامس : معرفته بعلل الحديث .

وأما **الباب الرابع** فقد عقدته لدراسة وتحقيق المخطوط المنتقى من زهرياته

وعنوانه : **منتقى من منتخب أحاديث الزهري للذهلي**

وتحتة تمهيد وقسمان :

تناولت في القسم الأول : وصف النسخة الخطية (الجزء) وعيّنتُ منتقيه

وكتابه ، ثم ذكرت سند المنتقى إلى الإمام الذهلي وكتابه الزهريات ثم تراجم

رجال السند ، وأخيراً سرد السماعات والقراءات المثبتة في أول الجزء وآخره .

وبيّنت في القسم الثاني : منهجي في التحقيق ثم النص المحقق .

وبعد استعراض أبواب الرسالة الأربعة ختمتها بخاتمة تبين أهم النتائج

التي توصلت إليها من خلال البحث .

خاتمة الرسالة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال

البحث .

وقد ألحقت بالرسالة ثلاثة ملاحق كانت على النحو التالي :

الملحق الأول : مسرد بأسماء شيوخه .

الملحق الثاني : مسرد بأسماء تلاميذه .

الملحق الثالث : جداول بعدد رواياته في عشرة كتب منتقاة ، مع بيان ما رُوِيَ

منها من طريق الزهري . مع أسماء شيوخه .

منهج البحث الذي انتهجته.

اعتمدت في إعداد هذا البحث على التتبع والاستنباط من الكتب المؤلفة - في مختلف الفنون - المعاصرة للإمام الذهلي واللاحقة له ، ذلك لأن كتبه إلى الآن في عداد المفقود ، ماعدا المنتقى من زهرياته الموجود في المكتبة الظاهرية والذي أرفقته بهذه الرسالة دراسة وتحقيقاً في الباب الرابع .

فرجعت لكتب الحديث وجل أصحابها من تلامذته كالبخاري وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن الجارود والمروزي وابن خزيمة وسواهم ، واستعرضت كتب شروح الحديث وكثير منها اشتمل على معلومات من كتبه إبان وجودها بينهم تلك الأيام .

ثم جردت كتب التواريخ والرجال ، وبحثت في كتب العقيدة والمصطلح ، وحاولت العثور على كل ما يثري البحث بأي معلومة ذات قيمة علمية من جميع المصادر الممكنة ، بغية الوقوف على أحوال وأخبار الإمام الذهلي الشخصية والعلمية .

هذا وقد اتبعت المنهج التالي في كتابة هذه الرسالة :

١- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم ببيان اسم السورة ورقم الآية .

٢- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني الموافق للمصحف الشريف .

٣- خرجت الأحاديث النبوية من كتب السنة المشهورة بذكر الكتاب والباب والصفحة ، مع بيان الحكم على أغلبها ، أما أحاديث المخطوط فقد بينت مكانة كل حديث من الصحة والحسن والضعف .

٤- عزوت أقوال العلماء في الجرح والتعديل ومختلف العلوم والأشعار إلى مواضعها في المصادر المختلفة .

٥- ترجمت للأعلام الواردين في الرسالة تراجم تختلف طولاً وقصراً حسب مكانة كل مترجم وما يتعلق به ، وحسب مكان ذكره ، واعتمدت على أكثر

من مرجع في الغالب ، وقد أترك ترجمة بعض الأعلام في أول مكان يذكرون فيه ، إلا أنه سيقوم لهم فيما بعد بتوسع ، كما هو الحال في تراجم أشهر مشايخه وتلاميذه ، وسواهم . كما أنني قد تجاوزت الترجمة لأصحاب الكتب الستة وإن كانوا جميعاً قد تتلمذوا عليه ، لشهرتهم في الأمة ، ورغبة في إظهار سواهم من كبار تلامذته .

٦- بينت معاني الكلمات الغريبة الواردة في الرسالة .

٧- ضبطت ما قد يشكل من الكلمات والأسماء .

٨- قمت بتعريف البلدان ، والأمكنة والبقاع ، والمصطلحات العلمية واللغوية ، والمدارس ، والفرق والمذاهب ، باختصار حسب الأهمية .

٩- استعملت الرموز لعدد من المصادر لكثرة تكرارها في الرسالة ، وليس ذلك مطرداً في كل موضع * .

(*) ت الكبير	= التاريخ الكبير .
ت الصغير	= التاريخ الصغير .
ت ت	= تهذيب التهذيب . (وأكثر ما ترد في الباب الرابع «المخطوط»).
ت	= تقريب التهذيب .
التقريب	= تقريب التهذيب .
الكامل	= الكامل في ضعفاء الرجال .
المجروحين	= المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين .
الجامع	= الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .
الإكمال	= الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب .
الإلماع	= الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع .
المحدث الفاصل	= المحدث الفاصل بين الراوي والواعي .
النهاية	= النهاية في غريب الحديث والأثر .
اللباب	= اللباب في تهذيب الأنساب .
السير	= سير أعلام النبلاء .
الخلاصة	= خلاصة تذهيب تهذيب الكمال .
اللسان	= لسان العرب .
الإصابة	= الإصابة في تمييز الصحابة .
ص	= الصفحة .
ط	= الطبعة .

١٠- رتبت المصادر والمراجع بالترتيب الهجائي ، وبيّنت ما يوجد من معلومات عن تاريخ الطبعة والناشر والمحقق .

١١- وضعت عدداً من الفهارس العلمية (فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية ، وفهرس الآثار ، وفهرس الأشعار ، وفهرس الأسماء ويشمل الأعلام والأمكنة والبقاع والفرق والألفاظ الغريبة ، وفهرس المصادر والمراجع ، وختام كل ذلك بيان محتويات الرسالة) التي تيسر للقارئ الرجوع لأي معلومة في الرسالة .

وبعد هذه الإلماحة عن هذا الجهد المتواضع في خدمة السنة النبوية ورجالها والذي أرجو أن يسهم في تعريف الأمة بجبل من العلم والفضل والمنهج السلفي القويم ، في زمن طوت صحائف النسيان فيه المشهور مع المغمور من كبار علماء ونبلاء الأمة .

أتوجه لله الحنان المتأن ، فاطر السماوات والأرض ، فالحق الإصباح والنوى . بأجزل حمد الحامدين ، وشكر الشاكرين على عونه وتوفيقه لإتمام هذه الرسالة ، وأسأله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، كما أدخر ثوابها لمقام والديّ اللذين كان لهما أبلغ الأثر في التوجيه للخير والعلم .

وبعدهما أزجي عاطر الثناء والشكر والعرفان للمعلم المربي القدوة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور (سليمان الصادق البيرة) المشرف على هذه الرسالة . على توجيهاته العلمية القيمة ، وإرشاداته التربوية في العلم وفي الحياة ، سواء في بيته ومكتبه أو الجامعة والحرم ، مع تركيزه على أهمية بر الوالدين في سلوك فجاج الحياة بنجاح وتوفيق . فلن أكافي كثرة إحسانه ومتابعته لي ولزملائي ، بالعلم والتربية والقدوة ، إلا أن أتوجه لله تبارك وتعالى بأن يجزيه خير الجزاء ويشييه وافر الثواب ، وأن يبارك له في علمه وماله وأهله ، وأن يطرشأبيب رحمته علي والديه ، ويختم لنا وله ولوالدينا بجنته وغفرانه . . آمين .

وأتقدم بعد ذلك بعظيم الشكر والإمتنان والعرفان لمناقشي هذه الرسالة ،
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / عبد الله بن علي الغامدي رئيس قسم الدعوة
والثقافة الإسلامية سابقاً على قبوله المناقشة بالرغم من كثرة مشاغله العلمية ،
وعلى حسن معاملته إبّان اضطراره بمهام الرئاسة ، وسعادة الشيخ الأستاذ
الدكتور محمد ولد سيدي كريم أستاذ الحديث وعلومه في كلية التربية بالطائف
على قبوله المناقشة أيضاً وتحشمه قراءتها .

ولا يفوتني شكر جامعة أم القرى بمكة المكرمة ممثلة في معالي مديرها
الدكتور راشد الراجح ، على إتاحة فرصة مواصلة الدراسات العليا
ولزملائي ، كما أشكر عمادة كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها السابق
الدكتور علي بن نفيح العلياني الذي عاصر بداية هذا الموضوع ، وبداية عملي
الوظيفي بالكلية ، وخلفه الأخ الدكتور عبد الله بن عمر الدميحي ، وسعادة رئيس
قسم الكتاب والسنة وأعضاء هيئة التدريس فيه .

كما أعمم شكري وتقديري لكل من ساهم باظهار هذه الأطروحة بهذا
الثوب القشيب من أشقائي وأفراد أسرتي وأساتذتي وزملائي الأفاضل ، وهم
كثير لا يسعني تخصيص بعضهم بالشكر ، فلجميع دعوة خالصة بأن يتم نعمه
عليهم ، ويسر أمورهم ، لقاء حرصهم ومساعدتهم .

هذا ولله الحمد أولاً وآخرأ على فضله وجوده ونعمه ، وصلى الله وسلم
على نبينا محمد وآله وأصحابه ، وأتباعهم ، ومن اقتفى آثارهم إلى يوم الدين .

الباب الأول

عصر الإمام الذهلي وحياته الشخصية

وتحتة الفصول التالية :

- الفصل الأول : عصر الإمام الذهلي .
- الفصل الثاني : ترجمة الإمام الذهلي .
- الفصل الثالث : صفاته الخلقية والخلقية .

الفصل الأول

عصر الإمام الذهلي

وتحتة امباحث التالفة :

- المبحث الأول : الحالة السفساة .
- المبحث الثاني : الحالة الاءفنة .
- المبحث الثالث : الحالة الإءءماعفة .
- المبحث الرابع : الحالة العلمفة .

أولاً: الحالة السياسية:

قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ. وتوالى الخلفاء العباسيون بعد أبي العباس السفاح^(١)، وكانت شخصية كل خليفة عباسي تطبع عصره بطابع خاص .

فقد كان الخليفة العباسي يقوم على رأس الحكومة باعتباره مصدر كل السلطات، والملجأ الأخير في كل شئون الدولة. وأصبحت خصائص الخليفة الدينية والعقلية والخلقية والنفسية هي التي تحدد اتجاهاته السياسية والحضارية .

كانت الدولة الإسلامية حين وفاة الرشيد^(٢) (١٩٣ هـ) قد بلغت أوج قوتها الإقتصادية . ويتضح ذلك من مقارنة ميزانية الدولة في عهد الرشيد بالعهود الأخرى سواء كانت سابقة أم لاحقة . وقد اتصف عصر الرشيد بالاستقرار في أنحاء الدولة المترامية الأطراف .

لذلك كانت الدولة الإسلامية كلها في عصر الرشيد إذا استثنينا الأندلس وبعض المغرب وحدة متكاملة تخضع خضوعاً تاماً للخليفة في بغداد، وهو الذي يعين ولايتها، وإليه يجبى خراجها، ويدعى له على المنابر، وتضرب السكة باسمه ونحو ذلك من مظاهر السلطان .

لقد حقق الله للرشيد هذا العصر الذهبي للدولة الإسلامية لعدة أسباب من أهمها، العدل والتقوى، والحزم في الإدارة .

ولكن هل كتب لهذه الحالة أن تدوم؟ وهل ظلت الدولة الإسلامية قوية موحدة؟ إن دوام الحال كان موقوتاً بعهد الرشيد فحسب !!

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أول الخلفاء العباسيين . توفي سنة ١٣٦ .

سير أعلام النبلاء ٧٧/٦، للإمام الذهبي . تحقيق شعيب الأرنؤوط ومجموعة من الباحثين .

(٢) هو هارون ابن المهدي محمد أبو جعفر الخليفة العباسي، كان من أنبل الخلفاء، ذا حجج وجهاد .

توفي سنة ١٩٣ . السير ٢٨٦/٩ .

فقد أصيبت الدولة الإسلامية بعد قليل من خلافة ابنه الأمين^(١) بنكسة خطيرة، فلم يلبث أن نشب نزاع حاد بين الأمين وأخيه المأمون،^(٢) وشغل كل منهما بحرب الآخر، مما ترتب عليه نقصان في ميزانية الدولة وعجز في إيراداتها وقتن وقلاقل^(٣).

ومنذ عهد المأمون والدولة الإسلامية أخذت في الانحدار عن الذروة التي بلغتها زمن الرشيد، وقد استمر هذا الانحدار في العهود التالية ولكن ببطء شديد حتى انتهى إلى غايته عند منتصف القرن الثالث الهجري، وذلك نتيجة للفساد السياسي والارتباك الاقتصادي الذي تردت فيه الخلافة العباسية في ذلك الحين.

وجاء المعتصم^(٤) الذي خلف المأمون سنة ٢١٨ هـ وفي عهده تبرز ظاهرة خطيرة كان لها أبعد النتائج السيئة بالنسبة لمستقبل الدولة الإسلامية وهي إدخال عنصر جديد بالجيش وهو العنصر التركي.

ومن الإنصاف أن نقرر أن المعتصم وإن كان قد مكن للأتراك في البلاد، إلا أنهم كانوا في أول أمرهم قوة للدولة، وكان انتصارهم الكبير الذي حققوه في وقعة عمورية سنة ٢٢٣ هـ، فقد كانت القيادة العليا في يد الأتراك وعلى رأسهم

(١) هو أبو عبد الله محمد ابن الرشيد هارون، كان ذا قوة وشجاعة وأدب وفصاحة، ولكنه سعى التدبير المفرط التبذير، مع صحة إسلام ودين، قتل في المحرم سنة ١٩٨. سير أعلام النبلاء ٣٣٤/٩.

(٢) هو عبد الله بن هارون الرشيد سيجم له بتوسع عند الحديث عن مسألة اللفظ بالقرآن، انظر ص ٢٩٥.

(٣) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ٤٦٠، تأليف د. محمد ضياء الدين الرئيس.

(٤) هو محمد بن هارون أبو إسحاق. كان ذا قوة ويطش وشجاعة وهيبة، لكنه نزر العلم. تابع أخاه المأمون في امتحان الأمة بخلق القرآن. غزا عمورية. وبنى سامراء. توفي سنة ٢٢٧ هـ. المعارف ص ٣٩٢، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة. السير ٢٩٠/١٠.

أشناس^(١). وجاء الوثائق^(٢) الذي خلف أباه المعتصم (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) بعهد منه وفي عهده زاد نفوذ الأتراك لكثرة ماكان على عاصمة الخلافة من بلادهم - بلاد ماوراء النهر - وبما أبدوا من بسالة في حروبهم، وبما تزاوجوا وتناسلوا^(٣).

ولما توفي الوثائق اجتمع كبار الدولة وأختير جعفر^(٤) ابن المعتصم ولقب بالمتوكل على الله، وكان اختياره بإشارة الأتراك وذلك في سنة ٢٣٢هـ.

ونظراً لازدياد نفوذ الأتراك، فقد حاول المتوكل محاولة يائسة للحد من سلطانهم، فقد دبر مكيدة لقتل زعيمهم «إيتاخ» ولكنه باء بالفشل.

وفي الوقت الذي أراد فيه المتوكل التخلص من الأتراك حتى يعيد للدولة العباسية سيرتها الأولى كان ابنه المتنصر يتابعهم.

فدبر القواد الأتراك مؤامرة للتخلص من المتوكل، وبالفعل تم قتله، ومعه وزيره الفتح بن خاقان الذي مات هو الآخر دفاعاً عنه^(٥).

وكان مقتل المتوكل بهذه الصورة سنة ٢٤٧هـ على أيدي الأتراك إيذاناً بل إعلاناً مدوياً ببدء عهد جديد، فمنذ مقتله انتقلت السلطة إلى أيدي قادة الأتراك،

(١) ظهر الإسلام ٦/١، للدكتور أحمد أمين.

(٢) هو هارون ابن المعتصم بالله. قاتل أحمد بن نصر الخزاعي في فتنة خلق القرآن. توفي سنة ٢٣٢. المعارف ص ٣٩٣. السير ٣٠٦/١٠.

(٣) تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي ص ٣٨٥، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني.

(٤) هو جعفر ابن المعتصم أبو الفضل العباسي. بويع له بالخلافة بعد أخيه الوثائق، وهو الذي أحيا السنة وأما التجهم ولكنه كان فيه نصب ظاهر وانهماك على اللذات. مات سنة ٢٤٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١١٤/٢، لابن العماد الحنبلي.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٣٣٦-٣٣٧ للإمام محمد بن جعفر الطبري، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤/١٢٠-١٢٢، لعلي بن الحسين المسعودي.

وضاعت هبة الخلافة، وأصبح الأتراك يستطيعون أن يولوا من شاءوا أو يعزلوه أو يقتلوه وأصبح الخليفة يقنع بالسكة والخطبة فقط. (١)

وبعد قتل المتوكل ولّى الأتراك المنتصر (٢) (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) ثم بعد قليل أجبروه على أن يخلع من العهد أخويه المعتز (٣) والمؤيد (٤). ولم تطل مدته أكثر من ستة شهور.

وبعد وفاته اجتمع قادة الأتراك وعلى رأسهم بغا الكبير، وبغا الصغير، وأتامش وحولوا الخلافة من ولد المتوكل إلى ولد المعتصم، فبايعوا أحمد (٥) ابن المعتصم فلقب بالمستعين سنة ٢٤٨ هـ، وقد بلغت الأمور في عهد المستعين درجة جعلت بعض الشعراء يصف حالة الضعف التي وصلت إليها الخلافة في زمنه فيقول:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما تقول البيغاء (٦)

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٢٢٠، تأليف محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي.

(٢) هو محمد ابن المتوكل على الله الهاشمي، كان وافر العقل، راغباً في الخير، قليل الظلم، باراً بالعلويين، كان يتهم بأنه واطاً على قتل أبيه، فما أمهل. مات مسموماً سنة ٢٤٨. شذرات الذهب ١٢/١١٨، السير ١٢/٤٢.

(٣) هو محمد وقيل الزبير ابن المتوكل جعفر. استخلف وهو ابن عشرين سنة، وكانت خلافته ثلاث سنين ونيف. مات بعد أن ضربه الأتراك وخلعوه، ومنعوه الطعام والشراب سنة ٢٥٥. شذرات الذهب ٢/١٣٠، السير ١٢/٥٣٢.

(٤) هو إبراهيم ابن المتوكل ابن المعتصم، عقد له أخوه المعتز بولاية العهد ثم خلعه وحبسه، ثم أخرج ميتاً، فقبل أجلس في الثلج حتى مات برداً. وذلك في رجب سنة ٢٥٢. تاريخ الأمم والملوك ٤١٤/٥، السير ١٢/٣٣٣.

(٥) هو أبو العباس أحمد ابن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد. كان متلاًفاً للمال، مبذراً، اختلت الخلافة بولايته، واضطربت الأمور. خلع ثم قتل ذبحاً بالسكين سنة ٢٥٢. تاريخ بغداد ٨٤/٥ للخطيب البغدادي. السير ١٢/٤٦.

(٦) ظهر الإسلام ١٢/١.

ووجد التحاسد طريقه بين صفوف الأتراك في عهد المستعين، فكانت المؤامرات والفساد، والقتل والسلب والنهب، وقام الأتراك بمؤامرة على الخليفة نفسه، فما أن علم المستعين بهذه المؤامرة حتى اتفق مع أحد قواده على ترك سامراء والتوجه إلى بغداد سنة ٢٥١هـ^(١)

وظل المستعين مقيماً في بغداد بعيداً عن سامراء التي تركزت فيها قوة الأتراك، فقام الأتراك بإخراج المعتز والمؤيد من السجن، فبايعوا المعتز بالخلافة ولأخيه بولايه العهد.

وهكذا أصبحت بغداد مع المستعين، وسامراء مع المعتز، ثم تمكنوا من محاصرة بغداد، ودبر الأتراك إغتيال المستعين ونجحوا في ذلك سنة ٢٥٢هـ^(٢)

ولم تكن الخلافة أسعد حظاً في عهد المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ) الذي جاء به الأتراك خلفاً للمستعين، فقد كان في يدهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه، وإن شاءوا قتلوه.

ولعل في تلك المحاوراة التي جرت بين بعض المقربين للمعتز ما يظهر وضع الخليفة والخلافة في ظل تسلط الأتراك، قال ابن طباطبا: « لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم: أنظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا: فكم تقول إنه يعيش وكم يملك؟ قال مهما أراد الأتراك فلم يبق في المجلس إلا من ضحك^(٣)

(١) مروج الذهب ٤٠٨/٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ١٤٥/٧ للعلامة عز الدين ابن الأثير، تاريخ الإسلام السياسي ٨/٣

للدكتور: حسن إبراهيم حسن.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٢٠ لابن طباطبا.

وكانت أحوال الجيش في عهد المعتز على أسوأ ما يكون، فالأتراك أصحاب السلطات والنفوذ، وهم فيما بينهم مختلفون، لأنه لا تجمعهم قيادة واحدة، ولا حيلة للخليفة إلا مراعاة جانبهم حيناً، وإعمال الحيل والدسائس حيناً آخر، وهذا شأن من سلب سلطانه، وحرّم نفوذه. (١)

وكان المعتز يخاف الأتراك ويخشى بأسهم، ولا يأمن جانبهم ومع ذلك لم يسلم من شرهم، فدخل عليه بعضهم فجروه من رجله وتناولوه ضرباً، فخرج وقميصه ملوث بالدم، ثم أقاموه في الشمس يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحر ثم خلعه وبعد الخلع أُسْلِمَ إلى من يعذبه، ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام حتى مات (٢)

أما المهتدي ابن الواثق فقد ولي الخلافة بعد قتل أخيه المعتز سنة ٢٥٥ هـ، وظهرت الثورات في خلافته، فثارت العامة في بغداد، كما أذكى العلويون (٣) نار الثورة في كثير من البلدان الإسلامية ثم بدأت ثورة الزنج (٤) التي هددت الدولة العباسية زهاء أربع عشرة سنة (٢٥٥ - ٢٧٠).

كما شق الخوارج عصا الطاعة في الموصل. ثم ثار أحمد بن عيسى ابن الشيخ في بلاد الشام، وكان المهتدي (٥) كغيره من الخلفاء الذين جاءوا بعد المتوكل ألعبوبة في أيدي الأتراك.

(١) الدويلات الإسلامية في المشرق ص ٢٥ للدكتور: محمد علي حيدر.

(٢) مروج الذهب ٢/٤٢٩-٤٣٠.

(٣) العلويون بفتح العين المهملة واللام المخففة. وهم أناس ينسبون إلى علي ابن أبي طالب. انظر الأنساب ٤/٢٢٩، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني. تعليق عبد الله عمر البارودي.

(٤) الزنج: بفتح الزاي والنون الساكنة، وهم أقوام أتى بهم من سواحل إفريقية. وكانوا يسكنون سبخ البصرة، إلتقوا على رجل من بلاد فارس كان أجيراً فادعى أنه من سلالة علي ابن أبي طالب ودعا الناس إلى طاعته. وكان للزنج حروب وفتن أشغلوا بها الأمة. الأنساب ٣/١٧٠، البداية والنهاية ١١/١٨ للحافظ ابن كثير، ضبط وتصحيح هيئة بإشراف الناشر.

(٥) هو محمد ابن الواثق هارون ابن المعتصم أبو إسحاق. كان عادلاً صالحاً متعبداً بطلاً شجاعاً، خليقاً للإمارة لكنه لم يجد معيناً ولا ناصرأ. وكان يحب الإقتداء بطريقة عمر بن عبد العزيز. قتل سنة ٢٥٦. البداية والنهاية ١١/١٧، السير ١٢/٥٣٥.

وليس أدل على ما وصل إليه الخليفة من الضعف، وما بلغت الخلافة من
الوهن والانحلال من هذه العبارة التي رواها الطبري :

«رفع المهتدي يديه إلى السماء ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : اللهم
إني أبرأ إليك من فعل موسى بن بغا وإخلاله بالشعر، وإباحته العدو، فأني قد
أعذرت فيما بيني وبينه . اللهم تول كيد من كاید المسلمين ، اللهم أنصر جيوش
المسلمين حيث كانوا، اللهم إني شاخص بنيتي واختياري إلى حيث نكب
المسلمون فيه، ناصراً ودافعاً، اللهم فأجُرني بنيتي إذ عدمت صالح الأعوان، ثم
انحدرت دموعه يبكي» (١)

وسرعان ما اجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة، فثاروا عليه، ثم
أسروه، وخلعوه، ولم يكتفوا بذلك . بل عذبوه حتى الموت في رجب سنة
٢٥٦هـ (٢)

وقد وصف المسعودي الخليفة المهتدي في هذه العبارات « . . . وأمر
بالمعروف ونهى عن المنكر، وأظهر العدل، وكان يحضر كل جمعة إلى المسجد
الجامع ويخطب ويؤم بهم، فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله إياهم على
الطريق الواضحة، فاستطالوا خلافته، وسئموا أيامه، وعملوا الحيلة حتى
قتلوه» (٣)

هذا فيما يخص أوضاع خلفاء الدولة العباسية وأحوال حاضرة الخلافة
وما حولها من البلاد . أما فيما يتعلق بأحوال المشرق . من الدولة العباسية،
وبالأخص بلاد خراسان موطن الإمام الذهلي ومسقط رأسه، فلنا نجد أن
هذه البلاد الشاسعة قد خضعت خلال هذه الفترة لأسرة قوية تتمتع بنفوذ

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤٤١/٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤٧٤/٥ . تاريخ الخلفاء ص ٢٤٢ .

(٣) مروج الذهب ٤٣١/٢ .

كبير وهي الأسرة الطاهرية. وتنتسب هذه الأسرة لطاهر بن الحسين^(١) الذي كان من كبار قادة الدولة العباسية في خراسان. ولما تفاقم النزاع بين الأخوين الأمين والمأمون، كان طاهر بن الحسين هو القائد الأول في جيش المأمون، وتمكن من قتل علي بن عيسى قائد الأمين سنة ١٩٥ هـ.

وتقدم طاهر إلى بغداد، وكان المأمون قد كافأه بعد أن استقر في الخلافة بأن أسند إليه ولاية الجزيرة، وولاية شرطة بغداد^(٢). ثم بعد ذلك أسند إليه ولاية خراسان سنة ٢٠٥ هـ، واتخذ نيسابور حاضرة لدولته، وبعد ذلك استطاع طاهر أن يؤسس أول إمارة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية^(٣).

ثم خلف طاهر بن الحسين بعد وفاته ابنه طلحة سنة ٢٠٧ هـ^(٤). ثم خلف عبد الله بن طاهر أخاه طلحة سنة ٢١٣ هـ، وقد اتسع ملكه حتى شمل الري^(٥) وكرمان^(٦) علاوة على خراسان نفسها، وكذلك الأراضي التي تقع شرقيها حتى الحدود الهندية^(٧).

(١) هو طاهر بن الحسين الخزاعي وقيل مولاهم الملقب ذا اليمينين. كان شجاعاً ممدحاً. وهو الذي قتل الأمين. ولاء المأمون خراسان فلما تمكن خطب لنفسه وخرج على المأمون فأصبح يوم السبت ميتاً. كان ذلك عام ٢٠٧ هـ. السير ١٠/١٠٨، شذارت الذهب ١٦/٢.

(٢) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص ٧ للدكتور: عصام عبد الرؤوف الفقي.

(٣) المصدر السابق وانظر تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ٧٩ د. محمد جمال الدين سرور.

(٤) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص ٧.

(٥) سيا تي التعريف بها قريباً عند ترجمة حيكان ابن الذهلي ص ٧٠.

(٦) كَرْمَان بفتح الكاف وربما كسرهما، ولاية مشهورة، وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣/ ١١٦٠ تأليف صفى الدين البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٩١، تأليف محمد بن المنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عباس.

(٧) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص ٨٧.

وتوفي عبدالله بن طاهر سنة (٢٣٠هـ) والذي كان يمثل العقد الذهبي في أسرة بني طاهر، فقد كان رحمه الله مشهوراً بمحبته لأهل العلم مع الورع والتقوى، ثم تولى بعده ابنه طاهر بن عبدالله الذي توفي سنة ٢٤٨هـ، ثم محمد بن طاهر من سنة (٢٤٨ - ٢٥٩هـ) وهو آخر حكام الطاهريين، وكان هذا الحاكم مشهوراً بالمجون والخلاعة، فاختلفت عرى الدولة، وتفاقت الثورات، وازدادت الاضطرابات في تلك الناحية، فاستجد أهل خراسان بالأمير يعقوب بن الليث الصفار لإعادة الأمن والطمأنينة إلى بلادهم، فوجد الأمير الصفاري الفرصة مواتية، فزحف بجيشه إلى نيسابور سنة ٢٥٩هـ، وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته وبذلك زالت الدولة الطاهرية^(١) وكان ذلك بعد وفاة الإمام الذهلي رحمه الله بسنة واحدة.^(٢)

ثانياً : الحالة الدينية :

زخر العصر العباسي الثاني (مابعد سنة ٢٣٢هـ) بكثير من الحركات الدينية التي كان لها أثر بعيد في تاريخ هذا العصر .

فقد قام الشيعة بحركات ثورية كان من أثرها انتزاع كثير من بلاد الدولة العباسية ، وانتشار المبادئ الشيعة وخاصة مبادئ الإسماعيلية بين القرامطة في سواد الكوفة وفي البحرين ، وفي شمال العراق ، وفي بلاد اليمن .

ولم تخل بلاد الفرس من دعاة الإسماعيلية في هذا العصر ، وتكاثرت جهود الإسماعيلية بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ثم في مصر ، وامتداد رقعتها إلى فلسطين والشام ، وإلى بلاد الحجاز وغيرها ، وخطب للفاطميين في الموصل وبغداد حيناً من الدهر .

(١) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص ٨٠٧ .

(٢) توفي الإمام الذهلي سنة ٢٥٨هـ . وسيأتي تفصيل ذلك ص ٨٢ .

على أن المهم في هذه المرحلة التي نحن بصدددها هو خروج تيار المعتزلة،
ووضوح مذهبهم، والنتائج المترتبة على ذلك .

لقد نشطت تعاليم المعتزلة في العصر العباسي الأول، وبلغت قمة نشاطها
في عصر المأمون الذي وافقهم على القول بخلق القرآن، واستخدم نفوذه في
سبيل إقرار هذه العقيدة في أذهان الناس، وأصبح مذهب الاعتزال بذلك
مذهب الدولة بفعل إقرار الخلفاء العباسيين، وسار المعتصم على سياسة أخيه
المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن .

واقترى الواثق بأبيه المعتصم وعمه المأمون في انتصاره للمعتزلة، وشدد في
فرض آرائهم الدينية على الناس، وبلغ به الأمر أن جعل إطلاق أسرى المسلمين
في بلاد الدولة البيزنطية وافتدائهم مقصوراً على الذين يقولون بخلق القرآن،
واعتبار من سواهم خارجين على الاسلام لا يحل افتداؤهم من أيدي الروم. (١)

قال الكندي: " لما استخلف الواثق ورد كتابه على محمد ابن أبي الليث،
قاضي مصر، بامتحان الناس أجمع، فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن
ولا معلم حتى أخذ بالحنة، فهرب كثير من الناس وملئت السجون ممن أنكر
الحنة، وأمر ابن أبي الليث بالاكتتاب على المساجد لا إله إلا الله رب القرآن
المخلوق، فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر، ومنع الفقهاء من أصحاب
مالك والشافعي من الجلوس في المساجد وأمرهم أن لا يقرئوها" (٢)، وثار أهل
بغداد ضد الواثق، وتزعّمهم أحمد بن نصر الخزاعي (٣) وأنكروا القول بخلق

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢٨٥/٥. الحدود الإسلامية البيزنطية تأليف فتحي عثمان ٢١٨/٢.

(٢) الولاة وكتاب القضاة لمحمد بن يوسف الكندي، تهذيب وتصحيح رفن كست ص ٤٥١.

(٣) هو الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله، أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، كان أماراً بالمعروف،
قوالاً بالحق. قتله الواثق بيده لامتناعه عن القول بخلق القرآن، ونصب رأسه في بغداد، وبدنه في
سامراء ست سنين، وكان ذلك عام ٢٣١. تاريخ بغداد ١٧٣/٥، السير ١٦٦/١١، شذرات
الذهب ٦٩/٢.

القرآن، ودعوا إلى عزل الواثق، ولكن الواثق نجح في إخماد الثورة والقبض على أحمد بن نصر، وحملوه إلى الواثق في سامراء وقتله بيده.

ثم أمر بصلب جثته في الجانب الشرقي من سامراء، ثم في الجانب الغربي، وعلق على أذنه رقعة مكتوب عليها « هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر بن مالك ممن قتله الله على يدي عبدالله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق، فأبى إلا المعاندة والتصريح... الخ »^(١)

ولما تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٥ هـ بدأ عصر جديد متميز، ورأى العدول تماماً عن سياسة أسلافه المأمون والمعتصم والواثق.

فأول ما بدأ به أن نهى الناس عن الجدل في القرآن وغيره وأنزل أحمد بن نصر الخزاعي من خشبته ودفعه إلى أوليائه، وسلطه الله على القاضي أحمد ابن أبي دؤاد، فصادر أمواله ونكل به، وقد أنشد الشاعر أبو العتاهية بعد التنكيل بابن أبي دؤاد^(٢) ثلاثة أبيات وجهها إلى القاضي، وهي :

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رَشَدٍ وأن عزمك عزماً فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به عن أن تقول كلام الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ما كان في الفرع لولا الجهل والموق^(٣)

ولاشك أن موقف المتوكل من قضية خلق القرآن، والرجوع عنها وعن مذهب المعتزلة يعتبر شجاعة وجرأة منه. فقد أصبح التمسك بالقضية والمذهب يصور هيئة الدولة والخليفة.

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢٨٣/٥

(٢) هو القاضي الكبير، أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي الجهمي، عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن، شاخ ورمي بالقالج ومات سنة (٢٤٠). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨١/١ لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، السير ١٦٩/١١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣١٤/٥.

وقد أخذ مذهب المعتزلة في الضعف منذ بداية العصر العباسي الثاني، وفي المقابل قوي مذهب أهل السنة وارتفعت مكانة أتباعه، وأظهر المتوكل الميل إلى المحدثين، وأجزل لهم العطاء وأكرمهم.

وجلس أبو بكر ابن أبي شيبة^(١) في جامع الرصافة فاجتمع حوله ثلاثون ألف مسلم، وجلس أخوه^(٢) في جامع المنصور فاجتمع حوله نفس العدد، وتوجه الجميع بالدعاء للمتوكل، وأثنوا عليه، وعظموا قدره.^(٣)

وقد صدق إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة حين يقول : الخلفاء ثلاثة، أبو بكر الصديق قاتل المرتدين حتى استجابوا له، وعمر بن عبدالعزيز رد مظالم بني أمية، والمتوكل محي البدع وأظهر السنة.^(٤)

ثالثاً: الحالة الاجتماعية :

ظهر في الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري بجانب الفرس والعرب، عنصر الأتراك، وكان له أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العصر.

ولم يكن للأتراك مدنية وحضارة قديمة، بل كانوا أشبه بالبدو... ولذلك أطلق عليهم الجاحظ أعراب العجم، ويعني بالأعراب البدو، وكان كل جنس من هذه الأجناس يصبغ البلاد التي يحكمها بطابعه الخاص.

(١) هو عبد الله بن محمد ابن القاضي أبي شيبة الإمام العلم أبو بكر العباسي مولاهم الكوفي، قال العجلي : كان أبو بكر ثقة، حافظاً للحديث، مات سنة (١٣٥). السير ١١/ ١٢٢، تقريب التهذيب ص ٣٢٠ للحافظ ابن حجر العسقلاني. بتحقيق محمد غرامة
(٢) هو الإمام الحافظ الكبير المفسر، أبو الحسن، عثمان بن محمد ابن أبي شيبة، صاحب التصانيف، وأخو الحافظ أبي بكر، قال ابن نعيم: ثقة مأمون، الجرح والتعديل ١٦٦/٦ لابن أبي حاتم الرازي تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، السير ١١/ ١٥١.
(٣) تاريخ الخلفاء ص ١٣٨ للسيوطي، مطلع العصر العباسي الثاني ١٩٩-٢٠٣ للدكتورة نادية حسني صقر.
(٤) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٠ للخطيب.

ومن العناصر التي تكاثرت عددها في العصر العباسي الرقيق الأبيض من الأثراك والديلم والأكراد، وكانت قصور الخلفاء والأمراء والعظماء والأغنياء تؤوي الكثير من الرقيق وعلى الأخص الجواري الذين كانوا من أجناس متنوعة، تختلف في الطباع والعادات واللغات.

وكانت هناك أسواق للرقيق ببعض المدن الكبيرة، وقد اشتهرت سمرقند بأنها أكبر سوق للرقيق الأبيض فكان يأتي إليها رقيق تركستان وماوراء النهر. (١)

ومن العناصر التي دخلت الدولة الإسلامية وكان لها تأثير في الحياة الاجتماعية، الروم، فقد أدت الحروب المتواصلة بين المسلمين والبيزنطيين إلى أسر عدد كبير من الروم واسترقاق كثير منهم، فانتشر المماليك الروم تبعاً لذلك من رجال ونساء وغللمان في بيوت الخلفاء والأغنياء.

بل إن بعض الخلفاء في هذا العصر من كانت أمه رومية، نذكر من بينهم: المنتصر بالله ابن المتوكل، والمعتز بالله، والمقتدر بالله.

كذلك كثر في هذا العصر الزنج، وكانوا يجلبون إلى الدولة الإسلامية من سواحل أفريقيا الشرقية ولا أدل على كثرتهم وخطرهم من ثورتهم التي قاموا بها قرب البصرة، وكلفت الدولة العباسية كثيراً من الأموال والدماء (٢).

وقد ظهر في الدولة الإسلامية نوع من الشرف لا يزال باقياً إلى عصرنا هذا، وذلك في أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته بصفه عامة.

وكانوا يأخذون بوصفهم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم راتباً معيناً من الحكومة الإسلامية وقد حرمت عليهم الصدقة ومواليهم (٣). وكان لهم نقيب (٤) في كل مدينة من المدن الكبيرة مثل بغداد وواسط والبصرة والأهواز.

(١) الحضارة الإسلامية ١٢٨/١-١٣٠ تأليف آدم ميتز، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤٧٧/٥، مروج الذهب ١٤٦/٤.

(٣) رسائل الجاحظ ص ١٧ لعمر بن بحر أبو عثمان البصري الجاحظ، شرح وتعليق عبد الله مهنا.

(٤) الأحكام السلطانية ص ٩٢ لأبي يعلى محمد بن الحسين القراء، صححه محمد حامد الفقي.

ومن بين الطوائف الدينية التي انتشرت في نواحي الدولة الإسلامية وأطرافها وداخلها أهل الذمة من اليهود والنصارى ، فبلغ عدد اليهود في العراق حوالي سنة ٥٨١ ما يقارب الستمائة ألف ، على حسب تقدير الرحالة بنيامين التطيلي (١) .

كما كان في بغداد وحدها في أوئل القرن الرابع الهجري ما بين أربعين وخمسين ألفاً من النصارى .

وقد قام أهل الذمة في البلاد الإسلامية بجميع الأعمال التي تدر عليهم الأرباح الوفيرة ، فاشتغلوا بالصيرفة والتجارة وامتلكوا الضياع ، كما نبغ بعضهم في الطب (٢) .

ويقول المقدسي عن الشام : إن أكثر الجهابذة والصياغين والصيارفة والدباغين بهذا الإقليم يهود ، وأكثر الأطباء والكتبة نصارى (٣) .

ومن المظاهر الاجتماعية الملفتة للنظر في ذلك العصر ترف الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة ، فقد كانوا ينعمون هم ومن يلوذ بهم من الأدباء والعلماء بشتى أنواع النعم ، فقصور الخلفاء أشبه بمدن كبيرة لاتساعها . وكانت تشتمل على دور واسعة وقاعات ذات قباب وبساتين .

فمثلاً قصر المتوكل المعروف بالعروس ، أنفق عليه ثلاثين ألف درهم ، والجعفرى عشرة آلاف ألف درهم ، والبرج عشرة آلاف ألف درهم (٤) .

وكان لإمعان الخلفاء والأمراء والوزراء في الترف وحرصهم على امتلاك الثروات الكبيرة في هذا العصر أثره في ظهور طبقتين متميزتين .

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق ص ١٧٨ .

(٢) كتاب الخراج ص ٦٩ لأبي يوسف القاضي .

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٨٣ للمقدسي المعروف بالبشاري .

(٤) معجم البلدان ١٥/٥ - ١٦ تأليف ياقوت الحموي .

الأولى : تشمل الخليفة ورجال دولته وأهلهم وأتباعهم ، وهم عدد قليل بالنسبة لسائر أفراد الأمة .

والثانية: تشمل العلماء والأدباء والتجار والصناع والمزارعين وعامة الناس . وهناك جماعة من العامة ، أطلق عليهم العيارون والشطار،^(١) تميزت حركاتها بالطابع الثوري ، وبخاصة ضد السلطة الحاكمة وأصحاب الأموال وكانت تضم بين صفوفها مختلف الأجناس والطوائف فضلاً عن أرباب الحرف المختلفة ، وكان لهذه الجماعة تنظيمات عسكرية ، فلكل عشرة منهم عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أميراً^(٢) .

ومع أن بعض العيارين يحمل روح الفتوة ومبادئها ، فإن انهيار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العراق ، جعل الكثير من العاطلين والأشقياء ينضمون إلى صفوف العيارين الأمر الذي صبغ حركتهم بصيغة العدوان . وقد وصفهم مسكويه بقوله : «إن العيارين أهل شغب وحملة سلاح»^(٣) .

وإذا أمعنا النظر في أحوال الإمام الذهلي بتلك الحقبة المترفة . نجد أنه يصنف في الطبقة الثانية وهم العلماء والتجار والصناع وعامة الناس . . . وهؤلاء متفاوتون في الغنى والفقر . والذي يظهر أنه كان على جانب من اليسر والاكتفاء يدل على ذلك ما ذكر من إنفاقه على العلم والرحلة فيه قال : إرثحت ثلاث رحلات ، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً^(٤) .

(١) قال ابن منظور الإفريقي في لسان العرب : رجل عيار كثير المجيء والذهاب في الأرض . (٦٢٢/١) . والشطار جمع شاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً . (٤٠٨/١) والمعنى أنهم جماعة تميزت بالحركة والمناوأة والثورية .

(٢) مروج الذهب ٣١٥/٢ .

(٣) تجارب الأمم ٦٩/١ لأبي علي أحمد بن محمد (مسكويه) ، باعتناء د . ف آمدروز .

(٤) تاريخ بغداد ٤١٩/٣ .

كما إنه لم يكن ممن يتزلف إلى الحكام والأمراء والوزراء لينال من صلاتهم وجوائزهم، بل كان منصرفاً إلى العلم وأهله، والعبادة والترفع عن الدنيا والاغترار بها. يظهر ذلك من روايته عن مشايخه أشعار الزهد والرقائق كما سيأتي في صفاته الخلقية. وفي الوقت ذاته لم يكن ممن يهملون الاعتناء بالمظهر الخارجي من النظافة والرتابة، تعللاً بالزهد واحتقار الدنيا. بل كان حسن الاعتناء بنفسه مظهراً لنعمة الله عليه، متواضعاً للخلق، باذلاً لهم الخير والمعروف.

رابعاً: الحالة العلمية

بالرغم من تقلب الأوضاع السياسية، وكثرة المذاهب والفرق الدينية، وقيام الثورات والفتن... فإن الأحوال العلمية لم تتأثر بشيء من ذلك.

بل إن الفترة الزمنية التي عاشها الإمام الذهلي ١٧٢-٢٥٨ هـ تمثل فترة ازدهار ونضوج الثقافة الإسلامية، وذلك نتيجة حرية الحركة والتنقل بين شتى أصقاع البلاد الإسلامية، ولتشجيع الخلفاء للعلم والعلماء، وللتمازج الكبير بينها وبين الثقافات الأخرى. وكذا فإن حركة الترجمة إلى اللغة العربية أخذت نشاطاً علمياً واسع النطاق بصرف النظر عن إيجابياتها وسلبياتها.

فقد كانت بغداد قبلة للعلم، وأهلها يؤمنونها من كل ناحية وصقع... ينهلون من أهل الفضل والعلم كأحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة وسواه^(١) من فطاحلة العلوم، ولم تكن باقي مدن العراق أقل حظاً من بغداد. فالبصرة والكوفة وواسط كانت جميعها تزخر بالحركة العلمية والنشاط الفكري والرحلة.

وقد كان الخلفاء العباسيين سبباً مباشراً وقوياً في تنشيط الحركة العلمية بالرغم من انصراف بعضهم إلى اللهو واللذات، إلا أن نهمهم بالعلم وتشجيع

(١) انظر رحلات الذهلي إلى بغداد والبصرة والكوفة وواسط وسواها من المدن والبلدان وأسماء من لقيهم ونهل من علومهم. ص ١١٨-١٤٣ في مبحث الرحلات العلمية.

أهله أصبح أمراً يميزهم عن غيرهم . فقد أسس الرشيد "بيت الحكمة" ، وتابع
المأمون عمل أبيه وطوره وزوده بأنواع المصنفات من أكبر خزائن الكتب .

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن عصر الذهلي العلمي - أن نلمح إلى الحركة
الدائبة في الترجمة والتأليف ، فقد تميزت خلافة المأمون بازدهار الترجمة من
اللغات الأجنبية كال يونانية ، والفارسية ، إلى العربية : (١)

أما السنة النبوية وعلومها فقد لاقت أوج الاهتمام بها والحفاظ عليها في
ذلك العصر - الذي سمي بالعصر الذهبي - وكان للإمام الذهلي شرف المشاركة
في تلك الحقبة بالتصانيف ، والتقعيدات المهمة لأصول العلم والمناظرة ، وإثراء
آداب العالم والمتعلم بمعان غالية ومواقف نبيلة . شأن العلماء الذين توافرت
هممهم على الارتقاء بالعلوم الدينية والشرعية إلى مكانتها التي أرادها الله وبلغها
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . محافظة وبيانا وتأصيلاً واعتزازاً . . ومالم يقوم
العلماء بذلك فمن يسد هذه الثغرات المهمة ؟

لذا فإن الحالة العلمية قد ازدهرت في تلك الفترة على أيدي نخبة كريمة من
أهل الفضل والدين والعلم . . . كانت أسماؤهم وما زالت نجوماً تتلألأ في سماء
هذه الأمة المجيدة . . ومن استعراض الصفحات الآتية في ترجمة الإمام الذهلي
وأحواله العلمية ورحلاته وتصانيفه نقف على كثير من المعاني التي ذكرتها ،
وعلى الأسماء اللامعة من مشايخه وأقرانه وتلاميذه الذين نهضوا جميعاً بالعلم
وانتفعوا به .

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٢/ ٦٧ ، ٣٤٦ . بتصريف يسير للحافظ الذهبي ،
تحقيق د . بشار معروف ، وشعيب الأرناؤوط ، د . صالح مهدي عباس .

الفصل الثاني

ترجمة الإمام الذهلي

وتحتة المباحث التالية :

- المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبته إلى ذهل .
- المبحث الثاني : مولده وموطنه نيسابور .
- المبحث الثالث : أسرته .
- المبحث الرابع : وفاته .

ترجمة الإمام الذهلي*

المبحث الأول

اسمه وكنيته ونسبته إلى ذهل

هو الإمام محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، أبو عبد الله الذهلي النيسابوري، رحمه الله تعالى.

* اعتمدت في ترجمة الإمام الذهلي وما سيأتي من بيان أحواله الشخصية والعلمية والاجتماعية والفكرية إلى أكثر من المصادر التالية:

- (١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧ (٨/١٢٥).
- (٢) الثقات لابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ (٩/١١٥).
- (٣) رجال صحيح البخاري للكلاباذي المتوفى سنة ٣٩٨ (٢/٦٨٧).
- (٤) معرفة علوم الحديث للحاكم المتوفى سنة ٤٠٥ (ص ٧٣).
- (٥) الإرشاد للخليلي المتوفى سنة ٤٤٦ (٢/٨١٠).
- (٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ (٣/٤١٥).
- (٧) السابق واللاحق للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ (ص ٣٢١).
- (٨) موضح أوهم الجمع والتفريق للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ (٢/٣٧٧).
- (٩) التعديل والتجريح للباجي المتوفى سنة ٤٧٤ (٢/٦٨٨).
- (١٠) الجمع بين الصحيحين لابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧ (٢/٤٦٥).
- (١١) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ (١/٣٢٧).
- (١٢) المعجم المشتمل لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ (ص ٢٧٩).
- (١٣) فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة لابن خير الإشبيلي المتوفى ٥٧٥ (ص ٢٠٣).
- (١٤) المنتظم لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ (١٢/١٤٧).
- (١٥) المعلم بأسماء شيوخ البخاري ومسلم لابن خلفون المتوفى سنة ٦٣٦ - (٢/لوحة رقم ٣٣) مخطوط مصور على الميكروفيلم بمعهد إحياء التراث بجامعة أم القرى برقم ٩٣٢ من نسخة محفوظة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٣٦.
- (١٦) وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ (٥/١٩٥).

- (١٧) تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢ (٢٦/٦١٧).
- (١٨) طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٤ (٢/٢٠٩).
- (١٩) تاريخ الإسلام للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ حوادث السنين من (٢٥١-٢٦٠) (ص ٣٣٧).
- (٢٠) سير أعلام النبلاء للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ (١٢/٢٧٣).
- (٢١) تذكرة الحفاظ للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ (٢/٥٣٠).
- (٢٢) العبر في خبر من عبر للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ (١/٣٧١).
- (٢٣) تهذيب التهذيب للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ (٤/لوحة رقم ٩) مخطوط مصور على الميكروفيلم بمعهد إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم ٧٧٩ من نسخة محفوظة بالمكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم ٣٣٥.
- (٢٤) الكاشف للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ (٣/١٠٧).
- (٢٥) المعين في طبقات المحدثين للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ (ص ١٤٩).
- (٢٦) الوافي بالوفيات لصالح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ (٥/١٨٦).
- (٢٧) مرآة الجنان لليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ (٢/١٦٩).
- (٢٨) البداية والنهاية لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ (١١/٣١).
- (٢٩) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ (٩/٤٥٢).
- (٣٠) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ (ص ٥١٢).
- (٣١) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ (٣/٣٨).
- (٣٢) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح المتوفى سنة ٨٨٤ (٢/٥٣٤).
- (٣٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ للسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ (ص ٢٩٨).
- (٣٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥) (٧/١٢٥).
- (٣٥) شذرات الذهب لابن العماد المتوفى سنة (١٠٨٩) (٢/١٣٨).
- (٣٦) نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض للعلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي (٢/٨٤).
- (٣٧) تراجم الأحيار من رجال شرح معاني الآثار للسهارنفوري (٤/٧٩).
- (٣٨) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة (١٣٣٩) (٦/١٦).
- (٣٩) الرسالة المستطرفة للكثاني المتوفى سنة (١٣٤٥) (ص ١١٠).
- (٤٠) الأعلام للزركلي المتوفى سنة (١٣٩٦) (٨/٣).
- (٤١) تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين (١/٢٦١).
- (٤٢) معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله المتوفى سنة (١٣٩٦) (١٢/١٠٥).
- (٤٣) معجم الأعلام لبسام عبد الوهاب الجابري (ص ٨٠٧).

وشدّ صاحباً موسوعة رجال الكتب التسعة^(١) فقالوا: أبو عبدالله، أبو علي ولم أعر مع طول التتبع على من كناه بأبي علي غيرهما والأول هو المشهور. ولم أر خلافاً بين العلماء في نسبه الذي يصل إلى جده الرابع ذؤيب، غير أن بعضهم ينسبه إلى جده الثالث فارس كما فعل أبو داود في سننه^(٢) وكذلك أبو يعلى الخليلي^(٣) في الإرشاد^(٤) قالوا: محمد بن يحيى بن فارس. ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام البخاري كان يبهمة^(٥) في جامعه الصحيح فيذكره باسمه المجرد هكذا «محمد» أو ينسبه إلى جده عبدالله، أو إلى والد جده خالد.

(١) انظر موسوعة رجال الكتب التسعة (٤٨٢/٣) تصنيف د. عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن.

(٢) انظر سنن أبي داود (١/٢٦٨، ٣٢٨) (٥/٢٧٨) للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق د. عزت الدعاس، وعادل السيد.

(٣) هو الخليل بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل أبو يعلى الخليلي الحافظ القزويني، كان حافظاً ذكياً، فريد عصره في الفهم والذكاء، توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة. الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (٣/١٧٤) تأليف الأمير ابن ماكولا، تحقيق العلامة عبد الرحمن العلمي اليماني. التقييد لمعرفة الرواة والسنن والأسانيد (١/٣١٩) لأبي بكر ابن نقطة، تنقيح محمد عظيم الدين.

(٤) انظر الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/٨١٠) لأبي يعلى الخليلي القزويني، تحقيق د. محمد سعيد بن عمر إدريس.

(٥) وذلك بسبب الوحشة التي وقعت بينهما على إثر الخلاف في مسألة اللفظ بالقرآن، والتي كان من أسوأ نتائجها إفتراق الشيخين، وقد قلت يبهمة (بقصد يخفي اسمه الكامل) إعتياضاً عن لفظ (يدلسه) لعظمه في حق إمام صنعة الحديث رحمه الله، وكان الحافظ ابن منده قد وصف البخاري بالتدليس. فقال: أخرج البخاري: قال فلان وقال لنا فلان، وهو تدليس. وقد ردّ الحافظ ابن حجر على كلام ابن منده فقال: ولم يوافق ابن منده على ذلك، والذي يظهر أنه يقول فيما لم يسمع قال، وفيما سمع لكن لا يكون على شرطه، أو موقوفاً، قال لي أوقال لنا، وقد عرفت ذلك بالاستقراء من صنيعه، (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ص ٤٤).

قبيلة ذهل*

ذكر علماء النسب بطوناً عدة كلها تنسب إلى ذهل^(١)، والذي يعيننا هنا هو معرفة البطن الذي ينسب إليه الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله .

وقد اختلف العلماء في تعيين (ذهل) الذي يعود إليه نسبه ، أهو ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، أم هو ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ؟ وذهل الأول هو عم

= كما ردّ كلام ابن منده أيضاً سبط ابن العجمي ، فقد نقل عن شيخه العراقي قوله : ولم يوافق عليه ، وقوله في النكت على ابن الصلاح : وهو مردود عليه ولم يوافق عليه أحد فيما علمته . والدليل على بطلان كلامه أنه ضم مع البخاري مسلماً في ذلك ، ولم يقل مسلم في صحيحه بعد المقدمة عن أحد من شيوخه قال فلان وإنما روى عنهم بالتصريح فهذا يدل على توهين كلام ابن منده . (التبيين لأسماء المدلسين ص ٤٩) . وانظر التأنيس بشرح منظومة الذهبي في أهل التدليس ، تأليف عبد العزيز العُمّاري ، ص ١٠٨ .

ويقول السخاوي بعد ذكره تدليس الشيوخ : ويقرب من هذا ما يقع للبخاري في شيخه الذهلي ، فإنه تارة يقول محمد ولا ينسبه وتارة محمد بن عبد الله فينسبه إلى جده وتارة محمد بن خالد فينسبه إلى والد جده ، ولم يقل في موضع محمد بن يحيى . . . ثم قال في بيان سبب ذلك في الذهلي خاصة : على أنه قد قيل في فعل البخاري في الذهلي إنه لما كان بينهما ما عرف في محله بحيث منع الذهلي أصحابه من الحضور عند البخاري ، ولم يكن ذلك بمانع للبخاري من التخرج عنه لوفور ديانتهم وأمانته ، وكونه عذره في نفسه بالتأويل غير أنه خشي من التصريح به أن يكون كأنه بتعديله إياه صدّقه على نفسه فأخفى اسمه والله أعلم بمراده . فتح المغيث ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ . وستعرض لبيان هذه الوحشة في الفصل الرابع من الباب الثاني .

* ضبط الإمام السمعاني هذا الاسم بضم الذال المعجمة وسكون الهاء وفي آخرها اللام ، الأنساب ١٨/ ٣ . وقد ذكر ابن دريد اشتقاق اسم ذهل فقال : اشتقاقه من قولهم : ذهلت نفسي عن كذا وكذا ، أي سكنت عنه ، فأنا ذاهل ، (الاشتقاق ص ٣٤٩) لابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون . وقال الزبيدي : الذهول (السلو وطيب النفس عن الإلف) . والذهلول بالضم (الفرس الجواد الرقيق) تاج العروس ٧/ ٣٣١ .

(١) وقد سرد هذه البطون أبو العباس القلقشندي في كتابه (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) ص ٢٣٨ ، وذكر منهم ستة بطون ، وأوصلها عمر رضا كحالة في كتابه (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) ١/ ٤٠٥ إلى تسعة بطون متشرة في العدنانيين والقحطانيين ، ولكل منهم صقع في جزيرة العرب يسكنونه .

ذهل الثاني كما هو واضح في النسب . ولا ضير في هذا الخلاف لأن أصل نسبهما يتحد في ثعلبة ، والذي يعود في سلالة إلى بكر بن وائل (١) .

وقد ذكر الفيروز آبادي الإمامين يحيى ابن الذهلي وأحمد بن حنبل من سلالة ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة فقال : (ذهل بن شيبان قبيلة منها يحيى الحافظ والإمام أحمد على الصحيح) (٢) ، وتابعه في ذلك الزبيدي مبيناً وشارحاً فقال : (ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة قبيلة من بكر بن وائل ، منها يحيى بن محمد بن يحيى الحافظ إمام أهل الحديث بنيسابور ووالده (٣) محمد بن يحيى من الحفاظ أيضاً ، وقد ذكره المصنف في ح ي ك (٤) .

وسلف هذين في نسب الإمام أحمد إلى ذهل بن شيبان ، العباس بن محمد الدوري (٥) وأبو بكر عبد الله ابن أبي داود (٦) ، قال العباس : (وكان أحمد بن

(١) وهذا نسبه كاملاً : ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، أخي مضر بن نزار وهما من العدنانيين أي العرب المستعربة (تاريخ بغداد ٤ / ١٣٣ معجم قبائل العرب ١ / ٤٠٥-٤٠٦) ، وانظر نسب عدنان وقحطان ص ٢٤ ، ٢٥ ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق عبد العزيز الميمني .
(٢) القاموس المحيط ٣ / ٣٧٩ . للعلامة محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، إعتناء الشيخ نصر الهوريني .

(٣) في الكتاب خطأ مطبعي (وولده) والصحيح ما أثبتته لأن محمد بن يحيى والد يحيى بن محمد بن يحيى وليس ولده . ويزيد ذلك بياناً قوله : وقد ذكره المصنف (أي الفيروز آبادي) في ح ي ك . يعني ذكر يحيى في باب ح ي كان وهو لقبه .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ٧ / ٣٣١ لمحمد مرتضى الزبيدي .
(٥) هو العباس بن محمد بن حاتم بن واقد الدوري أبو الفضل البغدادي ، سمع الحسين الجعفي ، وأبا النضر ، وكان من أئمة الحديث توفي يوم الثلاثاء بالعشي لخمس عشرة خلت من صفر سنة إحدى وسبعين ومائة . تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٤ / ٢٤٩ للحافظ أبي الحجاج المزي ، تحقيق د . بشار عوَّاد معروف . العبر في خبر من غير ١ / ٣٩١ للذهبي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني .

(٦) هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستاني من جلة المحدثين وفقهائهم ثقة . صاحب التصانيف ، توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة ، السير ١٣ / ٢٢١ ، الفهرست ص ٢٢٨ لابن النديم أبو الفرج الوراق ، تحقيق رضا المازندراني . وسير ترجم له بتوسع ضمن تلاميذ الذهلي .

حنبل رجلاً من العرب من بني ذهل بن شيان^(١). وخالفهما في ذلك الخطيب البغدادي وقال: (إنما كان من بني شيان بن ذهل بن ثعلبة)^(٢).

وعلى كل فإن هذه القبيلة قد أنجبت من العلماء والفضلاء والكرماء من سارت بأخبارهم الركبان وقد أشار إلى ذلك الإمام السمعاني^(٣) فقال: هذه النسبة إلى قبيلة معروفة وهو (ذهل ابن ثعلبة، وإلى ذهل بن شيان) كان منها جماعة كثيرة من العلماء والكبراء منهم أبو المغيرة سمالك بن حرب الذهلي^(٤)، والأمير أبو الهيثم خالد بن أحمد الذهلي^(٥)... (٦).

وبعد أن تحدّد إنتساب الإمام محمد بن يحيى الذهلي إلى هذه القبيلة العريقة، يبقى أن نعرف هل هو منها أصالة أو ولاء؟.

وفي واقع الأمر أن الدكتور ناجي معروف قد تعرض لهذه المسألة^(٧) ورجع إلى عدد من كتب التراجم والمخطوطات النفيسة في أخبار علماء المشرق...

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/ ٤١٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو تاج الإسلام الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، صاحب المصنفات، بحر في علم الأنساب توفي عام (٥٦٢) السير (٤٥٦/٢٠)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ٢/ ١٠٤٠ تأليف عبد الحي الكتاني، باعثناء د. إحسان عباس.

(٤) هو سمالك بن حرب بن أوس بن خالد أبو المغيرة الذهلي، كان فصيحاً مفوهاً، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، الطبقات ص ١٦١ للإمام خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري. سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٥.

(٥) هو خالد بن أحمد بن حماد من بني ذهل بن شيان أبو الهيثم الأمير ولي أمانة مرو وهراة من بلاد خراسان. ثم ولي أمانة بخارى وسكنها وله بها آثار مشهورة كان يحضر حفاظ الحديث إلى حضرته ويمشي معهم إلى أبواب المحدثين ليسمع منهم. ثم حصل بينه وبين البخاري وحشة فأخرجته من بخارى فكان سبباً لزوال ملكه، توفي عام ٢٦٩ وقيل ٢٧٠. تاريخ بغداد ٨/ ٣١٤.

(٦) الأنساب ٣/ ١٨.

(٧) في كتابه عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية.

وأثبت عروية أعداد وفيرة جداً من العلماء المنسوين إلى البلدان الأعجمية
كنيسابور وسمرقند وخلافها ومن هؤلاء الإمام الذهلي ، ودليله في ذلك قوي
وهو دليل منهجي سار عليه المحدثون في تراجمهم للرجال ، فقد ذكر أنهم قد
اعتادوا أن يذكروا كلمة مولى في نسب المترجم له إذا لم يكن عربي الأصل .
وكان الحاكم النيسابوري أقرب المترجمين زماناً إلى الذهلي ولم يذكر هذا
التمييز .

قال الدكتور : (واكتفى الحاكم (١) بقوله : (الذهلي) فقط وهو ممن
يذكرون كلمة (مولى) في ترجمة الشخص إذا لم يكن عربياً (٢) . وقال
أيضاً : وكذلك قال في ترجمته ليوسف بن يحيى وهو أخو محمد بن يحيى فقد
ذكر كلمة (الذهلي) مجردة من كلمة الولاء أيضاً ، وكذلك ذكره ابن الأثير في
كامله (٣) ، وابن كثير في البداية والنهاية (٤) (الخ)
وذكر قبل ذلك (انفراد الخطيب البغدادي بقوله أنه مولى (٥) وتابعه في
ذلك الذهبي . (٦) (٧) .

-
- (١) الحاكم : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه أبو عبد الله المعروف بابن البيع . كان من
أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ . له عدة مصنفات في علوم الحديث ولد سنة ٣٢١ وتوفي
بنيسابور سنة ٤٠٥ . ولفظ البيع يطلق على من يتولّى البياعة والتوسط في الخانات بين البائع
والمشتري . تاريخ بغداد ٥/٤٧٣ ، الأنساب ١/٤٣٢ .
- (٢) إستقى الدكتور هذه المعلومة عن الحاكم من تاريخه المشهور (تاريخ نيسابور) الورقة ١٦ أ
والورقة ١٨ ب أنظر (١/١٤٩) . والمعروف أن معظم هذا السفر مفقود إلا أجزاء متناثرة في
إيران . وانظر معرفة علوم الحديث ص ٧٣ ، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري .
- (٣) الكامل في التاريخ للعلامة عز الدين ابن الأثير (٧/٢٥٨ طبعة دار صادر) .
- (٤) (٣١/١١) .
- (٥) تاريخ بغداد (٣/٤١٥) .
- (٦) تذكرة الحفاظ (٢/٥٣٠) للحافظ الذهبي ، تصحيح الشيخ عبد الرحمن العلمي النيماني .
- (٧) عروية العلماء المنسوين إلى البلدان الأعجمية (١/١٤٩) .

ولكن ذلك لم يكن مطرداً عن الذهبي فقد جرده من الولاء في كتبه الأخرى قال في تذهيب التهذيب : محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي أبو عبد الله النيسابوري الحافظ أحد الأعلام (١).

ويبدو أن ما توصل إليه الحاكم - وهو بلدي الذهلي - كان نتيجة لتتبعه حقيقة ذلك النسب عن مشايخه قال : سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول : سألت أبا بكر محمد بن رجاء فقلت : محمد بن يحيى صليبة كان أو مولى ؟ قال : لا صليبة ولا مولى . كان جدهم فارس مولى لابن معاذ . وكان معاذ بن مسلم بن رجاء رهينة عند معاوية ابن أبي سفيان ، رهنة عنده أبوه ، ثم ارتد ، فأراد معاوية قتل ابنه رجاء ، وكان عنده القعقاع بن شور الذهلي (٢) ، فاستوهبه من معاوية ، فوهبه منه ، فأطلقه ، فهذا كان النسب (٣).

وكان الحاكم أبا عبد الله لم يكن على قناعة من هذه القصة التي حكاه ، أو أنه كان يمتلك دليلاً يجعله يذكر الذهلي بدون ولاء .

وأجدني في نهاية الأمر أميل لما ذكره الحاكم وتبعه عليه ابن الأثير وابن كثير وغيرهما وذلك لأمرين : (أ) كونه بلدياً من نيسابور (ب) كونه أقرب زماناً

(١) تذهيب التهذيب (نسخة مصورة على الميكرو فيلم الجزء الرابع لوحة رقم ٩) في معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (٧٧٩) تراجم الرجال . وهي مصورة من النسخة المحفوظة بالمكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم (٣٣٥) .

(٢) هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني وهو من الأجواد والأسخياء يضرب به المثل في حسن المجالسة والمعايشة وإتيان الجليس بالشيء النفيس ، قال أبو عبيدة : (وكان من جلساء معاوية . . . الخ) . انظر شرح مقامات الحريري البصري للأديب العلامة أبي العباس الشريشي ١٨٥ / ٢ . بإعتناء محمد عبد المنعم خفاجي . وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ٣٠٦ / ١ تصحيح أحمد زكي ، لسان الميزان ٧٥٧ / ٤ . لابن حجر العسقلاني .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٨٧ / ١٢ .

من خالفوه في ذلك وهذا من مسوغات الترجيح عند اختلاف المحدثين في أخبار الرجال.

ومما يستأنس به في هذا الموضع متابعة الحافظ بن حجر (للدوري وابن أبي داود) فيما ذكره من نسبه إلى بني ذهل بن شيبان بدون ولاء. قال في تبصير المشتبه بتحرير المشتبه: (الذهلي) واضح، منهم محمد بن يحيى الحافظ من ذهل بن شيبان ومنها أحمد بن حنبل على الصحيح. (١).

المبحث الثاني مولده، وموطنه نيسابور

لم تسعفنا المصادر بتحديد دقيق لتاريخ ولادة العلامة الحافظ الإمام محمد ابن يحيى الذهلي إلا أن الإمام الذهبي ألح إلى أن ولادته بعد السبعين ومائة، فقال: مولده سنة بضع وسبعين ومائة^(١).

والمتتبع لبعض أخباره يستطيع وضع احتمال قريب جداً لتاريخ ولادته. فإذا كان الذهلي قد توفي رحمه الله سنة ثمان وخمسين ومائتين (٢٥٨) ^(٢) على ما قاله تلميذه ابن الشرقي ^(٣) وعلى ما صوّبه الخطيب البغدادي في تاريخه ^(٤)، وعلى ما قال محمد بن موسى الباشاني: مات الذهلي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ^(٥)، وإذا كان عمره حين توفي ستاً وثمانين سنة، كما ذكر الذهبي في سيره قال: (وبخط أبي عمرو المستملي ^(٦): عاش ستاً وثمانين سنة) ^(٧).

فتكون ولادة الذهلي على وجه التقريب سنة إثنتين وسبعين ومائة (١٧٢ هـ) والله أعلم.

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٨٤.

(٣) الإمام العلامة الثقة، حافظ خراسان، أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري ابن الشرقي سمع الذهلي، وأحمد بن يوسف السلمي، وحدث عنه ابن عقدة، وأبو أحمد الحاكم السير ١٥/٣٧، وستأتي ترجمته مفصلة ص ١٨٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣/٤٢٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٨٤.

(٦) هو الحافظ العالم الزاهد مجاب الدعوة أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملي النيسابوري. ستأتي ترجمته مفصلة ضمن تراجم أشهر تلاميذه.

(٧) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٨٤.

بلدة نيسابور.

من المستحسن أن نلمح إلماحة سريعة إلى مدينة نيسابور التي ولد فيها الذهلي ونشأ، وفي مغانيها ومساجدها دَرَجٌ، وبين حلق العلم والدرس فيها طاف.

هذه المدينة هي إحدى مدن خراسان الكبرى (هراة، ومرو، وبلخ، ونيسابور)^(١). والعجم أو العامة يسمونها نساوور^(٢). قال ياقوت: وهي مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء^(٣). قيل فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب على يد الأحنف بن قيس^(٤) ثم انتقضت في أيام عثمان بن عفان فأرسل إليها ابن خالته عبد الله بن عامر^(٥) ففتحها

* ضبط السمعاني اسمها فقال: بفتح النون وسكون الياء المنقوطة من تحتها بائتين وفتح السين المهملة وبعد الألف ياء منقوطة بواحدة، وفي آخرها الراء. (الأنساب ٥/٥٥٠).

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٦٢ للقزويني.

(٢) معجم البلدان ٥/٣٣١، مرصد الإطلاع ٣/١٤١١.

(٣) معجم البلدان ٥/٣٣١.

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التابعي، الأمير، الكبير، العالم النبيل، أبو بحر التميمي، قدم على عمر بفتح تستر. قال أبو أحمد الحاكم: هو افتتح مرو الروذ، يضرب بحلمه وسؤدده المثل، ومن حكمه قوله: ثلاثة لا يتصفون من ثلاثة: شريف من دنق، وبر من فاجر، وحليم من أحمق. قال الفسوي. مات الأحنف سنة ٦٧. أخبار أصبهان ١/٢٢٤ لأبي نعيم الأصبهاني، ويسمى أيضاً تاريخ أصبهان، السير ٤/٨٦.

(٥) هو عبد الله بن عامر بن (كُرَيْز) انظر ضبط الاسم في الأنساب للسمعاني (٥/٦١) بن ريعة الأمير أبو عبد الرحمن القرشي، افتتح إقليم خراسان، وقتل كسرى في ولايته، وأحرم من نيسابور شكراً لله، وعمل السقايات بعرفة، وكان سخياً شجاعاً وصولاً لقومه وقرابته محبباً فيهم رحيماً. قدم على معاوية فزوجه بابته هند، وتوفي قبله سنة ٥٩. فقال معاوية: عين نفاخر وعين تباهي بعده. الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٤٤ القسم المتتم لتابعي أهل المدينة، تحقيق د. زياد منصور، نسب قریش ١٤٧، ١٤٨ لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، اعتناء وتصحيح ل. ليفي بروفنسال، والسير ٣/١٨.

ثانية وبنى بها جامعاً^(١) لذا فهي أقدم في الوجود في حوزة المسلمين من بغداد. ولكن لم ترتفع أعلامها في العلم إلا بعد بغداد دار الرياسة والعلم في آن واحد^(٢).

وقد تتبّع الإمام الذهبي مسيرتها العلمية المباركة ، وانتعاشها على بعدها النسبي عن مواقع الحركة السياسية والعلمية في العراق ، وبلاد الشام ، ومصر . وكان انتعاشها على يد طبقة مشايخ الذهلي ، ثم طبقة ومن بعدهم حتى خربها التتار . قال الذهبي : (ونيسابور) دار السُنَّة والعوالي ، صارت بإبراهيم بن طهمان^(٣) ، وحفص بن عبد الله^(٤) ، ثم يحيى بن يحيى^(٥) ، وابن راهويه^(٦) ،

(١) معجم البلدان ٣٣١/٥ ، الأنساب ٥٥٠/٥ ، مرصد الإطلاع ١٤١١/٣ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١/٣٢٤ لتاج الدين السبكي ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، وموارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . تأليف د . أكرم ضياء العمري ص ٢٦٩ .

(٣) هو إبراهيم بن طهمان بن شعبة الإمام ، قال صالح جزره : ثقة ، حسن الحديث ، يميل شيئاً إلى الإرجاء في الإيمان ، وقال أبو زرعة : كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان ، وكان متكئاً من علة ، فجلس ، وقال : لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتَكأ . مات سنة ثلاث وستين ومائة (تاريخ بغداد ٦/١٠٥) . طبقات خليفة ص ٣٢٣ . (سير أعلام النبلاء ٧/٣٧٨) الفهرست لابن النديم ص ٢٨٤ .

(٤) هو حفص بن عبد الله بن راشد الحافظ أبو سهل السلمي قاضي نيسابور ، كان يقضي بالأثر ، ولا يقضي بالرأي ألَبَّته مات لخمس بقين من شعبان سنة تسع ومائتين ، الجرح والتعديل ٣/١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ٩/٤٨٥ .

(٥) هو يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن أبو زكريا التميمي النيسابوري شيخ الإسلام ، وعالم خراسان روى عن الليث بن سعد وابن أبي الزناد ، وعنه البخاري ومسلم والذهلي ، مات سنة ٢٢٦ . وسأترجم له بتوسع في مشايخ الذهلي . التاريخ الكبير ٨/٣١٠ للإمام البخاري ، عني بتصحيحه جماعة من علماء دائرة المعارف العثمانية منهم العلامة عبد الرحمن المعلمي . والسير ١٠/٥١٢ .

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم بن هاني أبو يعقوب النيسابوري ، شيخ الشرق ، وسيد الحفاظ ، ولد سنة ٢١٨ ، قال أبو نعيم : كان إسحاق قرين أحمد ، وكان للأثر مثيراً ، ولأهل الزيغ مبيراً . طبقات الحنابلة ١/١٠٨ لابن أبي يعلى ، الفهرست ص ٢٨٦ ، السير ١١/٣٥٨ .

ومحمد بن رافع^(١) وعبد الرحمن بن بشر^(٢)، وعبد الله بن هاشم^(٣)،
والذهلي، وأحمد بن يوسف^(٤)، ومسلم، وإبراهيم ابن أبي طالب^(٥)،
وأبي عبد الله البوشنجي^(٦)، ثم بابن خزيمة^(٧)، وأبي العباس السراج^(٨)،

(١) هو محمد بن رافع بن سابور الإمام الحافظ أبو عبد الله القشيري مولا هم النيسابوري، ولد سنة نيف وسبعين ومائة في أيام مالك الإمام. قال مسلم والنسائي: ابن رافع ثقة مأمون، وقال جعفر بن أحمد: ما رأيت في المحدثين أهدب من محمد بن رافع. توفي سنة ٢٤٥، وصلى عليه محمد بن يحيى الذهلي. الجرح والتعديل ٢٤٥/٧، تذكرة الحفاظ ٥١٠/٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران، أبو محمد العبدي النيسابوري، المحدث الحافظ. ولد بعد الثمانين ومائة. واعتز به أبوه، وارتحل به، وطال عمره، وتفرّد. عقد له مسلم مجلس إملاء بعد وفاة الذهلي. توفي سنة ٢٦٠ وصلى يحيى ابن الذهلي بالناس على قبره في خلق كثير. تاريخ بغداد ٢٧٢/١٠، السير ٣٤٠/١٢.

(٣) هو عبد الله بن هاشم بن حيّان، الإمام الحافظ المتقن النيسابوري، قال صالح جزوه: ثقة، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. الجرح والتعديل ١٩٦/٥، سير أعلام النبلاء ٣٢٨/١٢.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن خالد أبو الحسن السلمي النيسابوري، يلقب بحمدان، من خواص يحيى بن يحيى، ومن المصاهرين له، قال الدارقطني: ثقة نبيل. الجرح والتعديل ٨١/٢، سير أعلام النبلاء: ٢٨٤/١٢.

(٥) هو إبراهيم ابن أبي طالب الإمام، الزاهد شيخ نيسابور، قال محمد بن يعقوب: إنما أخرجت مدينتنا هذه من رجال الحديث ثلاثة: محمد بن يحيى، ومسلم بن الحجاج، وإبراهيم ابن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ٥٤٧/١٣.

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي أبو عبد الله البوشنجي، شيخ أهل الحديث في عصره، ولد سنة ٢٠٤، سمع معصر والحجاز والكوفة والبصرة وبغداد والشام، حدث في البلاد، روى عنه البخاري وابن خزيمة وغيرهما. توفي سنة ٢٩١. وصلى عليه ابن خزيمة ودفن بنيسابور. السير ٥٨١/١٣، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد ومصطفى ابنا عبد القادر عطا ٢٩/١٣.

(٧) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري الحافظ الحجة. ولد سنة ٢٢٣. يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، لقب بإمام الأئمة، كانت له عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، واتباعه السنة. طبقات الشافعية للسبكي ١٠٩/٣، تذكرة الحفاظ ٧٢٠/٢. وسير ترجم له بتوسع ضمن تلاميذ الذهلي ص ١٧٨.

(٨) هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو العباس الثقفي النيسابوري السراج، قال الخطيب: كان من الثقات الأثبات، عني بالحديث، وصنف كتباً كثيرة، وقال إسماعيل بن نجيد: رأيت أبا العباس السراج يركب حماره، وعياش المستملي بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول: يا عياش أغير كذا، إكسر كذا. توفي سنة ٣١٣ بنيسابور. تاريخ بغداد ٢٤٨/١، السير ٣٨٨/١٤.

وابن الشرقي، وخلائق. وما زال يرحل إليها إلى ظهور التتار. وآخر شيوخها المؤيد الطوسي^(١). ثم مضت كأن لم تكن^(٢).

قال ياقوت: عهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات، وأكثر شرب أهلها من قُنيّ تجري تحت الأرض ينزل إليها في سرايب مهياة لذلك فيوجد الماء تحت الأرض وليس بصادق الخلاوة^(٣).

ومن سنن الله في خلقه أن لاتدوم الدنيا على حال، بل يدفع الله الناس بعضهم ببعض لأمريده سبحانه. وقد تعرضت خراسان جميعها ومن ضمنها نيسابور لهجمات شرسة أولها هجمة الغز^(٤) في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، حيث أسروا السلطان سنجر، وملكوا أكثر خراسان، وقدموا نيسابور فقتلوا كل من وجدوا واستصفوا أموالهم حتى لم يبق فيها من يعرف، وخربوها،

(١) هو المؤيد بن محمد الطوسي النيسابوري، مسند خراسان، ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام سنة (٦١٧) انظر ص ٣٤٦. سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٢، غاية النهاية في طبقات القراء ٣٢٥/٢ لأبي الخير محمد بن محمد الجزري. باعتناء ج. برجستراس.

(٢) الأمصار ذوات الآثار ص ٧٢ للإمام الذهبي باعتناء عبد القادر ومحمود الأرنؤوط.

(٣) معجم البلدان ٣٣١/٥.

(٤) الغز: أمة عظيمة من الترك، وهم نصارى كانوا في طاعة سلاطين بني سلجوق إلى زمن سنجر ابن ملكشاه، ولهم مدينة من الحجارة والخشب والقصب، ولهم بيت عبادة، ولهم تجارات إلى الهند والصين، ومأكولهم البر ولحم الغنم وملبوسهم الكتان والفراء. وكان سبب هجومهم على خراسان أن السلطان سنجر بعث إليهم من يستوفي الخراج منهم. فتجاوز الجايي للخراج الرسم والعادة فضر به ملكهم وكان اسمه طوطي بك، فمات الجايي، فبعث إلى السلطان يعتذر، فقبل عذره، ولكن حاشيته أرادت النهب والسلب وأغروا السلطان بهم حتى خرج في عساكره إليهم فتضرعوا وتذللوا. فلان السلطان وأبى أصحابه. فلما أيسنوا تأهبوا للقتال، وركبوا برجالهم ونسائهم على المسلمين حملة واحدة. وكشفوهم كشفاً قبيحاً وهزموهم. وأخلوا السلطان ودخلوا خراسان وخربوها. -آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ٥٨٧ بتصرف يسير.

وأحرقوها وتقلبت أحوالها حتى عادت أعمر بلاد الله وأحسنها وأكثرها خيراً
وأهلاً وأموالاً ، . وبقيت على ذلك حتى خرج التتار^(١) مما وراء النهر سنة ثمانى
عشرة وستمائة وقدموا نيسابور وقد تحصن أهلها ، فدخلوها وقتلوا كل من كان
فيها من كبير وصغير وامرأة وصبي ثم خربوها حتى ألحقوها بالارض واستخرجوا
دفائنهم وأذهبوها^(٢) وكان عهد الإمام الذهلي بها من أزهى عهودها في العلم
وتدوين الحديث والإستقرار والعطاء .

(١) جيل عظيم من الترك ، أشبه شئ بالسباع في قساوة القلب وفظاظة الخلق ، وصلابة البدن ،
وغلظ الطبع وحبهم الخصومات وسفك الدماء وتعذيب الحيوان . وقد بين القزويني أن
خروجهم من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم . آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٨١ . وقد
أخرج الحديث الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد والسير ، باب قتال الترك (٣/٣٠٦)
فساق سنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم
الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان
المطرقه . . . الخ »

(٢) معجم البلدان ٥/٣٣٢ - مرصد الإطلاع ٣/١٤١٢ .

المبحث الثالث أسرته

طبقت شهرة الإمام الذهلي وابنه يحيى الآفاق، فقد كانت له مكانة جليلة مهيبة في نيسابور نظراً لسطوع نجمه فيها، وتقدمه على أقرانه في العلوم والفتيا، وحلق العلم، التي كان يؤمها فطاحلة العلماء كالإمام البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبي داود وسواهم .

ولكن المصادر والمراجع بخلت علينا بأخبار من كان له الفضل في تربية الإمام الذهلي وتنشئته هذه التنشئة البارعة سواء من والديه أو أجداده أو أعمامه أو أخواله شأنه في ذلك شأن غيره من فطاحلة العلماء . . . فلم نعثر مع طول البحث عمن يمثون بصلة للإمام الذهلي سوى الآتية تراجهم :

١- أخوه يوسف بن يحيى الذهلي . ذكر ذلك أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور ونقله إلينا من المخطوطة الدكتور/ ناجي معروف حيث قال : وكذلك قال (يعني الحاكم) في ترجمته ليوسف بن يحيى وهو أخو محمد بن يحيى فقد ذكر كلمة (الذهلي) مجردة من كلمة الولاء^(١) .

٢- ابنه يحيى بن محمد الذهلي الإمام العالم الحافظ الشهيد وسأترجم له بتوسع بعد ذكر بقية الأسرة .

٣- ابنة ابنه يحيى ولا نعلم عنها شيئاً سوى أن جدّها الإمام محمد بن يحيى الذهلي هو الذي ولي خطبة نكاحها بأبي علي الحيكاني المعدل^(٢) .

٤- نسيب الذهلي وزوج ابنة ابنه العدل الثقة أبو علي، محمد بن أحمد بن محمد بن زيد بن حيكان الحيكاني النيسابوري . قال السمعاني : وإنما عرف بأبي

(١) عروة العلماء المنسوين إلى البلدان الأعجمية ١/ ١٤٩، ونقل في الحاشية الموضع في المخطوطة (الورقة ١٦ أ، والورقة ١٨ ب) .

(٢) الأنساب ٢/ ٣٠١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٢٠ .

علي حيكان لأنه ختن أبي زكريا يحيى بن محمد بن يحيى الشهيد على ابنته، وكان من أهل العلم والفضل والعدالة، سمع أبا عبد الله محمد بن يحيى الذهلي وأبا الأزهر أحمد بن الأزهر العبدي^(١)، وصهره أبا زكريا يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي، سمع منه الحاكم أبو عبد الله (محمد بن عبد الله) الحافظ وقال: سمعت الأستاذ أبا الوليد يذكر فضل أبي علي وتقدمه في السن والعدالة، وقال: توفي غرة جمادى الأولى من سنة أربعين وثلاثمائة^(٢).

(١) هو أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط الإمام الحافظ الثبت النيسابوري، حدث عنه رفيقاه محمد ابن رافع، ومحمد بن يحيى. كانت له رحلة واسعة إلى الحجاز واليمن والشام والكوفة والبصرة وخراسان، مات سنة ٢٦٦. السير ٣٦٣/١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٠/١٥، الأنساب ٣٠١/٢.

ترجمة يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي (حيكان)*

هو الإمام يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب أبو زكريا الذهلي النيسابوري^(١). قال الذهبي: الحافظ، المجود، الشهيد. وقال: قال الحاكم: هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة وابن إمامها، وأمير المطوعة بخراسان بلا مدافعة (يعنى الغزاة). قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكل منهما فيها صومعة وآثار لعبادتهما، والسكة والمسجد منسوبان إلى حيكان^(٢).
(أ) شيوخه:

شارك الإمام يحيى بن محمد أباه في كثير من شيوخه، وبالأخص شيوخ العراق. فقد اهتم به في صغره فرحل به إلى الآفاق، وأسمعه العلماء، وكانت له رحلات إلى الرِّي^(٣) وبغداد، والبصرة، والكوفة، والحجاز.

* انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ١٨٦/٩، تاريخ بغداد ٢١٧/١٤-٢١٩، تذكرة الحفاظ ٦١٦-٦١٨/٢، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤٠٧/٤) للحافظ الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، فتحية علي البجاوي. العبر ٣٨٤/١، البداية والنهاية ٤٢/١١، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ٢٧٦/١١، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤٣/٣ لابن تغري بردي، تعليق محمد شمس الدين. ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٦٠٠/٣. وحيكان: بفتح الحاء المهملة وبعدها الياء الساكنة المنقوطة باثنتين وفتح الكاف وفي آخرها نون. لقب يحيى بن محمد بن يحيى. انظر الأنساب للسمعاني ٣٠١/٢، ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر العسقلاني ٢٢٥/١ تحقيق عبد العزيز السديري.

(١) تاريخ بغداد ٢١٧/١٤.

(٢) السير ٢٨٥/١٢.

(٣) الرِّي: مدينة مشهورة من أمهات البلاد، كثيرة الفواكه والخيرات، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا نيسابور، ويخترقها نهر (روضة)، والنسبة إليها (الرازي) على غير قياس. معجم البلدان ١١٦/٣، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢٧٨.

فقد سمع بنيسابور من: يحيى بن يحيى، وأحمد بن عمرو الحرشي^(١)، وابن راهويه وسواهم وباليروي من إبراهيم بن موسى الفراء^(٢)، ومحمد بن عبد الله ابن أبي جعفر.

وببغداد من علي بن الجعد^(٣)، والحكيم بن موسى^(٤)، والقواريري^(٥)، وسواهم. وبالبصرة: من سليمان بن حرب^(٦)، ومسدد^(٧)، والربيع بن يحيى^(٨) وسواهم.

(١) أحمد بن عمرو الحرشي: قال ابن حبان: من أهل البصرة، يروي عن إسماعيل بن عليه، روى عنه محمد بن يحيى الذهلي. الثقات ٢١/٨. والحرشي بفتح الحاء والراء المهملتين، انظر الأنساب ٢٠٣/٢.

(٢) هو أحمد بن موسى الفراء الحافظ المجود أبو إسحاق التميمي الرازي المعروف بالصغير، كان أحمد يقول عنه: هو كبير في العلم والجلالة مات بعد العشرين ومائتين. السير ١١/١٤٠ - تهذيب التهذيب ١/١٤٨.

(٣) هو علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي ولد سنة ١٣٤، سمع من شعبة وابن أبي ذئب وحدث عنه البخاري وابن معين وسواهما. قال أبو زرعة: كان صدوقاً في الحديث. الجرح والتعديل ٦/١٧٨، السير ١٠/٤٥٩.

(٤) هو الحكم بن موسى ابن أبي زهير، أبو صالح القنطري. نسائي الأصل، سمع إسماعيل بن عياش، وعبد الله بن المبارك وحدث عنه أحمد بن حنبل وابن المديني قال يحيى بن معين: ثقة. مات سنة ٣٢. تاريخ بغداد ٨/٢٢٦ والقنطري بفتح القاف وسكون النون نسبة إلى قنطرة البركان. الأنساب ٤/٥٥١.

(٥) هو عبيد الله بن عمر بن ميسرة الإمام الحافظ أبو سعيد الجشمي مولا هم، كان ثقة صدوقاً كثيراً من الحديث سمع أبا عوانة الوضاح وسفيان بن عيينة، وعنه أبو قدامة السرخسي والرازيان. توفي سنة ٢٣٥. والقواريري نسبة إلى القوارير، وهي عمل القارورة ويبيعها. الأنساب ٤/٥٥٦، السير ١١/٤٤٢.

(٦) هو سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي الواشحي أبو أيوب البصري. قال النسائي ثقة مأمون، وقال يحيى بن أكثم: عاقل في نهاية الستر والصيانة. والواشحي بفتح الواو وكسر الشين نسبة إلى واشح بطن من الأزد، ولي قضاء مكة مدة توفي سنة ٢٢٤. اللباب في تهذيب الأنساب (٣/٣٤٧) لابن الأثير الجزري. تهذيب التهذيب ٤/١٥٧.

(٧) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل أبو الحسن الأسدي البصري أحد أعلام الحديث، حدث عن وكيع وحمام بن زيد، وعنه البخاري والذهلي. قال ابن معين: ثقة. مات سنة ٢٢٨. السير ١٠/٥٩١.

(٨) هو الربيع بن يحيى الأشناني، قال أبو حاتم مع تعلقه: ثقة، ثبت. وأما الدارقطني فقال: ضعيف يخطي كثيراً، مات سنة ٢٢٤. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١/٣٠٥) للإمام الذهبي، تحقيق عزت عطية، موسى الموشى. ميزان الاعتدال ٢/٢٣٣. والأشناني: بضم الألف وسكون الشين، نسبة إلى بيع الأشنان وشرائه، الأنساب ١/١٧٠.

وبالكوفة: من سعيد بن منصور^(١)، وإبراهيم بن محمد الشافعي^(٢)،
ومحرز بن سلمة^(٣) وغيرهم.

(ب) تلاميذه:

كان لحيكان مكانة علمية كبرى في نيسابور وما حولها. وقد تتلمذ عليه
عدد من الأئمة كابن خزيمة، ومحمد بن إسحاق السراج، وإبراهيم ابن أبي
طالب. ومحمد بن صالح بن هاني، ومحمد بن يعقوب ابن الأخرم، وأبي حامد
ابن الشرقي، وابن أبي حاتم، ومن تلامذته الإمام المحدث محمد بن يزيد ابن
ماجه، روى عنه في سنته في باب الأذنان من الرأس من كتاب الطهارة، على
ما ذكره الحافظ ابن حجر وأيد قوله بأنه وجد ذلك في نسخة صحيحة عتيقة جداً.
وفي بعض النسخ محمد بن يحيى بدلاً من محمد بن يحيى فإلله تعالى
أعلم^(٤). وعلى كل فتتلمذ ابن ماجه عليه تمكن جداً.

(ج) مكاتبه عند أبيه:

كان الإمام الذهلي يحب ابنه يحيى كثيراً، ويعتني بتربيته علمياً،
وإجتماعياً، وقيادياً، وقد آتت هذه التربية ثمارها. فأصبح (حيكان) المقدم في
نيسابور بعد وفاة والده في حلق العلم والفتوى، وصار رئيساً مطاعاً ذا تأثير
إجتماعي وقيادي كبير.

(١) هو سعيد بن منصور بن شعبة أبو عثمان الخراساني المكي المجاور. قال أبو حاتم: هو ثقة من
المتقنين الأثبات ممن جمع وصنف. وكان من أوعية العلم. المعجم المشتمل لابن عساكر
ص ١٢٩، السير ٥٨٦/١٠.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن العباس الإمام المحدث أبو إسحاق القرشي المطلبي المكي، ابن عم الإمام
الشافعي. قال النسائي والدارقطني (ثقة) مات سنة ٢٣٨. السير ١٦٥/١١.

(٣) هو محرز بن سلمة بن يزداد المكي. روى عن مالك ونافع بن عمر. وعنه ابن ماجه وابن أبي
عاصم. ذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة ٢٣٤. الثقات ١٩٢/٨، تهذيب التهذيب
٥١/١٠.

(٤) انظر تهذيب التهذيب ٢٤٢/١١.

ولا أدلَّ على شدة حبه له من قوله الذي رواه عنه أبو أحمد الحاكم^(١) عن
شيوخه، قال: قد رأيت العلماء وأولادهم، ولم أر مثل ابني يحيى. وقوله الذي
رواه ابن الشرقي قال: سمعت الذهلي ذكر ابنه فقال: أبو زكريا والد^(٢).

ولا غرَّو في مدح الذهلي لابنه وثنائه عليه فيبدو أنه كان على جانب كبير
من التقوى والدين والزهادة^(٣). وقد سبقت الإشارة قبل قليل إلى مكان عبادته
في دار أبيه.

وكان الذهلي يحث ابنه يحيى على حضور مجالس المناظرة، ويتابع نشاطه
ومشاركاته فيها. قال أبو عبد الله الحاكم: قال مكِّي بن عبدان^(٤): وافى داود
ابن علي الأصبهاني^(٥) نيسابور أيام إسحاق بن راهويه فعقدوا له مجلس النظر،
وحضر مجلسه يحيى ابن الذهلي ومسلم بن الحجاج، فجرت مسألة تكلم فيها
يحيى، فزبره^(٦) داود قال: أسكت يا صبي. ولم ينصره مسلم. فرجع إلى أبيه،

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرايسي أبو أحمد محدث خراسان
العلامة الثبت، كان من بحور العلم مقدم في معرفة شروط الصحيح والأسامي والكنى. مات
سنة ٣٧٨. الوافي بالوفيات ١١٥/١، هدية العارفين ٥٠/٢.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٦١٧/٢.

(٣) قال الخليلي في الإرشاد ٨١٠/٢: ومن زهده يخرج السلمي في مقامات الأولياء.

(٤) هو مكِّي بن عبدان بن محمد بن بكر المحدث الثقة أبو حاتم التميمي النيسابوري، سمع الذهلي
ومسلم، قال أبو علي النيسابوري: ثقة مأمون مقدم على أقرانه من المشايخ، السير ٧٠/١٥.

(٥) هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني لأن أمه أصبهانية، مولى
أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر. قال مسلمة بن قاسم: كان داود من أهل الكلام
والحجة واستنباط فقه الحديث، صاحب أوضاع، ثقة إن شاء الله تعالى. وقال الخطيب: ...
في كتبه حديث كثير، لكن الرواية عنه عزيزة جداً. وقال محمد بن الحسين بن صبيح: سمعت
داود الأصبهاني يقول: القرآن محدث، ولفظي بالقرآن مخلوق. ولما أظهر مقالته بنيسابور
كتب الذهلي إلى أحمد يخبره بها فامتنع عن مقابلته. وقد وصفه الذهبي بأنه من أوعية العلم،
له ذكاء خارق. السير ٩٧/١٣، لسان الميزان ٥١٧/٢، طبقات المفسرين ١٧١/١ للحافظ
الداوودي، مراجعة لجنة من العلماء.

(٦) الزبر: الزجر والإنتهار، وبابه نصر. مختار الصحاح ص ١١٣ للرازي.

وشكا إليه داود، فقال أبوه : ومن كان ثم؟ قال : مسلم، ولم ينصرنني !! . قال :
قد رجعت عن كل ما حدثته به . فبلغ ذلك مسلماً فجمع ما كتب عنه في زنبيل ،
وبيعث به إليه ، وقال : لا أروي عنك أبداً !! .

قال أبو عبد الله : علقت^(١) هذه الحكاية عن طاهر بن أحمد عن مكي ، وقد
كان مسلم يختلف بعد هذه الواقعة إلى محمد بن يحيى وإنما انقطع عنه من أجل
قصة البخاري^(٢) .

فهذه الحكاية - مع أنها معلقة - إلا أن فيها دلالة على العلاقة الحميمة بين
الذهلي وابنه يحيى ، لسماعه شكواه ، وتأنيده إياه في المشاركة في مسائل العلم
في مجالس النظر والإملاء حتى مع صغر سنه .

ومن ثقة الذهلي بابنه ويعلمه مناظرته إياه في مسائل العلم . قال أبو إسحاق
المزكي : حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمد بن يحيى الذهلي ،
وابنه يحيى اختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر : اجعل بيننا حكماً ، فرضيا بآبن
خزيمة ، ففضى ليحيى على أبيه . قال المزكي : كان يحيى له موضع من العلم
والحديث^(٣) .

(١) الحديث المعلق : صورته أن يحذف من أول الإسناد واحد فأكثر ، وكأنه مأخوذ من تعليق الجدار
لقطع الاتصال ، واستعمله بعضهم في حذف كل الإسناد كقولهم : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أوقال ابن عباس أو عطاء أو غيره . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي
(٢١٩/١) للحافظ السيوطي ، تحقيق د . عبد الوهاب عبد اللطيف ، ويظهر أن الحاكم استعمل
هذا المصطلح ليبن ضعف الحكاية .

(٢) السير ٥٧١/١٢ ، وقصة البخاري هي الوحشة التي حصلت بينه وبين الذهلي بسبب مسألة
اللفظ ، وكان مسلم طرفاً وسطاً فيها حتى ترك في آخر أمره الاثنين ولم يروعهما . انظر ٣٨٠ ،
٣٨١ ، ٣٨٣ من هذه الرسالة .

(٣) السير ٢٩٣/١٢ ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٦٠١/٣ .

(د) مكانته العلمية :

خلف يحيى بن محمد الذهلي أباه في الحرص على استمرار المسيرة العلمية بنيسابور والمشرق عموماً ، فقد كان له مجلس إلقاء وتدريس ، ولشهرته صار لقبه (حيكان) علماً على السكة والمسجد في ناحيته تلك .

وحدد أحد تلامذته آخر مجالس إملائه الحديث قبل استشهاده بفترة وجيزة ، قال محمد بن صالح بن هاني : حضرنا آخر مجلس للإملاء عند يحيى ابن محمد الشهيد في شهر رمضان من سنة ٢٦٧هـ (١) .

وحيكان لم يكن مشهوراً بالتصنيف كوالده . لذلك فإن معظم رواياته وآثاره العلمية قد طويت وإن كان بعضها محفوظاً في مصنفات المتأخرين ، فقد روى البيهقي في سننه الكبرى عنه في ثلاثة وستين موضعاً (٢) ، ونقل عنه الخطيب البغدادي تعريفاً للحديث الصحيح ، قال أبو عمرو المستملي : سمعت يحيى بن محمد بن يحيى يقول : (لا يكتب الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يرويه ثقة عن ثقة حتى يتناهى [الخبر] إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة ، ولا يكون فيهم رجل مجهول ، ولا مجروح ، فإذا ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة وجب قبوله والعمل به وترك مخالفته) (٣) .

ونقل عنه كذلك مشاركته في وفيات العلماء قال : ذكر يحيى بن محمد النيسابوري أن إبراهيم بن طهمان مات سنة ١٥٨هـ (٤) .

(١) السير ١٢/٢٨٨ .

(٢) انظر على سبيل المثال : في السنن الكبرى للبيهقي ج ٣/ ٣١١ ، ٣٥٦ ، ج ٤/ ٢٩ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ١٥٧ ، ج ٥/ ١٨ ، ١٩ ، ٣٥ ، ٥٥ . ج ٦/ ١٤٥ ، ١٥٢ ، ٢٨٥ . ج ٧/ ٢٧ ، ٧٤ ، ٣٠٢ . ج ٨/ ١٤٤ ، ١٥٤ . وانظر وجاداته في ٥/ ٦٣ ، ٣٣٥ ، ٢٨٥/ ٦ .

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٥٦ باب معرفة الخبر المتصل للخطيب البغدادي ، مراجعة أ. عبدالحليم محمد ، أ. عبد الرحمن محمود .

(٤) السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد للخطيب أحمد بن علي البغدادي (١/ ١٣٠) تحقيق د. محمد مطر الزهراني .

وكان ينقل عن مشايخه كأحمد بن حنبل^(١) وعلي ابن المديني^(٢) بعض آثارهم ، ومنهجهم في الرواية^(٣) .

(هـ) مكانته الإجتماعية في نيسابور :

بالإضافة إلى منزلة الشهيد يحيى بن محمد الذهلي الدينية وتصدره للإفتاء بعد والده ومنزلته العلمية أيضاً ، فقد كانت له مكانة جليلة في نفوس أهلها مما جعله يسود عليهم ويتقدمهم في حل أمورهم ، ويرأسهم في الغزوات والثورات ، مما سبب قتله كما سيأتي .

قال الحاكم : " هو إمام نيسابور وأمير المطوعة بخراسان بلا مدافعة ، يعني الغزاة " (٤) .

وقال أيضاً : " لما ورد الخجستاني^(٥) نيسابور صادف يحيى بن محمد سائداً ومعيناً ومقدماً على الغزاة وكانت الطاهرية قد رفعت من شأنه فلم يجسر أحمد

(١) ، (٢) سترجم لهما بتوسع في تراجم مشايخ والده في الباب الثاني .

(٣) انظر نقله عن شيخه أحمد الكلام على حديث واهي . في التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني

(١/ ٢٣٥) تحقيق د . شعبان محمد ، وانظر نقله عن شيخه علي تفضيل الرواية من أصل

الكتاب . في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١٢/ ٢ تحقيق د .

محمود الطحان .

(٤) السير ١٢/ ٢٨٥ .

(٥) هو أحمد بن عبد الله الخجستاني بضم الحاء والجيم وسكون السين ، نسبة إلى خجستان من جبال

هراة (معجم البلدان : ٢/ ٣٤٧) ، جبار عنيد ، ظالم ، متمرد ، خرج عن طاعة صاحب خراسان

يعقوب الصفار ، وتملك نيسابور ، وأظهر الإنتماء إلى الطاهرية وجعل رافع بن هرثمة أتابكة^(أ) ،

وجرت له ملاحم ، قال الطبري : ومن عتوه وجوره أنه دخل نيسابور في شوال من عام ٢٦٧

فأساء السيرة في أهلها ، وهدم دور آل معاذ بن مسلم ، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع

ضياعهم (تاريخ الطبري ٥/ ٥٤٥) ومن جوره ما رواه الحاكم قال : سمعت أبي يقول : لما قتل

أحمد بن عبد الله الخجستاني - الذي إستولى على البلاد - الإمام حيكان بن الذهلي ، أخذ في

الظلم والعسف وأمر بحربة ركزت على رأس المربعة^(ب) وجمع الأعيان ، وحلف : إن لم يصبوا

الدراهم حتى يغيب رأس الحربة ، فقد أحلوا دماءهم ، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم =

معه أن يتمكن من رياضة نيسابور أو يستبد بشئ من الأشياء يعني فلذلك أقدم على قتله (١).

(و) خروجه على الخجستاني :

لما تسلط الخجستاني واستبد بالأمر سبع سنين (٢) في نيسابور وسواها . وأعمل سيفه في الناس ، واستأثر بأموالهم بغير حق ، وهدم دورهم ومساكنهم ، وأخاف نساءهم وأطفالهم ، ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ (٣) . اجتمع العلماء وأصحاب الرأي والغزاة وعموم الناس على حيكان علي أن يقودهم للتخلص من الخجستاني .

= فخص تاجر بثلاثين ألف درهم ، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم ، فحملها إلى أبي عثمان (ج) وقال : أيها الشيخ قد حلف هذا كما بلغك ، والله لا أهتدي إلا إلى هذه ، قال : تأذن لي أن أفعل فيها ما ينفعك ؟ قال نعم ، ففرقها أبو عثمان وقال للتاجر : أمكث عندي . ومازال أبو عثمان يتردد بين السكة والمسجد ليلته حتى أصبح ، وأذن المؤذن ، ثم قال لخدمته اذهب إلى السوق ، وانظر ماذا تسمع ، فذهب ورجع فقال : لم أر شيئاً ، فقال : اذهب مرة أخرى ، وهو في مناجاته يقول : وحقك لا أقمتُ مالم تفرج عن المكرويين ، قال : فأنتي خادمه الفرغاني يقول : وكفى الله المؤمنين القتال ، شق بطن أحمد بن عبد الله ، فأخذ أبو عثمان في الإقامة (السير ١٤ / ٦٥) . قال الذهبي بعد سرد القصة : (بمثل هذا يعظم مشايخ الوقت) وكان ابن شيخنا قد انتدب لحربه لشدة عسفه وظلمه ، ثم تقلل العامة عنه كعادة العوام وقتله بعد ذلك عام ٢٦٧ هـ . انظر تاريخ الطبري ٩ / ٥٤٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٧ ، ٥٩٩ ، ٦٦٠ ، ٦١٢ . معجم البلدان ٢ / ٣٤٧ . الكامل في التاريخ ٧ / ٢٩٦ ، ٣٠٤ . اللباب ١ / ٤٢٤ .

(أ) الأتابك : من ألقاب أمير الجيوش وأتابك العساكر بمثابة القائد العام للجيش . صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج ٦ / ٥ ، ٣٥ .

(ب) المربعة : هي العصا التي يأخذ رجلان بطرفيها ليحملا الحمل على الدابة . الإفصاح في فقه اللغة ص ٦١٢ لعبد الفتاح الصعدي ، وحسين يوسف .

(ج) هو سعيد بن إسماعيل أبو عثمان الحيري ، ولد سنة ٢٣٠ هـ بالري ، كان مُجَاب الدعوة ومجمع العباد والزهاد وله أقوال مأثورة توفي سنة ٢٩٨ هـ . انظر السير ١٤ / ٦٢ .

(١) تهذيب التهذيب ١١ / ٢٤٣ .

(٢) السير ١٣ / ٩٦ .

(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .

قال أبو العباس السراج: كان يحيى بن محمد أخرجه الغزاة وجماعة من أصحاب الحديث، وأصحاب الرأي وأركبوه دابة، وألبسوه سيفاً، قال المزكي: بلغني أنه سيف خشب، وقاتلوا سلطان نيسابور، يقال أحمد بن عبد الله -خارجي غلب على البلد- وكان ظالماً غشوماً، وكان الناس أو أكثرهم مجتمعين عليه مع يحيى، فكانت الدبرة^(١) على العامة، وهرب يحيى إلى رستاق^(٢)، يقال له بُسْت، فدلَّ عليه أحمد بن عبد الله وجيء به، ويقال إنه لما أسلمه جموعه انهزم وانضم إلى حمّالين، وتكرّم عُرف فقبض عليه^(٣)، ويقال إن عامة من كان معه من الرؤساء، إنقلبوا عليه لما وافقه أحمد^(٤).

قال الحاكم: سمعت أبا علي محمد بن زيد العدل، ختن يحيى على ابنته، قال: دخلنا على أبي زكريا بعد أن ردَّ من الطريق، وهو في الحبس، فقال لنا: اشترك في دمي خمسة نفر: العباسان، وابن ياسين، وبشرويه، وأحمد بن نصر اللباد^(٥).

(ز) إستشهاد:

قال الحاكم: سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق، سمعت نوح بن أحمد، سمعت أحمد بن عبد الله الخجستاني يقول: دخلت على حيكان في محبسه الذي كنت حبسته فيه على أن أضربه خشبات وأخلي سبيله، وما كنت عازماً على قتله، فلما قربت منه، مددت يدي إلى لحيته، فقبضت عليها، فقبض على

(١) الدبرة: بفتحين الهزيمة في القتال وهي إسم من الإدبار. مختار الصحاح ص ٨٣.

(٢) الرُستاق: كلمة فارسية معربة وتستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ويقال (الرُزْدَاق) قال

ابن فارس: الرزدق السطر من النخل والصف من الناس. وقيل هو السواد والجمع. مختار

الصحاح ص ١٠٢، المصباح المنير ص ٨٦ لأحمد الفيومي المقرئ.

(٣) السير ٢٨٧/١٢.

(٤) السير ٢٩٣/١٢.

(٥) السير ٢٨٧/١٢.

خصيتي حتى لم أشك أنه قاتلي، فذكرت سكيناً في خُفِّي، فجردت السكين، وشققت بطنه (١).

وفي رواية أبي العباس السراج أنه لما قُبِض عليه أتاه الخجستاني وقال: ألم أحسن إليك ألم أفعل، ألم أفعل؟ وكان يحيى فوق جميع البلد، فقال: أكرهت على ذلك، واجتمعوا عليّ. قال: فردّ عليه الجماعة، أو من حضر منهم، وقالوا ليس كما قال، فأخذه أحمد فقتله. يقال إنه بنى عليه. قال: ويقال: إنه أمر بجر خصيه حتى مات «رحمه الله رحمة واسعة» (٢). وكان ذلك في جمادى الآخرة*. سنة ٢٦٧.

(ح) تأثر الناس لفقده، وندم الخجستاني على قتله:

لقد ترك استشهاد حيكان-رحمه الله- أثراً بالغاً في نفوس الناس لما له من محبة وقدر.

قال الحاكم: سمعت أبا عبد الله الأخرم يقول: ما رأيت مثل حيكان، لارحم الله قاتله (٣).

وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء: لا نستطيع أن نشكر يحيى نحن ولا أعقابنا، رجل جعل نحره لنا ونحن مطمئنون نعبد ربنا (٤).

ومن محبيه أبي عمر المستملي الذي وصّاه الذهلي بدفن ألفي جزء من كتبه قال: رأيت يحيى بن محمد رضي الله عنه في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: فما فعل بالخجستاني؟ قال: هو في تابوت من نار، والمفتاح بيدي (٥).

(١) السير ١٢/٢٨٧.

(٢) السير ١٢/٢٩٣.

* تعارض كون قتله في جمادى الآخرة رواية محمد بن صالح بن هاني أن آخر مجلس للإملاء عقده حيكان كان في شهر رمضان من السنة نفسها. انظر السير ١٢/٢٨٨.

(٣) السير ١٢/٢٩٣.

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٦١٧.

(٥) السير ١٢/٢٨٧.

ويدل على بالغ التأثير : ما صار إليه أبو عمرو المستملي بعد مقتل حيكان من ترك التنعم بالدنيا من لبس القطن وغيره ، وشدة بأسه وشجاعته على الخجستاني وترويعه إياه على جريمته في عالم نيسابور . قال الحاكم : سمعت محمد بن صالح ابن هاني يقول : لمل قُتل حيكان ترك أبو عمرو المستملي اللباس القطني ، وكان يلبس في الشتاء فرواً بلا قميص ، وفي الصيف مسحاً ، وكان مجلسه ومبيته في مسجد الأدميين على رأس سكة الحسين بن موسى بنيسابور ، إذ سمع الناس يقولون : قد أقبل الخجستاني ، فخرج المستملي وعليه الفرو ، فتقدم فأخذ عنان أحمد ثم قال : يا ظالم قتلت الإمام ابن الإمام العالم ابن العالم !!! فارتعد الخجستاني ، ونفرت دابته ، فتقدم الرجالة لضربه ، فصاح الخجستاني . . . دعوه . . . دعوه . فرجع المستملي ودخل المسجد رحمه الله تعالى .

قال محمد بن صالح : فبلغني عن أبي حاتم نوح أنه قال : قال الخجستاني : والله ما فزعت قط من أحد فرعي من صاحب الفروة ، ولقد ندمت لما نظرت إليه من إقدامي على قتل حيكان^(١) .

(ط) تأثر الحالة العلمية بعد استشادة :

وقد تأثرت الحالة العلمية بفقده كثيراً وتأخرت سنين ، فقد هلع الناس من الخجستاني وخافوا ولم يعقد مجلس إملاء بعد حيكان ست سنوات .

قال صالح جزرة في رسالته إلى ابن أبي حاتم واصفاً أحوال نيسابور : إن أخبار الدين وعلم الحديث دون سائر العلوم اليوم مجفوء مطروح ، وحماله وأهل الكتابة به في شغل التي دهمتهم وتواترت عليهم عند مقتل أبي زكريا ، وقد مضى هو وأبوه لسييلهما ولم يخلفا مثلهما ولزم كلٌ خاصة نفسه ، ومرقت طائفة ممن كانوا يظهرون السنة . . . إلخ^(٢) .

(١) السير ١٢/٢٨٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/٦١٧ .

ويحكى محمد بن صالح بن هاني منع الخجستاني لمجالس الإملاء بعد قتله
حيكان . . وعودة الإملاء بعد زمن قال : لما قتل يحيى ابن الذهلي منع الناس من
حضور مجالس الحديث من جهة أحمد الخجستاني ، فلم يجسر أحد يحمل
المحبرة إلى أن ورد السريُّ بن خزيمة^(١) ، فقام الزاهد أبو عثمان الحيري ، وجمع
المحدثين في مسجده ، وعلّق بيده محبرة وتقدمهم ، إلى أن جاء إلى خان
محمش ، فأخرج السري وأجلس المستملي ، فحزرنّا مجلسه زيادة على ألف
محبرة ، فلما فرغ قاموا وقبلوا رأس أبي عثمان ، ونثر الناس عليهم الدراهم
والسكر سنة ٢٧٣ (٢) .

(١) هو السري بن خزيمة بن معاوية الأبيوردي . محدث نيسابور ، حدث عنه أبو بكر بن خزيمة وابن
الشرقي . قال الحاكم : هو شيخ فوق الثقة وذكر أنه ورد نيسابور سنة ٢٧٠ ، وهو أول من أملى
بنيسابور بعد قتل حيكان بتشجيع أبي عثمان الحيري بعد إنقطاع ، توفي سنة ٢٧٥ ، سير أعلام
النبلاء ١٣ / ٢٤٥ .

(٢) السير ١٤ / ٦٤ .

المبحث الرابع

وفاة الإمام الذهلي رحمه الله تعالى

اختلفت الأقوال في تاريخ وفاة الإمام الذهلي - رحمه الله تعالى - فقد قال الخليلي : أنه مات سنة ست وخمسين^(١) وقال : محمد بن حبان^(٢) مات سنة ٢٥٧^(٣) والصحيح أنه مات سنة ثمان وخمسين ومائتين كما سنذكره مدعماً عن تلامذته ومعاصريه . وقد حرر ذلك الإمام الخطيب البغدادي قال : أنبأنا السمار ، حدثنا الصفار حدثنا ابن قانع : أن محمد بن يحيى النيسابوري مات سنة إثنين وخمسين ومائتين . . قال ابن قانع : وقيل سنة ست وخمسين . أخبرني الحسين ابن علي الطناجيري حدثنا عمر بن أحمد الواعظ قال سمعت عبد الله بن محمد ابن زياد النيسابوري^(٤) يقول : مات محمد بن يحيى النيسابوري سنة سبع وخمسين ومائتين . قلت (يعني الخطيب) وبلغني أن وفاته كانت في إحدى الربيعين من السنة ، وقد بلغ ستاً وثمانين سنة وكل هذه الأقوال وهم ، والصواب

(١) الإرشاد ٨١١/٢ .

(٢) هو محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي التميمي . الحافظ الجليل الإمام ، صاحب الصحيح والثقات ، سمع النسائي وابن خزيمة والسراج وعنه الحاكم والروزي ، قال الحاكم : كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ من عقلاء الرجال ، وقال الخطيب : كان ثقة نبيلاً فهماً . توفي سنة ٣٥٤ . الأنساب ٣٤٨/١ ، طبقات الشافعية للسبكي ١٣١/٣ ، السير ٩٢/١٦ .

(٣) الثقات ١١٥/٩ للإمام ابن حبان البستي ، تصحيح محمد عبد الرشيد .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري صاحب التصانيف شيخ الإسلام ، تفقه بالمزني والربيع وسمع من الذهلي وعنه الدارقطني ، وابن شاهين ، كان معروفاً بحفظ الأسانيد والمتون ومعرفة الزيادات في الألفاظ ، واختلاف الصحابة . توفي سنة ٣٢٤ . تاريخ بغداد ١٢٠/١٠ ، تذكرة الحفاظ ٨١٩/٣ . وسيترجم له بشيء من التوسع ضمن تراجم تلاميذه .

ما أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري عن محمد بن نعيم قال : سمعت عبد الله بن أحمد الشيباني يقول : سمعت أبا حامد الشرقي يقول : مات الذهلي سنة ٢٥٨. (١)

وأيد الذهبي قول الخطيب بذكر الذهلي في وفيات سنة ثمان وخمسين ومائتين ، فبعد ترجمته للإمام أحمد بن الفرات أبو مسعود^(٢) قال توفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين ثم سرد من مات معه من الأعلام في هذه السنة فذكر واحداً وعشرين عالماً منهم الذهلي رحمهم الله^(٣) ، وذكره ابن الجوزي في وفيات سنة ٢٥٨ وحدد ذلك في ربيع الآخر وهو ابن ست وثمانين سنة^(٤) . وقال ابن عبد الله الهادي : (مات في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وهو في عشر التسعين)^(٥) .

وهذه أقوال تلاميذه ومعاصريهم . قال ابن الشرقي : مات سنة ثمان وخمسين ومائتين . وقال محمد بن موسى الباشاني : مات الذهلي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين . وقال يعقوب بن محمد الصيدلاني : يوم الإثنين لأربع بقين من ربيع الأول^(٦) .

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٠ ، تذهيب التهذيب (مخطوط جء لوحة ١٠) ، مكتبة إحياء التراث بجامعة أم القرى . الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٥/ ١٨٧ .
(٢) هو أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي أبو مسعود ، أقام يحدث بأصبهان خمساً وأربعين سنة ، قال أحمد بن حنبل : مات تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي مسعود الرازي . توفي سنة ٢٥٨ . وقد قارب الثمانين . أخبار أصبهان ١/ ٨٢ ، السير ١٢/ ٤٨٠ .

(٣) السير ١٢/ ٤٨٦ .

(٤) المتظم ١٢/ ١٤٧ .

(٥) طبقات علماء الحديث ٢/ ٢١١ للإمام محمد بن عبد الهادي الدمشقي ، تحقيق أكرم البوشي ورفيقه .

(٦) السير ١٢/ ٢٨٤ ، تراجم الأخبار من رجال شرح معاني الآثار ٤/ ٨٠ تأليف محمد أيوب السهارنبوري

ولما توفي الذهلي تقدم في الصلاة عليه أمير خراسان محمد بن طاهر^(١)،
في ميدان الحسين، وخلفه في مشيخة البلد ولده حيكان^(٢).

وكانت جنازته مشهودة حضرها جم غفير من الناس. قال الحاكم: سمعت
أبا عبد الله محمد بن يعقوب^(٣) يقول: رأيت جنازة محمد بن يحيى والناس
يعدون بين يديها وخلفها، ولي ثمان سنين^(٤). رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا
معه في فردوسه. . . آمين.

(١) هو محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية، البداية والنهاية ٢٨٩/١٠.

(٢) السير ٢٨٥/١١.

(٣) هو محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري ابن الأخرم الإمام الحافظ، ولد سنة ٢٥٠،

سمع من يحيى ابن الذهلي بعد أن فاته مجلس الذهلي، وهو على حفظه وعلمه لم يرحل،

مات سنة ٣٤٤. طبقات الفقهاء الشافعية ٢٨٩/١ لأبي عمرو بن الصلاح، تحقيق محيي الدين

علي نجيب، السير ٤٦٦/١٥.

(٤) السير ٢٧٥/١٢.

الفصل الثالث

صفاته الخلقية والخلقية

وتحتة مبحثان :

المبحث الأول : صفاته الخلقية ومظهره .

المبحث الثاني : صفاته الخلقية .

المبحث الأول صفات الخلقية ومظهره

لم نعثر مع كثرة التتبع على أوصاف الإمام الذهلي الخلقية الدقيقة شأنه في ذلك شأن أكثر العلماء . إذ أن إهتمام معاصريهم من طلبة العلم وغيرهم كان منصباً على أخبارهم العلمية، ورواياتهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقهم، وما يتسمون به من ورع وتقوى وعبادة، وغيرها من الأمور التي تعتبر أهم مقوماتهم الشخصية .

ومع ذلك فقد تحسّل من الأخبار ما يعطينا تصوراً عاماً عن شخصه الذي تميز بالإهتمام البالغ بنظافة اللباس وحسنه، كما ذكرت إلماحة إلى حسن وجهه وشبيهه .

قال أبو العباس الدغولي^(١) : سمعت صالح بن محمد^(٢) الحافظ يقول : دخلت الرّيّ، وكان فضلك^(٣) يذاكرني حديث شعبة، فألقى عليّ لشعبة، عن عبد الله بن صبيح، عن ابن سيرين، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله

(١) قال الذهبي في السير : الإمام العلامة الحافظ المجود شيخ خراسان أبو العباس محمد بن عبد الرحمن بن محمد السرخسي الدغولي، قال الحاكم : أقام بنيسابور مستفيداً على محمد بن يحيى الذهلي، وعبد الرحمن بن بشر وأقرّ انهما سنين وكتب بالعراق والحجاز . . إلخ . وعنه أبو حاتم بن حبان وأبو أحمد ابن عدي . انظر السير ٥٥٧/١٤ .

(٢) هو الإمام صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب أبو علي البغدادي الملقب جَزَرَه . مولده سنة ٢٠٥ . سمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وحدث عنه مسلم خارج الصحيح وخلف الخيام، وكان صدوقاً ثباتاً ذا مزاح ودعابة، مشهوراً بذلك، توفي ٢٩٣، وله ٨٩ سنة . انظر السير ٢٣/١٤ .

(٣) هو الإمام الحافظ المحقق أبو بكر الفضل بن العباس الرازي، صاحب التصانيف، روى عن عيسى بن مينا قالون، وعبد العزيز الأوسي . حدث عنه أبو عوانه ومحمد بن جعفر الطبري . مات رحمه الله في صفر سنة ٢٧٠، وكان من أبناء السبعين . السير ٦٣٠/١٢، تاريخ بغداد ٣٦٧/١٢، تذكرة الحفاظ ٦٠٠/٢ .

عليه وسلم: "هذا خالي فليُرني إمرؤ خاله" ^(١) فلم أحفظ، فقال فضلك: أنا أفيدُكهُ، إذا دخلت نيسابور (تري شيخاً حسن الشيب، حسن الوجه، راكباً حماراً مصرياً، حسن اللباس) فإذا رأيته فاعلم أنه محمد بن يحيى... إلخ ^(٢).

وقال الحاكم: سمعت محمد بن أحمد بن زيد وهو عدل رضي يقول: سمعت محمد بن يحيى الذهلي، وكنت واقفاً على رأسه، بعد الفراغ من المجلس، وبيدي قلم، فنقطت نقطة على ثوبه، فرفع إليّ رأسه فقال: أتراني أحبك بعد هذا!! ^(٣) ولعل هذا من باب المزاح ولكن فيه ما يشير إلى الإعتناء باللباس ونظافة المظهر الخارجي ورتابته وإن خلقت الشيا ورثت، ولا يرد هنا الغلو والإسراف لما فيه من المباهاة والتعالي على الغير والمخالفة لداعي الإيمان، بعدم الخلود للدنيا وزينتها.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب سعد ابن أبي وقاص (٦٠٧/٥) من طريق مجالد بن سعيد الهمداني، وهو ليس بالقوي، عن عامر الشعبي عن جابر بن عبيد الله بمثله، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق مجالد، وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب سعد ابن أبي وقاص (٤٩٨/٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٣/٦) وذلك لأنه نظر إلى متابعة اسماعيل ابن أبي خالد، عند الحاكم، وقد سبقه الحاكم والذهبي.

(٢) السير ٢٧٧/١٢.

(٣) السير ٢٨٢/١٢.

المبحث الثاني

صفاته الخُلُقِيَّة ويشمل المطالب التالية

المطلب الأول أدبه وصبره ورجاحة عقله

كان الإمام الذهلي - رحمه الله تعالى - على جانب كبير من الأدب مع العلماء ، والصبر على ما يصدر منهم حتى وإن كان الحق معه . . . ولعمرو الحق إنها لصفة عزيزة . . . وإنَّ وجودها في صفوف طلبة العلم لهو المطلب الأسمى . . . لما تتركه من أثر جميل في نفس المعلم وبالأخص إذا وقع على خطئه . . . ولما فيها من الأناة والحلم والتروي الذي تُحمد عاقبته دائماً .

وهذه رواية وقعت للإمام الذهلي مع شيخه الإمام أحمد بن حنبل تدلنا على ما كانا يتمتعان به - رحمهما الله - من الأدب الجَم وضبط النفس .

روى أبو العباس الدغولي^(١) قال سمعت محمد بن يحيى قال : لما رحلت بابني إلى العراق صحبني جماعة من الغرباء^(٢) ، فسألوني : أيُّ حديث عن أحمد بن حنبل أغرب ؟ فكنْتُ أقول : إذا دخلنا عليه ، سألته عن حديث تستفيدونه . فلما دخلنا سألته عن حديث يحيى بن سعيد ، عن عثمان بن غياث ، عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر ، عن ابن عمر عن عمر حديث الإيمان فقال : يا أبا عبد الله ، ليس هو عندي عن يحيى بن سعيد فخبجلت ، وقمنا ، فأخذ أصحابنا يقولون : إنه ذكر الحديث غير مرة ثم لم يعرفه أحمد ، وأنا ساكتٌ لا أجيبهم وقال : ثم قدمنا بغداد فدخلنا على أحمد ، فرحب بنا ، وسأل عنا ثم قال : أخبرني يا أبا عبد الله : أيُّ حديث استفدت عن مسدد ، عن يحيى بن سعيد : فذكرت له حديث الإيمان . فقال أحمد : حدثناه يحيى بن سعيد ، ثم أخرج كتابه

(١) سبقت ترجمته ٨٧ .

(٢) الغرباء : سيأتي التعريف بهم في الحديث عن علو همته وتفانيه في الطلب ص ١١٥ .

وأملى علينا . فسكت محمد بن يحيى ، ولم يقل : سألتك عنه . فتعجب أصحابه من صبره ، قال : فأخبر أحمد بأنه كان سأله عن الحديث قبل خروجه إلى البصرة . فكان أبو عبد الله إذا ذكره يقول : محمد بن يحيى العاقل^(١) . وصدق على الذهلي جواب الأعرابي لما سئل «من الأديب العاقل؟ قال : الفطن المتغافل»^(٢) . فما أحوجنا دائماً وأبداً إلى الأدب مع الغير . لاسيما مع الديننا ومشايخنا وأرباب الفضل علينا . فإن ذلك لا يورث إلا خيراً . . . فقد كان الإمام أحمد بن حنبل بعد هذه الحادثة يُجلّ الذهلي ويقوم له في مجلسه ويدنيه منه ويأمر بنيه وأصحابه أن يكتبوا عنه . . . كما سيأتي معنا في الثناء عليه . وقد بين مكانة الذهلي هذه وسمو قدره العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي في كتابه نسيم الرياض حين ترجم له فقال : محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الإمام الحافظ الجليل القدر . . .^(٣)

وكان الذهلي يبادل شيخه الثناء والإحترام فقد كان يقول « قد جعلت أحمد ابن حنبل إماماً فيما بيني وبين ربي عز وجل .^(٤)

المطلب الثاني

تواضعه واعترافه لغيره بالفضل

كان الإمام الذهلي جم التواضع ، متجرداً لله في علمه ، يأخذ عن الصغير والكبير . . . ويعترف لغيره بالصواب . . . وبهذا يكمل علم الإنسان وتربو محاسنه . ولعل هذه الطرفة مع ابنه يحيى تعكس صورة من تواضعه قال أبو

(١) السير ٢٧٨/١٢ . تذهيب التهذيب ٤/ لوحة ٩ مخطوط .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٥٥ للخطيب البغدادي ، تحقيق د . محمود الطحان .

(٣) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ، تأليف العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي ، وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري ، طبعة دار الفكر .

(٤) السير ٢٨٢/١٢ .

اسحاق المزكي : حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمد بن يحيى الذهلي وابنه يحيى اختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر : اجعل بيننا حكماً ، فرضيا بابن خزيمة ، فقضى ليحيى على أبيه ، ثم قال المزكي : كان يحيى له موضع من العلم والحديث^(١) .

وكان إذا سئل عن مسألة في بعض الأحيان يقول : «سلوا أبا عبد الله المروزي»^(٢) . مع أنه كان يصغره بنحو ثلاثين سنة إعترافاً لغيره بالعلم ، إلى غير ذلك من الروايات والتي سنعرض لها في ثنائته على العلماء وإعترافه لهم بالتقدم والسبق والفضائل المتعددة .

وهذه طرفة تبين التجرد لله في العلم وخفض الجناح للحق من أي امرء كان . . .

قال أبو حامد ابن الشرقي : سمعت محمد بن يحيى الذهلي ، وأملى حديثاً ، فردّ عليه الجارودي^(٣) ، فزبره محمد بن يحيى ، فلما كان المجلس الثاني ، قال الذهلي : ها هنا أبو بكر؟ قال : نعم ، قال : الصواب ما قلت ، فإني رجعت إلى كتابي ، فوجدته على ما قلت^(٤) قلله درُّ الطالب في حلمه وصبره وإن كان شيخه مخطئاً . . . ولله درُّ المَعْلَم الذي دفعه الإخلاص لله في العلم أن يعترف بخطئه أمام الناس ويقر المحق على قوله . . . أسأل الله أن يرزقنا التحلي بصفات الصالحين ، والتواضع للخلق في غير مذلة .

(١) السير ٢٩٣/١٢ . تاريخ بغداد ٢١٨ / ١٤ ، تهذيب التهذيب ٢٧٦/١١ .

(٢) هو شيخ الإسلام محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ولد ببغداد سنة ٢٠٢ يقال أنه أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق . كان هو المقدم والمفتي بعد وفاة الذهلي بنيسابور ، فقد أقرّ له بذلك حيكان وغيره السير ١٤ / ٣ . وسيترجم له بتوسع ضمن تلاميذه .

(٣) الامام الاوحد صدر خراسان أبو بكر محمد بن النضر بن سلمة الجارودي النيسابوري سمع اسحاق بن راهويه وابن أبي السوارب . وحدث عنه ابن خزيمة وأبو حامد ابن الشرقي . قال ابن أبي حاتم : سمعت منه بالرّي ، وهو صدوق من الحفاظ توفي سنة ٢٩١ . السير ٥٤١/١٣ .

(٤) السير ٥٤٣/١٣ .

المطلب الثالث

ميله إلى الوعظ والرقائق والتذكير بالله

كان الإمام الذهلي - رحمه الله تعالى - من ذلك الرعيل^(١) المبارك الذي جمع بين محاسن صفات العلماء فلا للتصوف والإنقطاع عن الدنيا في كيانه مكاناً، ولا للعقلانية البحتة وجفاف الروح مكاناً فيه كذلك ، بل نلمس في شخصه - رحمه الله - ذلك التوازن بين شتى مطالب الكيان البشري . فبينما يجيل فكره وعقله في ميادين المعرفة والعلم والحفظ والفهم والمدارسة . فنجد في المقابل يطلق للروح شفافيته، وعلوها، وتطلعها إلى رحمة الله ، وابتغاء مرضاته ، فيعظ الناس ، ويذكرهم بالله ، وينشد للناس ما استلطفه من زهديات ورقائق مشايخه ، ونجده أخيراً يجمع بين العلم واستشعار الأمانة فيه والخوف من الله فيقوم بحق المجتمع المسلم وصيانتها عن الدسائس والبدع ، ومساعدة المبتلين في دين الله كما سيأتي في مكانته العلمية .

ومن وعظه للناس وترهيبهم من المعصية . ما نقله الحسين بن محمد الفقيه قال : سمعت محمد بن يحيى يقول : تقدم رجل إلى عالم ، فقال علمني وأوجز . قال : لأوجز لك . أما لأخرتك فإن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه قل لقومك : لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة لأوصلت إليه الخراب ، وأما لدنياك فإن الشاعر يقول :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها وكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال السراج : سمعت محمد بن يحيى : خرجت مع وهب بن جرير^(٢) إلى مكة ، فلما بلغناها ، أصابتنا شدة فسمعت وهباً يقول :

(١) الرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل ، قال ابن سيده : وقد يكون من الخيل والرجال . لسان العرب ٢٨٧/١١ .

(٢) هو وهب بن جرير بن حازم أبو العباس الأزدي البصري ، ولد بعد الثلاثين ومائة ، أمر أحمد بن حنبل بالكتابة عنه ، وأكثر عنه في (مسنده) مات سنة ٢٠٦ ، طبقات بن سعد ٢٩٨/٧ ، السير ٤٤٢/٩ .

إن الذي نجَّكَ من بطن ذمة ومن سيول في بطون مفعمة

لقادر على أن يستتم نعمه^(١)

وقال الذهلي أيضاً: سمعت أبا مسهر^(٢) ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب

فإن تعجب الدنيا رجلاً فإنه متاع قليل والزوال قريب^(٣)

وينقل - رحمه الله تعالى - حادثة لعلي ابن أبي طالب بجوار الكعبة . قال :

بينما علي كرم الله وجهه يطوف بالكعبة ، إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة

ينادي : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، يا من لا يغلطه السائلون ، يا من لا يتبرم

بالخاح الملحين ، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك . قال له علي رضي الله عنه :

دعائك هذا؟ قال : نعم ، قال : سمعته ، قال : نعم . . . الخ^(٤) .

المطلب الرابع ورعه وتقواه

كان الإمام العلامة الذهلي من أهل الورع والتقوى والعفاف والستر حتى
فيما أحلّ الله له .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٢/١٢ .

(٢) هو عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى أبو مسهر الغساني الدمشقي ، روى عن مالك الموطأ وغيره ، قال ابن وضاح : كان فاضلاً وقال ابن معين : ثقة ، مولده سنة أربعين ومائة ، ووفاته سنة ٢١٨ . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ٤١٦/١ ، للقاضي عياض ، تحقيق د . أحمد بكير محمود . تذكرة الحفاظ ٣٨١/١ ، وسيرجم له بتوسع في مشايخ الذهلي .

(٣) السير ٢٣٦/١٠ .

(٤) مفتاح السعادة ومصباح الريادة ١٣٨/٣ . تأليف أحمد مصطفى طاش كبري زاده .

قال أبو العباس الأزهرى : سمعت خادمة محمد بن يحيى ، وهو على السرير يُغسّل ، تقول : خدمته ثلاثين سنة وكنت أضع له الماء ، فما رأيت ساقه قط ، وأنا ملك له (١) .

كما كان وقافاً عند حدود الله معظماً لحديث رسول الله .

قال البرذعي (٢) : وقرأت على محمد بن يحيى حديث عكراش بن ذؤيب (٣) فلما بلغ آخر الحديث قوله (هكذا الوضوء مما غيرت النار) لم يقرأه عليّ ، وقال أستعظم أن أحدث مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهابه (٤) .

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩ ، السير ١٢/ ٢٧٩ ، تهذيب التهذيب ٤/ لوحة ١٠ مخطوط .

(٢) هو سعيد بن عمرو بن عمار الأزدي أبو عثمان البرذعي . نسبة إلى بلد في أقصى أذربيجان . رحال جوال . مصنف ، سمع الفلاس ومسلم ، وعنه الحسن بن عياش المياجي . توفي سنة ٢٩٢ ، معجم البلدان ١/ ٣٧٩ ، السير ١٤/ ٧٧ .

(٣) هو عكراش بن ذؤيب بن حرقوص بن جعدة أبو الصهباء التميمي . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين . بعثه بنو مرة بصدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع عائشة ، مات سنة ١١٠ . أسد الغابة ٤/ ٦٩ . المعارف لابن قتيبة ١٣٤ ، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٩ .

(٤) الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٤٨ ، تحقيق د . سعدي الهاشمي ، والحديث ضعيف الإسناد وقد رواه الترمذي قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك ابن أبي السؤيّة أبو الهذيل قال : حدثني عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش ابن ذؤيب قال : (بعثني بنو مرة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدمت عليه المدينة فوجدته جالساً بين المهاجرين والأنصار ، قال : ثم أخذ بيدي فانطلق بي إلى بيت أم سلمة فقال : هل من طعام؟ فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والودّ (قال ابن الأثير : أي كثيرة قطع اللحم ، والودّ بالسكون : القطعة من اللحم ، النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٧٠) . فأقبلنا نأكل منها ، فخبطت بيدي في نواحيها وأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه ، فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال : يا عكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد ، ثم أتينا بطبق فيه ألوان التمر أو الرطب ، شك عبيد الله ، فجعلت أكل من بين يديّ وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق ، قال : يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد ، ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ

والذي يظهر لي أن خوف الإمام الذهلي من التحديث بهذا الجزء من الحديث يأتي من وجهين. الوجه الأول : مخالفته لحديث جابر "كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مسته النار" (١). ومخالفته لما استقر عليه الإجماع على أنه لا وضوء مما مست النار (٢).

الوجه الثاني : إطلاق الراوي لفظ الوضوء بتلك الهيئة المخالفة لما عرف عنه صلى الله عليه وسلم من صفة الوضوء للصلاة. والمراد هو «غسل اليد» كما ذكر ابن شاهين قال : وقد روى عكراش صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث صفة الوضوء مما مست النار ، لأن العرب عندها أن غسل اليد هو الوضوء (٣). وفي إسناد الحديث من لا يعتمد عليه.

= يديه ومسح بكل كفّيه وجهه وذراعيه ورأسه ، وقال : يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار). قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث العلاء بن الفضل ، وقد تفرد العلاء بهذا الحديث ، أنظر السنن كتاب الأطعمة (باب ما جاء في التسمية على الطعام ٢٤٩/٤). وأخرجه الإمام محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه عن محمد بن بشار مختصراً ١٠٨٩/٢. وفي إسناد الحديث العلاء بن الفضل . قال عنه ابن حبان : كان ممن يتفرد بأشياء مناكير عن أقوام مشاهير . لا يعجبني الاحتجاج بأخباره التي انفرد بها . فأما ما وافق فيه الثقات فإن اعتبر بذلك معتبر لم أر بذلك بأساً . المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ١٨٣/٢ للمحافظ ابن حبان البستي ، تحقيق محمود إبراهيم زايد . وقال العباس بن عبد العظيم : وضع العلاء بن الفضل حديث عبيد الله ابن عكراش عن أبيه . انظر تهذيب التهذيب ٣٤/٧ ، ١٦٩/٨ . وفي الإسناد عبيد الله بن عكراش قال البخاري : لا يثبت حديثه ، وقال أبو حاتم : شيخ مجهول . وقال ابن حزم : عبيد الله بن عكراش ضعيف جداً . التاريخ الكبير ٣٩٤/٥ ، الجرح والتعديل ٣٣٠/٥ ، تهذيب التهذيب ٣٤/٧ .

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في الطهارة ١٣٣/١ ، والنسائي في الطهارة كذلك ١٠٨/١ ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي ١٢١/١ ، وذكر المحافظ ابن حجر أن ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما صححا الحديث ، فتح الباري ٣١١/١ . (٢) بتصريف من فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٧٢/١ للمحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز وإخراج محب الدين الخطيب . كتاب الوضوء باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق .

(٣) ناسخ الحديث ومنسوخه ص ٧٦ للمحافظ ابن شاهين ، تحقيق سمير الزهيري .

الباب الثاني

حياته العلمية والاجتماعية والفكرية وتحته تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : عوامل بروز شخصيته العلمية .

الفصل الثاني : مكانته العلمية والاجتماعية وآثاره .

الفصل الثالث : حياته الفكرية .

الفصل الرابع : بسط القول في مسألة اللفظ بالقرآن

وما وقع بين الإمامين الذملي والبخاري

بسببها ، وأثرهما في صفوف المحدثين .

الفصل الأول

عوامل بروز شخصيته العلمية

وشمل المباحث التالية :

المبحث الأول : الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية .

المبحث الثاني : الرحلات العلمية .

المبحث الثالث : مشايخه .

المبحث الرابع : تلاميذه .

قهيد

من المتعارف عليه إذا برزت في مجتمع من المجتمعات شخصية لامعة ذات صفات يشاد بها - سواء في السياسة والحكم، أو العلم والتعليم، أو ما سوى ذلك - أن تحاط تلك الشخصية بالدراسة والعناية لمعرفة عوامل ظهورها.

ونيسابور مع أنها كانت بعيدة نسبياً في موقعها الجغرافي عن منابع العلم الأولى - كالمدينة، ومكة، والبصرة، والكوفة، وصنعاء، ودمشق - حيث ترعرع العلم على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم والتابعين لهم، إلا أنه أصبح لها فيما بعد شأنًا عظيمًا قبل مولد الذهلي بزمن. وأضحت منارة المشرق قاطبة، وقد سبقت الإشارة إلى أنها دار السنة والعوالي، وأنها انتعشت بطبقة إبراهيم بن طهمان، وحفص بن عبد الله، ثم بطبقة يحيى بن يحيى وابن راهويه، ثم بطبقة الذهلي الذي نشأ في أجواء علمية قوية، ومنهج سلفي قويم.

وهذا بلا شك عامل قوي من عوامل بروز الإمام الذهلي وتشده في منهج السلف، وهو عامل اجتماعي.

وهناك عامل شخصي، وهو أن الإمام الذهلي كان ذا همة عالية ساقته إلى الحركة الدؤوبة والرحلة وبذل الجهد والمثابرة.

وإنَّ عالماً كالإمام الذهلي طار صيته في البلاد، ورحل إليه طلبة العلم، وعرف بتشده في قضايا العقيدة، وجمع مواهب حسن المناظرة، وحسن التقييد، والأدب بين يدي العلماء، لا بد أنه قد تلقى تربية وعناية من جهات أسرية أو قريية، تشرف على متابعة توجهه العلمي، ذلك التوجه الذي أحله مثل مكانة مالك في المدينة، وأحمد في بغداد، ولكن المصادر لم تبين من ذلك شيئاً، كما هو مطرد في غالب تراجم العلماء، إلا ما كان من أحد الحضور في حلق

العلم عند مشايخه، والذي حثه على الرحلة وقد بلغ مبلغاً يحسن فيه أن يرحل ويستفيد من غير مشايخ بلده، وذلك لما رأى عليه علامات النبوغ.

ومن خلال فصول ومباحث هذا الباب نصحب الإمام الذهلي في حياته العلمية، وحياته الفكرية والاجتماعية، لنرى علماً من أعلام أمتنا المجيدة الذين بذلوا الغالي والنفيس، والوقت والجهد بما يعود عليهم وعلى أمتهم بالخير والسودد، كل ذلك حفظاً للدين، وترسيخاً لثوابته، وتعميماً لشموله، ووقوفاً عندما يجب الوقوف عنده، وبياناً لما ينبغي بيانه، علماً وعملاً وهداية.

المبحث الأول الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية المطلب الأول

الدوافع الإجتماعية

إنَّ اهتمام سلفنا الصالح بأبنائهم تربيةً وتنشئةً وتوجيهاً أمر بات معلوماً بالضرورة للقاصي والداني، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، فالأمة أجمع تجدد العلم وتقدمه على المال، والخلود للدعة والراحة. وإدراكهم هذا لأهمية التربية والتعليم والانضباط؛ جعلهم يدفعون أبناءهم من قبل السابعة للمساجد والكتاتيب، لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الحساب، ثم الإنضمام لخلق العلم، والمثول بين يدي مشايخ البلد، بعد معرفة آداب طلب العلم على اختلاف أنواعها. . . وتقييد العلم عنهم بالأسانيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتابعيهم.

ويتولى ذلك كما سبقت الإشارة إليه الأبوان أو أحدهما. . . أو أحد الأقارب، أو أهل الخير من العلماء وخلافهم.

ولم تفصح لنا المصادر عمن باشر توجيه الذهلي في صغره إلى العلم، وحضور مجالسه، وقد اشتهر عنه كما سيأتي جمال الخط وقوة الحفظ وهذه أمور لا تتوافر الهمم عليها إلا في الصغر لما تحتاجه من صبر وتفرغ وتمرس. . . وإن ولادة الذهلي في بيئة مثل نيسابور إرتفعت أعلام العلم فيها قبله بأمد وظللتها السنة النبوية واتسم أهلها بشدة الدفاع عنها. كما قال الذهبي: «وكانت السنة قائمة الدولة بالأندلس وخراسان، وقلَّ أمرها وضعف بمصر والشام والمغرب والعراق، وما ذاك إلا لظهور دولة الشيعة والعبودية. . .»^(١) لا بد أن تطبعه

(١) رسالة "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل" ص ١٩٦ ضمن أربع رسائل حققها الشيخ أبو

غدة.

بطابعها، وأن تفتح أمامه آفاق المعرفة، وأبواب العلم كغيره ممن سبقه أو لحقه من أهل تلك الناحية. . وأمضى الذهلي صباه وهو ينهل من مشايخ نيسابور - مثل يحيى بن يحيى وابن راهويه - العلوم ويسود دفاتره بمختلف الفنون، ويشاء الله أن يجمعه لقاء مع علي بن سلمة اللبقي^(١) في أحد مجالس شيخهما يحيى بن يحيى النيسابوري، فلفت نظره جمال خط الذهلي وحسن تقييده، ويلمح فيه علامات النبوغ، والصدق في الطلب، والشباب الناضر فقد قارب الذهلي آنذاك الخامسة والعشرين من عمره. . فيسديه نصيحة غالية لاقت منه قلباً عقولاً. . وهمة عالية. . ورغبة جموحاً.

قال الحاكم: قال محمد بن صالح بن هاني. سمعت محمد بن النضر الجارودي يقول: بلغني أن محمد بن يحيى كان يكتب في مجلس يحيى بن يحيى، فنظر علي بن سلمة اللبقي إلى حسن خطه وتقييده فقال: يا بني ألا أنصحك؟ إن أبا زكريا يحدثك عن سفيان بن عيينة^(٢) وهو حي، وعن وكيع^(٣)

(١) هو علي بن سلمة اللبقي النيسابوري، روى عن ابن عليّ وزيد بن الحباب، وعنه ابن ماجه وابن خزيمة، قال ابن زهير: أنا حملت أصول علي بن سلمة إلى محمد بن إسماعيل فانتخبت منها، وأنا ذهبت معه حتى سمعنا منه، وقال أبو حاتم السلمي: سمعت مسلم بن الحجاج يوثق علي بن سلمة. تهذيب التهذيب ٢٨٧/٧. واللبقي، بفتح اللام والباء الموحدة، انظر الأنساب ١٢٧/٥.

(٢) هو سفيان بن عيينة ابن أبي عمران الهلالي مولا هم أبو محمد كوفي سكن مكة، ثقة، ثبت في الحديث، وكان يعد من حكماء الحديث، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لضاع علم الحجاز. كان عالماً ناقداً، وزاهداً عابداً. توفي أول رجب سنة ١٩٨. تاريخ الإمام الحافظ يحيى بن معين ٢١٦/٢، تحقيق د. أحمد نور سيف. تاريخ الثقات للعجلي ص ١٩٤ مقدمة المعرفة للجرح والتعديل لابن أبي حاتم، تحقيق الشيخ عبدالرحمن المعلمي، ص ٣٢، المنتظم ٦٦/١٠.

(٣) هو وكيع بن الجراح بن عدي بن فرس أبو سفيان الرؤاسي، قال علي ابن المديني: وكيع من الثقات، وقال العجلي: ثقة عابد صالح، من حفاظ الحديث. وكان ابن عيينة يجله ويقول: إني لأنس بك وأنت في الكوفة. توفي سنة ١٩٧. تاريخ الثقات ص ٤٦٤ للإمام العجلي، بترتيب أبي بكر الهيثمي، وتعليق د. عبد المعطي قلعجي، مقدمة الجرح والتعديل ص ٢١٩، المنتظم ٤٢/١٠.

وهو حي بالكوفة، وعن يحيى بن سعيد^(١) وجماعة أحياء بالبصرة، وعن عبد الرحمن بن مهدي^(٢) وهو حي بأصبهان. فخرج في طلب العلم ولا تضيق أيامك. فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان، فسمع من عبد الرحمن بن مهدي، والحسين بن حفص^(٣)، ثم دخل البصرة وقد مات يحيى، فكتب عن أبي داود (هو الطيالسي) وأقرانه. . وأطال المقام بها، حتى مات سفيان بن عيينة^(٤).

وتتوالى من ذلك اللقاء رحلات الذهلي إلى الآفاق، وتتسع مداركه، وتنوع مشاربه حتى عدَّ في طبقات الراحلين إلى الأقطار كما سيأتي بيانه.

وما علم علي بن سلمة - رحمه الله تعالى - ماذا سيكون للذهلي من شأن حين أسداه نصحه؟! وحشه على الرحلة واغتنام الليالي والأيام في الرحلة ولقاء الأكابر وتحصيل العالي من الأسانيد. وكأن لسان حاله يقول: (لعل الله أن ينفع بك. .). فقد أصبح له شأنًا عظيمًا وذكرًا كبيرًا، ونظم اسمه في سلك العلماء الأفاضل، والجهابذة^(٥) الكبار، وصار عمدة علماء عصره قاطبة. في حديث

(١) هو يحيى بن سعيد بن فروخ أبو سعيد التميمي مولا هم البصري الأحول القطان. أمير المؤمنين في الحديث، قال أحمد بن حنبل إليه المنتهى في الثبوت، وقال ابن المديني: ما رأيت أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد، قال: ما رأيت أحداً أنفع للإسلام وأهله من يحيى بن سعيد القطان. توفي في صفر سنة ١٩٨ هـ. تاريخ الثقات ص ٤٧٢. مقدمة المعرفة للجرح والتعديل ص ٢٣٢، السير ١٧٥/٩، شذرات الذهب ٣٥٥/١.

(٢) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد العنبري الإمام الناقد المجود، قال الشافعي: لا أعلم له نظيراً في هذا الشأن وقال ابن المديني: كان علم عبد الرحمن في الحديث كالسحر، وقال أحمد: عبد الرحمن ثقة خيار صالح ملم، من معادن الصدق. توفي في جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ. تاريخ الثقات ص ٢٩٩، السير ١٩٢/٩، شذرات الذهب ٣٥٥/١.

(٣) هو الحسين بن حفص بن الفضل أبو محمد الهمداني الأصبهاني، أصله كوفي، وكانت إليه رئاسة أصبهان وقضاؤها وأمر الفتوى، قال أبو حاتم: محله الصدق. . وقال أبو نعيم: وجه الناس وزينهم وكان دخله كل سنة مائة ألف درهم، وكانت جوائز وصلاته دارة على المحدثين وأهل العلم. أخبار أصبهان ٢٧٤/١، السير ٣٥٦/١٠.

(٤) السير ٢٧٦/١٢.

(٥) الجهابذة جمع جهيد وهو النقاد الخبير. القاموس المحيط ٣٥٢/١.

الزهري^(١) كما سيأتي بيانه بشهاداتهم وثنائهم ، ومرجع من بعدهم^(٢) قروناً متطاولة لتجويده جمع حديثه واستخراج علله ، ويظهر لي أن الناصح والمنصوح قد صدقا الله في القول والعمل ، فجعل سبحانه من وراء تلك الكلمات خيراً كثيراً ونفعاً عظيماً .

وهكذا تكون أمة الإسلام أمة تعاون وبر وصدق ونصح ورحمة من الكبير ، وسماع واحترام من الصغير يفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

(١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري . أحد الأعلام . انظر ترجمته بتوسع في مبحث آثاره تحت عنوان مدى اهتمام الإمام الذهلي بالإمام الزهري وزهرياته ص ٢٣٥ .

(٢) كاليهقي في مواضع كثيرة من سنته ، وابن حجر في شرحه لصحيح البخاري ، وستأتي الإشارة إلى ذلك في موضعه المناسب ص ٢١٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

المطلب الثاني المواهب الذاتية

يمتن المولى على من يشاء من عباده بما يشاء من نعم وفضائل ، وذلك لبيتلي الصابرين ويزيد حمد الحامدين . . . كما قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾^(١) ومن حمد الله وشكره على نعمه استعمالها فيما يرضيه .

والإمام الذهلي قد منَّ عليه المولى عز وجل بنعم إدخر شكرها باستغلالها فيما يرضي منعمها ، ويعود عليه بالنفع والسداد والذكر الحسن . و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾^(٢) ومن ذلك :

(أ) موهبة جمال الخط وحسن التقييد

جمال الخط وتجويده نعمة تستحق الشكر ، لأنه مما يسرُّ كل امرئ ينسب إليه . ولأهمية هذا الفن ، وعظيم أثره عقد له الخطيب البغدادي باباً في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع^(٣) . نقل فما اهتمام السلف من الصحابة ومن تبعهم بالاعتناء به وتوضيحه ومن ذلك ما فسَّر به ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾^(٤) قال جودة الخط^(٥) .

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

(٢) سورة الجمعة آية : ٤ .

(٣) وهو الباب الرابع عشر (باب تحسين الخط وتجويده) ٢٥٩ / ١ بتحقيق الدكتور محمد الطحان .

(٤) سورة الأحقاف آية : ٤ .

(٥) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠٨ / ٧ : قوله تعالى : (أو أثارة من علم) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (أو أثارة من علم) قال الخط ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، ولفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الخط فقال ؟ : هو أثارة من علم ، وفي رواية في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (أو أثارة من علم) قال : جودة الخط ، ورجال أحمد للحديث المرفوع رجال الصحيح . وقال الإمام أحمد في مسنده : حدثني يحيى عن سفيان ثنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، قال سفيان : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثارة من علم قال الخط . المسند (٢٢٦ / ١) .

وقال حنبل بن إسحاق^(١): رأني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطأً دقيقاً فقال: لا تفعل!! أحوج ما تكون إليه يخونك^(٢). وللخط الحسن أوصاف وعلامات يعرفها الخطاطون أهل هذا الشأن، وقد أثر عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك وصايا وتعليمات لكتابه عبيد الله ابن أبي رافع^(٣)، وبين بعض كتاب المقتدر^(٤). متى يجوز أن يوصف الخط بالجوادة؟ فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألف ولامه، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنقاشه، ولم تختلف أجناسه. أسرع إلى العيون بصوره، وإلى العقول بثمره، قدرت فصوله، واينعت وصوله، ويعد عن حيل الوراقين وعن تصنع المتصنعين كان حينئذ كما قلت في حسن الخط:

إذا ما تجلَّلَ قرطاسُهُ وساوره القلم الأبرشُ

تضمَّنَ من خطِّه حُلَّةً كنقش الدنانير بل أنقش

حروف تعيد لعين الكلِيل نشاطاً، ويقرؤها الأَخفش^{(٥)(٦)}

(١) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد وتلميذه. كان فقيراً ثقة ثباتاً، قرأ أحمد عليه وعلى ابنه صالح وعبد الله المسند بتمامه، كان يتفرد ويغرب في مسائله عن أحمد. السير ٥١/١٣، النجوم الزاهرة ٨١/٣٥، شذرات الذهب ١٦٣/٢.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢٦١/١.

(٣) هو عبيد الله ابن أبي رافع المدني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان كاتب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وحضر معه وقعة الخوارج بالنهروان، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث. تاريخ يحيى بن معين ٣٨٢/٢، وطبقات ابن سعد ٢٨٢/٥، وتاريخ بغداد ٣٠٤/١٠.

(٤) هو الخليفة العباسي جعفر ابن المعتضد بالله أحمد ابن أبي طلحة بويج بعد أخيه المكتفي سنة ٢٩٥، وهو ابن ثلاث عشرة كان جيد العقل والرأي ولكنه كان يؤثر اللعب والشهوات، قُتل سنة ٣٢٠. تاريخ بغداد ٢١٣/٧، النجوم الزاهرة ٢٦٤/٣.

(٥) الأَخفش، هو ضعيف البصر خلقة، أو الذي يبصر بالليل دون النهار. مختار الصحاح ص ٧٦.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي ٢٦٣/١.

وقد اشتهر عن الإمام الذهلي جمال الخط، وحسن التقيد ولعل أول من انتبه لذلك علي بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره. الأمر الذي جعله يتوسم في الذهلي مخايل النجابة. وينصحه باستغلال هذه الموهبة في الرحلة والكتابة عن العلماء في الآفاق.

ويحكي لنا ابن الصلاح^(١). رحمه الله. في كتابه طبقات الفقهاء الشافعية عندما ترجم لمحمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني^(٢) أنه كان يحكي بخطه محمد بن يحيى الذهلي^(٣).

وهذا الأمر يصور لنا مدى إعجاب طلبه العلم بخط الذهلي وجودته حتى نقله ابن الصلاح في أخبار الرجال وقد استغل الإمام الذهلي هذا التمكن فسخره في العلم، فقيده عن مشايخه فلائذ علومهم وشوارد فهمهم، وأكثر من التلقي والكتابة عنهم حتى «صنفه ابن حبان فيمن أمعنوا في الكتابة»^(٤).

(ب) موهبة الحفظ وسعة الإدراك

لا شك أن قوة الحفظ، وسعة الإدراك والفهم من أكبر النعم التي يوليها الله سبحانه عباده. والإمام الذهلي قد أوتي حافظة قوية مع إتقان بارع فيما يحفظه كما قال عنه ابن حبان: "كان متقناً من الجماعين للحديث والمواظبين عليه"^(٥) وقد قال الإمام الزهري: "لا يولد الحافظ إلا كل أربعين سنة" فعلق

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهير زوري الفقيه الشافعي، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وعلوم الحديث. وتُعد سنة ٥٧٧. كَرَّرَ جميع المذهب ولم يطر شاربه، ثم صار معيداً عند العماد بن يونس. قال ابن الحاجب: إمام ورع وافر العقل، حسن السمات، متبحر في الأصول والفروع، توفي سنة ٦٤٣. وفيات الأعيان ٣/٢٤٣، طبقات المفسرين للداودي ٣٨٢/١.

(٢) سبق ترجمته ص ٨٤.

(٣) طبقات الفقهاء للشافعية ١/٢٨٩.

(٤) المجروحين من المحدثين ١/٥٧.

(٥) الثقات ٩/١١٥.

على قوله الإمام السيوطي قائلاً: فإن صح كان المراد رتبة الكمال في الحفظ والإتقان. ونقل معاني الحفظ عند الأئمة، فابن مهدي يقول: "الحفظ الإتقان": وأبو زرعة يقول: "الإتقان أكثر من حفظ السرد". وسأل النسفي صالح بن محمد: يحيى بن معين هل يحفظ؟ قال: لا، إنما كان عنده معرفة، قال: قلت: فعلي ابن المديني كان يحفظ قال: نعم ويعرف.

ولذا بين لنا السيوطي أن من يوصف بالحفظ والإتقان "ينبغي أن يجمع المتون والأسانيد، ومعرفة علوم الحديث كلها، ومعرفة الصحيح من السقيم، والمعمول به من غيره، واختلاف العلماء واستنباط الأحكام وما سوى ذلك..." (١)

وهذه شهادات الأئمة له بأنه من الحفاظ ويعقبها شهاداتهم له بالإتقان وقام الضبط.

قال ابن الجوزي: كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ المتقين (٢)، وقال ابن خلكان (٣): كان أحد الحفاظ الأعيان (٤). وقال ابن عبد الهادي (٥): شيخ الإسلام وحافظ نيسابور (٦)، وقال الذهبي: الإمام العلامة الحافظ البار (٧)، (١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٤٩/١ للحافظ السيوطي، تحقيق د. عبدالوهاب عبد اللطيف.

(٢) المنتظم ١٢/١٤٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان بن باول البرمكي الإربلي الشافعي. روى عنه البرزالي والمزي، وكان فاضلاً بارعاً متقناً، حسن الفتاوى، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس توفي سنة ٦٨١. فوات الوفيات ١٠٠/١ تأليف محمد بن شاكر الكشي، تحقيق إحسان عباس، النجوم الزاهرة ٧/٢٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٥/١٩٥.

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي أبو عبد الله المقدسي المقرئ المحدث الناقد النحوي له توسع في العلوم وذهن سيال وله محفوظات وتآليف وتعليق مفيدة. لازم ابن تيمية والمزي مدة. توفي سنة ٧٤٤. وفيات الأعيان ١/٤٥٧، شذرات الذهب ٦/١٤١.

(٦) طبقات علماء الحديث ٢/٢٠٩.

(٧) السير ١٢/٢٧٣، تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٠، الكاشف ٣/١٠٧.

وقال ابن حجر: الحافظ^(١)، وقال ابن تغري بردي^(٢): كان حافظ عصره.^(٣)

والإمام الذهلي كان على كثرة حفظه وقوته غاية في الضبط والإتقان والتميز والنقد لجميع المرويات، وسائر الرواة، وقد شهد له الإمام ابن حبان بالإمعان في الحفظ وهو لفظ يدل على المبالغة فقال: "... ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد في الأخبار، وانتقاء الرجال في الآثار جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلي. و... و... و... في جماعة من أقرانهم أمعنوا في الحفظ وأكثروا في الكتابة..."^(٤).

وشهد له ابن تيمية وناهيك بشهادته بأنه من حكام الحديث ونقاده وحفاظه العارفين بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال نقلة الأخبار. فقد ميز بين علماء التفسير الذين لا يعتنون غالباً بتمحيص المرويات، وبين علماء الحديث فقال: "... وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد مالأئمة الحديث كشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق، ومحمد بن يحيى الذهلي... و... وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأحوال من نقل العلم والحديث... الخ"^(٥).

(١) تهذيب التهذيب ٤٥٢/٩.

(٢) هو جمال الدين أبو المعاسن يوسف بن الأمير سيف بن تغري بردي الحنفي الإمام العلامة. انتفع بابن حجر وسمع كثيراً من كتب الحديث، وحبب إليه علم التاريخ فلازم مؤرخي عصره. توفي سنة ٨٧٤. شذرات الذهب ٣١٧/٧.

(٣) النجوم الزاهرة ٣/٣/٣٨.

(٤) المجروحين ٥٧/١.

(٥) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٣١٠/٧) للإمام ابن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

ويدل على سعة حفظه ما ذكره زنجويه قال : كنت أسمع مشايخنا يقولون :
الحديث الذي لا يعرفه محمد بن يحيى لا يعبأ به^(١) . ففي هذا القول إشارة إلى
تمام معرفته وإحاطته بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه أصبح مقياساً
لذلك فما عرفه أخذ به ، وما لم يعرفه يترك .

ولا يفوتنا التنبيه إلى أنه كان مفتي نيسابور والمقدم فيها ومعلوم أن الفتيا
تحتاج لحفظ المتن واستحضار الأحكام الفقهية وأقوال الصحابة والتابعين ، قال
السبكي في ترجمة محمد بن نصر المروزي^(٢) : " . . . كان هو المفتي والمقدم ،
بعد وفاة محمد بن يحيى . . . " ^(٣) .

(ج) علو الهمة والتفاني في الطلب

علو الهمة من صفات الكمال التي ينبئ بها الرجال ، وتتعب بها الأجساد ،
ويحصل بها المراد ، وصدق الشاعر حيث قال :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجساد^(٤)

والإمام الذهلي من ذلك الطراز الفريد من الرجال الأفذاذ الذين طابت
حياتهم بمكابدة الليل والنهار ، وقطع الفيافي والقفار ، طلباً للعلم ، وتحصيلاً
للقوائد ، واقتناصاً للفرائد ، واكتساباً لمعالي الأخلاق وكراماتها . كل ذلك لا يتأتى
إلا بالإخلاص والصبر ورجاحة العقل وطول الوقت .

(١) السير ١٢ / ٢٨٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٦ .

(٣) طبقات الشافعية ٢ / ٢٤٧ .

(٤) من قصيدة للمتنبي مدح بها سيف الدولة ومطلعها (أين أزمعت أي هذا الهمام) انظر ديوانه بشرح
أبي البقاء العكبري ٣ / ٣٤٣ .

فقد تكللت مواهب حسن الخط وقوة الحفظ لديه منذ صغره، بنفس عصامية وجدت من يوجهها لاستجماع العمر وحفظه بالرحلة والتحصيل، فاستحالت شعلة لا تنطفئ من النشاط والمتابعة والسؤال والكتابة.

فبعد أن نهل من علماء بلده نيسابور، وعل^(١) من معينهم، توجه لما جاورها من مدن خراسان، ثم وسّع رحلته إلى العراق والشام، ثم تاقت همته إلى مكة ومصر وصنعاء، والذهاب إليها في تلك الفترة مخاطرة لا يقدم عليها المرء لوحده لكثرة قطاع الطرق، فكان ينتظر الوفد في الحج ليصحبهم إلى مكة، وقد فاته بسبب ذلك لقاء سفيان بن عيينة.

قال الذهبي: ما كان يمكنه لقيّه، فإن سفيان مات في وسط السنة (أي سنة ١٩٨ أول ذهابه إلى البصرة) ولا كان يمكنه المسير إلى مكة إلا مع الوفد. (٢)

وأما رحلات اليمن، فكانت بصحبة جلة علماء نيسابور وبغداد كما سيأتي في رحلاته.

وكان مما يزيد همته في الطلب: فوات الأعيان اللذين كان يمكنه لقيهم لو استعجل لقاءهم.

يقول عن نفسه: "... ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى بن سعيد على باب البصرة (٣)" لذا نراه يطيل المكوث فيها ويروي عن أبي داود الطيالسي وأقرانه، ويكرر الرحلة إليها حتى قال أحمد بن محمد الأزهري: لمحمد بن يحيى ثماني عشر رحلة إلى البصرة (٤).

(١) علّ: العلل الشرب الثاني، يقال: علّ بعد نهل، وعلّه: سقاه السقية الثانية. مختار الصحاح ١٨٩.

(٢) السير ١٢/٢٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ٣/٤١٩، السير ١٢/٢٨٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣/٤١٩.

وكان من منهجه رحمه الله تعالى إذا دخل بلدًا من البلدان ألا يقنع بمجرد لقاء المشايخ وأهل العلم ورواية ما تيسر. بل يكثر عنهم وينوع الطرق ويقيد عن ثقاتهم فيحفظ ما قيد، ويحرص على الرواية حتى من الضعفاء ليستحضر أمامه كل ما يريد. ثم ينقده ويميز صحيحه من سقيمه لذا نراه يمتنع عن رواية بعض ما كتبه أو رواه في أول أمره، ثم تبين له فيه مانع من روايته.

فقد وصفه الذهبي بالاكثار عن عبد الرزاق في اليمن قال: «... وباليمن من عبد الرزاق فأكثر»^(١) ومن استعراض مروياته عن مشايخه يتضح إكثاره عنه حتى إنه ما كان يدعه في ليلة وداعه بين المغرب والعشاء وقد انتهى وقتها الإماء والسماع. وذلك يبين ما حظى به الذهلي من محبة وأثرة عند عبد الرزاق وقد عرف عنه التبرم من بعض الطلبة، والتمنع من الرواية^(٢).

قال الذهلي: «حدثني عبد الرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع»^(٣).

ويصور لنا نهمة في طلب العلم وتقييده حتى من الضعفاء ذلك الإلحاح على إبراهيم بن الحكم بن أبان^(٤) من مشايخه باليمن فتمنع عليه ولم يحدثه حتى روى الحديث من شيخ أوثق منه^(٥).

(١) السير ٢٧٤/١٢.

(٢) انظر تشفع طلبته بامراته كي يحدثهم، السير ٥٦٧/٩.

(٣) المتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ للإمام عبد الله بن علي بن الجارود، باعتناء لجنة من

العلماء. ص ٣٦٦.

(٤) هو إبراهيم بن الحكم بن أبان أبو إسحاق العدني، قال البخاري: سكتوا عنه، وقال الجوزجاني:

(مقاط). تهذيب الكمال ٧٤/٢.

(٥) التوحيد وإثبات صفات الرب ٤٨١/١ لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان.

وكما يلح على الضعفاء، نراه يجهد بالحاحه مع الثقات وذلك لنكتة في حديث ما توجب الحرص على روايته، وهذا حماد بن مسعدة^(١) أحد شيوخ الذهلي يتمنع عن الرواية له... وبعد جهد يحدثه... ويصور الذهلي هذه المعاناة فيقول: «... حدثني حماد بهذا الحديث^(٢) بعد جهد» والنكتة في هذا الإلحاح أن حماد بن مسعدة قد انفرد عن عبيد الله بن موهب^(٣) بالحديث. ورواية الأفراد عن الثقات تعتبر من معالي الأمور التي يرسل إليها. ولذا حصل الإمام الذهلي على وسام فخر وثناء من ابن عدي حيث قال: «وهذا الحديث جود إسناده محمد بن يحيى»^(٤).

ولعل السبب في بركة علم الإمام الذهلي - وانتشار ذكره وشهرته عند الجهابذة الكبار - ذلك التواضع الذي لم يصدّه عن الأخذ بمن يصغره، وذلك البذل والنصح، وتلك الصحبة والإفادة للغرباء^(٥) الذين لا يمكنهم طول الإقامة والثواء بغير بلدهم.

(١) هو حماد بن مسعدة أبو سعيد التميمي الحافظ. حدث عن هشام بن عروة وابن عون، وعنه ابن راهويه وأحمد. قال ابن حبان: من خيار أهل البصرة مات سنة ٢٠٢. مشاهير علماء الأمصار ص ٦٢ للإمام محمد بن حبان البستي، تصحيح م. فلايشهر.

(٢) والحديث هو ما رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب الطلاق، باب (٢٨) ١٦١/٦ وابن ماجه في العتق، باب من أراد عتق رجل وامرأته، ٨٤٦/٢، كلاهما من طريق عبيد الله بن موهب عن القاسم بن محمد. قال: كان لعائشة غلام وجارية، قالت: فأردت أن أعتقهما فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ابدئي بالغلام قبل الجارية. اللفظ للنسائي، وأخرجه من طريقه ابن عدي في ترجمة ابن موهب، الكامل ٣٢٨/٤.

(٣) هو عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب المدني. قال النسائي: ليس بذلك وقال أبو حاتم: صالح الحديث وروى الكوسج عن ابن معين: ثقة. الكامل في ضعفاء الرجال ٣٢٨/٤ للإمام أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني، باعتناء د. سهيل زكار، يحيى مختار، ميزان الاعتدال ٤٠٩/٣.

(٤) نفس المصدرين السابقين.

(٥) الغرباء: جمع غريب وهو البعيد عن وطنه، والغربة النزوح عن الوطن. لسان العرب ٦٣٩/١ وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم في الإيمان (٢٣٢) ١/١٣٠ من طريق أبي هريرة مرفوعاً: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وجاء وصفهم في الحديث الذي رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠) ١/١٩ (فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من ستي) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والمراد بهم هنا من يرحل ويغترب عن وطنه لطلب الحديث من الآفاق إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانظر ماساقه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث من أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم =

وقد عُلِمَ أن العلم لا يناله مستح ولا مستكبر، وأن المرء لن يتمكن فيه حتى يأخذه عمن هو فوقه وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. وقد أدرك الإمام الذهلي ذلك فتجده لا يأنف أن يطلب العلم بصدق وإخلاص من أقرانه في الطلب وإن صغروا عنه سناً.

قال أبو أحمد الحاكم: «كان محمد بن يحيى الذهلي يستعين بعربية أبي بكر الجارودي^(١) وبيته عنده^(٢)».

ويتواضع لقرينه الإمام البخاري لما ورد نيسابور قبل نشوب مسألة اللفظ بينهما، وقد ناف عمره على الخامسة والسبعين فيسأله أمام جموع الناس عن الأسامي والكنى وعلل الحديث والبخاري يصغره بنحو عشرين سنة.

قال أبو حامد الأعشى: «رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان^(٣) ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث...»^(٤). وهكذا طلب العلم لا يتوقف عند سن معينة، أو عن جماعة مخصوصة.

ولما رحل الذهلي بابنه يحيى من نيسابور إلى بغداد صاحبه جماعة من الغرباء، فلم يردّهم أو يعنفهم بل استشعر فضل الله عليه بمعرفة مسالك العلم وأهله، فبذل لهم الصحبة، ووعدهم بالإفادة عن أحمد بن حنبل وغيره من مشايخ بغداد والبصرة. فكانوا في الطريق يسألونه: أي حديث عند أحمد أغرب؟ فيقول: إذا دخلنا عليه، سألته عن حديث تستفيدونه... الخ وفي ثنايا قصته^(٥) مع أحمد صور من التحمل في سبيل الله، من إنكار الإمام أحمد لذلك

= باكرام أصحاب الحديث ص ٢١، ٢٢، ومعظمها عن أبي سعيد الخدري، وفيها ضعف شديد بسبب أبي هارون العبيدي.

(١) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٢) السير ٥٤٢/١٣.

(٣) هو سعيد بن مروان بن علي أبو عثمان، بغدادي سكن نيسابور، سمع سليمان بن حرب، والقعنبي. وعنه محمد بن نعيم ويعقوب بن يوسف الشيباني. توفي سنة ٢٥٢ وصلى عليه الذهلي. تاريخ بغداد ٩/٩١.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/٣١، السير ٤٥٥/١٢. طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٢٩.

(٥) سبق ذكرها ٨٩.

الطريق من حديث عمر في الإيمان . والصبر على همس الغرباء وقولهم : إنه ذكر الحديث غير مرة فلم يعرفه أحمد . . وهو ساكت لا يجيبهم ولما عاد بهم مرة أخرى أقر الإمام أحمد بروايته ذلك الطريق . . فلم يته الذهلي ولم ينبه شيخه لذلك النسيان ، فازداد إعجاب أولئك الغرباء بخلقه وتعجبهم من صبره . ولما أخبر أحمد بذلك لقبه بالعاقل . وإعجاب الآخرين يحتاج إلى صبر لأن النفس إذا اهتزت له فرحاً . بدأ الضعف يدب إليها ، والرياء يصيبها . وعليه فإن المرء بحاجة دائمة إلى تعاهد نفسه وتقويم صفاته .

وإن كان الذهلي قد جاب البلاد ، ودون ما رواه وسمعه من مشايخه وأقرانه ومن هم دونه فإن انتخاب ما رواه وانتقاه ، ومراجعة ما دونه وحفظه ، يحتاج لأوقات وهمة وصبر لأن المرء إذا بدأ بالتحديث فيجب عليه أن يعلم ما يحدث به ، فيضبطه ، ويصوبه لذا أطلق المحدثون هذه المقولة : «إذا كتبت قمم ، وإذا حدثت ففتش» (١) .

ويروي لنا حيكان ما كان يبذله والده الإمام من جهد ، ومتابعة ، وتصحيح ، وهو يصنف في دار كتبه . فيقول : « دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة ، وهو في بيت كتبه ، وبين يديه السراج ، وهو يصنف ، فقلت يا أبت ، هذا وقت الصلاة ودخان هذا السراج بالنهار ، فلو نفست عن نفسك . قال : يا بني ، تقول لي هذا وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين » (٢) !!

رحم الله الإمام الذهلي . . فقد وجه ابنه وقعد لطلبة العلم قاعدة صلبة . . من التفاني والصبر وتجاهل المتاعب والمشاكل . . من أجل الحفاظ على ميراث النبوة . والله تعالى أعلم .

(١) هذه المقولة أثرت عن أبي حاتم الرازي . انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي . ٢٢٠ / ٢ . ومعنى قمم أي أكتب كل ما تجده من دون تمحيص ، وأما إذا أردت أن تحدث الناس ففتش عن صحة الأحاديث
(٢) السير ٢٧٩ / ١٢ ، تذهيب التذهيب ٤ / لوجه ٩ مخطوط .

المبحث الثاني الرحلات العلمية

كانت الرحلة في طلب العلم من المعالم البارزة - كالإسناد وغيره - لهذه الأمة المجيدة فقد كان أهل العلم وهم صفوتها يخربون أصقاع الأرض إحياءاً لهذه السنة التي سنّها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . لما تفرقوا في مختلف البلاد إبان الفتوحات الإسلامية وتفرّق معهم العلم الذي نهلوه من مشكاة النبوة ومعينها الصافي (١).

لذا نراهم - عليهم رضوان الله - يرحلون الأيام والشهور، لطلب حديث واحد فاتهم سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم، أو لإتمام ضبطه، أو للسماع من الصحابة الكثيرين عنه الملازمين له صلى الله عليه وسلم.

فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله (٢) - يتتبع بعيراً ويشد عليه رحله ويسير شهراً إلى الشام متحملاً عناء السفر ليلتقي بالصحابي عبد الله بن أنيس (٣) - ويسمع منه حديثاً واحداً . . . قال جابر : . . . حتى قدمت الشام

(١) ضرب الخطيب البغدادي المثال لرحلة الأم السابقة في طلب العلم بموسى عليه السلام ورحلته إلى الخضر، ويأمر الله لداود عليه السلام بأن يتأهب للطلب بتعليق من حديد حتى تنخرق، وعصاً من حديد حتى تنكسر، أنظر الرحلة في طلب الحديث ص ٨٦، ٩٧ للخطيب البغدادي، تحقيق د. نور الدين عتر.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي أبو عبد الله، أحد الكثيرين عن النبي صلى الله عليه وسلم له ولأبيه صحبة . وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، مات سنة ٧٤ وله ٩٤ سنة. الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٥ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. طه محمد.

(٣) هو عبد الله بن أنيس الجهني أبو يحيى المدني، كان أحد من يكسر أصنام بني سلمة من الأنصار، صلى إلى القبلتين، ودخل مصر، وخرج إلى أفريقية، مات بغزة من أرض الشام سنة ٥٤. الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٧٧/٤) تحقيق د. باسم الجوابرة، الإصابة ٦/ ١٥.

فإذا عبد الله بن أنيس ، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب فرجع إليَّ الرسول فقال : جابر بن عبد الله . فقلت : نعم . فخرج إليَّ فاعتنقته واعتنقني قال : قلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمع أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يحشر الله تبارك وتعالى العباد عراة غرلاً»^(١) - بهما^(٢) - . . . »^(٣)

وهذا أبو أيوب الأنصاري^(٤) - رضى الله عنه يرحل إلى عقبة بن عامر^(٥) - رضى الله عنه في مصر ويسأله عن حديث في ستر المسلم^(٦) لم يبق أحد سمعه

(١) غرلاً: الغرل جمع أغرل وهو الأقف، والمراد غير مختنن والواحد أغرل . مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١٣٢/٢ للقاضي عياض بن موسى اليحصبي . النهاية في غريب الحديث والآثر ٣٦٢/٣ للإمام مجد الدين المبارك ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزواوي ، محمود الطناحي .
(٢) بهما : البهم جمع بهيم ، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه ، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض . الفائق في غريب الحديث ١٣٧/١ للعلامة جلال الدين محمد بن عمر الزمخشري ، تحقيق علي البجاوي ، محمد أبو الفضل . النهاية ١٦٧/١ .
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٩٥/٣ ، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الأدب المفرد ، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي (باب المعانقة ص ٣٣٧) وانظر جامع بيان العلم وفضله ٩٣/١ ، الرحلة في طلب الحديث ص ١١١ . وأخرجه الحاكم في مستدركه ٤٣٧/٢ ، ٤٣٨ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب . من بني مالك بن النجار أبو أيوب الأنصاري . نزل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، وأخذ ذات مرة من حبة الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال له : لا يصيبك سوء يا أبا أيوب . توفي في غزاة القسطنطينية سنة ٥٢ . الإصابة ٥٦/٣ .
(٥) هو عقبة بن عامر بن عيس الجهنني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ، كان قارئاً عالماً بالفرائض . . . والفقه ، فصيح اللسان شاعراً كاتباً ، أحد من جمع القرآن ، كان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق ، جمع له معاوية إمرة مصر وخراجها والصلاة ، ثم عزله ، الإصابة ٢١/٧ .
(٦) الحديث رواه أبو عبد الله الحميدي في مسنده ١٨٩/١ بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . برقم ٣٨٤ عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة » وانظر مسند الإمام أحمد ١٥٣/٤ ، وجامع بيان العلم ٩٣/١ ، والرحلة في طلب الحديث ص ١٢١ . وفي إسناد الحديث كما رواه الإمام الحميدي أبا سعد الأعمى ، وعند أحمد سمعت أبا سعيد ، فذكره بكنيته الأخرى ، قال ابن حجر في تعجيل المنفعة ص ٤٨٨ : أبو سعد المكي ويقال أبو سعيد الأعمى : ذكره أبو أحمد فيمن لم يعرف اسمه ، وقال المزني : لم أقف على روايته ، فالحديث على هذا ضعيف .

غيرهما . فسمعه منه ثم ودعه وركب راحلته وانصرف إلى المدينة وماحلَّ رحله . (١)

وهكذا يكون فعل هذين الصحابين وغيرهما تقعيدياً للأمة في أهمية الرحلة ورسماً لطريقها ، لذا نرى أجيال التابعين وأتباعهم قد سلكوا ذات الطريق فاتسعت الرحلة في عهودهم ، وقويت هممهم في تحصيل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذا سعيد بن المسيب يقول : «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد» (٢)

وهذا عبيدالله بن عدي بن الخيار (٣) - يقول : «بلغني حديث عن عليٍّ خفت إن مات ألا أجده عند غيره ، فرحلت حتى قدمت العراق . . . » (٤) ويرحل الحسن البصري إلى «كعب بن عجرة» (٥) - ليسأله عن فدائه لما حلق رأسه وهو محرم وقد أصابه القمل في رأسه وآذاه ، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يحلق ويفتدي . فأجابه أن فداءه شاة (٦)

(١) الرحلة في طلب الحديث ص ١١٨ .

(٢) الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٨ ، جامع بيان العلم وفضله ٩٤ / ١ .

(٣) هو عبيدالله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل القرشي قال ابن حبان : له رؤية . وله رواية عن عمر وعثمان وعلي والمقداد ، كان من فقهاء قريش وعلمائهم ، وقال العجلي : تابعي ، ثقة من كبار التابعين ، توفي سنة ٩٥ ، الإصابة ٢٢٣ / ٧ .

(٤) ساق الخطيب البغدادي خبر هذه الرحلة في كتابه الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٩ من طريق أيوب بن سويد ، كما رواه البخاري من طريق أبي جحيفة قال : سألت علياً . . . الخ . انظر الجامع الصحيح ، كتاب الديات ، باب العاقلة ٥٧ / ٨ .

(٥) هو كعب بن عجرة بن أمية البلوي حليف الأنصار ، قال البخاري مدني له صحبة يكنى أبا محمد ، شهد عمرة الحديبية ونزلت فيه قصة الفدية وهي مخرجة في الصحيحين ، قطعت يديه في بعض المغازي ، ثم سكن الكوفة ، الإصابة ٢٩٥ / ٨ .

(٦) ساق خبر هذه الرحلة الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٣ بإسناد غريب ، وأخرجه أيضاً ابن مردويه من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبان بن صالح عن الحسن البصري أنه سمع كعب بن عجرة يقول : . . . فذبحت شاة . انظر تفسير ابن كثير ٢٣٣ / ١ ، ولكن أصل حديث كعب بن عجرة موجود في صحيح البخاري ، كتاب المحصر ، باب الإطعام في الفدية ٢ / ٢٥٣ .

وقد يسمع أحدهم الحديث من رواية فيحتاج إلى ضبطه وتوثيقه ثانية فيرجل إليه كما فعل المغيرة بن مقسم^(١) - حين اكرى حماراً وصار إلى القادسية ليلاقي عمارة بن القعقاع^(٢) - فاستثبت منه ما سمعه سابقاً^(٣)

ويقول الشعبي^(٤) - : «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع»^(٥)

قال أبو حاتم بن حبان مادحاً فرسان هذا العلم وهم الراحلون إلى الأقطار لطلبه : «فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين ، وهدوهم إلى الصراط المستقيم . الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الديار والأوطان في طلب السنن في الأمصار ، وجمعها بالوجل والأسفار ، والدوران في جميع الأقطار ، حتى إن أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ البعيدة ، وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مُضِلٌّ في السنن شيئاً يُضِلُّ به ، وإن

(١) هو المغيرة بن مُقْسِم ، أبو هشام الضبي مولا هم الإمام الثقة الكوفي الأعشى ، يلحق بصغار التابعين ، حدث عن مجاهد ، والنخعي ، وعنه شعبة والثوري ، قال ابن معين : ثقة مأمون ، مات سنة ١٣٣ - طبقات خليفة ص ١٦٥ ، السير ١٠/٦ .

(٢) هو عمارة بن القعقاع بن شُبْرُمَة ، (الضبي) ، الكوفي ، أكثر عن أبي زرعة البجلي وروى عن أنس بن خليفة ، روى عنه السفينان ، وشريك ، وثقه ابن معين ، السير ١٤٠/٦ . والضبي بفتح الضاد ، وكسر الباء المشددة . الأنساب ١٠/٤ .

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٥ . وكان عمارة بن القعقاع قد روى حديثاً عن إبراهيم عن علقمة بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وتمر به الفتية من قرش فلا يتغير لونه ، وتمر الفتية من أهل بيته فيتغير لونه . . . الخ وقد ساق الخطيب الحديث من طريقين كلاهما ضعيف جداً لوجود محمد بن المهلب الحراني ، في الطريق الأول . وقد كان يضع الحديث (انظر الكامل لابن عدي ٢٩٥/٦ . ومحمد بن إبراهيم بن زياد ، وقد قال عنه الذار قطني : دجال يضع الحديث ، الضعفاء والمتروكون ص ٣٥٢ .

(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، ولد في خلافة عمر ، وأدرك خمسمائة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عاصم بن سليمان : ما رأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي ، قال خليفة : مات سنة ١٠٤ - طبقات خليفة (١٥٧) السير ٢٩٤/٤ .

(٥) جامع بيان العلم ص ٩٥ .

فعل فهم الذابون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكذب، والقائمون
بنصرة الدين»^(١)

وقد استشعر هؤلاء الجهابذة أنهم هم المعنيون بحفظ ميراث النبوة
لا غيرهم، فلم ينتظروا من يجمع لهم السنن ويستوثق لهم الأخبار، بل تركوا
الراحة والدعة، ونشطوا لهذا العمل الجليل، وتركوا من أجله أولادهم، وأنفقوا
فيه أموالهم لدرجه الإفلاس.

قال موسى بن داود: «أفلس الهيثم بن جميل^(٢) في طلب الحديث
مرتين»^(٣)

وتزداد أهمية الرحلة في طلب العلم كلما تأخر الزمان وكثر الوسطاء بين
الرسول صلى الله عليه وسلم والراوين عنه . . لقوة احتمال الغفلة والنسيان
والوهم، بل والوضع والكذب في رواية الأسانيد . . . لذا تسابقوا رحمهم الله
لطلب عوالي الحديث، واشتغلت قلوبهم بالأشواق إليها وإلى العلماء مهما
بعدت الديار.

قال وكيع رحمه الله: «كنت أرى ابن عون^(٤) - في النوم من شوقي إليه،
وأنا أختلف إلى الأعمش^(٥) -، فلما مات الأعمش رحلت إليه فسمعت منه».

(١) المجروحين ٢٧/١.

(٢) هو الهيثم بن جميل الإمام الثبت أبو سهل الأنطاكي، حدث عن الليث ومالك، وعنه ابن حنبل
ويوسف بن مسلم، قال الدارقطني: ثقة حافظ، توفي سنة ٢١٣هـ، تاريخ بغداد (٥٦/١٤)
تهذيب الكمال ٣٠/٣٦٥.

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ٢٠٥.

(٤) هو عبد الله بن عون بن أربطبان، الإمام القدوة أبو عون المزني مولاهم، حدث عن الشعبي،
وابن سيرين، وعنه سفيان وشعبة، قال ابن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون،
توفي سنة (١٥١)، السير ٦/٣٦٤.

(٥) هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، شيخ المقرئين والمحدثين،
روى عن النخعي وزر بن حبيش وعنه أبو إسحاق السبيعي وشعبة، وكان على إمامته مدلساً،
توفي سنة ١٤٨ بالكوفة، التبيين لأسماء المدلسين ص ٣١ لسبط ابن العجمي الشافعي، تحقيق
يحيى شفيق. السير ٦/٢٢٦. وانظر ضبط السبيعي في الأنساب ٣/٢١٨.

وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين اتسعت الرحلة وكثر الراحلون الأمر الذي أحدث إزدهاراً مطّرداً، وحركة علمية مُرشدّة وقوية. والإمام محمد بن يحيى الذهلي أحد أعلام الحديث، الذين عاشوا في هذين القرنين وكانت له رحلات واسعة ولقاءات كثيرة بأساطين الرواية والدراية في العالم الاسلامي آنذاك ولكثرة رحلاته صنّفه الرامهرمزي ضمن طبقات الراحلين إلى الأقطار فقال:

الطبقة الرابعة:

«محمد بن يحيى النيسابوري، جمع بين العراق ومصر واليمن والشام»^(١)

ووصفه ابن حبان «بأنه ممن أفرطوا في الرحلة»^(٢)

وقال الذهبي «وله رحلة واسعة»^(٣)

وذكر عن نفسه عدد مرات خروجه لطلب العلم، ومقدار ما أنفق من المال.

قال: «إرتحلت ثلاث رحلات، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً»^(٤)

وكانت سنه حين بدأ الرحلة تناهز الخامسة والعشرين، وكان آنذاك قد نهل من علوم مشايخ نيسابور وارتوى ولم يكن بدّ من ارتحاله لطلب العوالي ولقاء الأئمة، كما قال ابن الصلاح: (وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي يبيلده فليرحل إلى غيره)^(٥).

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ٢٣٢ للإمام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب.

(٢) المجروحين ١/ ٥٧. (٣) تذهيب التهذيب ٤/ لوحة ٩ مخطوط.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩، تذهيب التهذيب ٤/ لوحة ١٠ مخطوط، السير ١٢/ ٢٨٣، الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ٥/ ١٨٦.

(٥) علوم الحديث ص ٢١٠ المعروف (بمقدمة ابن الصلاح) للإمام الحافظ أبي عمرو بن الصلاح، باعتناء د. الطباخ.

وكان الإمام علي بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره هو الذي حرص الذهلي وشجّعه على اغتنام الليالي والأيام بالرحلة في طلب العلم ولقاء الأكابر الأحياء الذين يروي عنهم مشايخه بنيسابور^(١).

وهذا استعراض رحلاته وخط سيره وبعض من روى عنهم في المدن التي دخلها على سبيل المثال لا الحصر، وقد حاولت بيان خط سيره حسب التسلسل الزمني لتلك الرحلات المباركة... استنباطاً من كلام محمد بن النضر الجارودي^(٢)، والإمام الذهبي اللذين بيّناها بحروف العطف مثل الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وثمّ الدالة على الترتيب والتراخي^(٣) - الأمر الذي يدل على وقوفهما على زمانها بدقة. واستنتاجاً من التواريخ التي بينها المحدثون كالإمام أحمد، والمؤرخون كالإمام الذهبي وسواهما. وقد سبق قوله عن نفسه: «... ارتحلت ثلاث رحلات»

وخرجت من كل ذلك بتصور تقريبي لهذه الرحلات الثلاث وأرجو أن يكون قريباً من الصواب.

الرحلة الأولى: من نيسابور إلى أصبهان ثم الري ثم البصرة ثم الكوفة ثم واسط وآخرها بغداد.

الرحلة الثانية: من بغداد إلى اليمن ثم مكة ثم المدينة.

الرحلة الثالثة: بعد تصنيف الزهريات، خرج من نيسابور ليعرضها على علماء العراق مثل علي ابن المديني وأقرانه ثم واصل رحلته إلى مصر ليذاكر أحمد بن صالح المصري الزهريات ثم رحل إلى الشام ثم الجزيرة.

(١) انظر ص ١٠٤ من هذه الرسالة.

(٢) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٣) السير ٢٧٦/١٢، وانظر شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٠٢، ٣٠٣ لابن هشام: تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد.

ولا شك أنه قد تخلل هذه الرحلات الثلاث الكبرى رحلات متعددة لكل بلد من تلك البلدان كما أنه جلس للتحديث في بعضها .
وأبدأ عرض ذلك ببلده نيسابور الذي شرع بطلب العلم فيه .

١ - طلبه العلم في نيسابور

كانت نيسابور في عهد الإمام الذهلي المنافس الأول لبغداد في العلم والعلماء، وقد سمّاها الإمام الذهبي « دار السنة والعوالي » لتشدّد أهلها في السنة وتحصيلهم عالي الأسانيد، وقد زاد من أهميتها في زمن الذهلي إنتقال دار الحكم والإمارة لخراسان من بلخ ومرو إليها حتى إنتهاء الدولة الطاهرية (بعد وفاة الذهلي بسنة واحدة) مما جعلها محط أنظار التجار . فعمرت واشتهر رجالها بالعلم وكانت كما قال الحميري : فيها من الأئمة والعلماء والسادة والكبراء خلق لم يجتمع في سواها . (١)

وقد سمع الإمام الذهلي فيها من الحفصين، حفص بن عبد الله، وحفص بن عبد الرحمن، والحسين بن الوليد، وعلي بن إبراهيم البناني، ومكي بن إبراهيم، وعلي بن الحسن بن شقيق، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى النيسابوري . وبقي الذهلي يطلب فيها العلم على جلة علمائها من صباه حتى عام ١٩٧ هـ حيث بدأ رحلاته وجولاته فيما حولها من المدن .

٢ - رحلته إلى أصبهان (٢)

تعتبر أصبهان من المدن المشهورة بالعلم والآثر، ولذا ذكرها الإمام الذهبي في الأمصار ذوات الآثار فقال : « وأصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علو

(١) الأمصار ذوات الآثار ص ٢٠٥ للحافظ الذهبي، تحقيق محمود الأرناؤوط، الروض المعطار . ص ٥٨٨ .

(٢) أصبهان مدينة عظيمة من أعلام المدن وأعيانها وهي إسم لإقليم كبير . وهي لفظ معرّب من (سباهان) بمعنى الجيش فيكون إسمها مدينة الجيش . مراصد الإطلاع ٨٧/١ . ويبدو أنها =

الإسناد وكثرة الحديث» (١) وقد روى الذهلي فيها عن الحسين بن حفص،
وعبدالرحمن بن مهدي كما ذكر الحاكم، وتعقبه الذهبي رحمه الله قائلاً :
وأحسبه لقيه بالبصرة فإنه يقول «أي الذهلي» : قدمت البصرة فاستقبلتني جنازة
يحيى بن سعيد القطان، وكانت في صفر من سنة ثمان، وعاش بعده عبدالرحمن
خمسة أشهر فأكثر عنه، وهو أقدم شيخ له وأجلهم (٢).

ولا تعارض يذكر بين روايته عن شيخه عبدالرحمن في أصبهان وروايته
عنه بالبصرة فإن لقاءه إيَّاه في أصبهان كان سنة ١٩٧ هـ ولعله كان مقيماً بها آنذاك
ثم عاد إلى بلده البصرة فلزمه الذهلي وأخذ عنه ثانية . وقد كان من المتبع
والمعارف عليه في تلك العهود أن الشيخ إذا علا مقداره في العلم يحدث في كل
بلد يدخله إذا شاء .

= أول البلدان التي رحل إليها بدليل قصته مع اللبقي التي نقلها الحاكم عن محمد بن صالح بن هانئ
عن الجارودي وفي آخرها قال : « . . . فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان فسمع من . . . » السير
٢٧٦/١٢ ولعل رواية الجارودي أقرب من قول الذهبي : « ارتحل سنة ٩٧ هـ سنة موت وكيع ،
فكتب بالرِّي . . وكتب بأصبهان » السير ٢٧٣/١٢ لأن رواية الجارودي فيها التصريح بخروجه
مباشرة إلى أصبهان، وقول الذهبي فيه التصريح بسنة الإرتحال وكتابه في البلدين مع قريبهما،
والأمر سهل، ولا يترتب عليه كبير عمل .

(١) الأمصار ذوات الآثار ص ١١٥ .

(٢) السير ٢٧٤/١٢ .

٣- رحلته إلى الرِّيِّ:

مدينة الرِّيِّ من ديار العلم التي خرج منها كبار العلماء والأئمة كأبي زرعة^(١)، وأبي حاتم^(٢)، وإبنيه^(٣)، صاحب الجرح والتعديل، ومثل ابن وارة^(٤) رحمهم الله أجمعين، قال الإمام الذهبي: صارت دار علم بجريير بن عبد الحميد^(٥) وأمثاله. وقد رحل إليها الإمام الذهلي رحمه الله تعالى وحدث بها عن شيخه يحيى بن الضريس^(٦)، وقد وردها الذهلي مرة أخرى وجلس للتحديث بها وقرأ عليه ابن أبي حاتم الرازي بحضرة أبيه وأبي زرعة^(٧)

-
- (١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ محدث الرِّيِّ، طلب الحديث وهو حدث ورحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وغيرها. قال ابن أبي شيبه: ما رأيت أحفظ من أبي زرعة، توفي سنة ٢٦٤هـ، طبقات الخنابلة ١/٣٢٤، السير ١٣/٦٥.
- (٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الغطفاني، كان من بحور العلم، طُوف البلاد، قال اللالكائي: كان أبو حاتم إماماً حافظاً مثبِتاً، السير ١٣/٢٤٧، البداية والنهاية ١١/٥٩.
- (٣) عبد الرحمن العلامة الحافظ يكنى أبا محمد، قال أبو الحسن الخطيب: كان قد كساه الله نوراً وبهاءً، يسر من نظر إليه. رحل به أبوه قبل أن يحتلم، قال الذهبي: كان بحرأ لا تكدره الدلاء، توفي سنة ٣٢٧هـ، السير ١٣/٢٦٣ - البداية والنهاية ١١/١٩١.
- (٤) هو محمد بن مسلم بن عثمان أبو عبد الله الرازي الحافظ المجود قال الذهبي: كان يضرب به المثل في الحفظ، على حمق فيه وتيه، وقال عبد المؤمن بن أحمد: كان أبو زرعة لا يقوم لأحد، ولا يجلس أحداً في مكانه، إلا ابن وارة توفي سنة ٢٦٧هـ. طبقات الخنابلة ١/٣٢٤، السير ١٣/٢٨.
- (٥) هو جريير بن عبد الحميد بن يزيد أبو عبد الله الضبي الكوفي، نزل الرِّيِّ، ونشر بها العلم، قال ابن سعد: كان ثقة كثير العلم، يرحل إليه، مات سنة (١٨٨) السير ٩/٩.
- (٦) هو يحيى بن الضريس بن يسار، قاضي الرِّيِّ، أبو زكريا البجلي، قال ابن معين: ثقة. توفي في ربيع الأول سنة (٢٠٣) السير ٩/٤٩٩.
- (٧) الجرح والتعديل: ٩/١٨٦.

٤- رحلته إلى البصرة

ويظهر أن الإمام الذهلي قد تراث في الرِّي وأصبهان وأكثر عن مشايخها ثم توجه تلقاء البصرة والتي كانت مركزاً هاماً وحيوياً ارتفعت أعلام العلم والفضل فيها قبل بغداد بآماد . فقد انتعشت بكبار الصحابة كأبي موسى الأشعري وعتبة بن غزوان الذي اختطها، وعمران بن الحصين وخاتمهم خادم الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك . . . وما زال العلم بها يزدهر وينمو على يدي التابعين كالحسن البصري وابن سيرين ومن تبعهم إلى رأس المئة الثالثة . ثم تناقص شأنها جداً،^(١)

وكانت الآمال تحدو الإمام الذهلي للقاء شيخ البصرة وإمامها الكبير يحيى ابن سعيد القطان والذي حثه على السماع منه علي بن سلمة اللبقي ويروي رحمه الله لنا أنه أدركه ولكن محمولاً على الأكتاف قال : . . . ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى القطان على باب البصرة، وذلك في صفر سنة ١٩٨ هـ^(٢) ، وكان لوفاة القطان ذلك الأثر الكبير على الذهلي وهو في طليعة رحلاته العلمية الأمر الذي شحذ همته للتلقي عن غيره من علمائها . فلازم عبدالرحمن بن مهدي وأكثر عنه والذي وافته منيته بعد القطان بأربعة أشهر في جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ^(٣) رحمهما الله وكان الذهلي قد روى من مناقبه العلمية جودة حفظه وكثرته، قال : ما رأيت في يد عبدالرحمن بن مهدي كتاباً قط . . . «^(٤)، ولما فاته ابن مهدي أيضاً أمعن في لقاء كبار مشايخها فروى عن محمد بن بكر

(١) الأمصار ذوات الآثار بتصرف يسير ص ٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٤١٩/٣ ، السير ٢٨٣/١٢ ، تهذيب التهذيب ٥١٥/٩ .

(٣) مشاهير علماء الأمصار ص ١٦٣ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٠/١ .

(٤) السير ٢٨٣/١٢ .

الباب الثاني

حياته العلمية والاجتماعية والفكرية
وتحته تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : عوامل بروز شخصيته العلمية .

الفصل الثاني : مكانته العلمية والاجتماعية وآثاره .

الفصل الثالث : حياته الفكرية .

الفصل الرابع : بسط القول في مسألة اللفظ بالقرآن

وما وقع بين الإمامين الذهلي والبخاري

بسببها ، وأثرهما في صفوف المحدثين .

الفصل الأول

عوامل بروز شخصيته العلمية

وشمل المباحث التالية :

المبحث الأول : الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية .

المبحث الثاني : الرحلات العلمية .

المبحث الثالث : مشايخه .

المبحث الرابع : تلاميذه .

تهيد

من المتعارف عليه إذا برزت في مجتمع من المجتمعات شخصية لامعة ذات صفات يشاد بها - سواء في السياسة والحكم، أو العلم والتعليم، أو ما سوى ذلك - أن تحاط تلك الشخصية بالدراسة والعناية لمعرفة عوامل ظهورها.

ونيسابور مع أنها كانت بعيدة نسبياً في موقعها الجغرافي عن منابع العلم الأولى - كالمدينة، ومكة، والبصرة، والكوفة، وصنعاء، ودمشق - حيث ترعرع العلم على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم والتابعين لهم، إلا أنه أصبح لها فيما بعد شأنًا عظيمًا قبل مولد الذهلي بزمن. وأضحت منارة المشرق قاطبة، وقد سبقت الإشارة إلى أنها دار السنة والعوالي، وأنها انتعشت بطبقة إبراهيم بن طهمان، وحفص بن عبد الله، ثم طبقة يحيى بن يحيى وابن راهويه، ثم بطبقة الذهلي الذي نشأ في أجواء علمية قوية، ومنهج سلفي قويم.

وهذا بلا شك عامل قوي من عوامل بروز الإمام الذهلي وتشدده في منهج السلف، وهو عامل اجتماعي.

وهناك عامل شخصي، وهو أن الإمام الذهلي كان ذا همة عالية ساقته إلى الحركة الدؤوبة والرحلة وبذل الجهد والمثابرة.

وإنَّ عالماً كالإمام الذهلي طار صيته في البلاد، ورحل إليه طلبة العلم، وعرف بتشده في قضايا العقيدة، وجمع مواهب حسن المناظرة، وحسن التقديد، والأدب بين يدي العلماء، لا بد أنه قد تلقى تربية وعناية من جهات أسرية أو قريية، تشرف على متابعة توجهه العلمي، ذلك التوجه الذي أحله مثل مكانة مالك في المدينة، وأحمد في بغداد، ولكن المصادر لم تبن من ذلك شيئاً، كما هو مطرد في غالب تراجم العلماء، إلا ما كان من أحد الحضور في حلق

العلم عند مشايخه ، والذي حثه على الرحلة وقد بلغ مبلغاً يحسن فيه أن يرحل ويستفيد من غير مشايخ بلده ، وذلك لما رأى عليه علامات النبوغ .

ومن خلال فصول ومباحث هذا الباب نصحب الإمام الذهلي في حياته العلمية ، وحياته الفكرية والاجتماعية ، لنرى علماً من أعلام أمتنا المجيدة الذين بذلوا الغالي والنفيس ، والوقت والجهد بما يعود عليهم وعلى أمتهم بالخير والسودد ، كل ذلك حفظاً للدين ، وترسيخاً لثوابته ، وتعميماً لشموله ، ووقوفاً عندما يجب الوقوف عنده ، وبياناً لما ينبغي بيانه ، علماً وعملاً وهداية .

المبحث الأول الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية المطلب الأول الدوافع الإجتماعية

إنَّ اهتمام سلفنا الصالح بأبنائهم تربيةً وتنشئةً وتوجيهاً أمر بات معلوماً بالضرورة للقاصي والداني، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، فالأمة أجمع تمجد العلم وتقدمه على المال، والخلود للدعة والراحة. وإدراكهم هذا لأهمية التربية والتعليم والانضباط؛ جعلهم يدفعون أبناءهم من قبل السابعة للمساجد والكتاتيب، لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الحساب، ثم الإنضمام لحلق العلم، والمثول بين يدي مشايخ البلد، بعد معرفة آداب طلب العلم على اختلاف أنواعها. . . وتقييد العلم عنهم بالأسانيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتابعيهم.

ويتولى ذلك كما سبقت الإشارة إليه الأبوان أو أحدهما. . . أو أحد الأقارب، أو أهل الخير من العلماء وخلافهم.

ولم تفصح لنا المصادر عن مباشر توجيه الذهلي في صغره إلى العلم، وحضور مجالسه، وقد اشتهر عنه كما سيأتي جمال الخط وقوة الحفظ وهذه أمور لا تتوافر الهمم عليها إلا في الصغر لما تحتاجه من صبر وتفرغ وتمرس. . . وإن ولادة الذهلي في بيئة مثل نيسابور إرتفعت أعلام العلم فيها قبله بأمد وظللتها السنة النبوية واتسم أهلها بشدة الدفاع عنها. كما قال الذهبي: «وكانت السنة قائمة الدولة بالأندلس وخراسان، وقلَّ أمرها وضعف بمصر والشام والمغرب والعراق، وما ذاك إلا لظهور دولة الشيعة والعبيدية. . .»^(١) لا بد أن تطبعه

(١) رسالة "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل" ص ١٩٦ ضمن أربع رسائل حققها الشيخ أبو

غلة".

بطابعها، وأن تفتح أمامه آفاق المعرفة، وأبواب العلم كغيره ممن سبقه أو لحقه من أهل تلك الناحية. . وأمضى الذهلي صباه وهو ينهل من مشايخ نيسابور - مثل يحيى بن يحيى وابن راهويه - العلوم ويُسود دفاتره بمختلف الفنون، ويشاء الله أن يجمعه لقاء مع علي بن سلمة اللبقي^(١) في أحد مجالس شيخهما يحيى بن يحيى النيسابوري، فيلفت نظره جمال خط الذهلي وحسن تقييده، ويلمح فيه علامات النبوغ، والصدق في الطلب، والشباب الناضر فقد قارب الذهلي آنذاك الخامسة والعشرين من عمره. . فيسديه نصيحة غالية لاقت منه قلباً عقولاً. . وهمة عالية. . ورغبة جموحاً.

قال الحاكم: قال محمد بن صالح بن هاني. سمعت محمد بن النضر الجارودي يقول: بلغني أن محمد بن يحيى كان يكتب في مجلس يحيى بن يحيى، فنظر علي بن سلمة اللبقي إلى حسن خطه وتقييده فقال: يا بني ألا أنصحك؟ إن أبا زكريا يحدثك عن سفيان بن عيينة^(٢) وهو حي، وعن وكيع^(٣)

(١) هو علي بن سلمة اللبقي النيسابوري، روى عن ابن عليّ وزيد بن الحباب، وعنه ابن ماجه وابن خزيمة، قال ابن زهير: أنا حملت أصول علي بن سلمة إلى محمد بن إسماعيل فانتخبت منها، وأنا ذهبت معه حتى سمعنا منه، وقال أبو حاتم السلمي: سمعت مسلم بن الحجاج يوثق علي بن سلمة. تهذيب التهذيب ٢٨٧/٧. واللبقي، بفتح اللام والباء الموحدة، انظر الأنساب ١٢٧/٥.

(١) هو سفيان بن عيينة ابن أبي عمران الهلالي مولا هم أبو محمد كوفي سكن مكة، ثقة، ثبت في الحديث، وكان يُعد من حكماء الحديث، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لضاع علم الحجاز. كان عالماً ناقداً، وزاهداً عابداً. توفي أول رجب سنة ١٩٨. تاريخ الإمام الحافظ يحيى بن معين ٢١٦/٢، تحقيق د. أحمد نور سيف. تاريخ الثقات للعجلي ص ١٩٤ مقدمة المعرفة للجرح والتعديل لابن أبي حاتم، تحقيق الشيخ عبدالرحمن المعلمي، ص ٣٢، المنتظم ٦٦/١٠.

(٣) هو وكيع بن الجراح بن عدي بن فرس أبو سفيان الرؤاسي، قال علي ابن المديني: وكيع من الثقات، وقال العجلي: ثقة عابد صالح، من حفاظ الحديث. وكان ابن عيينة يبجله ويقول: إني لأنس بك وأنت في الكوفة. توفي سنة ١٩٧. تاريخ الثقات ص ٤٦٤ للإمام العجلي، بترتيب أبي بكر الهيثمي، وتعليق د. عبد المعطي قلعجي، مقدمة الجرح والتعديل ص ٢١٩، المنتظم ٤٢/١٠.

وهو حي بالكوفة، وعن يحيى بن سعيد^(١) وجماعة أحياء بالبصرة، وعن عبد الرحمن بن مهدي^(٢) وهو حي بأصبهان. فخرج في طلب العلم ولا تضييع أيامك. فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان، فسمع من عبد الرحمن بن مهدي، والحسين بن حفص^(٣)، ثم دخل البصرة وقد مات يحيى، فكتب عن أبي داود (هو الطيالسي) وأقرانه. . وأطال المقام بها، حتى مات سفيان بن عيينة^(٤).

وتتوالى من ذلك اللقاء رحلات الذهلي إلى الآفاق، وتتسع مداركه، وتنوع مشاربه حتى عُدَّ في طبقات الراحلين إلى الأقطار كما سيأتي بيانه.

وما علم علي بن سلمة - رحمه الله تعالى - ماذا سيكون للذهلي من شأن حين أسداه نصحه؟! وحثه على الرحلة واغتنام الليالي والأيام في الرحلة ولقاء الأكابر وتحصيل العالي من الأسانيد. وكان لسان حاله يقول: (لعل الله أن ينفع بك. .) فقد أصبح له شأنًا عظيمًا وذكرًا كبيرًا، ونظم اسمه في سلك العلماء الأفاضل، والجهايزة^(٥) الكبار، وصار عمدة علماء عصره قاطبة. في حديث

(١) هو يحيى بن سعيد بن فروخ أبو سعيد التميمي مولا هم البصري الأحول القطان. أمير المؤمنين في الحديث، قال أحمد بن حنبل إليه انتهى في الثبت، وقال ابن المديني: ما رأيت أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد، قال: ما رأيت أحداً أنفع للإسلام وأهله من يحيى بن سعيد القطان. توفي في صفر سنة ١٩٨ هـ. تاريخ الثقات ص ٤٧٢. مقدمة المعرفة للجرج والتعديل ص ٢٣٢، السير ١٧٥/٩، شذرات الذهب ٣٥٥/١.

(٢) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد العنبري الإمام الناقد المجود، قال الشافعي: لا أعلم له نظيراً في هذا الشأن وقال ابن المديني: كان علم عبد الرحمن في الحديث كالسحر، وقال أحمد: عبد الرحمن ثقة خيار صالح ملم، من معادن الصدق. توفي في جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ. تاريخ الثقات ص ٢٩٩، السير ١٩٢/٩، شذرات الذهب ٣٥٥/١.

(٣) هو الحسين بن حفص بن الفضل أبو محمد الهمداني الأصبهاني، أصله كوفي، وكانت إليه رئاسة أصبهان وقضاؤها وأمر الفتوى، قال أبو حاتم: محله الصدق. . وقال أبو نعيم: وجه الناس وزينهم وكان دخله كل سنة مائة ألف درهم، وكانت جوائزته وصلاته دارة على المحدثين وأهل العلم. أخبار أصبهان ٢٧٤/١، السير ٣٥٦/١٠.

(٤) السير ٢٧٦/١٢.

(٥) الجهايزة جمع جهيد وهو النقاد الخبير. القاموس المحيط ٣٥٢/١.

الزهري^(١) كما سيأتي بيانه بشهاداتهم وثنائهم، ومرجع من بعدهم^(٢) قروناً متطاولة لتجويده جمع حديثه واستخراج علله، ويظهر لي أن الناصح والمنصوح قد صدقا الله في القول والعمل، فجعل سبحانه من وراء تلك الكلمات خيراً كثيراً ونفعاً عظيماً.

وهكذا تكون أمة الإسلام أمة تعاون وبر وصدق ونصح ورحمة من الكبير، وسماع واحترام من الصغير ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

(١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري. أحد الأعلام. انظر ترجمته بتوسع في مبحث آثاره تحت عنوان مدى اهتمام الإمام الذهلي بالإمام الزهري وزهرياته ص ٢٣٥.

(٢) كاليهقي في مواضع كثيرة من سننه، وابن حجر في شرحه لصحيح البخاري، وستأتي الإشارة إلى ذلك في موضعه المناسب ص ٢١٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠.

المطلب الثاني المواهب الذاتية

يمتَن المولى على من يشاء من عباده بما يشاء من نعم وفضائل ، وذلك لبيتلي الصابرين ويزيد حمد الحامدين . . . كما قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾^(١) ومن حمد الله وشكره على نعمه استعمالها فيما يرضيه .

والإمام الذهلي قد منَّ عليه المولى عز وجل بنعم إدَّخر شكرها باستغلالها فيما يرضي منعمها ، ويعود عليه بالنفع والسداد والذكر الحسن . و ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾^(٢) ومن ذلك :

(أ) موهبة جمال الخط وحسن التقيد

جمال الخط وتجويده نعمة تستحق الشكر ، لأنه مما يسرُّ كل امرئ ينسب إليه . ولأهمية هذا الفن ، وعظيم أثره عقد له الخطيب البغدادي باباً في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع^(٣) . نقل فما اهتمام السلف من الصحابة ومن تبعهم بالاعتناء به وتوضيحه ومن ذلك ما فسَّر به ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾^(٤) قال جودة الخط^(٥) .

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

(٢) سورة الجمعة آية : ٤ .

(٣) وهو الباب الرابع عشر (باب تحسين الخط وتجويده) ٢٥٩/١ بتحقيق الدكتور محمد الطحان .

(٤) سورة الأحقاف آية : ٤ .

(٥) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ومنيع الفوائد ١٠٨/٧ : قوله تعالى : (أو أثارة من علم) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (أو أثارة من علم) قال الخط ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، ولفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الخط فقال ؟ : هو أثارة من علم ، وفي رواية في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (أو أثارة من علم) قال : جودة الخط ، ورجال أحمد للحديث المرفوع رجال الصحيح . وقال الإمام أحمد في مسنده : حدثني يحيى عن سفيان ثنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، قال سفيان : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثارة من علم قال الخط . المسند (١/٢٢٦) .

وقال حنبل بن إسحاق^(١): رأني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطأ دقيقاً فقال: لا تفعل!! أحوج ما تكون إليه يخونك^(٢). وللخط الحسن أوصاف وعلامات يعرفها الخطاطون أهل هذا الشأن، وقد أثر عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك وصايا وتعليمات لكتابه عبيد الله ابن أبي رافع^(٣)، وبين بعض كتاب المقتدر^(٤). متى يجوز أن يوصف الخط بالجودة؟ فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألف ولامه، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنقاشه، ولم تختلف أجناسه. أسرع إلى العيون بصوره، وإلى العقول بشمره، قدرت فصوله، واينعت وصوله، وبعد عن حيل الوراقين وعن تصنع المتصنعين كان حينئذ كما قلت في حسن الخط:

إذا ما تجلَّلَ قرطاسُهُ وساوره القلم الأبرشُ
تضمنَ من خطِّه حلَّةً كنقش الدنانير بل أنقش
حروف تعيد لعين الكليل نشاطاً، ويقرؤها الأخفش^{(٥)(٦)}

(١) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد وتلميذه. كان فقيراً ثقة ثباتاً، قرأ أحمد عليه وعلى ابنه صالح وعبد الله المسند بتمامه، كان يتفرد ويغرب في مسائله عن أحمد. السير ٥١/١٣، النجوم الزاهرة ٨١/٣٥، شذرات الذهب ١٦٣/٢.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢٦١/١.

(٣) هو عبيد الله ابن أبي رافع المدني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان كاتب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وحضر معه وقعة الخوارج بالنهروان، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث. تاريخ يحيى بن معين ٣٨٢/٢، وطبقات ابن سعد ٢٨٢/٥، وتاريخ بغداد ٣٠٤/١٠.

(٤) هو الخليفة العباسي جعفر ابن المعتض بالله أحمد ابن أبي طلحة بويج بعد أخيه المكتفي سنة ٢٩٥، وهو ابن ثلاث عشرة كان جيد العقل والرأي ولكنه كان يؤثر اللعب والشهوات، قُتل سنة ٣٢٠. تاريخ بغداد ٢١٣/٧، النجوم الزاهرة ٢٦٤/٣.

(٥) الأخفش، هو ضعيف البصر خلقة، أو الذي يبصر بالليل دون النهار. مختار الصحاح ص ٧٦.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي ٢٦٣/١.

وقد اشتهر عن الإمام الذهلي جمال الخط ، وحسن التقييد ولعل أول من انتبه لذلك علي بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره . الأمر الذي جعله يتوسم في الذهلي مخايل النجاة . وينصحه باستغلال هذه الموهبة في الرحلة والكتابة عن العلماء في الآفاق .

ويحكي لنا ابن الصلاح^(١) - رحمه الله - في كتابه طبقات الفقهاء الشافعية عندما ترجم لمحمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني^(٢) أنه كان يحكي بخطه محمد بن يحيى الذهلي^(٣) .

وهذا الأمر يصور لنا مدى إعجاب طلبه العلم بخط الذهلي وجودته حتى نقله ابن الصلاح في أخبار الرجال وقد استغل الإمام الذهلي هذا التمكن فسخره في العلم ، فقيده عن مشايخه قلائد علومهم وشوارد فهمهم ، وأكثر من التلقي والكتابة عنهم حتى «صنفه ابن حبان فيمن أمعنوا في الكتابة»^(٤) .

(ب) موهبة الحفظ وسعة الإدراك

لا شك أن قوة الحفظ ، وسعة الإدراك والفهم من أكبر النعم التي يوليها الله سبحانه عباده . والإمام الذهلي قد أوتي حافظه قوية مع إتقان بارع فيما يحفظه كما قال عنه ابن حبان : " كان متقناً من الجماعين للحديث والمواظبين عليه " ^(٥) وقد قال الإمام الزهري : " لا يولد الحافظ إلا كل أربعين سنة " فعلق

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشَّهْرَزُورِي الفقيه الشافعي ، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وعلوم الحديث . وُلِدَ سنة ٥٧٧ . كَرَّرَ جميع المذهب ولم يطر شاربه ، ثم صار معيداً عند العماد بن يونس . قال ابن الحاجب : إمام ورع وافر العقل ، حسن السميت ، متبحر في الأصول والفروع ، توفي سنة ٦٤٣ . وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣ ، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٨٢ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٨٤ .

(٣) طبقات الفقهاء للشافعية ١/ ٢٨٩ .

(٤) المجروحين من المحدثين ١/ ٥٧ .

(٥) الثقات ٩/ ١١٥ .

على قوله الإمام السيوطي قائلاً: فإن صح كان المراد رتبة الكمال في الحفظ والإتقان. ونقل معاني الحفظ عند الأئمة، فابن مهدي يقول: "الحفظ الإتقان": وأبو زرعة يقول: "الإتقان أكثر من حفظ السرد". وسأل النسفي صالح بن محمد: يحيى بن معين هل يحفظ؟ قال: لا، إنما كان عنده معرفة، قال: قلت: فعلي ابن المديني كان يحفظ قال: نعم ويعرف.

ولذا بين لنا السيوطي أن من يوصف بالحفظ والإتقان "ينبغي أن يجمع المتون والأسانيد، ومعرفة علوم الحديث كلها، ومعرفة الصحيح من السقيم، والمعمول به من غيره، واختلاف العلماء واستنباط الأحكام وما سوى ذلك... (١)"

وهذه شهادات الأئمة له بأنه من الحفاظ ويعقبها شهاداتهم له بالإتقان ونظام الضبط.

قال ابن الجوزي: كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ المتقنين (٢)، وقال ابن خلكان (٣): كان أحد الحفاظ الأعيان (٤). وقال ابن عبد الهادي (٥): شيخ الإسلام وحافظ نيسابور (٦)، وقال الذهبي: الإمام العلامة الحافظ البار (٧)،

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٤٩/١ للحافظ السيوطي، تحقيق د. عبد الوهاب عبد اللطيف.

(٢) المنتظم ١٢/١٤٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان بن باول البرمكي الإربلي الشافعي. روى عنه البرزالي والمزي، وكان فاضلاً بارعاً متقناً، حسن الفتاوى، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس توفي سنة ٦٨١. فوات الوفيات ١/١٠٠ تأليف محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، النجوم الزاهرة ٧/٢٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٥/١٩٥.

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي أبو عبد الله المقدسي المقرئ المحدث الناقد النحوي له توسع في العلوم وذهن سيال وله محفوظات وتآليف وتعاليق مفيدة. لازم ابن تيمية والمزي مدة. توفي سنة ٧٤٤. وفيات الأعيان ١/٤٥٧، شذرات الذهب ٦/١٤١.

(٦) طبقات علماء الحديث ٢/٢٠٩.

(٧) السير ١٢/٢٧٣، تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٠، الكاشف ٣/١٠٧.

وقال ابن حجر: الحافظ^(١)، وقال ابن تغري بردي^(٢): كان حافظ عصره.^(٣)

والإمام الذهلي كان على كثرة حفظه وقوته غاية في الضبط والإتقان والتمييز والنقد لجميع المرويات، وسائر الرواة، وقد شهد له الإمام ابن حبان بالإمعان في الحفظ وهو لفظ يدل على المبالغة فقال: "... ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد في الأخبار، وانتقاء الرجال في الآثار جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلي. و... و... و... في جماعة من أقرانهم أمعنوا في الحفظ وأكثروا في الكتابة..."^(٤).

وشهد له ابن تيمية وناهيك بشهادته بأنه من حكام الحديث ونقاده وحفاظه العارفين بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال نقلة الأخبار. فقد ميز بين علماء التفسير الذين لا يعتنون غالباً بتمحيص المرويات، وبين علماء الحديث فقال: "... وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد ما لأئمة الحديث كشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق، ومحمد بن يحيى الذهلي... و... وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأحوال من نقل العلم والحديث... الخ"^(٥).

(١) تهذيب التهذيب ٤٥٢/٩.

(٢) هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير سيف بن تغري بردي الحنفي الإمام العلامة. انتفع بابن حجر وسمع كثيراً من كتب الحديث، وحبب إليه علم التاريخ فلازم مؤرخي عصره. توفي سنة ٨٧٤. شذرات الذهب ٣١٧/٧.

(٣) النجوم الزاهرة ٣/٣/٣٨.

(٤) المجروحين ٥٧/١.

(٥) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٣١٠/٧) للإمام ابن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

ويدل على سعة حفظه ما ذكره زنجويه قال: كنت أسمع مشايخنا يقولون:
الحديث الذي لا يعرفه محمد بن يحيى لا يعبأ به^(١). ففي هذا القول إشارة إلى
تمام معرفته وإحاطته بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه أصبح مقياساً
لذلك فما عرفه أخذ به، وما لم يعرفه يترك.

ولا يفوتنا التنبيه إلى أنه كان مفتي نيسابور والمقدم فيها ومعلوم أن الفتيا
تحتاج لحفظ المتن واستحضار الأحكام الفقهية وأقوال الصحابة والتابعين، قال
السبكي في ترجمة محمد بن نصر المروزي^(٢): "... كان هو المفتي والمقدم،
بعد وفاة محمد بن يحيى..."^(٣).

(ج) علو الهمة والتفاني في الطلب

علو الهمة من صفات الكمال التي ينبئ بها الرجال، وتتعب بها الأجساد،
ويحصل بها المراد، وصدق الشاعر حيث قال:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجساد^(٤)

والإمام الذهلي من ذلك الطراز الفريد من الرجال الأفاضال الذين طابت
حياتهم بمكابدة الليل والنهار، وقطع الفيافي والقفار، طلباً للعلم، وتحصيلاً
للفوائد، واقتناصاً للفرائد، واكتساباً لمعالي الأخلاق وكريمها. كل ذلك لا يتأتى
إلا بالإخلاص والصبر ورجاحة العقل وطول الوقت.

(١) السير ١٢ / ٢٨٠.

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٦.

(٣) طبقات الشافعية ٢ / ٢٤٧.

(٤) من قصيدة للمتنبى يمدح بها سيف الدولة ومطلعها (أين أزمعت أي هذا الهمام) انظر ديوانه بشرح
أبي البقاء العكبري ٣ / ٣٤٣.

فقد تكللت مواهب حسن الخط وقوة الحفظ لديه منذ صغره، بنفس عصامية وجدت من يوجهها لاستجماع العمر وحفظه بالرحلة والتحصيل، فاستحالت شعلة لا تنطفئ من النشاط والمتابعة والسؤال والكتابة.

فبعد أن نهل من علماء بلده نيسابور، وعل^(١) من معينهم، توجه لما جاورها من مدن خراسان، ثم وسع رحلته إلى العراق والشام، ثم تآقت همته إلى مكة ومصر وصنعاء، والذهاب إليها في تلك الفترة مخاطرة لا يقدم عليها المرء لوحده لكثرة قطاع الطرق، فكان ينتظر الوفد في الحج ليصحبهم إلى مكة، وقد فاته بسبب ذلك لقاء سفيان بن عيينة.

قال الذهبي: ما كان يمكنه لقي^ه، فإن سفيان مات في وسط السنة (أي سنة ١٩٨ أول ذهابه إلى البصرة) ولا كان يمكنه المسير إلى مكة إلا مع الوفد. (٢)

وأما رحلات اليمن، فكانت بصحبة جلة علماء نيسابور وبغداد كما سيأتي في رحلاته.

وكان مما يزيد همته في الطلب: فوات الأعيان اللذين كان يمكنه لقيهم لو استعجل لقاءهم.

يقول عن نفسه: "... ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى بن سعيد على باب البصرة (٣)" لذا تراه يطيل المكوث فيها ويروي عن أبي داود الطيالسي وأقرانه، ويكرر الرحلة إليها حتى قال أحمد بن محمد الأزهري: لمحمد بن يحيى ثماني عشر رحلة إلى البصرة (٤).

(١) عل: العلل الشرب الثاني، يقال: علل بعد نهل، وعل: سقاه السقية الثانية. مختار الصحاح ١٨٩.

(٢) السير ١٢ / ٢٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ٣ / ٤١٩، السير ١٢ / ٢٨٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣ / ٤١٩.

وكان من منهجه رحمه الله تعالى إذا دخل بلداً من البلدان ألا يقنع بمجرد لقاء المشايخ وأهل العلم ورواية ما تيسر. بل يكثر عنهم وينوع الطرق ويقيد عن ثقاتهم فيحفظ ما قيد، ويحرص على الرواية حتى من الضعفاء ليستحضر أمامه كل ما يريد. ثم ينقده ويميز صحيحه من سقيمه لذا نراه يمتنع عن رواية بعض ما كتبه أو رواه في أول أمره، ثم تبين له فيه مانع من روايته.

فقد وصفه الذهبي بالاكثار عن عبد الرزاق في اليمن قال: « . . . وباليمن من عبد الرزاق فأكثر»^(١) ومن استعراض مروياته عن مشايخه يتضح إكثاره عنه حتى إنه ما كان يدعه في ليلة وداعه بين المغرب والعشاء وقد انتهى وقتها الإملاء والسماع. وذلك يبين ما حظى به الذهلي من محبة وأثرة عند عبد الرزاق وقد عرف عنه التبرم من بعض الطلبة، والتمنع من الرواية^(٢).

قال الذهلي: «حدثني عبد الرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع»^(٣).

ويصور لنا نهمه في طلب العلم وتقنيده حتى من الضعفاء ذلك الإلحاح على إبراهيم بن الحكم بن أبان^(٤) من مشايخه باليمن فتمنع عليه ولم يحدثه حتى روى الحديث من شيخ أوثق منه^(٥).

(١) السير ٢٧٤/١٢.

(٢) انظر تشفع طلبته بامرأته كي يحدثهم، السير ٥٦٧/٩.

(٣) المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ للإمام عبد الله بن علي بن الجارود، باعثناء لجنة من العلماء. ص ٣٦٦.

(٤) هو إبراهيم بن الحكم بن أبان أبو إسحاق العدني، قال البخاري: سكتوا عنه، وقال الجوزجاني: (ساقط). تهذيب الكمال ٧٤/٢.

(٥) التوحيد وإثبات صفات الرب ١/٨١ لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان.

وكما يلح على الضعفاء، نراه يجهد بإلحاحه مع الثقات وذلك لنكتة في حديث ما توجب الحرص على روايته، وهذا حماد بن مسعدة^(١) أحد شيوخ الذهلي يتمنع عن الرواية له... وبعد جهد يحدثه... ويصور الذهلي هذه المعاناة فيقول: «... حدثني حماد بهذا الحديث^(٢) بعد جهد» والنكتة في هذا الإلحاح أن حماد بن مسعدة قد انفرد عن عبيد الله بن موهب^(٣) بالحديث. ورواية الأفراد عن الثقات تعتبر من معالي الأمور التي يرحل إليها. ولذا حصل الإمام الذهلي على وسام فخر وثناء من ابن عدي حيث قال: «وهذا الحديث جود إسناده محمد بن يحيى»^(٤).

ولعل السبب في بركة علم الإمام الذهلي - وانتشار ذكره وشهرته عند الجهابذة الكبار - ذلك التواضع الذي لم يصدّه عن الأخذ بمن يصغره، وذلك البذل والنصح، وتلك الصحبة والإفادة للغرباء^(٥) الذين لا يمكنهم طول الإقامة والثواء بغير بلدهم.

(١) هو حماد بن مسعدة أبو سعيد التميمي الحافظ. حدث عن هشام بن عروة وابن عون، وعنه ابن راهويه وأحمد. قال ابن حبان: من خيار أهل البصرة مات سنة ٢٠٢. مشاهير علماء الأمصار ص ٦٢ للإمام محمد بن حبان البستي، تصحيح م. فلايشهر.

(٢) والحديث هو ما رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب الطلاق، باب (٢٨) ٦/١٦١ وابن ماجه في العتق، باب من أراد عتق رجل وامرأته، ٨٤٦/٢، كلاهما من طريق عبيد الله بن موهب عن القاسم بن محمد. قال: كان لعائشة غلام وجارية، قالت: فأردت أن أعتقهما فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ابدي بالغلام قبل الجارية. اللفظ للنسائي، وأخرجه من طريقه ابن عدي في ترجمة ابن موهب، الكامل ٤/٣٢٨.

(٣) هو عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب المدني. قال النسائي: ليس بذلك وقال أبو حاتم: صالح الحديث وروى الكوسج عن ابن معين: ثقة. الكامل في ضعفاء الرجال ٤/٣٢٨ للإمام أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني، باعتناء د. سهيل زكار، يحيى مختار، ميزان الاعتدال ٣/٤٠٩.

(٤) نفس المصدرين السابقين.

(٥) الغرباء: جمع غريب وهو البعيد عن وطنه، والغربة التزوج عن الوطن. لسان العرب ١/٦٣٩ وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم في الإيمان (٢٣٢) ١/١٣٠ من طريق أبي هريرة مرفوعاً: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وجاء وصفهم في الحديث الذي رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠) ١/١٩ (فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سبي) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والمراد بهم هنا من يرحل ويغترب عن وطنه لطلب الحديث من الآفاق إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانظر ما ساقه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث من أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم =

وقد علم أن العلم لا يناله مستح ولا مستكبر، وأن المرء لن يتمكن فيه حتى يأخذه عمن هو فوقه وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. وقد أدرك الإمام الذهلي ذلك فنجدته لا يأنف أن يطلب العلم بصدق وإخلاص من أقرانه في الطلب وإن صغروا عنه سناً.

قال أبو أحمد الحاكم: «كان محمد بن يحيى الذهلي يستعين بعربية أبي بكر الجارودي^(١) ويبيته عنده^(٢)».

ويتواضع لقرينه الإمام البخاري لما ورد نيسابور قبل نشوب مسألة اللفظ بينهما، وقد ناف عمره على الخامسة والسبعين فيسأله أمام جموع الناس عن الأسامي والكنى وعلل الحديث والبخاري يصغره بنحو عشرين سنة.

قال أبو حامد الأعشى: «رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان^(٣) ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث...»^(٤). وهكذا طلب العلم لا يتوقف عند سن معينة، أو عن جماعة مخصوصة.

ولما رحل الذهلي بابنه يحيى من نيسابور إلى بغداد صحبه جماعة من الغرباء، فلم يردّهم أو يعنفهم بل استشعر فضل الله عليه بمعرفة مسالك العلم وأهله، فبذل لهم الصحبة، ووعدهم بالإفادة عن أحمد بن حنبل وغيره من مشايخ بغداد والبصرة. فكانوا في الطريق يسألونه: أي حديث عند أحمد أغرب؟ فيقول: إذا دخلنا عليه، سألته عن حديث تستفيدونه. «الخ» وفي ثانياً قصته^(٥) مع أحمد صور من التحمل في سبيل الله، من إنكار الإمام أحمد لذلك

= باكرام أصحاب الحديث ص ٢١، ٢٢، ومعظمها عن أبي سعيد الخدري، وفيها ضعف شديد بسبب أبي هارون العبدى.

(١) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٢) السير ٥٤٢/١٣.

(٣) هو سعيد بن مروان بن علي أبو عثمان، بغدادى سكن نيسابور، سمع سليمان بن حرب، والقنبري. وعنه محمد بن نعيم ويعقوب بن يوسف الشيباني. توفي سنة ٢٥٢ وصلى عليه الذهلي. تاريخ بغداد ٩/٩١.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/٣١، السير ٤٥٥/١٢. طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٢٩.

(٥) سبق ذكرها ٨٩.

الطريق من حديث عمر في الإيمان . والصبر على همس الغرباء وقولهم : إنه ذكر الحديث غير مرة فلم يعرفه أحمد . . وهو ساكت لا يجيبهم ولما عاد بهم مرة أخرى أقر الإمام أحمد بروايته ذلك الطريق . . فلم يته الدهلي ولم ينبه شيخه لذلك النسيان ، فازداد إعجاب أولئك الغرباء بخلقه وتعجبهم من صبره . ولما أخبر أحمد بذلك لقبه بالعاقل . وإعجاب الآخرين يحتاج إلى صبر لأن النفس إذا اهتزت له فرحاً . بدأ الضعف يدب إليها ، والرياء يصيبها . وعليه فإن المرء بحاجة دائمة إلى تعاهد نفسه وتقويم صفاته .

وإن كان الدهلي قد جاب البلاد ، ودون ما رواه وسمعه من مشايخه وأقرانه ومن هم دونه فإن انتخاب ما رواه وانتقاه ، ومراجعة ما دونه وحفظه ، يحتاج لأوقات وهمة وصبر لأن المرء إذا بدأ بالتحديث فيجب عليه أن يعلم ما يحدث به ، فيضبطه ، ويصوبه لذا أطلق المحدثون هذه المقولة : «إذا كتبت فقمش ، وإذا حدثت ففتش»^(١) .

ويروي لنا حيكان ما كان يبذله والده الإمام من جهد ، ومتابعة ، وتصحيح ، وهو يصنف في دار كتبه . فيقول : « دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة ، وهو في بيت كتبه ، وبين يديه السراج ، وهو يصنف ، فقلت يا أبت ، هذا وقت الصلاة ودخان هذا السراج بالنهار ، فلو نَفَسْتُ عن نفسك . قال : يا بني ، تقول لي هذا وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين »^(٢) !!

رحم الله الإمام الدهلي . . فقد وجه ابنه وقعد لطلبة العلم قاعدة صلبة . . من التفاني والصبر وتجاهل المتاعب والمشاكل . . من أجل الحفاظ على ميراث النبوة . والله تعالى أعلم .

(١) هذه المقولة أثرت عن أبي حاتم الرازي . انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي . ٢٢٠ / ٢ . ومعنى قمش أي أكتب كل ما تجده من دون تمحيص ، وأما إذا أردت أن تحدث الناس ففتش عن صحة الأحاديث
(٢) السير ٢٧٩ / ١٢ ، تذهيب التذهيب ٤ / لوحه ٩ مخطوط .

المبحث الثاني الرحلات العلمية

كانت الرحلة في طلب العلم من المعالم البارزة - كالإسناد وغيره - لهذه الأمة المجيدة فقد كان أهل العلم وهم صفوتها يجوبون أصقاع الأرض إحياءاً لهذه السنة التي سنّها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . لما تفرقوا في مختلف البلاد إبان الفتوحات الإسلامية وتفرّق معهم العلم الذي نهلوه من مشكاة النبوة ومعينها الصافي . (١)

لذا نراهم - عليهم رضوان الله - يرحلون الأيام والشهور، لطلب حديث واحد فاتهم سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم، أو لإتمام ضبطه، أو للسماع من الصحابة الكثيرين عنه الملازمين له صلى الله عليه وسلم.

فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله (٢) - يتتبع بعيراً ويشد عليه رحله ويسير شهراً إلى الشام متحملاً عناء السفر ليلتقي بالصحابي عبد الله بن أنيس (٣) - ويسمع منه حديثاً واحداً . . . قال جابر : . . . حتى قدمت الشام

(١) ضرب الخطيب البغدادي المثال لرحلة الأم السابقة في طلب العلم بموسى عليه السلام ورحلته إلى الخضر، وبأمر الله لداود عليه السلام بأن يتأهب للطلب بنعلين من حديد حتى تنخرق، وعصاً من حديد حتى تنكسر، أنظر الرحلة في طلب الحديث ص ٨٦، ٩٧ للخطيب البغدادي، تحقيق د. نور الدين عتر.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي أبو عبد الله، أحد الكثيرين عن النبي صلى الله عليه وسلم له ولأبيه صحبة . وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، مات سنة ٧٤ وله ٩٤ سنة . الإصابة في تمييز الصحابة ٤٥/٢ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. طه محمد.

(٣) هو عبد الله بن أنيس الجهني أبو يحيى المدني، كان أحد من يكسر أصنام بني سلمة من الأنصار، صُلّي إلى القبلتين، ودخل مصر، وخرج إلى أفريقية، مات بغزة من أرض الشام سنة ٥٤ . الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٧٧/٤) تحقيق د. باسم الجوابرة، الإصابة ١٥/٦.

فإذا عبد الله بن أُنَيْس ، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب فرجع إليَّ الرسول فقال : جابر بن عبد الله . فقلت : نعم . فخرج إليَّ فاعتنقته واعتنقني قال : قلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعته أنا منه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يحشر الله تبارك وتعالى العباد عراة غرلاً» (١) - بهماً (٢) - . . . (٣)

وهذا أبو أيوب الأنصاري (٤) - رضى الله عنه يرحل إلى عقبة بن عامر (٥) - رضى الله عنه في مصر ويسأله عن حديث في ستر المسلم (٦) لم يبق أحد سمعه

(١) غرلاً: الغرل جمع أغرل وهو الأقف، والمراد غير مختنن والواحد أغرل . مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١٣٢/٢ للقاضي عياض بن موسى اليحصبي . النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٦٢/٣ للإمام مجد الدين المبارك ابن الأثير، تحقيق طاهر الزواوي، محمود الطناحي .
(٢) بهماً: البهم جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض . الفائق في غريب الحديث ١٣٧/١ للعلامة جابر الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل . النهاية ١٦٧/١ .
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٩٥/٣ ، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الأدب المفرد ، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي (باب المعانقة ص ٣٣٧) وانظر جامع بيان العلم وفضله ٩٣/١ ، الرحلة في طلب الحديث ص ١١١ . وأخرجه الحاكم في مستدركه ٤٣٧/٢ ، ٤٣٨ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب . من بني مالك بن النجار أبو أيوب الأنصاري . نزل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، وأخذ ذات مرة من لحية الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال له : لا يصيبك سوء يا أبا أيوب . توفي في غزاة القسطنطينية سنة ٥٢ . الإصابة ٥٦/٣ .
(٥) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ، كان قارئاً عالماً بالفرائض . . . والفقه ، فصيح اللسان شاعراً كاتباً ، أحد من جمع القرآن ، كان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق ، جمع له معاوية إمرة مصر وخراجها والصلاة ، ثم عزله ، الإصابة ٢١/٧ .
(٦) الحديث رواه أبو عبد الله الحميدي في مسنده ١٨٩/١ بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . برقم ٣٨٤ عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة» وانظر مسند الإمام أحمد ١٥٣/٤ ، وجامع بيان العلم ٩٣/١ ، والرحلة في طلب الحديث ص ١٢١ . وفي إسناده الحديث كما رواه الإمام الحميدي أبا سعد الأعمى ، وعند أحمد سمعت أبا سعيد ، فذكره بكنيته الأخرى ، قال ابن حجر في تعجيل المنفعة ص ٤٨٨ : أبو سعد المكي ويقال أبو سعيد الأعمى : ذكره أبو أحمد فيمن لم يعرف اسمه ، وقال المزني : لم أقف على روايته ، فالحديث على هذا ضعيف .

غيرهما. فسمعه منه ثم ودعه وركب راحلته وانصرف إلى المدينة وماحلّ
رحله. (١)

وهكذا يكون فعل هذين الصحابييين وغيرهما تقعيداً للأمة في أهمية
الرحلة ورسماً لطريقها، لذا نرى أجيال التابعين وأتباعهم قد سلكوا ذات الطريق
فاتسعت الرحلة في عهودهم، وقويت هممهم في تحصيل حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم. فهذا سعيد بن المسيب يقول: «إن كنت لأسير الأيام
والليالي في طلب الحديث الواحد» (٢)

وهذا عبيد الله بن عدي بن الحيار (٣) - يقول: «بلغني حديث عن عليّ
خفت إن مات ألا أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت العراق...» (٤)
ويرحل الحسن البصري إلى «كعب بن عجرة» (٥) - ليسأله عن فدائه لما حلق
رأسه وهو محرم وقد أصابه القمل في رأسه وآذاه، فأذن له النبي صلى الله عليه
وسلم أن يحلق ويفتدي. فأجابه أن فداءه شاة (٦)

(١) الرحلة في طلب الحديث ص ١١٨.

(٢) الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٨، جامع بيان العلم وفضله ٩٤/١.

(٣) هو عبيد الله بن عدي بن الحيار بن عدي بن نوفل القرشي قال ابن حبان: له رؤية. وله رواية عن
عمر وعثمان وعلي والمقداد، كان من فقهاء قريش وعلمائهم، وقال العجلي: تابعي، ثقة من
كبار التابعين، توفي سنة ٩٥، الإصابة ٧/٢٢٣.

(٤) ساق الخطيب البغدادي خبر هذه الرحلة في كتابه الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٩ من طريق
أيوب بن سويد، كما رواه البخاري من طريق أبي جحيفة قال: سألت علياً... الخ. انظر
الجامع الصحيح، كتاب الديات، باب العاقلة ٨/٥٧.

(٥) هو كعب بن عجرة بن أمية البلوي حليف الأنصار، قال البخاري مدني له صحبة يكنى أبا
محمد، شهد عمرة الخديبية ونزلت فيه قصة الفدية وهي مخرجة في الصحيحين، قطعت يديه
في بعض المغازي، ثم سكن الكوفة، الإصابة ٨/٢٩٥.

(٦) ساق خبر هذه الرحلة الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٣ بإسناد غريب،
وأخرجه أيضاً ابن مردويه من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبان بن صالح عن
الحسن البصري أنه سمع كعب بن عجرة يقول: ... فذبحت شاة. انظر تفسير ابن كثير ١/٢٣٣،
ولكن أصل حديث كعب بن عجرة موجود في صحيح البخاري، كتاب المحصر، باب الإطعام
في الفدية ٢/٢٥٣.

وقد يسمع أحدهم الحديث من رواية فيحتاج إلى ضبطه وتوثيقه ثانية
فيرحل إليه كما فعل المغيرة بن مقسم^(١) - حين أكرى حماراً وصار إلى القادسية
ليلاقي عمارة بن القعقاع^(٢) - فاستثبت منه ما سمعه سابقاً^(٣)

ويقول الشعبي^(٤) - : « لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى
اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع »^(٥)

قال أبو حاتم بن حبان مادحاً فرسان هذا العلم وهم الراحلون إلى الأقطار
لطلبه : « فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين ، وهدوهم إلى
الصراط المستقيم . الذين آثروا قطع المقاوز والقفار على التنعم في الديار
والأوطان في طلب السنن في الأمصار ، وجمعها بالوجل والأسفار ، والدوران
في جميع الأقطار ، حتى إن أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ البعيدة ،
وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مُضِلٌّ في السنن شيئاً يُضِلُّ به ، وإن

(١) هو المغيرة بن مُقَسِّم ، أبو هشام الضبي مولا هم الإمام الثقة الكوفي الأعمى ، يلحق بصغار
التابعين ، حدث عن مجاهد ، والنخعي ، وعنه شعبة والثوري ، قال ابن معين : ثقة مأمون ، مات
سنة ١٣٣ - طبقات خليفة ص ١٦٥ ، السير ٦ / ١٠ .

(٢) هو عمارة بن القعقاع بن شُبْرَمَةَ (الضبي) ، الكوفي ، أكثر عن أبي زرعة البجلي وروى عن
أنس بن خليفة ، روى عنه السفينان ، وشريك ، وثقه ابن معين ، السير ٦ / ١٤٠ . والضبي
بفتح الضاد ، وكسر الباء المشددة . الأنساب ٤ / ١٠ .

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٥ . وكان عمارة بن القعقاع قد روى حديثاً عن إبراهيم عن
علقمة بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وتمر به الفتية من قريش فلا يتغير لونه ،
وتمر الفتية من أهل بيته فيتغير لونه . . الخ وقد ساق الخطيب الحديث من طريقين كلاهما ضعيف
جداً لوجود محمد بن المهلب الحراني ، في الطريق الأول . وقد كان يضع الحديث (انظر الكامل
لابن عدي ٦ / ٢٩٥ . ومحمد بن إبراهيم بن زياد ، وقد قال عنه الدارقطني : دجال يضع
الحديث ، الضعفاء والمتروكون ص ٣٥٢ .

(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، ولد في خلافة عمر ،
وأدرك خمسمائة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عاصم بن سليمان : ما رأيت
أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي ، قال خليفة : مات سنة
١٠٤ - طبقات خليفة (١٥٧) السير ٤ / ٢٩٤ .

(٥) جامع بيان العلم ص ٩٥ .

فعل فهم الذابون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكذب ، والقائمون
بنصرة الدين»^(١)

وقد استشعر هؤلاء الجهابذة أنهم هم المعنيون بحفظ ميراث النبوة
لاغيرهم ، فلم ينتظروا من يجمع لهم السنن ويستوثق لهم الأخبار ، بل تركوا
الراحة والدعة ، ونشطوا لهذا العمل الجليل ، وتركوا من أجله أولادهم ، وأنفقوا
فيه أموالهم لدرجه الإفلاس .

قال موسى بن داود : « أفلس الهيثم بن جميل ^(٢) في طلب الحديث
مرتين »^(٣)

وتزداد أهمية الرحلة في طلب العلم كلما تأخر الزمان وكثر الوسطاء بين
الرسول صلى الله عليه وسلم والراوين عنه . . لقوة إحتمال الغفلة والنسيان
والوهم ، بل والوضع والكذب في رواية الأسانيد . . لذا تسابقوا رحمهم الله
لطلب عوالي الحديث ، واشتغلت قلوبهم بالأشواق إليها وإلى العلماء مهما
بعدت الديار .

قال وكيع رحمه الله : « كنت أرى ابن عون ^(٤) - في النوم من شوقي إليه ،
وأنا أختلف إلى الأعمش ^(٥) - ، فلما مات الأعمش رحلت إليه فسمعت منه . »

(١) المجروحين ٢٧/١ .

(٢) هو الهيثم بن جميل الإمام الثبت أبو سهل الأنطاكي ، حدث عن الليث ومالك ، وعنه ابن حنبل
ويوسف بن مسلم ، قال الدار قطني : ثقة حافظ ، توفي سنة ٢١٣ هـ ، تاريخ بغداد (٥٦/١٤)
تهذيب الكمال ٣٠/٣٦٥ .

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ٢٠٥ .

(٤) هو عبد الله بن عون بن أرطبان ، الإمام القدوة أبو عون المزني مولاهم ، حدث عن الشعبي ،
وابن سيرين ، وعنه سفيان وشعبة ، قال ابن مهدي : ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون ،
توفي سنة (١٥١) ، السير ٦/٣٦٤ .

(٥) هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي ، شيخ المقرئين والمحدثين ،
روى عن النخعي وذر بن حبيش وعنه أبو إسحاق السبيعي وشعبة ، وكان على إمامته مدلساً ،
توفي سنة ١٤٨ بالكوفة ، التبيين لأسماء المدلسين ص ٣١ لسبط ابن العجمي الشافعي ، تحقيق
يحيى شفيق . السير ٦/٢٢٦ . وانظر ضبط السبيعي في الأنساب ٣/٢١٨ .

وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين اتسعت الرحلة وكثر الراحلون الأمر الذي أحدث إزدهاراً مطّرداً، وحركة علمية مُرَشَّدة وقوية . والإمام محمد بن يحيى الذهلي أحد أعلام الحديث ، الذين عاشوا في هذين القرنين وكانت له رحلات واسعة ولقاءات كثيرة بأساطين الرواية والدراية في العالم الاسلامي آنذاك ولكثرة رحلاته صنّفه الرّامهرْمُزِيّ ضمن طبقات الراحلين إلى الأقطار فقال :

الطبقة الرابعة :

«محمد بن يحيى النيسابوري ، جمع بين العراق ومصر واليمن والشام»^(١)

ووصفه ابن حبان «بأنه ممن أفرطوا في الرحلة»^(٢)

وقال الذهبي « وله رحلة واسعة»^(٣)

وذكر عن نفسه عدد مرات خروجه لطلب العلم ، ومقدار ما أنفق من المال .

قال : «ارتحلت ثلاث رحلات ، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً»^(٤)

وكانت سنه حين بدأ الرحلة تناهز الخامسة والعشرين ، وكان آنذاك قد نهل من علوم مشايخ نيسابور وارتوى ولم يكن بدّ من ارتحاله لطلب العوالي ولقاء الأئمة ، كما قال ابن الصلاح : (وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي يبلده فليرحل إلى غيره»^(٥) .

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ٢٣٢ للإمام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي ، تحقيق د . محمد عجاج الخطيب .

(٢) المجروحين ٥٧/١ . (٣) تذهيب التهذيب ٤/لوحه ٩ مخطوط .

(٤) تاريخ بغداد ٣/٤١٩ ، تذهيب التهذيب ٤/لوحه ١٠ مخطوط ، السير ١٢/٢٨٣ ، الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ٥/١٨٦ .

(٥) علوم الحديث ص ٢١٠ المعروف (بمقدمة ابن الصلاح) للإمام الحافظ أبي عمرو بن الصلاح ، باعتناء د . الطباخ .

وكان الإمام علي بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره هو الذي حرص الذهلي وشجّعه على اغتنام الليالي والأيام بالرحلة في طلب العلم ولقاء الأكابر الأحياء الذين يروي عنهم مشايخه بنيسابور (١).

وهذا استعراض رحلاته وخط سيره وبعض من روى عنهم في المدن التي دخلها على سبيل المثال لا الحصر، وقد حاولت بيان خط سيره حسب التسلسل الزمني لتلك الرحلات المباركه... استنباطاً من كلام محمد بن النضر الجارودي (٢)، والإمام الذهبي اللذين بيّناهما بحروف العطف مثل الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وثم الدالة على الترتيب والتراخي. (٣) - الأمر الذي يدل على وقوفهما على زمانها بدقة. واستنتاجاً من التواريخ التي بينها المحدثون كالإمام أحمد، والمؤرخون كالإمام الذهبي وسواهما. وقد سبق قوله عن نفسه: «... ارتحلت ثلاث رحلات»

وخرجت من كل ذلك بتصور تقريبي لهذه الرحلات الثلاث وأرجو أن يكون قريباً من الصواب.

الرحلة الأولى: من نيسابور إلى أصبهان ثم الري ثم البصرة ثم الكوفة ثم واسط وآخرها بغداد.

الرحلة الثانية: من بغداد إلى اليمن ثم مكة ثم المدينة.

الرحلة الثالثة: بعد تصنيف الزهريات، خرج من نيسابور ليعرضها على علماء العراق مثل علي ابن المديني وأقرانه ثم واصل رحلته إلى مصر ليذاكر أحمد بن صالح المصري الزهريات ثم رحل إلى الشام ثم الجزيرة.

(١) انظر ص ١٠٤ من هذه الرسالة.

(٢) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٣) السير ٢٧٦/١٢، وانظر شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٠٢، ٣٠٣ لابن هشام: تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد.

ولا شك أنه قد تخلل هذه الرحلات الثلاث الكبرى رحلات متعددة لكل بلد من تلك البلدان كما أنه جلس للتحديث في بعضها .
وأبدأ عرض ذلك ببلده نيسابور الذي شرع بطلب العلم فيه .

١ - طلبه العلم في نيسابور

كانت نيسابور في عهد الإمام الذهلي المنافس الأول لبغداد في العلم والعلماء ، وقد سمّاها الإمام الذهلي « دار السنّة والعوالي » لتشدّد أهلها في السنّة وتحصيلهم عالي الأسانيد ، وقد زاد من أهميتها في زمن الذهلي إنتقال دار الحكم والإمارة لخراسان من بلخ ومرو إليها حتى إنتهاء الدولة الطاهرية (بعد وفاة الذهلي بسنة واحدة) مما جعلها محط أنظار التجار . فعمرت واشتهر رجالها بالعلم وكانت كما قال الحميري : فيها من الأئمة والعلماء والسادة والكبراء خلق لم يجتمع في سواها . (١)

وقد سمع الإمام الذهلي فيها من الحفصين ، حفص بن عبد الله ، وحفص بن عبد الرحمن ، والحسين بن الوليد ، وعلي بن إبراهيم البناني ، ومكي بن إبراهيم ، وعلي بن الحسن بن شقيق ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيى بن يحيى النيسابوري . وبقي الذهلي يطلب فيها العلم على جلة علمائها من صباه حتى عام ١٩٧ هـ حيث بدأ رحلاته وجولاته فيما حولها من المدن .
٢ - رحلته إلى أصبهان (٢) .

تعتبر أصبهان من المدن المشهورة بالعلم والأثر ، ولذا ذكرها الإمام الذهلي في الأمصار ذوات الآثار فقال : « وأصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علو (١) الأمصار ذوات الآثار ص ٢٠٥ للحافظ الذهبي ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، الروض المعطار ص ٥٨٨ .

(٢) أصبهان مدينة عظيمة من أعلام المدن وأعيانها وهي إسم لإقليم كبير . وهي لفظ معرّب من (سباهان) بمعنى الجيش فيكون إسمها مدينة الجيش . مرصد الإطلاع ٨٧/١ . ويبدو أنها =

الإسناد وكثرة الحديث» (١) وقد روى الذهلي فيها عن الحسين بن حفص،
وعبدالرحمن بن مهدي كما ذكر الحاكم، وتعقبه الذهبي رحمه الله قائلاً :
وأحسبه لقيه بالبصرة فإنه يقول «أي الذهلي» : قدمت البصرة فاستقبلتني جنازة
يحيى بن سعيد القطان، وكانت في صفر من سنة ثمان، وعاش بعده عبدالرحمن
خمسة أشهر فأكثر عنه، وهو أقدم شيخ له وأجلهم (٢).

ولا تعارض يذكر بين روايته عن شيخه عبدالرحمن في أصبهان وروايته
عنه بالبصرة فإن لقاءه إياه في أصبهان كان سنة ١٩٧ هـ ولعله كان مقيماً بها آنذاك
ثم عاد إلى بلده البصرة فلأزمه الذهلي وأخذ عنه ثانية . وقد كان من المتبع
والمتعارف عليه في تلك العهود أن الشيخ إذا علا مقداره في العلم يحدث في كل
بلد يدخله إذا شاء .

= أول البلدان التي رحل إليها بدليل قصته مع اللبقي التي نقلها الحاكم عن محمد بن صالح بن هاني
عن الجارودي وفي آخرها قال : «... فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان فسمع من ...» السير
٢٧٦/١٢ ولعل رواية الجارودي أقرب من قول الذهبي : «ارتحل سنة ٩٧ هـ سنة موت وكيع،
فكتب بالرّي .. وكتب بأصبهان» السير ٢٧٣/١٢ لأن رواية الجارودي فيها التصريح بخروجه
مباشرة إلى أصبهان، وقول الذهبي فيه التصريح بسنة الإرتحال وكتابته في البلدين مع قربهما،
والأمر سهل، ولا يترتب عليه كبير عمل .

(١) الأمصار ذوات الآثار ص ١١٥ .

(٢) السير ٢٧٤/١٢ .

٣- رحلته إلى الريّ:

مدينة الريّ من ديار العلم التي خرج منها كبار العلماء والأئمة كأبي زرعة^(١)، وأبي حاتم^(٢)، وإبنيه^(٣)، صاحب الجرح والتعديل، ومثل ابن وارة^(٤) رحمهم الله أجمعين، قال الإمام الذهبي: صارت دار علمٍ بجرير بن عبد الحميد^(٥) وأمثاله. وقد رحل إليها الإمام الذهلي رحمه الله تعالى وحدث بها عن شيخه يحيى بن الضريس^(٦)، وقد ورد لها الذهلي مرة أخرى وجلس للتحديث بها وقرأ عليه ابن أبي حاتم الرازي بحضرة أبيه وأبي زرعة^(٧)

-
- (١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ محدث الريّ، طلب الحديث وهو حدث ورحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وغيرها. قال ابن أبي شيبة: ما رأيت أحفظ من أبي زرعة، توفي سنة ٢٦٤، طبقات الخنابلة ١/٣٢٤، السير ١٣/٦٥.
- (٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر الخنظلي الغطفاني، كان من بحور العلم، طُوف البلاد، قال اللالكائي: كان أبو حاتم إماماً حافظاً مثبِتاً، السير ١٣/٢٤٧، البداية والنهاية ١١/٥٩.
- (٣) عبد الرحمن العلامة الحافظ يكنى أبا محمد، قال أبو الحسن الخطيب: كان قد كساه الله نوراً وبهاءً، يسرّ من نظر إليه. رحل به أبوه قبل أن يحتلم، قال الذهبي: كان بحرّاً لا تكدره الدلاء، توفي سنة ٣٢٧ هـ، السير ١٣/٢٦٣ - البداية والنهاية ١١/١٩١.
- (٤) هو محمد بن مسلم بن عثمان أبو عبد الله الرازي الحافظ المجود قال الذهبي: كان يضرب به المثل في الحفظ، على حمق فيه وتبه، وقال عبد المؤمن بن أحمد: كان أبو زرعة لا يقوم لأحد، ولا يجلس أحداً في مكانه، إلا ابن وارة توفي سنة ٢٦٧ هـ. طبقات الخنابلة ١/٣٢٤، السير ١٣/٢٨.
- (٥) هو جرير بن عبد الحميد بن يزيد أبو عبد الله الضبي الكوفي، نزل الريّ، ونشر بها العلم، قال ابن سعد: كان ثقة كثير العلم، يرحل إليه، مات سنة (١٨٨) السير ٩/٩.
- (٦) هو يحيى بن الضريس بن يسار، قاضي الريّ، أبو زكريا البجلي، قال ابن معين: ثقة. توفي في ربيع الأول سنة (٢٠٣) السير ٩/٤٩٩.
- (٧) الجرح والتعديل: ٩/١٨٦.

٤- رحلته إلى البصرة

ويظهر أن الإمام الذهلي قد تراث في الرّي وأصبهان وأكثر عن مشايخها ثم توجه تلقاء البصرة والتي كانت مركزاً هاماً وحيوياً ارتفعت أعلام العلم والفضل فيها قبل بغداد بآماد . فقد انتعشت بكبار الصحابة كأبي موسى الأشعري وعتبة بن غزوان الذي اختطها، وعمران بن الحصين وخاتمهم خادم الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك . . . وما زال العلم بها يزدهر وينمو على يدي التابعين كالحسن البصري وابن سيرين ومن تبعهم إلى رأس المئة الثالثة . ثم تناقص شأنها جداً،^(١)

وكانت الآمال تحنو الإمام الذهلي للقاء شيخ البصرة وإمامها الكبير يحيى ابن سعيد القطان والذي حثه على السماع منه علي بن سلمة اللّبي و يروي رحمه الله لنا أنه أدركه ولكن محمولاً على الأكتاف قال : . . . ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى القطان على باب البصرة، وذلك في صفر سنة ١٩٨ هـ^(٢) ، وكان لوفاة القطان ذلك الأثر الكبير على الذهلي وهو في طليعة رحلاته العلمية الأمر الذي شحذ همته للتلقي عن غيره من علمائها . فلازم عبدالرحمن بن مهدي وأكثر عنه والذي وافته منيته بعد القطان بأربعة أشهر في جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ^(٣) رحمهما الله وكان الذهلي قد روى من مناقبه العلمية جودة حفظه وكثرته، قال : ما رأيت في يد عبدالرحمن بن مهدي كتاباً قط^(٤)، ولما فاته ابن مهدي أيضاً أمعن في لقاء كبار مشايخها فروى عن محمد بن بكر

(١) الأمصار ذوات الآثار بتصرف يسير ص ٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٤١٩/٣ ، السير ٢٨٣/١٢ ، تهذيب التهذيب ٥١٥/٩ .

(٣) مشاهير علماء الأمصار ص ١٦٣ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٠/١ .

(٤) السير ٢٨٣/١٢

أشهر شيوخه وتلاميذه :

حدث عن ابن جريج^(١)، ومالك بن أنس، وإسماعيل بن عياش الحمصي، وسفيان الثوري^(٢)، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك^(٣)، ومعمربن راشد وسواهم.

وحدث عنه، أحمد بن صالح المصري، وأحمد بن حنبل وأبو خيثمة زهير ابن حرب، وسفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وهما من شيوخه، وعبد بن حميد^(٤)، وعلي ابن المديني، ووكيع بن الجراح.

ثناء العلماء عليه :

قال ابن رجب : إليه كانت الرحلة في زمانه في الحديث، حتى قيل : إنه لم يرحل إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مارحل إلى عبدالرزاق^(٥).

وقال أحمد بن صالح المصري : قلت لأحمد بن حنبل : رأيت أحداً أحسن حديثاً من عبدالرزاق؟ قال : لا^(٦).

قال الذهبي : كان يقول : جالست معمرأ سبع سنين^(٧).

-
- (١) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولا هم، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلّس ويرسل، مات سنة ١٥٠، التقريب ص ٣٦٣.
- (٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبدالله الكوفي أحد الأئمة الأعلام، قال الخطيب البغدادي : كان الثوري إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين. مجمعاً على إمامته مع الإتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفي، بالبصرة سنة ١٦١هـ، التقريب ص ٢٤٤، خلاصة التهذيب ص ١٤٥.
- (٣) ستأتي ترجمته في ترجمة عبدالرحمن بن مهدي، بعد صفحات.
- (٤) هو عبد بن حميد بن نصر الكشي أبو محمد، قيل اسمه عبدالحميد، ثقة حافظ مات سنة ٢٤٠، التقريب ص ٣٦٨.
- (٥) شرح علل الترمذي ٧٥٢/٢.
- (٦) تهذيب التهذيب ٢٧٩/٦.
- (٧) تذكرة الحفاظ ٣٦٤/١.

وقال أيضاً : كان من أوعية العلم^(١) .

وقال أحمد بن حنبل : إذا اختلف أصحاب معمر فالحديث لعبدالرزاق^(٢) .

وقال البخاري : عبدالرزاق ما حدث من كتابه فهو أصح^(٣) .

وقال هشام بن يوسف : كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا^(٤) .

صلة الذهلي بشيخه عبد الرزاق :

رحل الذهلي إلى شيخه عبدالرزاق في صنعاء ، وتكبّد مشاق الرحلة ، وتقلب الأجواء ، وقلة الظهر ، وبعد المسافة على وعورة الجبال ، لينهل ويغترف من علومه ، وقد رحل إليه مرتين ، وكان في إحداهما مع مشايخ العراق ونيسابور . أحمد بن حنبل وابن معين وإسحاق وعلي ابن المديني ، فالتقى الفحول ، وتألّفت الهمم عند إمام العصر ، فأكثروا عنه على تمنعه أحياناً ، ولكن الذهلي قد استأثر بجمله وافرة من أحاديثه ، وخصّه بالانفراد ليلة الوداع وحدثه كثيراً قال الذهلي : حدثني عبدالرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع^(٥) .

وقد كان الإمام الذهلي متمكناً في الرواية عن عبدالرزاق ، وكانت أصوله موثقة من لفظ الشيخ وكتابه ، كما كان عارفاً بأصول شيخه فيميز ما كان منها وما زيد فيها أو لُقّنَه بعد اختلاطه . حدّث ذات مرة مؤكداً لذلك قال : « ثنا عبدالرزاق ، كتبت من كتابه^(٦) وطلبه البرذعي حديثاً عن عبدالرزاق كان في كتابه عنه فامتنع وقال : لم يكن هذا في أصل عبدالرزاق^(٧) » .

(١) المصدر السابق .

(٢) السير ٥٦٦/٩ .

(٣) التاريخ الكبير ١٣٠/٦ .

(٤) تهذيب الكمال ٥٨/١٨ .

(٥) متقى ابن الجارود ص ٣٦٦ .

(٦) سنن أبي داود ٢٧/٥ .

(٧) أسئلة البرذعي لأبي زرعة ملحق بكتاب أبي زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية مع تحقيق كتابه الضعفاء ٧٤٨/٢ ، تحقيق د. سعدي الهاشمي .

وهذا وإن كان مطرداً عن الذهلي في رواياته عن جميع مشايخه، إلا أن كثرة روايته عن عبدالرزاق مع التحصيل والانتقاء من الأصول بعد الاختلاط، دلّ على نهمه بحديث هذا الشيخ وتقديره لعلمه. والله أعلم.

وفاته:

قال ابن سعد: مات باليمن في النصف من شوال [سنة ٢١١هـ] (١).

٦ - عبدالرحمن بن مهدي (*)

نسبه ومولده:

هو عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن الإمام الناقد المجود. أبو سعيد العنبري البصري اللؤلؤي (٢). ولد سنة [١٣٦هـ] في محرم (٣). أشهر شيوخه وتلاميذه:

تلمذ على هشام الدستوائي (٤). وإسماعيل بن مسلم (٥)، ومالك بن أنس، وعبدالعزیز بن الماجشون (٦)، وحماد بن سلمة (٧)، وشعبة، وحماد بن زيد (٨)، وسفيان بن عيينة، ويزيد بن زريع (٩).

(١) الطبقات الكبرى ٥/٥٤٨.

(*) مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد ٧/٢٩٧. المعارف ٥١٣، مقدمة الجرح والتعديل ١/٢٥١.

تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠، تهذيب الكمال: ٨٢٠، العبر ١/٣٢٦، ٣٢٧، تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩.

الكاشف ٢/١٨٧، تهذيب التهذيب ٦/٢٧٩، النجوم الزاهرة ٢/١٥٩، الخلاصة ٢٣٥،

شذرات الذهب ١/٣٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/١٩٢. (٣) التاريخ الكبير ٥/٣٥٤ - التاريخ الصغير ٢/٢٥٩.

(٤) هو هشام ابن أبي عبدالله سنبر أبو بكر البصري الدستوائي، ثقة ثبت، وقد رُمي بالقدر، مات ١٥٤هـ، التقريب ص ٥٧٣.

(٥) هو أبو محمد إسماعيل بن مسلم العدي البصري، ثقة من السادسة. التقريب ص ١١٠.

(٦) هو عبدالعزیز بن عبدالله ابن أبي سلمة الماجشون. ثقة فقيه مصنف مات سنة ١٦٤هـ، التقريب ص ٣٥٧.

(٧) هو أبو سلمة حماد بن سلمه بن دينار البصري، ثقة عابد. أثبت الناس في ثابت، مات سنة ١٦٧، التقريب ص ١٧٨.

(٨) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل ثقة ثبت فقيه مات ١٧٩هـ، التقريب ص ١٧٨.

(٩) هو يزيد بن زريع البصري. ثقة ثبت من الثامنة، مات سنة ١٨٢هـ، التقريب ص ٦٠١.

حدث عنه ابن المبارك^(١)، وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى ابن معين، وإسحاق بن راهويه، وعبيد الله بن عمر القواريري، وخلق سواهم.
ثناء العلماء عليه :

قال أحمد بن حنبل : هو أفقه من يحيى القطان، وأثبت من وكيع^(٢)، وقال ابن المديني : لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أنني لم أرمثل عبد الرحمن^(٣).
وقال أيوب ابن المتوكل : كنا إذا أردنا أن ننظر إلى الدين والدنيا ذهبنا إلى دار عبد الرحمن بن مهدي^(٤).

وقال نعيم بن حماد : قلت لعبد الرحمن بن مهدي : كيف تعرف الكذاب؟ قال كما يعرف الطبيب المجنون^(٥).
وقال أحمد بن حنبل : إذا حدث عبد الرحمن بن مهدي عن رجل فهو حجة^(٦).

وقال أيوب ابن المتوكل أيضاً : كان حماد بن زيد إذا نظر إلى عبد الرحمن ابن مهدي في مجلسه تهلل علمه^(٧).
صلة الذهلي بشيخه عبد الرحمن :

كان ابن مهدي من أوائل شيوخ الذهلي عند دخوله العراق وتلقيه عن مشايخه في مختلف المدن. وقد ذكر الذهبي أنه التقى به أولاً في أصبهان أول

(١) هو عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم شيخ الإسلام وعالم زمانه ، وأمير الأتقياء في وقته ، مات في رمضان سنة ١٨١ . ثقات ابن حبان ٥٧/٧ ، السير ٣٧٨/٨ .

(٢) شذرات الذهب ٣٥٥/١ .

(٣) تقدمه الجرح والتعديل ٢٥١/١ ، تذكرة الحفاظ ٣٣١/١ .

(٤) السير ١٩٤/٩ .

(٥) تقدمه الجرح والتعديل ٢٥٢/١ .

(٦) تاريخ بغداد ٢٤٣/١٠ .

(٧) السير ٢٠١/٩ .

خروجه للرحلة في طلب الحديث، ثم يَمَّ وجهة تلقاء العراق فبدأ بالبصرة. وعند بابها استقبلته جنازة يحيى بن سعيد القطان فلازم خَلْفَهُ فيها عبدالرحمن بن مهدي خمسة شهور فأكثر عنه جداً، وبعدها انتقل إلى رحمة الله^(١).

وقد وصف الإمام الذهبي عبدالرحمن شيخ الذهلي بأنه «أقدم شيخ له وأجلهم»^(٢).

وفاته:

قال ابن سعد: توفي بالبصرة في جمادى الآخرة [سنة ١٩٨ هـ]^(٣).

٧ - أحمد بن صالح المصري^(*).

نسبه ومولده:

هو أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر الحافظ المقرئ المعروف بابن الطبري^(٤).

ولد سنة ١٧٠ هـ في مصر^(٥).

(١) بتصرف السير ٢٧٤/١٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٩٧/٧، تاريخ بغداد ٢٤٨/١٠.

(*) مصادر ترجمته:

السير ١٦٠/١٢، خلاصة تذهيب الكمال ص ٧، تذكره الحفاظ ٤٩٥/٢. طبقات الحنابلة ٤٨/١، تذهيب الكمال ٣٤٠/١. تاريخ بغداد ١٩٥/٤، التاريخ الكبير ٦/٢، الجرح والتعديل ٥٦/٢. ميزان الاعتدال ١٠٣/١، طبقات الشافعية ٦/٢. شذرات الذهب ١١٧/٢، النجوم الزاهرة ٣٩٣/٢.

(٤) تاريخ بغداد ١٩٥/٤، تذهيب الكمال ٣٤٠/١.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٦/٢.

أشهر شيوخه وتلاميذه:

حدث عن سفيان بن عيينة، وعبدالرزاق بن همام، ويحيى بن حسان، وعبد الله بن وهب^(١)، وحرمي بن عمار^(٢)، وعنبسة بن خالد الأيلي^(٣)، وأبي نُعَيْم الفضل بن دكين الكوفي^(٤)، ومحمد بن إسماعيل ابن أبي فديك^(٥)، وعن خلق سواهم.

وحدث عنه: البخاري^(٦) وأبو داود^(٧) وأبو زرعة الرازي. وأبو زرعة الدمشقي^(٨)، وعثمان بن سعيد الدارمي^(٩)، ومحمود بن غيلان المروزي^(١٠)، وصالح بن محمد جزرة. وسواهم.

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولا هم أبو محمد المصري الفقيه ثقة حافظ عابد سنة ١٩٧، التقريب ص ٣٢٨.

(٢) هو حرمي بن عمار ابن أبي حفصة العتكي أبوروح صدوق يهم، مات سنة ٢٠١، التقريب ص ١٥٦.

(٣) هو عنبسة بن خالد بن يزيد الأموي مولا هم الأيلي ابن أخي يونس بن يزيد صدوق مات سنة ١٩٨، التقريب ص ٤٣٢ والأيلي نسبة إلى أيلة بلدة على ساحل بحر القلزم مما يلي ديار مصر، الأنساب ١/٢٣٧.

(٤) سترجم له بتوسع في ص ١٧٤.

(٥) هو محمد بن إسماعيل بن مسلم ابن أبي فديك الديلي مولا هم المدني أبو إسماعيل صدوق، مات سنة ٢٠٠هـ، التقريب ص ٤٦٨ والديلي بكسر الدال نسبة إلى بني الديل بن هداد من الأزد، الأنساب ٢/٥٢٨.

(٦) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري. جيل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث. مات سنة ٢٥٦هـ، التقريب ص ٤٦٨.

(٧) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبو داود. ثقة حافظ. مصنف السنن وغيرها، مات سنة ٢٧٥هـ، التقريب ٢٥٠.

(٨) هو عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري أبو زرعة الدمشقي. ثقة حافظ مصنف، مات سنة ٢٨١، التقريب ص ٣٤٧.

(٩) هو عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي، أحد أئمة الدنيا، الإمام الحافظ الناقد. توفي سنة ٢٨٠، الثقات ٨/٤٥٥، السير ١٣/٣١٩.

(١٠) هو محمود بن غيلان العدوي مولا هم، أبو أحمد المروزي، نزيل بغداد. ثقة من العاشرة مات سنة ٢٣٩، التقريب ص ٥٢٢.

ثناء العلما عليه :

قال محمد بن عبدالله بن غير : إذا جاوزت الفرات فليس أحد مثل أحمد بن صالح .

وقال يعقوب بن سفيان : كتبت عن ألف شيخ وكسر ، حجتني فيما بيني وبين الله جلان : أحمد بن صالح ، وأحمد بن حنبل^(١) . وقال أبو زرعة الدمشقي : سألتني أحمد بن حنبل . من خلفت بمصر ؟ قلت : أحمد بن صالح . فسر بذكره ، ودعاه^(٢) .

قال الذهبي : الرجل حجة ثبت لاعبرة بقول من نال منه ، ولكنه كما قال الخطيب : كان فيه الكبر وشراسة الخلق . نال النسائي جفاء منه في مجلسه . فذلك الذي أفسد بينهما^(٣) .

وقال البخاري : أحمد بن صالح ثقة صدوق ، مارأيت أحداً يتكلم فيه بحجة ، وكان أحمد بن حنبل ، وعلي ، وابن غير يثنون على أحمد بن صالح . كان علي يقول : سلوا أحمد فإنه أثبت^(٤) .

وقال العجلي : أحمد بن صالح مصري ثقة ، صاحب سنة^(٥) .

وقال ابن عدي : أحمد بن صالح من حفاظ الحديث ، وخاصة لحديث الحجاز ، ومن المشهورين بمعرفته^(٦) .

(١) تذكرة الحفاظ ٤٩٦/٢ .

(٢) ميزان الاعتدال ١٠٣/١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٤٩٦/٢ . وقال في ميزان الاعتدال ١٠٣/١ : أحد الأعلام ، أذى النسائي نفسه بكلامه فيه وقد علقت في ص ٤٦١ بما يسلط الضوء على حقيقة ما بينهما وسلامة أحمد بن صالح من تلك الطعون .

(٤) السير ١٦٢/١٢ .

(٥) الثقات : ص ٤٨ ، تاريخ بغداد ٢٠١/٤ .

(٦) السير ١٦٦/١٢ .

صلة الذهلي بشيخه أحمد :

إرتحل الذهلي إلى شيخه أحمد بن صالح في مصر والذي كان على جانب كبير من معرفة حديث الزهري ، فقصده الذهلي لينهل من علومه ، ويستفيد من تضلعه في التصنيف . فلما عرض [كتاب الزهريات] على شيخه علي ابن المديني وقال له : أنت وارث الزهري ، دخل مصر فتدارس مع شيخه أحمد كتابه . فانتقده في ضم عدة أحاديث ضعيفة إلى ما هو أقوى منها ، فجعل على ما استدركه شيخه علامة ، ثم أخرج عللها . وقد انتفع الذهلي بعلم شيخه أحمد بن صالح وروى عنه الكثير واستفاد من تقييمه وتوجيهاته^(١) . رحمهما الله .

وفاته :

توفي يوم الإثنين لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٢٤٨ هـ بمصر^(٢) .

٨ - عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى^(*)

نسبه ومولده :

هو عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر ، أبو مسهر الغساني الدمشقي الفقيه^(٣) .

مولده : قال عن نفسه : ولدت سنة ١٤٠^(٤) .

(١) راجع ماكتب عن عناية الذهلي بالزهري والزهريات ص ٢٤٠ ، في مبحث آثاره .

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٤٩ .

(*) مصادر الترجمة السير ١٠/ ٢٢٨ . الكاشف ٢/ ١٤٧ ، رجال صحيح مسلم ١/ ٤٤٦ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨١ ، التاريخ الكبير ٦/ ٧٣ ، تهذيب الكمال ٦/ ٣٦٩ ، شذرات الذهب ٢/ ٤٤ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٤٧٣ ، تاريخ بغداد ١١/ ٧٢ ، الجرح والتعديل ٦/ ٢٩ ، التقريب ص ٣٣٢ .

(٣) تهذيب الكمال ١٦/ ٣٦٩ ، السير ١٠/ ٢٢٨ . وقد ضبط العلامة محمد طاهر الهندي (مسهرًا) بضم الميم وسكون السين وكسر الهاء . المغني في ضبط أسماء الرجال ص ٢٣١ .

(٤) رجال صحيح مسلم ١/ ٤٤٦ .

أشهر شيوخه وتلاميذه:

حدث عن: مالك بن أنس، وإسماعيل بن عياش، وبقيّة بن الوليد، وسفيان ابن عيينة، وسعيد ابن أبي عروبة^(١)، وسعيد بن عبدالعزيز التنوخي^(٢)، وعبد الله بن عبد الله بن سماعة^(٤). وخلق غيرهم.

وحدث عنه: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني^(٥)، وأحمد بن صالح المصري، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن يوسف السلمي، وإسحاق الكوسج^(٦)، ومحمد بن ادريس الرازي، ويحيى بن معين^(٧)، وسواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا مسهر، ما كان أثبتة، وجعل يطريه^(٨)، وقيل لأبي داود: إن أبا مسهر كان متكبراً في نفسه.

(١) هو سعيد ابن أبي عروبة مهران الشكري مولا هم أبو النضر البصري، ثقة حافظ كثير التدليس، مات سنة ١٥٦ هـ، التقريب ص ٢٣٩.

(٢) هو سعيد بن عبدالعزيز التنوخي الدمشقي، ثقة إمام سوءه الإمام أحمد بالأوزاعي، مات سنة ١٦٧، اختلط بآخره، والتنوخي بفتح التاء وضم النون نسبة إلى تنوخ عدة قبائل تآزرت فسميت تنوخا، التقريب ص ٢٣٨، الأنساب ٤٨٤/١.

(٣) هو عبد الله بن عبد الرّملّي الأرسوفي أبو عتبة الخواص. صدوق يهم من التاسعة. التقريب ص ٢٩٠. والأرسوفي بضم الألف والسين نسبة إلى أرسوف مدينة على ساحل بحر الشام. الأنساب ١١٢/١.

(٤) هو اسماعيل بن عبد الله بن سماعة العدوي مولى آل عمر الرملّي، ثقة من الثامنة، التقريب ص ١٠٨.

(٥) هو إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني، ثقة حافظ رمي بالنصب مات سنة ٢٥٩ هـ، التقريب ص ٩٥.

(٦) هو إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج أبو يعقوب المروزي، ثقة ثبت مات سنة ٢٥١ هـ، التقريب ص ١٠٣. والكوسج بفتح الكاف والسين، نسبة إلى سكة بمر ويقال لها: كوى إسحاق كوسة. الأنساب (١٠٧/٥).

(٧) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني. مولا هم أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، مات سنة ٢٣٣ بالمدينة، التقريب ص ٥٩٧.

(٨) السير ٢٣١/١٠.

فقال : كان من ثقات الناس ، رحم الله أبا مسهر ، لقد كان من الإسلام بمكان ، حمل على المحنة فأبى ، وحمل على السيف فمد رأسه ، وجرد السيف فأبى أن يجيب ، فلما رأوا ذلك منه حمل إلى السجن فمات^(١) .

وقال الجوهري : رأيت أبا مسهر عبداً على ببغداد ، وكان أبيض الرأس واللحية ، وكان لا يخضب ، حبس في المحنة حتى مات ببغداد في الحبس^(٢) .
وقال الذهبي : من أجل العلماء وأفصحهم وأحفظهم^(٣) .

وقال محمد بن سهل بن عسكر : مارأيت رجلاً كان أعلم بالمغازي وأيام الناس من أبي مسهر^(٤) ، وقال يحيى بن معين : منذ خرجت من بغداد إلى أن رجعت لم أر مثل أبي مسهر^(٥) .

كان قوالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم . فلما وافى المأمون دمشق ونزل بدير مران . وبنى القبة فوق الجبل ، فكان بالليل يأمر بجمر عظيم ، فيوقد ويجعل في طسوت كبار ، تدلى بسلاسل وحبال . فتضي لها الغوطة ، فيبصرها بالليل . وكان لأبي مسهر حلقة في الجامع بين العشاءين . فبينما هو ليلة ، إذ قد دخل الجامع ضوء عظيم ، فقال أبو مسهر : ما هذا ؟ قالوا : النار التي تدلى من الجبل لأمر المؤمنين حتى تضيء الغوطة . فقال : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾^(٦) فحمل كلامه إلى المأمون فحقدتها عليه ، فامتحنه في بغداد بالقول بخلق القرآن^(٧) .

(١) تاريخ بغداد ١١ / ٧٤ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٧٥ .

(٣) الكاشف ٢ / ١٤٧ .

(٤) رجال صحيح مسلم ١ / ٤٤٦ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٨١ .

(٦) الشعراء [٢٨ - ١٢٩] .

(٧) السير ١٠ / ٢٣٤ .

صلة الذهلي بشيخه عبد الأعلى :

التقى الذهلي أثناء رحلته إلى الشام بعدد من مشايخه في فلسطين وأنطاكية وحمص ، كما سبق ذكره في رحلاته ، وكان من أشهر شيوخه فيها أبو مسهر عبد الأعلى الذي التقى به في دمشق ، وحدث عنه الكثير في جامع بني أمية قبل أن يبتلى رحمه الله بفتنة خلق القرآن ، والتي سيق على إثرها إلى بغداد وسجن فيها حتى مات .

وفاته :

سجنه المأمون نحواً من مائة يوم . وجاءه الأجل فمات في سنة ٢١٨ هـ (١) .

٩ - علي ابن المديني (٢) .

نسبه ومولده :

هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولا هم البصري أبو الحسن المعروف بابن المديني (٢) .
ولد علي سنة ١٦١ بالبصرة (٣) .

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨١ .

(*) مصادر ترجمته :

المعجم المشتمل لابن عساكر ص ١٩٣ ، المعرفة والتاريخ للقسوي ٢/ ٢١٠ ، الضعفاء الكبير للعقيلي ٣/ ٢٣٥ ، التاريخ الكبير ٦/ ٢٨٤ ، التاريخ الصغير ٢/ ٣٣٣ ، شذرات الذهب ٢/ ٨١ ، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١ ، مقدمة الجرح والتعديل ١/ ٣١٩ ، تاريخ بغداد ١١/ ٤٥٨ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٤٥ ، البداية والنهاية ١/ ٣١٢ ، تهذيب الكمال ٢١/ ٥ ، التقريب ص ٤٠٣ ، الفهرست ص ٢٨٦ .

(٢) السير ١١/ ٤١ . والمديني بفتح الميم وكسر الدال والنون نسبة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الأنساب ١/ ٢٣٥ .

(٣) السير ١١/ ٤٣ .

أشهر شيوخه وتلاميذه :

الأسود بن عامر شاذان، وحرّمي بن عمارة، وسعيد بن عامر، وسفيان بن عيينة، وأبو عاصم الضحاك بن مخلد، وعبدالله بن وهب، وعبدالرحمن بن مهدي، وعبدالرزاق بن همام، وعلي بن عاصم، وأبو نعيم الفضل بن دكين.

وحدث عنه :

البخاري، وأبو داود، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وأحمد بن حنبل - وهو من أقرانه - وسفيان بن عيينة - وهو من شيوخه - وحنبل بن إسحاق، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، ومحمد بن عبدالرحيم صاعقه^(١).

ثناء العلماء عليه :

قال أبو حاتم : كان عليّ علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل^(٢)، وقال عبدالرحمن بن مهدي : عليّ ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة حديث ابن عيينة^(٣).

وقال يحيى بن سعيد القطان : يلومونني في حب عليّ ابن المديني وأنا أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني^(٤).

وقال النسائي : كأن الله خلق عليّ ابن المديني لهذا الشأن^(٥) [يعني علم الحديث].

(١) هو محمد بن عبد الرحيم ابن أبي زهير البغدادي، البزاز، أبو يحيى، ثقة حافظ، توفي سنة ٢٥٥، التقريب ص ٤٩٣. والبزاز نسبة إلى من يبيع البز وهو الثياب، الأنساب ٣٣٨/١.

(٢) تاريخ بغداد ٤٥٨/١١.

(٣) تهذيب الكمال ١٢/٢١.

(٤) تاريخ بغداد ٤٦٠/١١، السير ٤٥/١١.

(٥) تاريخ بغداد ٤٦١/١١.

وكان رحمه الله إذا قدم بغداد، تصدر الحلقة وجاء يحيى وأحمد بن حنبل والمعيطي والناس يتناظرون، فإذا اختلفوا في شيء تكلم فيه علي^(١).

وقال البخاري : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني^(٢).

وكان سفيان بن عيينة إذا أستثبت أو سئل عن شيء يقول : لو كان حية الوادي^(٣) [يقصد علي ابن المديني] وقد كان سفيان بن عيينة يسميه : حية الوادي.

صلة الذهلي بشيخه علي ابن المديني :

كان علي ابن المديني أحد تلك الرفقة المباركة التي التقى بها الذهلي عند عبدالرزاق في صنعاء، مع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق. فشارك شيخه في شيوخه بل أكثر مع الاعتناء بالتحصيل، ولما أَلَّفَ زهرياته عرضها على ابن المديني الذي أبدى إعجابه الشديد به وبمصنّفه فقال : أنت وارث الزهري^(٤).

وقال مرة أخرى مثنياً عليه في غيبته : كفى محمد بن يحيى جمع حديث الزهري^(٥).

كما كان الذهلي على صلة قوية بشيخه علي . استفادة من علمه وبالأخص بروزه في علم العلل واستنارة بتوجيهه ونصحه . والله اعلم.

وفاته :

قال الحارث بن محمد : مات بسامراء في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين^(٦).

(١) تاريخ بغداد ١١/٤٦٢، تهذيب الكمال ٢١/١٦.

(٢) تاريخ بغداد ١/٤٦٣.

(٣) تهذيب الكمال ٢١/١٠.

(٤) تاريخ بغداد ٣/٣١٧.

(٥) المصدر السابق ٣/٣١٨.

(٦) السير (١١/٥٩).

١٠- الفضل بن دُكَيْن (*)

نسبه ومولده :

أبو نُعَيْم الفضل بن عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي الطلحي
القرشي مولاهم الكوفي الملائي الأحول مولى آل طلحة بن عبيد الله (١).
ولد سنة ثلاثين ومائة (٢).

أشهر شيوخه وتلاميذه :

حدث عن جرير بن عبد الحميد، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة،
وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشعبة بن الحجاج. وسواهم.
حدث عنه أحمد بن حنبل، والبخاري، وإسحاق بن راهويه،
وأبو خيثمة، وزهير بن حرب، وعباس بن محمد الدوري، وأبو بكر ابن أبي
شيبه، وعبد بن حميد، وأبو زرعة الرازي، وغيرهم.

ثناء العلماء عليه :

قال حنبل بن إسحاق : قال أبو نعيم : كتبت عن نيف ومائة شيخ ممن كتب
عنه سفيان (٣) وقال أيضاً : نظر ابن المبارك في كتبي فقال ما رأيت أصح من
كتابك (٤).

(*) مصادر ترجمته : السير ١٠/١٤٢، تهذيب الكمال ٢٣/١٩٧، الجرح والتعديل ٧/٦١،
شذرات الذهب ١/٤٦، تاريخ بغداد ١٢/٣٤٦، طبقات خليفه ص ١٧٢. التاريخ الكبير
٧/١١٨. المعارف لابن قتيبة ص ٥٢٦.

(١) السير ١٠/١٤٢، تهذيب الكمال ٢٣/١٩٧. ودُكَيْن لقب لوالده عمرو، يقال كان اسم لكلب
كانت حاضنته تفزع به. نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر ١/٢٦٤، ونُعَيْم بالتصغير لنعيم،
انظر المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم للعلامة محمد بن
طاهر الهندي ص ٢٩٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢٣/٢١٧، التاريخ الكبير ٧/١١٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/٣٤٨، السير ١٠/١٤٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/٣٤٨.

وقال أحمد بن حنبل : شيخان كان الناس يتكلمون فيهما ويذكرونهما
 وكنا نلقى من الناس في أمرهما ما الله به عليم قاما لله بأمر لم يقيم به كبير أحد،
 عفان، وأبو نعيم^(١). وقال أيضاً: نزاحم به سفيان^(٢). وقال أحمد بن صالح:
 ما رأيت محدثاً أصدق من أبي نعيم^(٣). وقال يعقوب بن سفيان: أجمع أصحابنا
 أن أبا نعيم غاية في الإتقان والحفظ وأنه حجة^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن أبي نعيم... فقال: ثقة كان يحفظ
 حديث الثوري ومنسر حفظاً جيداً... كان يأتي بحديث الثوري عن لفظ واحد
 لا يغيره وكان لا يلحق وكان حافظاً متقناً^(٥).

صلة الذهلي بشيخه أبي نعيم:

حدث الذهلي - عن شيخه أبي نعيم^(٦) - وروى عنه بالمكاتبة شيئاً كثيراً
 وكان معظمه في الوفيات، وقد كان رحمه الله من أعلم الناس بالشيخوخ
 وأنسابهم وبالرجال^(٧). وقد نقل إلينا الإمام الكلاباذي^(٨) في كتابه رجال صحيح
 البخاري بعض ما كتبه أبو نعيم لتلميذه الذهلي وعدته «٥٦» رواية. يقيدها
 بقوله... وفيما كتب إلي أبو نعيم^(٩)، وهذه المكاتبة إن دلت على شيء فأنما تدل

(١) السير ١٤٩/١٠، تاريخ بغداد ٣٤٩/١٢ - وعفان هو ابن مسلم الباهلي، أبو عثمان الصِّقَّار
 البصري ثقة ثبت. من كبار العاشرة، انظر التقريب ص ٣٩٣.

(٢) السير ١٥١/١٠.

(٣) السير ١٤٧/١٠.

(٤) المعرفة والتاريخ ٦٣٣/٢، تاريخ بغداد ٣٥٣/١٢.

(٥) الجرح والتعديل ٦٢/٧. تهذيب الكمال ٢١٢/٢٣.

(٦) السير ١٤٥/١٠.

(٧) السير ١٤٧/١٠.

(٨) هو أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي الإمام الحافظ الأوحدي نصر قال عنه
 الحاكم: حسن الفهم والمعرفة، توفي في جمادى الآخرة ٣٩٨، انظر السير ٩٤/١٧. وكلاتباز
 نسبة إلى محلة كبيرة في بخارى، الأنساب ١١٤/٥.

(٩) انظر جميع هذه الروايات سواء منفردة عن أبي نعيم أو مضمومة إلى أخذه مشافهه عن شيخه
 يحيى بن بكير - في مطلب معرفته بتواريخ الزواة والوفيات في الفصل الأول من الباب
 الثالث، من ص ٥٠٤ إلى ٥٠٨.

على الثقة والمحبة المتبادلة بين الشيخ وتلميذه ، وعلى الحركة العلمية المرشدة في تلك الحقبة المباركة .

وفاته :

توفي أبو نعيم رحمه الله سنة ٢١٩ هـ^(١) بالكوفة ليلة الثلاثاء سلخ شعبان^(٢) .

(١) طبقات خليفة ص ١٧٢ ، التاريخ الكبير ١١٨/٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٣٥٦/١٢ ، التهذيب ٢١٨/٢٣ .

المبحث الرابع تلاميذه

كان الإمام الذهلي من الأئمة الذين وثق الناس بعلمهم واستناروا بأرائهم .
لذا فقد كانوا يرحلون إليه سواء كان في نيسابور أو بغداد أو البصرة أو حيثما كان
وجوده .

ولقد كان لمجالسه العلمية ومجالس الإملاء والمناظرة التي كان يعقدها في
كثير من البلدان التي يزورها ، أثر بعيد في التعريف بشخصيته العلمية . كما قد
أكسبته رحلاته العلمية مكانة ثقافية واجتماعية كبرى . وهذا التفوق العلمي
العالي الذي حازه الإمام الذهلي كان مدعاة لكثرة تلامذته ونبوغ أعداد كبيرة
منهم . ويكفي للدلالة على ذلك أن الإمام مسلماً رحمه الله لم يكن يفرط في
مجالس الإمام الذهلي العلمية منذ أن عرفه ، حتى بعد نشوب مسألة اللفظ بين
الذهلي والبخاري مع مخالفته لشيخه في مذهبه .

وقد أسعفتنا المصادر بأسماء عدد لا بأس به ، كان منهم الأئمة الستة
البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، ومنهم أمثال ابن
الجارود والمروزي وابن خزيمة . وأئمة آخرون كان لعلمهم ومصنفاتهم ومواقفهم
أكبر الأثر في إرساء دعائم الدين والذود عن حياضه .

ولم أترجم لأحد من أصحاب الكتب الستة لشهرتهم ومعرفة الأمة بهم
جميعاً وإن نظرة عابرة إلى تراجم مشايخه أولئك وتلامذته هؤلاء لتدل أبلغ دلالة
على أهمية طلب العلم على الشيوخ الذين هم بمثابة جامعة تجمع شتى العلوم مع
المنهج التربوي السليم للتلميذ ، والقذوة والتوجيه .

وسأسرد أسماء من وجدت من تلاميذه في ملحق الرسالة الثاني . بينما
أترجم هنا لطائفة منهم نقف من خلال أخبارهم وأحوالهم على مكانتهم
الكبيرة .

١ - محمد بن إسحاق بن خزيمة (*) .

نسبه ومولده :

هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة أبو بكر السلمي النيسابوري
الحافظ الحجة إمام الأئمة (١) . ولد سنة ٢٢٣ هـ (٢) .

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من إسحاق بن راهوية، ومحمود بن غيلان، وعلي بن حجر (٣) ،
وأحمد بن إبراهيم الدورقي (٤) ، وأخيه يعقوب (٥) ، ومحمد بن رافع، وهارون
ابن إسحاق الهمداني (٦) .

حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين (٧) ، وأحمد بن المبارك

(*) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣/ ٨٣١، الجرح والتعديل ٧/ ١٩٦، ثقات ابن حبان
٩/ ١٥٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٠٩، السير ١٤/ ٣٦٥،
البداية والنهاية ١١/ ٤٩، شذرات الذهب ٢/ ٢٦٢، المعين في طبقات المحدثين ص ١٦١،
الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص ٢٠ للعلامة محمد بن جعفر الكتاني
باعثناء حفيده محمد المتنصر الكتاني .

(١) السير ١٤/ ٣٦٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ .

(٣) هو علي بن حجر بن إياس السعدي أبو الحسن المروزي، نزيل بغداد، ثم مرو، ثقة حافظ، مات
سنة ٢٤٤ هـ وقد قارب المائة . التقريب ص ٣٩٩، والتهذيب ٧: ٢٥٩ .

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي البكري البغدادي أبو عبدالله، ثقة حافظ، مات
سنة ٢٤٦ هـ، التقريب ص ٧٧، تهذيب التهذيب ١/ ٩ .

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي أبو يوسف ثقة مات سنة ٢٥٢ وله ست وثمانون سنة وكان
من الحفاظ، التقريب ص ٦٠٧ .

(٦) هارون بن إسحاق بن محمد بن مالك الهمداني أبو القاسم الكوفي، صدوق، مات سنة
٢٥٨ هـ، التقريب ٥٦٨ .

(٧) انظر السير ١٤/ ٣٦٦ .

المستملي، وإبراهيم ابن أبي طالب، وأبو حاتم البستي، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم^(١)، [أحد شيوخه]، وأبو العباس الدغولي^(٢).

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الخليلي: إتفق في وقته أهل الشرق أنه إمام الأئمة^(٣). وقال ابن حبان: كان رحمه الله أحد أئمة الدنيا علماً وفقهاً وحفظاً وجمعاً واستنباطاً حتى تكلم في السنن بإسناد لا نعلم سبق إليها غيره من أئمتنا مع الإتقان الوافر والدين الشديد إلى أن توفي رحمه الله^(٤).

وقال الدار قطني: كان ابن خزيمة إماماً ثباتاً، معدوم النظير^(٥).

وقال الذهبي: أكثر وجوداً وصنف واشتهر اسمه، وانتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان^(٦)، وقال أيضاً: ولا ابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، وإتباعه السنة^(٧).

وقال ابن كثير: كان بحراً من بحور العلم، طاف البلاد، ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم، فكتب الكثير وصنف وجمع، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلها، وهو من المجتهدين في دين الإسلام^(٨).

(١) محمد بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين المصري الفقيه أبو عبدالله، ثقة، مات سنة ٢٦٨، التقريب ص ٤٤٨، وطبقات علماء الحديث ٢/ ٢٣٠.

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٢.

(٣) الارشاد ٣/ ٨٣١.

(٤) الثقات ٩/ ١٥٦.

(٥) السير ١٤/ ٣٧٢.

(٦) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢١.

(٧) السير ١٤/ ٣٧٤.

(٨) البداية والنهاية ١١/ ١٤٩، وجدير بالذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية سئل عن أصحاب الكتب الستة وابن خزيمة وسواهم هل كانوا مجتهدين أم مقلدين؟ فأجاب بأنهم على مذهب أهل الحديث، ليسوا مقلدين لواحد بعينه من العلماء، ولا هم من الأئمة المجتهدين على الإطلاق... إلخ. مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٠.

صلة ابن خزيمة بشيخه الذهلي :

كان ابن خزيمة أحد من لازم الإمام الذهلي كثيراً، ونهل من علمه وفضله وتأثر بأخلاقه وحسن معاملته . . . ويصوّر ذلك لنا أبلغ تصوير ذلك الكمّ الهائل من رواياته عنه في كتابيه التوحيد والصحيح^(١) . . . كما كان ابن خزيمة شديد المحبة لشيخه الذهلي . . . دلّ على ذلك دعواته له حتى في أثناء سياق الأسانيد ورواية الحديث وهي مواضع تخلو غالباً من مثل هذه المشاعر . . . فقد ساق عنه إسناداً قال فيه : حدثنا محمد بن يحيى - أسكنه الله جنته - قال : ثنا يزيد . . . الخ^(٢) ، كما أنه كان ينقل عنه كثيراً من أحواله وأقواله الفقهية سيأتي عرضها في ثنايا البحث .

وفاته :

ضبط الذهبي وفاته في ثاني ذي القعدة سنة ٣١١ ، وقد عاش ٨٩ سنة^(٣) .

٢ - محمد بن النضر الجارودي^(*)

نسبه :

هو محمد بن النضر بن سلمة بن الجارود بن يزيد العامري الجارودي أبو بكر النيسابوري^(٤) .

(١) انظر سرد مواضع تلك الروايات في ملاحق رواياته .

(٢) التوحيد ١/ ٤٨١ .

(٣) السير ١٤/ ٣٨٢ .

(*) الإرشاد ٣/ ٨٤٧ ، الأنساب ٢/ ٨ ، الجرح والتعديل ٨/ ١١٠ ، طبقات علماء

الحديث ٢/ ٣٨٩ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٣ ، اللباب ١/ ٢٤٩ ، تهذيب الكمال ١٦/ ٥٥٣ ،

تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣ ، خلاصة تهذيب الكمال ص ٣٦١ ، التقريب ص ٥١٠ ، شذرات

الذهب ٢/ ٢٠٨ ، السير ١٣/ ٥٤١ .

(٤) تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٥٤ ، السير ١٣/ ٥٤٢ ، الجرح والتعديل ٨/ ١١١ والجارودي نسبة إلى

جده الجارودي ، انظر اللباب ١/ ٢٤٩ .

أشهر شيوخه وتلاميذه :

روى عن أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وأحمد بن حفص السلمي ، ومحمد ابن رافع النيسابوري ومحمد بن الصباح الجرجرائي^(١) ، ومحمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب^(٢) .

وروى عنه النسائي ، وأبو حامد ابن الشرقي ، وابن أبي حاتم ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، وخلق سواهم .

ثناء العلماء عليه :

قال الحاكم : كان شيخ وقته ، وعين علماء عصره حفظاً وكمالاً ومروءة ورئاسة ، وكانت رحلته مع مسلم^(٣) .

وقال ابن العماد : كان يتولى أمور مسلم بن الحجاج ، وكان مسلم يعتمد عليه في جميع أسبابه ، وكان إمام وقته^(٤) ، وقال السمعاني : كان من المتعصبين للحديث والذين عن أهل نحلته ، وله في ذلك أخبار مدونة^(٥) .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه بالري ، وهو صدوق من الحفاظ^(٦) ، وقال السمعاني : والجارود جد أبيه صاحب أبي حنيفة^(٧) ، وقال الحاكم : كان أبوه

(١) هو محمد بن الصباح الجرجرائي الأموي مولاهم أبو جعفر التاجر ، وثقه أبو زرعة ، مات سنة ٢٤٠هـ ، ونسبته هذه إلى جرجرايا . بلدة قريبة من دجلة ، خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٤١ ، الباب ١ / ٢٧٠ .

(٢) هو محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب الأموي ، البصري ، صدوق من كبار العاشرة ، مات سنة ٢٤٤هـ ، التقريب ص ٤٩٤ .

(٣) طبقات علماء الحديث ٢ / ٣٨٩ ، تذهيب الكمال ٢٦ / ٥٥٥ .

(٤) شذرات الذهب ٢ / ٢٤٩ .

(٥) الأنساب ٢ / ٠٨ .

(٦) الجرح والتعديل ٨ / ١١١ .

(٧) الأنساب ٢ / ٨ .

وجدهُ والجارود جد أبيه كلهم رأيون وأبو بكر حديثي مُحَكَّم في المذهب^(١).
وقال : كان رفيق مسلم في الرحلة^(٢)
صلة الجارودي بشيخه الذهلي :

كان أبو بكر الجارودي من أوثق طلبة العلم صلة بالإمام الذهلي وأوسعهم
صدراً وتواضعاً للعلم وأهله : فقد كان ذات مرة في مجلس شيخه الذهلي . وفي
أثناء المجلس حدث الذهلي بحديث أخطأ فيه فردَّ عليه الجارودي فزبره^(٣) ، فلما
كان المجلس الثاني قال الذهلي : ها هنا الجارودي ؟ قال له : نعم قال : الصواب
ماقلته ، فاني رجعت إلى كتابي فوجدته على ما قلت^(٤) .

وهذا يبين لنا ماكانا عليه من صفاء وخدمة للعلم . . . وقد كان أبوبكر
الجارودي من أصحاب الذهلي وجيرانه ، قال السمعاني : وكان منزله بالقرب من
منزل محمد بن يحيى الذهلي فنشأ معه وفي صحبتته^(٥) . وكان بينهما ما هو أكبر
من ذلك من رفع الكلفة ودوام الألفة ، فقد كان الجارودي يبيت عند شيخه
الذهلي ، ويعينه عند تصنيفه للكتب في ضبط مايلتبس من قواعد اللغة العربية .

قال أبو حامد ابن الشرقي : كان الجارودي يبيت عند محمد بن يحيى ،
وكان ابن يحيى يستعين بعربيته في مصنفاته^(٦) ، ولذا قال أبو حامد : كان
الجارودي ثباً عند محمد بن يحيى^(٧) .

(١) المصدر السابق .

(٢) طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٨٩ ، السير ١٣/ ٥٤٢ .

(٣) سبق بيان معنى الكلمة ص ٧٣ .

(٤) الأنساب ٨/ ٢ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣ .

(٥) الأنساب ٨/ ٢ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣ .

وهذه الصور من المحبة والتلاحم والتعاون تشير في غير مالبس إلى جانب من سماحة هذا الدين وعظمة رجاله الذين يتتبعون سيرة وأخلاق صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم.

وفاته:

قال ابن عبد الهادي: مات في ربيع الأول سنة ٢٩١ هـ، رحمه الله^(١).

٣ - أبو حامد ابن الشرقي(*)

نسبه ومولده:

هو أحمد بن محمد بن حسن أبو حامد النيسابوري ابن الشرقي^(٢).

مولده: قال السمعاني في الأنساب: كانت ولادته سنة ٢٤٠ هـ، في شهر رجب^(٣).

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع عبد الرحمن بن بشر، ومسلم بن الحجاج وأبا الأزهر أحمد بن الأزهر، وأحمد بن يوسف السلمي، وأحمد بن حفص بن عبد الله^(٤)، وأبو حاتم، والعباس بن محمد الدوري وسواهم.

(١) طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٩٠.

(*) الأنساب ٣/ ٤١٩، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٤٠، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٦، السير ٣٧/ ١٥، تذكرة الحفاظ ٣/ ٤١٩، تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٦، البداية والنهاية ١١/ ١٨٨، لسان الميزان ١/ ٣٣٥، المنتظم ١٣/ ٣٦٧، العبر ٢/ ٢٤، شذرات الذهب ٢/ ٣٠٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٠.

(٢) السير ٣٧/ ١٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٠، وقيل ابن الشرقي لأنه يسكن الجانب الشرقي بنيسابور، الأنساب ٣/ ٤١٩.

(٣) الأنساب ٣/ ٤١٩.

(٤) هو أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد السلمي النيسابوري، صدوق، مات سنة ٢٥٨ هـ، التقريب ص ٧٨.

روى عنه أبو العباس بن عقدة، وأبو أحمد العسال^(١)، وأبو أحمد بن عدي^(٢)، وأبو أحمد الحاكم، وزاهر بن أحمد السرخسي^(٣)، وخلق سواهم .

ثناء العلماء عليه :

ساق الخطيب البغدادي بسنده إلى أحمد بن الحسين بن علي التميمي أنه سمع محمد بن إسحاق بن خزيمة - ونظر إلى أبي حامد ابن الشرقي فقال : حياة أبي حامد تحجز بين الناس والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) .

وقال السمعاني : كان في الحج يكتب في الطريق ويكتب عنه^(٥) .

وقال أبو عبد الله الحاكم : هو واحد عصره حفظاً وإتقاناً ومعرفة^(٦) .

وقال ابن كثير : كان حافظاً كبير القدر كثير الحفظ ، كثير الحج ، رحل إلى الأمصار ، وجاب الأقطار وسمع الكبار^(٧) ، وقال ابن العماد : هو الحافظ البارع الثقة المصنف^(٨) .

(١) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو أحمد القاضي الأصبهاني العسال ، ثقة مأمون ، توفي سنة ٣٦٠هـ ، السير ٦/١٦ .

(٢) هو عبد الله بن عدي بن عبد الله ، أبو أحمد الجرجاني ، صاحب كتاب الكامل في الضعفاء ، مات سنة ٣٦٥هـ ، السير ١٦/١٥٤ .

(٣) هو زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو علي السرخسي ، فقيه خراسان ، شيخ القراء والمحدثين ، مات سنة ٣٨٩هـ ، السير ١٦/٤٧٦ . والسرخسي نسبة إلى بلدة قديمة من خراسان ، الأنساب ٣/٢٤٤ .

(٤) تاريخ بغداد ٤/٤٢٧ ، الموضوعات للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ١/٤٥ ، باعتناء عبد الرحمن عثمان ، الطبقات الكبرى للشافعية ٣/٤١ .

(٥) الأنساب ٣/٤١٩ .

(٦) السير ١٥/٣٧ .

(٧) البداية والنهاية ١١/١٨٨ .

(٨) شذرات الذهب ٢/٣٠٦ .

وقال أحمد بن عدي: لم أر أحفظ ولا أحسن سرداً من أبي حامد ابن الشرقي، كتب جمعه لحديث أيوب السختياني، فكنت أقرأ عليه من كتابه، ويقرأ معي حفظاً من أوله إلى آخره^(١). وقال الدارقطني: ثقة مأمون إمام^(٢).

صلة أبي حامد بشيخه الذهلي:

تلقى أبو حامد ابن الشرقي من شيخه الذهلي العلم، وتأثر بأدبه وأخلاقه، وكان مطلعاً على أحواله وعلاقاته بأهل العلم وطلبته، فقد نقل لنا جلوس صالح جزره عند شيخه الذهلي وقراءته عليه كتابه «الزهریات»^(٣). كما كان عارفاً بمكانة شيخه في ناحيته الكبرى خراسان، قال: ما أخرجت خراسان مثل محمد ابن يحيى^(٤).

وهكذا نلمح مدى قرب ابن الشرقي من شيخه، ومعرفته لفضله.

وفاته:

توفي أبو حامد ابن الشرقي في شهر رمضان سنة ٣٢٥. (٥)

٤ - محمد بن اسحاق السراج^(٥)

نسبه ومولده:

هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران، أبو العباس السراج مولى ثقيف^(٦)، ولد أبو العباس سنة ٢١٦ هـ^(٧) وقال ابن الجوزي سنة ٢١٨^(٨).

(٢) لسان الميزان ١/٣٣٥.

(١) السير ٣٩/١٥.

(٤) السير ١٢/٢٨٤.

(٣) تاريخ بغداد ٩/٣٢٢.

(٥) المصدر السابق ١٥/٤٠.

(*) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣/٨٢٨، السير ١٤/٣٨٨، الجرح والتعديل ٧/١٩٦، تذكرة الحفاظ ٢/٧٣١، المنتظم ١٣/٢٥٢، الفهرست ص ١٧٣، البداية والنهاية ١١/١٥٣، تاريخ بغداد ١/٢٤٨، طبقات الشافعية الكبرى ٣/١٠٨، النجوم الزاهرة ٣/٢٤١، الأنساب ٣/٢٤١، شذرات الذهب ٢/٢٦٨، العبر ١/٤٦٧ - الرسالة المستطرفة ص ٧٥.

(٦) تاريخ بغداد ١/٢٤٨ والسراج نسبة إلى عمل السراج الذي يوضع على الفرس. كان من أجداده من يعمل السروج. انظر الأنساب ٣/٢٤١.

(٧) السير ١٤/٣٨٩.

(٨) المنتظم ١٣/٢٥٢.

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من إسحاق بن راهويه، ومحمد بن الصباح الجرجرائي، ويعقوب الدؤري، ومحمد بن رافع، وعقبة بن مكرم^(١)، وداود بن رشيد^(٢)، والحسن بن عيسى بن ماسرجس^(٣) وسواهم.

وحدث عنه البخاري ومسلم : خارج الصحيحين، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم البستي، وأبو أحمد بن عدي، وأبو أحمد الحاكم، وأبو العباس ابن عقدة، وخلق غيرهم.

ثناء العلماء عليه :

قال الخطيب البغدادي : كان من المكثرين الثقات الصادقين الأثبات عني بالحديث، وصنّف كتباً كثيرة وهي معروفة مشهورة. ^(٤) وقال السبكي : كان شيخاً مسنداً صالحاً، سعيداً، كثير المال وكان يركب حماره، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ^(٥). وقال ابن كثير : كان يعدُّ من مجابي الدعوة ^(٦).

وقال الصعلوكي : حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق الأوحدي في فنه، الأكمل في وزنه، وكنا نقول في مكاتبنا : السراج كالسراج. ^(٧) وقال أبو بكر

(١) هو عقبة بن مكرم العمي، أبو عبد الملك البصري، ثقة مات في حدود سنة ٢٥٠، التقريب ص ٣٩٥.

(٢) هو داود بن رشيد، الهاشمي مولاهم، الخوارزمي، ثقة من العاشرة مات سنة ٢٣٩، التقريب ص ١٩٨.

(٣) هو الحسن بن عيسى بن ماسرجس أبو علي النيسابوري ثقة من العاشرة مات سنة ٢٤٠، التقريب ص ١٦٣. وماسرجس يفتح السين وسكون الراء وكسر الجيم، المغني في ضبط أسماء الرجال ص ٢٢٠.

(٤) تاريخ بغداد ١/ ٢٤٨.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٠٨.

(٦) البداية والنهاية ١١/ ١٥٣.

(٧) الأنساب ٣/ ٢٤١.

المزكي : سمعت السراج يقول : نظر محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب التاريخ تصنيفي ، وكتب منه بخطه أطباقاً قرأتها عليه .^(١) وقال أبو حامد الفقيه : سمعت أبا العباس يوماً يقول لبعض من حضر - وأشار إلى كتب علي منضدة - قال : هذه سبعون ألف مسألة لمالك ما نفضت التراب عنها منذ كتبها .^(٢) وقد ذكر أبو عبد الله الحاكم أنه ممن أفرد الإخوة والأخوات بتصنيف مستقل فقال : وهو علم برأسه عزيز وقد صنّف أبو العباس السراج رحمه الله فيه كتاباً .^(٣) وقال إسماعيل بن نجيد : رأيت أبا العباس السراج يركب حماره ، وعباس المستملي بين يديه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يقول : يا عباس ! غير كذا ، أكسر كذا .^(٤)

صلة السراج بشيخه الذهلي :

تلقى أبو العباس علم الحديث عن شيخه الذهلي وعن غيره ، ولكن علاقته بالذهلي كانت متميزة بالود والإحترام . . كما كان الذهلي مقدراً للسراج علمه وفضله ، فقد كان طلبة العلم يكتبون عنه في مجلس الذهلي ، وهو يكتب عن شيخه ، وفي هذا يقول عن نفسه بعد وفاة الذهلي بعقود : في سنة ثلاث وثلاثمائة كتبوا عني في مجلس محمد بن يحيى منذ نيف وستين سنة .^(٥)

وفاته :

توفي في ربيع الآخر سنة ٣١٣ وله سبع وتسعون سنة .^(٦)

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٥٠ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٣٢ .

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٥١ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص ١٥٣ .

(٤) السير ١٤/ ٣٩٤ .

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢٥٠ .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٠٩ .

٥ - صالح جزرة (*)

نسبه ومولده:

هو صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب بن حسان أبو علي الأسدي البغدادي الملقب جزرة. ولد سنة ٢٠٥ هـ ببغداد . (١)

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع من أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وعلي بن الجعد (٢)، وأبي بكر ابن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن غير، وأحمد بن صالح المصري، والحكم بن موسى، وخلق سواهم.

سمع منه مسلم بن الحجاج، ومحمد بن محمد بن صابر، (٣) وخلف بن محمد الخيام (٤) وأحمد بن سهل (٥)، وأبو النضر محمد بن محمد الفقيه (٦)، والهيثم بن كليب الشاشي (٧)، وسواهم.

(*) تاريخ بغداد ٣٢٢/٩، تذكرة الحفاظ ٦٤١/٢، البداية والنهاية ١٠٢/١١، شذرات الذهب ٢١٦/٢، النجوم الزاهرة ١٧٩/٣، المنتظم ٥٢/١٣، طبقات علماء الحديث ٣٤٨/٢، العبر ٤٢٥/١، نزهة الألباب في الألقاب ١٧٠/١.

(١) تاريخ بغداد ٣٢٢/٩، السير ٢٣/١٤، تذكرة الحفاظ ٦٤٢/٢.

(٢) سبق ترجمته ص ٧١.

(٣) هو الشيخ المسند أبو عمرو محمد بن محمد بن صابر البخاري المؤذن، توفي سنة ٣٧٧، السير ٣٢٨/١٦.

(٤) هو الشيخ المحدث أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل البخاري الخيام، كان بNDAR الحديث بما وراء النهر سنة ٣٦١، السير ٧٠/١٦.

(٥) هو الحافظ الإمام المتقن أبو العباس أحمد بن سهل بن بحر النيسابوري، توفي سنة ٢٨٢، السير ٥١٥/١٣.

(٦) هو الإمام الحافظ الفقيه أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي، شيخ الشافعية بخراسان، مات سنة ٣٤٤، السير ٤٩٠/١٥.

(٧) هو الإمام الحافظ الثقة الرحال، أبو سعيد، الهيثم بن كليب بن سريج الشاشي التركي، مات بسمرقند سنة ٣٣٥، السير ٣٥٩/١٥.

ثناء العلماء عليه :

قال الدار قطني : كان ثقة حافظاً عارفاً^(١) . وقال الخطيب : كان حافظاً عارفاً من أئمة الحديث ، ومن يرجع إليه في علم الآثار ، ومعرفة نقلة الأخبار رحل كثيراً ، ولقي المشايخ بالشام ومصر وخراسان^(٢) .

وقال الإدريسي : ما أعلم بعصر صالح بالعراق ولا بخراسان في الحفظ مثله ، دخل ما وراء النهر فحدث مدة من حفظه ، وما أعلم أخذ عليه خطأ فيما حدث ، رأيت ابن عدي يفخم أمره ويعظمه^(٣) . وقال ابن العماد : رحل إلى الشام ومصر والنواحي وصنّف وجرح وعدّل وكان صاحب نواذر ومزاح^(٤) ، وقال ابن الجوزي : كان صدوقاً أميناً من الحفاظ الثقات^(٥) وقد قيل في سبب تسميته أنه كان يقرأ على محمد بن يحيى الذهلي الزهريات ، فلما بلغ حديث عائشة أنها كانت تسترقني من الخزانة ، قال : من الجزيرة ، فلقب بجزرة . وقد استدرك الخطيب على ناقل الخبر وهو أبو حامد ابن الشرقي فقال : هذا غلط لأن صالحاً لقب جزرة قديماً في حديثه ، وكان سبب ذلك ما ذكره عن نفسه قال : قدم علينا بعض الشيوخ من الشام ، وكان عنده عن جرير بن عثمان فقرأت أنا عليه حديثكم جرير بن عثمان . قال : كان لأبي أمامة خزانة ، يرقى بها المريض ، فصحفت الخزانة . فقلت : كان لأبي أمامة جزرة وإنما هو خزانة^(٦) وذكر ابن حجر في ذلك قصة أخرى وهي أنه كان في الكتاب فأهدى الصبيان للمؤدب هدايا ، فكانت هديته هو جزرة فلقب بها^(٧) .

(١) السير ٢٤/١٤ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٢ .

(٢) تاريخ بغداد ٩/٣٢٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٢ .

(٤) شذرات الذهب ٢/٢١٦ .

(٥) المنتظم ١٣/٥٢ .

(٦) تاريخ بغداد ٩/٣٢٣ ، السير ١٤/٢٥ .

(٧) نزعة الألقاب ١/١٧٠ .

صلة صالح بشيخه الذهلي :

ورد صالح جزرة نيسابور سنة ٢٥٣ - قبل وفاة الذهلي بخمس سنوات فلازمه وأكثر عنه وقرأ عليه الزهريات^(١)، وقد عرف صالح جزرة بخفة الظل، وحلو الدعابة... فبعد أن توفي الذهلي جلس في مجلسه محدث كان يصحّف، فكأنه تذكر مكانة الذهلي وأيامه. فأرسل إلى أبي حاتم في الرّى يخبره بما حصل: قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول لأبي زرعة: حفظ الله أخانا صالح بن محمد، لا يزال يضحكننا شاهداً وغائباً، كتب إليّ يذكر أنه مات محمد ابن يحيى الذهلي، وجلس للتحديث شيخ يعرف بمحمد بن يزيد محمش، فحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يا أبا عمير، ما فعل البعير؟»^(٢).

وفاته :

توفي الإمام صالح جزرة رحمه الله في آخر سنة ٢٩٣ هـ^(٣).

٦ - محمد بن نصر المروزي^(*)

نسبه ومولده :

هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي الفقيه أبو عبد الله الحافظ أحد علماء الأمة، وعقلائها وعبادها.^(٤)

(١) أنظر السير ٣١/١٤، تاريخ بغداد ٣٢٢/٩.

(٢) ولفظة البعير محرفة عن النّغير. انظر السير ٢٧/١٤. ولفظ الحديث كما أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب (٨١) الانبساط إلى الناس (١٣٣/٧) ومسلم في كتاب الآداب باب (٥) استحباب تحنيك المولود... الخ ١٦٨٩/٣ كليهما من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النّغير؟» واللفظ للبخاري.

(٣) السير ٣١/١٤.

(*) تاريخ بغداد ٣/٣١٥، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٤٦، السير ٣٣/١٤، البداية والنهاية ١١/١٠٢، المتنظم ١٣/٥٤، العبر ١/٤٢٦، شذرات الذهب ٢/٢١٦، تهذيب التهذيب ٩/٤٣٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/٩٢ للإمام محيي الدين بن شرف النووي، النجوم الزاهرة ٣/١٧٩، طبقات علماء الحديث ٢/٣٦٠، مفتاح السعادة ٣/٢٨٢، الرسالة المستطرفة ص ٤٦.

(٤) تاريخ بغداد ٣/٣١٥، السير ٣٣/١٤، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٤٦.

ولد سنة ٢٠٢ هـ ببغداد ، ونشأ ببنيسابور ، وسكن سمرقند وكان أبوه مروزيًا (١) .

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من يحيى بن يحيى النيسابوري ، وإسحاق بن راهوية ، وأبي قدامة السرخسي (٢) وعبيد الله بن معاذ العنبري (٣) ، وابن أبي الشوارب ، ومحمد بن بشار (بندار) (٤) وخلق روى عنه محمد بن يعقوب بن الأخرم النيسابوري ، وأبو العباس السراج ، وأبو حامد ابن الشرقي ، وخلق سواهم .

(ثناء العلماء عليه) :

قال الحاكم : إمام عصره بلا مدافعة في الحديث (٥) وقال الخطيب : كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام (٦) وقال ابن حزم : أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن ، وأضبطهم لها ، وأذكرهم لمعانيها ، وأدراهم بصحتها ، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه ، وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر المروزي (٧) .

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٤٦ .

(٢) هو عبيد الله بن سعيد بن يحيى أبو قدامة السرخسي مولى بني يشكر ، ثقة مأمون سني ، توفي سنة ٢٤١ ، المعجم المشتمل ص ١٨٠ ، التقريب ص ٣٧١ .

(٣) هو عبيد الله بن معاذ أبو عمرو العنبري البصري ، مات سنة ٢٣٧ . المعجم المشتمل ص ١٨١ .

(٤) هو محمد بن بشار بن عثمان بن داود العبدي البصري يكنى أبا بكر ولقبه بندار ، مات سنة ٢٥٢ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢/٤٣٥ ، نزاهة الألباب ١/١٣٣ . وانظر

معنى (بندار) في ص ١٣٨ .

(٥) السير ١٤/٣٣ .

(٦) تاريخ بغداد ٣/٣١٥ .

(٧) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٤٧ .

وقال النووي: هو الامام البارع العلامة في فنون العلم^(١)، وقال ابن العماد: أحد الأعلام كان رأساً في الفقه، رأساً في الحديث، رأساً في العبادة ثقة عدلاً خيراً^(٢)، وقال ابن عبد الحكم: كان محمد بن نصر المروزي عندنا إماماً فكيف بخراسان^(٣) قال محمد بن يعقوب الحافظ: ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبد الله محمد بن نصر وكان يقرأ، وكان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم فلا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته في الصلاة. كان يضع ذقنه على صدره ويتصب كأنه خشبة^(٤).

صلة أبي عبد الله المروزي بشيخه الذهلي:

من يطالع كتابي أبي عبد الله محمد بن نصر «تعظيم قدر الصلاة» و«قيام الليل» يدرك مدى الصلة الوثيقة بينه وبين شيخه الذهلي. . . فلا يكاد القارئ يمر بصفحتين أو ثلاث إلا ويجد له رواية أو أكثر، بل إن رواياته عنه في كتاب «تعظيم قدر الصلاة»، مثلت ما يقارب ربعه. . . وسيأتي سردها جميعاً مسلسلة بالأرقام مع كتاب قيام الليل^(٥) في ملحق مرويّات الامام الذهلي.

كما كان الامام الذهلي يبادل تلميذه محمد بن نصر المحبة والتقدير والاعتراف بالفضل والعلم. فكان إذا سئل عن مسألة وهو مفتي نيسابور قال: «سلوا أبا عبد الله المروزي»^(٦) كما أقرله بالفتوى في نيسابور حيكان ابن الذهلي بعد وفاة أبيه، وهذا من بر الأبناء بالأبَاء، فانفاذ عهدهما وصلة وتقدير صديقهما من أكبر معاني البر والطاعة.

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٩٣.

(٢) شذرات الذهب ٢/ ٢١٦.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٩.

(٤) المنتظم ١٣/ ٥٥.

(٥) انظر أرقام الروايات في كلا الكتابين في ملحق روايات الذهلي. ص ١١٥٧ - ١١٧٢، ص ١١٧٣ - ١١٧٥.

(٦) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٢، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦.

قال الذهبي: وكان وقت مقامه بنيسابور هو المقدم والمفتي بعد وفاة محمد بن يحيى، فإن حيكان - يعنى ولد محمد بن يحيى - ومن بعده أقروا له بالفضل والتقدم. (١)

وفاته:

قال ابن العماد: سكن سمرقند إلى أن توفي بها سنة ٢٩٤ هـ (٢)

٧ - عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري (*)

نسبه ومولده:

هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل أبو بكر النيسابوري الفقيه (٣).

ولد سنة ٢٣٢ هـ (٤)

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع من أحمد بن يوسف السلمى، وأبي زرعة الرازى، وأحمد بن الأزهر، وأحمد بن حفص، وعباس بن محمد الدوري، وسواهم. وعنه ابن عقدة (٥)

(١) السير ٣٦/١٤.

(٢) شذرات الذهب ٢/٢١٧.

(*) مصادر ترجمته:

المنتظم ٣٦٣/١٣، تاريخ بغداد ١٠/١٢٠ - السير ١٥/٦٥، البداية والنهاية ١١/١٨٦، تذكرة الحفاظ ٣/٨١٩، طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣١٠، طبقات علماء الحديث ٣/٥، النجوم الزاهرة ٣/٣٢٤، طبقات الشافعية ١/١١١ لأبي بكر تقي الدين ابن قاضي شهابه الدمشقي، باعثناء د. عبد العليم خان، العبر ٢/٢٢، تذكرة الحفاظ ٣/٨١٩، شذرات الذهب ٢/٣٠٣.

(٣) شذرات الذهب ٢/٣٠٢.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣١٠.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٣٠.

وأبو علي النيسابوري^(١) والدارقطني^(٢) وابن شاهين^(٣)، وحمزة بن محمد الكنتاني^(٤) وسواهم من كبار الأئمة.
ثناء العلماء عليه :

قال الدارقطني : لم نر في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون ، وكان أفقه المشايخ ، جالس المزني ، والربيع ، وكان يعرف زيادات الألفاظ والمتون^(٥) ، وقال أيضاً : ما رأيت أحداً أحفظ من أبي بكر النيسابوري^(٦) وقال الحاكم : كان إمام عصره من الشافعية بالعراق ، ومن أحفظ الناس للفقهيّات واختلاف الصحابة^(٧) وقال ابن بطّة : كنّا نحضر مجلس ابن زياد وكان يحزر من يحضره من أصحاب المحابر ثلاثين ألفاً^(٨) وقال الذهبي : قد كان أبو بكر من الحفاظ المجوّدين^(٩) وقال الخطيب : كان حافظاً متقناً ، عالماً بالفقه ، ثقة^(١٠)

(١) هو الحسين بن علي بن يزيد بن داود أبو علي النيسابوري ، أحد النقاد ، توفي ٣٤٩ ، السير ٥١/١٦ .

(٢) هو علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدارقطني الإمام الجليل الحافظ صاحب المصنفات ، توفي سنة ٣٨٥ ، طبقات الشافعية ٣/٣٦٢ . والدارقطني نسبة إلى دار القطن محلة كبيرة ببغداد . الأنساب ٤٣٨/٢ .

(٣) هو الشيخ العالم الحافظ عمر بن أحمد بن عثمان أبو حفص ابن شاهين البغدادي ، ثقة ، توفي ٣٨٥ ، السير ٤٣١/١٦ .

(٤) حمزة بن محمد بن علي بن العباس أبو القاسم الكنتاني الإمام الحافظ محدث الديار المصرية ، سنة توفي ٣٥٧ ، السير ١٧٩/١٦ .

(٥) تاريخ بغداد ١٠/١٢١ .

(٦) السير ٦٦/١٥ .

(٧) تذكرة الحفاظ ٣/٨١٩ .

(٨) البداية والنهاية ١١/١٨٦ ، العبر ٢/٢٠١ ، طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣١٠ ، شذرات الذهب ٣٠٢/٢ .

(٩) السير ٦٢/١٥ .

(١٠) تاريخ بغداد ١٠/١٢١ ، طبقات علماء الحديث ٣/٥ .

صلة ابن زياد بشيخه الذهلي :

وقد كان ابن زياد على قدر كبير من العلم والفقه، وحسن إيراد الحديث حتى أصبح رأساً في معرفة زيادات المتون والإعتناء بطرقها . . . وقد أخذ عن الذهلي في نيسابور ثم استوطن بغداد وحدث بها عن الذهلي أيضاً لما ورد لها (١) . . . وجمع عنه وعن غيره حتى فاق أقرانه وذاعت تصانيفه .

وفاته :

توفي ابن زياد ربيع الآخر سنة (٣٢٤هـ) (٢) .

٨ - ابن الجارود (*)

نسبه ومولده :

هو عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري الامام الحافظ الناقد المجاور بمكة (٣) مصنف كتاب المنتقى في الاحكام (٤) وقد ولد ابن الجارود في حدود سنة ٢٣٠هـ (٥)

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من اسحاق الكوسج، ويعقوب الدورقي، وأحمد بن الأزهر، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، والحسن بن محمد

(١) تاريخ بغداد ١٠ / ١٢٠ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣١٢ .

(*) مصادر ترجمته

السير ١٤ / ٢٣٩ ، تذكرة الحفاظ ٣ / ٧٩٤ ، طبقات علماء الحديث ٢ / ٤٦٨ ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢ / ٥٧٠ لإسماعيل باشا البغدادي ، باعتناء محمد شرف الدين والمعلم رفعت الكليسي . ، هدية العارفين ١ / ٤٤٤ . الرسالة المستطرفة ص ٢٥ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ٧٩٤ ، السير ١٤ / ٢٣٩ ، طبقات علماء الحديث ٢ / ٤٦٨ .

(٤) الرسالة المستطرفة ص ٢٥ .

(٥) السير ١٤ / ٢٣٩ .

الزعفراني^(١)، وعبد الله بن هاشم الطوسي، وعلي بن خشرم^(٢)، وعبد الرحمن ابن بشر بن الحكم. وحدث عنه أبو حامدا بن الشرقي، ويحيى بن منصور القاضي^(٣)، ودَعْلَجُ السَّجْزِي^(٤) وأبو القاسم الطبراني^(٥)، وخلق سواهم .
ثناء العلماء عليه :

قال ابن عبد الهادي : هو الحافظ الإمام المسند^(٦) وقال الذهبي : كان من أئمة الأثر^(٧) وقال أيضاً : أثنى عليه الحاكم والناس^(٨) وقال في موضع آخر : كان من العلماء المتقنين المجودين^(٩) .

صلة ابن الجارود بشيخه الذهلي :

كان ابن الجارود من المكثرين في الرواية عن الإمام محمد بن يحيى الذهلي وفي كتابه «المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في

(١) هو الحسن بن محمد بن الصباح أبو علي البغدادي الزعفراني . قال النسائي ثقة ، توفي ٢٦٠ ، السير ١٢ / ٢٦٢ .

(٢) هو علي بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء أبو الحسن المروزي ابن أخت بشر الحافي ، توفي سنة ٢٥٧ ، السير ١١ / ٥٥٢ .

(٣) هو يحيى بن منصور بن عبد الملك أبو محمد ، قاضي نيسابور ، كان غزير الحديث ، مات سنة ٣٥١ ، السير ١٦ / ٢٨ .

(٤) هو دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلَجِ المحدث الحجة الفقيه أبو محمد السجستاني البغدادي التاجر ، توفي سنة ٣٥٣ ، السير ١٦ / ٣٠ . ودعلج بفتح الدال واللام بينهما ساكنة . المغني في ضبط أسماء الرجال ض ١٠١ ، والسجزي نسبة إلى سجستان على غير قياس كما قال ابن ماكولا ، انظر الإكمال ٤ / ٥٥٠ ، والأنساب ٣ / ٢٢٣ .

(٥) هو سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الشامي الطبراني محدث الإسلام ، صاحب المعاجم الثلاثة ، توفي سنة ٣٦٠ ، السير ١٦ / ١١٩ .

(٦) طبقات علماء الحديث ٢ / ٤٦٨ .

(٧) السير ١٤ / ٢٤٠ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) تذكرة الحفاظ ٣ / ٧٩٤ .

الأحكام»^(١) ما يعادل ثلث أحاديث المصنّف والبالغ عددها ١١١٤ حديثاً روى عن شيخه الذهلي منها أسانيد كثيرة جداً وقد حصرتها في جدول خاص في ملحق مرويّات الإمام الذهلي مع بيان مشايخه فيها وقد علّق العلماء على هذا الكتاب وبينوا منزلته من الصحة . فقال ابن عبد الهادي : كتاب «المنتقى» مجلد في السنن ، وهر نظيف الأسانيد^(٢) وقال الحافظ الذهبي : كتاب «المنتقى» في السنن مجلد واحد في الأحكام ، لا ينزل فيه عن رتبة الحسن أبداً ، إلا في النادر في أحاديث يختلف فيها إجتهد النقاد^(٣) . وذكر الكتاب الكتاني في رسالته^(٤) واسماعيل باشا^(٥) .

وفاته :

توفي رحمه الله سنة ٣٠٧هـ^(٦) .

٩ - عبد الله ابن أبي داود السجستاني (*) نسبه ومولده :

هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق ، أبو بكر ابن أبي داود الأزدي السجستاني^(٧) . ولد بإقليم سجستان سنة ٢٣٠هـ^(٨) .

(١) شرح الكتاب أبو عمرو الأندلسي واعتنى بأحاديثه أبو إسحاق الحويني الأثري وخرجها وسمّى تخريجه «غوث المكذوب بتخريج منتقى ابن الجارود» نشرته دار الكتاب العربي في مجلدين .

(٢) طبقات علماء الحديث ٤٦٩/٢ .

(٣) السير ٢٣٩/١٤ .

(٤) الرسالة المستطرفة ص ٢٥ .

(٥) هدية العارفين ٤٤٤/١ ، وإيضاح المكنون ٥٧٠/٢ .

(٦) تذكرة الحفاظ ٧٩٤/٣ .

(*) تاريخ بغداد ٤٦٤/٩ ، وفيات الأعيان ٤٠٥/٢ ، المعين في طبقات المحدثين ص ١٦١ . السير

٢٢١/١٣ ، ميزان الاعتدال ١٤٧/٣ ، تذكرة الحفاظ ٧٦٧/٢ ، العبر في خبر من غير ٤٧١/١ ،

طبقات الشافعية الكبرى ٣٠٧/٣ ، لسان الميزان ٣٦٤/٣ ، النجوم الزاهرة ٢٥٠/٣ ، الفهرست

ص ٢٨٨ ، الكامل في الضعفاء ٢٦٥/٤ ، شذرات الذهب ٢٧٣/٢ .

(٧) تاريخ بغداد ٤٦٤/٩ .

(٨) طبقات المفسرين للداودي ٢٣٦/١ .

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من أبيه، وأحمد بن الأزهر، وإسحاق الكوسج، ومحمد بن عبد الله المخرمي^(١) ويعقوب الدورقي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وأحمد بن صالح المصري، والحسن بن عرفة، وروى عنه أبو الحسن الدارقطني، وأبو أحمد الحاكم، وأبو عبد الله ابن بطة^(٢)، وابن حبان، وابن أبي حاتم . وسواهم .

ثناء العلماء عليه :

قال ابن أبي يعلى : رحل به والده من سجستان، فطوف به شرقاً وغرباً، وأسمعه من علماء ذلك الوقت سمع بخراسان، والجيل، وأصبهان، وفارس، والبصرة، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والشام، ومصر، والجزيرة، والثغور، واستوطن بغداد، وصنف المسند، والسنن، والتفسير، والقراءات، وكان فهماً عالماً حافظاً^(٣) وقال السبكي : الحافظ ابن الحافظ أحد الأجلاء^(٤) وقال ابن خلكان : كان من أكابر الحفاظ ببغداد عالماً متفقاً عليه إمام ابن إمام^(٥) وقال ابن الجوزي : وصنف الكتب، وكان عالماً فهماً من كبار الحفاظ، نصب له السلطان منبراً فحدث عليه، وكان في وقته مشايخ وعلماء، لكنهم لم يبلغوا في الإتقان ما بلغ^(٦) وقال ابن حجر : وقد كان أبو بكر من كبار الحفاظ والأئمة الأعلام^(٧) وقال الذهبي : كان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه^(٨) وقد اعتذر بعض من ألف في الضعفاء عن إirاده في

(١) هو محمد بن عبد الله بن المبارك أبو جعفر القرشي مولا هم البغدادي المخرمي، قال الدارقطني : كان حافظاً ثقة، توفي ٢٥٤، السير ١٢/٢٦٥. والمخرمي بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الراء المكسورة نسبة إلى المخرم محلة ببغداد، الأنساب ٥/٢٢٣.

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة مصنف كتاب «الإبانة» العابد الفقيه، توفي سنة ٣٨٧، السير ١٦/٥٢٩.

(٣) طبقات الحنابلة ٢/٥١.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣٠٧،

(٥) وفيات الأعيان ٢/٤٠٥.

(٦) المنتظم ١٣/٢٧٥.

(٧) لسان الميزان ٣/٣٦٦.

(٨) السير ١٣/٢٢٣.

كتابه مثل ابن عدي حيث قال : لولا ما شرطنا والا لما ذكرته (١) . . . ويكفي ما سبق من ثناء الأئمة عليه وبيان مكانته ومنزلته .

صلة عبد الله بشيخه الذهلي :

كان أبو بكر ابن أبي داود ممن خالط الإمام الذهلي عن قرب واستفاد من علمه ، واطلع على تمكنه من علم الحديث وعلمه ، ومعرفته التامة بالرجال وأحوالهم حتى وصفه « بأمير المؤمنين في الحديث » وهي شهادة من إمام عالم متقن عارف بأئمة هذا الشأن ، نقل الذهبي في سيره قال : قال ابن أبي داود : « حدثنا محمد بن يحيى ، وكان أمير المؤمنين في الحديث » (٢) . وهو لقب يدل على معرفة ملقبه بمن لقبه ، ومدى استحقاقه إياه علماً ورواية وخلقاً وفضلاً .

وفاته :

مات ابن أبي داود في ذي الحجة سنة (٣١٦هـ) (٣) .

١٠- أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملي (٤)

نسبه ومولده :

هو أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملي النيسابوري يلقب بحكمويه العابد . (٤)

(١) الكامل ٢٦٦/٤ ، ميزان الاعتدال ١٤٧/٣ ، لسان الميزان ٣٦٤/٣ . وسيأتي في ص ٢١٢ مزيد

من كلام الإمام الذهبي في الثناء عليه ، وتوجيه ما قيل فيه .

(٢) السير ٢٨١/١٢ ، تذهيب التهذيب ٤/لوحه ٩ مخطوط .

(٣) العبر ٤٧١/١ ، النجوم الزاهرة ٢٥٠/٣ .

(*) المتظم ٣٧٤/١٢ ، البداية والنهاية ٧٧/١١ ، العبر ٤٠٩/١ ، السير ٣٧٣/١٣ ، تذكرة الحفاظ

٢/٦٤٤ ، شذرات الذهب ١٨٦/٢ ، طبقات علماء الحديث ٣٥١/٢ ، النجوم الزاهرة

٣/١٢٨ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٤ .

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من قتيبة بن سعيد^(١) وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وسهل ابن عثمان العسكري^(٢) وسريج بن يونس^(٣)، وعبيد الله القواريري. وعنه سعيد ابن اسماعيل الحيرى، وأبو حامد ابن الشرقي، وزنجويه بن محمد^(٤) ومحمد بن يعقوب ابن الأخرم، ومحمد بن داود الزاهد.^(٥)

ثناء العلماء عليه :

قال ابن الجوزي : «وكان راهب أهل عصره يصوم النهار ويحيي الليل واستملى على المشايخ ستاً وخمسين سنة»^(٦) وقال ابن العماد : «كان مع سعة روايته راهب عصره مجاب الدعوة»^(٧) وقال الذهبي «الحافظ العالم، الزاهد، العابد، المجاب الدعوة وكتب الكثير وما زال يعالج هذا الفن حتى توفي»^(٨).

(١) هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف أبو رجاء الشقفي البغلاني، مولى الحجاج بن يوسف، مات سنة ٢٤٠، المعجم المشتمل ص ٢١٨. والبغلاني بفتح الباء وسكون الغين، نسبة إلى بغلان بلدة بنواحي بلخ، الأنساب ٣٧٦/١.

(٢) هو سهل بن عثمان أبو مسعود العسكري الإمام الحافظ المجود الثبت، مات سنة ٢٣٥، السير ٤٥٤/١١.

(٣) هو سريج بن يونس أبو الحارث المروزي الإمام الحافظ، قال الذهبي : كان رأساً في السنة، مات سنة ٢٣٥، السير ١٤٦/١١.

(٤) هو زنجويه بن محمد بن الحسن النيسابوري اللباد، الزاهد العابد الثقة، توفي سنة ٣١٨، السير ٥٢٢/١٤. واللباد بفتح وتشديد اللام والباء نسبة إلى بيع اللبؤد وعملها، الأنساب ١٢٤/٥.

(٥) هو محمد بن داود بن سليمان النيسابوري أبو بكر الزاهد، قال الذهبي : حسن المعرفة، من أوعية العلم توفي ٣٤٢، السير ٤٢٠/١٥.

(٦) المتظم ٣٧٤/١٢.

(٧) شذرات الذهب ١٨٦/٢.

(٨) السير ٣٧٣-٣٧٤/١١.

وقال أيضاً : « وكان من علماء الحديث استملى من سنة ثمان وعشرين إلى أواخر أيامه . . . كان أبو عمرو يصوم النهار، ويحيى الليل »^(١) ووصفه الإمام ابن عبد الهادي في طبقاته بـ «الحافظ القدوة الزاهد المجاب الدعوة قال : وكان من علماء الحديث . »^(٢)

صلة المستملي بشيخه الذهلي :

كان أبو عمرو المستملي يُكنى لشيخه الذهلي وابنه حيكان حباً وتقديراً كبيرين، بل كان من المقربين إليه حال وفاته فقد قال : « دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء »^(٣) والذي يظهر أن ذلك بوصية من الذهلي نفسه^(٤).

كما كان ينقل أخباره ونشاطه العلمي إلى الإمام أحمد قال « أتيت أحمد بن حنبل، فقال : من أين أنت ؟ قلت : من نيسابور . قال : أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس ؟ قلت : نعم . قال : لو أنه عندنا لجعلناه إماماً في الحديث . . . »^(٥)

ومما يدل على عظيم محبته للذهلي وابنه لوعته وحزنه عقب استشهاد يحيى بن محمد (حيكان) وتغير حاله ووقوفه في وجه المعتدي الظالم الخجستاني وأخذه بعنائه وزيره إياه : يا ظالم قتلت الإمام ابن الإمام، العالم ابن العالم . . . !!^(٦) . . . وهذه اللوعة على الذهلي وابنه تدل على مكانتهما في نفوس الناس وفي نفس المستملي . رحم الله الجميع .

وفاته :

قال الذهبي : « مات محدث نيسابور أبو عمرو في جمادى الآخرة سنة ٢٨٤ هـ . »^(٧)

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٤ .

(٢) طبقات علماء الحديث ٢/٣٥١ .

(٣) السير ١٢/٢٧٨ .

(٤) انظر تحليل هذا الأمر في ص ٢٢٥ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢/٥٣١ .

(٦) السير ١٢/٢٨٨ .

(٧) السير ١٣/٣٧٥ .

الفصل الثاني

مكانته العلمية والاجتماعية وآثاره

وتحتة امباحث التالية :

المبحث الأول : مكانته العلمية بين نقاد الأخبار

والرجال .

المبحث الثاني : آثاره .

المبحث الثالث : مكانته الاجتماعية بين معاصريه وثناء

العلماء عليه .

المبحث الأول مكانته العلمية بين نقاد الأخبار والرجال

لقد شُرِّفت العصور الأولى للأمة الإسلامية بشخصيات فذة، كانت لها الجهود الواضحة في الرحلة والمتابعة، والحفظ والمدارسة للحديث وعلومه، وتركت أثراً باقية إلى هذه اللحظة، وإلى ما يشاء الله تعالى. سواء في معرفة الحديث ومتونه وأسانيده وسائر ما يطرأ عليهما مما يترتب عليه قبوله أو رده. أو في معرفة الرواة وما يتصل بأسمائهم وبلدانهم، وطلبهم للعلم، وجرحهم وتعديلهم، وولادتهم ووفياتهم.

وتفننوا في التصنيف على الموطآت (١) والمسانيد (٢) والصحاح والعلل (٣) . . الخ وهم طبقات متوالية. كل طبقة تأخذ عن سلفها وتبلغ من ي خلفها. والإمام محمد بن يحيى الذهلي أحد رجال الحديث ونقاده، واسم لامع في فترة نضوج التأليف في الحديث، والتعديد والتأصيل لشتى فنونه. وهي ما يسمى بالعصر الذهبي (٤) للسنة.

- (١) الموطآت : جمع موطأ . والموطأ لغة : المسهل المهيأ . وفي الإصطلاح : «هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية ويشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة» انظر أصول التخريج ودراسة الأسانيد د . محمود الطحان ص ١٣٥ وفيه معنى الموطأ وسبب تسميته بذلك .
- (٢) قال الكتاني : المسانيد، جمع مسند، وهي الكتب التي موضوعها جعل حديث كل صحابي على حدة، صحيحاً كان أو حسناً أو ضعيفاً، مرتبين على حروف الهجاء في أسماء الصحابة، أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام أو الشرافة النسبية . الرسالة المستطرفة ص ٦٠ .
- (٣) قال العلامة صديق خان : ومنهم من رتب على العلل بأن يجمع في كل متن طرقه واختلاف الرواة فيه بحيث يتضح إرسال ما يكون متصلاً، أو وقف ما يكون مرفوعاً أو غير ذلك . الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ٦٣ .
- (٤) سميت تلك الفترة بالعصر الذهبي للحديث لأنها مثلت قمة العطاء العلمي، سواء في انتشاره في البلدان والآفاق، أو جمعه وتدوينه، أو ظهور المصنفات والمؤلفات المتنوعة المؤصلة . مع بروز شخصيات علمية وصلت بهذا العلم إلى مرتبة عالية وشأوبعيد في تصحيحه =

وقد كان لتتلمذه على كبار المحدثين الذين استفاضت شهرتهم، وعُلمت بالضرورة إمامتهم ولرحلته الواسعة، ونصبه في طلب العلم، والمساءلة فيه الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية، وإبرازه محدثاً وناقداً ومصنفاً يحتل مكانة مرموقة ضمن ذلك الحشد المبارك من العلماء. الذين جمعوا بين صفاء العقيدة، والعلم والعمل، ومخالطة طلبه العلم، بل وعوام الناس، والوقوف على مشكلاتهم العلمية والاجتماعية.

وقد كانت الفترة التي عاشها الذهلي ١٧٢-٢٥٨هـ تمثل حلقة مهمة ومتوسطة بين حلقات تخريج النقاد المشهورين، والمصنفين المرموقين، ومعظمهم من شيوخه وتلاميذه. فمن الشيوخ أمثال عبد الرحمن بن مهدي (توفي سنة ١٩٨هـ)، وعبد الرزاق (٢١١) وأبي عاصم النبيل (٢١١)، وأبي اليمان (٢١٢)، وأبي مسهر (٢١٨) ويحيى بن يحيى (٢٢٤)، ويحيى بن معين (٢٣٣)، وعلي بن المديني (٢٣٥) وإسحاق بن راهويه (٢٣٨)، وأحمد بن حنبل (٢٤١).

ومن التلاميذ:

أمثال البخاري (٢٥٦)، ومسلم (٢٦١)، وأبي داود (٢٧٥)، والترمذي (٢٧٩) والنسائي (٣٠٣)، وابن ماجه (٢٧٣)^(١)، وابن خزيمة (٣١١)، وعبد الله ابن سليمان بن الأشعث (٣١٦)، وأبي عمرو المستملي (٢٨٤)، وأبي العباس السراج (٣١٣) وسواهم.

= وتضعيفه ومعرفة رجاله، ومعانيه. وقد تحدث الحافظ ابن الأثير عن مبدأ الجمع والتأليف وانتشار علم الحديث وبيّن عصور نشأته حتى القرن الثالث، فقال فيه: ثم انتشر جمع الحديث وتدوينه، وسطره في الأجزاء والكتب، وكثر ذلك وعظم نفعه إلى زمن الإمامين البخاري ومسلم، ثم ازداد انتشار هذا النوع من التصنيف والجمع والتأليف فكان ذلك العصر خلاصة العصور في تحصيل هذا العلم، وإليه المنتهى، ثم من بعده نقص ذلك الطلب بعد، وقل ذلك الحرص، وفترت تلك الهمم . . . الخ مقدمة جامع الأصول من أحاديث الرسول، بتصرف يسير ١٦/١-١٧.

(١) لم أترجم لأصحاب الكتب الستة لشهرتهم في الأمة، وترجمة للباقيين زيادة في التعريف بهم.

ومن يتابع سيرة الإمام الذهلي العلمية . . . يلمس مدى إخلاصه وتفانيه في جمع سنة إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم والحفاظ عليها، وقد شهد له العلماء وجهابذة النقاد في مختلف العصور بالإمامة في العلم وخلعوا عليه من بالغ الأمانة والثقة، وعلو الكعب في مختلف الميادين، وهو إلى جانب ذلك قد تقدم على مشايخه وبزاً أقرانه في جمع حديث محمد بن شهاب الزهري والاعتناء به . . . حتى اعتبروه متخصصاً فيه وفي معرفة رواته وطبقاتهم، وحديثه وعلله . . . واكتفوا بالإشارة إلى تقدمه في ذلك وسبقه لهم .

وهذا أوان بيان العلماء لطبقته بين معاصريه من أشهر مشايخه وتلاميذه . وطبقته بين العلماء ذوي الرحلة إلى الاقطار، وشهادات أشهر العلماء وكبار النقاد في مختلف العصور له بما يسلط الأضواء على مكانته المرموقة المشار إليها . وفي ذيل ذلك إشارة إلى مجالسه العلمية العامة

أولاً : طبقته بين معاصريه بالنسبة لأحد العلماء المشهورين :

قال الحاكم : أصحاب اسحاق (يعنى) ابن راهويه عندنا ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : محمد بن يحيى . . . ثم سرد جماعة متهم ابنه يحيى

(حيكان) .

الطبقة الثانية : مسلم بن الحجاج . . . وسرد جماعة .

الطبقة الثالثة : خاتمهم أبو العباس السراج . (١)

ثانياً : طبقته بين معاصريه بالنسبة لمشايخ الامام البخاري :

ذكر الإمام الذهبي في سيره طبقات شيوخ الإمام البخاري . فكان الامام الذهلي في الطبقة الخامسة والأخيرة منهم لأنه من أقرانه المتقاربين في السن

(١) السير ١١ / ٣٧٠ .

والشيوخ. قال: (...). ثم الطبقة الخامسة : وهو محمد بن يحيى الذهلي الذي روى عنه الكثير ويدلسه، ومحمد بن عبد الله المخرمي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وهؤلاء هم من أقرانه^(١).

ثالثاً : طبقته بين العلماء الراحلين إلى الأقطار :

لم يكن الشيخ يعرف مقداره عند المحدثين حتى يعلموا أنه قد رحل في طلب العلم وكلما توسعت رحلته كلما زاد مقداره وعلت منزلته. وذلك لجمعه عوالي الأسانيد وكبار الشيوخ وغير ذلك، وقد اعتنى بعض المحدثين ببيان أسماء الراحلين إلى الأقطار. ومنهم الإمام القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي. قال في كتابه المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: «... الطبقة الرابعة... محمد بن يحيى النيسابوري... جمع بين العراق ومصر واليمن والشام»^(٢).

رابعاً : شهادات معاصريه :

حظي الإمام الذهلي رحمه الله تعالى بمنزلة رفيعة، وثقة غالية من معاصريه، وهذا ثناء أئمة النقاد وسادة علماء الجرح والتعديل من مشايخه أحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني. بتقدمه في علم الحديث والاعتناء الفائق بحديث الزهري.

١ - ثناء الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١) عليه واعتداده بعلمه وإظهار فضله.

قال أبو عمرو المستملي: أتيت أحمد بن حنبل. فقال: من أين أنت؟ قلت: من نيسابور. قال: أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس؟ قلت: نعم. قال: لو أنه عندنا لجعلناه إماماً في الحديث.^(٣) وناهيك بتلك الثقة الكبيرة من إمام النقاد

(١) السير ٣٩٦/١٢.

(٢) المحدث الفاصل ص ٢٣٠.

(٣) السير ٢٨٠/١٢، تاريخ بغداد ٤١٦/٣، تذكرة الحفاظ ٥٣١/٢.

أن يجعل الذهلي إماماً بحضرته وقد صدق رحمه الله وترجم قوله ذلك لما ورد الذهلي العراق فقرأ عليه لابنيه صالح وعبد الله. (١)

وكان يوصي طلبة العلم بملازمته حيثما حلّ بنيسابور أو غيرها . . وفي إحدى رحلاته إلى البصرة طال مكثه بها ، فجاء عبد الرحيم الجوزجاني إلى الإمام أحمد فقال : (إني أريد البصرة وقد عرفت أصحاب الحديث وما بينهم . فقال إذا قدمت فسل عن محمد بن يحيى النيسابوري ، فإذا رأيته فالزمه ، ثم قال : ما قدم علينا أحد أعلم بحديث الزهري منه) . (٢)

وكما كان الإمام أحمد مقدراً للذهلي مكانته في الحديث الشريف . كان مقدماً لقوله في الجرح والتعديل مصداقاً له فيما يبينه له من إحداثات المبتدعة في بلده .

وكان داود بن علي الأصبهاني (٣) صديقاً لصالح بن أحمد فكلّمه أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه ، فأتى صالح أباه فقال له : رجل سألتني أن يأتيك؟ قال : ما اسمه؟ قال : داود . قال : من أين هو؟ قال : من أهل أصبهان . قال : أي شيء صناعته؟ قال : وكان صالح يروّغ عن تعريفه إياه ، فما زال أبو عبد الله (رحمه الله) يفحص عنه حتى فطن ، فقال : «هذا قد كتب إليّ محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني . قال : يا أبت إنه يتتفي من هذا وينكره ، فقال أبو عبد الله أحمد : محمد بن يحيى أصدق منه لا تأذن له في المصير إليّ» (٤) فقبول الإمام أحمد لنقده واعتماده عليه دليل الثقة الكبيرة بعلمه ومنهجه في نقد الرجل إما على سبيل الرواية أو بيان الاعتقاد .

(١) الإرشاد ٢/ ٨١٠ .

(٢) تذهيب التهذيب ٤/ لوحة ٩ مخطوط .

(٣) سبقت ترجمته ص ٧٣ .

(٤) الضعفاء لأبي زرعه وأجوبته على أسئلة البرذعي ٢/ ٥٥١ ، تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٣ .

٢ - وهذا جهيد النقد وإمام الحديث يحيى بن معين (٢٣٣) يُسأل لم لا تجمع حديث الزهري؟

فيقول: كفانا محمد بن يحيى ذلك^(١) ويوجه ابن سافري سؤالاً موحداً للشنائي المعروف بالرحلة والتربيع على عرش الإمامة في معرفة الرجال ونقد الأخبار . قال: قلت لأحمد بن حنبل، نكتب عن محمد بن يحيى؟ قال: اكتبوا عنه فإنه ثقة . ثم قال: قلت ليحيى بن معين: نكتب عن محمد بن يحيى؟ قال: اكتبوا عنه فإنه ثقة ماله يريد أن يحدث!!^(٢) .

٣ - ومن شيوخه الإمام الحافظ الناقد علي ابن المديني (٢٣٤)

الذي خلع على الذهلي وسام وراثته الزهري في علمه وهذه مزية تدل على التبهرع مع التمكن . . . رآه مرة فقال له: «أنت وارث الزهري»^(٣) وكأن ابن المديني رحمه الله قد وقف على عمل الذهلي في الزهريات فرأى أنه كفى ووفى قال عنه ذات يوم: «كفى محمد بن يحيى جمع حديث الزهري»^(٤)

ومن كان هذا قدره عند شيوخه، فبالأحرى أن يكون أقرانه وتلاميذه أكثر تقديرآ له ومعرفة بعلمه لكثرة مخالطته والجلوس إليه . قال زنجويه: كنت أسمع مشايخنا يقولون: «الحديث الذي لا يعرفه محمد بن يحيى لا يعاب»^(٥) وفي هذا إشارة لحفظه لأغلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة بصحيحه وسقيمه .

وقد عاب أبو زرعة الرازي^(٦) قرين الذهلي على الإمام مسلم حديثه وعدم مداراته للذهلي والاستفادة من علومه لما كَمَحَ الذهلي بغضبه منه حين أتاه خبر

(١) السير ٢٨٠/١٢ .

(٢) السير ٢٨٣/١٢ .

(٣) المصدر السابق، تاريخ بغداد ٤١٧/٣ .

(٤) تاريخ بغداد ٤١٨/٣ .

(٥) السير ٢٨٠/١٢ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٢٧ .

متابعته البخاري في مسألة اللفظ فقال في مجلسه : من قال بمثل ما قال البخاري فلا يحل له أن يحضر مجلسنا . . ! فخرج مسلم وأرسل كل ما كتب عن الذهلي على ظهر حمال إلى بابه وقاطعه فقال أبو زرعة : « هذا ليس له عقل لو دارى محمد بن يحيى لصار رجلاً !! » (١)

ويسأل أخص تلامذته وأقربهم منه أبو حامد ابن الشرقي ، لم لم ترحل إلى العراق ؟ فقال : وما أصنع بالعراق وعندنا من بنادرة (٢) الحديث ثلاثة (الذهلي ، وأبو الأزهر ، وأحمد بن يوسف السلمى) ويفتخر ابن الشرقي بأئمة خراسان أجمع ويجعل الذهلي على رأس خمسة منهم قال : إنما أخرجت خراسان من أئمة الحديث خمسة : الذهلي ، والدارمي ، والبخاري ، ومسلم ، وإبراهيم ابن أبي طالب (٣) .

بل يقدمه عليهم واجهة خراسان وأوحد علمائها فيقول : « ما أخرجت خراسان مثل محمد بن يحيى » (٤) ومعلوم أن خراسان رقعة واسعة تضم أربع كور كل كورة تضم عدة مدن .

ويقول عبد الرحمن بن يوسف : « كان محمد بن يحيى من أئمة العلم » (٥) وقد مر بنا في ترجمة ابنه يحيى ما قاله أبو عمرو المستملي للخجستاني بعد قتله

(١) تذهيب التهذيب ٤/لوحه ٩ مخطوط .

(٢) البنادرة : واحد بنادر . . . والبنادري ، والمتيندر ، والمبندر ، هو كثير المال ، لسان العرب ٨١/٤ ، وبنادرة الحديث : أي الكثيرين منه . . . وقد لقب بهذا اللقب محمد بن بشار لكونه مكثراً في الحديث ، قال عنه الفلكي : كان بنادر الحديث ، انظر ترجمته ص ١٩١ ، راجع فتح المغيث شرح ألفية الحديث للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق وتعليق الأستاذ محمود ربيع ص ٣٩٧ ، وكذلك فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، للإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق علي حسين علي ٤/٢٢٤ ، وانظر نزهة الألباب في الألقاب ١٣٣/١ .

(٣) السير ١٣/٥٥٠ .

(٤) المصدر السابق ١٢/٢٨٤ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/٤١٩ .

يحيى قال بعد أن أخذ بتلايبيه : يا ظالم قتلت الإمام ابن الإمام العالم ابن العالم
!!؟؟

وقال صالح جزره : «لما خرجت من الرِّي قلت لفضلك عمن أكتب
بنيسابور؟ قال : اكتب عن محمد بن يحيى فإنه من قرنه إلى مقدمه فائدة» (١).

خامساً : تلقيب عبد الله ابن أبي داود (٣١٦) للذهلي بأمر المؤمنين في الحديث.

وقد توالى الإقرار للإمام الذهلي بالنبوغ والحفظ والذكاء والتمكن في العلم
حتى عُدَّ في أمراء المؤمنين في الحديث . وهو لقب لا يوصف به إلا القليل من
العلماء .

قال تلميذه أبو بكر ابن أبي داود (٢) : «حدثنا محمد بن يحيى ، وكان أمير
المؤمنين في الحديث» (٣) وقد بين الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قيمة هذا اللقب عند
العلماء فقال : «وهذا اللقب : (أمير المؤمنين في الحديث) هو أعلى ألقاب الرواية
عندهم ، والمقصود منه أن الموصوف به ذروة أو رأس الذروة في علماء زمانه في
علمه الذي مهر فيه» (٤)

(١) المصدر السابق ٣/ ٤١٧ .

(٢) سبقت ترجمته ص ١٩٧ ومعلوم أن مثل هذه الألقاب الفخمة إذا صدرت ممن هو أهل
لاصدارها وكان من أهل العلم والمعرفة برجال الحديث . فإن الملقب تزداد مكانته سمواً ومترلته
أهمية وهذا الإمام الذهبي ينقل لنا شيئاً من أهلية الإمام عبد الله ابن أبي داود لمثل ذلك قال : كان
من بحور العلم ، بحيث إن بعضهم فضَّله على أبيه . وقال : صنف السنن والمصاحف ، وشرعة
المقاريء والناميخ والمنسوخ ، والبعث وأشياء . ونقل عن أبي بكر الخلال قوله عنه : كان ابن أبي
داود إمام أهل العراق ومن نصب له السلطان المنبر ، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أئمة منه ،
ولم يبلغوا في الآلة والافتقان ما بلغ هو ، وقد أتهم رحمه الله بأمور من مشايخ عصره ومن أبيه .
وقد وجهها الإمام الذهبي ودفعها عنه ونقل دعاءه على متهميه مع جلالتهم وتحقق الدعاء ،
راجع ترجمته في السير ١٣/ ٢٢١ .

(٣) السير ١٢/ ٢٨١ ، وتذهيب التهذيب ٤/ لوجه ٩ مخطوط .

(٤) أمراء المؤمنين في الحديث ملحق بتحقيقه لجواب الحافظ المنذري عن أسئلة الجرح والتعديل
ص ١٠٤ .

وقد أفرد أمراء المؤمنين في الحديث بالكتابة الإمام أبو علي الحسن البكري^(١) في كتابه التبيين لذكر من يسمى بأمر المؤمنين، وأغفل في كتابه عدداً منهم استدركه عليه الإمام الحافظ ابن الملن^(٢) في شرحه لصحيح البخاري المسمى «التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح» حيث قال بعد أن ساق من سمّاهم: هذا مجموع ما ذكره في تأليفه، وأغفل [الإمام أبا عبد الله محمد بن يحيى الذهلي. وأبا نعيم الفضل بن دكين، . . .] الخ^(٣) ما استدركه عليه ونقل هذا اللقب أيضاً الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في منظومته هدية المستغيث في أمراء المؤمنين في الحديث وذكر فيها ستة عشر إماماً من ضمنهم الإمام الذهلي قال:

وابن دكين الفضل الأملعي كذا ابن يحيى الحافظ الذهلي. (٤)

وجمع الشيخ أبو غدة أسماء من لقبوا بهذا اللقب وبلغ بهم ستة وعشرين إماماً من بينهم الإمام الذهلي فقال: ١٨ - ومن لُقّب به أبو عبد الله محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري. (٥)

(١) هو الإمام المحدث أبو علي الحسن بن محمد ابن الشيخ أبي الفتوح القرشي البكري النيسابوري، قال ابن الحاجب: «كان إماماً عالماً، لسناً فصيحاً، مليح الشكل إلا أنه كان كثير البهت كثير الدعاوي، توفي سنة ٦٥٦ هـ، السير ٣٢٦/٢٣.

(٢) هو سراج الدين أبو جعفر عمر ابن أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري الأندلسي المعروف بابن الملن، قال ابن حجر: كان موسعاً عليه في الدنيا مديد القامة حسن الصورة يحب المزاح والمداعبة مع ملازمة الاشتغال والكتابة، مات سنة ٨٠٤ هـ، شذرات الذهب ٤٤/٧.

(٣) التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح (لوحه رقم ٩) مخطوط مصور عن الأصل الموجود في مركز الملك فيصل للأبحاث بالرياض تحت رقم [٣١٢] والمخطوط يحقق في جامعة أم القرى.

(٤) هدية المستغيث في أمراء المؤمنين في الحديث ص ٢٤. للشيخ محمد الشنقيطي، اعتنى به وعلق عليه رمزي دمشقية.

(٥) أمراء المؤمنين في الحديث ص ١١٣. تأليف عبد الفتاح أبو غدة.

سادساً: شهادة الإمام الناقد الدارقطني (١) (٣٨٥) له بسعة العلم

قال السلمي: سألت الدارقطني: من تقدم من محمد بن يحيى وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي (٢)؟ فقال: محمد بن يحيى، ومن أحب أن ينظر ويعرف قصور علمه عن علم السلف. فليُنظر في «علل حديث الزهري» لمحمد بن يحيى» (٣).

سابعاً: شهادة أبي حاتم بن حبان البستي (٤) المتوفى (٣٥٤)

قال رحمه الله بعد أن سرد ست طبقات من المحدثين المشهورين بالتمحيص والتنقيب والتثبت في الأخبار والرجال: «ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد في الأخبار وانتقاء الرجال في الآثار جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد ابن إسماعيل الجعفي البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في جماعة من أقرانهم أمعنوا في الحفظ، وأكثروا في الكتابة، وأفرطوا في الرحلة، وواظبوا على السنة والمذاكرة والتصنيف والمدارسة، حتى أخذ عنهم من نشأ بعدهم من شيوخنا هذا المذهب، وسلكوا هذا المسلك. حتى إن أحدهم لو سئل عن عدد الأحرف في السنن لكل سنة منها عدّها عدّاً. ولو زيد فيها ألف أو واو لأخرجها طوعاً ولأظهرها ديانة ولولا هم لدرست الآثار واضمحلت الأخبار، وعلا أهل الضلالة والهوى. وارتفع أهل البدع والعماء، فهم لأهل البدع قامعون، بالسنن شأنهم واضعون . . . الخ ما ذكر من المديح» (٥).

(١) سبقت ترجمته ص ١٩٤ .

(٢) هو الدرامي سبقت ترجمته ص ١٥١ .

(٣) المير ٢٨٤/١٢ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٨٢ .

(٥) المجروحين ٥٧/١ .

ثامناً : إستشهاد الإمام البيهقي^(١) (٤٥٨) بجهود الذهلي واعتماد أقواله.

١ - أشار الدكتور نجم عبد الرحمن خلف في إحدى دراساته الضافية للسنن الكبرى للحافظ البيهقي . إلى أن الذهلي أحد الأئمة الأعلام الذين احتفظت السنن الكبرى بأقوالهم في فنون شتى من علم الحديث . وقد بين أنه :
أ- من النقاد الذين اعتمد البيهقي أقوالهم في الجرح والتعديل .

وضرب مثالا لذلك^(٢) بما رواه بسنده إلى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «تعاد الصلاة في مقدار الدرهم من الدم»^(٣) ومن بين رجال الاسناد «روح بن غطيف» ثم قال البيهقي : «وفيما بلغني عن محمد بن يحيى الذهلي قال «أخاف أن يكون هذا موضوعاً وروح هذا مجهول»^(٤) .

ب - من النقاد الذين اعتمد عليهم الإمام البيهقي في نقد المتن أو النقد العام .

وضرب مثالا لذلك^(٥) بما رواه البيهقي بسنده إلى معمر عن يحيى ابن أبي كثير عن ضمضم بن جوس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خروج الإمام يوم الجمعة للصلاة (يعني) يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام»^(٦)

ثم قال البيهقي : وهذا خطأ فاحش فإنما رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب من قوله غير مرفوع ، ورواه ابن أبي ذئب

(١) البيهقي هو الحافظ العلامة ، الثبت أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي ، قال الذهبي ، بورك له في علمه ، وصنف التصانيف النافعة ، توفي ودفن في يهق سنة ٤٥٨ ، السير ١٦٣/١٨ .

(٢) في كشف مواضع الصناعة الحديثية في السنن الكبرى للإمام البيهقي ، ص ٤١ .

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٤٠٤/٢ . وقد بينت مدى نكارة هذا الحديث ، وكلام عدد من الأئمة عليه واتفاقهم على أنه موضوع ، في الفصل الثالث من الباب الثالث ، مبحث معرفته بالضعيف ، فليراجع .

(٤) المصدر السابق ٤٠٥/٢ .

(٥) في كشف مواضع الصناعة الحديثية في السنن الكبرى ، ص ٢٥ .

(٦) السنن الكبرى ١٩٣/٣ .

ويونس عن الزهري عن ثعلبة ابن أبي مالك، ورواه مالك عن الزهري فميز كلام الزهري من كلام ثعلبة كما ذكرنا وهو المحفوظ عند محمد بن يحيى الذهلي^(١).

وعند جردي للسنن الكبرى للبيهقي رحمه الله وجدت أنه يروي أحاديث كثيرة من طريق الإمام الذهلي ومن طريق ابنه يحيى (حيكان) - ووجدته كما ذكر فضيلة الدكتور نجم قد اعتمد على أقوال الإمام الذهلي في نقد الرجال^(٢) والمتون وأمور أخرى تتصل بالصناعة الحديثية.

ومن المستحسن أن أسجل هنا عدد ما وجدت من أسانيد للذهلي وابنه يحيى وما نقل البيهقي عنه من صناعة حديثية. وذلك على سبيل محاولة الإستقصاء وأرجو أن يكون قريباً من الكمال.

فقد بلغت أسانيد البيهقي إلى الإمام الذهلي ما يقارب (٩٤) إسناداً وبلغت أسانيده إلى ابنه يحيى (حيكان) ما يقارب (٦٣) إسناداً. أما ما نقله عنه من فوائد متنوعة في الجرح والتعديل أونقد المتون وسواها فقد بلغ (١٩) فائدة. وفي هذا الإلماحة كبرى لمكانة الإمام الذهلي وقيمة مروياته للحديث ودرايته بعلومه.

(١) المصدر السابق.

(٢) قال فضيلة الدكتور: ومن هؤلاء النقاد الذين احتفظت السنن الكبرى بأقوالهم في الجرح والتعديل: أبو داود السجستاني، وأبو داود الطيالسي. وأبو زرعة الرازي، وأبو بكر ابن خزيمة، وابن المبارك، وابن المديني، وابن مهدي، وإبراهيم الحربي، والجوزجاني، وأحمد بن حنبل، والترمذي، والحاكم، والحميدي، والدارقطني، والدرامي، والشافعي، وشعبة، وعبد الرزاق الصنعاني، وعمرو الفلاس، ومالك، والذهلي. الخ «الصناعة الحديثية في السنن الكبرى» ص ١٦٢.

تاسعاً: ثناء ابن تيمية (٧٢٨) على الذهلي بأنه من أئمة الحديث ونقادة وحكامه وحفاظه العارفين بأحوال الرواة

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عند تعليقه (١) على ما يورده المفسرون من الأحاديث الموضوعة في تفاسيرهم كالثعلبي (٢) والبغوي (٣) على ما فيهما من الخير والصلاح: مجرد رواية هؤلاء لا توجب ثبوت الحديث باتفاق أهل العلم بالحديث، فإن في كتب هؤلاء من الأحاديث الموضوعة ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع والثعلبي وأمثاله لا يتعمدون الكذب، بل فيهم من الصلاح والدين ما يمنعهم من ذلك، لكن ينقلون ما وجدوه في

(١) ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا التعليق القيم والثناء البالغ على أهل الحديث في معرض رده على شيخ الرافضة أبي منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلبي الشيعي المتوفى سنة ٧٢٦، عندما ألف كتابه «منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة» فحمل طائفة من أهل السنة والجماعة هذا الكتاب إلى شيخ الاسلام وبينوا له أنه أهم كتب الرافضة المقررة لمذاهبهم الباطلة وطلبوا منه بيان ما فيه من الضلال والانحراف، فأجابهم إلى ذلك رحمه الله، وكتب «منهاج السنة» الذي حققه د. محمد رشاد سالم في ٩ مجلدات. وللوقوف على ترجمة ابن مطهر انظر [البداية والنهاية ١٤/ ١٢٥] و[لسان الميزان ٢/ ٣٨٦] تحت اسم الحسين بن يوسف و[هدية العارفين ١/ ٢٨٤]، و[الأعلام لخير الدين الزركلي ٢/ ٢٢٧]، وكان هذا الرافضي قد استشهد بحديث موضوع فيه ما يؤيد مذهبه في الإمامة وأن علي هو الوصي والوارث والخليفة بعد الرسول وقد رد ابن تيمية هذا الحديث بوجوه كثيرة، وبين أن الثعلبي والواحدي والبغوي وإن أوردوه في تفاسيرهم فإنهم قد أوردوا ما يناقضه من الأحاديث الصحيحة، وهذا منهج أغلب المفسرين يوردون كل ما يبين سبب النزول صحيحاً أو ضعيفاً أو موضوعاً - أنظر هذا الحديث ورد ابن تيمية له في منهاج السنة ٧/ ٢٩٧.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، كان أواخر زمانه في علم القرآن، قال ابن الأثير يقال له الثعلبي، والثعلبي لقب لا نسب. له كتاب التفسير الكبير، توفي في المحرم سنة ٤٢٧. الباب ١/ ٢٣٨، السير ١٧/ ٤٥٣، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٦٦.

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء أبو محمد البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف كـ «شرح السنة»، و «معالم التنزيل». . . . كان سيداً إماماً عالماً، زاهداً قانعاً بالسير، توفي في شوال سنة ٥١٦، بمرو الروذ، السير ١٩/ ٤٣٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٦١، طبقات الشافعية لأبي بكر ابن هداية الحسيني ص ٢٠٠ تحقيق عادل نويهض.

الكتب، ويروون ما سمعوه، وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد ما لأئمة الحديث كشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق، ومحمد بن يحيى الذهلي، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازي، وأبي عبد الله بن مندة، والدارقطني، وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحكامه وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة تامة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأحوال من نقل العلم والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين [وتابعيهم] ومن بعدهم من نقلة العلم.

وقد صنفوا الكتب الكثيرة في معرفة الرجال الذين نقلوا الآثار وأسماءهم، وذكروا أخبارهم وأخبار من أخذوا عنهم مثل... الخ^(١)
عاشراً: شهادة الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي^(٢) (٨٤٢) له بأنه من النقاد المهرة الذين قبل قولهم في الجرح والتعديل:

وقال الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي: والكلام في الرجال ونقدهم يستدعي أموراً في تعديلهم وردهم، منها أن يكون المتكلم عارفاً بمراتب الرجال، وأحوالهم في الانحراف والاعتدال ومراتبهم من الأقوال والأفعال، وأن يكون من أهل الورع والتقوى، مجانباً للعصبية والهوى، خالياً من التساهل، عارياً عن غرض النفس بالتحامل، مع العدالة في نفسه والاتقان، والمعرفة بالأسباب التي يجرح بمثلها الإنسان، وإلا لم يقبل قوله فيمن تكلم، وكان ممن اغتاب وفاه بمحرم.

وإذا نظرنا في طبقات النقاد من كل جيل، الذين قبل قولهم في الجرح والتعديل، رأيناهم أئمة بما ذكر موصوفين، وعلى سبيل نصيحة الأمة متكلمين

(١) منهاج السنة ٣١٠/٧.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي المعروف بابن ناصر الدين، ولد بدمشق ونشأ بها، أتم فن الحديث واشتهر به، وصنف تصانيف، توفي سنة ٨٤٢، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٠٣/٨ للإمام شمس الدين السخاوي، البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع ١٩٨/٢ للعلامة محمد بن علي الشوكاني.

كمن كان في المائة وستين من الهجرة، وما قاربها من السنين في طبقة النقاد المهرة، مثل . . . [ثم سرد ما يقارب الثلاث طبقات . . . ثم قال . . .] . . . ويعددهم : طبقة البخاري محمد بن إسماعيل . وقبيل الثلاثمائة بقليل : كمحمد بن يحيى الذهلي، وعبد الله الدارمي، وأحمد بن الفرات وأبي زرعة عبيد الله ابن عبد الكريم وابن خالته أبي حاتم الرازيين، وخلق من الأثبات . (١)

حادي عشر : مجالس الإمام الذهلي العلمية :

وبعد . . . فمن كانت هذه رتبته بين جموع أئمة العلم والفضل . . . لا بد أن يكون له منبر يتسابق إليه الناهلون من علمه من شتى البقاع، ويرتفع منه صوت الحق . . . ببيان أحوال المبتلين في دين الله . . . وفتوى الناس بما يبين لهم دينهم ويرشدهم لصلاح أمورهم .

وإذا زاحمت قوة السلطان في بغداد جلالة العلم، وهيبة العلماء، أمثال الإمام أحمد، ويزيد بن هارون، فإن الإمام الذهلي قد انفرد بمجالسه العلمية وشخصيته الفذة وعلمه الغزير بالمهابة والجلالة في نيسابور (٢) . فلم يكن لسلطان السياسة بها كبير أثر يذكر .

وكان جلُّ وقت الإمام الذهلي لطلبة العلم وعموم الناس . . . وكانت مجالسه عامرة بهم، وإليها يقصد الراحلون في طلب العلم . . . وكانت تعقد في «مسجد الذهلي» الذي يحمل لقبه . (٣)

-
- (١) الرد الوافر على من زعم بأن من سمي ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ص ٣٩ . تأليف الحافظ محمد ابن أبي بكر ابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق زهير الشاويش .
- (٢) قال الإمام الذهبي : إنتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسؤدد ببلده، كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد ومالك بالمدينة، انظر السير ٢٧٤ / ١٢ .
- (٣) لعل هذه التسمية أطلقت عليه لأنه بناء هو أو ابنه وليس لذي دليل على ذلك ولكن الإمام الذهلي كان ميسور الحال فقد ذكر عن نفسه أنه انفق في طلب العلم مائة وخمسين ألفاً ومن كان هذا حاله فهو قادر على بناء المساجد ويذكر الإمام الذهبي في السير ٢٨٥ / ١٢ « أن المسجد والسكة منسوبان لابنه يحيى [حيكان] فتكون النسبة حيثئذ إليه والله أعلم .

قال الحاكم في ترجمة أحمد بن هارون البرديجي البرذعي (١) : قدم على محمد بن يحيى الذهلي فاستفاد وأفاد وكتب عنه مشايخنا في ذلك الوقت . وقد قرأت بخط أبي عمرو المستملي سماعه من أحمد بن هارون البرديجي في مسجد «الذهلي» سنة خمس وخمسين ومائتين (٢).

وكان مشايخه وأقرانه يوصون طلابهم بالتوجه إلى مجالس الذهلي لاقتناص عواليه وأفراده من الروايات التي جمعها في رحلاته الواسعة . واختبار مدى حفظه وتيقظه قال صالح بن محمد الحافظ : دخلت الرى ، وكان فضلك يذاكرني حديث شعبة ، فألقى عليّ لشعبة عن عبد الله بن صبيح عن ابن سيرين عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هذا خالي فليرني إمرؤ خاله» فلم أحفظ ، فقال فضلك : أنا أفيدكه ، إذا دخلت نيسابور ، ترى شيخاً حسن الشيب ، حسن الوجه ، راكبا حماراً مصرياً ، حسن اللباس ، فإذا رأيته فاعلم أنه محمد بن يحيى (٣) . فسله عن هذا ، فهو عنده عن سعيد بن واصل عن شعبة ، فلما دخلت نيسابور استقبلني شيخ بهذا الوصف ، فقلت : يشبه أن يكون ، فسألت عنه فقالوا : هو محمد بن يحيى فتبعته إلى أن نزل ، فسلمت عليه وأخبرته بقصدي إياه ، فنزلت مسجده ، وكتبت مجلساً من أصوله ، فلما خرج وصلى قرأته عليه ، ثم قلت : حدثكم سعيد بن عامر ، عن شعبة ؟ فذكرت الحديث ، فقال لي : يافتي ، من ينتخب هذا الانتخاب ، ويقرأ هذه القراءة ، يعلم أن سعيد بن عامر لا يحدث

(١) الإمام الحافظ نزيل بغداد . ولد بعد الثلاثين ومائتين أو قبلها ، حدث عن أبي سعيد الأشج وعلي ابن إشكاب ، وعنه أبو بكر الشافعي وأبو القاسم الطبراني . قال الدارقطني : ثقة مأمون جليل . وقال الخطيب : كان ثقة فاضلاً فهماً حافظاً ، قال أبو الشيخ الأصبهاني : مات سنة إحدى وثلاث مائة ببغداد . أنظر تاريخ بغداد ١٩٤ / ٥ . سير أعلام النبلاء ١٢٢ / ١٤ . والبرديجي بفتح الباء وسكون الراء ثم الدال المكسورة ، نسبة إلى بردج بليدة بأقصى أذربيجان ، الأنساب ٣١٤ / ١ .

(٢) السير ١٢٤ / ١٤ .

(٣) وفي تاريخ بغداد ٤١٧ / ٣ . «فهو محمد بن يحيى فاكتب عنه فإنه من قرنه إلى مقدمه فائدة» .

عن شعبة بمثل هذا الحديث . فقلت : نعم أيها الشيخ ، حدثكم سعيد بن واصل ؟ فقال : نعم ^(١) .

وهكذا نرى الذهلي يواصل عطاءه دوغماً كلل أو ملل سواء للجموع المتكاثرة في حلق العلم أو للأحاد الذين يرحلون لطلب العلم ، مع سعة الصدر لهم ولأسئلتهم وللإمتحان الذي يرفضه ويعاقب عليه بعض المحدثين كما سيأتي بيانه في آداب المحدث من الباب الثالث .

ولم تكن مجالس الإمام الذهلي رحمه الله مجرد حلق علم لتلقيح الفهوم فحسب بل كانت إلى ذلك منهلاً عذباً يتزود منه طلبة العلم أخلاق العلماء . . . وهنا يروى لنا أبو حامد ابن الشرقي صورة من صور تواضع شيخه الذهلي أمام الجموع لما عَنَّفَ أحدهم على مقاطعته إياه أثناء الإملاء . قال : وسمعت محمد بن يحيى الذهلي وأملى حديثاً ، فرد عليه الجارودي ، فزبره محمد بن يحيى ، فلما كان المجلس الثاني ، قال الذهلي : ها هنا أبو بكر ؟ قال : نعم . قال : الصواب ما قلت فإني رجعت إلى كتابي فوجدته على ما قلت ^(٢) .

وقد نالت مجالس الإمام الذهلي شهرة واسعة لكثرة من يحضرها ولتميزهم بصدق الطلب والصلاح حتى إن المبطلين في دين الله كانوا يرسلون الرسائل إلى الذهلي ليقرأ شكواهم ويبين أحوالهم في مجلسه الذي يغص بأهل الحديث .

قال أبو عمرو المستملي : حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي ^(٣) إليه ، وإذا فيه «والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل

(١) السير ٢٧٧/١٢ .

(٢) السير ٥٤٣/١٣ .

(٣) هو الإمام الجليل أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري ، أكبر أصحاب الشافعي المصريين ، كان إماماً عابداً زاهداً ، فقيهاً ، جبالاً من جبال العلم والدين ، كان ممن امتحن بمسألة خلق القرآن فلم يجب فسجن حتى مات سنة ٢٣١ ، طبقات الشافعية للسبكي ١٦٢/٢ ، السير ٥٨/١٣ . طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٧١/١ .

الحديث، لعلَّ الله يخلصني بدعائهم، فيأتي في الحديد، وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضجَّ الناس بالبكاء، والدعاء له»^(١)

وكانت مجالس المناظرة تعقد بينه وبين غيره من أهل العلم، وينقل عنه في ذلك آدابٌ لها وقع لطيف على نفوس من تجردوا لربهم في طلب العلم، كما كان يعقد فيها بعض أصول المناظرة العلمية النموذجية ومن ذلك ما ذكره صاحب مفتاح السعادة ومصباح الريادة قال: (وكان محمد بن يحيى إذا توجه عليه الإشكال، ولم يحضره الجواب، يقول: ما ألزمته لازم وأنا فيه ناظر ﴿﴾ وفوق كل ذي علم عليم ﴿﴾^(٢)^(٣)

ولذا كان العلماء وعامة الناس ينظرون إلى مجالس الذهلي بعين الحرص والإجلال، وكانوا يجتهدون في إحضار أبنائهم إليها، بل إن من يتقاعس منهم في ذلك يحرَّص ويؤنَّب. ترجم أبو عمرو بن الصلاح لمحمد بن يعقوب الشيباني^(٤) فقال: «... توفي الذهلي وعمره ثمان سنوات وكان والده يجتهد أن يحضره مجلسه فلم يفعل إلى أن مات. وحمله إلى جنازته فصلَّى عليه فقيل لأبيه: «فوت ابنك محمد بن يحيى فلا تفوته سائر الشيوخ فحمل إلى السعدي وحيكان وأمثالهم وكان يحكي بخطه خط الذهلي.»^(٥)

تصدر الإمام الذهلي للإفتاء ومشیخة البلد.

والإفتاء مكانة علمية واجتماعية كبرى، والمتصدي له ينبغي أن يكون على جانب كبير من العلم وحسن سماع السؤال وحسن فهمه وحسن الجواب عليه . . مع معرفة تامة بثوابت وشمول قضايا الدين . .

(١) طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥/٢ .

(٢) سورة يوسف، آية ٧٦ .

(٣) مفتاح السعادة ١/٣٤ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٨٤ .

(٥) طبقات الفقهاء الشافعية ١/٢٨٩ .

والإمام الذهلي كان قد تصدر مع علمه الغزير مشيخة نيسابور ومنصب
الإفتاء فيها . . وبقي يفتي الناس حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ٢٥٨ هـ .
فخلفه في ذلك ابنه يحيى . قال الإمام الذهبي في ترجمة حيكان مدلاً لذلك :
«المحدث الحافظ الشهيد أبو زكريا يحيى ابن الحافظ الكبير محمد بن يحيى
الذهلي إمام نيسابور ، ومفتيها بعد أبيه»^(١) .

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٦١٦ .

المبحث الثاني آثاره

إن الذي يميز الشخصيات العلمية البارزة في تاريخنا المجيد آثارها التي خلفتها وراءها . سواء كانت تلك الآثار المصنفات التي تشهد بسبقهم العلمي وجهادهم ونصبهم ، أو أولئك التلاميذ الذين ملأوا الدنيا عبيراً وشذىً فواحاً من جميل ثنائهم على مشايخهم ، وبيانهم لأحوالهم العامة والخاصة . أو كانت تلك الآثار مواقف خالدة تثبت الحق وتبطل الباطل .

والإمام الذهلي رحمه الله تعالى ترك آثاراً في جميع ما ذكر . . . والذي نعني ببيانه هنا هو مصنفاته وقد أشار إلى كثرتها أحمد بن سيار المروزي (١) حيث وصفه قائلاً: «كان ثقة كتب الكثير ودون الكتب» (٢) وقد سبقت شهادة أبي حاتم ابن حبان له «بأنه أحد الذين أكثروا في الكتابة ، وواظبوا على المذاكرة والتصنيف» (٣) .

والحديث عن مصنفات الإمام الذهلي فيه عدد من العوائق . . أبرزها أن معظم مؤلفاته ومدوناته قد دُفنت بعد وفاته . . . وقد دفنها تلميذه أبو عمرو المستملي . وعندما يسمع المرء بعدد الأجزاء التي واراها التراب من جهود هذا الحَبِيز الجُهيد تتنابه الحسرة ويدركه الألم لفوات ما فيها من علم قضى في جمعه السنين ، وارتحل في طلبه إلى أبعد الأوطان .

قال أبو عمرو المستملي : «دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء» (٤) .

(١) هو أحمد بن سيار بن أيوب بن عبد الرحمن أبو الحسن المروزي ، الإمام الكبير الحافظ الحجة عالم مرو ، مات في ربيع الآخر سنة ٢٦٨ هـ ، الجرح والتعديل ٥٣/٢ ، السير ٦٠٩/١٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤٥٤/٩ .

(٣) المجروحين من المحدثين ٥٧/١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٧٨/١٢ .

وبين أبو عبد الله الحاكم أن الإمام الذهلي من قلائل العلماء الذين دفنوا كتبهم قال: «إسحاق بن راهويه، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى، هؤلاء دفنوا كتبهم» (١).

ومن عوائق بيان مصنفاته رحمه الله أن الذي بقي منها ولم يدفن أو رواه عنه تلامذته يعتبر الآن في عداد المفقود. وحسبي هنا أن أسوق أسماء مصنفاته

(١) طبقات الشافعية، للسبكي ٨٨/٢، وسواء كان الذي دفنها هو الذهلي نفسه أو تلميذه المستملي فإن ذلك يوضح أنه كان لا يرى بذلك بأساً، وقد ساق الخطيب البغدادي في تقييد العلم تحقيق يوسف العش ص ٦١ أخبار جماعة من العلماء وصوّاً بدفن أو حرق أو غسل أو محو كتبهم بعد وفاتهم، وعلل ذلك بخوفهم من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم، فلا يعرف أحكامها، ويحمل جميع ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص فيكون ذلك منسوباً إلى كاتبها في الأصل [أ. هـ] وساق الخطيب بأسانيده أن طاووس بن كيسان كان يأمر باحراق الكتب، وكذلك عبيدة، وعن شعبة أنه أوصى ولده أن يغسل كتبه ثم يدفنها، وكذلك أبو قلابة أوصى أن تدفع كتبه لأبي أيوب إن كان حياً وإلا فلتحرق، وقال إبراهيم بن هاشم: دفناً لبشر بن الحارث ثمانية عشر مائين قمطر وقوصرة، وقال أحمد بن حنبل: «لا أعلم لدفن الكتب معنى» قال الخطيب: «لا معنى له إلا ما ذكرته والله أعلم» تقييد العلم ص ٦٣.

وقال الأثرم لأبي عبد الله الإمام أحمد: دفن دفاتر الحديث؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس. وكان معظم توجيه الإمام أحمد رحمه الله أن لا تدفن الكتب بل تترك يتتفع بها الناس. فقد سأله أبو طالب عن محو كتب الحديث فقال: سبحان الله تمحى السنة والعلم! وسأله مرة أخرى فقال: ما ترى في دفن العلم إذا كان الرجل يخاف أن ليس له خلف يقوم به ويخاف عليه الضيعة؟ قال: لا يدفن ولعل ولده يتتفع به، عبيدة أوصى أن تدفن، الثوري لم يكن له ولد ولعل غير ولده يتتفع به، قال: يباع؟ قال: لا يباع العلم ولكن يدعه لولده يتتفع به أو غير ولده يتتفع به. وسأله مرة المروذي عن أوصى أن تدفن كتبه، قال: ما يعجبني دفن العلم. «الأدب الشرعية والمنح المرعية للإمام محمد بن مفلح المقدسي ١١٥/٢ بتصرف يسير» ولم أعثر على تعليل وسبب لدفن الإمام الذهلي كتبه إلا أن يكون ما ذكره الخطيب آنفاً. وعليه فإنه لما أحس بدنو أجله دفن ما استطاع دفنه وأوصى تلميذه المستملي بدفن الباقي بعد أن روى ما فيها لطلاب العلم وأهله في الأقطار... فدوتوه عنه وتحملوه بالطرق التي يراها... وقد توافرت همم تلامذته ومن يرحل إليه من كل حذب وصوب على أن يسمعوها منه «الزهریات» وعلل حديث الزهري وبعض الأجزاء الحديثية وما سوى ذلك، ويدونوها ويرووها لمن خلفهم... لذا فإنها بقيت أماداً طويلة واستشهد بها فيها العلماء ورووها وأشاروا إليها في مصنفاتهم كما سيأتي بيانه.

التي ذكرها المتأخرون ووثقوا نسبتها إليه، أو ذكرتها فهارس المخطوطات وكتب التراجع .

١- الزهريات :

وهي مصنف كبير ضمَّنه الأحاديث التي رواها الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله وقد ظل يجمعها زمناً طويلاً وتعب فيها، وجودها، واعتنى بها. حتى طار ذكرها في الآفاق . ونال بها شهرة بين مشايخه وأقرانه وتلاميذه في نيسابور وفي الأقطار الأخرى . وسيأتي الحديث عن الإمام الزهري ومكانته العلمية وقيمة إختيار الإمام الذهلي لهذا العَلم والإعتناء بحديثه ورجاله، وإجماع المتقدمين والمتأخرين على أهمية هذا العمل ووجاهته وقد وثق نسبة هذا المصنف له عدد من العلماء والمترجمين منهم الحافظ ابن حجر رحمه الله الذي ذكره مراراً وتكراراً في شرحه لصحيح البخاري المسمى بـ«فتح الباري» وفي تغليقه للمعلقات^(١) الموجودة في صحيحه أيضاً والمسمى بـ«تغليق التعليق» وإن كثرة إحالات الحافظ ابن حجر إليه واختلاف الطرق المستشهد بها تدل على أنه يمتلك منه نسخة، وهذا يعني أنه بقي إلى وقت متأخر، ولا نعرف عن مصيره بعد عصر ابن حجر شيئاً، ولم تذكر فهارس المخطوطات الآن وجوده من عدمه .^(٢) وهذه بعض إحالات الحافظ ابن حجر إلى الزهريات . قال في فتح الباري :

أ- قوله في أثناء الإسناد (وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد الخ) وصله الذهلي في (الزهريات) عن أبي صالح عن الليث .^(٣)

(١) سبق تعريف الحديث المعلق ص ٧٤ .

(٢) الحديث عن كتاب الزهريات الأصل بتمامه، ولكن وصل إلينا منه ثلاثة وثلاثين حديثاً انتقاها من الأصل الإمام الحافظ محمد بن عبد الرحيم المقدسي وجعلها جزءاً حديثاً تاماً، وقد قمت بدراسته وتحقيقه وتخريج أحاديثه والحكم عليها في الباب الرابع من هذه الأطروحة .

(٣) كتاب الزكاة باب أخذ العناق في الصدقة ٣/ ٣٢٢ .

ب- قوله (تابعه أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب) وصله الذهلي في (الزهریات) عن أصبغ^(١)

ج- وهذه الطريق وصلها الذهلي في (الزهریات)^(٢) وقد نافت إحالات الحافظ ابن حجر في الفتح والتغليق لهذا السفر العظيم وسواه على عشرين إحالة ساشير إليها تباعاً في آخر الحديث عن إهتمامه بحديث الزهري .
وجدير بالذكر أن هذا المصنف كان يسمى بـ (حديث الزهري) أيضاً . وكان العلماء يستعملون الإسمين في آن واحد في مصنفاتهم . من ذلك قول ابن حجر في تغليق التغليق : وأما حديث إسحاق الكلبي ، فقال الذهلي في حديث الزهري : ثنا يحيى بن صالح الوحاظي ، ثنا إسحاق به^(٣) وقال عن نفس الموضع في فتح الباري : وأما متابعة إسحاق الكلبي ، فوصلها الذهلي في الزهریات ، عن يحيى بن صالح ، عنه^(٤) وعن نسب الزهریات إليه علامة المغرب الكتاني^(٥) : قال : « » وأحاديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، لأبي عبدالله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي . . . الخ وهي المسماة بالزهریات^(٦) ومنهم خير الدين الزركلي قال : « » انتهت إليه مشيخة العلم بخراسان . واعتنى بحديث الزهري فصنفه وسماه «الزهریات» في مجلدين^(٧)

(١) كتابا الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ٣٨٣/٥ .

(٢) كتاب الطلاق باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ٣٥٧/٩ .

(٣) تغليق التغليق على صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ٣٦/٤ ، تحقيق الدكتور سعيد القزقي .

(٤) فتح الباري ٤٧٤/٦ .

(٥) هو محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي ، أبو عبدالله : مؤرخ ، محدث ، مكث من التصنيف ، رحل إلى الحجاز مرتين وهاجر إلى المدينة بأهله ، وانتقل إلى دمشق ، كان مولده عام ١٢٧٤ بفاس وتوفي بها في عام ١٣٤٥ ، الأعرام ٧٢/٦ ، وقد ترجم له حفيده محمد المتصر في مقدمة تحقيقه لكتابه المشهور [الرسالة المستطرفة] .

(٦) الرسالة المستطرفة ص ١١٠ .

(٧) الأعلام ١٣٥/٧ .

٢ - علل حديث الزهري :

وهو ثاني أهم كتبه، لأنه كالميزان لكتابه الأول (الزهريات) الذي حاول فيه استقصاء جميع حديث الزهري . . وطبعي أن يكون هناك طرق فيها ضعفاء، وروايات لا تخلو من علة فجاء كتاب العلل منقحاً ومبيناً لكل ذلك . . ويبدو أنه صنفه بعد الزهريات بفترة طويلة بدليل ما رواه الإمام الخليلي بسنده إلى الذهلي قال: «لما جمعت حديث الزهري عرضت على علي ابن المديني فنظر فيه، فقال: أنت وارث الزهري . فبلغ ذلك أحمد بن صالح المصري - وذاكرته في أحاديث الزهري- فقال: أنت الذي سمّك علي ابن المديني وارث الزهري؟! قلت: نعم قال: بل أنت فاضح الزهري!! قلت لم؟ قال: لأنك - أدخلت في جمعك أحاديث للضعفاء عن الزهري، فلما تبهرت في العلم، ضربت على الأحاديث التي أشار إليها، وبينت عللها»^(١) فقد أفادتنا هذه الرواية أنه جمع الزهريات أولاً وبقي زمناً حتى ذاع صيتها والثناء عليه، ثم التقى بالإمام أحمد بن صالح الذي عرفه بالروايات الضعيفة . . . وبعد تبخره في العلم وافتقانه معرفة العلل . بين عللها ونقحها .

وقد وثق نسبته إليه الإمام الحافظ أبو علي الغساني الجياني^(٢) والذي يظهر أنه كان يمتلك منه نسخة لكثرة إشارته إليه في كتابه تقييد المهمل وتمييز المشكل^(٣)

(١) الإرشاد ١/ ٤١٠ .

(٢) هو الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الغساني المعروف بالجياني، إمام عصره في الحديث، قال الإمام الذهبي: الحافظ المجود، الحجة الناقد، محدث الأندلس، وقال ابن فرحون: رحل إليه الناس من كل قطر ومكان، ولم يكن له رحلة. توفي سنة ٤٩٨ . السير ١٩/ ١٤٨، الديباج المذهب ١/ ٣٣٢ .

(٣) الكتاب مخطوط بجامعة أم القرى (تحت رقم ٨١٤) في مكتبة الميكروفيلم بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مصور عن النسخة الموجودة بمكتبة جامع الكناسي بالرباط تحت رقم (٢٣٧) حديث .

ومن ذلك قوله: « وذكر محمد بن يحيى الذهلي في العلل قال: سمع الزهري من . . . الخ. »^(١) وقوله: « . . . وأنص ألفاظهم فيه على حسب ما ذكره محمد ابن يحيى الذهلي في كتاب العلل لحديث الزهري . . . الخ. »^(٢)

ومن وثق نسبته إليه ابن خير الإشبيلي^(٣) حيث قال: ومن كتب علل الحديث والتواريخ ومعرفة الرجال وغير ذلك مما يتصل به، كتاب علل حديث الزهري، تأليف محمد بن يحيى الذهلي، حدثني به أبو بكر محمد بن أحمد بن أحمد بن طاهر رحمه الله، قال: «نا» به أبو علي الغساني، قال: نابه حكم بن محمد بن حكم الجذامي عن أبي محمد عبد الرحمن بن عمر النحاس المصري عن أبي محمد عبد الله بن جعفر المعروف بابن الورد عن عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف عن محمد بن يحيى الذهلي، مؤلفه. »^(٤)

ومنهم الحافظ ابن حجر حيث قال: «ورواية عثمان بن عمر موصولة في كتاب «علل حديث الزهري»^(٥) ويظهر أن ترتيبه لكتاب العلل كان على مسانيد

(١) انظر الجزء المطبوع منه «التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين» قسم البخاري: الجزء الخامس والسادس من التقييد نفسه ص ١٧١ تحقيق محمد صادق أيدن الحامدي. وقد بين المحقق في المقدمة ص ٤٦ أن علل الزهري للذهلي من المصادر الرئيسة للجنياني في كتابه [التقييد].

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٤٣.

(٣) هو محمد بن خير بن عمر بن خليفة أبو بكر الإشبيلي الإمام الحافظ، شيخ القراء. تصدر بإشبيلية للإقراء والإسماع وحمل الناس عنه كثيراً، وكان مقرئاً مجوداً ومحدثاً متقناً أديباً نحويّاً لغويّاً واسع المعرفة رضيعاً مأموناً، لما مات بيعت كتبه بأعلى الأثمان لصحتها. توفي سنة ٥٧٥. بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس تأليف أحمد بن يحيى الضبي (ص ٦٥ ترجمة ١١٢) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٦٦.

(٤) فهرسة مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف ص ٢٠٣ للعلامة أبو بكر محمد بن خير الأموي الإشبيلي، باعتناء فرنسكة زيد بن وخليان ريارة.

(٥) فتح الباري ٩/ ٩٨.

الصحابة وذلك استنباطاً من قول الحافظ ابن حجر في النكت الظراف ، عندما علّق على كلام الحافظ المزي^(١) في تحفة الأشراف عند حديث محمد بن عبد الله بن عباس عن أبيه وفيه «تخيير النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً»^(٢) قال : «ذكره الذهلي عن يزيد بن عبدربه عن بقية في (ترجمة) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس» ووقع في السند (محمد بن عبد الله بن عباس)^(٣) .

٣ - جزء محمد بن يحيى الذهلي (الجزء) *

هذا المصنف يأتي في المرتبة الثالثة من مصنفات الإمام الذهلي المسماة المشهورة .

وقد بقي هذا المصنف الحديثي أيضاً إلى زمن الحافظ ابن حجر رحمه الله الذي أشار إليه كثيراً في الفتح والتغليق ، والمعجم المفهرس . ورواه من طريقين إلى سبط السلفي ومنه إلى الإمام الذهلي رحمه الله .

وهذه بعض إشارات الحافظ ابن حجر إلى الجزء . أثنيها بذكر سنده الموصول إلى مصنفه وكل ذلك يمثل توثيقاً لنسبة هذا الجزء للإمام الذهلي .

(١) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين أبو الحجاج المزي ، كتب الكثير ورواه مع السمت الحسن والاقتصاد والتواضع والحلم ، توفي سنة ٧٤٢هـ ، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ٣٨٩/٢ ، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة .

(٢) انظر تخريج الحديث بتمامه في حاشية الحديث رقم [١٢] من الجزء المتقى من أحاديث الزهري في الباب الرابع .

(٣) النكت الظراف على الأطراف ٢٣٢/٥ للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين .

(*) هذا المصنف ذكره باسم [جزء محمد بن يحيى الذهلي] الحافظ ابن حجر في المعجم المفهرس [١٢٣ - ب] كما ذكره محقق الكتاب في المجمع المؤسس للمعجم المفهرس [٣٤٣ / ١] . وذكره فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ٢٠٧ / ١ بعنوان [الجزء] وأشار إلى وجوده في القاهرة تحت رقم [٢] ١٠٨ / ١ ، حديث ١٥٥٩ .

(١) قال في الفتح : (وقال ابن رجاء) هو عبد الله البصري الغداني وهو أحد شيوخ البخاري وقد وصله محمد بن يحيى الذهلي . قال : حدثنا عبد الله ابن رجاء ورويناه عالياً من طريقه في الجزء المشهور المروي عنه من طريق السلفي ...) (١)

(٢) وقال أيضاً : (..... ووقع لنا بعلو في جزء الذهلي وسياقه أتم مما في البخاري) (٢) .

(٣) وقال في التعليق عند ذكر حديث " لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء " (٣) وقد وقع لنا موافقة عالياً جداً : قرأته على أبي بكر بن ابراهيم بن العز (قلت له) : أخبركم عبد الله بن الحسين أن عثمان بن علي (ابن خطيب القرافة) ، أخبره : عن الحافظ أبي طاهر السلفي . أنا مكّي بن منصور ، أنا أحمد بن الحسين القاضي ، ثنا محمد بن أحمد الميداني ثنا محمد بن يحيى الذهلي (٤) الخ

وهذا الطريق أحد إسناديه إلى سبط السلفي (٥) في رواية هذا الجزء كما سيأتي الآن .

(١) فتح الباري ٥٣/٢ .

(٢) فتح الباري ٢٧٣/٣ وانظر كذلك ١٥١/٤ ، ٥١٨/٨ .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجمعة ، باب السواك يوم الجمعة ٢٤١/١ ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب السواك ٢٢٠/١ ، كلاهما من حديث أبي هريرة بنحوه وفي آخره (مع كل صلاة) .

(٤) تعليق التعليق ١٦٠/٣ .

(٥) هو الشيخ المسند المعمر أبو القاسم عبدالرحمن بن مكّي بن عبدالرحمن جمال الدين الطرابلسي الإسكندراني سبط الحافظ أبي طاهر السلفي ، سمع من جده كثيراً سمع من عبدالمجيد بن دليل ، وخلف بن بشكوال وتفرد ورحل إليه الطلبة ، وحدث عنه المنذري ، وابن دقيق العيد ، توفي بمصر ليلة رابع شوال سنة ٦٥١ ، السير ٢٧٨/٢٣ ، وانظر شذرات الذهب ٢٥٣/٥ .

(٤) إسناد الحافظ ابن حجر في روايته جزء الذهلي .

هذا الجزء رواه ابن حجر من طريقين إلى سبط السلفي ثم يتحد السند إلى الذهلي .

الطريق الأول : بسماعه من شيخه أحمد بن الحسن بن محمد المقدسي (١)

باجازته من زينب بنت الكمال (٢) باجازتها من سبط السلفي ، بسماعه من جده أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي (٣)
قال : أخبرنا مكّي بن منصور الكرجي (٤) قال أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري (٥) ، قال : أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن معقل الميداني (٦) عن الذهلي (٧)

(١) هو أحمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن زكريا المقدسي السويدي شهاب الدين ابن المحدث بدر الدين . تفقه على مذهب الشافعي ، وكان خيراً محباً للحديث وأهله ، مات سنة ٨٠٤ . إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني ٢٦/٥ ، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ٢٩٩/١ للحافظ ابن حجر ، تحقيق د . يوسف مرعشلي . لحظ الألفاظ بذيّل طبقات الحفاظ ص ٢٠٢ للحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي .

(٢) هي الشّيخة الصّالحة المسندة العمرة أم عبدالله زينب ابنة الشيخ كمال الدين أحمد بن عبدالرحيم المقدسية كانت سهلة التسميع ، محبة لأهل الحديث ، كريمة النفس ، وطال عمرها ، توفيت ليلة الإثنين جمادى الأولى سنة ٧٤٠ هـ ، الوفيات ٣١٦/١ .

(٣) هو الإمام العلامة المحدث أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني الجرواني ، وسلكه بكسر المهملة لقب لجده أحمد أي « الغليظ الشفة » . كان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، قال ابن النجار : حافظ ، متقن ، مشهور ، رحال . توفي سنة ٥٧٦ هـ . ذيل تاريخ بغداد ١١٩/١٥ ، تكملة الإكمال لابن نقطة ٣/٣٣٩ ، السير ٥/٢١ .

(٤) هو مكّي بن منصور بن محمد بن علان أبو الحسن الكرجي ، طال عمره ، وتفرد ، وارتحل الطلبة إليه ، مات سنة ٤٩١ هـ . السير ٧١/١٩ ، تبصير المتتبع بتحرير المشتبه ١٢٠٩/٣ لابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد علي النجار .

(٥) هو أحمد ابن أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد الحرثي الحيري . أبو بكر ، مسند خراسان . كان بصيراً بالمذهب فقيه النفس . مات سنة ٤٢١ في رمضان ، والحيري نسبة إلى الحيرة ، محلة مشهورة بنيسابور . معجم البلدان ٢/٣٣١ ، السير ٣٥٦/١٧ .

(٦) هو محمد بن أحمد بن محمد بن معقل أبو علي النيسابوري الميداني من أهل محلة تعرف بميدان ابن زياد سمع من محمد بن يحيى الذهلي جزءاً واحداً ، وهو الذي تفرد به سبط السلفي . مات فجأة في رجب سنة ٣٣٦ . الأنساب ٥/٤٢٩ ، السير ١٥/٣٩٠ .

(٧) المجمع المؤسس ١/٣٤٣ ، ٤٨٦ .

الطريق الثاني : بسماعه من شيخه أبي بكر بن إبراهيم بن العز المقدسي (١)

بسماعه من مشايخه الثلاثة ، أبي محمد عبد الله بن الحسين ابن أبي التائب (٢) وأبي بكر محمد بن عتتر (٣) ، وزينب بنت يحيى بن عبد العزيز بن عبد السلام (٤)

بسماع الأول من عثمان بن علي (٥) ابن خطيب القرافة ، وإجازة الآخرين من سبط السلفي وبسماعه وإجازة عثمان من السلفي .

قال : أخبرنا مكي بن منصور الكرجي قال أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري ، قال : أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن معقل الميداني . عنه . (٦)

ومن وثق نسبة هذا الجزء إلى الذهلي الإمام أبو سعد عبد الكريم السمعاني (٧) فقد ذكره في معجمه الكبير عند ترجمته لشيخه أبو الفضل الأشتاني (٨) وهذا الجزء من جملة مسموعاته عنه .

(١) هو أبو بكر بن إبراهيم بن العز محمد بن العز إبراهيم المقدسي ، مسند الصالحية المعروف بالفرائضي كان عسراً في التحديث . توفي أيام حصار دمشق بالتأريخ سنة ٨٠٣ هـ ، المجمع المؤسس ٤٧٩/١ .

(٢) هو عبد الله بن حسين ابن أبي التائب بدر الدين الأنصاري الدمشقي الشاهد ، سماعه صحيح لكنه لين تفرداً بشيء . توفي سنة (٢٣٥) عن ما يقارب تسعين سنة . شذرات الذهب ١١٠/٦ .

(٣) هو أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عتتر الدمشقي ، المعمر مات عن ثلاث وتسعين سنة (٧٣٨) . روى الكثير بإجازة السبط . شذرات الذهب ١١٧/٦ .

(٤) هي زينب بنت يحيى بن عبدالعزيز بن عبد السلام أم عمر السلمية الدمشقية توفيت سنة ٧٣٥ هـ . امرأة الجنان وعبرة اليقظان ٢٩١/٤ للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢١٥/٢ للمحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد سيد جاد الحق .

(٥) هو عثمان بن علي بن عبد الواحد القرشي الدمشقي الناسخ أبو عمرو ابن خطيب القرافة ، له إجازة خاصة من السلفي روى بها الكثير . توفي في ثالث ربيع الآخر سنة ٦٥٦ هـ . السير ٣٤٧/٢٣ - شذرات الذهب ٢٧٨/٥ .

(٦) المجمع المؤسس ٤٨٦/١ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٥٨ .

(٨) هو محمد بن بنيمان بن يوسف ابن أبي بكر بن سعد أبو الفضل المؤذن المؤدب الأشتاني من أهل همذان . كان صدوقاً ثقة . التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ١٠١/٢ ، والأشتاني بضم الألف وسكون الشين : نسبة إلى الأشتان الذي تغسل به الثياب ، وإلى بيعه وشرائه ، الأنساب ١٧٠/١ .

قال : " وجزء محمد بن يحيى الذهلي بروايته عن مكى بن علان ، عن
أبي بكر الحيري عن أبي علي الميداني ، وغير ذلك . (١)
٤- كتاب : التوكل :

ذكره اسماعيل باشا البغدادي (٢) ونقله عنه عمر رضا كحالة (٣) ولم يبين
هل هو موجود أم مفقود ؟
هذا ما عثرت على اسمه ونسبته ووصفه من آثار ومصنفات الإمام
الذهلي . أما ما دُفِنَ منها فلم أقع على شيء من أسمائها أو العلوم التي تناولتها .

(١) التحرير في المعجم الكبير ١/ ١٠٢ لأبي سعد السمعاني ، تحقيق منيرة ناجي سالم .

(٢) هدية العارفين ١٦/ ٦ .

(٣) معجم المؤلفين ١٢/ ١٠٥ .

مدى إهتمام الإمام الذهلي بالإمام ابن شهاب الزهري وزهراته وعللها

كلما يطلق اسم الامام الذهلي رحمه الله يسبق إلى الذاكرة إسم الإمام العلامة المحدث ابن شهاب الزهري وأحاديثه المسماة بالزهريات ، وعللها .

وأصبح الإمام الذهلي رحمه الله كالوصي المستول مسئولية مباشرة عن هذا العلم الشامخ وأحاديثه وأحواله .

وهذه عجالة نقف فيها على شخصية الإمام الزهري رحمه الله ومكانته العلمية ومدى عناية الإمام الذهلي بتراثه العلمي .

إن اختيار الإمام الذهلي للإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري للدراسة والمتابعة الدقيقة لأحواله وشيوخه وتلاميذه وعلمه من بين ذلك الخشد المبارك من علماء الأمة كان نابعا من معرفة تامة بالعلم وأهله .

فالإمام الزهري الذي (ولد سنة ٥٠ على الراجح وتوفي سنة ١٢٤)^(١) من جلة التابعين فقد روى عن ابن عمر^(٢) وجابر بن عبد الله^(٣) ، وسهل بن سعد^(٤) أنس بن مالك^(٥) ، والسائب بن يزيد^(٦) ، ومحمود بن الربيع^(٧) ،

(١) تاريخ مدينة دمشق « ترجمة الزهري » ص ٣٧، ٣٨، النصوص رقم ١١، ١٤، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، مصور من النسخة المخطوطة بالمكتبة الظاهرية، باعتناء محمد بن رزق بن الطرهوني .

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، أحد الكثيرين من الصحابة وأشد الناس إتباعاً للأثر . مات سنة ٧٣ أسد الغابة ٣/ ٣٤٠، التقريب ص ٣١٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١١٨ .

(٤) هو سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، أبو العباس . له ولأبيه صحة . مات سنة ٨٨، أسد الغابة ٢/ ٤٧٢، التقريب ص ٢٥٧ .

(٥) هو خادم الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك بن النضر الأنصاري مات سنة ٩٣ وقد جاز المئة، أسد الغابة ١/ ١٥١ . التقريب ص ١١٥ .

(٦) هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي . صحابي صغير، حُجَّ به وهو ابن سبع سنين، وولاه عمر سوق المدينة . مات سنة ٩١ أسد الغابة ٢/ ٣٢١، التقريب ص ٢٢٨ .

(٧) هو محمود بن الربيع بن سراقبة الأنصاري الخزرجي، أدرك الرسول وهو صغير عقل مجة مجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ، أسد الغابة ٥/ ١١٦ .

وسمع كثيرا من سعيد بن المسيب^(١) إمام التابعين وفي هذا يقول : (مست ركبتي
ركبة سعيد بن المسيب ثمانين سنين)^(٢) .

وكان جريئاً في طلب العلم . روى إبراهيم بن سعد عن أبيه قال " ما
سبقنا ابن شهاب من العلم بشيء إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد
وكنا تمنعنا الحداثة^(٣) وعن أبي الزناد^(٤) قال : كنت أطوف أنا والزهري ومعه
الألواح والصحف فكنا نضحك به^(٥) ولازم عبيد الله بن عبد الله^(٦) فكان يخدمه
ويتلقى عنه العلم .

يقول عن نفسه : كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله حتى كنت أستقي له الماء
المالح وإن كان ليسأل الجارية : من الباب ؟ فتقول له : غلامك الأعمش ، تظن
أني غلاما له .^(٧)

وعن أبي الزناد قال : كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل
ما سمع فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس^(٨) .

وقال عن نفسه " ما استودعت قلبي شيئا قط فنسيته " ^(٩)

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، قال ابن
المديني : لأعلم في التابعين أوسع علماً منه . وقال ابن حجر : إتفقوا على أن مرسلاته أصح
المراسيل . توفي بعد التسعين ، التقريب ص ٢٤١ .

(٢) السير ٣٣٢/٥ ، تاريخ مدينه دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر ، [ترجمة
الزهري ص ٥٣] بعناية شكر الله نعمة الله قوجاني .

(٣) السير ٣٣٢/٥ .

(٤) هو عبدالله بن ذكوان أبو عبدالرحمن القرشي المدني الإمام الفقيه الحافظ المفتي ، قال أبو حاتم :
ثقة فقيه ، صالح الحديث ، توفي سنة ١٣٠ ، السير ٤٤٥/٥ .

(٥) السير ٣٣٢/٥ .

(٦) هو عبيد الله بن عبدالله بن عتبة الإمام الفقيه ، مفتي المدينه وعالمها ، أحد الفقهاء السبعة ، توفي
سنة ٩٩ ، السير ٤٧٥/٤ .

(٧) تاريخ مدينه دمشق ص ٥٥ .

(٨) المصدر السابق ص ٥٨ .

(٩) المصدر السابق ص ٧٣ .

وقال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب هذا فانكم لا تلقون أحداً
أعلم بالسنة الماضية منه . (١)

وكان يحث الناس على ذكر أسانيد أحاديثهم فيقول : يا أهل الشام مالي
أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم !؟ (٢) كما كان يؤكد على التزام السنة
ومتابعيتها ويحبب الناس فيها فيقول : الإعتصام بالسنة نجاة . ويقول : أمروا
أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت . (٣)

وقد اشتهر بغزارة علمه ، ونهمه في الطلب ، وصار أعجوبة زمانه في
الحفظ وتقعيد علوم الرواية ، وتثبيت معالمها ، قال الإمام مالك : أول من
أسند الحديث ابن شهاب ، وقال : بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير . (٤)

وقد استشعر الحافظ الإمام ابن شهاب خطورة وضع الأحاديث وفشوها
بسبب الخلافات السياسية والمذهبية الأمر الذي حداه إلى كتابة الأحاديث
والحفاظ عليها .

فقد قال : لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت
حديثاً ولا أذنت في كتابه . (٥)

وقد اجتمعت في حياة الإمام ابن شهاب الزهري العلمية عدة أمور كانت
سبباً في تميزه على غيره من العلماء السابقين واللاحقين واستحق أن تتوافر جهود
كثير منهم لجمع حديثه والاعتناء به .

ومن تلك الامور :

(١) المصدر السابق ص ١١٠ ، السير ٣٣٦/٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٩١ .

(٣) السير ٣٣٧/٥ .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٢٠ .

(٥) تقييد العلم ص ١٠٨ .

(١) أنه أول من استجاب لطلب^(١) الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فدون له السنن في دفاتر ، ثم وزع الخليفة على كل أرض له عليها سلطان دفترًا ، وأجمع العلماء على أنه كان أول من دون السنة .

(٢) تفرد ابن شهاب بسنن لولاه لضاعت قال الليث بن سعد^(٢) قال لي سعيد بن عبد الرحمن : يا أبا الحارث لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن ، وقال الإمام مسلم : «وللزهرى نحو من تسعين حديثًا يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركه فيه أحد باسانيد جيد» .

(٣) كان ممن يحرص على ذكر الإسناد ، ويحث العلماء وطلاب العلم على التزامه ، سمع الزهرى إسحاق بن عبد الله بالمدينة يحدث فيقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك : قاتلك الله يا ابن أبي فروه ما أجراك على الله !! أسند حديثك ، تحدثونا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة " .

(٤) كان الزهرى يشجع طلاب العلم على دراسة الحديث وينفق على بعضهم قال له أحدهم : لا مال عندي حتى أطلب العلم ، فقال له : اتبعني وأكفيك نفقتك " (٣) .

(١) تحدث د. محمد عجاج الخطيب في كتابه « السنة قبل التدوين ص ٣٢٨-٣٣٢ في مبحث «خدمة عمر بن عبدالعزيز للسنة» أنه كتب إلى عامله على المدينة أبو بكر بن عمرو بن حزم أن أكتب إلي بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدث عَمْرَ فَإني خشيت دروس العلم ، وذهابه ، وفي رواية أخرى ، والقاسم بن محمد ، فكتبه له ، وكذلك أمر ابن شهاب الزهرى وغيره بجمع السنن فلم يكن ابن شهاب هو الوحيد الذي جمع الحديث ، ولكنه أول من أسرع في جمعه وتدوينه قبل وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، فرأى الخليفة ثمار دعوته متحققه على يدي ابن شهاب الزهرى الذي قال : «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن ، فكتبناها دفترًا دفترًا ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا» وكان يفخر بذلك ويقول «لم يدون هذا العلم أحد تدويني» ١ . هـ بتصرف .

(٢) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن القهْمِي ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت من السابعة توفي سنة ١٧٥ ، التقريب ص ٤٦٤ .

(٣) استقيت هذه الأمور الأربعة من كتاب السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ٤٩٤ .

ومما يستغرب من شدة حرص الإمام الزهري رحمه الله تعالى على العلم ما ذكره سعد بن إبراهيم^(١) لما سئل بم فاقكم الزهري ؟ قال : " كان يأتي المجالس من صدورها ، ولا يأتيها من خلفها ، ولا يبقى في المجلس شاباً إلا ساءله ولا كهلاً إلا ساءله ولا فتى إلا ساءله ، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقى فيها شاباً إلا ساءله ولا كهلاً إلا ساءله ولا فتى إلا ساءله ولا عجوزاً إلا ساءلها ولا كهلة إلا ساءلها ، حتى يحاول ربأت الحجال " (٢) .

أضف إلى ذلك ما ذكره الخليلي في الإرشاد " فعند ذكره علماء المدينة قال : ونبتديء بالمدينة لأنها بيت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبها قبره والفقهاء الذين صار إليهم الفتيا بعد الصحابة من أهل المدينة على ما اتفق عليه الزهري وأقرانه أنهم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير بن العوام^(٣) ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم^(٤) وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٥) ، وعلقمة بن وقاص^(٦) ومنهم من يضيف إليهم عبد الملك بن مروان^(٧) ، وعمر بن عبد العزيز ، وقبيصة بن

(١) هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، كنيته أبو إسحاق ، مات بالمدينة سنة ١٢٧ ، الثقات لابن حبان ٢٩٨/٤ .

(٢) المحدث الفاضل للرامهرمزي ص ٣٦٠ .

(٣) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله ثقة فقيه مشهور ، مات سنة ٩٤ هـ على الصحيح . التقريب ص ٣٨٩ .

(٤) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري التجاري ، ثقة عابد ، مات سنة ١٢٠ ، التقريب ص ٦٢٤ .

(٥) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو محمد المدني له رؤية كان من كبار التابعين مات سنة ٤٣ ، التقريب ص ٣٣٨ .

(٦) علقمة بن وقاص الليثي المدني ، ثقة ثبت أخطأ من زعم أن له صحبة ، مات في خلافة عبد الملك ، التقريب ص ٣٩٧ .

(٧) عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه ولد سنة ٢٦ ومات سنة ٨٦ عن نيف وستين سنة ، السير ٢٤٦/٤ .

ذؤيب^(١) ، وكان بها من العلماء مثل : سالم بن عبد الله^(٢) وأقرانه : لكن الفتيا إلى من قد ذكرنا .

ثم إن أبا بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري حفظ علم هؤلاء كلهم ، كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق : عليكم بآبن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه .^(٣)

فإذا كان الزهري قد حفظ علم هؤلاء كلهم فهو جدير بأن يوصف بأنه موسوعة علمية نادرة بل كثر من كنوز العلم يجب أن تحاط جهوده بالعناية والبحث والتنقيح والاستقصاء والجمع .

ومن هنا كانت عناية الذهلي بجمع الزهريات واستقصائها وشهرته بها التي طبقت الآفاق حتى صار يدعى (بالزهري) وبالذهلي . من ذلك قول تلميذه أبي حامد ابن الشرقي «حدثنا محمد بن يحيى الزهري»^(٤) وقال له علي ابن المديني : أنت وارث الزهري»^(٥)

وقال محمد بن سعيد بن منصور حدثنا أبي قلت ليحيى بن معين . لم لا تجمع حديث الزهري ؟ فقال : كفانا محمد بن يحيى ذلك .^(٦)

(١) قبصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي أبو سعيد المدني ، من أولاد الصحابة مات سنة بضع وثمانين ، التقريب ص ٤٥٣ .

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي أبو عمر ، أحد الفقهاء السبعة كان ثباتاً عابداً فاضلاً كان يشبه بأبيه ، في الهدى والسمت مات سنة ١٠٦ هـ ، التقريب ص ٢٢٦ .

(٣) الإرشاد ١/ ١٨٦ .

(٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د . عبد المعطي قلعجي ٣/ ٣٥٧- ويجدر هنا التنبيه على شخص آخر للتمييز بين الإسمين وهو «محمد بن يحيى الزهري أبو غزية ، وهو من تلاميذ الإمام مالك» . انظر لسان الميزان ٤/ ٣٥٠ ، وانظر أيضاً السير ١٢/ ٢٧٤ .

(٥) السير ١٢/ ٢٨٣- تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧ .

(٦) السير ١٢/ ٢٨٠ .

فهذا اعتراف من علم من أعلام الإسلام بتقدم الذهلي وكفايته وكفاءته
لجمع حديث الزهري .

وساق الخطيب بسنده إلى أحمد بن محمود بن مقاتل قال : سمعت رجلاً
قال لمحمد بن يحيى : جودت في الزهري فقال : وأي شيء لم أجود^(١)
ويصور تجويده هذا مدى معرفته التامة بالرواة عن الزهري ومقدار تفاوتهم في
الخطأ عنه حيث قال : لم يرو أحد عن الزهري إلا أخطأ في حديثه إلا مالك بن
أنس . (٢)

وقال الخطيب : حدثوني عن فضلك الرازي أنه قال : حدثني من لم
يخطيء في حديث قط - محمد بن يحيى الذهلي - وقال علي ابن المديني : كفى
محمد بن يحيى جمع حديث الزهري . (٣)

وقال الدارقطني : " من أحب أن ينظر ويعرف قصور علمه عن علم
السلف فلينظر في (علل حديث الزهري) لمحمد بن يحيى " (٤)

وقد كان الامام الجليل أحمد بن حنبل يوصي طلبة العلم بملازمة الذهلي
ويبين لهم إحرازه لقصب السبق بين العلماء في جمع ومعرفة حديث الزهري ،
فقد ساق الحاكم سنده إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني^(٥) قال : قلت لأحمد بن
حنبل : إني أريد البصرة وقد عرفت أصحاب الحديث وما بينهم ، فقال : إذا
قدمت فسل عن محمد بن يحيى النيسابوري ، فإذا رأيته فالزمه ، ثم قال ما قدم
علينا أحد أعلم بحديث الزهري منه ولا أصح كتاباً منه^(٦) .

(١) تاريخ بغداد ٤١٧/٣ .

(٢) تاريخ الاسلام ص ٣٤٣ حوادث [٢٥١-٢٦٠] .

(٣) تاريخ بغداد ٤١٨/٣ .

(٤) السير ٢٨٤/١٢ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن الجراح الجوزجاني ، قال الخلال : هو ثقة ، رجل جليل القدر ، كان أبو
عبدالله يكتبه . طبقات الحنابلة ٢٦٢/١ .

(٦) تاريخ بغداد ٤١٧/٣ ، تذكرة الحفاظ ٥٣١/٢ ، السير ٢٨١/١٢ .

وقال مرة أخرى : ما قدم علينا رجل أعلم بحديث الزهري من محمد بن يحيى . (١)

وأصبح الإمام الذهلي لا اعتنائه بحديث الزهري وتجويده إياه كالمدخل والمرجع الأهم في هذا الباب .

وقال شيخه إبراهيم بن موسى الرازي (٢) من أراد الزهري لم يستغن عن محمد بن يحيى . (٣)

وقد استفاد أهل العلم من كتابي الإمام الذهلي " الزهريات " و " علل حديث الزهري " ومن أوائلهم قرينه الإمام البخاري رحمه الله تعالى : قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على حديث أخرجه البخاري عن محمد بن أحمد ابن أبي شعيب : قوله (حدثني محمد حدثنا أحمد ابن أبي شعيب) ثم سرد أقوال العلماء في احتمال أن يكون محمد بن النضر النيسابوري ، أو محمد بن إبراهيم البوشنجي ، ومنهم أبو علي الغساني الذي قال : هو الذهلي ، وأيد ذلك أن الحديث في " علل حديث الزهري للذهلي " عن أحمد ابن أبي شعيب ، والبخاري يستمد منه كثيراً وهو يهمل نسبه غالباً . (٤)

وكان ابن عمرويه أبو بكر البزار (٥) أحد رواة العلل الموثقين اللذين يعتمد على سماعهم لها قال أبو محمد المعدل : سألت محمد بن إسحاق بن خزيمة عن

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧ .

(٢) هو إبراهيم بن موسى يزيد بن زاذان التميمي ، أبو إسحاق الرازي الفراء المعروف بالصغير ، كان الإمام أحمد ينكر على من يقول له الصغير ، ويقول : هو كبير في العلم والجلالة ، مات في حدود سنة (٢٣٠هـ) تهذيب الكمال ٢/ ٢١٩ . السير ١١/ ١٤٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥٥ .

(٤) فتح الباري ٨/ ٣٤٢-٣٤٣ ، عند شرحه للحديث في كتاب التفسير باب [وعلى الثلاثة الذين خلفوا] .

(٥) هو محمد بن عمرو بن سليمان بن عبد الرحمن أبو بكر البزار المعروف بابن عمرويه . سمع إسحاق الكوسج ومحمد بن رافع وحدث عنه أبو العباس بن عقدة وأبو علي النيسابوري - كان تاجراً كثير الورود إلى بغداد والإقامة بها . توفي سنة ٣٠٤ ، تاريخ بغداد ٣/ ١٣١ . والبزار بفتح الباء والزاي المشددة ، وفي آخرها الراء نسبة لم يخرج الدهن من البزر أو يبيعه ، الأنساب ١/ ٣٣٦ .

محمد بن عمرويه وروايته للعلل عن محمد بن يحيى فوثقه ، وأحالفنا في سماعها عليه . (١)

ومن كان يقرأ الزهريات على الإمام الذهلي الإمام صالح جزره (٢) فقد نقل أبو حامد ابن الشرقي (٣) أنه كان يقرأ على محمد بن يحيى الزهريات فلما بلغ حديث عائشة أنها كانت تسترقي من الخرزة قال : من الجزرة فلقب بجزرة . (٤)
وكان صالح جزرة قد ورد نيسابور (سنة ثلاث وخمسين ومئتين) قبل وفاة الذهلي بخمس سنوات ولازمه وأخذ عنه الكثير . (٥)

وكان الذهلي إلى جانب معرفته بحديث الزهري عارفاً بمشايقه وما يرويه عنهم من أحاديث .

قال الذهلي : (أبو حميد مولى مسافع (٦) عن أبي هريرة وروى عنه الزهري حديث [لتتقن كما يتقن التمر] (٧)

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٣١ .

(٢) صالح جزرة سبقت ترجمته ص ١٨٨ .

(٣) أبو حامد سبقت ترجمته ص ١١٦ .

(٤) قال الخطيب بعد أن ساق هذه الرواية [هذا غلط لأن صالحاً لقب جزره في حديثه ، وبين السبب الحق أنه جاءهم بعض الشيوخ من الشام . وكان عنده عن جرير بن عثمان فقرأ صالح عليه حديثكم جرير بن عثمان : كان لأبي أمامة خرزه يرقى بها المريض . فصحف الخرز ، فقال : كان لأبي أمامة جزره ، وإنما هو خرزه ، تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢ .

(٥) السير ١٤/ ١٣ .

(٦) أبو حميد مولى مسافع قيل : هو عبد الرحمن بن سعد المقعد وإلا فمجهول ، التقريب ص ٦٣٥ .

(٧) السير ٥/ ٣٤٥ ، والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب شدة الزمان حديث رقم

٤٠٣٨ (٢/ ١٣٤٠) بإسناده من طريق أبي حميد مولى مسافع عن أبي هريرة قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « لَتُنْتَقُونَ كَمَا يَنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ . فليذهبن خياركم ، وليبقين

شراركم . فموتوا إن استطعتم » وقد أشار لصحة الحديث المناوي في فيض القدير ٥/ ٣٣٥ ،

وأورده الألباني في صحيح ابن ماجه ص ٣٢٤ وذكر أنه صحيح إلا قوله : « فموتوا إن

استطعتم » .

وكذلك على معرفة تامة بطبقات أصحاب الزهري والرواة عنه ومنهم
ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب الزهري^(١) - قال
الذهبي : " وثقه أبو داود وقال ابن معين وأبو حاتم : ليس بالقوي وفي رواية
الدارمي عن ابن معين : ضعيف وجعله محمد بن يحيى الذهلي مع أسامة بن زيد
الليثي^(٢) وابن إسحاق^(٣) وفليح^(٤) " (٤)

وقد حصل الذهلي على نسخة شعيب ابن أبي حمزة^(٥) عن الزهري مع
عدد من الائمة والعلماء كلهم عن أبي اليمان^(٦) عن شعيب عن الزهري .
قال الخليلي في الارشاد عند ترجمته لشعيب ابن أبي حمزة : ونسخة
شعيب عن الزهري رواها أبو اليمان الحكم بن نافع البهراني الحمصي ، وروى
عن أبي اليمان أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ،
ومحمد بن إسماعيل البخاري ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وأبو حاتم الرازي ، و
أبو إسماعيل الترمذي^(٧) ، وعبد الكريم الديرعاقولي^(٨) ، وآخر من روى عنه ،
علي بن محمد بن عيسى الحكاني الهروي . (٩)

(١) محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزهري الإمام الثقة العالم أبو عبد الله المدني حدث عن عمه كثيرًا قتل
سنة ١٥٧ هـ ، السير ١٩٧/٧ .

(٢) أسامة بن زيد الليثي مولا هم أبو زيد المدني صدوق بهم مات سنة ١٥٣ هـ ، التقريب ص ٩٨ .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبلي مولا هم المدني إمام المغازي صدوق يدلّس ورمي بالتشيع
والقدر ، قال ابن المديني عن سفيان عن الزهري قال : لا يزال بالمدينة علم ما بقي ابن إسحاق .
السير ٣٣٠/٧ . مات سنة ١٥٠ هـ ، التقريب ص ٤٦٧ .

(٤) فليح بن سليمان ابن أبي المغيرة بن حنين الخزاعي المدني الحافظ أحد أئمة الأثر واسمه عبد الملك وقد غلب
عليه اللقب حتى جهل الاسم مات سنة ١٦٨ هـ ، السير ٣٥١/٧ .

(٥) شعيب ابن أبي حمزة الإمام الثقة المتقن الحافظ أبو بشر الأموي مولا هم مات سنة ١٦٢ هـ ، السير ١٨٧/٧ .

(٦) أبو اليمان الحكم بن نافع ، سبقت ترجمته ١٤٢ .

(٧) هو محمد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل السلمي الترمذي ، الإمام الحافظ الثقة مات سنة ٢٨٠ هـ
[له ترجمه في السير ٢٤٢/١٣ ، التقريب ٤٦٨ ، طبقات المفسرين للداودي ١٠٨/٢ ، شذرات الذهب
١٧٦/٢ ، تاريخ بغداد ٤٢/٢] .

(٨) هو أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران الديرعاقولي ثم البغدادي القطان ، رحل وحصل
وجمع وكان أحد الشقات المأمونين توفي سنة ٢٧٨ هـ [له ترجمه في السير ٣٣٥/١٣ ، تاريخ بغداد
٧٨/١١ ، شذرات الذهب ١٧٢/٢] . والديرعاقولي بفتح الدال المشددة نسبة إلى قرية كبيرة من بغداد .
الأنساب ٥٢٤/٢ .

(٩) هو الشيخ المحدث الثقة مسند هراة أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الخزاعي الهروي الحكاني ، توفي
سنة ٢٩٢ هـ [ترجمته في السير ٤٥٤/١٣] .

وكون الذهلي يحصل على نسخة من حديث الزهري - بواسطة شعيب
ابن أبي حمزة الذي وصفه الخليلي بأنه مكثّر عن الزهري ، وأيضاً ذكر أنه كاتب
الزهري - فإن ذلك يعني أن جمعه للزهریات بأصول وسماع موثّقين .

أما عدة أحاديث الزهري عامة فقد قال ابن حجر : (قال البخاري عن علي
ابن المديني : له نحو ألفي حديث وقال الآجري عن أبي داود : جميع حديث
الزهري كله ألفا حديث ومائتا حديث ، النصف منها مسند وقدر مائتين له عن غير
الثقات ، أما ما اختلفوا فيه فلا يكون خمسين حديثاً والاختلاف عندنا ما تفرد به
قوم على شيء الخ . (١)

ولعدم وجود الزهریات كتاب الذهلي بين أيدينا فإننا لا نستطيع الجزم بعدم
الأحاديث المروية فيها عن الزهري ، ولكن من المعلوم أن الذهلي لشدة اهتمامه
بجمع الزهریات لم يترك أي حديث روي عن الزهري إلا دونه ، دل على ذلك
انتقاد الإمام أحمد بن صالح المصري له بعد ما ذكره الزهریات لأنه استغرق في
الجمع والتدوين كل الطرق حتى روايات الضعفاء ثم أرشده لبيان عللها . قال
الذهلي : لما جمعت حديث الزهري ، عرضت على علي بن المديني ، فنظر
فيه ، فقال : " أنت وارث الزهري ، فبلغ ذلك أحمد بن صالح المصري فلما
دخلت مصر قال لي أحمد بن صالح المصري - وذاكرته في أحاديث الزهري -
أنت الذي سماك علي ابن المديني وارث حديث الزهري ؟؟ قلت " نعم . قال :
بل أنت فاضح الزهري !!

" قلت : لم ؟ قال : لأنك أدخلت في جمعك أحاديث للضعفاء عن
الزهري ، فلما تبهرت في العلم ضربت علي الأحاديث التي أشار إليها وبينت
عللها . (٢)

(١) تهذيب التهذيب ٣٩٦/٩ .

(٢) الإرشاد للخليلي ٤١٠/١ .

ومن هذه الحادثة نستفيد عدة أمور منها :

- ١ - شهرة الذهلي بهذا الجمع بين العلماء وطلبة العلم في الآفاق .
 - ٢ - كتابته للزهریات مبكراً قبل ذهابه لمصر والتقائه بأحمد بن صالح إلا أن تكون رحلة أخرى فان رحلته لمصر كانت بعد ذهابه إلى اليمن ثم قفوله حاجاً ثم مروره بعد الحج على مصر والشام وغيرها .
 - ٣ - أخلاق الذهلي وتواضعه للعلماء وقبوله الانتقاد واعترافه بالقصور في العلم ثم حزمه وحذفه لأحاديث الضعفاء وبيان عللها لما تمكن من العلم .
 - ٤ - كتب الزهریات أولاً ثم بين عللها .
 - ٥ - أهم ما في ذلك أن نسبة الأحاديث الضعيفة أصبحت بعد التمهين قليلة جداً ، الأمر الذي يجعل هذا المصنف المشهور بعد إخراج علله في عداد كتب الصحاح ، ويستأنس هنا بقول الإمام أحمد بن حنبل قبل صفحات^(١) أنه لم يقدم عليه أحد أعلم بحديث الزهري من الذهلي ، ولا أصح كتاباً منه .
- ويبدو أن الذهلي لم يكتف في الزهریات بذكر الأحاديث فقط بل يزيدها بياناً وشرحاً إن احتيج إليه ويتكلم على أسانيد المسانيد وطبقات أصحاب الزهري ، والكتاب على هذا كبير يقع في مجلدين كما ذكر الذهبي في تذهيبه بعد أن سماه (مسنداً) قال : ومسند الزهري لمحمد بن يحيى في نحو مجلدين^(٢) وكما ذكره الكتاني^(٣) والزركلي^(٤) .

(١) انظر ص ٢٤١ .

(٢) تذهيب التهذيب ٤ / لوحه ١٠ مخطوط ، ولا نستطيع الجزم بمراء الذهبي من تسميته الكتاب [مسنداً] فقد يريد أنه صنف على مسانيد الصحابة . وهذا لم يصرح به أحد . إلا أن يكون ما ذكره الحافظ ابن حجر في التكت الطرف ٥ / ٢٣٢ من أن الذهلي [ذكر حديث تخيير النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً] في علله عند ترجمة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . فقد تكون الزهریات أصلاً مرتبة على المسانيد . أو يكون مراده كونها أسندت بالرجال إلى الزهري . والله أعلم .

(٣) الرسالة المستطرفة ، ص ١١٠ .

(٤) الأعلام للزركلي ٧ / ١٣٥ .

الجامعون للزهريات وعللها :

لقد توافرت همم ثلة مباركة من العلماء الأفذاذ على الاهتمام بحديث الزهري رحمه الله تعالى فمنهم من حفظه وذاكر به ومنهم من تتبع علله وبينها .

وهذه أسماء من وجدت منهم مرتبين حسب وفياتهم

- ١ - الإمام أحمد بن صالح المصري ت ٢٤٨ (١)
- ٢ - الإمام أبو موسى محمد بن المثنى الزمّن ت ٢٥٢ . (٢)
- ٣ - الإمام محمد بن يحيى الذهلي ت ٢٥٨ . (٣)
- ٤ - الإمام أبو بكر محمد بن مهران النيسابوري الإسماعيلي ت ٢٩٥ . (٤)
- ٥ - الإمام محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار ت ٣٣٩ . (٥)
- ٦ - الإمام محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤ . (٦)
- ٧ - الإمام أبو علي الحسين بن محمد الماسرجسي ت ٣٦٥ . (٧)

- (١) سبقت ترجمته ص ١٦٥ وقال الذهبي في السير ١٢/١٦٣ : كان يذاكر بحديث الزهري ، ويحفظه .
- (٢) هو محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس العنزي أبو موسى البصري الزمّن ، الحافظ ثقة ثبت ، قال الإمام أحمد : رأيت جمع أبي موسى الزمّن في عامة ما جمع من حديث الزهري . . . الخ [انظر السير ١٢/١٦٧ ، التقريب ص ٥٠٥ ، الخلاصة ص ٣٥٥] .
- (٣) السير ١٢/٢٨٠ .
- (٤) هو محمد بن إسماعيل بن مهران النيسابوري المعروف بالإسماعيلي ، الإمام الحافظ الرّحال الثقة أبو بكر المتوفى سنة ٢٩٥ ، قال الكتاني : جمع حديث الزهري وجوده ، السير ١٤/١١٧ ، تذكرة الحفاظ .
- (٥) هو الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفّار الزاهد ، قال الحاكم هو محدث عصره كان مجاب الدعوة توفي سنة ٣٣٩ قال الذهبي : وجمع وصنف في الزهريات ، السير ١٥/٤٣٧ . والصفّار بفتح الصاد وتشديد الفاء ، نسبة لمن يبيع الأواني الصقرية ، الأنساب ٣/٥٤٦ .
- (٦) سبقت ترجمته ص ٨٢ ، قال الخطيب البغدادي : ومن الكتب التي تكثر منافعها ، مصنّفات ابن حبان البستي ، وذكر منها كتاب « علل حديث الزهري » عشرون جزءاً . الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٣٠٢ .
- (٧) هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين الحافظ الماسرجسي ، وكان يوصف بسفينة عصره في كثرة الكتابة والسمع والرحلة ، وكان من بيت الحديث ، وكان مسند أهل عصره ، توفي سنة ٣٣٥ [الأنساب ٥/١٧١] قال الكتاني : [وأحاديث الزهري . . . لأبي علي الحسن بن محمد الماسرجسي ، وقد زاد على الذهلي وجمع حديث الزهري جمعاً لم يسبقه إليه أحد ، وكان يحفظه مثل الماء] [الرسالة المستطرفة ص ١١١] . والماسرجسي بفتح الميم والسين وسكون الراء وكسر الجيم ، نسبة إلى أحد أجداده ، الأنساب ٥/١٧١ .

هذا ما اطلعت عليه من أسماء المهتمين بحديث الزهري وعلله وقد يفوت ذكر غيرهم ، ولكن الذي يميز عمل الإمام الذهلي من أعمال هؤلاء العلماء أو سواهم هو جمعه الموجود للزهريات مع المعرفة التامة برواتها وأحوالهم قوة وضعفا وعلماء وحفظا ، ثم بيانه عللها في مصنف منفرد ، وتواتر طلبه العلم وتوافرهم على رواية الكتابين بالاسناد المتصل إلى الأجيال الخالفة وإشادة العلماء بجهوده واستشهادهم بها كالحافظ المزي والحافظ ابن حجر . (١)

(١) من ذلك استشهاد الحافظ المزي برواية للذهلي في زهرياته بين فيها حال أحد رواياتها . وذلك في مستهل جوابه عن ثلاثة أسئلة بعثها إليه تقي الدين السبكي من مصر وكان السؤال الأول عن حال [هلال بن رداد الطائي] فعرف المزي بهلال ثم ساق رواية الذهلي وكلامه عنه . قال : قال محمد بن يحيى الذهلي في حديث الزهري : حدثني محمد بن مسلم الرازي ، حدثني أبو القاسم بن هلال بن رداد الطائي . حدثنا أبي وكان من كتبة هشام ، قال : سمعت ابن شهاب يقول . . . وذكر الحديث . قال الذهلي : وكان هلال بن رداد الطائي أسوقهم للحديث باقتصاصه . . . الخ جواب المزي ، انظر طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ٤٠٤ . ومن ذلك كثرة إحالات الحافظ ابن حجر على الكتابين والجزء المشهور . وهذا سرد بعضها :

م	كتب ابن حجر	إحالاته	كتب الذهلي
١	فتح الباري ١٦٦ / ٢	أما رواية عقيل فوصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢	فتح الباري ٥٣ / ٢	حديث عبد الله بن رجاء وصله محمد بن يحيى الذهلي في الجزء المشهور	جزء الذهلي
٣	فتح الباري ٣٣٦ / ٢	قوله : (قال ابن أبي مريم) رويناه موصولاً في الزهريات لمحمد بن يحيى الذهلي .	الزهريات
٤	فتح الباري ٣٤٢ / ٢	أما رواية الليث فوصلها الذهلي في الزهريات .	الزهريات
٥	فتح الباري ٥٧٩ / ٢	ورواية يونس وصلها الذهلي في الزهريات عن أبي صالح .	الزهريات
٦	فتح الباري ٢٢١ / ٣	أما رواية إسحاق فوصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٧	فتح الباري ٢٧٣ / ٣	ووقع لنا بعلو في جزء الذهلي وسياقه أتم مما في البخاري	جزء الذهلي
٨	فتح الباري ٣٢٣ / ٣	. . . وصله الذهلي في الزهريات عن أبي صالح عن الليث	الزهريات
٩	فتح الباري ٩٨ / ٤	ورواية عثمان بن عمر موصولة في كتاب «علل حديث الزهري» جمع الذهلي	علل حديث الزهري
١٠	فتح الباري ١٥١ / ٤	وقد وقع لنا بعلو في جزء الذهلي المروي من طريق السلفي	جزء الذهلي
١١	فتح الباري ١٥٩ / ٤	وقد وقع لنا بعلو في جزء الذهلي المروي من طريق السلفي	جزء الذهلي

م	كتب ابن حجر	إحالاته	كتب الذهلي
١٢	فتح الباري ٢٥٦/٤	قوله: (تابعه سليمان بن كثير عن الزهري) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٣	فتح الباري ٥٦/٥	قوله: (وقال الليث) هذا التعليق وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٤	فتح الباري ٢٨٧/٥	قوله: (رواه صالح وعقيل عن الزهري) طريقتهما موصول في الزهريات للذهلي	الزهريات
١٥	فتح الباري ١٨٧/٥	طريق الليث عن يونس تعليقاً. وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٦	فتح الباري ٢٠٨/٥	أبو مروان لم يدرك هشام... وطريقه وصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٧	فتح الباري ٣١١/٥	قوله: (وقال الليث حدثني يونس) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٨	فتح الباري ٢٢٤/٥	قوله: (وقال الليث حدثني يونس) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٩	فتح الباري ٣٨٣/٥	قوله: (تابعه اصبح عن ابن وهب...) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٠	فتح الباري ٤٧٤/٦	وأما متابعة إسحاق الكلبي فوصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢١	فتح الباري ٥٧٣/٦	وروى الذهلي في الزهريات من حديث أبي هريرة... الخ	الزهريات
٢٢	فتح الباري ٥٧٨/٦	قوله: (وقال الليث حدثني يونس) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٣	فتح الباري ٣٤٥/٨	وأما رواية يعقوب بن إبراهيم... فرواها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٤	فتح الباري ٣٩٢/٨	قوله: (زاد يعقوب بن إبراهيم) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٥	فتح الباري ٥١٨/٨	وأما قصته المذكورة في الشهادة فوقعت لنا بعلو في جزء الذهلي	جزء الذهلي

ومما يبين اهتمامه البالغ بالزهریات وعللها، ورعايته الشاملة لها وتحريه كل ما يدل على ذلك، ثناؤه العاطر على أبي زرعة الرازي لما بلغه عنه بيان علة حديث من الزهریات كان الذهلي قد استنكره ولم تتبين له فيه علة .

قال ابن أبي حاتم : ذكر سعيد بن عمرو البرذعي قال : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول : لا يزال المسلمون بخير ما أبقي الله عز وجل لهم مثل أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زرعة يعلم الناس ما جهلوه ، ثم جعل يعظم على جلسائه خطر ما حكى له من علة حديث ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم

م	كتب ابن حجر	إحالاته	كتب الذهلي
٢٦	فتح الباري ٦٣٧/٨	قوله : (وقال إسحاق بن راشد عن الزهري . . .) وصله الذهلي في الزهریات	الزهریات
٢٧	فتح الباري ٣٥٧/٩	قوله : (رواه حجاج ابن أبي منيع عن جده) هذه الطريق وصله الذهلي في الزهریات	الزهریات
٢٨	فتح الباري ٤٢٤/٩	قوله : (وقال إبراهيم بن المنذر حدثني ابن وهب . .) وصله الذهلي في الزهریات .	الزهریات
٢٩	تغليق التعليق ٢٠/٣	قال الذهلي في الزهریات : حدثنا عبد الله بن صالح	الزهریات
٣٠	تغليق التعليق ٢٥٩/٣	وأما قول سفيان بن حسين ، فرواه الذهلي في حديث الزهري	حديث الزهري (الزهریات)
٣١	تغليق التعليق ٣٤٩/٣	قال الذهلي في الزهریات : حدثنا عبد الله بن صالح	الزهریات
٣٢	تغليق التعليق ٣٦٧/٣	قال الذهلي في الزهریات : حدثنا أحمد بن شبيب	الزهریات
٣٣	تغليق التعليق ٤٠٣/٣	قال الذهلي في الزهریات : حدثنا عبد الله بن صالح	حديث الزهري (الزهریات)
٣٤	تغليق التعليق ٣٦/٤	وأما حديث إسحاق الكلبي فقال الذهلي في حديث الزهري	الزهریات
٣٥	تغليق التعليق ٤٩٦/٤	رواه الذهلي في الزهریات : عن أبي صالح عن الليث به	الزهریات

قال : « ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك »^(١) قال سعيد : وكنت حكيت له عن أبي زرعة أن محمد بن إسحاق اصطحب مع معاوية بن يحيى الصَّدْفِي^(٢) من العراق إلى الري فسمع منه هذا الحديث في طريقه .

وقال (أي الذهلي) : لم أستفد منذ دهر علماً أوقع عندي ولا أثر من هذه الكلمة . ولو فهِمْتُمْ عَظِيمَ خَطَرِهَا لاسْتَحْلَيْتُمُوهُ كَمَا اسْتَحْلَيْتُهُ وَجَعَلَ يَمْدَحُ أَبَا زُرْعَةَ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ .^(٣)

فقد دلت هذه الحكاية على حرص الذهلي الشديد على معرفة علل حديث الزهري ومحاولة بيان كل حديث من الصحة والإلعال فلما تبينت له علة هذا الحديث وهي تدليس محمد بن إسحاق المعروف بالتدليس لمعاوية بن يحيى الصَّفدي - وهو ضعيف تالف^(٤) - وروايته الحديث عن الزهري مباشرة فرح كثيراً وسرَّ بذلك رحمه الله تعالى .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٢/٦ ، والحاكم في مستدركه ١٤٦/١ بسنده إلى الذهلي ، كلاهما عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن إسحاق قال : ذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم به بلفظ (فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح عن شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقد تعقبه النووي رحمه الله قائلاً : « وأنكروا ذلك على الحاكم وهو معروف عندهم بالتساهل في التصحيح . وسبب ضعفه أن مداره على محمد بن إسحاق وهو مدلس ولم يذكر سماعه والمدلس إذا لم يذكر سماعه لا يحتج به بلا خلاف كما هو مقرر لأهل هذا الفن » . المجموع شرح المذهب (١/٢٦٨) .

(٢) الصَّدْفِي هو : معاوية بن يحيى الصَّدْفِي ، أبو روح الدمشقي ، سكن الرِّي ، ضعيف ، من السابعة . وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً ، كان يشتري الكتب ويحدث بها ، ثم تغير حفظه ، فكان يحدث بالوهم فيما سمع من الزهري وغيره . [المجروحين من المحدثين ٣/٣ ، الكامل في الضعفاء ٦/٣٩٩ ، التقريب ٥٣٨ ، تهذيب التهذيب ١٠/١٩٧] .
والصَّدْفِي بفتح الصاد والذال نسبة إلى الصَّدْف بكسر الدال ، وهي قبيلة من حمير سكنت مصر ، الأنساب ٣/٥٢٨ .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١/٣٣٠ .

(٤) انظر الكامل في الضعفاء ٦/٣٩٩ - والتقريب ص ٥٣٨ .

وهكذا نجد أن الزهريات وعللها قد استحوذت على حيز كبير من اهتمامات الذهلي وكأنه كان يشعر بأنه مسئول مسئولية كاملة عن (حديث الزهري) وعلله حتى توفاه الله عام ٢٥٨ .

وهنا يروي أحد طلبته اهتمام طلبه الحديث بجهود الذهلي الحديثية حيث استمر الكلام عنها حتى في المنام .

قال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف^(١) : رأيت محمد بن يحيى بعد وفاته فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت : فما فعل بحديثك ؟ قال : كتب بماء الذهب ورفعت في عليين .^(٢)

(١) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف . قال الحاكم : سمعت أبا إسحاق المزكي ، سمعت السراج يقول : ما رأيت أحفظ من أبي عمرو الخفاف ، كان يسرد الحديث سرداً حتى المنقطع والمرسل توفي في شعبان سنة تسع وتسعين ومئتين ، السير ١٣ / ٥٦٠ . والخفاف بفتح الخاء وتشديد الفاء الأولى نسبة لعمل الخفاف التي تلبس ، الأنساب ٢ / ٣٨٧ .

(٢) السير ١٢ / ٢٧٨ . الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ٥ / ١٨٧ .

المبحث الثالث

مكانته الاجتماعية بين معاصريه وثناء العلماء عليه

امتاز كثير من العلماء بوفرة العلم والتفاني في طلبه حتى تناقل أخبارهم الناس وذاع صيتهم في كل مكان ولكن أخبارهم تلك سرعان ما طوتها صحف الأيام وسجلات التاريخ وأسدلت عليها ستائر النسيان إلا ما شاء الله من نتف أخبارهم وكثير أيضا بقي ذكره إلى زماننا وإلى ما يشاء الله .

وحديثنا عن سارت الركبان بالثناء عليهم في علمهم وخلقهم ودفاعهم عن دينهم وتبيينهم الحق للناس وكان لهم التأثير البين في مجتمعاتهم . وإمامنا محمد بن يحيى الذهلي أحد هؤلاء الأعلام الذين زكوا علمهم بالحركة الدائمة تعليمياً وتوجيهاً وإحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل وحماية للمجتمع من بوائق المارقين والمبتدعة وتعاوناً مع العلماء الصادقين لنشر الخير واجتثاث جذور الشر على تعدد ألوانه . لذا نجد الإمام الذهبي رحمه الله قد شبهه في مهابته وجلالته بنيسابور بالإمامين أحمد بن حنبل في بغداد ومالك بن أنس في المدينة فقال : " كانت له مهابة عجيبة بنيسابور من نوع جلالته الإمام أحمد في بغداد ومالك في المدينة " (١)

وكان عهده في نيسابور عهد خير وبركة وعلم ونفع ولم تكن تقوم لأهل البدع في وجوده قائمة وهذه صورة من صور قيامه بحق المجتمع المسلم وتعاونه مع الإمام أحمد في بغداد وأبي زرعة في الري في التحذير من المتكلمين والمبتدعة . قال سعيد بن عمرو البرذعي : كنا عند أبي زرعة الرازي فاختلف رجلان من أصحابنا في أمر داود الأصبهاني والمزني وهما فضل الرازي (٢) ، وعبدالرحمن بن خراش البغدادي (٣) ، فقال ابن خراش : داود كافر . وقال فضل :

(١) السير ١٢/٢٧٤ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو عبدالرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش المروزي ثم البغدادي الحافظ ، يوصف بالحفظ والمعرفة إلا أنه يميز بالرفض ، توفي سنة ٢٨٣هـ [تاريخ بغداد ١٠/٢٨٠ ، المتظم ١٢/٣٦٢ ، السير ١٣/٥٠٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٨٤ ، لسان الميزان ٣/٥٤٠] .

المزني جاهل ونحو من هذا الكلام فأقبل عليهم أبو زرعة يوبخهما وقال لهما : ما واحد منهما لكما بصاحب ثم قال : من كان عنده علم فلم يصنعه ولم يقبض عليه والتجأ في نشره إلى الكلام فما في أيديكما منه شيء . ثم قال (أي أبو زرعة) : الشافعي رحمه الله لا أعلم أنه تكلم في كتبه بشيء من هذا الفضول الذي قد أحدثوه ولا امتنع عن ذلك إلا ديانة وصانه الله لما أراد أن ينفذ حكمته ثم قال : هؤلاء المتكلمون لا تكونوا منهم بسبيل فإن آخر أمرهم يرجع إلى شيء مكشوف ينكشفون عنه وإنه يموه أمرهم سنة أو سنتين ثم ينكشف فلا أرى لأحد أن يناضل عن أحد من هؤلاء فإنهم إن يهتكوا يوماً قيل لهذا المناضل : أنت من أصحابه وإن طلبه يوماً طلبه هذا به ، لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء ثم قال لي : ترى داود هذا ؟ لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم لظننت أنه يكيد أهل البدع بما عنده من البيان والآلة ولكنه تعدى ، لقد قدم علينا من نيسابور فكتب إلي محمد بن رافع ، ومحمد بن يحيى وعمرو بن زرارة ^(١) ، وحسين بن منصور ^(٢) ومشيغة نيسابور بما قد أحدث هناك فكتمت ذلك لما خفت عواقبه ولم أبد له شيئاً من ذلك . فقدم بغداد وكان بينه وبين صالح بن أحمد حسن فكلّم صالحاً أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه فأتى صالح أباه فقال له : رجل سألني أن يأتيك ؟ قال ما اسمه ؟ قال : داود ، قال من أين هو ؟ قال : من أهل أصبهان ، قال : أي شيء صناعته ؟ قال : وكان صالح يروغ عن تعريفه إياه ، فما زال أبو عبد الله (رحمه الله) يفحص عنه حتى فطن فقال : " هذا قد كتب إلي محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني . قال : يا أبة إنه ينتفي

(١) عمرو بن زرارة بن واقد الكلابي أبو محمد النيسابوري ، المحدث الإمام الثقة الثبت المتوفى سنة ٢٣٨هـ [له ترجمه في التاريخ الكبير ٦/ ٣٣٢ ، تقريب التهذيب ص ٤٢١ ، سير أعلام النبلاء ٤٠٦/ ١١] .

(٢) الحسين بن منصور بن جعفر بن عبدالله السلمي أبو علي النيسابوري ، ثقة فقيه ، إمام حافظ ، توفي سنة ٢٣٨هـ [انظر التقريب ص ١٦٨ ، السير ٣٨٣/ ١١] .

من هذا وينكره فقال أبو عبد الله أحمد : محمد بن يحيى أصدق منه لا تأذن له في المسير إليَّ» (١)

فانظر رحمك الله إلى هذه الثقة المتبادلة بين الإمام أحمد والإمام الذهلي واهتمامهما البالغ بما يدور في ساحة المجتمع وتواصيهمما بالحق والدفاع عن حوزة الدين ومحاربة المبتدعين . وكذا مراسلته أبا زرعة في الري لذات الأمر رحمهم الله آمين . فبأمثال هؤلاء يكبر المشايخ وتعلو قيمتهم ويندحر الباطل ويهزم .

ونلمس في الإمام الذهلي رحمه الله تلك الغيرة على مسلمات وثوابت هذا الدين من العقيدة الصافية ولوازمها في المجتمع . ولذا فانه لا هوادة لديه تجاه أي محاولة للنيل من صفاتها ونقائنها فقد كان إمام طائفة المحدثين أهل الأثر في المشرق . وصلابة أهل الأثر في قضايا العقيدة أمر معلوم ولم يكن للرأي البحت إليهم سبيلاً . بل كانوا يستعينون بالعقل والفهم على إدراك أمور الدين وقد كان لأهل الرأي في نيسابور شيخ يجتمع عليه الأحناف وكان يوازي الذهلي في مكانته عند أهل الحديث والأثر . قال صاحب الجواهر المضية في ترجمته لمحمد بن يزيد بن عبد الله النيسابوري الملقب بـ (مَحْمَشْ) : (شيخ أصحاب أبي حنيفة بنيسابور ، وبإزاء محمد بن يحيى الذهلي لأصحاب الحديث) (٢) .

وقد كان الإمام أحمد شديد الإعجاب والمحبة والتوقير للإمام الذهلي لمكانه في العلم ولدفاعه عن حياض الدين وقضايا العقيدة وتخلقه بأخلاق أهل

(١) الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي ٥٥١/٢ ، تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٣ ، السير ١٣/ ١٠٣ ، لسان الميزان ٥١٨/٢ .

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣/ ٣٩٩ تأليف عبد القادر القرشي الحنفي وفيها أنه مات سنة ٢٥٩ .

الأثر الذين هم أقرب الطوائف لهدي النبي صلي الله عليه وسلم . قال محمد سهل بن عسكر^(١) : " كنا عند أحمد بن حنبل إذ دخل عليه محمد بن يحيى فقام إليه وقرب مجلسه وأمر بنيه وأصحابه أن يكتبوا عنه " (٢) .

وهذه صورة أخرى من صور اعتراف الإمام أحمد بمكانة الذهلي العلمية والاجتماعية نقلها الخليلي في الارشاد قال : إمام متفق عليه يقارن بأحمد واسحاق كتب عنه بالعراق أقرانه وقرأ عليه أحمد بن حنبل لا بنيه (٣) ومن محبة الإمام أحمد له كان يكتنيه إذا خاطبه وإذا تحدث عنه .

ذكر ذات مرة حديثاً فيه ضعف بحضرة أحمد بن حنبل فقال له : لا تذكر مثل هذا الحديث !!! فكأن محمد بن يحيى دخلته خجلة فقال له أحمد : إنما قلت هذا إجلالاً يا أبا عبد الله " . (٤)

وورد أبو عمرو المستملي بغداد فقدم على أحمد بن حنبل فقال له : من أين انت ؟ قال : من نيسابور .

قال : أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس ؟ قلت : نعم قال : لو إنه عندنا لجعلناه إماماً في الحديث " (٥)

وقد تركت هذه الثقة والمحبة وذاك التبجيل والاحترام من إمام أهل السنة في نفس الذهلي أثراً كبيراً لذا نراه يشتد في ناحيته بالمشرق على المبتدعة وأضرابهم .

(١) هو محمد بن سهل بن عسكر بن عثمان بن دويد التميمي ، أبو بكر البغدادي . أصله من خراسان . مات سنة إحدى وخمسين ومائتين . الثقات ٩/ ١٢٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٦ ، السير ١٢/ ٢٨٠ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣١ .

(٣) الإرشاد ٢/ ٨١٠ .

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٨ .

(٥) السير ١٢/ ٢٨٠ .

وهذا يفسر لنا شدته وقيامه على الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في مسألة اللفظ بالقرآن مع أنه كان على الحق رحمه الله ولكن الإمام الذهلي ظن به الضنون لما خالفت إجابته ما استقر لديه من موقف الإمام أحمد في المسألة - ومن قونه فيها وزاد من ذلك إرسال أبي زرعة وأبي حاتم الكتب اليه وفيها ان البخاري قد قال باللفظ بالقرآن وسنعرض لهذه المسألة بتوسع في الفصل الرابع من هذا الباب .

وقد صور الامام الذهبي مكانة الذهلي الاجتماعية وشخصيته الصارمة فقال : كان الذهلي إمام خراسان بعد إسحاق بلا مدافعة وكان رئيساً مطاعاً عظيم الشأن^(١)

وفي حين نجد الذهلي يهتم بما يطرأ على مجتمعه من مخالفات نجده يرتبط بمن حوله بروابط المحبة والألفة ويخالطهم ويتواضع لهم ، ولذا كانت تأتية الرسائل من خارج خراسان ليعرض أصحابها قضاياهم الخاصة ويطلبونه الرأي والمساعدة ومن ذلك رسالة البويطي^(٢) رحمه الله تعالى من السجن في بغداد والتي يبين فيها حاله من البلاء والمحنة لما سجن بسبب فتنة خلق القرآن وفيها يطلب الذهلي أن يعرض حاله على أهل الحديث ليدعوا له .

كما نجده يستقبل طلبة العلم ويحدثهم في المسجد وخارجه كما حدث له مع صالح جزره لما دخل نيسابور وسأله وكتب مجلساً من أصوله^(٣) ، وكما حصل مع البرذعي حين أتاه يذاكره في الحديث أمام بيته ، ويخبره بأحوال المحدثين ورواياتهم فيدخل بيته ويتأكد من الروايات في كتبه ويمليها عليه^(٤) . بل كان

(١) انظر (مختصر العلو للعلي الغفاري) ، للإمام الذهبي ص ٢٠٢ ، إختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني .

(٢) هو يوسف بن يحيى أبو يعقوب سبقت ترجمته ص ٢٢١ وقصته في طبقات الشافعية ٢/ ١٦٥ ، ومفتاح السعادة ٢/ ٢٨٠ .

(٣) السير ١٢/ ٢٧٧ .

(٤) أنظر قصته في خصائص منهجه في الرواية الفرع الأول : الاهتمام والتركيز على الرواية من الأصول .

رحمه الله يتلطف مع الجارودي ويبهته عنده ويستعين بعربيته^(١). وكان محباً لشيوخه وأقرانه حافظاً لهم ودّهم حتى بعد وفاتهم فيشهد جنازتهم بل يؤم المسلمين في الصلاة عليهم كما صلى على شيخه وقرينه محمد بن رافع^(٢) وعلى سعيد بن مروان^(٣)، وعلى سعيد بن محمد الجرّمي^(٤) وسواهم .

وهكذا كان رحمه الله يجمع بين مهابة الشخصية والتواضع الجَمَّ حتى تمكن حبه من قلوبهم فانطلقت عبارات الثناء والافتخار به . فهذا أبو عوانة^(٥) يفتخر بمحمد بن يحيى الاسفراييني^(٦) ويتبعه بالذهلي ويقول : «محمد بن يحيىنا [يعنى الاسفراييني] ، ومحمد بن يحيىكم ، [يعنى الذهلي]^(٧) ويسئل عنه صالح جزرة فيقول : «ما في الدنيا أحق ممن يسأل عن محمد بن يحيى»^(٨) وتمضي الأيام والسنون بالإمام الذهلي وهو ينعم بالمحبة والتقدير بين تلاميذه وحيثما توجه ، ويُسمع طلبة العلم والراجلين إليه مصنفاته وبالأخص «الزهرات وعللها» حتى توفاه الله يوم الإثنين لأربع بقين من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين

(١) أنظر الأنساب ٨/٢ ، وترجمة الجارودي مع تلاميذ الذهلي ص ١٨٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٥ .

(٣) سبقت ترجمته ١١٦ .

(٤) هو سعيد بن محمد بن سعيد أبو محمد وقيل أبو عبدالله الجرّمي الكوفي ، قال عنه يحيى بن معين لا بأس به وقال عنه أبو داود ثقة . وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال : صدوق توفي سنة ثلاثين ومئتين ، تاريخ بغداد ٨٧/٩ ، السير ٦٣٧/١٠ . والجرّمي يفتح الجيم وسكون الراء نسبة إلى جرم وهي قبيلة باليمن ، الأنساب ٤٧/٢ .

(٥) هو الإمام الحافظ الكبير الجوال أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الاصل الاسفراييني صاحب المسند الصحيح . قال الحاكم : أبو عوانة من علماء الحديث وأتباعهم . توفي سنة ست عشرة وثلاث مئة ، السير ٤١٧/١٤ . والاسفراييني ، بكسر الألف وسكون السين وفتح الفاء والراء نسبة إلى بلدة في نواحي نيسابور ، الأنساب ١٤٣/١ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٣٧ .

(٧) السير ٣٦٠/١٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٥٤/٢ .

(٨) السير ٢٨٤/١٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٣١/٢ .

. وهو ابن ست وثمانين سنة بعد عُمر قضاءه في مشيخة بلده وتعليم الناس الخير وإفادتهم . . . وحفظ جناب الدين من أهل الزيغ والهوى . وترك وفاته لوعة في نفوس تلاميذه الذين عرفوه وخالطوه فأظهروا لوعتهم حتى في سياقهم الروايات عنه وهى مواطن تخلو غالباً من صيغ الترحم والدعاء . قال تلميذه إمام الأئمة ابن خزيمة : «حدثنا محمد بن يحيى الذهلي إمام عصره أسكنه الله الجنة مع محبيه»^(١) وقال محمد بن نصر المروزي : «حدثنا محمد بن يحيى رحمه الله»^(٢) وقال صالح جزره في رسالته إلى أبي حاتم مبيناً حال الناس في نيسابور بعد مقتل يحيى ابن الذهلي : « . . . وقد مضى هو وأبوه لسبيلهما ولم يخلقا مثلهما»^(٣) . وبوفاته فَقَدَتُ الأمة علماً من أعلامها الذين صنعهم هذا الدين وربّاهم منهج سيد المرسلين . وطويت صفحة من صفحات تاريخ أمتنا المشرق . . طويت لا لتنسى . . . ولكن لتحفظ في سجل من خلّد التاريخ أسماءهم ، وضمّهم إلى مواكب الهداة المعلمين .

(١) التوحيد لابن خزيمة ٤٨١ / ١ .

(٢) قيام الليل ص ٢٣٠ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٦١٧ / ٢ .

الفصل الثالث

حياته الفكرية

وتحتة المباحث التالية :

- المبحث الأول : عقيدة الإمام الذهلي .
- المبحث الثاني : اتجاهه الفقهي .

المبحث الأول عقيدة الإمام الذهلي

إن معرفة عقيدة أي شخص أمر له أهمية قصوى، لأن العقيدة أمرها عظيم، وفي الحيدة عنها خطر جسيم، وكذلك لأنها أساس ومعيار لكل ما يصدر عن الشخص من الأعمال والأقوال والتصرفات بل والنوايا القلبية، لذا جاء التركيز في العهد المكي على ترسيخها في المفاهيم وفي الواقع، لتكون قاعدة ثابتة لا يطرأ عليها التغيير . .

وبهذا الترسيع وبهذه الأهمية تلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاهيم العقيدة فحملوها في قلوبهم، وفي تعاملهم مع بعضهم، واعتزوا بها، حتى نشأت ناشئة زين لهم الشيطان أعمالهم، فحادوا عن هذه الثوابت، فبرزت الشيعة والخوارج أيام الخليفة علي ابن أبي طالب، وظهرت القدرية في أواخر عهد الصحابة، وبذر أهل الشقاق الذين لم يذوقوا طعم الإيمان ولم يتفيثوا في ظلال العقيدة الوارفة، بذور الفرقة والخلاف، فحذر منهم الصحابة وقاطعوهم وبدعوهم بل وكفروا أصنافاً منهم، وتبع التابعون ومن بعدهم الصحابة رضوان الله عليهم على هذا المنهج، وأحاطوا العقيدة بسياسج منيع من الحفاظ والإهتمام، وضيقوا الخناق على من خرج عليها، ومن بدعوه أو رموه بمخالفة فهو الخاسر الهالك .

وإمامنا محمد بن يحيى الذهلي كان يعلم تلك الأهمية الكبرى للجهاد في سبيل الله الذي شرع ليكون فيصلاً بين الحق والباطل وليزيح الحواجز بين الناس في الدنيا وبين هذه العقيدة .

ولكنه تعلم من مشايخه وأساتذته أن الذب عن السنة المحمدية والحفاظ عليها جهاد كبير قد يفوق الجهاد بالسيف، لأن بقاء العقيدة واضحة بلجاء نقية

(١) السير ١٠/٥١٨ .

أمام العالمين هو مهمة الأنبياء والمرسلين، وعندما تظلمس أو يحال بين الناس وبينها تأتي مراحل الجهاد وتقرض في الواقع .

لذا لما سمع شيخه يحيى بن معين يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله، استعظم أن يفوق الجهاد أمر آخر، فقال لشيخه: الرجل يتفق ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد فهذا أفضل منه؟! قال: نعم بكثير (١).

ولما لم يعقب على رأي شيخه دلّ سكوته على اقتناعه به، فنراه كما ذكر الأئمة شديد التمسك بالسنة وإظهارها.

ونراه دائماً مع أولئك الركب المبارك الذين شهد لهم بنقاء وصفاء العقيدة بل والإمامة فيها، ومن أولئك الفرسان الأشاوس الذين نافحوا عن حياضها بتقرير ما استقر عليه الاعتقاد، وبنسف قواعد المحدثين في هذا الاعتقاد، والمزعزين لاستقراره، وذلك بإعلان كونهم قد خالفوا وغيروا، ثم الأمر بهجرهم ومقاطعتهم حتى يتوبوا، وكذلك بمراسلة الأئمة والعلماء لمتابعة نشاطهم وتحركهم.

ولذلك وصفه الإمام ابن حبان بقوله: « كان متقناً من الجماعين للحديث والمواظين عليه مع إظهار السنة وقلة المبالاة بمن خالفها » (٢). ويقول الذهبي: « . . . كان شديد التمسك بالسنة » (٣).

وساق الإمام الحافظ أبو القاسم هبة الله اللالكائي أسماء عدد من الصحابة والتابعين ومن تبعهم في معظم النواحي والأصقاع، ممن رسم بالإمامة في السنة، والدعوة والهداية إلى طريق الإستقامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة.

(١) السير ١٠ / ٥١٨ .

(٢) الثقات ٩ / ١١٥ .

(٣) السير ١٢ / ٢٨٤ .

وكان الإمام الذهلي عاشر^(١) أحد وعشرين إماماً من أهل خراسان فيهم ابن المبارك ونعيم بن حماد وإسحاق بن راهويه ومحمد بن نصر ويحيى بن يحيى وأبو قدامة السرخسي وسواهم رحمهم الله .

ونورد فيما يلي موافقته لاعتقاد السلف في عدة مسائل :

أولاً: إعتقاده أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

معلوم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن زيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية ، لذا عقد الإمام اللالكائي سياقاً إستشهد فيه بالآيات والأحاديث الدالة على ذلك ، وثنى بأقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من علماء وأئمة الدين وذكر فيهم الذهلي . قال رحمه الله :

وبه قال : من الصحابة : وعددهم ستة عشر صحابياً .

قال : ومن التابعين : وعددهم ثمانية وعشرين تابعياً .

قال : ومن الفقهاء : مالك بن أنس و و و

وذكر ثلاثة عشر فقيهاً .

قال : ومن الطبقة الثالثة من البصريين : و

و و وذكر من كبارهم سبعة .

قال : ومن يليهم :

أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد ، ومحمد بن إسماعيل

البخاري ، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ، ومحمد بن يحيى الذهلي ،

(١) شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٤٧ للإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي ، تحقيق د .

أحمد سعد حمدان . وقد أورد الإمام الذهلي في سيره ثناء ابن راهويه على يحيى بن يحيى

النيسابوري بأنه : «أصبح إمام أهل الشرق والغرب» فعقب الذهلي بقوله : «قلت : لم يكن

بخراسان بعده مثله إلا إسحاق ولا بعد إسحاق مثل الذهلي ، ولا بعد الذهلي كمسلم ولا بعد

مسلم كمحمد بن نصر المروزي ، ولا بعد ابن نصر كابن خزيمة ، ولا بعده كأبي حامد ابن

الشرقي ، ولا بعده كأبي بكر الصبغني . السير ١٠/ ٥١٩ .

ومحمد بن أسلم الطوسي، وأبوزرعة، وأبو حاتم، وأبو داود
السجستاني... الخ. (١)

ونقل عنه محمد بن نعيم قوله: «الإيمان قول وعمل، يزيد
وينقص...» (٢).

ومن اهتمام الإمام الذهلي البالغ بتقرير مثل هذه القضايا متابعتها لها ونقله
إياها عن مشايخ مشايخه وسواهم ومن ذلك نقله عن سفيان الثوري والأوزاعي
رحمهما الله.

١- قال أحمد بن سعيد الثقفي*: نا محمد بن يحيى الذهلي قال نا أبو
أحمد الزبيري قال: سمعت سفيان يعني الثوري غير مرة يقول: «الإيمان يزيد
وينقص...».

٢- وقال الثقفي أيضاً: نا محمد بن يحيى الذهلي قال نا فديك بن سليمان
قال سئل الأوزاعي عن الإيمان فقال: «الإيمان يزيد وينقص، فمن زعم أن
الإيمان يزيد ولا ينقص فهو صاحب بدعة» (٣).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٩٤/٥. وانظر قول أبي بكر ابن أبي شيبة في كتابه (الإيمان)
ضمن أربع رسائل بإسم (من كنوز السنة) تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: (الإيمان عندنا
قول وعمل يزيد وينقص) ص ٤٦. وانظر الإيمان ومعامله وسننه، واستكمالها، ودرجاته: لأبي
عبيد القاسم بن سلام، ضمن أربع رسائل بإسم (من كنوز السنة) تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين
الألباني، باب (الزيادة في الإيمان والانتقاص منه) ص ٧٢، واستشهاده بأقوال سفيان والأوزاعي
ومالك بن أنس وأنها يرون أن أعمال البر جميعاً من الزيادة في الإسلام مستشهداً بهم بالآيات
القرآنية. وانظر كذلك عقيدة ابن بطّة العكبري في (الإبانة الصغرى) الموافقة لعقيدة السلف (وهي
أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل والقول
بالإحسان، وينقصه العصيان، وله أول وبداية ثم ارتقاء وزيادة بلا نهاية...) (الإبانة الصغرى
والمسمّاة (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) للإمام عبيد الله بن محمد ابن بطّة
العكبري، تحقيق د. رضا نعيان. ص ١٧٧. وانظر تحفة الأحوذى للمباركفوري، شرح جامع
الترمذي ٣٥٤/٧. بعناية عبد الرحمن محمد عثمان، وعبد الوهاب عبد اللطيف.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٩٠/١٢.

(*) لم أجد ترجمته.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٩٥٨/٥.

ثانياً: عقيدته في استواء الله على العرش مع إحاطته وعلمه بكل ما في الكون.

يعتقد سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الأئمة المحدثين، والفقهاء، والمفسرين، وأهل اللغة، والزهاد، وأئمة أهل الكلام أن الله فوق سماواته على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (١). وقد فصل هذا الاعتقاد إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل فقال: «والماء فوق السماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش...» (٢). ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كالللكائي (٣)، وابن القيم (٤)، والذهبي (٥).

وقد جاء التصريح في القرآن الكريم باستواء الله على العرش سبع مرات، وجمع في ذلك ما ينيف على خمسين حديثاً تصرح بذلك بما لا يدع لطالب الحق مجالاً للشك (٦).

ومع كل هذه البراهين وأقوال مثبات ممن عقدت الأمة خناصرها عليهم ظهر هناك من ينفي استواءه سبحانه بل زاد الأمر خرقاً فقالوا: (ليس على العرش شيء سوى العدم، وإن الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب... الخ) (٧) وهم المعطلة والجهمية.

(١) سورة طه: الآية: ٥.

(٢) السنة للإمام أحمد ٧٤-٧٥، بتصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣٨٧/٢ - ٤٠٢.

(٤) إجماع الجيوش الإسلامية، وهو كتاب أفرد مؤلفه لبيان هذه المسألة وسرد فيها الأدلة من الكتاب والسنة. ونقل فيها أقوال سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم وأئمة الحديث والتفسير واللغة حتى الجن والنمل وحمر الوحش.

(٥) العلو للعلي الغفار، أفرد مؤلفه أيضاً لهذه المسألة ونقل فيه عن ثمانية وستين ومائة عالم من علماء السلف. وقد اختصره العلامة المحدث الألباني.

(٦) سبقت هذه الأحاديث في الكتابين السابقين وفي معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ الحكمي ١/١٠٩ عند حديثه على صفة العلو والفوقية.

(٧) إجماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن قيم الجوزية ص ٤٥.

وهنا يقرر الإمام الذهلي ما قرره الأئمة قبله من أن الله مستو على عرشه سبحانه عالياً على خلقه بائناً منهم، ومع ذلك هو معهم بعلمه يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، لا كما تدعي الحلولية والجهمية وسواهم أنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان بذاته^(١).

سئل الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى عن معنى آخر حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الله بن معاوية الغاضري^(٢). رضي الله عنه «... ليعلم العبد أن الله معه حيث كان»^(٣).

(١) وقد ناقشهم الإمام أحمد في عقيدتهم الباطلة فقال: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟ فقال: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء. قال تعالى: ﴿أنتم من في السماء...﴾ (الملك: آية: ١٦). وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب...﴾ (فاطر: آية: ١٠). وقال تعالى: ﴿يل رفعه الله إليه﴾ (النساء: آية: ١٥٨). وأقلس ما في عقولهم المظلمة من معان رخيصة بالية إذ فهموا من قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات والأرض﴾ (الأنعام: آية: ٣). أنه في كل مكان في السماء وفي كل مكان في الأرض، فأتى على بنيانهم من القواعد وبين أن المعنى ما تهدي إليه القطرة وهو (إله من في السموات، وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان فذلك قوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ (الطلاق: آية: ١٢). وضرب لذلك مثلاً قوياً: فقال: لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه... أ. هـ بتصرف من الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل. من ١٣٥ - ١٣٧، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

(٢) هو عبد الله بن معاوية الغاضري، من غاضرة بن قيس. صحابي نزل حمص روى عنه جبير بن نفير، له حديث واحد. الطبقات الكبرى ٤٢١/٧. الأحاد والمثاني ٣٠٠/٢، الإصابة ٢٢٠/٦. (٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة باب في زكاة السائمة. (٢٣٩/٢). قال: قرأت في كتاب عبد الله بن سالم - بحمص عند آل عمرو بن الحارث الحمصي: عن الزبيدي قال: وأخبرني يحيى بن جابر عن جبير بن نفير عن عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعاً إلى قوله صلى الله عليه وسلم «... لم يأمركم بشيء» بسند رجاله ثقات لكنه منقطع بين يحيى بن جابر وجبير بن نفير. وقد وصله البخاري في التاريخ الكبير ٣١/٥. والبيهقي في السنن الكبرى ٩٠/٤. وابن حجر في الإصابة ٢٢٠/٦ كلهم عن يحيى بن جابر أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه أن أباه حدثه به وزاد. «وزكى نفسه فقال رجل: وما تركيته النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان». وكذا أورده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٨/٣.

فقال رحمه الله : « يريد أن الله علمه محيط بكل ما كان والله على العرش » (١).

ومن بيان الإمام الذهلي هذا المراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نلمس تقريره لمعتقد سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أمر استواء الله عز وجل على العرش استواءاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته ، ومع هذا الاستواء فعلمه جل شأنه محيط بكل شيء في السموات والأرض (٢).

(١) مختصر العلو للعلوي الغفار ، للإمام الذهبي ، ص ٢٠١ ، وانظر معارج القبول للحكمي ١٥١/١ .

(٢) قال أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه لمذهب السلف . . ليس استواءه على العرش استيلاءً ، كما قال أهل القدر ، لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء ، وأنه يعلم السر وأخفى من السر ، ولا يغيب عنه شيء في السموات والأرض ، حتى كأنه حاضر مع كل شيء ، وقد دلَّ الله عز وجل على ذلك بقوله : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (الحديد : آية ٤) . وفسر ذلك أهل العلم والتأويل أن علمه محيط بهم حيث كانوا . رسالة إلى أهل الثغر ٢٣٤ .

وقد نقل الإمام ابن تيمية أقوال عدد من أئمة السلف في هذا الصدد منهم الشيخ أبو نصر السجزي في كتابه الإبانة قال : « وأئمتنا كسفيان ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة وعبد الله بن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه وتعالى بذاته على العرش وأن الله بكل مكان . ومنهم أبو عمرو الطلمنكي في كتابه (الوصول إلى معرفة الأصول) قال : وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (الحديد : آية ٤) ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء . بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية ٣٨/٢ ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم . قال ابن تيمية (وليس معنى قوله ﴿ وهو معكم ﴾ . . أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان . العقيدة الواسطية ص ١٢٩ - ١٣٠ مع شرحها للدكتور الفوزان .

وقال العلامة الألباني : (وأما قول العامة وكثير من الخاصة : الله موجود في كل مكان ، أو في كل الوجود ويعنون بذلك ذاته ، فهو ضلال بل مأخوذ من القول بوحدة الوجود ، الذي يقول به غلاة الصوفية الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق ويقول كبيرهم : كل ما تراه بعينك فهو الله !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٣٨ .

ثالثاً: موقفه من الخوارج .

قال عن إسماعيل بن سميع^(١) : «كان ييهسيا»^(٢) ، كان ممن ييغض علياً»^(٣) .

وعند مراجعة أقوال العلماء في إسماعيل نجد في مرتبة الصدوق ، وهناك من وثقه كما سيأتي في مبحث الجرح والتعديل ، ولكن الأئمة ومنهم الذهلي أشاروا إلى بدعته ، وانتمائه لأبي الهيصم البيهسي . وهذا وفرقة خرجوا عن طريق السلف في عدة أمور . لذا زاده الذهلي بياناً وصنفه مع الخوارج على العموم وهم مبغضوا علي ، وصنفه في الخصوص مع البيهسية منهم .

(١) هو إسماعيل بن سميع الحنفي أبو محمد الكوفي . بيّاع السابري . اشتهر بهذه النسبة لنوع من الثياب يقال لها السَّابَرِيَّة . روى عن مالك بن عمير وأبي رزين وعنه شعبة والثوري . قال أحمد : ثقة ، وتركه زائدة لمذهبه . وقال ابن معين : ثقة مأمون . وقال أبو نعيم : إسماعيل بيهسي جاور المسجد أربعين سنة لم ير في جمعة ولا جماعة وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البخاري : أما في الحديث فلم يكن به بأس . تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٦ ، الأنساب ٣/ ١٩٤ .

(٢) البَيْهَسِيَّة إحدى فرق الخوارج وهم أتباع أبي بيهس الهيصم بن جابر ، وكان الحجاج قد طلبه فهرب إلى المدينة ، فطلبه بها عثمان بن حبان المزني فظفر به وحبسه . وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل . ومن عجائب أمره أنه كفر إبراهيم وميمون في إختلافهما في بيع الأمة . وبرئ من الواقفية لقولهم إنا نقف فيمن واقع الحرام وهو لا يعلم أحلالاً واقع أم حراماً ، قال : كان من حقه أن يعلم !! .

والإيمان عنده : هو أن يعلم كل حق وباطل ، وأن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل ، ومن فرق البيهسية قوم يقال لهم العونية . وهم فرقتان اجتمعتا على أن الإمام إذا كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد . وقال بعض البيهسية : إن واقع الرجل حراماً لم يحكم بكفره حتى يرفع أمره إلى الإمام الوالي ويحده ، وكل مالمس فيه حد فهو مغفور . وهم فرق كثيرة : منهم أصحاب التفسير . زعموا أن من شهد من المسلمين شهادة أخذ بتفسيرها وكيفيتها . ومنهم أصحاب السؤال ومن أقوالهم أن أطفال المؤمنين مؤمنين . الملل والنحل لأبي الفتح محمد ابن الشهرستاني ١/ ١٢٥ ، تحقيق محمد سيد كيلاني .

وقال ابن حجر العسقلاني : «أبو بيهس وهورأس فرقة من طوائف الخوارج من الصفرية وهو موافق لهم في وجوب الخروج على أئمة الجور ، وكل من لا يعتقد معتقدتهم عندهم كافر . . . » تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧ .

رابعاً : عقيدته في رؤية الله جل جلاله.

ذكر الإمام الحاكم أبو عبد الله الإمام الذهلي ضمن «فقهاء الإسلام أصحاب القياس والرأي والاستنباط والجدل والنظر» ومما استشهد به على فقهه في الحديث ما يلي :

قال : وسئل محمد بن يحيى عن اللفظة في الحديث هل رأيت الله؟ فيقول : ما ينبغي لأحد أن يرى الله تعالى ، فقال : «هذا في الدنيا فأما في الآخرة فإن أهل الجنة ينظرون إلى الله تعالى بأبصارهم»^(١).

(١) الحاكم معرفة علوم الحديث ص ٧٣ . وهذا الاستدراك والتقييد من الذهلي رحمه الله تعالى في الإطلاق بأنه لا ينبغي لأحد أن يرى ربه تعالى دليل فقهه وسلامه معتقده «فإنه لا يقول أحد برؤية الله عز وجل في الدنيا» ولكن في الآخرة فإن أهل السنة والجماعة يثبتون رؤية المؤمنين لله عياناً بياناً رؤية حقيقية ، وردت هذا الجهمية والمعتزلة والخوارج وسواهم ، فما أخرى من لا يؤمن برؤية الكريم أن يحجب عنه ، ويا لفداحة الخسارة ، . انظر فتح الباري ٤٢٦/١٣ ، والتوحيد لابن خزيمة ٤٠٦/١ .

وقد استدلل أهل السنة والجماعة على إثبات ذلك بالآية الكريمة ﴿وجوه يؤمنذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (القيامة ٢٢/٢٣)

ويقول الله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس آية : ٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين ١٥) واستدلوا بأحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده إلى جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا) . صحيح البخاري ٢٢٦/٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناظرة﴾ ، ومنها ما استشهد به الحافظ محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني رحمه الله في كتابه الإيمان باب في كلام الله عز وجل ورؤيته يوم القيامة ص ٨٩ ، فقد ساق سنده إلى عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم الخ) الحديث .

فالكلام مع الله عز وجل بدون ترجمان يقتضي أن يكون بالرؤية عقلاً وفطرة ، وقد أورد الترمذي هذا الحديث في سننه وقال بعده «حدثنا وكيع يوماً بهذا الحديث عن الأعمش ، فلما فرغ وكيع من هذا الحديث ، قال : من كان ها هنا من أهل خراسان فليحتسب في إظهار هذا الحديث بخراسان لأن الجهمية ينكرون هذا» (سنن الترمذي كتاب صفة القيامة باب في القيامة ٥٢٨/٤) . =

خامسا : عقيدته في القرآن الكريم ومواقفه الصلبة ممن غير وبدل من أصحاب الفرق .

لقد أحدثت فتنة القول بخلق القرآن صدعا كبيرا في المجتمع الإسلامي آنذاك ، وشتتت صفوف الأمة وذهب الناس فيها مذاهب شتى ، فأولهم أهل السنة والجماعة الذين ذهبوا مذهب الحق ، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق ويتلوهم المعتزلة الذين أشعلوا هذه الفتنة ، وادعوا أن القرآن مخلوق ، ولم تثبت لهم في ذلك أي دعائم أو قواعد وجاء بعدهم الواقفية الذين يقفون فلا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ، وآخرهم اللفظية وسيأتي الكلام عنهم .

والإمام الذهلي رحمه الله من ذلك الركب المهتدي بهدي الكتاب والسنة فلا يصدر إلا عنهما ، وقد أثر عنه في هذه المسائل مواقف صلبة قوية ترد كل ما أحدث وزيد ، وثبت ما استقر عند سلف الأمة من أمر هذه العقيدة التي لا تقبل التميع والإلتواء .

المسألة الأولى : قوله بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وتكفيره من قال إنه مخلوق .

شهد الإمام اللالكائي لخمسمائة وخمسين نفسا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين ، والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي

= وقد ذكر ابن خزيمة في توحيده عدة أبواب يستهلها بتقرير منهج أهل السنة من ذلك قوله باب ٤٣ : «ذكر البيان أن الله عز وجل ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة برهم وفاجرهم وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات خالقنا» (التوحيد ١/٤٠٦) .

وفي باب (٤٤) بين أن رؤية المنافقين والفجار رؤية إمتحان قبل أن يوضع الجسرين ظهراني جهنم ، ورؤية المؤمنين رؤية فرح وسرور وتلذذ (١/٤٢٠) ، وقد أطل رحمه الله في الاستشهاد لذلك من السنة .

وأورد اللالكائي عقيدة ابن جرير الطبري ومن جملة قوله : «وأما الصواب من القول لدينا في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وهو ديننا الذي ندين لله به وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة ، فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانظر في ذلك تفسير ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى : ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٣)

وانظر إثبات ابن تيمية لذلك في العقيدة الواسطية ص ٧٩ وشرحها للدكتور صالح الفوزان .

السنين والأعوام بأنهم قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر.

وذكر إمامنا الإمام الذهلي وابنه في أول من ذكر من أهل نيسابور وبخارى وسمرقند. قال: يحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن النضر النيسابوري، ومحمد بن يحيى الذهلي.

... ثم ساق أسماء خمسة عشر عالماً وإماماً فيهم ابنه يحيى (حيكان) (١).

المسألة الثانية: قوله بأن الأمر في قوله تعالى: (ألا له الخلق والأمر) (٢) مو القرآن الكريم.

نقل الإمام اللالكائي عن سعيد بن نصير أبو عثمان الواسطي أنه قال في مجلس خلف ابن هشام البزاز: «سمعت ابن عيينة يقول: ما يقول هذا الدوية (٣) - يعني بشر المريسي؟»

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٣١٠ - وكان اللالكائي رحمه الله قد ساق للاستشهاد على هذه المقولة الخطيرة عدداً من آيات الكتاب العزيز تفسر أو تدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ثم ثنى بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بما يدل على ذلك، ثم ساق ما روي من إجماع الصحابة عليه أيضاً. ثم إجماع التابعين من مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة بأسمائهم، ثم أورد حشداً من أتباع التابعين على طبقاتهم المتفاوتة من شتى البلدان - ثم أقاويل جماعة منهم من الفقهاء المشهورين في عصر واحد ثم أقوال التابعين من أهل المدينة وعرج على الطبقات التي تليهم من مكة المكرمة، والبصرة، وواسط، والشطوط، وبغداد، وأهل الشام والثغور والعواصم وأهل مصر، وأهل الري ومن كور الجبال أهل أصبهان، وأهل خراسان وجماعة من البلخيين وأخيراً أهل نيسابور وبخارى وسمرقند» وبعد سياقهم أجمعين قال: وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، لا ينكر عليهم أحد، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه. راجع كل ذلك في الجزء الأول من كتابه من ص ٢١٦ - ٣١٢.

(٢) سورة الأعراف آية (٥٠).

(٣) الدوية صفة للرجل المريض واللفظة من باب دوي يدوي دوى فهو دوى إذا هلك بمرض باطن. ورجل دوى بكسر الواو، أي فاسد الجوف من داء، وأمرأة دوية. وإن قلت: ورجل دوى استوى فيه المذكر والمؤنث. وقال ابن سيده: والدوى الأحمق. ودوي صدره أي ضغن. انظر لسان العرب ١٤/ ٢٧٩.

قالوا : يا أبا محمد ابن (أبي) عمران : القرآن مخلوق .

قال : فقد كذب . قال الله عز وجل : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فالخلق خلق الله والأمر القرآن الكريم .^(١)

قال اللالكائي : «وكذلك قال أحمد بن حنبل ، ونعيم بن حماد ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وعبد السلام بن عاصم الرازي ، وأحمد بن سنان الواسطي ، وأبو حاتم الرازي»^(٢) .

المسألة الثالثة : حكمه على الواقفية^(٣) ، وموقفه منهم .

قال محمد بن يحيى الذهلي : من وقف في القرآن فمحلّه محل من زعم أن القرآن مخلوق^(٤) .

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره : قال ابن عينة : فرّق الله بين الخلق والأمر ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، وفي تفرّقه بين الخلق والأمر دليل على فساد قول من قال بخلق القرآن . الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢٢) . وقال الإمام الشوكاني في تفسيره : الخلق : المخلوق ، والأمر : كلامه ، وهو كن . . . ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة في قوله ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ قال : الخلق ما دون العرش ، والأمر ما فوق العرش . وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي عنه قال : الخلق هو الخلق ، والأمر هو الكلام . فتح القدير ٢/ ١١٢-٢١٣ . والقرآن الكريم من كلام الله ، ولعل تخصيص ابن عيينة الأمر بالقرآن الكريم من باب التغليب في واقع الحال في تلك الفترة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية ، لتناول الفرق المنحرفة على كتاب الله وتشكيكها في مصدره مع أنه محفوظ بكفالة الله .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٢١٩ عند سياقه ما ورد في القرآن من الآيات الدالة على عدم خلق القرآن .

(٣) الواقفية : هم الذين يقفون في القرآن فلا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق . انظر الرد على الجهمية للدارمي ص ١٦٧ وشرح اعتقاد أهل السنة ٢/ ٣٢٣-٣٢٩ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٣٢٨ . - وقد ذكر اللالكائي ذلك عند سياقه ما روي في تكفير من وقف في القرآن شاكاً فيه : أنه غير مخلوق . وقد شدد السلف الصالح رضي الله عنهم في مسألة الوقف ، لأنها تدل على التميع في الاعتقاد ، وأغلبهم يتسترون بذلك بالقول بخلق القرآن كما قال عبد الله ابن أبي سلمة العمري المدني - نزيل بغداد ، لما سئل عن يقول : أن القرآن غير مخلوق؟ فقال : إن الذي لا يقول : إنه غير مخلوق فهو يقول مخلوق إلا أنه جعل هذه سترة يستتر بها . شرح أصول الاعتقاد ١/ ٣٢٥ .

وهذه القضية واضحة بلجاء لمن صفت فطرته وطلب الحق ، لذا شدد الأئمة على الواقفة لأنهم يفتحون جبهة متوسطة غير واضحة .

وقال : «ومن وقف فقال : لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق ، فقد ضاهى الكفر»^(١) .

المسألة الرابعة: حكمه على اللفظية^(٢) وموقفه منهم.

نقل الإمام اللالكائي عن محمد بن أسلم الطوسي^(٣) قال : إن من قال بأن القرآن يكون مخلوقاً بالألفاظ فقد زعم أن القرآن مخلوق .

قال اللالكائي : وعن محمد بن يحيى الذهلي مثله : وقال : هو مبتدع وأمر بمبايئته ومجانبته^(٤) .

وقال في موضع آخر : ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم^(٥) .

والذهلي هنا رحمه الله نراه قد شفع حكمه على اللفظي بالردع والزاجر الفعلي وهو عدم المخالطة والمجالسة ووجوب المجانبة والمباينة .

وأختم حديثي عن عقيدته في القرآن الكريم وموافقته في ذلك لأعلام وأئمة الدين ، ومواقفه من أصحاب المذاهب الشاذة الباطلة كالمخلوقية والواقفية واللفظية وسواهم ؛ أختمه بتصين يبين فيهما بلسانه معتقده بصراحة تامة في هذه الأمور الخطيرة .

(١) السير ١٢/٤٥٥-٤٥٦ .

(٢) اللفظية : هم من يقولون لفظي بالقرآن مخلوق ، ولا يريدون بذلك حركة المرء وتلاوته للقرآن وإنما يريدون الملفوظ وهو كلام الله تعالى وقد تسترت الجهمية بهذه المقولة لتبرز عقيدة خلق القرآن الباطلة ، وذلك لما أحمدها الإمام أحمد رحمه الله .

وانظر الفصل الخاص بعرض هذه المسألة في هذه الرسالة وهي مسألة الاختلاف في اللفظ .

(٣) هو محمد بن أسلم بن سالم أبو الحسن الكندي الطوسي ، سمع يزيد بن هارون ، ويعلى بن عبيد ، قال محمد بن رافع : دخلت على محمد بن أسلم فما شبهته إلا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات سنة ٢٤٢ بنيسابور . السير ١٢/١٩٥ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/٣٥٢ .

(٥) السير ١٢/٤٥٥-٤٥٦ .

النص الأول :

قال أبو حامد ابن الشرقي : سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول : «القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته ، وحيث تصرف ، فمن لزم هذا إستغنى عن اللفظ ، وعمما سواه من الكلام في القرآن ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر ، وخرج من الإيمان ، وبانت منه إمرأته ، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وجعل ماله فيثأ بين المسلمين ولم يدفن في مقابرهم ومن وقف ، فقال : لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق ، فقد ضاهى الكفر ، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم . الخ (١) .

النص الثاني :

وقال محمد بن نعيم : سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول : «الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته ، وحيث تصرف ولا نرى الكلام فيما أحدثوا فتكلموا في الأصوات والأقلام ، والحبر والورق ، وما أحدثوا من المثلي والمثلي والمقري ، فكل هذا عندنا بدعة ، ومن قال أن القرآن محدث فهو عندنا جهمي ، لا يشك فيه ولا يمتري» (٢) .

من النصوص السابقة نلمس مدى شدة الإمام الذهلي على المعتزلة ومن سار في فلكهم من المخالفين لمنهج السلف الصالح في الاعتقاد ، مترسماً بذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه في الأخذ على أيدي المارقين ووصد جميع المنافذ عليهم .

وكان منهجه في هذا البيان يقوم على أمرين متلازمين ؛ الأول : وهو قولي ، البيان الصريح للمنهج الحق وتكفير أو تخطئة أو تبديع المخالفين حسب مخالفتهم .

(١) السير ١٢/٤٥٥-٤٥٦ .

(٢) السير ١٢/٢٨٩ ، قال الذهبي رحمه الله تعالى (كذا قال : المثلي والمثلي ، ومراده المثلي والتلاوة ، والمقري والقراءة) . المصدر السابق ١٢/٢٩٠ .

و الثاني وهو فعلي ، الأمر بالمجانبة والمباينة وما يتبع ذلك من طلاق أو إقامة حد القتل ، وتفريق مال المخالف على المسلمين وكذا دفنهم بعيداً عن مقابر المسلمين إن كان ما أتوا به مخرجاً من الملة .

ومن هذا العرض الموجز لأقواله في بعض مسائل العقيدة ندرك مدى موافقته لسلف الأمة - من الصحابة والتابعين ومن تابعهم - في قضايا العقيدة . بل كان من أعلامهم الذين تذكر أقوالهم ويستشهد بمنافحتهم ودفاعهم عن حياضها .

المبحث الثاني اتجاهه الفقهي

إن المتتبع لمسيرة الإمام الذهلي العلمية، الناظر في روايته ودرايته للحديث النبوي الشريف، ليدرك أنه لم يكن مجرد محدث تربيع على عرش إمارة المؤمنين في الحديث في زمانه. بل كان مع ذلك عالماً من أعلام المحدثين الفقهاء الذين أكدوا على منهجية العلم الصحيحة عند أسلافنا رحمهم الله الذين مزجوا دراية الحديث وروايته بفقهه واستنباط الأحكام الشرعية من نصوصه.

فقد ذكره أبو عبد الله الحاكم ضمن العلماء الذين كانت لهم معرفة وتعمق في فقه الحديث الذي هو ثمرة علوم مصطلح الحديث عموماً، وبه قوام الشريعة فقال: -

فأما فقهاء الإسلام أصحاب القياس والرأي والاستنباط والجدل والنظر فمعروفون في كل عصر وأهل كل بلد، ونحن ذاكرون بمشيئة الله في هذا الموضع فقه الحديث عن أهله ليستدل بذلك على أن أهل هذه الصنعة من تبحر فيها لا يجهل فقه الحديث إذ هو نوع من أنواع هذا العلم.

ثم ذكر رحمه الله من أصحاب هذا الاتجاه المبارك محمد بن مسلم الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، ثم محمد بن يحيى الذهلي رحمهم الله أجمعين. (١)

(١) معرفة علوم الحديث ص ٦٣ - ٧٣.

ومن استعراض المسائل الفقهية الآتية يتبين بوضوح وجلاء أن الإمام
الذهلي كان من الأئمة المجتهدين ، بعيداً عن مناهج التقليد في الفقه ، مستنبطاً
للأحكام من النصوص بما يؤدي إليه علمه ، يدل على ذلك مثل عباراته التالية :
«نرى الوضوء من مس الذكر استحباباً لا إيجاباً بحديث عبد الله بن
بدر... الخ»

ومثل عبارة [«... من سمع هذا الحديث ثم لم يرفع يديه يعني إذا ركع وإذا
رفع رأسه من الركوع فصلاته ناقصة..»] وكذا بقية اطلاقاته الفقهية يشم منها روح
الاستقلالية وإعمال العقل استنباطاً من النصوص الشرعية . وهذه بعض المسائل
الدالة على ذلك :

المسألة الأولى : الوضوء «من مس الذكر»

أخرج ابن خزيمة حديثاً بسنده عن مروان عن بسرة بنت صفوان^(١) أنها
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ)^(٢)
وقد تعرض الإمام الذهلي لهذه المسألة فقال: «نرى الوضوء من مس الذكر استحباباً
لا إيجاباً بحديث عبد الله بن بدر عن قيس بن طلق^(٣) عن أبيه عن النبي صلى الله عليه

(١) هي بسرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد القرشية الأسدية ، صحابية لها سابقة وهجرة ، عاشت
إلى خلافة معاوية ، أسد الغابة ٧/ ٤٠ ، التقريب ص ٧٤٤ .

(٢) الحديث أخرجه مالك في الطهارة باب الوضوء من مس الفرج ١/ ٤٢ ، وأبو داود في الطهارة
باب الوضوء من مس الذكر ١/ ١٢٥ ، والترمذي في الطهارة باب الوضوء من مس الذكر ١/ ١٠٠ . وقال الترمذي : هذا
حديث حسن صحيح ، كما نقل عن البخاري قوله : وأصح شيء في هذا الباب حديث
بسرة ١/ ١٢٩ . وأحمد والدارقطني وابن معين والبيهقي والحازمي وابن العربي ، فيما حكاه
الحافظ في تلخيص الحبير ١/ ١٣١ .

(٣) حديث قيس بن طلق عن أبيه بلفظ (الرجل لمس ذكره أعليه وضوء؟ فقال صلى الله عليه
وسلم : إنما هو بضعة منك) أخرجه الترمذي في الطهارة باب ما جاء في ترك الوضوء من مس
الذكر ١/ ١٣١ والنسائي في الطهارة باب ترك الوضوء من ذلك ١/ ١٠١ . وقد صححه عمرو
ابن علي الفلاس وقال : هو عندنا أثبت من حديث بسرة ، وروى عن ابن المديني أنه قال : هو
عندنا أحسن من حديث بسرة ، وصححه أيضاً . ابن حبان والطبراني وابن حزم ، وضعفه
الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وابن الجوزي وادعى فيه النسخ ابن حبان والطبراني
والحازمي . تلخيص الحبير ١/ ١٣٤ .

وسلم^(١)، فالإمام الذهلي رحمه الله استدلل على صرف الوجوب إلى الاستحباب في المسألة بحديث طلق بن علي المتقدم ذكره، فتبين من ذلك أنه لم يقلد أحداً في القول بهذا بل اجتهد في المسألة وقال بما ترجح عنده وهذا دليل على سعة علمه وفقهه وبلوغه شأواً عظيماً في درجات الاجتهاد وذلك من قوله «نرى» وهو دليل على اجتهاده الخاص والله أعلم. وقد نقل ابن خزيمة في صحيحه بسنده إلى مالك بن أنس قوله «أرى الموضوع من مس الذكر استحباباً لا أوجبه»^(٢) وذكر ذلك أيضاً عن الإمام أحمد عندما سئل عن الموضوع من مس الذكر فقال: «أستحبه ولا أوجبه»^(٣) ونقل عبد الله بن أحمد في مسائله عن أبيه في هذه المسألة قوله لما سئل عن ذلك «يعجبني أن يتوضأ منه»^(٤) وقد ذهب إلى عدم نقض الموضوع بمس الذكر علي ابن أبي طالب، وابن مسعود، وعمار، وحذيفة، ومن التابعين الحسن وربيعة، ومن الأئمة الثوري وأبو حنيفة، وأصحابه. وذهب إلى أنه ناقض من الصحابة عمرو وابنه عبد الله وابن عباس وأبو هريرة وعائشة وسعد وغيرهم، ومن التابعين عطاء والزهري وابن المسيب ومجاهد، ومن الأئمة الشافعي وأحمد ومالك في المشهور عنه وغير هؤلاء^(٥).

المسألة الثانية: رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه.

قال ابن خزيمة: نا بندار، نا أبو داود، نا فليح بن سليمان، حدثني العباس ابن سهل الساعدي قال: اجتمع ناس من الأنصار فيهم سهل بن سعد

(١) صحيح ابن خزيمة ٢٣/١.

(٢) المصدر السابق ٢٢/١.

(٣) المصدر السابق ٢٣/١.

(٤) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله ص ١٦، تحقيق زهير الشاويش.

(٥) نيل الاوطار ٣٠٠/١، نصب الراية لأحاديث الهداية ج ١/٦٣ للعلامة جمال الدين الزيلعي الحنفي، المغني ج ١/١٧٨، تهذيب سنن أبي داود ٦٣/١ للإمام ابن قيم الجوزية، النسخة المطبوعة مع مختصر سنن أبي داود للمنذري ومعالم السنن للخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي. والجدير بالذكر أن للإمام أحمد في هذه المسألة روايتان ذكر ذلك عنه صاحب المغني في الموضع السابق.

الساعدي، وأبو حميد الساعدي، وأبو أسيد الساعدي فذكروا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حميد دعوني أحدثكم وأنا أعلمكم بهذا قالوا: فَحَدَّثُ. قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الوضوء، ثم دخل الصلاة وكبر فرفع يديه حذو منكبيه، ثم ركع فوضع يديه على ركبتيه كالقبايض عليها. فلم يصب رأسه ولم يقنعه ونحى يديه عن جنبه ثم رفع رأسه فاستوى قائماً حتى عاد كل عظم منه إلى موضعه، ثم ذكر بندار بقية الحديث. وقال في آخره: فقال القوم كلهم: هكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو طاهر، نا أبو بكر قال سمعت محمد بن يحيى، يقول: من سمع هذا الحديث ثم لم يرفع يديه يعني إذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع فصلاته ناقصة. ^(١) هذا تأكيد من الإمام الذهلي رحمه الله على الالتزام بسنن المصطفى صلى الله عليه وسلم وأن لا عذر لمن بلغه الحديث في ترك هذه السنن. وقد استدلل هنا بثبوت التكبير في الركوع والرفع منه وسائر أفعال الصلاة عنه صلى الله عليه وسلم على نقصان صلاة المقرط في ذلك وهذا فقه عظيم منه رحمه الله إذ أنه لم يقل بنقض صلاته ولا بجواز ترك التكبير. بل كان قوله من الدقة والفقه بحيث يلزم المصلي بالإتيان بالسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لتتم صلاته بأركانها وسننها وهذا غاية في الفقه والعلم والله أعلم. ومما يؤيد ما ذهب إليه الإمام الذهلي في المسألة ما جاء في حديث المسيء عند الترمذي وجاء فيه (... وان أُنْتَقِصَتْ منه شيئاً فقد انتقصت من صلاتك) ^(٢) الحديث. وقد بوب

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٩٨. وكذا أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة ١/ ٤٧١، والتزمذي في سننه في أبواب الصلاة، باب ١١٠، وقال: حسن صحيح ٢/ ١٠٧، وأحمد في مسنده ٥/ ٤٢٤، والبيهقي في شرح السنة ٣/ ١٢، وابن الجارود ص ١٠١، وزاد أبو داود وابن الجارود وغيرهما في آخره قالوا: صدقت هكذا كان يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب (١١٠) ما جاء في وصف الصلاة ٢/ ١٠٠. وقال حديث حسن.

الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه لهذا فقال: «باب إتمام التكبير في الركوع» وساق حديث عمران بن حصين وفيه (فذكر أنه كان يكبر كلما رفع، وكلما وضع). قال الحافظ في شرحه: «لكن استقر الأمر على مشروعية التكبير في الخفض والرفع لكل مصل وعن أحمد وبعض أهل العلم بالظاهر يجب كله^(١) قوله (كلما رفع وكلما وضع) هو عام في جميع الانتقالات في الصلاة لكن خص منه الرفع من الركوع بالاجماع فإنه شرع فيه التحميد^(٢) . بل قال الحافظ بعد ذلك عندما أورد دعوى ابن بطلال الإجماع على أن من ترك التكبير فصلاته تامة قال: «وفيه نظر لما تقدم عن أحمد، والخلاف في بطلان الصلاة بتركه ثابت في مذهب مالك إلا أن يريد اجماعاً سابقاً»^(٣) وقد حكى مشروعية التكبير في كل خفض ورفع الترمذي . . . قال: (وعليه عامة الفقهاء والعلماء)^(٤) وقد اختلف القائلون بمشروعية التكبير فذهب جمهورهم إلى أنه مندوب فيما عدا تكبيرة الإحرام . . . واحتج الجمهور على النديبة بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمه المسيء في صلاته» قال الشوكاني: وأما الجواب بأنه صلى الله عليه وسلم لم يعلمه المسيء فممنوع، بل قد أخرج أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسيء بلفظ: «ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى يطمئن مفاصله» إلى قوله «فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته»^(٥) قال صاحب المغني رحمه الله: «وأكثر أهل العلم يرون أن يتدىء الركوع بالتكبير وأن يكبر في كل خفض ورفع منهم ابن مسعود وابن عمر وجابر

(١) قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في تعليقه على الفتح عند هذا الموضع: «وهذا القول أظهر من حيث الدليل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حافظ عليه وأمر به وأصل الأمر للوجوب. وقد قال صلى الله عليه وسلم [صلوا كما رأيتموني أصلي] فتح الباري ٢/ ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فتح الباري ٢/ ٢٧١.

(٤) نيل الأوطار ٣/ ٩٦.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٩٧، ٩٨.

وأبو هريرة . . . ومالك والأوزاعي وابن جابر والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي وعوام العلماء من الأمصار» ثم نقل رحمه الله عن البخاري قوله : قال علي ابن المديني - وكان أعلم أهل زمانه : حق على المسلمين أن يرفعوا أيديهم لهذا الحديث فصار كالتواتر الذي لا يتطرق إليه الشك . . . وعمل به الصحابة والتابعون وأنكروا على من لم يعمل به ، قال الحسن : رأيت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرفعون أيديهم إذا كبروا وإذا ركعوا وإذا رفعوا رؤوسهم كأنها المراوح . قال أحمد : وقد سئل عن الرفع : إي لعمرى ومن يشك في هذا كان ابن عمر إذا رأى من لا يرفع حصبه وأمره أن يرفع اهـ (١) .

المسألة الثالثة : ما تراه الحائض بعد الطهر من الصفرة والكدره وغيرها .

قال ابن ماجه «باب ما جاء في الحائض ترى بعد الطهر الصفرة والكدره» . حدثنا محمد بن يحيى : ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان النحوي ، عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أم بكر أنها أخبرت أن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة ترى ما يريها بعد الطهر قال : «إنما هي عرق أو عروق» . قال محمد بن يحيى : يريد بعد الطهر بعد الغسل . (٢)

وهذا الذي أشار إليه الإمام محمد بن يحيى الذهلي - رحمه الله - في سياق الحديث إنما هو زيادة بيان وتوضيح للمسألة فإن ما تراه الحائض من الدم لا يكون

(١) المغني ١/ ٤٩٥ - ٤٩٨ .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في الحائض ترى بعد الطهر الصفرة والكدره ٢١٢/١ . قال البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٨٣ : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات . والحديث متفق عليه من غير هذا الوجه من حديث عائشة قالت : قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إني لا أظهر ، أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما ذلك عرق وليس بالحیضة ، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة ، فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي» هذا لفظ البخاري في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب الاستحاضة ٩١/١ ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب المستحاضة وغسلها وصلاتها ٢٦٢/١ .

المسألة الرابعة : مقدار الصاع النبوي

قال البيهقي في باب ما دل على أن صاع النبي صلى الله عليه وسلم كان عبارة عن خمسة أرطال وثلث . أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : قرأت بخط أبي عمرو والمستملي . سمعت محمد بن يحيى يعنى الذهلي يقول : استعرت من اسماعيل ابن أبي أويس صاع مالك بن أنس فوجدت عليه مكتوباً صاع مالك بن أنس معير على صاع النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحسبني إلا غيرته بالعدس فوجدته خمسة أرطال وثلث .^(١) يقول ابن قدامة - رحمه الله - في هذه المسألة : «وأما كون الصاع خمسة أرطال وثلث ففيه اختلاف»^(٢) وقال في كتاب الطهارة : «والصاع : خمسة أرطال وثلث بالعراقي والمد ربع ذلك وهو رطل وثلث وهذا قول مالك والشافعي وإسحاق وقال أبو حنيفة : الصاع ثمانية أرطال لأن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد - وهو رطلان - ويغتسل بالصاع»^(٣) وقال الزيلعي «لم نجد بين أهل العلم إلى يومنا هذا خلافاً في قدر الصاع إلا ما قاله الحجازيون والعراقيون فزعم الحجازيون أن الصاع خمسة أرطال وثلث وقال العراقيون : ثمانية أرطال فصح أن صاع النبي عليه السلام كان خمسة أرطال وثلث وبطل قول من زعم : أن الصاع ثمانية أرطال من غير دليل ثبت على صحته .»^(٤) ونقل عن أبي حنيفة القول بأن الصاع ثمانية أرطال . وقال الحافظ ابن حجر : «قال بعض الفقهاء من الحنفية وغيرهم : إن الصاع ثمانية أرطال والصحيح الأول»^(٥) ونقل عن الإمام النووي قوله أن الصاع خمسة أرطال وثلث وقال : «هذا هو الصواب المشهور» .^(٦)

(١) البيهقي ١٧١/٤ .

(٢) المغني كتاب الزكاة ٢/ ٧٠٠ .

(٣) المغني كتاب الطهارة ١/ ٢٢٢ .

(٤) نصب الراية ٢/ ٤٢٨ .

(٥) فتح الباري ١/ ٣٦٤ .

(٦) المجموع شرح المذهب [١٢٨/٦] للإمام شرف الدين النووي .

دم عرق أو استحاضة إلا بعد الطهر . وهو موافق لما ثبت من حديث أم عطية قالت : « كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئاً »^(١) وهو ما يوب به الإمام البخاري رحمه الله قال : باب الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض ، وساق حديث أم عطية .^(٢) وقال صاحب المغني : « يعني إذا رأت في أيام عاداتها صفرة أو كدرة فهو حيض ، وإن رآته بعد أيام حيضها لم يعتد به . نص عليه أحمد . وبه قال يحيى الأنصاري وربيعة ومالك والثوري والاوزاعي وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي وإسحاق »^(٣) ونسب هذا القول إلى الجمهور الشوكاني قال : « ويدل بمنطوقه أنه لا حكم للكدرة والصفرة بعد الطهر بمفهومه أنهما وقت الحيض حيض كما ذهب إليه الجمهور »^(٤) وأما قوله : « بعد الغسل » فقد وافق ما رواه الدارمي من حديث أم عطية بزيادة « كنا لا نعتد بالكدرة والصفرة بعد الغسل شيئاً »^(٥) وهو من فقه الإمام الذهلي رحمه الله فقد وافق بقوله روايات حديث أم عطية . قال ابن قدامة : « وحديث أم عطية إنما يتناول ما بعد الطهر والاغتسال ونحن نقول به »^(٦)

فتبين من هذا صواب ما رآه الإمام الذهلي في توضيحه لمعاد الحديث والله أعلم .

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب في المرأة ترى الصفرة والكدرة بعد الطهر ١/٢١٥ .

والحديث أصله في الصحيحين من حديث أم عطية بغير ذكر « بعد الطهر » .

(٢) صحيح البخاري كتاب الحيض « باب الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض ، ١/٩٧ .

(٣) المغني ج ١/٣٣٢ .

(٤) نيل الأوطار ج ١/٤١٠ .

(٥) سنن الدارمي كتاب الطهارة باب « الكدرة إذا كانت بعض الحيض » ج ١/٢٣٥ . للإمام

عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق وفهرسة فواز زملي ، خالد العلمي .

(٦) المغني ج ١/٣٣٣ .

وأخرج الدار قطني بسنده إلى الإمام مالك لما سئل عن صاع النبي صلى الله عليه وسلم قال «خمس أرتال وثلث بالعراقي»^(١). وقال عثمان بن سعيد الدارمي سمعت علي ابن المديني يقول: عيرت صاع النبي عليه السلام فوجدته خمسة أرتال وثلث رطل بالتمر»^(٢) قال ابن قدامة «وقد نص أحمد على أن الصاع خمسة أرتال وثلث من الخنطة قال أحمد: أخذت الصاع من أبي النضر . . . وقال: «هذا صاع النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعرف بالمدينة»^(٣) وتخصيص الإمام الذهلي الكيل بالعدس كان لنكتة لطيفة وهي أن للعدس خاصية جيدة عبر عنها الإمام أحمد بقوله «فأخذنا العدس فغيرنا به وهو أصلح ما يكال به . لأنه لا يتجافى عن مواضعه فكلنا به ووزناه»^(٤) وحزر الإمام الذهلي للصاع النبوي بذلك هو اختيار الأئمة من قبله وهو الصواب . فتبين من ذلك مدى اهتمام الإمام الذهلي بما يتصل بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم الشرعية، ومحاولة اقتفاء أثره صلى الله عليه وسلم.

المسألة الخامسة: الإشتراط في الحج

قال الإمام ابن الجارود رحمه الله:

حدثنا محمد بن يحيى، قال حدثنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ضباعة^(٥) بنت الزبير بن عبد المطلب رضى الله عنها فقالت: (إني أريد الحج وأنا

(١) سنن الدار قطني كتاب زكاة الفطر ٢/١٥١، للإمام علي بن عمر الدارقطني، تصحيح السيد عبد الله هاشم المدني.

(٢) نصب الراية كتاب الزكاة ٢/٤٢٩.

(٣) المغني ٢/٧٠١، للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي.

(٤) المغني ٢/٧٠١.

(٥) ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت زوج المقداد بن عمرو، فولدت له عبدالله وكريمة روى عنها ابن عباس وجابر وأنس وعائشه وعروة والأعرج.

أسد الغابة ٧/١٧٨.

شاكية ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم . حجّني واشترطي إن محّلي حيث حبستني .

حدثنا الحسن بن أحمد بن سليمان ، قال قال محمد بن يحيى : حديث عبد الرزاق عندنا محفوظ في قصة ضباعة رضى الله عنها محتج به لمن أراد الشرط في الحج .^(١) اختلف العلماء في مسألة الاشتراط في الحج فمن قائل بمشروعيتها ومنكر لذلك . قال الحافظ ابن حجر : « وصحّ القول بالاشتراط عن عمر وعثمان وعلي وعمار وابن مسعود وعائشة وأم سلمة وغيرهم من الصحابة ولم يصحّ انكاره عن أحد من الصحابة إلا عن ابن عمر ووافقه جماعة من التابعين ومن بعدهم من الحنفية والمالكية »^(٢) وقال أيضاً « ثم اختلف من قال به فقليل : واجب لظاهر الأمر . وهو قول الظاهرية وقيل مستحب وهو قول أحمد »^(٣) وهو قول الحنابلة . قال ابن قدامة « يستحب لمن أحرم بنسك أن يشترط عند إحرامه »^(٤) وقال النووي : « ففيه دلالة لمن قال : يجوز أن يشترط الحاج والمعتمر في إحرامه أنه إن مرض تحلل وهو قول عمر ابن الخطاب وأحمد واسحق وأبي ثور ، وهو الصحيح من مذهب الشافعي »^(٥) قال الشوكاني « وأحاديث الباب تدل على أن من اشترط هذا الاشتراط ثم عرض له ما يحبسه عن الحج جاز له التحلل وأنه لا يجوز التحلل مع عدم الاشتراط »^(٦) ومن هذا يتضح أن الإمام الذهلي يحتاج بحديث ضباعة على مشروعية الاشتراط في الحج والله أعلم .

(١) المتقى لابن الجارود ص ١٧٢ . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ٦ / ١٤٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ٢ / ٨٦٧ .

(٢) فتح الباري ٩ / ٤ .

(٣) فتح الباري ٩ / ٤ .

(٣) المغني ٣ / ٢٨٢ .

(٤) شرح مسلم ، للإمام محيي الدين النووي ٨ / ١٨٤ .

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ٦ / ٤٣ ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق الأستاذان طه عبد الرؤوف ، مصطفى الهواري .

الفصل الرابع

بسط القول في مسألة اللفظ بالقرآن وما وقع
بين الإمامين الذهلي والبخاري بسببها ، وأثرها

في صفوف المحدثين

ويشمل تمهيد وخمسة مباحث :

المبحث الأول : الخلاف في مسألة اللفظ بين أهل الحديث .

المبحث الثاني : أول من آثار المسألة .

المبحث الثالث : إلقاء الضوء على مسألة اللفظ .

المبحث الرابع : عرض تفصيلي لما حصل بين الإمامين
الذهلي والبخاري .

المبحث الخامس : أثر مسألة اللفظ في صفوف المحدثين .

تهنيد

الحمد لله الذي لم يترك عباده هملاً، بل أرسل إليهم رسلاً، مبشرين ببعثته لمن أطاع، ومنذرين من عقابه لمن أبى، وأكمل لهم الدين إلى يوم القيامة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (١) وأمرهم بالاعتصام بدينه، ونهاهم عن الفرقة واتباع المضلين كما قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (٢).

وصلى الله وبارك على نبي الهدى نبينا محمد الذي لم يفارق هذه الدنيا إلا وقد أقام الحجة على الإنس والجن وتركهم على بينة من أمر دينهم، نقية لا تشوبها شائبة، ولا يكدر صفاءها مكدر.

روى العرياض بن سارية (٣) رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقل: يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع. فاعهد إلينا بعهد. فقال: «عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً. وسترون من بعدي اختلافاً شديداً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والأموال المحدثات. فإن كل بدعة ضلالة» (٤).

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٣) هو العرياض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، سكن الشام، وتوفي سنة ٧٥، أسد الغابة ١٩/٤.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة باب (٥) في لزوم السنة ١٣/٥، ومحمد بن عيسى الترمذي في سننه المسماة بـ (الجامع) تحقيق وشرح وتصحيح الشيخ أحمد شاكر في كتاب العلم، باب (١٦) في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٤٣/٥، وابن ماجه في المقدمة باب «اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين» (٦) واللفظ له ورواه أحمد في مسنده ١٢٦/٤، ١٢٧، والدارمي في سننه المقدمة باب (١٦) في اتباع السنة ٥٧/١، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، في كتاب العلم ٩٧، ٩٦، ٩٥/١.

ومضى عهد النبوة السعيد، فحمل مشعل الهداية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتحوا الممالك ونشروا دين الله وبلغوه مشارق الأرض ومغاربها، وأروا البشرية من أنفسهم «جيلاً قرآنياً فريداً»^(١) لا يمكن أن يتكرر بمجموعه على مدى التاريخ لتأثرهم بشخصه صلى الله عليه وسلم ولصفاء منهج التلقي والتربية لديهم وهو (الكتاب والسنة) أولاً، ولطهارة نفوسهم وقوة إيمانهم وصدق إتباعهم رضوان الله عليهم أجمعين ثانياً^(٢).

وما زال هذا شأن الناس حتى داخلهم من لبس ثوب الإسلام، وتجمل بأخلاقه، على قلب حقوق، وصدر حسود، ونفس تأكلها نار العداوة لهذا الدين وأهله، فبذروا في الناس بذور الفتنة، وزينوا لهم العزوف عن الكتاب والسنة، وألقوا حبال الشيطان في المجتمعات الإسلامية كي تزلزل أركانها، ومن هذه الفتن نشأت بدع الخوارج^(٣) والشيعة^(٤) واعتقاداتهم الباطلة، وقد ظهرت هاتان الفرقتان في عام ٣٧هـ في منتصف خلافة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وكانتا بمثابة حجر أساس لقيام وتتابع سلسلة من الفرق الضالة المنحرفة. ثم

(١) عنوان فصل من كتاب معالم في الطريق للأستاذ سيد قطب رحمه الله.

(٢) للوقوف على المزيد من صفات ذلك الركب المبارك يرجع إلى «تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه» رسالة ماجستير في جامعة أم القرى قدمها الأخ الدكتور خالد القرشي، وإلى فصل «جيل قرآني فريد» من كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب، وإلى «نظرة إلى الجيل الفريد» من كتاب واقعتنا المعاصر للأستاذ محمد قطب.

(٣) الخوارج: «اصطلاح يطلق على الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى التحكيم» الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٥.

(٤) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه وغالوا في محبته وقدموه على غيره من الخلفاء الراشدين وقد بين الحافظ ابن حجر مراتبهم فقال: «التشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة. فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه، ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي. فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغيض فعال في الرفض. وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو». هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح محب الدين الخطيب. ص ٤٥٩، الملل والنحل بتصرف ١/١٤٦.

ظهرت بدعتا القدرية^(١) والمرجئة^(٢) وكل هذه الفرق الأربع كانت في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وقد اشتد نكيرهم على أصحابها وتحذير الناس من مجالستهم والاعتزاز بأقوالهم. ثم توالى الفرق ففي مطلع القرن الثاني ١٠٠ - ١٥٠ هـ ظهر أربعة أشخاص من المبتدعة صار كل واحد منهم فيما بعد رأساً في الضلال.

[١] واصل بن عطاء^(٣) ت ١٣٠ هـ مؤسس فرقة المعتزلة.

[٢] الجعد بن درهم^(٤) ت ١٢٤ هـ وهو أول من قال بخلق القرآن، وأنكر كلام الله على الحقيقة، وأنكر أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وأنكر استواء الله على العرش.

[٣] الجهم بن صفوان^(٥) ت ١٢٨ هـ الذي تبني آراء الجعد بن درهم، من نفي الصفات والقول بخلق القرآن وزاد عليها.

(١) بين الشيخ حافظ الحكمي: أن مذهب القدرية هو «إضافة الفعل والانفعال إلى المخلوق» وأول من أحدثه معبد الجهني في آخر عهد الصحابة، الذين كفروا بمتحلي هذا المذهب ثم ورثه رؤوس المعتزلة الذين بالغوا وأنكروا علم الله وتقديراته وجعلوا العباد هم الخالقين لأفعالهم ولذا كانوا مجوس هذه الأمة / معارج القبول ١ / ٣٥٠.

(٢) المرجئة اسم يطلق على من يؤخرون العمل عن النية والعقد، ومن يعتقدون أنه لا تنصر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. راجع الملل والنحل، ١ / ١٣٩.

(٣) هو واصل بن عطاء البصري الغزالي المتكلم البليغ: قال أبو الفتح الأزدي: رجل سوء كافر. وقال ابن حجر: كان من أجلاء المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة، وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل، ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهد عندي علي وعائشة وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. لسان الميزان ٦ / ٢٦١.

(٤) الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار، وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله، قال المدائني: كان زنديقاً. قال ابن حجر: وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة، قتل بالعراق يوم النحر. سير أعلام النبلاء، ٩ / ٤٣٣ لسان الميزان ٢ / ١٠٥.

(٥) أبو محرز الراسبي أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها، وكان يقول: الإيمان عقد القلب، وإن تلفظ بالكفر. السير ٦ / ٢٦، لسان الميزان ٢ / ١٧٩.

[٤] مقاتل بن سليمان^(١) وكان ظهوره رد فعل لغلو جهم في نفي الصفات ، فغالى هذا في إثباتها حتى جسم .

ومن عام ١٥٠-٢٣٤ هـ لم تظهر أي بدع جديدة ، وإنما تداخلت البدع بعد ذيوها وكثرة أتباعها وانحصرت في أربع فرق كما ذكر يوسف بن أسباط وعبد الله بن المبارك^(٢) .

(أ) الخوارج (ب) الشيعة (ج) المعتزلة^(٣) (د) المرجئة .

فالشيعة تبنت المجسمة ، والمعتزلة تبنت القدرية وجزءاً من الجهمية ، والجبرية دخلت في المرجئة وغيرها من الفرق^(٤) . وأصبح لكل واحدة من هذه الفرق فرق صغرى تتفرع منها حتى كثر الابتداع والخروج على مفاهيم الدين الإسلامى ! وصدق صلى الله عليه وسلم حيث قال : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » قال أبو عيسى الترمذي : حديث حسن صحيح^(٥) .

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي ، أبو الحسن كبير المفسرين ، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة . قال وكيع : كان كذاباً ، وقال أبو حنيفة « أتانا من المشرق رأيان خبيشان : جهم معطل ، ومقاتل مشبه » السير ٢٠١/٧ .

(٢) انظر تقرير ذلك في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية بتحقيق د . محمد رشاد سالم ٣٠٢/٥ ، ١١٠/٧ .

(٣) المعتزلة هم أتباع وأصل بن عطاء الذى اعتزل مجلس البصري فسمي بذلك ، وهو أول من صنف في علم الكلام والجدل مع أهل السنة ولهم خمسة أصول منها المنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخالفوا أهل السنة في قضايا وأمور . ومن أسوأ أحوالهم اعتقاد خلق القرآن الذى تجهموا به . انظر عقائدهم في لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للعلامة محمد بن أحمد السفاريني ، بتعليقات الشيخ أبا بطين ، والشيخ سليمان بن سحمان ١٢/١ ، ٧٦ .

(٤) توالى الفرق وتواريخ ظهورها استقيته بتصرف من مقدمة الدكتور أحمد سعد حمدان لتحقيقه كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي « ٢٨/١ ، ٣٢ » وانظر في نفس الموضوع على سبيل المثال : الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادى .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب شرح السنة (٤/٥) ، والترمذي في جامعه كتاب

الإيمان باب (١٨) ما جاء في افتراق الأمة ، ٢٦/٥ ، وابن ماجه في كتاب الفتن باب (١٧)

افتراق الأمم ١٣٢١/٢ ، وأحمد في مسنده ٣٣٢/٢ ، ١٤٥/٣ .

وقد لقيت المجتمعات الإسلامية ، من الفرق الضالة نصيباً وعناءً كبيرين ، واضطراباً شتت الأمة ، ولم تلبث الأيام والليالي الحبالى بكل فجعية !! إلا وتطرق بوابة الإسلام بألوان جديدة من الشرور والفتن وقد صور الإمام الذهبي هذه الفتن وتكالبها بعد وفاة الرشيد رحمه الله ثم اضطراب الأمور وضعف الدولة بخلافة أبنائه ومنهم المأمون ^(١) الذي قال في عهده : « نجم التشيع ، وأبدي صفحته ، وبزغ فجر الكلام ، وعُربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم نور النبوة ، ولا يوافق توحيد المؤمنين ، وقد كانت الأمة منه في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة . . الخ ^(٢) . وكان المأمون قد شجع تعريب علوم اليونان وفلسفاتهم ، ومناهج النصارى وهرطقاتهم ^(٣) وفتح بذلك ألواناً من الشرور مازالت تعاني منها الأمة إلى هذا اليوم ^(٤) ، فكان هذا العمل بمثابة هدية غالية للمعتزلة

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد أبو جعفر ولد سنة ١٧٠ هـ وتولى الخلافة بعد قتل أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر ، وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة ، وكانت له بصيرة بعلوم متعددة فقهاً وطبياً وشعراً وفرائض وكلاماً ونحواً ، وغريب حديث وعلم النجوم وقد بدأ امتحان العلماء بخلق القرآن سنة ٢١٨ هـ وهي السنة التي توفي فيها ، ومات على هذا القول وأوصى به إلى أخيه المعتصم . راجع تاريخ بغداد ١٨٣/١٠ . والسير ٢٧٢/١٠ ، والبداية والنهاية ٢٧٤/١٠

(٢) تذكرة الحفاظ ، للمحافظ الذهبي ٣٢٨/١ باعتناء الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله .

(٣) الهرطقة : اصطلاح يطلقه النصارى على أي مخالفة لرأي الكنيسة سواء رأي ارتأه عالم في العلوم الكونية ، أو محاولة لفهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي ، أو انتقاد ما يتصل بالكنيسة ، أو مساعدة واحد من هؤلاء والرضا عن منهجه كل ذلك هرطقة : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ٣٢٨/٢ ، ٣٢٩ تأليف لويس غريدي/ ج قنواي ، نقله للعربية د. صبحي الصالح ، مقارنة الأديان ، للدكتور أحمد شلبي (٢/٢١٥) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة . ندوة الشباب المسلم ص ٥٠٥ .

(٤) ومن هذه الشرور أن دراسة الاعتقاد أصبحت فيما بعد عن طريق علم الكلام الذي ضلل الأمة عن صفاء عقيدتها . انظر في ذلك ما كتبه السيد رشيد رضا في مبحث الإيمان بالله تعالى وفيه اعتماد المسلمين في فهم عقيدتهم على الكتب الكلامية المصنفة حتى ضعف التوحيد في القلوب وشابته شوائب الشرك الأصغر ثم الأكبر الخ « الوحي المحمدي ص ١٥٠ .

الذين أولعوا بالمناهج العقلية والفلسفية . . . فباضوا وفرّخوا وكثر أتباعهم الذين لا تلائمهم مناهج السلف المعتمدة على النقل من الكتاب والسنة، ووجدوا بغيتهم في ضلالات وتمويهات ومناقشات العقلانيين كالمعتزلة وغيرهم . . . ومما ساعد على ذلك كثرة الأديان والأهواء في البلاد التي فتحتها المسلمون، فمن الأديان: «اليهودية، والنصرانية المحرقتان، ومن لها شبهة كتاب كالمجوسية»^(١) ومن أهل المذاهب والأهواء الفلاسفة والصابئة^(٢) الذين اتخذوا من حرّان^(٣) موطناً لهم وهناك الهنود وآراؤهم، والصينيون وأوامهم، إلى آخر ما غرقت فيه أم الأرض من تخبط وتيه قبل شروق شمس الإسلام عليها.

وأمعنت المعتزلة في الفساد وجعلت للعقل سلطاناً كسلطان الدين على الناس . . . فافسدوا عقيدة المسلمين بترهاتهم وجدالهم . . . وساعدهم على ذلك انخداع مجموعة من الخلفاء والقضاة والولاة والوزراء بتدينهم وترهدهم وسطوة ألسنتهم، وعمقهم في الجدل . . . فقد أقنعوا المأمون بفكرة «خلق القرآن» الباطلة.

قال الذهبي: «ولم تكن الجهمية يظهررون في دولة المهدي والرشيدي والأمين فلماً ولي المأمون كان منهم، وأظهر المقالة. روى أحمد بن إبراهيم

(١) دان الفرس بالمجوسية والثنية وتفرع من هاتين الديانتين فرق أشهرها الزردشتية والمانوية. انظر تفصيل دياناتهم في الملل والنحل ١/ ٢٣٣، ٢٥٥.

(٢) قال الشهرستاني: الصبوة في مقابلة الخيفية، وفي اللغة صبا الرجل: إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزينهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين/ الملل والنحل ٢/ ٥.

(٣) حرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعربت ف قيل حرّان، وكانت منازل الصابئة. معجم البلدان ٢/ ٢٣٥.

الدورقي عن محمد بن نوح أن الرشيد قال : بلغني أن بشر بن غياث المريسي (١) يقول : القرآن مخلوق ، فله علي إن أظفرنني به لأقتلنه ، قال الدورقي : وكان متوارياً أيام الرشيد فلما مات الرشيد ظهر ودعا إلى الضلالة .

وكان المأمون قد اعتنق الفكرة من عام ٢١٢هـ وبقي ست سنوات متردداً في حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأشيخ الذين يهابهم مثل يزيد بن هارون . حتى قوي عزمه على ذلك عام ٢١٨هـ (٢) وحمل العلماء على القول بخلق القرآن . . . بكتابه (٣) إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم الخزازي وهدد بالضرب والقتل لمن لم يجب وطارت الفتنة في البلاد . وبعد وفاة المأمون تولى الأمر من بعده المعتصم ثم الواثق ، ثم جاء المتوكل الذي لم يتحمس لهذه الفتنة ، بل أمر بهجرها ورفع ثقلها عن قلوب وأذهان المسلمين وكان ذلك في عام ٢٣٤هـ .

(١) المتكلم المناظر ، كان من كبار الفقهاء ، ونظر في الكلام ، فقلب عليه ، وانسلخ من الورع والتقوى ، وجرّد القول بخلق القرآن ، وكان عين الجهمية في عصره ، فمقته أهل العلم ، وكفره عدّه . مات في آخر سنة ثمان عشرة ومائتين ، وقد قارب الثمانين ، سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٠ .

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣٠٨ ، وانظر اختباره يزيد بن هارون ص ٣٠٩ وكانت حاشيته من المتكلمين أمثال ابن أبي دؤاد أحد رؤوس المعتزلة ، وأفصح الناس وأنطقهم وكان المأمون يعظمه ويقبل شفاعاته حتى دسّ له القول بخلق القرآن وحسنه وصيره يعتقد حقا مبيّناً ، سير أعلام النبلاء ٢٣٦/١١ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٧/٢ .

(٣) ذكر نص الكتاب السبكي في طبقات الشافعية ٣٨/٢ وللوقوف على بقية الأحداث وبالأخص ثبات الإمام أحمد في هذه الداهية الدهياء والمصيبة الصماء منذ أن بدت إلى أن أنهيت ، راجع مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣٠٨ ، سير أعلام النبلاء (٢٣٢/١٢) في ترجمته رحمه الله ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٧/٢ ، والبداية والنهاية ٢٧٢/١٠ .

المبحث الأول

خلاف أهل الحديث في مسألة اللفظ *

الخلاف في اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ؟ أمر اختص به أهل الحديث ، خلافاً لقضية القول بخلق القرآن فإنها ذات طرفين كبيرين ومتناقضين منهجاً واعتقاداً .

* هذه المسألة نشأت بعد انتهاء فتنة القول بخلق القرآن بفترة وجيزة « وهي أسوأ نتائج تلك الفتنة التي قضى عليها المتوكل ، والتي وقف فيها الإمام أحمد بن حنبل كالجبل الأشم مستعلياً بإيمانه على ترهات البشر مدافعاً عن الحق بعد ما بقي وحيداً في الميدان ، ولو أجاب تعريضاً أو تورية أو مكرهاً لثلم الإسلام ثلماً عظيماً لأن القضية من أصول الدين وبيانها يحتاج لفهم وذكاء ، وثبات على الحق ، فالحمد لله الذي ثبت الحق وأبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

والقول بخلق القرآن ليس من المباحث المندرجة في هذه الرسالة ، فيكفي أن نشير إلى الكتب التي عُنيت ببيان الحق فيه وهي مؤلفة على منهجين متباينين .

الأول : منهج عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين . وذلك بعدما انتبه سلفنا الصالح للخطر الداهم عليها . . فعرضوها ليشبتوا ما أراد الزائفون هدمه ومن هذه الكتب :

- ١ - السنة للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١) مطبوع .
- ٢ - السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠) طبع بتحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني في مجلدين .
- ٣ - السنة لأحمد بن هارون الخلال (٣١١) طبع بتحقيق الدكتور عطية الزهراني في ثلاثة أجزاء .
- ٤ - التوحيد للإمام ابن خزيمة (٣١١) طبع بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان في مجلدين .
- ٥ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (٤١٨) طبع بتحقيق الدكتور أحمد سعد الغامدي في أربعة مجلدات . وانظر كلام ابن تيمية عنه في مجموع الفتاوى ٤١٩/١٢ .
- ٦ - الإبانة الصغرى والكبرى لابن بطة العكبري (٣٨٧) وقد حقق الصغرى وجزء من الكبرى الدكتور رضا نعان .
- ٧ - السنة لابن أبي عاصم النبيل (٢٨٧) وقد خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني وسماه « ظلال الجنة في تخريج السنة » / المكتب الإسلامي .

.....
٨ - الإيمان لمحمد بن إسحاق بن منده (٣٩٥) طبع بتحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي في مجلدين وغيرها .

هذا على سبيل التمثيل لا على سبيل التنصيص والحصص ، وإلا فالكتب المؤلفة في هذا الباب كثيرة وهذا يدل على عناية علماء الأمة سالفين وخالفين بصفاء العقيدة .
الثاني : منهج الرد على الشبه والأباطيل بعد عرض الشبه ثم تفنيدها بالأدلة النقلية والعقلية . ومن هذه الكتب :

- ١ - الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل مطبوع بتحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة .
 - ٢ - خلق أفعال العباد والرد على الجهمية والمعتلة للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦) مطبوع ونشرته الدار السلفية بتعليق بدر البدر .
 - ٣ - الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدرامي (٢٨٠) مطبوع .
 - ٤ - الرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدرامي (٢٨٠) مطبوع بتصحيح وتعليق العلامة محمد حامد الفقي مجلد واحد .
 - ٥ - الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمعتلة لعبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦) طبع ضمن مجموعة عقائد السلف ص ٢٢١ باعتناء النشر والطالبي / وطبع مستقلاً بتعليقات محمد زاهد الكوثري دون أن يذكر اسمه «نه على ذلك الأستاذ حسام الدين القدسي وعدّ جملة من الكتب لم تعز إليه والقرائن تدل على أنها من أعماله ، وقد كشف خياناته وكذبه في ص ٧٥ من كتاب التنكيل للمعلمي الطبعة الثانية المكتب الإسلامي ١٤٠٦ هـ ، وطبع أخيراً بتحقيق محمود عمر .
 - ٦ - الأسماء والصفات لليهقي (٤٥٨) وهذا أيضاً بتعليقات الكوثري الذي تسلط على كتب السلف فأفسدها وتناول على أصحابها وسأشير إلى أمثلة من ذلك بعد قليل انظر ص ٣٠١ حاشية (١) .
 - ٧ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن قيم الجوزية اختصره محمد الموصلي .
 - ٨ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية لابن القيم . مطبوع
- اكتفي بتلك المجموعة كإشارة وإلا فجهود الغيورين على الدين كثيرة جداً وقد أشرت إلى المطبوع منها حسب علمي ومن أراد التوسع ومعرفة المخطوط فليراجع الرسالة المستطرفة ص ٣٧ باعتناء حفيده محمد المتصر ، وكذلك الفتوى الحموية لابن تيمية ص ٢٨ بتقديم محمد عبدالرزاق حمزة ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، وتاريخ التراث العربي لسزكين ، للوقوف على المخطوطات في العالم ، وقد امتلأت كتب ورسائل ابن تيمية وابن القيم والذهبي ، ومن تقدمهم من السلف الصالح بما يسقط الأضواء على هذه الفتن والرد عليها . وكانت كل هذه الجهود منصبة على اتباع السنة والعمل بها وترك ماحدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء .

١- أهل السنة والجماعة^(١) ومنهجهم الاعتماد على الكتاب والسنة والاعتصار على النقل الصحيح.

٢- الفرق الضالة من معتزلة وجهمية^(٢) ومنهجهم الأخذ بسفسطة^(٣) وتمويهات الفلاسفة، والإفراط في الاعتماد على العقل، وتعطيل وتأويل نصوص الوحيين.

وقد صور الإمام ابن قتيبة الدينوري^(٤) - وهو أحد من عاصر المحتين- حال المحدثين وفُرقتهم فقال : وكان آخر ما وقع من الاختلاف أمراً خص

(١) أهل السنة والجماعة وهم أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم وتمسك بهداهم، (والسنة) هي طريقة الرسول وطريقة أصحابه، (والسنة) الحكمة، والمراد بها أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته، فمن أخذ بها وعدل عن غيرها من أقوال المبتدعة فهو من أهل السنة، (والجماعة) الطائفة من الناس المجتمعة والمراد بها الذين اجتمعوا على سنة رسول الله دون ماسواها، وهم الفرقة الناجية وهم أهل الكتاب والسنة، انظر الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة تأليف عبد الرحمن بن حمد الجبلي ص ٩، ٨٦، ٨٧.

(٢) الجهمية» أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي أس الضلالة ورأس الجهمية، الذي كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وأن الله في كل مكان، قتله سلم بن أحوز عام ١٢٨ هـ لإنكاره أن الله كلم موسى، ويرى القاسمي أنه قتله لأمر سياسي وليس كذلك. راجع السير ٢٦/٢٦، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص ١٦.

(٣) السفسطة» قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليب الخصم وإسكاته» انظر التعريفات للجرجاني ص ١١٨. ويحقق ابن تيمية رحمه الله القول في السفسطة» وأنها ليست كما ظن قوم أنها قول ومذهب عام لطائفة في كل حق، بل هي عارض لبني آدم في كثير من أمورهم، فكل من جحد حقاً وموه ذلك بباطل فهو مسفست في هذا الموضع وإن كان مقراً بأمور أخرى ويؤمن أن أصل الكلمة معرب من (سوفسقا) وأصبحت (سوفسطا) ومعناها يتضمن إنكار الحق وتمويهه بالباطل» بيان تلبس الجهمية لابن تيمية ١/٣٢٤ وانظر حاشية درء تعارض العقل والنقل ١٥/٢.

(٤) هو العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني وحدث عنه ابنه أحمد وابن درستويه. قال الخطيب: كان ثقة فاضلاً، قال الذهبي: والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين عنده فنون جمة وعلوم مهمة، ومات فجأة سنة ٢٧٦، سير أعلام النبلاء ١٣/٣٠٠.

بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين وبالاتباع قاهرين، يُدَاوُونَ
بكل بلد ولا يُدَاوُونَ^(١)، وَيُسْتَتَرُ منهم بالنحل ولا يستترون ويصدعون بحقهم
الناس ولا يستغشون، لا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا، ولا يتضع فيه إلا من
وضعوا، ولا تسير الركبان إلا بذكر من ذكروا . . . إلى أن كادهم الشيطان بمسألة
لم يجعلها الله أصلاً في الدين ولا فرعاً، في جهلها سعة، وفي العلم بها فضيلة،
فسمى شرها، وعَظَّمَ شأنها حتى فرقت جماعتهم، وشتت كلمتهم ووهنت
أمرهم، وأشمتت حاسديهم، وكفت عدوهم مؤنتهم بالسنتهم وعلى أيديهم فهو
دائب يضحك منهم ويستهزئ بهم حين رأى بعضهم يكفر بعضاً ورأهم مختلفين
وهم كالمثقفين، ومتباينين وهم كالمجتمعين، ورأى نفسه قد صار لهم مسلماً بعد
أن كان حرباً»^(٢).

وبعد محنة الإمام أحمد بن حنبل، وخبوت نار الفتنة التي ذهب ضحيتها
طوائف من العلماء مابين قتيل أو مثقل بالحديد حتى تأتية المنية، وما بين عشرات
من العلماء أجابوا بالتورية والتعريض أو الخوف وبقي في نفوسهم ندم وحسرة
من ذلك، بقي لهذه الأحداث أسوأ الذكريات وأشنع النتائج . . . وكانت الأجواء
ملينة بالتحفظ الشديد إزاء كل ما يحدث من أقوال وآراء تخالف معتقد سلف
الامة.

(١) يداجون : مأخوذ من قولهم : داجى الرجل : أي سآثره بالعداوة وأخفاها عنه فكأنه أناه في
الظلمة، وداجاه أيضاً : عاشره وجامله، ويقال : داجيت فلاناً إذا ماسحته على ما في قلبه
وجاملته. والمداجاة : المداراة، والمداجاة : المطاولة . لسان العرب لابن منظور ٢٥٠ / ١٤،
أساس البلاغة لجار الله الزمخشري ص ١٢٦، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، مختار
الصحاح للرازي ص ١٥٥، والمعنى أن أهل الحديث جمعوا صفات القوة والثبات فهم يتصرون
ويحُمون غيرهم ولا يحتاجون لمن ينصرهم ويحميهم، وإن أرادوا المداراة والمجاملة مع غيرهم
فعلوها ولا يدركون ولا يجاملون لوضوح وقوة منطلقاتهم.

(٢) الاختلاف في اللفظ ص ١١ بتعليق محمد زاهد الكوثري . وجدير بالأهمية أن ننبه ونحذر من
تعليقاته وتحقيقاته إن جاز وصفها بذلك، فإنه وإن كان على جانب كبير من الاطلاع على =

ومع توالي الأيام نشأت مسألة كان الناس منها في عافية، فأصبحت بذرة من بذور الشقاق والوحشة بين علماء الحديث، وهي مسألة « اللفظ بالقرآن » هل هو مخلوق أم غير مخلوق ؟، والمسألة من الدقة والغموض بحيث إن تعيين المراد باللفظ والحكم عليه عسير يحتاج لتحفظ وبيان شديدين، فاختلقت أقوال العلماء كل بحسب مفهم من المسألة.

= كتب العلم، ودُرِّية على فنون الحديث إلا أنه استغل ذلك في الاستخفاف بسلفنا الصالح وكتبهم فشتهم وتنقصهم، وأفسد كتبهم، ورمى كلام بعضهم ببغض وحرّف، ولقّق، وتجراً على أفاضل الأمة بما يقشعر منه البدن، وتعلم مخالفته لمنهج السلف عليهم رضوان الله.

- وسأكتفي في التمثيل لذلك بموضع واحد من تعليقه على الأسماء والصفات للبيهقي، ثم أحيل القارئ برؤوس أقلام إلى مليء قد كفى ووفى: ألا وهو كتاب العلامة اليماني عبدالرحمن المعلمي. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني.

أولاً: استخفافه، وشمته دون حياة لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله في أمر هو منقبة له، لأمذمة وهو أنه لا يحسن علم الكلام ولا يراه وذلك قوله كما في الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٦٧ دار إحياء التراث: « إذا كان العطار لا يحسن غير ما هو فيه فما تنكرون على فقيه راوى حديث أنه لا يحسن الكلام !! » قال الكوثري معلقاً على قول ابن خزيمة: « وقد انصف عن نفسه حيث اعترف أنه يجهل علم الكلام، وكان الواجب على مثله أن لا يخوض في علم الكلام فتزل له قدم، ومع هذا الجهل ألف كتاب التوحيد فأساء إلى نفسه ومن أهل العلم من قال عنه: « إنه كتاب الشرك ». ومن جملة مخازيه فيه استدلاله على إثبات الرجل لله تعالى بقوله سبحانه « ألهم أرجل يمشون بها »؟ وهذا غاية في السقوط وأسقط منه من يسعى في إذاعة كتابة هذا ولله في خلقه شئون... الخ » وحط الكوثري بعده على عبدالرحمن ابن أبي حاتم لما تابع صاحبه ابن خزيمة انظر ذلك في حاشية ص ٢٦٩، وأترك التعليق للقارئ الكريم وأحيله على كتاب ابن خزيمة « التوحيد وإثبات صفات الرب » ١/ ٢٠٢ بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان ليقارن بين مقاله الكوثري وبين ما كتبه وأراد ابن خزيمة من الآية الكريمة وقد بين أنه يريد إرغام أنوف المعطلة الجهمية الكافرين بصفات الله ببيان أنهم أسوأ حالاً وكفرأ من اليهود والنصارى والمجوس الذين هم كالأنعام، وهذا سوء الأسوأ يجعلهم عندهم كالأنعام بل هم أضل، لأنهم بتعطيل صفات الله جعلوه عدماً... » وقارن ذلك بما ذكره ابن كثير في تفسير الآية ص ١٩٥ من سورة الأعراف في تفسيره ٢/ ٢٧٧. وليس الأمر كما زعم الكوثري أنه يستدل بالآية على إثبات الرجل لله، بل يكفي في إثبات الرجل له

- سبحانه مارواه من الأحاديث الصحاح التي رواها البخاري ومسلم وغيرهما من وضع الرحمن قدمه في النار حتى تقول : قط قط . انظر التوحيد لابن خزيمة ٢٠٧/١ .
- ثانياً : إلماحات إلى تجنبه على أكابر فضلاء الأمة وردود المعلمي عليه فيها بالصفحات .
- أ - شتمه للصحابي الجليل أنس بن مالك خادم رسول صلى عليه وسلم بأنه قد شاخ وكبر ، فخرف وروى عن النبي صلى عليه وسلم ما لم يقله ولم يعمل به ص ٦٠ ، ٦٤ ، ص ١٢٤ .
- ب - إتهاماته للإمام أحمد بن حنبل : في ص ٣٦٦ حيث نفى عنه الغوص في الفقه والتمحيص ! وانظر ص ١٢٥ وفي ص ٣٦٧ اتهمه بالخطأ في اللغة والنحو ، وفي ص ٣٦٨ زعمه أنه تفقه أولاً على أبي يوسف ، وكان يستخرج الأجوبة الدقيقة من كتب محمد بن الحسن وفي ص ٣٧٠ زعم أن الإمام أحمد غير فقيه ! مع قول الإمام الشافعي فيه : أنه أفقه أهل بغداد .
- ج - طعونه المتنوعة في نسب وفصاحة وفقه الإمام الشافعي من ص ٦١٨ / إلى ٦٥٦ .
- د - بهته علي ابن المديني . بمسيرة ابن أبي دؤاد ص ٨٥٠ .
- هـ - اتهمه محمد بن بشار (غندر) بالكذب وسرقة الحديث وهو ثقة جليل ص ٦٦٠ .
- و - قوله عن عبد الأعلى بن مسهر أبو مسهر الدمشقي : « إنه ممن أجاب في المحنة فترد روايته مطلقاً . . . الخ أنظر ص ٥٣٦ .
- ز - عندما ترجم الإمام البخاري في التاريخ الكبير للإمام أبي حنيفة وقال : كان (أبو حنيفة مرجئاً) سكتوا عنه ، وعن رأيه ، وعن حديثه . قال الكوثري : « إن إرجاءه محض السنة رغم تقولات جهلة النقلة . . . فالمعرض عنه إما خارجي يزكي مثل عمران بن حطان ، وحريز بن عثمان أو معتزلي قائل بالمنزلة بين المنزلتين » انظر ص ٦٥٧ والرد عليه .
- ح - قال عن صالح جزرة : « جزرة على سعة علمه في الحديث ، كان بذىء اللسان مداعباً أسوأ مداعبة . . » انظر كلام المعلمي ص ٤٩١ وتنسحب هذه المهزلة الجريئة التي لم يسبقه إليها أحد بهذا الكم وهذه الكيفية على فضلاء آخرين كابن أبي حاتم ص ٥٤٠ ، وابن بطة ص ٥٦١ ، وعثمان الدارمي ص ٥٧٢ ، والدارقطني ص ٥٨٣ .
- ويبدو أن هذه الوقفة قد طالت ، وما أطالها إلا أنَّه صعدت إلى شفتي ، فأبت إلا أن تسطر ، وهذا غيظ من فيض مادونه المعلمي في طبيعته ، ومحمد بهجة البيطار وعبد الرزاق حمزة وحسام الدين القدسي رحمهم تعالى في بيان حقيقته وكل ذلك في التتكيل للمعلمي فليراجع .

المبحث الثاني

أول من أثار المسألة

وكما أسلفنا، فقد كان المجتمع الإسلامي يشدد النكير على من يخوض في علم الكلام، أو يجيب في مسألة خلق القرآن بخلاف الحق الذي أثار عن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمه الله، أو أي مسألة تتعلق بها لما رآه الناس من الفتنة في الدين والنفس.

حتى جاء حسين بن علي الكرايسي^(١) المتكلم، وفتق هذه القضية الجديدة، والتي حاول الإمام أحمد أن يقضي عليها في مهدها، وبقي المسلمين شرّها، إلا أن الرجل شعبها.

قال الإمام الذهبي في ترجمة الكرايسي: «وهو أول من فتق اللفظ»^(٢) أما مبدأ الأمر: فهو جراءة هذا المتكلم، ومخالفته المنهج الحق الذي ثبتته الإمام أحمد رحمه الله، بعد زوابع الجهمية والمعتزلة الباردة، والحق أقوى وأمضى. ويذكر العلماء في إثارتها روايتين بينهما تشابه كبير تجمعهما صفة العناد والتنمر على الإمام أحمد.

الرواية الأولى: والسبب فيها إخراج الكرايسي لكتابه «المدلسين» الذي حط فيه على المحدثين وابن الزبير، فحذر منه الإمام، الأمر الذي أغضب الكرايسي.

(١) هو الحسين بن علي الكرايسي «نسبة إلى بيع الكرايس وهي الثياب» اللباب لابن الأثير ٨٨/٣ كان إماماً جليلاً جامعاً بين الفقه والحديث، قال الخطيب: حديث الكرايسي يعز جداً، وذلك أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وهو كان يتكلم في أحمد، فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب، وقال السبكي: كان الكرايسي من متكلمي أهل السنة، أستاذاً في علم الكلام. الخ قال ابن رجب: كان يتسلط بعلم الحديث ليطعن ويشكك في غير حديث أهل الحجاز. مات سنة ٢٤٨، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٦٤/٨، الثقات، لابن حبان ١٨٩/٨، السير، للذهبي ٧٩/١٢، ميزان الاعتدال، للذهبي ٦٧/٢، طبقات الشافعية، للسبكي ١١٧/٢.

(٢) السير ٨٠/١٢.

قال المروذي (١): أول من أظهر مسألة اللفظ «حسين بن علي الكرابيسي» وكان من أوعية العلم، ووضع كتاباً في المدلسين، يحط على جماعة، فيه أن ابن الزبير من الخوارج، وفيه أحاديث يُقَوِّي به الرافضة. فأعلم أحمد فحذر منه، فبلغ الكرابيسي فتنمر، وقال: لأقولن مقالة حتى يقول ابن حنبل بخلافها فيكفر. فقال: لفظي بالقرآن مخلوق. قال المروذي في كتاب «القصص» فذكرت ذلك لأبي عبد الله أن الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنه قال: أقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي به مخلوق، ومن لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كافر. فقال أبو عبد الله: بل هو الكافر قاتله الله!! وأي شيء قالت الجهمية إلا هذا؟ وما ينفعه، وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأول؟! ثم قال: أيش خبر أبي ثور أوافقه على هذا؟ قلت: قد هجره. قال: أحسن، لن يفلح أصحاب الكلام» (٢).

والرواية الأخرى: والسبب فيها أجوبته لسائل عن اللفظ بما يدل على عدم المبالاة بوجه الحق، وخالفه الإمام فيها، مما أغضبه.

قال أبو الطيب الماوردي: (جاء رجل إلى أبي علي الكرابيسي فقال: مات قول في القرآن؟ فقال حسين الكرابيسي: كلام الله غير مخلوق، فقال له الرجل: فما تقول في لفظي بالقرآن؟ فقال له حسين: لفظك بالقرآن مخلوق! فمضى الرجل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فعرفه أن حسيناً قال له: إن لفظه

(١) هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، كان أجل أصحاب الإمام أحمد، وكان يأنس به، وينبسط إليه وهو الذي تولى إغماضه لما مات، وغسله " كان إماماً في السنة، شديد الاتباع له جلالة عجيبة ببغداد، خرج إلى الغزو فشيعة أهل بغداد إلى سامراء فجعل يردهم فلا يرجعون، فحزروا بسامراء سوى من رجع، نحو خمسين ألفاً، فقبل له: يا أبا بكر إحمد الله فهذا علم قد نشر لك، فبكى وقال: ليس هذا العلم لي، إنما هو لأبي عبد الله " سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧٣.

(٢) السير ١١/ ٢٨٩.

بالقرآن مخلوق، فأنكر ذلك وقال : هي بدعة، فرجع الرجل إلى حسين الكرايسي فعرفه إنكار أبي عبد الله أحمد بن حنبل لذلك وقوله هي بدعة .

فقال له حسين : تلفظك بالقرآن غير مخلوق، فرجع إلى أحمد بن حنبل فعرفه رجوع حسين وأنه قال تلفظك بالقرآن غير مخلوق! فأنكر أحمد بن حنبل ذلك أيضاً وقال هذا أيضاً بدعة، فرجع الرجل إلى أبي علي حسين الكرايسي فعرفه إنكار أبي عبد الله أحمد بن حنبل وقوله هذا أيضاً بدعة فقال حسين : « إيش نعمل بهذا الصبي ! إن قلنا مخلوق قال : بدعة وإن قلنا غير مخلوق قال : بدعة » فبلغ ذلك أبا عبد الله فغضب له أصحابه فتكلموا في حسين، وكان سبب الكلام في حسين والغمز عليه بذلك . (١)

ومهما يكن من سبب لإثارة المسألة، فإن الكرايسي قد ألقى أقوالاً مجملة مشبهة تشتمل حقاً وباطلاً ليقوع الإمام أحمد بزعمه « في مأزق القول بخلافها » ولكن الإمام أحمد رحمه الله تعالى كان أذكى بكثير وأبعد نجعة من مراد الكرايسي، إذ إنه كان يعلم أن الحق في (كلا القولين متلبساً به الباطل) وللوقوف على الحق وفصله عن الباطل لابد من التفصيل في الجواب ومن هنا جاء تبديع الإمام أحمد للكرايسي (فقال هذه بدعة) ومقصوده تكلمه في مسائل الكلام وجوابه الإجمالي عن مسألة اللفظ . (إما بالخلق أو عدمه) ولذا يقول تاج الدين السبكي : « . . . وهذا يدل على ما نقله، من أن أحمد إنما أشار بقوله : « هذه بدعة » إلى الكلام في أصل المسألة، وإلا فكيف ينكر إثبات الشيء ونفيه ! » (٢) . وسأتى بعد قليل على إيضاح هذه المعاني (٣) .

وكان موقف الإمام أحمد رحمه الله تعالى موقف العالم المستبصر، الذي بنى أقواله وأفكاره على منهج الله . الثابت تجاه المستحدثات في المجتمع، مما

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٦٤، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٩.

(٢) طبقات الشافعية ٢/ ١١٩.

(٣) في المبحث الثالث المطليين الثاني والثالث.

يلقيه أعداء الإسلام باسم الإسلام " كفتنة خلق القرآن " أو مما يصعب فهمه من الأمور العقائدية وغيرها " كمسألة اللفظ هذه " . . . فإن المجتمع احتار أيضاً في هذه المسألة ، لجذتها وصعوبة تعيين المراد من اللفظ (هل هو صوت القارىء ، أم المقروء المسموع وهو كلام الله ؟) فكان طلبة العلم يقصدون الإمام أحمد ليرشدتهم إلى الصواب ، ويبين لهم الحق .

قال أبو جعفر محمد بن الحسن بن هارون الموصلي : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وقلت : « يا أبا عبد الله أنا رجل من أهل الموصل والغالب على أهل بلدنا الجهمية وفيهم أهل سنة نفر يسير يحبونك وقد وقعت مسألة الكرابيسي ، نطقي بالقرآن مخلوق ، فقال لي أبو عبد الله : إياك إياك إياك وهذا الكرابيسي لا تكلمه ولا تكلم من يكلمه أربع مرات أو خمس مرات !! ، قلت : يا أبا عبد الله فهذا القول عندك وماتشعب منه يرجع إلى قول جهم ؟ قال : هذا كله من قول جهم » (١) .

وقال الفضل بن زياد : سألت أبا عبد الله عن الكرابيسي وما أظهره فكلح وجهه ثم أطرق !! ثم قال : هذا قد أظهر قول جهم ، قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ (٢) فمن يسمع ؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « فله الأمان حتى يسمع كلام الله » إنما جاءهم بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها ، تركوا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب « (٣) . وقال أبو طالب (٤) : سمعت أبا عبد الله يعني

(١) تاريخ بغداد ٨ / ٥٦٥ ، الكامل في الضعفاء ٢ / ٣٦٥ .

(٢) التوبة آية ٦ .

(٣) تاريخ بغداد ٨ / ٦٦ .

(٤) هو أحمد بن حميد ، أبو طالب المشكاني صاحب أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، روى عن أحمد مسائل تفرد بها ، قال أبو بكر الخلال : أبو طالب صحب أبا عبد الله قديماً إلى أن مات ، وكان أبو عبد الله يكرمه ويقدمه ، وكان رجلاً صالحاً فقيراً صبوراً على الفقر ، فعلمه أبو عبد الله مذهب القنوع والاحتراف ومات قديماً بالقرب من موت أبي عبد الله . وقال ابن نافع : مات سنة أربع وأربعين ومائتين . طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ / ٣٩ .

أحمد بن حنبل يقول : « مات بشر المريسي ، وخلفه حسين الكرابيسي ^(١) . فمن النصوص السابقة تبين لنا مدى صلابة مواقف الإمام أحمد من الكرابيسي ، ومن أي قضية تطرأ تخالف منهج السلف الصالح سواء : في المعتقد ، أو طريقة التعامل معها ، أو الفتوى فيها ، كما حصل من الكرابيسي عندما سأله الرجل ، فالإمام أحمد لم يقل بخلاف مقالة الكرابيسي حتى يقع في المحذور ولا غيره من الأئمة ، لأنهم يعرفون وجه الحق في المسألة » وهو أن القراءة فعل من أفعال العباد ، وأفعال العباد مخلوقة » ولكنهم كانوا حريصين على العقيدة من أن يكدر صفاءها أمرٌ يثير البلبلة في المجتمع لأن الله لم يكلفهم ذلك ، فيكفي ويسع الناس ماوسع سلفهم » من أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق » ومن هنا جاء تحذير الإمام أحمد وغيره ^(٢) من الكرابيسي ومن سار مساره ، لأنهم يفتحون أبواباً من الجدل والشبهة والخلاف ، وهو ما حصل بالفعل ، فقد اختلف الناس واحتاروا زمن الإمام أحمد رحمه الله ، وأثر عنه أقوال ومواقف فهمها من فهمها ، وجهلها من جهلها ، وتابعها بحذو القذة من تابعها . وازداد اختلاف الناس بعد وفاته ، واشتد بنيسابور بين البخاري والذهلي « ويذكر ابن القيم رحمه الله أن الاختلاف فيها استمر إلى زمانه » ^(٣) .

(١) تاريخ بغداد / ٨ / ٦٦ .

(٢) - منهم أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي ، ذكر اللالكائي عقيدته وفيها « . . . وترك النظر في كتب الكرابيسي ومجانبة من يناضل عنه من أصحابه ، مثل داود الأصبهاني وأشكاله ومتبعيه . . . الخ » شرح أصول اعتقاد أهل السنة / ١ / ١٨٠ . ومنهم العلامة ابن رجب الحنبلي الذي كشف جوانب من كتابه « المدلسين » وما فيه من ضرور فقال : وقد تسلط كثير من طعن في أهل الحديث عليهم بذكر شيء من هذه العلل . وكان مقصوده بذلك الطعن في الحديث جملة والتشكيك فيه . أو الطعن في غير حديث أهل الحجاز ، كما فعله حسين الكرابيسي في كتابه الذي سماه بكتاب المدلسين ، وقد ذكر كتابه هذا للإمام أحمد فذمه ذمّاً شديداً ، وكذلك أنكره عليه أبو ثور وغيره من العلماء . أهـ

شرح علل الترمذي ٨٩٢ / ٢ بتحقيق د. همام ، ٨٠٦ / ٢ بتحقيق د. العتر .

(٣) قال ابن قيم الجوزية مشيراً إلى استمرار الاختلاف في مسألة اللفظ إلى زمانه : « والحرب واقعة بين هذين الفريقين من بعد موت أحمد إلى الآن . . . الخ » مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ، اختصار محمد الموصلي ، ص ٤٤٠ .

المبحث الثالث

إلقاء الضوء على مسألة اللفظ واللفظية

المطلب الأول

تعريف اللفظ واللفظية

اللفظ (أ) جاء في لسان العرب : « واللفظ واحد الألفاظ ، وهو في الأصل مصدر ، ولفظ بالشئ يلفظ لفظاً : تكلم ، وفي التنزيل العزيز ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾^(١) . ولفظ بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به »^(٢) .

(ب) وقال الفيروز أبادي : « لفظه رماء فهو ملفوظ ولفيظ وبالكلام نطق كتلفظ »^(٣) .

(ج) وقال ابن هشام : « والمراد باللفظ : الصوت المشتمل على بعض الحروف »^(٤) . (٥)

(١) سورة ق آية ١٨ .

(٢) لسان العرب ٤٦١ / ٧ .

(٣) القاموس المحيط ٣٩٩ / ٢ .

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى ص ١٣ .

(٥) ولم يجوز الإمام أبو الحسن الأشعري أن نقول ' لفظت بالقرآن ، بل قرأت وتلوت ، وعلل ذلك بما يلي :

أولاً : « أن العرب اذا قال قائلهم : لفظت باللقمة من فمي ، معناه : رميت بها ، وكلام الله عز وجل لا يقال يلفظ به » . الإبانة عن أصول الديانة ص ٨١ ، ومع صحة كلامه رحمه الله من حيث استعمال العرب لهذه الكلمة إلا أنه ورد في المعاجم أنه يراد باللفظ الكلام والنطق كما أشرت إليها أنفأ ودلت عليه الآية الكريمة .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « واللفظ في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظاً، وكذلك التلاوة والقراءة مصدران، لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو، وهو المراد باللفظ في إطلاقهم وهو نفس الحروف المنطوقة » (١).

واللفظية هم « من قالوا : لفظي بالقرآن مخلوق » .

وقد اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة أئمة الحديث « أن اللفظية جهمية » (٢) وقال أئمة السنة : « من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع »، يعنون غير بدعية الجهمية (٣).

= ثانياً : « بأن قوماً قالوا : لفظنا بالقرآن : ليثبتوا أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم، وقولهم بخلقه، فدلّسوا كفرهم على من لم يقف على معنائهم » الإبانة ص ٨٢ وكلامه هذا أيضاً صحيح، فإن بعض القائلين بأن اللفظ مخلوق تدرجوا به للقول بخلق القرآن، لذا جهمهم الإمام أحمد وجمع من علماء السلف كما سيأتي معنا، ولكن بما أن الكلمة في أصلها اللغوي صحيحة، وقد تداولها علماء السلف منذ بزوغ هذه الفتنة دون تكير منهم، فلا بأس باستخدامها.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وإعداد عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ٣٠٦/١٢، ٥٦٧.
(٢) كون الإمام أحمد يجهم اللفظية فإنه لا يكاد يطلق القول بكفرهم كما يطلقه على المخلوقية القائلين بخلق القرآن كما قال ذلك ابن تيمية . راجع مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٢ وسيمر بنا ذلك عند كلام ابن تيمية على اللفظ .

(٣) معارج القبول للشيخ حافظ الحكيمي ١ / ٢٥٣، وانظر تعريف الإمام أحمد الذي نقله عنه البخاري، مجموع الفتاوى ٣٦٦/١٢.

المطلب الثاني

مقالة الإمام أحمد " من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع " ومرادة بها

انتشرت أقوال الكرابيسي في المجتمع الإسلامي، واشتهرت موافقه المتأرجحة المتميعة في مسألة اللفظ، ووجدت فيها الجهمية بُغْيَتَهَا، وَخَبَّتْ فِي ذَلِكَ وَوَضَعَتْ، وقالت ومن تابعها قوله حق وأرادت بها باطلاً، فقالوا : « لفظنا بالقرآن مخلوق » وأرادوا الملفوظ المسموع الذي هو كلام الله تعالى المنزل وقد كان الجهمية يمثلون أغلبية السكان في بعض المدن كما في رواية أبي جعفر الموصلي السابقه ٣٠٧ وأهل السنة قلّة مما يشكل خلخلة وتهديداً لتلك النواحي .

وقد تنبه الإمام أحمد رحمه الله لمراد الجهمية، وأدرك ما في كلا القولين اللذين أطلقهما الكرابيسي من حق وباطل . . . وأنه ستزل فيه أقدام، وتضل فيه عقول عن مظان الحق ، لذا أطلق هذه المقولة :-

" من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع " (١)

وأصبحت هذه المقولة قاعدة في الذب عن المنهج الصحيح في هذه القضية، ليرتاد الناس السلامه في دينهم وسط زوبعة البدع المستحدثة .

(١) وقد تعجّب ابن قتيبة الدينوري من مقولة مقاربة لهذه نسبت لأحمد وشك في نسبتها إليه، ونص هذه المقولة هو : « من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي والجهمي كافر، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلالة » الاختلاف في اللفظ ص ٤٦ وقد تكون هذه الصيغة لم تثبت عنه بالفعل، لأن فيها إطلاقاً بتكفير الجهمي القائل بخلق القراءة والجهمية كما سيمر بنا ثلاث فرق :

قال الإمام ابن قيم الجوزية: « وهذا المنع من النفي والاثبات من كمال علمه باللغة وتحقيقه لهذا الباب » (١).

وهذه توجيهات بعض العلماء لهذا المنع وكشفهم النقاب عن سره:

أولاً: قال ابن تيمية رحمه الله: « لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة صارت طائفة يقولون: إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون: ألفاظنا بالقرآن

= (أ) المخلوقية « القائلين بخلق القرآن ».

(ب) الواقفية « الذين لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ».

(ج) اللفظية « القائلين بأن لفظهم وقراءتهم للقرآن مخلوقة ».

وتكفير الصنفين الأولين أمر يكاد يكون مستفيضاً عند جميع أئمة السنة، أما اللفظية فإن ابن تيمية يقول: « وعامة كلام أحمد إنما هو بجهم اللفظية لا يكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية » مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٢. فإن كان هذا هو وجه استنكار ابن تيمية لهذه المقولة وبتلك الصيغة، فلا بأس بذلك فإني لم أجِد من ذكرها غيره رحمه الله، وإن كان مقصده أن الإمام أحمد لم يصدر منه تجهيم لمن يقول بخلق اللفظ، ولا تبديع لمن يقول بعدم خلقه. وهذا هو الأقرب والدليل على ذلك قوله بعد ذلك « فكيف يتوهم على أبي عبد الله مثل هذا القول وأنت تعلم أن الحق لا يخلو من أن يكون في أحد الأمرين. الخ » الإختلاف في اللفظ ص ٤٧.

أقول: إن كان هذا مقصده رحمه الله فلا نسلم له به لاستفاضة هذا الموقف عن الإمام أحمد استفاضة لاتدع مجالاً للشك كما ذكر ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٣٧.

ومن يتبع بعض المواطن التي نسبت فيها هذه المقالة وهذا الموقف للإمام أحمد يدرك وجاهتها وما فيها من سد ذريعة لأمر خطيرة. وهذه بعض تلك المظان على سبيل المثال: - مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/٧٤، ١٧٠، ٢٦٣، ونسبها إليه أيضاً وذكر أنها الصواب عند جماهير أهل السنة في ١٢/٥٧٣، وبين أنها المنصوص عنه وعن أصحابه في ١٢/٢٣٨، ونقلها كذلك في الفتاوى ١٢/٣٢٥، عن أبي بكر محمد بن هارون الخلال الذي اعتنى بعلم الإمام أحمد وجمع نصوصه وأقواله في جميع أبواب الدين.

وتَوَجَّ بها ابن قيم الجوزية موقف البخاري وأحمد من تلك الزويع، مختصر الصواعق المرسلة، ص ٤٤٠هـ.

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٣٩.

مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم، وحركاتهم بل يدخلون في كلامهم نفس كلام الله الذي نقرأ بأصواتنا وحركاتنا، وعارضهم طائفة أخرى، فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع» (١).

ثانياً: ومن أوضح هذه التوجيهات ما ذكره شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (٢) معقباً على كلام الإمام محمد بن جرير الطبري (٣) في كتابه الاعتقاد الذي صنفه في هذه المسألة وفيه بين متابعتة التامة لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل واعتبار أن قوله وموقفه فيه الغنى والشفاء لقيامه مقام الأئمة الأول، وبهذا نفى عن نفسه مارمى به من عدول عن السنة فبعد أن نقل الإمام الصابوني هذه المقولة من طريق محمد بن جرير

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٥٥/٧.

(٢) هو شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني نسبة إلى عمل الصابون وبيعه، انظر اللباب لابن الأثير ٢/٢٢٨، ولد سنة ٣٧٣هـ كان حافظاً، كثير السماع والتصانيف حريصاً على العلم، مجمع على أنه عديم النظير، وسيف السنة، ودافع البدعة، توفي سنة ٤٤٩هـ، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» تصنيف الإمام عبد الغافر الفارسي، وانتخاب إبراهيم بن محمد الصريفي، ص ١٣١، سير أعلام النبلاء ٤٠/١٨.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الإمام العالم المجتهد ولد سنة ٢٢٤هـ، كان ثقة، صادقاً، حافظاً رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، له من الكتب المطبوعة، تاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار واختلاف الفقهاء، وجامع البيان في تفسير القرآن، كان قد وقع بينه وبين ابن أبي داود، وكان كل منهما لا ينصف الآخر، وكانت الحنابلة حزب أبي بكر ابن أبي داود، فكثروا وشغبوا على ابن جرير، وناله أذى، ولزم بيته، وكان على منهج السلف في عقيدته، توفي سنة ٣١٠هـ، راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١٦٢-١٦٩، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٦٧.

قال : «والذى حكاه عن أحمد رضي الله عنه وأرضاه أن اللفظية جهمية فصحيح عنه » وإنما قال ذلك لأن جهماً وأصحابه صرّحوا بخلق القرآن ، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن ، « فأدرجوه في هذا القول ذي اللبس لئلا يُعدّوا في زمرة جهم الذين هم شياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق ، فلذلك سماهم الإمام أحمد جهمية وحكي عنه أيضاً أنه قال : اللفظية شر من الجهمية ، وأما ما حكاه محمد بن جرير رحمه الله أن « من قال لفظي غير مخلوق فهو مبتدع » وإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال إليه ، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوى الحمق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المثالات ، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام ، فقال الإمام أحمد هذا القول في نفسه بدعة ، ومن حق المتدين أن يدعه « وكل بدعة مبتدعة » ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ، ويقتصر على مقالة السلف المتبعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه (١) .

ثالثاً : قال ابن القيم رحمه الله في توجيه منع الإطلاقين : « والذى قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران » -

(أ) الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولا فعل له .

(ب) التلفظ به والأداء له وفعل العبد . فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني وهو خطأ ، فمنع الإطلاقين " (٢) .

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث / أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة

ص ١٠ تحقيق بدر البدر ، وهي ضمن الرسائل المنيرة ١/ ١٠٥ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٣٩ .

وهذا مما لا شك فيه من فقهه رحمه الله لواقعه ومجتمعاته آنذاك : فما أن استراحت النفوس من المصيبة الصّماء فتنة خلق القرآن حتى انفتحت فتن أخرى فيها من الغموض والدقة ما قد يخفى على العلماء فضلاً عن عامة الناس وطلبة العلم . فاكتمى رحمه الله بهذه القاعدة ، ليجنب الناس شروراً كثيرة في عقائدهم ، وليكتفوا بفهم « أن القرآن كلام الله غير مخلوق » ولا يتجهموا باعتقاد أن اللفظ بالقرآن مخلوق ، فيدخلوا كلام الله ضمن اللفظ الذي هو فعل العبد فيقعوا في المحذور العظيم ، ولا يبتدعوا ويضلوا باعتقاد « أن اللفظ غير مخلوق » لأن في ذلك عدولاً عن منهج السلف الصالح ، ويوهم أن أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة .

قال ابن تيمية رحمه الله : (فلهذا منع أئمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا ، وكان هذا وسطاً بين الطرفين وكان أحمد وغيره من الأئمة يقولون : « القرآن حيث تصرف كلام الله غير مخلوق » فيجعلون القرآن نفسه حيث تصرف غير مخلوق ، من غير أن يقترن بذلك ما يشعر بأن ألفاظ العباد وصفاتهم غير مخلوقة) (١) .

وهذا الذي أراده الإمام أحمد وهو تجنب المسلمين الشقاق والفرقة ، ومحافظةهم على سلامة العقيدة ، قد وقع خلافه ، إذ نشأت طائفتان تعلقتا بإحدهما بأحد قوليه ونسبته إليه ، وتعلقت الأخرى بالقول الآخر وادّعت أن أحمد قاله ، وادّعاه الجميع فإنه بعد الفتنة أصبح إماماً و قدوة لجميع الطوائف ، وكان رحمه الله يغضب أشد الغضب إذا بلغه أن إحدى الطائفتين تنسب إليه أحد القولين . (٢)

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٦٥ .

(٢) ويروى عنه رحمه الله تعالى في ذلك قصص منها " موقفه من أبي طالب ، وابن شداد " وسبأني سرد القصتين ص ٣٣٠-٣٣١ .

ومن الضروري والواجب أن أقرر هنا أن هذا الموقف من الإمام أحمد ليس هو خلاصة عقيدته في اللفظ بالقرآن، يتبين ذلك من آخر كلام ابن تيمية السابق وفحواه أن الإمام أحمد يعتقد أن ألفاظ العباد وصفاتهم مخلوقة.

وإنما هو «أولاً» وقفة حازمة ولازمة في مثل تلك الظروف والفتن التي تعصف بالأمة في صلب دينها، وقد استقر بالفطرة عند المجتمعات قبل هبوب هذه العاصفة أن كل ماله علاقة بالمخلوق فهو مخلوق، فلما نشأت هذه القضية أراد الإمام أحمد أن يثبت الناس على ما استقر لديهم، ويرسم لهم موقفاً لا تنزل فيه الأقدام بعدم إطلاق القول بخلق اللفظ أو عدم خلقه لما في الجانبين من حق وباطل.

«ثانياً» ومن جهة أخرى فإن المجتمع ليس على شاكلة واحدة من سلامة العقيدة والرغبة في معرفة الحق واعتناقه، فإن فيه من يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيه من تنطلي عليه شبه المعطلين، وفيه المريد للحق والخير، وأغلب هؤلاء يصعب عليه إدراك وجه الحق في مثل هذه القضية لدقتها وغموضها، ومنهم من يدركه ويتنكب عنه إلى الباطل، . . . فكان هذا الموقف الصارم منه رحمه الله سداً لباب الكلام في القضية لئلا يتذرع به إلى أقوال فاسدة ومعتقدات باطلة.

المطلب الثالث

نشأة القضية ... وسبب الاشتباه

ووجه الحق في ذلك

لبيان موضع الاشتباه وسببه . . . نقطف من أقوال أئمة الإسلام بعض ماوقفنا على ذلك ، وقد عَيَّنْتُ واختَرْتُ اثنين ممن عُنُوا بالبيان المفصَّل أكثر من غيرهم ، وراعت في الاختيار البعد الزمني والاختلاف في الأسلوب : وهما الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري^(١) الذي عاصر الفتنتين وواكب الأحداث ، والإمام تقي الدين ابن تيمية ، ولعل تأخره الزمني قد مكّنه من هضم كتب السالفين ، أضف إلى ذلك فرط ذكائه وروعة استنباطاته وتحليلاته مما يجعل المرء يحط رحال التطواف عند كنوزه ومكنوناته .

وسأشير في الهامش إلى جهود متضافرة كلّها هبّت لإزالة الالتباس ، وتقرير الصواب تركت إثباتها خوف الاسهاب والملال^(٢) .

أولاً : الإمام ابن قتيبة :

كان بيان الإمام ابن قتيبة لسبب الاشتباه موسعاً وعميقاً . . . ومؤيداً بالأدلة . . . وكان حلّه لرموز هذا الاشتباه واضحاً جلياً ومدعماً بالأمثلة :

قال رحمه الله بعد تصويره لحال أهل الحديث وتشانئهم وإكفار بعضهم بعضاً : «وليس ماختلفوا فيه مما يقطع الألفة ولا تمّما يوجب الوحشه لأنهم مجمعون

(١) سبقت ترجمته ص ٢٠٨ .

(٢) مثل ما ذكره الإمام الذهبي في مواضع كثيرة من ترجمته لأعلام النبلاء ومن ذلك مقاله في ترجمة داود الأصبهاني في السير ١٣ / ١٠١ ، وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤٣٥ ، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي ، باب الفرق بين التلاوة والمتلو ص ٢٦٤ ، وانظر عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي إسماعيل الصابوني ، ضمن الرسائل المنيرة ١ / ١٠٥ ، وقد حققها مستقلة بدر البدر ، وانظر تعليقات السبكي في طبقات الشافعية عند ترجمته للبخاري والذهلي . . . الخ .

على أصل واحد وهو «القرآن كلام الله غير مخلوق» في كل موضع وبكل جهة، وعلى كل حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه ولم يكن معهم آلة التمييز ولا فحص النظارين ولا علم أهل اللغة.

فاذا فكر أحدهم في القراءة وجدها قد تكون قرآناً لأن السامع يسمع القراءة وسامع القراءة سامع للقرآن وقال الله عز وجل ﴿فاستمعوا له﴾^(١) وقال ﴿حتى يسمع كلام الله﴾^(٢) ووجدوا العرب تسمي القراءة قرآناً، قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ضحو بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً^(٣)

أي تسبيحاً وقراءة وقال أبو عبيد يقال : قرأت قراءة وقرآناً بمعنى واحد فجعلها مصدرين لقرأت وقال تعالى ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾^(٤) أي قراءة الفجر فيعتقد من هذه الجهات أن القراءة هي القرآن غير مخلوق.

ويفكر آخر في القراءة فيجدها عملاً لأن الثواب يقع على عمل لا على أن قرآناً في الأرض، ويجد الناس يقولون : قرأت اليوم كذا وكذا سورة، وقرأت في تقدير فعلت كما تقول : ضربت وأكلت وشربت، ونجدهم يقولون : قراءة فلان أحسن من قراءة فلان، إنما يريدون أداء فلان للقرآن أحسن من أداء فلان، وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان، وإنما يراد في جميع هذا العمل، لأنه لا يكون قرآن أحسن من قرآن، فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل وأنها غير القرآن،

(١) سورة الأعراف ٢٠٤.

(٢) سورة التوبة ٥٦.

(٣) من مراثية حسان بن ثابت في أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما، انظر شرح ديوان

حسان بن ثابت، وضع وتصحيح عبدالرحمن البرقوقي ص ٤٦٣.

(٤) سورة الإسراء ٧٨.

وأن من قال « القراءة غير مخلوقة » فقد قال : إن أفعال العباد غير مخلوقة . . .
فلما وقعت هذه البلية فزع الناس إلى علمائهم وذوي الرأي فيهم فاختلفوا
عليهم (١)

ثم تطرق رحمه الله إلى أقوال في المسألة وزاد بياناً لهذه المعضلة وأثرها في
المجتمع ثم عاد مرة أخرى لبيان وجه الحق والصواب فيها :-

قال : وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن أن القراءة
لفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل والآخر قرآن، إلا أن العمل
لا يتميز من القرآن كما يتميز الأكل من المأكول، فيكون المأكول المضموع والمبلوع،
ويكون الأكل والمضغ والبلع، والقرآن لا يقوم بنفسه وحده كما يقوم المأكول بنفسه
وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع : كتابة، أو قراءة، أو حفظ، أو استماع .

فهو بالعمل [أ] في الكتابة قائم والعمل خط وهو مخلوق ، والمكتوب
قرآن وهو غير مخلوق .

وهو بالعمل [ب] في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن
وهو مخلوق ، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق .

وهو بالعمل [ج] بحفظ القلب قائم في القلب والحفظ عمل وهو مخلوق ،
والمحفوظ قرآن وهو غير مخلوق .

وهو بالعمل [د] بالاستماع قائم في السمع والاستماع عمل وهو مخلوق ،
والمسموع قرآن وهو غير مخلوق (٢) .

(١) الاختلاف في اللفظ ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٢ .

ويزيدنا ابن قتيبة رحمه الله بياناً لهذه القضية وذلك بضرب الأمثلة فيقول :
فإن قال قائل : ما تقول في القراءة ؟ قلت : قرآن متصل بعمل ، فإن قال :
أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ قلت له : سألت عن كلمة واحدة تحتها معنيان ،
أحدهما مخلوق وهو العمل والآخر غير مخلوق وهو القرآن . فإن قال : فما
شبه هذا ؟ قلنا : رجلان نظرا إلى جمرة حمراء فقال أحدهما هي جسم وقال الآخر
هي نار ، وتجادلا في ذلك وشرق الأمر بينهما حتى حلف كل واحد بالطلاق على
ما قال ثم صارا إلى الفقيه فقالا : إنا اختلفنا في جمرة فقال أحدهما هي جسم وقال
الآخر هي نار ، وتمارينا في ذلك حتى حلف كل متنا بالطلاق على ما ادعى ، فقال
الفقيه لكل واحد منها : صدقت ولكن ذكرت شيئاً ذا معنيين بأحد معنييه فالجمرة
مثل للقراءة لأنها اسم واحد يجمع معنيين الجسم والنار ، كما أن القراءة تجمع
معنيين ، العمل والقرآن ولو كان أحد المختلفين قال هي جسم ونار قد جمع لها
الصنفين ، كما أن من قال القراءة عمل وقرآن قد جمع لها الصنفين (١) .

ويضرب رحمه الله أمثلة أخرى بالنجم والأكل والقتل فيقول :

وكذلك لو اختلف اثنان في نجم فقال أحدهما هو نار وقال الآخر هو نور
كانا جميعاً صادقين لأن النجم اسم ذو معنيين « نار ونور » وكذلك فلو اختلف
اثنان في أكل الإنسان فقال أحدهما هو مضغ وقال الآخر هو بلع كانا جميعاً
صادقين لأن أكل الإنسان اسم ذو معنيين . « مضغ وبلع »

وكذلك لو اختلفا في القتل فقال أحدهما هو جرح وقال الآخر هو
موت لأن القتل اسم ذو معنيين « عمل وموت » ويزيل رحمه الله اشتباهاً قد
يقع عند سماع المصدرين « القراءة واللفظ » بعد دخول اللام على الأول والباء
على الثاني .

(١) المصدر السابق ص ٥٣ .

ويقول : وقد بقيت بعدما بينت لطيفة قد يغلط في مثلها وهي أن السامع إذا سمع قائلاً يقول : « قراءتي للقرآن » « ولفظي بالقرآن » قراءة القرآن مفردة عن القرآن ، واللفظ منفرد عن القرآن . توهم أن كل واحد منهما غير ممازج للقرآن وليس كذلك ، وإنما قوله للقرآن " بالقرآن " تمييز للقرآن من غيره ، لأن القارئ قد يقرأ غير القرآن . وهذا من أغمض ما مرَّ وأدقّه - فتأمله وتدبره حتى تفهمه وسأزيده إيضاحاً كأن رجلاً يسمى محمداً قرأ . فسمعه رجل يقال له زيد ، فقال لأخ له يقال له عبد الله : ما أحسن قراءة محمد ، فقال عبد الله ماذا قرأ ؟ فيقول زيد : القرآن ، وكذلك لو قال : ما أحسن لفظ محمد فقال عبد الله وبماذا لفظ ؟ فيقول له زيد : بالقرآن . فالقرآن ههنا تمييز وتبيين وكل من القرآن واللفظ يجمع معنيين عملاً وقرآناً (١) .

هذا مجمل ما ذكره ابن قتيبة نقلناه جملة وأطلقنا في عرضه لأهميته وتسلسله .

(١) المصدر السابق ص ٥٤ .

ثانياً : تقي الدين أحمد بن تيمية

أما الإمام ابن تيمية رحمه الله فقد أطلال النفس جداً في بيان أصل النزاع في قَضِيَّتِي خَلَقَ الْقُرْآنَ وَاللِّفْظَ بِهِ ، وَأَزَالَ الشُّبْهَ وَفَنَّدَ الْأَقْوَالَ ، وَأَعَادَ وَكَرَّرَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهَا شَارِدَةٌ وَلَا وَارِدَةٌ إِلَّا بَيْنَهَا بِأَسْلُوبِهِ الْمُتَمِيزِ (١) .

وحتى لا يطول بنا مقام الاستشهاد بأقواله والتأليف بينها ، لكثرتها وتناثرها وتنوع مطالبها وطولها إذ أن بعضها كان مجرد إجابة على سؤال رام فيها الاختصار فاضطره المقام إلى أن أصبحت رسالة أو كتاباً ، وقد كان رحمه الله يدرك أهمية الاستقصاء والشمول في هذه القضايا المشككة ، وإن اختزال بعض كلامه أو محاولة جمع ما تناثر من أقواله لهو تشويه لعلمه وما أراد بيانه للناس وإن حاله كما قال المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم (٢)

فعزيمة ابن تيمية على قدره وما أشبهه رحمه الله إلا بالبحر الذي ينتفع منه غالب الناس ، باستخراج ما فيه من حلية ومتاع ، ومُخْرِ عِبَابِهِ لِرُؤْيَا البلدان وتحصيل المنافع ، وهكذا كان ابن تيمية بحراً في جميع العلوم يستقي منه جميع الناس حتى المخالفون ، وموجاً هادراً على المستبدين من الغزاة والجامدين من الحكام والعلماء ، لذا كان أول من تجرأ بعد قرون متطاولة على كسر هذا الجمود والتقليد المذهبي ، والابتداع العقائدي ، والتفوق ، ومن كان هذا حاله وجب أن ترتفع إلى مقداره ، وتأخذ من علمه قدرًا يعيننا على فهم كل مراده . .

(١) وفي فتاويه كم كبير من بيان هذه المسألة حتى إن المجلد الثاني عشر يكاد يكون كله في بيانها وللوقوف على سائر كلامه في مجموع الفتاوى يرجع إلى المحتويات الإجمالية لـ « القرآن كلام الله حقيقة » فقد فهرس الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ذلك في ثلاث عشرة صفحة ، انظر : ٣٦ / من ص ٢١٧ إلى ٢٣٠ .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي ٣ / ٣٧٨ ، وشرحه التبيان في شرح الديوان لأبي البقاء العكبري .

لذا : فيإني أنقل جزءاً كبيراً من نص كامل له عثرت عليه في كتابه درء تعارض العقل والنقل ^(١) وقد اخترته دون غيره من النصوص والرسائل لأمرين :

أولاً : لأنه أقصر نصوص ابن تيمية الجامعة المانعة على العموم في هذا الموضوع ^(٢) فإنه قد تعرّض فيه لنشوء الالتباس ، وموارد النزاع ، ووجه الحق في المسألة ، وتسلسل ظهور الفهم الخاطئ ومن تبناه ، وبيان مراد الطائفتين اللتين تنازعتا في موافقة الإمام أحمد لهما ، ومخالفة بعض أتباعهم لهم إلى أقوال خطيرة . . . ثم توارث التفرق في أتباع الطائفتين مع بيان أسماء بعض العلماء القائلين بكل قول ، والمنشئين لكل طائفة . . . الى غير ذلك .

ثانياً : الأمر الآخر الذي جعلني أنقل معظم النص أنه رحمه الله تملك زمام القضية عرضاً وروعة في البيان . . . مما لم أجده عند غيره بهذا الاستقصاء والشمول ووجازة العبارة . . . فأثبته . . . وعملت عليه دراسة مقارنة . . من كتبه الأخرى . . وكتب غيره من العلماء لتفصيل ما أجمله . . أو تبين ما أبهمه مما في بيانه زيادة إيضاح كقصة أبي طالب مع الإمام أحمد التي أشار إليها ، أو ذكر ما أهمله من الأسماء لدى بعض الطوائف ، أو سياق خلاصة مسائل جدّت خلال

(١) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم " وجدير بالذكر أن لهذا الكتاب أكثر من خمسة أسماء متقاربة العناوين أشار إليها جميعاً المحقق في مقدمته ٤ / ١ " والكتاب مطبوع باسم " موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول " باعتناء عبدالرحمن الوكيل .

(٢) وللشيخ الإمام رسائل جامعة مانعة ولكنها طويلة يتعذر عرضها في هذا الموضع مثال ذلك : رسالة في مسألة اللفظ في مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٣٣-٤١٦ ، وقد تعرض فيها لأساس القضية من لدن تكذيب الأمم السابقة بأنبيائهم ورسالاتهم كقوم نوح ، وكفر آخرين ببعض ما جاء به الرسل كاليهود والنصارى ، وكإيمان آخرين ببعض صفات الرسالة وكفر ببعض ، كالصابئة والفلاسفة الذين فرخوا في دولة الإسلام أمثال القرامطة الباطنية من الإسماعيلية والنصيرية والحرورية والمزدكية ، وفروخ الجهمية الذين سببوا البلايا للأمة . . . ثم يستطرد ويأتي على شبهة الجهمية في كلام الله وأقوالهم والرد عليهم وبيان الحق في فتنتي الخلق واللفظ .

الأحداث ولم يبينها « كمسألة الحرف والصوت » . . أو تعليقات . . الخ مما أظن أنه يَسُدُّ ثغرات قليلة في هذا النص . . . وابن تيمية لم يجرد قلمه لبيان قضية اللفظ لذاتها . . . ولو كان ذلك لما ترك مكانا للتعقيب . . وقد عَنُونْتُ لبعض المواطن المهمة بعنوان يبين ما تحتها وجعلته بين قوسين إلى يسار الصفحة . . . وكذلك جعلت أمام كل طائفة رمزا بالحروف الأبجدية زيادة في الايضاح .

نص كلام ابن تيمية على اللفظ :

قال رحمه الله تعالى : « وكذلك مسألة اللفظ ^(١) فإنه لما كان السلف والأئمة متفقين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقد علم المسلمون أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه محمد إلى الخلق ، وأن الكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه ، بل هو كلام لمن قاله مبتدئاً ، لا كلام من بلغه عنه مؤدياً . فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرء ما نوى » ^(٢) وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد حتى وصل إلينا ، كان من المعلوم أننا إذا سمعناه من المحدث به إنما سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، وإنما سمعناه من المبلغ عنه بفعله وصوته ، ونفس الصوت الذي تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم لم نسمعه ، وإنما سمعنا صوت المحدث عنه والكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا كلام المحدث .

(١) كلام ابن تيمية رحمه الله هنا على مسألة اللفظ . . . أحد ثلاثة أمثلة ضربها في كتابه ليدلل على أن المتكلمين المبتدعة إنما ارتكزوا في أقوالهم وأفكارهم ومناقشاتهم على « عقليات مبتدعة بنيت على أقوال مشتبهة مجملة تشتمل على حق وباطل » وهذه الأمثلة هي : (أ) الكلام على الرؤية (ب) كلمة جبر (ج) اللفظ بالقرآن ومن عرضنا واستشهدنا لكلامه وتحليلاته القيمة في هذه المسألة يتضح لنا ما تميز به رحمه الله تعالى من عبقرية فذة ، وذكاء مفرط ، وإطلاع واسع ، وإلمام بالعلوم والمسائل حتى إنه ليدع المرء يفتق ذهنه بما غاب عنه وجهله ، وينشرح صدره للعلم الذي حازه من جعبة هذا الجهد الذي يحقُّ لأمتنا أن تفتخر بانتسابه إليها ، وكان كلامه على هذه « العقليات المبتدعة . . . إلخ » هو الوجه السابع عشر من جوابه التفصيلي بعد الجواب الإجمالي على قانون التأويل ومناقشته للقائلين به . . . من أمثال الفخر الرازي الذي مزج المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال . . . وقد كان الفخر وأتباعه قبل توبته قد جعل هذا القانون مرشداً فيما يستدل به من كتب الله ، وكلام أنبيائه ، وما لا يستدل به ولذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء في صفات الله ظناً منهم أنها تعارض العقل . . . طالع درء تعارض العقل والنقل ٤ / ١ .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣ / ١ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم ، إنما الأعمال بالنية ٣ / ١٥١٥ .

فمن قال إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفترياً، وكذلك من قال : إن هذا لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أحدثه في غيره، أو إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم به بلفظه وحروفه، بل كان ساكناً أو عاجزاً عن التكلم بذلك، فعلم غيره ما في نفسه، فنظم هذه الألفاظ ليعبر بها عما في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، أو نحو هذا الكلام. فمن قال هذا كان مفترياً، ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي صلى الله عليه وسلم، كان مفترياً.

فإن كان هذا معقولاً في كلام المخلوق، فكلام الخالق أولى بإثبات ما يستحقه من صفات الكمال، وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله هي صفات العباد وأفعالهم أو مثل صفات العباد وأفعالهم.

فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئ كلام الله، كما قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرِهِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (١) ليس هو كلاماً لغيره، لالفظه ولا معناه ولكن بلغه عن الله جبريل، وبلغه محمد رسول الله عن جبريل، ولهذا أضافه الله إلى كل من الرسل، لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أحدث لالفظه ولا معناه، إذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر، فقال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَاهُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُذَكِّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) فهذا محمد صلى الله

(١) سورة التوبة آية ٦ .

(٢) سورة الحاقة آية ٤٠ - ٤٣ .

عليه وسلم . وقال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ ﴾ ^(١) فهذا جبريل عليه السلام .

وقد توعد الله تعالى من قال ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ ^(٢) فمن قال إن هذا إلا قول البشر فقد كفر ، وقال بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر ، ومن قال : « إن شيئاً منه قول البشر » فقد قال ببعض قوله ، ومن قال : « إنه ليس بقول رسول كريم ، وإنما هو قول شاعر أو مجنون أو مفتر » أو قال : « هو قول شيطان نزل به عليه » ونحو ذلك ، فهو أيضاً كافر ملعون .

(فرق بين سماعنا كلام المتكلم منه ، وبين سماعنا إياه من المبلغ عنه)
وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه أو من المبلغ عنه ، وأن موسى سَمِعَ كلام الله من الله بلا واسطة ، وأما نحن إنما نسمع كلام الله من المبلغين عنه ، وإذا كان الفرق ثابتاً بين مَنْ سَمِعَ كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه وبين من سمعه من صاحب المبلغ عنه ، فالفرق هنا أولى ، لأن أفعال المخلوق وصفاته أشبه بأفعال المخلوق وصفاته . . من أفعاله وصفاته بأفعال الله وصفاته . ولما كانت الجهمية يقولون : « إن الله لم يتكلم في الحقيقة ، بل خلق كلاماً في غيره » ومن أطلق منهم أن الله تكلم حقيقة ، فهذا مراده ، فالنزاع بينهم لفظي - كان من المعلوم أن القائل إذا قال : « هذا القرآن مخلوق » كان مفهوم كلامه أن الله لم يتكلم بهذا القرآن ، وأنه ليس هو كلامه ، بل خلقه في غيره ^(٣) .

(معنى كلام المسلمين أن هذا القرآن كلام الله)

(١) سورة التكوين آية ١٩ - ٢٣ .

(٢) سورة المدثر آية ٢٥ .

(٣) مورد ومنبع الفتنة هو نظرة الجهمية إلى كلام الله ، وأنه لا يتكلم وينوا على هذا التبصير الفاسد بقية آرائهم وأقوالهم المهترئة التي لا تماسك أمام النصوص الشرعية والحجج العقلية السليمة كما سيأتي في بقية كلام ابن تيمية . . فانظر إلى هذا التطاول السافر على ذات الله وصفاته عز وجل ، وما هذا إلا إحدى بلايا وبوائق المناهج المنحرفة عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وإذا فسّر مراده بأنني أردت أن حركات العبد وصوته والمداد مخلوق، كان هذا المعنى - وإن كان صحيحاً - ليس هو مفهوم كلامه، ولا معنى قوله، فإن المسلمين إذا قالوا: « هذا القرآن كلام الله » لم يريدوا بذلك أن أصوات القارئ، وحركاتهم قائمة بذات الله، كما أنهم إذا قالوا: « هذا الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » لم يريدوا بذلك أن حركات المحدث وصوته قامت بذات رسول الله صلى الله عليه وسلم . بل وكذلك إذا قالوا في إنشاء لبيد: « ألا كل شيء ما خلا الله باطل . . . »

هذا شعر لبيد وكلام لبيد، لم يريدوا بذلك أن صوت المنشد هو صوت لبيد، بل أرادوا أن هذا القول المؤلف . لفظه ومعناه هو للبيد، وهذا منشده، فمن قال: « إن هذا القرآن مخلوق » أو: « إن القرآن المنزل مخلوق » أو نحو هذه العبارات كان بمنزلة من قال: إن هذا الكلام ليس هو كلام الله، وبمنزلة من قال عن الحديث المسموع من المحدث: إن هذا ليس هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بهذا الحديث، بمنزلة من قال: إن هذا الشعر ليس هو شعر لبيد، ومعلوم أن هذا كله باطل .

ثم إن هؤلاء صاروا يقولون^(١): هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن وقراءته، وتلاوة القرآن مخلوقة، وقراءة القرآن مخلوقة، ويقولون: تلاوتنا

(١) هذه هي المرحلة الثانية من اضطرابات الجهمية وأقوالهم الخطرة وتطورها . . وانظر كيف استتروا بقولهم " لفظنا بالقرآن مخلوق " وهو قول مجمل مشتبه يحتاج لتفصيل بين الملفوظ " وهو كلام الله المنزل " وبين لفظ العبد أي " حركته وفعله " ثم يدخلون أحد جانبي الكلمة في دائرة الخلق وهو ما جهمهم عليه الإمام أحمد رحمه الله لأنهم تدرجوا باللفظ إلى خلق القرآن لما خافوا من سطوة أهل السنة .

للقرآن مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة، ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع، ويقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع. فأنكر الإمام وغيره من أئمة السنة هذا، وقالوا: اللفظية جهمية، وقالوا: افرقت الجهمية ثلاث فرق: فرقة قالت: القرآن مخلوق، وفرقة قالت: نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وفرقة قالت: تلاوة القرآن واللفظ بالقرآن مخلوق (١).

(بداية وأصل الاضطراب والتخلخل في صفوف أهل

السنة وذلك باطلاق ألفاظ مجملة فيها حق وباطل) (٢)

فلما انتشر ذلك عن أهل السنة غلظت طائفه فقالت: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وتلاوتنا له غير مخلوقة، فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وأمر بهجرهم.

(١) نقل الدكتور محمد رشاد محقق الكتاب ١/ ٢٦٠. نصاً عن الإمام أحمد من كتابه السنة «ضمن مجموعة شذرات البلاتين ص ٤٩» فحوى الكلام السابق إلا أنه كفر جميع الفرق، ومن لم يكفرهم فهو مثلهم. "قلت" يُحْمَلُ تكفير الإمام أحمد للفرقة الثالثة وهم اللفظية القائلين بخلق التلاوة واللفظ... على أنهم يريدون بقولهم خلق القرآن... لأن ابن تيمية رحمه الله ذكر أن الإمام أحمد في عامة كلامه عن اللفظية إنما هو يجهمهم لا يكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية... انظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٦... وكان تجهيم الإمام أحمد لهم لمعرفته أن هناك من يقول قولهم ولا يريد مرادهم كما حدث عند طوائف من أهل السنة وقد صرح بذلك رحمه الله تعالى فيما نقله عنه الإمام الذهبي رحمه الله قال: 'قلت: الذي استقر عليه الحال، أن أبا عبد الله كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع، وأنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي. فكان رحمه الله لا يقول هذا ولا هذا. وربما أوضح، فقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن فهو جهمي. سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٨٨.

(٢) لذا كان أمام الإمام أحمد أحد أمرين: إما التفصيل البالغ... وهذا يصعب فرزه وفهمه خصوصاً على العامة وأنصاف المتعلمين، وإما منع الكلام في المسألة على أي حال حفاظاً على سلامة عقيدة الناس " وهذا من فقهه " ولكن الناس إن أمسكت ألسنتهم لم تمسك قلوبهم وإن أمسكت قلوبهم لم تمسك عقولهم... فتشابهت عليهم الأمور وتكلموا فوق الاضطراب الشديد حتى بين العلماء.

ولهذا ذكر الأشعري في مقالاته هذا عن أهل السنة وأصحاب الحديث فقال: [والقول باللفظ والوقف عندهم بدعة، من قال: اللفظ بالقرآن مخلوق فهو مبتدع عندهم، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع].

وكذلك ذكر محمد بن جرير الطبري في « صريح السنة » أنه سمع غير واحد من أصحابه يذكر عن الإمام أحمد أنه قال: [من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع].

وصنف أبو محمد بن قتيبة في ذلك كتاباً، وقد ذكر أبو بكر الخلال هذا في كتاب « السنة » ويسط القول في ذلك، وذكر ماصنفه أبو بكر المروزي في ذلك. وذكر قصة أبي طالب (١) المشهورة (٢) عن أحمد التي نقلها عنه أكابر أصحابه، كعبد الله وصالح ابنه والمروزي وأبي محمد فوران ومحمد بن إسحاق الصاغانى وغير هؤلاء.

(تسلسل ظهور طوائف أهل السنة وأتباعهم)

أ - طائفة تطلق لفظاً مجملاً ومرادهم صواب

(١) أبو طالب تقدمت ترجمته ص ٣٠٧.

(٢) القصة ساقها ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى قال: وقال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل في « كتاب المحنة » تنهى إلي أن أبا طالب حكى عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرت أبي بذلك فقال: من أخبرك؟ قلت: فلان، فقال: ابعث إلى أبي طالب، فوجهت إليه فجاء، وجاء فوران، فقال له أبي: أناقلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب وجعل يرتعد، فقال له: قرأت عليك: « قل هو الله أحد » فقلت لي: هذا ليس بمخلوق؟ قال له: فلم حكيت عني أنني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وضعت ذلك في كتابك، وكتبت به إلى قوم، فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم: أنني لم أقل هذا وغضب، وأقبل عليه فقال: تحكي عني ما لم أقل لك؟ فجعل فوران يعتذر له وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب، فذكر أنه حك ذلك من كتابه وأنه كتب إلى القوم يخبرهم، أنه وهم على أبي عبد الله في الحكاية. مجموع الفتاوى ٤٢٣/١٢. وقد روى القصة الخلال في كتاب السنة « بصيغة مقاربة... » وقد نقلها أيضاً رحمه الله في ٤٢٥/١٢.

وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك ، فصار طائفة منهم يقولون « لفظنا بالقرآن غير مخلوق » ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد ، كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن داود المصيصي (١) ، وطوائف غير هؤلاء (٢) .

(ب - طائفة تابعه لهؤلاء يطلقون اللفظ المجمل ولكن مرادهم خطير .)

= وتروى قصة مماثلة في نفس هذا الباب عن رجل آخر هو ابن شداد ، قال الخلال في الستة : حدثنا المروذي قال لي أبو عبد الله : قد غيظ قلبي على ابن شداد قلت : أي شيء حكى عنك ؟ قال : حكى عنى في اللفظ ، فبلغ ابن شداد أن أبا عبد الله قد أنكر عليه فجاءنا حمدون بن شداد بالرقعة فيها مسائل ، فأدخلتها على أبي عبد الله ، فنظر فرأى فيها : إن لفظي بالقرآن غير مخلوق - مع مسائل فيها - فقال أبو عبد الله : فيها كلام ما تكلمت به ، فقام من الدهليز فأخرج المحبرة والقلم ، وضرب أبو عبد الله على موضع : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وكتب أبو عبد الله بخطه بين السطرين : القرآن حيث تصرف غير مخلوق ، وقال : ماسمعت أحداً تكلم في هذا بشيء وأنكر على من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق . مجموع الفتاوى ٤٢٤/١٢ .

(قلت) في هاتين القصتين دلالة على اللبس في فهم المسألة حتى من أقرب الناس للإمام أحمد ، وعدم تجهيمه لهذين دليل إدراكه أن هناك من يطلق اللفظ بالفهم الخاطئ أو يطلقه ويروم تنزيه الله عن خلق كلامه .

(١) محمد بن داود أبو جعفر المصيصي روى عن حجاج بن منهال وأحمد بن حنبل ، وعنه أبو داود والنسائي ، وآخرون . قال الأجرى عن أبي داود : كان يتقد الرجال ومارأيت رجلاً أعقل منه ، وقال الخلال : كان من خواص أحمد ورؤسائهم . تهذيب التهذيب ١٣٦/٩ .

(٢) من أهم هؤلاء الإمام محمد بن يحيى الذهلي إن صحَّت نسبة هذا القول إليه أو تلفظه به فإنني لم أجد نصاً واحداً عنه يبين ذلك فيما اطلعت عليه وعلى فرض قوله ذلك فيجب حمله على مراد أبي حاتم ومحمد المصيصي السابق وهو " أن القرآن المسموع غير مخلوق ، مع عدم ادخالهم صوت العبد ضمن دائرة عدم الخلق " وقد ذكر نسبة هذا القول للذهلي الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى فقال : والقول بأن " اللفظ غير مخلوق " نُسبَ إلى محمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي ، بل وبعض الناس ينسبه إلى أبي زرعه الرازي أيضاً ، ويقول : إنه هو وأبو حاتم هجرا البخاري لما هجره محمد بن يحيى الذهلي مجموع الفتاوى ٢٠٧/١٢ وما يؤكد أن هؤلاء جميعاً لا يدخلون صوت العبد وفعله ضمن عدم الخلق كلام أبي نصر السجزي أحد أتباعهم وأعظم القائلين بأن اللفظ بالقرآن هو القرآن وهو غير مخلوق . ٤٢٩/١٢ . وبالمقابل نجد أن القول " بأن اللفظ مخلوق " نُسبَ أيضاً إلى البخاري وسيأتي الكلام على ذلك قريباً .

وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف فيه،
ففهم ذلك بعض الأئمة، فصار يقول: أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة، رداً
على هؤلاء، كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما من أهل العلم
والسنة، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة، وأهواء
للتفوس حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة، وحصل بين البخاري ومحمد
ابن يحيى الذهلي في ذلك ما هو معروف^(١).

وصار قوم مع البخاري كمسلم بن الحجاج ونحوه، وقوم عليه كأبي زرعة
وأبي حاتم الرازيين وغيرهما. وكل هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث، وهم
من أصحاب أحمد، ولهذا قال ابن قتيبة: إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من
أقوالهم إلا في مسألة اللفظ^(٢). وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو،
والقراءة هي المقروء وليس مرادهم بالتلاوة المصدر^(٣) ولكن الإنسان إذا تكلم

(١) تفصيل ما حدث بينهما سيأتي في المبحث الرابع.

(٢) ذكر ابن تيمية مسائل أخرى غير هذه تنازع فيها المحدثون ويظهر أنها من الاختلاف في اللفظ،
وهل هو مخلوق أم غير مخلوق، وتفرعت عنه وهذه المسائل هي (أ) مسألة الإيمان وهل هو
مخلوق. (ب) مسألة نور الإيمان. (ج) والهدى. مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٣١/١٢. ويقول في
ذلك ابن تيمية: "وكلام الإمام أحمد في التلاوة والإيمان والقرآن" من نمط واحد وهو منع
الإطلاق لما فيه من الذريعة، مجموع الفتاوى ٣٦٣/١٢.

ويقول ابن قتيبة: "وذهب قوم من متحلي السنة إلى أن الإيمان غير مخلوق خوفاً من أن يلزمهم
أن يقولوا: لا إله إلا الله" مخلوق إذا كانت رأس الإيمان فركبها شعاعاً... الخ" الاختلاف
في اللفظ ص ٥٤. وقد تعرض باستفاضة لمسألة خلق الإيمان الأخ الأستاذ مؤسس العتيبي في
رسالة نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى قسم العقيدة وعنوانها "الإمام محمد بن نصر
المروزي وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف".

(٣) المصدر هو "فعل العبد وحركته بالقرآن" وهؤلاء قولهم خطير. قال ابن القيم: "والذين قالوا
التلاوة هي المتلو، فليست حركات الإنسان عندهم هي التلاوة، وإنما أظهرت التلاوة وكانت سبباً
لظهورها، وإلا فالتلاوة عندهم هي نفس الحروف والأصوات وهي قديمة... أ. هـ، انظر
مختصر الصواعق المحرقة ص ٤٣٦. ولعل هذا الفريق هو نفس الطائفة السابقة (ب) عبروا عن
رأيهم بأن التلاوة هي المتلو.

بالكلام فلا بدَّ له من حركة، ومما يكون عن الحركة من أقواله التي هي حروف منظومة ومعان مفهومة، والقول والكلام يراد به تارة المجموع فتدخل الحركة في ذلك، ويكون الكلام نوعاً من العمل وقسماً منه، ويراد به تارة ما يقترن بالحركة ويكون عنها، لانفس الحركة، فيكون الكلام قسماً للعمل، ونوعاً آخر ليس هو منه، ولهذا تنازع العلماء في لفظ العمل المطلق، هل يدخل فيه الكلام؟ على قولين معروفين لأصحاب أحمد وغيرهم، وبنوا على ذلك ما إذا حلف لا يعمل اليوم عملاً، فتكلم هل يحنث «أم لا»؟ على قولين، وذلك لأن لفظ الكلام قد يدخل في العمل وقد لا يدخل (١).

فالأول : كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم : [لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، فقال رجل : لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان] أخرجاه في الصحيحين (٢) فقد جعل فعل هذا الذي يتلوه آناء الليل والنهار عملاً، كما قال : « لعملت فيه مثل ما يعمل فلان ».

(١) من الأمثلة على ذلك خلاف ما سيذكره ابن تيمية . مذكره ابن قتيبة " . . . عن اللفظ والقراءة بالقرآن/ أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل والآخر قرآن . . . إلا أن العمل لا يتميز عن القرآن . . . الخ كلامه " الاختلاف في اللفظ ص ٥٢ .
قلت : فمن حلف أنها قرآن فهو صادق، ومن حلف أنها عمل فهو بار .
ويقول ابن تيمية رحمه الله " ولما كان الكلام لا يكون إلا بحركة وفعل تنشأ عنه حروف ومعاني صار الكلام يدخل في إسم الفعل والعمل، تارة باعتبار الحركة والفعل، ويخرج عنه تارة باعتبار الحروف والمعاني " مجموع الفتاوى ٤١٠ / ١٢ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب إغتياب صاحب القرآن ١٣١ / ٦ بنحوه، ورواه مسلم بلفظ مقارب في كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٥٥٨ / ١، بترقيم وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

والثاني : كما في قوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه﴾ (١) وقوله تعالى ﴿وماتكون في شأن وماتلوا منه من قرآن
ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ (٢).

ج- (طائفة يقولون : إن التلاوة هي المتلو

ويقصدون الفصل بين كلام الله وحركة العبد)

فالذين قالوا « التلاوة هي المتلو » من أهل العلم والسنة قصدوا أن التلاوة
هي « القول والكلام المقترن بالحركة » (٣) وهي الكلام المتلو .

د - (طائفة يقولون : إن التلاوة غير المتلو ، وفصلوا

أفعال العباد المخلوقة عن كلام الله غير المخلوق)

وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، والذين قالوا
من أهل السنة والحديث بذلك أرادوا أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ، ولا
أصوات العباد هي صوت الله وهذا الذي قصده البخاري وهو مقصود صحيح .

سبب تعدد هذه الأقوال والطوائف

وسبب ذلك أن لفظ : « التلاوة ، والقراءة ، واللفظ » مجمل مشترك : يراد
به المصدر ، ويراد به المفعول .

فمن قال : « اللفظ ليس هو الملفوظ ، والقول ليس هو المقول » وأراد
باللفظ والقول المصدر ، كان معنى كلامه أن الحركة ليست هي الكلام المسموع ،
وهذا صحيح .

ومن قال : « اللفظ هو الملفوظ ، والقول هو نفس المقول » وأراد باللفظ
والقول مسمى المصدر ، صار حقيقة مراده أن اللفظ والقول « المراد به الكلام

(١) سورة فاطر آية ١٠ .

(٢) سورة يونس آية ٦١ .

(٣) بمعنى أن التلاوة عندهم هي " كلام الله المسموع من العبد + حركة العبد بفيه تالياً قارئاً للقرآن .

المقول الملفوظ « هو الكلام المقول . الملفوظ ، وهذا صحيح . فمن قال : « اللفظ بالقرآن ، أو القراءة ، أو التلاوة ، مخلوقة » أو : « لفظي بالقرآن أو تلاوتي » دخل في كلامه نفس الكلام المقروء المتلو ، وذلك هو كلام الله تعالى . وإن أراد بذلك مجرد فعله وصوته كان المعنى صحيحاً ، لكن إطلاق اللفظ يتناول هذا وغيره . ولهذا قال الامام أحمد في بعض كلامه : " من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي " ^(١) احترازاً عما إذا أراد به فعله وصوته . وذكر اللالكائي أن بعض من كان يقول ذلك رأى في منامه كأن عليه فروة ورجل يضربه ، فقال له لا تضربني ، فقال : إني لا أضربك ، وإنما أضرب الفروة ، فقال : إن الضرب إنما يقع أله علي ، فقال : هكذا إذا قلت : " لفظي بالقرآن مخلوق " وقع الخلق على القرآن . ومن قال : " لفظي بالقرآن غير مخلوق ، أو تلاوتي " دخل ذلك في المصدر الذي هو عمله ، وأفعال العباد مخلوقة ، ولو قال : " أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق ، لا نفس حركاتي " قيل له : لفظك هذا بدعة ، وفيه إجمال وإيهام ، وإن كان مقصودك صحيحاً " كما يقال للأول إذا قال : أردت أن فعلي مخلوق : « لفظك أيضاً بدعة ، وفيه إجمال وإيهام ، وإن كان مقصودك صحيحاً » فلهذا منع أئمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا ، وكان هذا وسطاً بين الطرفين ^(٢) . وكان أحمد وغيره من الأئمة يقولون : القرآن حيث تصرف كلام الله غير

(١) قال البيهقي رحمه الله بعد نقله هذه الجملة " هذا تقييد حفظه عنه ابنه عبد الله وهو قوله " يريد به القرآن " فقد غفل عنه غيره ممن حكى في اللفظ خلاف ما حكينا حتى نسب إليه ما تبرأ منه .
الأسماء والصفات ص ٢٦٦ .

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله : " ولهذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة النهي عن إطلاق موارد النزاع بالنفي والإثبات ، وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق ، ولا قصور أو تقصير في بيان الحق ، ولكن لأن تلك العبارة من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل ، ففي إثباتها حق وباطل ، وفي نفيها نفي حق وباطل فيمنع من كلا الإطلاقين الخ « درء تعارض العقل والنقل ١ / ٧٦ » .

مخلوق ، فيجعلون القرآن نفسه حيث تصرف غير مخلوق ، من غير أن يقترن بذلك ما يشعر أن ألفاظ العباد وصفاتهم غير مخلوقة^(١) . وصارت كل طائفة من النفاة والمثبتة في مسألة التلاوة تحكي قولها عن أحمد ، وهم كما ذكر البخاري في كتاب « خلق الأفعال » وقال : إن كل واحدة من هاتين الطائفتين تذكر قولها عن أحمد ، وهم لا يفقهون قوله لدقة معناه .

(توارث أتباع الطائفتين ما وجدوا مشايخهم عليه)

هـ - (بعض أتباع أبي حاتم الرازي القائلين بأن اللفظ غير مخلوق)

ثم صار ذلك التفرق موروثاً في أتباع الطائفتين^(٢) فصارت طائفة تقول : إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق ، موافقة لأبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي وأمثالهما كأبي عبد الله بن منده^(٣) وأهل بيته ، وأبي عبد الله بن حامد^(٤) ، وأبي نصر السجزي^(٥) ، وأبي إسماعيل الأنصاري

(١) مفهوم كلام أحمد والأئمة « أن ما يقترن بالقرآن من قراءة أو تبليغ أو غيره ابتداء من جبريل وتثنية بمحمد صلى الله عليه وسلم وانتهاء بسائر التالين للقرآن » فهو مخلوق لأنه من أفعال الخلق ، أما القرآن فهو كلام الله غير مخلوق في كل هذه المراحل .

(٢) انظر قول ابن القيم في استمرار الفرق من بعد أحمد إلى زمانه ص ٣٠٨ نهاية المبحث الثاني .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الأصبهاني . حافظ من أولاد المحدثين كتب بالشام ومصر وخراسان واختلط في آخر عمره ، قال : طفت الشرق والغرب مرتين ، فلم أتقرب إلى كل مذهب ، ولم أسمع من المتدعين حديثاً واحداً ، توفي سلخ ذي القعدة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . أخبار أصفهان لأبي نعيم الأصبهاني ٣٠٦/٢ . طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى ١٦٧/٢ .

(٤) هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان ، أبو عبد الله البغدادي الوراق ، صاحب التصانيف وعالم ما وراء النهر ، كان كثير الحج ، فعوتب في كثرة سفره وحجه مع كبير سنه . فقال : لعل الدرهم الزيف يخرج من الدراهم الجيدة . وقد أفاض القاضي ابن أبي يعلى في وصف تصانيفه وشروحه وقراءته عليها . وجانب من فقهه ، توفي راجعاً من مكة بقرب واقصة سنة ٤٠٣ هـ . طبقات الحنابلة ١٧١/٢ ، تذكرة الحفاظ ١٠٧٨/٣ .

(٥) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي « نسبة إلى قرية وائل بسجستان » أحد الحفاظ ، وشيخ الحرم ، ومصنف « الإبانة الكبرى » في أن القرآن غير مخلوق ، رحل في طلب العلم إلى الحجاز ، والشام والعراق وخراسان ، توفي بمكة ، في المحرم سنة ٤٤٤ هـ ، اللباب ٣٥٢/٣ ، السير ٦٥٤/١٧ .

(١)، وأبي يعقوب الفرات الهروي وغيرهم (٢).

و- (طائفة تقول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق

من غير دخول في مذهب ابن كُلاب)

وقومٌ يقولون نقيض هذا القول، من غير دخول في مذهب ابن كُلاب - مع اتفاق الطائفتين على أن القرآن كله كلام الله، لم يحدث غيره شيئاً، ولا خلق منه شيئاً في غيره لا حروفه ولا معانيه مثل حسين الكرايسي وداود بن علي الأصبهاني (٣) وأمثالهما (٤).

(١) هو شيخ الإسلام، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ولد سنة ٣٩٦ هـ، قال عبد الغافر: كان إماماً كاملاً في التفسير حسن السيرة في التصوف، قائماً بتصر السنة والدين، من غير مdahنة ولا مراقبة لسلطان ولا غيره، وقال ابن طاهر: سمعته يقول بهراً: « عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لأسكت » تذكرة الحفاظ، طبقات المفسرين للداودي ٢٤٩/١، إيضاح المكنون ٣٣٠/١.

(٢) مثل « أبو العلاء الهمداني، وأبي الفرج المقدسي » مجموع الفتاوى ٣٦١/١٢.

(٣) في ذكر قصة داود بن علي هنا لبس وإشكال، إذ إنه من أشهر القائلين في خراسان بحدوث القرآن حتى كتب فيه الذهلي وجماعة من الأئمة إلى أحمد بن حنبل ببغداد يخبرونه بما أحدث، وامتنع عن مقابلته. والذي يظهر من استقراء النصوص أن كلام ابن تيمية هذا عن الكرايسي والأصبهاني وأنهم يقولون بأن اللفظ مخلوق، وكلام الله غير محدث ولا حال في شيء... «إنما هو على أساس مبدأ أمرهما... ثم طرأت على الأصبهاني فكرة حدوث القرآن... وهذا أمر وارد... فإن المتتبع لآحوال الرجال يجد أن الواحد منهم قد يقضي حياته بين المذاهب والفرق... كحال أبي الحسن الأشعري من اعتزال إلى مذهب ابن كُلاب إلى استقرار على مذهب السلف... والعبرة في الأعمال بخواتيمها. » راجع كلام ابن تيمية عن الكرايسي والأصبهاني تلميذه وانهما أول من قال بخلق التلاوة، مجموع الفتاوى ٥٧٣/١٢.

(٤) من أمثالهما القائلين بأن اللفظ بالقرآن مخلوق... أبو الحسن الأشعري - وربما وقع منه ذلك في فترة الاعتزال التي دامت أربعين سنة - وأبو بكر الباقلاني، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو ذر الهروي، والقاضي عبد الوهاب المالكي " مجموع الفتاوى ٣٦٤/١٢. واقتضى بعض الناس على البخاري أنه كان يقول هذا القول وجعله من اللفظية مما أوقع بينه وبين الذهلي المنسوب هو أيضاً للقول المناقض، والذي أثبت إليه في هذا المقام في لجة الأحداث وتضارب الأقوال - أن الرؤية الصحيحة للصواب قد عثيت مما سبب إقحام مثل البخاري في غمرة اللفظية، ومثل الذهلي في الطرف المناقض، وذلك إما من جاهل لا يتقن فهم الأمور، أو من مغرض يترصد بالمؤمنين الدوائر، فالبخاري ينتفي من كل ذلك، والذهلي لم أجد في كلامه ما يدل على مانسب إليه. ويكفي امتداح ابن تيمية لهما قال: وكان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد ابن يحيى الذهلي وغيرهم من العلماء الخ، انظر درء تعارض العقل والنقل ٩/٢.

ز- (طائفة ممن يتسبب لأهل السنة تابعوا ابن كُلاب

(وتولد عن هذه طائفة «ح»)

(ح) " طائفة تقول إن الله لا يتكلم بصوت " هذه الطائفة ظهرت بعد ظهور ابن كُلاب وأتباعه وقد تأثرت ببعض أقوالهم وأفكارهم فقالوا: «إن الله لم يتكلم بصوت» وهذه القضية أضيفت إلى البلايا التي مُنيت بها الأمة وواجهها سلفنا رحمهم الله - وفيها جدال كبير وكتب ورسائل - وحتى نفهم مراد هؤلاء ووجه الحق في ذلك فإني أختصر رسالة صغيرة قوامها صفحة للإمام عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين ضمن مجموعة رسائل كتبها على منهج السلف لما هداه الله إليه بعد تخرجه زماناً من تعسفات وتأويلات مشايخه . . . وهذا بعض رسائله «قال: وأما مسألة الحرف والصوت . . . فإن الله قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى "الم" وقال "المص" وقال "ق" والقرآن المجيد" وكذلك جاء في الحديث " فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب" . . . فهو لا ما فهموا من كلام الله تعالى إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات «اللهوات: جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الخلق في أقصى الفم وتجمع على لهوات ولهيات، ولهي . . . الخ . لسان العرب ١٥/ ٢٦٢» وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الخلق والخنجرة عملوا في هذا من التخطي . . . ثم يقول . . . : والتحقيق هو أن الله تعالى قد تكلم قادراً والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به يُسمع ولا يفتر ذلك الصوت المقدس إلى الخلق والخنجرة، كلام الله تعالى كما يليق به، وصوته كما يليق به ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما في جناب الحق تعالى لا يفترقان إلى ذلك، وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الإنسان به من التعسف والتكلف بقوله هذا عن ذلك . . . فإن قيل: فهذا الذي يقرأه القارئ هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو؟ قلنا لا بل القارئ يؤدي كلام الله تعالى والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً . . . الخ كلامه، وهذه المسائل ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٧٥ باسم رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت .

وقال الإمام أبو بكر ابن العربي عند تفسيره الآية «تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً» الاسراء آية ١٢ قال: « . . . وترتيب القول هاهنا أنه ليس يستحيل أن يكون للجسمادات - فضلاً عن البهائم - تسبيح بكلام، وإن لم نفقهه نحن عنها، إذ ليس من شرط قيام الكلام بالمحل عند أهل السنة - هيئة آدمية - ولا وجود بلة ولا رطوبة، وإنما تكفي له الجوهرية أو الجسمية خلافاً للفلاسفة وأخوتهم من القدرية الذين يرون الهيئة الأدمية والبلّة والرطوبة شرطاً في الكلام . . . ثم ذكر أن للباري تعالى نقض العادة وخرقها . وضرب أمثلة بحنين الجذع، وتسبيح الحصى، وتسليم الحجر . . . الخ أحكام القرآن لأبي بكر محمد ابن العربي، تحقيق علي البجاوي ٣/ ١٢١٥، فإذا كان هذا جائزاً في المخلوقات غير العاقلة فإنه في ذات الله أولى وأعظم وأحرى أن يتكلم سبحانه بدون بلة أو رطوبة أو جوارح ومتى شاء سبحانه كلاماً يليق بجلاله وعظيم سلطانه . »

وعن هذه طائفة « ط »

وحدث مع هذا من يقول بقول ابن كلاب : إن كلام الله معنى واحد قائم بنفس المتكلم وهو الأمر بكل ما أمر به والنهي عن كل ما نهى عنه ، والإخبار بكل ما أخبر به ، وإنه إن عبّر عنه بالعربية كان هو القرآن ، وإن عبّر عنه بالعبرية كان هو التوراة (١) . وجمهور الناس من أهل السنة والمعتزلة وغيرهم أنكروا ذلك ، وقالوا : إن فساد هذا معلوم بصريح العقل فإن التوراه إذا عبّرت لم تكن هي القرآن ، ولا معنى : « قل هو الله أحد » هو معنى « تبت يدا أبي لهب » وكان يوافقهم على إطلاق القول بأن التلاوة غير المتلو وأنها مخلوقة ، من لا يوافقهم على هذا المعنى ، بل قصده إن التلاوة هي أفعال العباد وأصواتهم .

(ط) طائفة تقول إن القرآن الذي بين أيدينا عبارة وحكاية عن كلام الله وتدعو الحاجة هنا إلى بيان أقوال طائفة انبثقت من هذه الطائفة الأخيرة " التي نفت الحرف والصوت " عن الله ، لأن صفاته قديمة لازمة لذاته ، وعلى ذلك فكلامه قديم لازم له في ذاته ولا يتكلم بمشيئته وإرادته فاضطروا لقول « إن القرآن الذي تكلم الله به كلام نفسي هو قديم وأما الذي بين أيدينا فهو عبارة وحكاية لذلك . . . الخ » وقد اشتد انكار العلماء على هؤلاء - وقد عقد ابن القيم لهذه المسألة فصلاً في مختصر الصواعق ص ٤٤٣ - ٤٥٠ . وذكر الإسفراييني إنكار أحمد لهذا " لوامع الأنوار البهية " ١/ ١٣٩ ، وقد سئل ابن تيمية عن حروف القرآن وهل هي مخلوقة فكتب فيها فتوى مختصرة في مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٧١ ، ومن أنكر ذلك الإمام محمد بن يحيى الذهلي مع ثلة من علماء السلف . انظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٢١ .

(١) من هؤلاء أبو العباس القلانسي [وهو أحمد بن عبد الرحمن بن خالد من معاصري أبي الحسن الأشعري ، واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات ، انظر تبين كذب المفتري لأبي علي بن الحسن ابن عساكر ص ٣٩٨] وأبو الحسن الأشعري - ولعل هذه مرحلته الثانية بعد تركه الاعتزال - والحوادث المحاسبية ، راجع درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٢ لابن تيمية - وللوقوف على آراء وأقوال الكلايين راجع على سبيل المثال مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٦٦ - ٣٧٦ . وابن كلاب هو [أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القبطان البصري - قال الذهبي : كان أقرب المتكلمين لأهل السنة ، كان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة ، وهذا ما سبق إليه أبداً ، قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن] . سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٤ . وقال ابن تيمية وابن كلاب هذا كان قد نبغ في أواخر عصر الإمام أحمد وهو من متكلمة الصفاتية وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسنة ، ولكن فيها نوع من البدعة ، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته . وقد أنكر الإمام أحمد والأئمة هذا المذهب الذي أحدثه ابن كلاب ويحذرون من أصحابه . . الخ " مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٦٦ . وانظر مختصر الصواعق المحرقة ص ٤٥٠ فصل مهم .

(*) وصار أقوام يطلقون القول بأن التلاوة غير المتلو، وأن اللفظ بالقرآن مخلوق فمنهم من يعرف أنه موافق لابن كُلاب، ومنهم من يعرف مخالفته له، ومنهم من لا يعرف منه لاهذا ولا هذا، وصار أبو الحسن الأشعري ونحوه - ممن يوافق ابن كُلاب على قوله - موافقاً للإمام أحمد وغيره من أئمة السنة في المنع من إطلاق هذا وهذا، فيمنعون أن يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وهؤلاء منعه من جهة كونه يقال في القرآن: - إنه يلفظ أو لا يلفظ وقالوا: اللفظ: الطرح والرمي ومثل هذا لا يقال في القرآن ووافق هؤلاء على التعليل بهذا طائفة ممن لا يقول بقول ابن كُلاب في الكلام كالقاضي أبي علي وأمثاله . ووقع بين أبي نعيم الأصبهاني وأبي عبد الله بن مندة في ذلك ما هو معروف (١) وصنف أبو نعيم في ذلك كتابه (الرّد على اللفظية والحلولية) ومال فيه إلى جانب النفاة بأن التلاوة مخلوقة، كما مال ابن مندة إلى جانب من يقول إنها غير مخلوقة، وحكى كل منهما عن الأئمة ما يدل على كثير من مقصوده، لاعلى جميعه، فماقصده كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة ما يوافقه . وكذلك وقع بين أبي ذر الهروي (٢) وأبي نصر السجزي، حتى

(*) من هنا الى قوله . . «في غير هذا الموضع» أذكره من باب إتمام الفائدة . . وليس هو من صلب مرادنا من كلامه رحمه الله، ويبقى من النص الكامل قدر لا بأس به وسأذكر خلاصة أهم ما فيه في سطور .

(١) كان أبو عبد الله بن مندة من الحنابلة القائلين بأن اللفظ بالقرآن غير مخلوق، وكان أبو نعيم الأصبهاني من الأشعرية القائلين بأن اللفظ مخلوق . . ووقع بينهما في هذه المسألة . . وقد زادت سطوة الحنابلة على أبي نعيم غفر الله للجميع . . انظر بعض ذلك في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني / سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٧ .

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي، أصله من هراة وتمذهب بمذهب مالك، قال عبد الغافر الفارسي «كان أبو ذر زاهداً، ورعاً، عالماً سخيّاً، مشاراً إليه في التصوف» أخذ من أبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك من متكلمي أهل السنة، ترتيب المدارك للقاضي عياض ٦٩٦/٤، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للشيخ أحمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس، ٢٧٥/٢، الديباج المذهب لابن فرحون (١٣٢/٢) .

صنف أبو نصر السجزي كتابه الكبير في ذلك المعروف بالإبانة ، وذكر فيه من الفوائد والآثار والانتصار للسنة وأهلها أموراً عظيمة المنفعة ، لكنه نصر فيه قول من يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وأنكر على ابن قتيبة وغيره ماذكروه من التفصيل ، ورجح طريقة من هجر البخاري ، وزعم أن أحمد بن حنبل كان يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وأنه رجع إلى ذلك .

وأنكر ما نقله الناس عن أحمد من إنكاره على الطائفتين ، وهي مسألة أبي طالب المشهورة . وليس الأمر كما ذكره ، فإن الإنكار على الطائفتين مستفيض عن أحمد عند أخص الناس به من أهل بيته وأصحابه الذين اعتنوا بجمع كلام الإمام أحمد كالمروزي والخلأل وأبي بكر بن عبد العزيز وأبي عبد الله بن بطة وأمثالهم ، وقد ذكروا من ذلك ما يعلم كل عارف له أنه من أثبت الأمور عن أحمد .

وهؤلاء العراقيون أعلم بأقوال أحمد من المنتسبين إلى السنة والحديث من أهل خراسان ، الذين كان ابن مندة وأبو نصر إسماعيل الهروي وأمثالهم يسلكون حذوهم . ولهذا صنف عبد الله بن عطاء الإبراهيمي كتاباً فيمن أخذ عن أحمد العلم ، فذكر طائفة منهم أبو بكر الخلال ، وظن أنه أبو محمد الخلال شيخ القاضي أبي يعلى وأبي بكر الخطيب ، فاشتبه عليه هذا بهذا .

وهذا كما أن العراقيين المنتسبين إلى أهل الاثبات من أتباع ابن كُلاب كأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشعري ، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري ، والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني ، وأمثالهم ، أقرب إلى السنة وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كُلاب ، ولهذا كان القاضي أبو بكر ابن الطيب يكتب أجوبته أحياناً : محمد ابن الطيب الحنبلي ، كما كان يقول الأشعري ، إذ كان الأشعري وأصحابه منتسبين إلى أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة السنة . وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل

السنة من كثير من المتأخرين المتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة، كابن عقيل^(١) وصدقة بن الحسين^(٢) وابن الجوزي وأمثالهم.

وكان أبو ذر الهروي قد أخذ طريقة ابن الباقلاني وأدخلها إلى الحرم، ويقال إنه أول من أدخلها إلى الحرم، وعنه أخذ من أخذه من أهل المغرب فإنهم كانوا يسمعون عليه البخاري ويأخذون ذلك عنه، كما أخذه أبو الوليد الباجي ثم رحل الباجي إلى العراق فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل، صاحب ابن الباقلاني، ونحن قد بسطنا الكلام في هذه المسائل وبيننا ما حل فيها من النزاع والاضطراب في غير هذا الموضع. أ. هـ.

أكتفى بهذا القدر من كلام الإمام ابن تيمية وأشير فيما يلي إلى باقي نصه ليكمل الانتفاع بكلامه.

يُنِّ رحمه الله أن مسألة اللفظ من الأمور المبتدعة المجملة المشتبهة، لما فيها من حق وباطل، واشتباه وفتنة، وبخلاف الألفاظ المأثورة التي بينت معانيها، فإنه تحصل بها الألفة كما قال مالك: «إذا قل العلم ظهر الجفاء، وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء».

(١) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، شيخ الحنابلة في عصره، كان إماماً مبرزاً، كبير العلوم، خارق الذكاء، مكباً على الإشتغال والتصنيف، قال ابن حجر: «له كتاب الفنون في أزيد من أربعمائة مجلد إلا أنه خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدة بدع... وهذا الرجل من كبار الأئمة، نعم كان معتزلياً ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك وصحت توبته ثم صنف في الرد عليهم. سير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٩، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢٠٤/٣، النجوم الزاهرة ٢١٩/٥، لسان الميزان ٢٤٣/٤.

(٢) هو صدقة بن الحسين بن بختيار بن الحداد البغدادي الفقيه الأديب، الشاعر المتكلم أبو الفرج ولد سنة ٤٧٧ هـ. قرأ علم الجدل والكلام، والمنطق والفلسفة، قال ابن القطيبي: كان بينه وبين ابن الجوزي مباينة شديدة، وكل واحد يقول في صاحبه مقالة، الله أعلم بها. الذيل على طبقات الحنابلة، للإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ٣٣٩/١.

ثم بين رحمه الله أن دين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما اتفقت عليه الأمة، فهذه أصول ثلاثة معصومة، وماتنازعت فيه الأمة يرد إلى الله والرسول، ولا يجوز بحال أن ينصب أي شخص يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي. كما يفعل ذلك المبتدعة في أقوالهم المجملة التي اتخذوها ديناً.

ثم ذكر العظائم الأربع التي ارتكبتها الجهمية :-

(أ) ردهم لنصوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(ب) ردهم ما يوافق ذلك من معقول العقلاء .

(ج) جعل ما خالف ذلك من أقوالهم المجملة أو الباطلة هي أصول الدين .

(د) تكفيرهم، أو تفسيقهم، أو تخطئتهم لمن خالف الأقوال المبتدعة المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول . وأخيراً بين منهمج أهل السنة والجماعة وأنهم على نقيض حال المبتدعة، فاعتمادهم ومرجعهم إلى كتاب الله وكلام رسوله وإليهما ترد موارد النزاع، ومن اجتهد فإخطأ وكان قصده متابعة سبيل المؤمنين غفر له خطأه . (١)

(١) انظر هذا المختصر في الجزء الأول من درء تعارض العقل والنقل من ص ٢١٧ إلى ٢٧٩ .

المبحث الرابع عرض تفصيلي لما حصل بين الإمامين الذهلي والبخاري المطلب الأول

مبررات الحديث عن هذا الموضوع

الحديث عن الوحشة والخلاف بين الإمامين الجليلين والعالمين البحرين، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري والإمام محمد بن يحيى الذهلي، ليس من السهولة واليسر بمكان، وذلك لأمرين:

أولاً: أن الحديث عنهما حديث عن علمين كبيرين من أعلام أمتنا المجيدة، وإن أقل خطأ في عرض أو توجيه ما حصل بينهما في غير محله لهو ظلم لهما، وهلكة للمتحدث

ثانياً: أن النصوص في تلك القضية ليست من الكثرة والتنوع بالقدر الذي يسمح بإعطاء صورة متكاملة للأحداث . . . وبعض تلك الأخبار فيها مقال .

ثالثاً: أن كلا الإمامين يدافعان عن السنة ويقمعان البدعة، كما يتجلى من تراجمهما وأقوالهما . . . وهما كذلك . . فياليت شعري مالذي أدى لهذه الحادثة المنغصة . . والنهاية المؤلمة بينهما؟! وهما يسيران في درب واحد .

ومن نظر في التاريخ الإسلامي يجد أن هذه الحادثة ماهي إلا حلقة من سلسلة حلقات من الاختلاف والتضاد قبلهما وبعدهما، والأغلب على هذه الأحداث أن تكون بين صاحب سنة واتباع . . وصاحب مذهب وابتداع، وأما هذه القضية التي بين أيدينا فهي بين صاحبي سنة واتباع وهذا مما يزيد الموقف حرجاً ويتطلب المزيد من الحذر والحيلة .

لهذه الأسباب وغيرها تهيّبت الكتابة في الموضوع . . . ولكنني أجد نفسي مضطراً لذلك وهذا لأمر أيضاً .

(أ) أن هذه الرسالة الحديثية عن الإمام المحدث الذهلي ، وفي ثنايا ترجمته هو والبخاري في أي كتاب تبرز أمامنا هذه القضية فكان من الضروري اللّازم عرضها ومعرفة أسبابها ووجه الحق فيها .

(ب) من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع قراءتي هذه الحادثة ، ممّا ألمني كثيراً ما حصل بينهما ، فبحثت عن جهود ومكانة الذهلي ، فوجدته علماً سلفياً بارزاً فشغفتُ بمتابعة السير ومعرفة مجريات وأسباب هذه الوحشة ، رغم البعد الزمني والمكاني الذي يفصل بيننا وبين هذين الإمامين ، مع الإدراك مسبقاً لطبيعة البشر ، ومواقفهم ، وتنوعهم ، وكثرة أقاويلهم حينما تكون هناك قضية تعصف رياحها بأهل العلم والدعوة فإنّه عادة ماتصل نتائج هذه العاصفة إلى الأجيال الخالفة إلا - وهذا هو الغالب الأعم - وقد أضيف إليها وزيد عليها من أقوال وزيادات المتقولين على الله ورسوله وعلى أهل الفضل والعلم بغير علم ولا دليل .

(ج) حتى تكون هذه المحاولة المتواضعة ، نواة لدراسات في مثل هذه القضايا . . . وبداية سلسلة لتحقيق ودراسة كلِّ حدثٍ وخلاف بين عالين أو جماعتين من سلفنا الصالح على مدى التاريخ ، وأن تكون بمنظار الحق والدفاع عن الدين ، لئلاً تستغل هذه الأحداث لصالح المستغربين والمبتدعة المتصيدين لكل مثلبة . . . فيشوهوا تاريخ أمتنا ورجالاتها ، وإن كان أولئك أمة قد خلت لها ماكسبت ولنا ما نكسب . إلا أنّ ذلك لا يجعلنا نقف مكتوفي الأيدي أمام

ماحدث بينهم . . . لأن بعض تلك الخلافات القديمة ما زالت نارها مستعرة إلى وقتنا هذا (*) .

لذا أجده لزاماً أن ننقح تاريخ أمتنا ، وماحصل بين علمائنا ، وتوجيهه لئلا يستغل لأهداف ورؤى مشبوهة .

(*) وعلى سبيل المثال :- (١) ماحدث عندما ترجم الحافظ الخطيب البغدادي للإمام أبي حنيفة في تاريخ بغداد ، من ردود فعل استمرت إلى عصرنا الحاضر ، متمثلة في الكوثري** ومن معه مهاجماً لأهل السنة بحجة الدفاع عن أبي حنيفة . . . وقد سبق في ٣٠١-٣٠٣ ذكر نماذج من تصعيد الخلاف بين السلف مما لايليق بأمثالهم .

(٢) ما نراه وما نسمعه من مروجي أن القرآن بشري أي موضوع ومؤلف* قام بتأليفه محمد صلى الله عليه وسلم . . . أو مانسمعه من خروج كتب مؤلفة تضاهي كتاب الله عز وجل . . . كالدساتير المحكمة في الشعوب ، مما يجعلها تحتل مكانة كتاب الله وسنة رسوله في التحاكم إليهما في كل شئون الحياة . . . وما هذه المراتب إلا جهمية حديثة وباطنية خبيثة . . . تسلبت بأثواب وشعارات جديدة لتتحية كتاب الله عز وجل والتشكيك في نسبته إلى الله ومن ثم في أحقيته أن يحكم الناس .

إن الاستشراق وأتباعه والتبشير وأذنا به دعاة المذاهب الهدامة المعاصرة* وغيرها . . . ما هم إلا رؤوس برزت لتعيد ماتنا ساءه الناس أو نسوه من أفاعيل الجهمية والمعتزلة والمرجئة والقدرية والفرق الضالة في عصورنا المتقدمة . . . وأولئك ما هم إلا أفرار اليهود والنصارى والمتفلسفة وسواهم .

** اقرأ " التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل " للعلامه عبدالرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني رحمه الله تعالى وهو كتاب فريد في بابه كثير المنافع رائع العرض والرد .

* طالع على سبيل المثال " رؤية إسلامية للاستشراق " للدكتور أحمد عبد الحميد غراب ص ٣١-٣٦ تحت مبحث " موقفهم من القرآن الكريم و " انظر " الحركة الفكرية ضد الإسلام " للدكتور بركات عبد الفتاح دويدار مبحث " الغزو الفكري حديثاً " ، " المستشرقون مع تلاميذهم " ص ٧٨ وفصل " طعنهم في القرآن " ص ٢٠٠ .

(*) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ندوة الشباب الإسلامي . وطالع مذاهب فكرية معاصرة . للمفكر محمد قطب .

المطلب الثاني (عرض الأحداث) وبين يديها أنبه على مايلي

التنبية الأول

إن فتنة خلق القرآن مثلت صراعاً قوياً بين الفكر الإسلامي، والفكر الفلسفي^(١) ومثلت تهديداً صريحاً لأصل من أصول الدين الإسلامي (وهو القرآن الكريم). ومما يدل على جدية هذا الصراع، تطاير رؤوس العلماء وإجابة الكثير منهم كرهاً أو خوفاً من التعذيب أو القتل، وورّوا في إجاباتهم، إلا إمام أهل السنة والجماعة - الإمام أحمد بن حنبل - الذي صرح من بداية المحنة بالقول الحق، ولاقى في ذلك مالاقيه من الشدائد والكرب بعدما انفض عنه الأصحاب^(٢) وبقي وحده شاهداً لله في الأرض على أمانة الدين أمام جحافل

(١) معلوم أن الفكر الإسلامي نبع من مصادر سماوية (القرآن والسنة)، لذا فهو قوي الدعائم، عميق التأثير، تقبله كل النفوس العطشى للحق على مدار التاريخ، ولذا رأينا أجيالاً تنعمت بهذا الفكر بدءاً من الصحابة وتابعيهم ومن بعدهم، وكان هذا الفكر المرتكز على وحي السماء إسلامياً بحتاً، لم تلوثه عقليات البشر، ولذلك ملاحية تلك الأجيال المباركة بالسعادة والهناء والطمأنينة قلباً وروحاً وعقلاً، وأوجد لكل التساؤلات عن الغيب والشهادة إجاباتها الصريحة (انظر تفصيل ذلك في، التفكير الفلسفي الإسلامي، د. سليمان دنيا من ص ٣٠٤ - ٣٢٣). وظل يزاول نشاطه لما حمّله ودافع عنه أتباعه، ومع مرور الزمن واختلاط ثقافة المسلمين بثقافات البلاد المفتوحة، لعبت أياد وعقليات دورها، فأفسدت وما أصلحت، واجتالت أقواماً عن منهج الحق، إلى علوم اليونان وفلسفتهم، وأثيرت مسائلهم، وحكمت في معظم مباحث الدين الإسلامي الحنيف، وبالأخص مسائل أصول الدين، وقد اضطلع المعتزلة بمهمة التأليف بين الفلسفة ومسائل العقيدة، وطبعي أن تشغل هذه المهمة وإن كانت قد تركت آثاراً سيئة على العلم والمجتمع. التفكير الفلسفي الإسلامي ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) انظر تفاصيل المحنة، والعلماء الذين أجابوا فيها، والثلاثة الذين ثبتوا مع أحمد ثم رجع منهم اثنان وأجابا مكرهين، وثبت مع أحمد الشاب الصغير محمد بن نوح والذي مات في الطريق إلى المأمون. مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣١٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣٦/١١، والبداية والنهاية ٢٧٢/١٠.

الضلال والزندقة والتأويل . وكان لثباته أعلى الله في الجنان مقامه على الحق من بداية المحنة - ٢١٨هـ - على يد المأمون ، إلى نهايتها - ٢٣٤ - على يد المتوكل ، أثر بالغ في الأمة من حكامها إلى علمائها إلى عامتها ، فقد علمهم أن الحق يعلو ولو قام به واحد والباطل يندحر ولو دندن به ألوف ، وتحقق كلام الأعرابي الذي وعظ الإمام موعظة وجيزة بقي صداها في نفسه ومسمعه حاثاً على الثبات والصبر .

قال الإمام أحمد : « ماسمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر الذي وقعت فيه أقوى من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق . قال لي : « يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً وإن عشت عشت حميداً » قال : فقوى قلبي (١) . وعاش أحمد حميداً ذكره في العالمين ، وانتسب إليه الألوف حتى من المخالفين ، وأصبح إماماً قامت بعده المدرسة الحنبلية المتميزة بعقيدتها السليمة ، ومنهجها السني الواضح إلى زماننا هذا . . .

لذا فقد مكن الحنابلة بعد إمامهم ، وأصبحت لهم سطوة على أهل البدع . روى ابن الجوزي بسنده إلى أبي الفضل قال : « بلغني أنه ذكر عند المتوكل بعد موت أحمد ، أن أصحاب أحمد يكون بينهم وبين أهل البدع الشر فقال المتوكل لصاحب الخبر : - لا ترفع إليّ من أخبارهم شيئاً ، وشد على أيديهم فانهم وصاحبهم من سادة أمة محمد . وقد عرف الله لأحمد صبره وبلاءه ورفع علمه أيام حياته وبعد موته . أصحابه أجل الأصحاب ، وأنا أظن أن الله تعالى يعطي أحمد ثواب الصديقين » (٢) . وعلى هذا فقد حملوا بعده لواء العقيدة ، وتشددوا بروية وبدون روية في قضية خلق القرآن ، ورببتها مسألة اللفظ بالقرآن ، وقد مر بنا افتراقهم إلى طوائف في فهم مراد ومواقف وأقوال الإمام رحمه الله

(١) مناقب أحمد ، لابن الجوزي ص ٣١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٣ .

تعالى، وأصبح من خالف ما استقر عندهم من مذهبه عرضةً للمساءلة والإيذاء^(١).

وتحسن الإشارة في هذا الموضوع إلى أن « حنابلة نيسابور ومنهم الذهلي » وقفوا عند نصوص أحمد، وتابعوه بصلافة، بينما كان لدى « حنابلة بغداد ومنهم البخاري » مرونةٌ كان من نتيجتها تحليل وفهم نصوص الإمام كما أراد، وذلك بسبب مخالطته والقرب منه، وكل يريد السداد والمتابعة^(٢).
وهذا الموضع يسوقنا للتنبيه الثاني وهو الذي سبب الخلاف.

(١) وهذا تصوير ابن قتيبة لحالهم هذه، فهو أحد من عايش المحتين، قال في الاختلاف في اللفظ ص ٥١: «وقد ابتلي بالفريقين المستبصر المسترشد، وبإعانتهم ومحتهم وإغلاظهم لمن خالفهم وإكفاره وإكفار من شك في كفره، فانه ربما ورد الشيخ المصر فقعد للحديث وهو من الأدب عُقْل ومن التمييز ليس له من معاني العلم إلا تقادم سنه، وأنه قد سمع ابن عيينة، وأبا معاوية، ويزيد ابن هارون وأشباههم، فيبدأونه قبل الكتاب بالحنة. فالويل له إن تلثم أو تمكث أو سعل أو تنحنح قبل أن يعطهم ما يريدون!! فيحملة الخوف من قدحهم فيه وإسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا، فيتكلم بغير علم، ويقول بغير فهم، فيتباعد من الله في المجلس الذي أُمِّل أن يتقرب فيه منه! وإن كان يعقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار ما يحبون ليكتبوا عنه. وإن رأوا حدثاً مسترشدًا أو كهلاً متعلماً سأله فإن قال لهم: أنا أطلب حقيقة هذا الأمر وأسأل عنه ولم يصح لي شيء بعد وإنما صدقهم عن نفسه واعتذر بعذر الله يعلم صدقه، وهم يعلمون أنه لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ويبحث ليعلم كذبوه وقالوا: خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه».

(٢) انظر في تقرير هذا الأمر كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٢.

التنبيه الثاني :

أن بعض طلبة العلم لم يفهموا كلام البخاري « أن أفعال العباد مخلوقة ، وألفاظهم من أفعالهم » فافتروا عليه بأنه قال : « لفظي بالقرآن مخلوق »^(١) الأمر الذي أوقع الذهلي في خلاف معه . وقد نسب إليه هو الآخر قول « لفظي بالقرآن غير مخلوق »^(٢) . وهذه الإطلاقات المنسوبة إليهما لا تؤخذ على عواهنها فالخلاف في حقيقته لفظي كما هو مبين أدناه ، وقد مهدت بهذا التمهيد لأنبه على الفرق بين قول كل من البخاري (المنسوب ظلماً وجهلاً إلى اللفظة النافية (و الذهلي) المنسوب ظاهراً إلى اللفظية المثبتة) وبين قول بعض من انتسب إلى هاتين الفرقتين قبلهما وبعدهما ممن غلطوا المذهبين ، وزادوا عليهما شروراً كثيرة ، وخرجوا بها إلى معان غريبة وخطيرة سبق وأن أشرنا إليها في المبحث السابق^(٣) .

(١) هذه الجملة نفاها البخاري عن نفسه مراراً وتكراراً لاشتمالها على حق وباطل ، وإن كان قد لُوحَّح للحق الذي فيها ولم يصرح خوفاً من الخوض في الكلام . انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠٧/١٢ ، ٣٦٤/١٢ للوقوف على قول المفترين على البخاري .

(٢) وهذه الجملة نسبت للذهلي وجماعة من المحدثين كأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين ، والمصيصي وغيرهم . قال ابن تيمية : " والقول بأن اللفظ بالقرآن غير مخلوق " نسب إلى محمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي ، بل وبعض الناس ينسبه إلى أبي زرعة أيضاً ، ويقول : أنه هو وأبو حاتم هجرا البخاري لما هجره محمد بن يحيى الذهلي " مجموع الفتاوى ٢٠٧/١٢ ، ومع إطلاقهم هذا القول المجمل المشتبه إلا أن مرادهم صحيح وصواب موافق لما أورده الإمام أحمد ، قال ابن تيمية « ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد » انظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢٦٢ ، وعلى هذا فمراد الذهلي ومن معه حق ولكنهم تهيّبوا القول بخلق اللفظ ، فأطلقوا عدم الخلقية عليه مع اعترافهم بأن فعل العبد مخلوق » .

أخلص من كل ما سبق ، مع ماورد في المسألة من اختلاف وتشعب وجهات النظر أن مرادهم جميعاً في أساسه صحيح موافق للسنة . ولكن إطلاقات بعضهم وتلويحات بعضهم الآخر مع الحذر الشديد أن يصدر من كل منهما ما يخالف السنة ، « التي قررها إمامهم الإمام أحمد » أدى إلى نشوب سوء الفهم .

(٣) وانظر تفصيل هذه المعاني للطائفتين أيضاً في مجموع الفتاوى ١٢/٣٩٢ بالنسبة للفظية النافية ، و١٢/٣٩٤ للفظية المثبتة .

وقد خالط الفرقتين من انتسب إلى أهل السنة وتأثر أو درس علم الكلام الذي اتفق البخاري والذهلي على ذمه والتحذير منه . ولعل ماتقدم من التنبيهات يؤذن بالحديث عن تلك الأحداث وعرضها والتي أسلسلها على النحو التالي :

(أ) قدوم البخاري إلى نيسابور وماحدث له فيها .

قال أبو سعيد حاتم بن أحمد الكندي : سمعت مسلم بن الحجاج يقول : لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور مارأيت والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به ، استقبلوه مرحلتين أو ثلاثة ، فقال محمد بن يحيى في مجلسه : من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غداً فليستقبله ، فاستقبله محمد بن يحيى ، وعامة العلماء ، فنزل دار البخاريين ، فقال لنا محمد بن يحيى : لاتسألوه عن شيء من الكلام ، فانه إن أجاب بخلاف مانحن فيه ، وقع بيننا وبينه ، ثم شمت بنا كل حرورى ، وكل رافضي ، وكل جهمي ، وكل مرجيء بخراسان^(١) قال : فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل ، حتى امتلأ السطح والدار فلما كان اليوم الثانى أو الثالث قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن فقال : (أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا) ، فوقع بينهم اختلاف ، فقال بعض الناس قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال بعضهم : لم يقل حتى توثبوا ، فاجتمع أهل الدار فأخرجوهم^(٢) .

وقال أبو حامد الأعشى : رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان ، ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث

(١) في هذا الاستقبال والنهي عن السؤال إشارة إلى براءة ساحة الذهلي من تعمد امتحان البخاري باللفظ كما في رواية أبي أحمد بن عدي الآتية : وهي رواية منقطعة ومبهمه ، وحرصه على حفظ ماء الوجه بين أهل الفرق المنحرفة ، ويبدو من كلامه أن للبخاري قولاً مغايراً لما ذهب إليه وقد كانت تصل إليه الرسائل من بغداد بأخبار البخاري ، وهنا لم يجزم بصيغة معينة لمذهب البخاري حتى بعد حين ، وصلت إليه الأنباء وحصل اللبس .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٨/١٢ ، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٥١-٢٦٠ هـ ص ٢٦٩ .

ويعرف فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم، فما أتى على هذا شهر حتى قال محمد ابن يحيى : ألا من يختلف إلى مجلسه فلا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا من بغداد أنه تكلم في اللفظ، ونهيناه فلم يته، فلا تقربوه، ومن يقربه فلا يقربنا، فأقام محمد بن إسماعيل هاهنا مده ثم خرج إلى بخارى^(١).

ويمكن تحديد بداية الاختلاف بمعرفة سنة وفاة سعيد بن مروان فقد ذكر الكلاباذي عن البخاري نفسه قوله أنها بنيسابور يوم الإثنين النصف من شعبان سنة ٢٥٣ هـ وصلى عليه محمد بن يحيى الذهلي^(٢).

وساق الذهبي بسنده إلى محمد بن مسلم خشنام قال : سئل محمد بن إسماعيل بنيسابور عن اللفظ، فقال : حدثني عبيد الله بن سعيد - يعني أبا قدامة - عن يحيى بن سعيد هو القطان، قال : أعمال العباد كلها مخلوقة، فمروا عليه، وقالوا له بعد ذلك : ترجع عن هذا القول، حتى نعود إليك؟ قال : لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون أقوى من حجتي وأعجبي من محمد بن إسماعيل ثباته^(٣).

(١) السير ١٢/٤٤٥، تاريخ بغداد ٢/٣١، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٢٢٩.

(٢) رجال صحيح البخاري المسمى "الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في صحيحه، للإمام أبي نصر أحمد بن محمد البخاري الكلاباذي، تحقيق عبد الله الليثي - ٢/٨٧٢.

(٣) السير ١٢/٤٥٤، تاريخ بغداد ٢/٣٠ وهذه الرواية تفيدنا أن الذهلي ليس له ذكر ولا أمر بسؤال البخاري. مما يدل على أن عامة طلبة العلم وحتى العوام لديهم رد فعل لقضية خلق القرآن، وامتدح منها كهذه المسألة... وإن كان الحق الأبلغ لم يتضح لهم تماماً... وقد كانت خراسان من المجتمعات الإسلامية التي تظلها السنة النبوية وأهلها يتنافحون عنها بشدة قال الإمام الذهبي رحمه الله :- «وكانت السنة قائمة الدولة بالأندلس وخراسان، وقلَّ أمرها وضعف بمصر والشام والمغرب والعراق، وماذا لا لظهور دولة الشيعة العبيدية فلله الأمر جميعاً» رسالة :- " ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل " ص ١٩٦ ضمن مجموعة رسائل حققها أبو غدة جمعها باسم " اربع مسائل في علوم الحديث " . . . ولا يستبعد بحال من الأحوال أن يكون كثير من طلبة العلم بنيسابور التي تعتبر المنافس الأول لبغداد في العلم والعلماء - قد علموا حال البخاري قبل أن يصلهم، والحماس في طلبة العلم أمر معلوم، لذا نراهم مروا عليه لما أجاب بخلاف ما استقر عندهم في المسألة - بصرف النظر عن دقة مذهب البخاري - لأن الناس بعد المحتين =

ومما تنبغي الإشارة إليه في هذا المقام أن الروايات التي وجدتها في أخبار الإمامين واختلافهما في هذه القضية ليست من الكثرة والقوة بمكان، بحيث يمكن للباحث في حال توفر الروايات لديه أن يحيط بالقضية من جميع جوانبها بحثاً وتحليلاً يُمكنه من الإحاطة بجميع متعلقاتها. أما وأن الحال على غير هذا، وأن الذي يوجد بين أيدينا وهو ما استطعنا الوصول إليه، هو روايات قليلة مبثوثة في المصادر، وبعضها تكتنفه صيغة الإبهام والإنقطاع فإن الأمر يحتاج إلى تثبيت وروية وأناة في البحث، وترتيب للمقدمات لنصل إلى أقرب وأصح النتائج بإذن الله.

ومن هذه الروايات ما ذكره الحافظ أبو أحمد بن عدى قال : ذكر لي جماعة من المشايخ^(١) : أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور، اجتمع الناس عليه، حسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور، لما رأوا إقبال الناس عليه، واجتماعهم عليه فقال لأصحاب الحديث : إن محمد بن اسماعيل يقول : اللفظ بالقرآن مخلوق " فامتحنوه " في المجلس، فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل فقال : يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري، ولم يجبه، فقال الرجل :

= وخصوصاً بالمشرك وقفوا عند نصوص الإمام أحمد والتزموا بها . . وهي عدم الخوض مطلقاً في هذه القضايا، وأصبح لديهم حساسية مفرطة إذا نُسب الخلق إلى أى شيء في القرآن، ويصور ذلك أبلغ تصوير ابن قتيبة اذ يقول : - « وقد ألف الناس " غير مخلوق " وأنسوا به حتى أنه ليخيل إليّ أن رجلاً لو ادعى أن العرش غير مخلوق لوجد على ذلك أشياء يتحللون السنة فماذا جرّ جهنم لآرحمه الله على متبعيه بنحلته، وعلى مخالفيه ببغضته » أهد الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٥٥ .

(٢) حقق الحافظ صلاح الدين أبي سعيد العلائي عن جماعة من العلماء أن مثل هذه الصيغ في الأسانيد صورته صورة المتصل، ولكن حكمه حكم المنقطع لعدم الاحتجاج به، جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ٩٦ تحقيق حمدي السلفي، وانظر " الصناعة الحديثية في السنن الكبرى للبيهقي " ص ٥ تأليف د. نجم بن عبدالرحمن خلف .

يا أبا عبد الله، فأعاد عليه القول، فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة، فالتفت إليه البخاري، وقال : القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة والإمتحان بدعة، فشغب الرجل الناس، وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله (١).

ومع أن هذه الرواية في سندها ابهام واضح من خلال عبارة " جماعة من المشايخ " وانقطاع من خلال عبارة " ذكر لي " فهي تخالف الرواية الأولى التي رواها الإمام مسلم بن الحجاج والتي فيها نهية الصريح بالأسأله عن الكلام حتى لا يقع بينهما، والذهلي يعلم أن البخاري يخالفه فيما يقول، وذلك مما يصله ويكتب إليه من بغداد كما في الرواية الثانية، وعلى هذا فهو ليس بحاجة إلى إمتحانه، ثم كيف يأمر بالامتحان وينهى عنه في آن واحد؟! وزد على ذلك أن هذا القول ليس بالضرورة عن الإمام الذهلي، فإن الرواة أبهموا جماعة الحسدة ولم يصرحوا بالذهلي ولا غيره، والذهلي وإن كان عكس نيسابور وواجهتها فإن تلك الناحية تزخر بعشرات من العلماء والمشايخ، وطبعي أن يتفاعلوا مع مستجدات الأحداث وأن تكون لهم مواقف سلبية أو إيجابية بحسب ما فهموا من المسألة.

لذا فإن نفي هذا القول وهو " الامتحان " أقوى من إثباته، بدليل رواية الامام مسلم المصريح فيها بالسماع عنه .

ومن القراءة المتأنية في النصوص الثلاثة السابقة : يظهر أن إطلاق « صفة الحسد » على الإمام الذهلي من أول وهلة، وجعله موقفاً عملياً يتحرك من خلاله، ويشتد على الامام البخاري، أمر يحتاج إلى نظر وتأمل دقيقين . وهذا الإطلاق لا تحمله النصوص بقدر ما تحتمل حيثيات أخرى قبله .

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري ص ٤٩٠، السير ١٢/ ٤٥٤.

فقاريء الرواية الأولى التي رواها مسلم بن الحجاج، خالي الذهن من توجيهات وتحليلات عدد من الكتّاب المتأخرين، لا يلمس فيها غير أريحية الإمام الذهلي وذلك باستقباله للإمام البخاري، وسلامة صدره عليه .

والأمر الآخر : تمنيه حفظ ماء الوجه بين أصحاب الفرق المنحرفة لثلاث يشمتوا بهما وهما من أهل السنة، لذا أمر طلبته أن يستفيدوا منه العلم، ولا يسألوه عن اللفظ . . . وكان لديه إحساس بأن للبخاري فيها رأياً مخالفاً لرأيه .
والأمر الثالث في الرواية : افتراق من في الدار إلى طائفتين . . . وهذا يدل أبلى دلالة على أن مجتمع نيسابور قد عرف مسألة اللفظ قبل قدوم البخاري إليهم، ولهم فيها مواقف، لذا اختلفوا قبل وصول الخبر للإمام الذهلي، وهذا يشير إلى تفاعل المجتمع وبالذات طلبة العلم المتحمسين للقضية قبل الإمام الذهلي .

أما رواية أبي حامد الأعشى : ففيها أيضاً تقديره للبخاري وعلمه وسلامة الصدر عليه لذا نراه يسأله أمام الناس عن الأسامي والكنى والعلل، ولو كان لديه بوادر حسد أو عدااء لما بقي يسأله أمام الجموع وهو إمامهم والبخاري يصغره بنحو إثنين وعشرين سنة، حتى بعد شهر، وصلته الأنباء من بغداد أن البخاري قد تكلم باللفظ، وهنا نتعرف على شخصية الذهلي الشديدة، فليس لديه استعداد لتفهم رؤية البخاري للمسألة، بل اعتبره مخالفاً لأحمد الذي نهى عن القول فيها . . . لذا نهى طلبته عن الاقتراب منه والأخذ عنه .

أما الرواية الثالثة : وهي ذكر الامتحان، فقد سبق الكلام عليها بما يغنى عن الإعادة إن التعرض لمثل هذه القضايا والكتابه فيها، وخاصة في هذه الأعصار المتأخرة، يحتاج إلى توق وتريث، ونظرة فاحصة ومتأملة في أحوال تلك العهود وأهلها الذين تفصل بيننا وبينهم آحاد زمنية طويلة .

وبعبارة أخرى ليتصور المرء أنه أحد أفراد الناس في تلك العهود، أى ينقل فكره من القرن الرابع بعد الألف - إلى القرن الثالث الهجري ثم ليتأمل :

١- التكوين العام للمجتمعات ، فبينما نجد الجهمية والمعتزلة وسواهم من أصحاب الفرق الأخرى يشيرون بالبلبة ، نجد أن أهل السنة قد افترقوا كما نص ابن قتيبة سابقاً إلى طوائف في هذه المسألة بالأخص . فليؤخذ هذا في الاعتبار .

٢- تفاعل تلك المجتمعات مع قضاياهم السياسية والدينية سواء في بغداد أو نيسابور حاضرتي العلم أو سواهما من المدن القريبة ، وهذا التفاعل شارك فيه العلماء وطلبة العلم ، والعامّة ، فللعلماء نظرتهم بحسب ما تجمع لديهم من أدلة وفهم للمسألة ، ولطلبة العلم أثر في متابعتهم العلماء وحماسهم ، وللعامّة أثر بسبب التعصب لطائفة ما مع كثرة القيل والقال . فليؤخذ هذا أيضاً في الاعتبار .

ولم يكن الأمر كما تصور بعض الكتاب المتأخرين أن الخلاف نشأ لتوه بين الذهلي والبخاري متكتنين على ما قرره البخاري في آخر عهده بالذهلي أنه كم يعتريه الحسد في العلم - فنسوا الحيثيات والاعتبارات - التي لا بد من الوقوف عندها إن أردنا معرفة أقرب الصور والحقائق لتلك الأحداث - وبنوا على مسألة الحسد هذه كل تحليلاتهم واستنباطاتهم استنتاجاً من ذات النصوص التي أشرنا إليها .

ومن هؤلاء الكتاب : صاحب كتاب « الامام البخاري محدثاً وقيهاً »^(١) والذي ذهب يقرر في تلك الأحداث قضايا لا نوافقه عليها ومن ضمن ما ذهب إليه قوله في ص ٧٠ : « وقد استغل محمد بن يحيى الذهلي كراهية النفوس لمن يتكلم في القرآن ، فأراد أن يوقع البخاري في هذا الأمر حتى ينفر الناس عن مجلسه وينسبوه إلى الاعتزال » فوصف الامام الذهلي باستغلال المشاعر ليوقع بالامام البخاري في دائرة الاعتزال أمر يتجافى عنه قلم الباحث ، خاصة وأن الإجماع قائم على عدالة الإمام الذهلي ، ورحم الله أسلافنا حين ترجموا

(١) هو الأستاذ الدكتور الحسيني عبدالمجيد هاشم .

لأسلافهم فأنصفوهم مهما كان بينهم من خلاف ، ولم يحشروا أنفسهم فيما جرى بينهم مفسرين معللين للأحداث كحال الذي يعايشها لحظة لحظة ، ويرقب لمحات وتعبيرات وجوه أصحابها ، ومخارج كلامهم ، والحالة النفسية أثناء كل ذلك .

وفي ص ٧٣ يقول : « نجد أن البخاري في محتته هذه لم يقترب إثماً وإن ما أثير حوله إنما هو وليد الحسد من النفوس البشرية ومحمد بن يحيى رحب بالبخاري عند قدومه ، ولكن الشيطان للانسان عدو مبین فحسده عندما رأى انه احتل مكان الصدارة والتف حوله القوم وتركوا الذهلي فاستغل إثارة النفوس وحساسيتها بالنسبة لفتنة القرآن ، وتابعه على ذلك الذين انتقدهم البخاري وجرحهم بالتضعيف واستعملوا التشويش على العامة » الخ .

ويقول في ص ٧٥ بعد سياقه خبر البخاري مع خالد بن أحمد الذهلي أمير بخارى وما حصل بينهما من خلاف بسبب رد البخاري الشديد عليه وامتناعه عن الحضور لديه لإلقاء دروس خاصة لأبنائه من الجامع والتاريخ .

يقول : « . . . فأسرَّ الأمير في نفسه العداوة للبخاري ، وصار يتحين الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلي الذي لم يكتف بصرف الناس عن البخاري في نيسابور فلم يقنع برحيله منها رغبة في تسكين الفتنة ، فواصل عداؤه للبخاري بكتاباتة للولاء والعلماء بالتشنيع على البخاري بمسألة اللفظ ورميه بالاعتزال جزافاً وبهتاناً » الخ كلامه .

ومن حقنا أن نتساءل : في أي المواضع ورد ما يدل على أن الذهلي رمى الإمام البخاري بالاعتزال تصريحاً أو تلميحاً ؟! إن إطلاق العبارات بهذه الصورة يجعل الأمر في غاية التعقيد فإذا كان - وهذا على سبيل الافتراض - الإمام الذهلي قد رمى الامام البخاري بالاعتزال فيما أن يكون مصيباً أو مخطئاً في دعواه ، فإذا كانت الأولى ، فإنه ينبغي عليها قضايا أشد تعقيداً ، وهي كيف يمكن

للأمة أن تتقبل صحيحه الجامع وتعمل بما فيه من أحاديث تحرّى انتقاءها وهو معتزلي، وإذا كانت الثانية، فإنه يجب أن يعاد النظر في مرويات الإمام الذهلي الموجودة في الكتب الستة إلا مسلماً، وفي مصنفات غيرها كثيرة جداً . لأن رمية للبخاري بالاعتزال - وهو ليس كذلك - معناه تنحية الذهلي من قائمة أئمة الجرح والتعديل لانتقاض أكثر شروط المعدل والجرح فيه^(١)، لأنه جرح علكماً أجمع العلماء قاطبة على عدالته وثقته - وكان جرحه شاذاً غير متزل على المجروح .

ومن هذه الشروط أن يكون مجانباً للعصية والهوى، وأن يكون عدلاً في نفسه متقناً - فإن افترضنا أن الذهلي كان صاحب عصبية وهوى رمى جزافاً وبهتاناً بالاعتزال فمعنى ذلك أنه ليس عدلاً ولا ورعاً - وعلى هذا فيكون البخاري متهماً في صحيحه أنه يخرج في الأصول لغير العدول وهذا ما أثبت ابن حجر خلافة وأطبق الجمهور على خلافه كذلك .

قال ابن حجر : « إن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده، وصحة ضبطه، وعدم غفلته، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، فهو بمثابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما، هذا إذا خرج له في الأصول »^(٢) .

ومن المؤلفين الذين استنبطوا من النصوص ما لا أراه متزلاً على مراميها صاحب كتاب « الإمام البخاري وصحيحه »^(٣) قال : - « ومن امتحن بسبب تلك المسألة أخطر محنة، ورمى بالكفر والبدعة - والمؤمن مبتلى - أبو عبد الله البخاري رضي الله عنه . فقد حسده بعض محدثي وفقهاء عصره، يرأسهم

(١) وهي الشرط الأول والثاني والثالث والخامس والسابع من الشروط التي نص عليها الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في الرد الوافر انظرها جميعاً في ٤٣٦ من الفصل الأول في الباب الثالث عند مطلب الجرح والتعديل .

(٢) هدي الساري ٣٨٤ .

(٣) هو الدكتور عبدالغني عبدالخالق .

شيخه محمد بن يحيى الذهلي، وانتهزوا فرصة قوله بحدوث لفظ القرآن بصرف النظر عن معناه ومدلوله، فرموه بالاعتزال وكفروه، وشنعوا عليه وطرده^(١). وكأنه عفا الله عنه قد تابع ابن السيد البطليوسي الذي أثنى على البخاري ومسلم وابن معين في انتقادهم للحديث وتحريره، فقال: - «وللبخاري رحمه الله - في هذا الباب عناء مشكور وسعي مبرور، وكذلك لمسلم وابن معين، فإنهم انتقدوا الحديث وحرروه، ونبهوا على ضعفاء المحدثين والمتهمين بالكذب حتى ضج من ذلك من كان في عصرهم، وكان ذلك أحد الأسباب التي أوغرت صدور الفقهاء على البخاري، فلم يزالوا يرصدون له المكارة حتى أمكنتهم فيه فرصة بكلمة قالها فكفروه، وامتنحوه وطرده^(٢) الخ» وابن السيد البطليوسي لم يصرح باسم الذهلي «فإن كان يقصد بأولئك فقهاء بخاري الذين لقي منهم البخاري البلاء الشديد مع أميرها خالد الذهلي حتى دعا عليهم جميعاً فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم الكرب والبلايا بعد شهر من دعائه^(٣)».

أقول: إن كان يقصد أولئك فلا بأس لأن عداءهم ليس له مبرر سوى الهوى والحسد، كما أنهم ليسوا مشهورين بالعلم. أما إن كان يقصد الإمام الذهلي وأبا حاتم وأبا زرعة الرازيين - فلا يسلم له ذلك بحال من الأحوال، والجواب عليه من كلامه، فانه ذكر تقدم ابن معين والبخاري ومسلم في الصناعة الحديثية، ولو أنه راجع حالهم هم مع الذهلي واعترافاتهم بفضله لما سطر مأسطره فهذا ابن معين يُسأل: «لم لا تجمع حديث الزهري؟ فيقول بلسانه: كفانا محمد ابن يحيى ذلك^(٤) وهذا البخاري لا يستغني عن مرويات الذهلي وهو الذي تمتد

(١) ص ١٦٤.

(٢) التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم ص ١٧٣ - تحقيق وتعليق الدكتور أحمد حسن كحيل، والدكتور حمزة عبدالله النشوتي.

(٣) انظر ص ٣٨٧ - ٣٨٨ من هذا الفصل.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٠ في ترجمة الذهلي، وتخصص الإمام الذهلي في جمع الزهريات وبيان عللها لا يحتاج لمزيد بيان على ما ذكر في أول الرسالة.

إليه السنة المتأخرين بالتهم !! فياليت شعري إخراج البخاري له في أصل كتابه
مامعناه؟!

أما مسلم رحمه الله فمعلوم أنه لم يترك الرواية والاستفادة من شيخه
الذهلي وعلمه بالحديث وعلله حتى بعد نشوب مسألة اللفظ ، وعندما وصل النبأ
إلى الذهلي أن مسلماً على مذهب البخاري ، نادى في نهاية مجلسه : ألا من قال
باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا ، فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته ، وقام
على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ما كان كتب منه وبعث به على
ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى^(١) وكان هذا في آخر عمريهما وعلى
هذا فمسلم كان حتى في شيخوخته يتلمذ على الذهلي رحمه الله ، وقد أنحى
أبو زرعة باللائمة على مسلم لما ترك الذهلي فقال عنه : هذا ليس له عقل ، لو
دارى محمد بن يحيى ، لصار رجلاً^(٢) .

وأما أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان فعلمهما بالرجال والحديث وعلله معلوم
لكل طالب علم وكتبهما في ذلك بين أيدينا !!

فإن كان البطلوسي يقصد بكلامه الذهلي فقد سبق بيان أحوال ابن معين
والبخاري ومسلم معه من اعتراف بتقدمه والرواية عنه وغير ذلك ، وإن كان
لا يقصد الذهلي ، فقد بطل اعتماد الدكتور عبد الغني على كلامه .

وثالثة الأثافي وهي ادعائهما تكفير الذهلي للبخاري ، ولا أزيد في هذا
المقام على المطالبة بنص فيه التصريح بذلك أما اعتساف معاني النصوص
لتؤيد استنباطات بعيدة فهذا يرد عليه الأئمة ابن تيمية والذهبي والسبكي بعد
صفحات^(٣) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤ / ١١ وسيأتي عرض تلك الأحداث في ص ٣٨١ .

(٢) السير ٢٨١ / ١٢ .

(٣) انظر ص ٣٧٤ - ٣٧٩ وفيها تكفير الذهلي للقائلين بخلق القرآن وكذلك الواقفين ، وتبديعه
للبخاري وذلك في رواية أبي حامد ابن الشرقي . وفي رواية المخلدي قوله : " أن البخاري أظهر
قول اللفظية " واللفظية شر من الجهمية " فهذا لا يشم منه تكفير بدلالة إطلاق الإمام أحمد لنفس
المقولة على الكرايسي ولا يريد بها تكفيره كما حرره ابن تيمية فلينظر .

ويستشهد الدكتور بكلام القاسمي نقلاً من كتابه « حياة البخاري » وفيه يعلق على قول الذهلي لأهل نيسابور : لا تسألوه عن شيء من علم الكلام . . . يقول : « إن نهى الذهلي عن سؤال البخاري عن شيء من الكلام ، فيه تلقين للفتنة ، وتعليم لمثارها ، وفتح لبابها »^(١)

وقد سبق توجيه كلام الذهلي هذا رحمه الله استنتاجاً من النظر العام لتلك الأحداث والأحوال الاجتماعية آنذاك ، أما توجيه القاسمي هذا فيأتي لأوافقه عليه لأن الذهلي نفسه قد حَاجَّ عن نفسه وعلل نهيه فقال : . . . فإنه إن أجاب بخلاف مانحن فيه ، وقع بيننا وبينه ، ثم شمت بنا كل حرورى وكل رافضي ، وكل جهمي ، وكل مرجيء بخراسان .

وقبولنا لتعليق صاحب الكلام قبل عشرة قرون أولى بكثير من قبول محلل للنص بعد هذه القرون والآماد الطويلة .

وحتى لا يطول بنا المقام في تتبع أقوال المؤلفين والكتاب المتأخرين ، فهذه كلمة - أرجو بها السلامة والعافية عند الله لي ولهم ولكل من يجرد قلمه لتناول قضايا كانت محل خلاف بين علمائنا من السلف الصالح رحمهم الله - وقد أفضوا إلى ما قدموا - كالإمامين في هذه المسألة .

ينبغي أولاً : وقبل أي قول أن نكون أكثر أدباً وأشد احتراماً من سلفنا الصالح حين تعرضوا لمثل هذه المسائل بين سلفهم الماضين ، وأن نسلك ذات الخط الذي سلكوه حتى لاناتي ببدع من القول والاستنباط والتحليل .

وثانياً : يجب أن لا ننسى أن الإمامين من كبار أئمة السنة في زمانهما ، وهنا يكون التريث والتوقي أكثر وأشد .

وثالثاً : تكون عمدتنا في الحديث عنهم أقوالهم قبل أقوال غيرهم ، بعد النظر في أسانيدنا ، وألا نكذبهم فترك تعليقاتهم وتحليلاتهم لمواقفهم ونرمي بها

(١) انظر الإمام البخاري وصحيحه ص ١٦٦ .

عرض الحائط ، ونأتي نستتج ونوجه كأننا نسمعهم ونراهم ، ونقيسهم على رجال هذا الزمان وتصرفاتهم . كما يجب ألا نزيد على مقالوه ونحمل كلامهم مالا يحتمله .

إن خلاصة ما وقفت عليه من أقوال للإمام الذهلي في حق الإمام البخاري « أنه يبدعه ويأمر بهجره ، وعدم مكالمته » (١) .

وانظر قمة التفهم للمسألة والتحليل عند الإمام السبكي (٢) ، وفي ثنايا كلامه حسن الظن بالذهلي واستبعاده أن يرمي البخاري بشيء من أقوال المعتزلة ، وتحليله لذلك التبديع وتلك المقاطعة أنه ليس محض مخالفة ومنافرة ، وإنما متابعة للإمام أحمد بن حنبل في النهي عن الخوض في علم الكلام . وفي نهاية كلامه يقول : « والحاصل ما قدمناه من أن أحمد بن حنبل ، وغيره من السادات الموفقين ، نهوا عن الكلام في القرآن جملة ، وإن لم يخالفوا في مسألة اللفظ ، فيما نظن فيهم ، اجلالاً لهم ، وفهماً من كلامهم من غير رواية ، ورفعاً لمحلهم عن قول لا يشهد له معقول ولا منقول . . . » .

وهذه نصيحة غالية ودرة ثمينة أهذاها السبكي لكل من يتصدى للقضايا التي كانت محل خلاف بين أعلام سلف هذه الأمة قال : « وينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح ، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك ، وإلا فاضرب صفحاً عما جرى بينهم ، فإنك لم تخلق لهذا ، فاشتغل بما يعينك ، ودع مالا يعينك ، ولا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضي لبعضهم على بعض . . . الخ » (٣) .

(١) انظر صريح كلامه في ذلك ص ٢٥١ وهي رواية أبي حامد الأعشى .

(٢) ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٣ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٧٨ .

وهذا الخط الذي نبه إليه الإمام السبكي في طبقاته هو مثال لما فعله وقاله ونادى به الأئمة ابن تيمية في مواضع كثيرة من فتاواه ودرء التعارض وغيرها من كتبه ، والحافظ الذهبي في سيره وتذكرته ، عندما تناولوا هذه الوحشة بين الإمامين الجليلين بالحديث ، فكانت عباراتهم مسددة ، وألفاظهم يكسوها التوقيف والتواضع والإحترام لأعلام الأمة وهم يختلفون .

وإذا علمنا أخيراً أن الإمام البخاري وهو صاحب القضية وأولى محلل لها ، قد روى عن شيخه وقرينه الذهلي أربعة وثلاثين حديثاً في صحيحه ، ففي هذا أبلغ دلالة على أن الأمر لم يكن بمستوى مافهمه وقرره وحلله بعض الباحثين والكتّاب .

ومع تعاطفي كباحث درس القضية ، وعاشها ردهاً من الزمن - مع الإمامين رحمهما الله - فإنني أرى أن أقل ما ينبغي أن نقوم به نحن المسلمين في مثل هذا المقام ، نصحاً لله ورسوله ولدين وللمسلمين ، أن نعرض كل ملاسبات الأحداث ونوجهها بقدر المستطاع .

ومن هذا التوجيهات أن الإمام الذهلي كان من منهجه الدعوي مراسلة العلماء بما يستنكره في نيسابور من مخالفات عقدية ، قبل مجيء البخاري بسنين ، ومثال ذلك : «مراسلته الإمام أحمد بن حنبل في شأن داود الأصبهاني لما أن قال بحدوث القرآن وتصديق الإمام له ومقاطعته لداود وعدم مكالمته ومقابلته»^(١) . فكونه يستنكر على الإمام البخاري موقفه وعدم متابعته للإمام أحمد المتابعة النصية مع اعتقاده أنه في استنكاره على الصواب - لاغضاضة فيه خاصة في ذلك الزمان ، وتلك الفترة التي كثرت فيها الأقوال المتضاربة في تلك القضية ، ومكانته في خراسان توجب عليه الاهتمام بقضايا المسلمين وحمايتهم من كل ما يطرأ عليها .

ويجب ألا يفوتنا أن نظرة الإمام الذهلي للإمام البخاري ، غير نظرتنا نحن له في هذا الزمن ، فحين نراه بعين الإكبار والتبجيل والتقدم في علم الحديث وأنه

(١) السير ١٣/١٠٣ .

صاحب الجامع الصحيح - أصبح كتاب بعد كتاب الله - فطبعي أن ينظر إليه الذهلي على أنه قرين سبق وأن تتلمذ عليه وروى عنه كغيره من طلبة العلم وله سبقٌ وتميز، ولما طرأ ما طرأ تغير الموقف . (والمعاصرة حجاب) وعليه فإن القاعدة التي يقف عليها الذهلي ، غير قواعد المتأخرين حين يتصدون للقضية .

وانطلاقاً من هذه المعاني فإنني ألتمس للإمام الذهلي الأعذار ، بعد اعترافي التام ببراءة ساحة الإمام البخاري ، ودقة مذهبه الذي سبب للإمام الذهلي سوء فهمه ، بجانب فهمه الصحيح رحمه الله لمذاهب القائلين « اللفظ بالقرآن مخلوق » ومتابعة الإمام أحمد في منع إطلاق ذلك .

وهذا تفصيل هذه الأعذار :

أولاً : أن الإمام البخاري لما سئل عن اللفظ بالقرآن ، توقف واحتج بأن أفعالنا مخلوقة ، واستدل لذلك ، ففهم منه الذهلي أنه يوجه مسألة اللفظ ، فتكلم فيه ، وأخذ به لازم قوله هو وغيره . (١)

ولازم قول البخاري رحمه الله « هو أن ألفاظنا من أفعالنا ومادامت الأفعال مخلوقة فالألفاظ مخلوقة وعليه فلفظي بالقرآن مخلوق » .

ولكن البخاري رحمه الله لم يصرح بهذا اللازم ولم يقل « لفظي بالقرآن مخلوق » .

قال الذهبي رحمه الله « تأمل كلامه ، ما أذكاه ! ومعناه والعلم عند الله - أني لم أقل لفظي بالقرآن مخلوق ، لأن الكلام في هذا خوض في مسائل الكلام ، وصفات الله لا ينبغي الخوض فيها الا للضرورة ، ولكني قلت : أفعال العباد مخلوقة وهي قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر ، فإن كل عاقل يعلم أن لفظنا من جملة أفعالنا ، وأفعالنا مخلوقة ، فألفاظنا مخلوقة » (٢) .

(١) السير ٤٥٧ / ١٢ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٢٣٠ .

أقول ولشدة متابعة الذهلي لأحمد ومنعه الخوض أو التلويح بشيء من علم الكلام ظن أن هذا التلويح من البخاري طريق للتصريح وزاد من هذا الظن ما وصله من بغداد أنه يتكلم في اللفظ كما في رواية الأعشى السابقة .

ومما يدلنا أن مقصد الذهلي هو عدم الخوض في شيء من اللفظ وأن أقل كلام فيه فهو خوض في الكلام مانقله تلميذه أبو حامد ابن الشرقي قال سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول : « القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته ، وحيث تُصَرَّف فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ وعما سواه »^(١) .

أضف إلى ذلك ما استقر عند الناس عنه - أي البخاري - أنه قال : « لفظي بالقرآن مخلوق » كما فهموا من أقواله قال له أبو عمرو الخفاف : إن الناس قد خاضوا في قولك : « لفظي بالقرآن مخلوق »^(٢) وهكذا ساء للذهلي مخالفة البخاري لما استقر في المجتمع عن البخاري ولما استقر عند الذهلي من فهم للمسألة .

ثانياً : من الأعذار ما تفيده هذه الرواية المضطربة عن البخاري التي يخالف آخرها أولها . قال محمد بن يوسف القبري : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : أما أفعال العباد فمخلوقة ، فقد حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا أبو مالك عن ربيعي عن حذيفة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أن الله يصنع كل صانع وصنعه » وسمعت عبيد الله بن سعيد : سمعت يحيى بن سعيد يقول : ما زلت أسمع أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة .

(١) السير ٤٥٦/١٢ ، تاريخ بغداد ٣١/٢ ، ٣٢ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٣٠ .

قال البخاري : حركاتهم وأصواتهم زاكتسابهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المتلو المثبت في الصحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب ، فهو كلام الله غير مخلوق ، قال تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾^(١) وقال : يقال : فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولارديء القرآن ، وإنما ينسب إلى العباد القراءة لأن القرآن كلام الرب ، والقراءة فعل العبد ، وليس لأحد أن يشرع في أمر الله بغير علم ، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شيء واحد ، والتلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء . فقليل له^(٢) : إن التلاوة فعل القارئ وعمل التالي فرجع ، وقال : ظننتهما مصدرين ! فقليل له : هلاً أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثت إلى من كتب عنك واسترددت ما أثبتته وضربت عليه . فزعم أن كيف يمكن هذا ، وقال : قلت ، ومضى . فقلت له : كيف جاز لك أن تقول في الله شيئاً لا تقوم به شرحاً وبياناً ، وإذا لم تميز بين التلاوة والمتلو؟! فسكت ، إذ لم يكن عنده جواب " (٣) .

قلت : في النفس من هذه الرواية شيء وخاصة من بداية الحوار ، وموقف البخاري فيها لا يحسد عليه ، ولا يليق بعالم كبير مثله ، وقد أثر عنه أقوال كثيرة تدل على ثباته على أن أفعال العباد مخلوقة ومع رفعنا لمقام البخاري عن مثل هذا التناقض ، إلا أن ورود هذه الرواية عنه ولو كذباً عليه أمر محتمل ،

(١) سورة العنكبوت آية ٤٩ .

(٢) من هنا يبدأ الاضطراب في باقي الرواية .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٢٨ ، والشرط الأول من الرواية قبل الاضطراب موجود في " خلق أفعال العباد " للإمام البخاري باعتناء بدر البدر ، باب " أفعال العباد " ص ٤١ ، وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ٢/ ٣١ ، وكذا الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلي ص ٨٦ ، وكذلك الأسماء والصفات ص ٢٦٠ .

وكذلك وصول هذه الرواية إلى الذهلي أكثر احتمالاً، وعامل الكذب وانتشاره^(١) لا بد من وضعه في الاعتبار. وإذا علمنا أن أهل خراسان قد أعاروا مسألة اللفظ اهتماماً بالغاً، ولم يكونوا عالين بمرامي كلام أحمد والبخاري كأهل العراق، فإننا ندرك أن وجهات النظر في المسألة بدأت في التباعد، وثمة أمر آخر له أهميته القصوى في التأثير على مجريات الأحداث وهو «طبيعة بيئتي العراق وخراسان، فالأولى وهي حاضرة الخلافة وكعبة العلم ويقصدها العلماء والحكماء والساسة من أهل النظر والفكر في كل ميدان وانتشار حلق العلم فيها أكثر من غيرها. كل ذلك أكسبها خاصية المرونة والتحضر، ونيسابور حاضرة المشرق لم تكن أقل حظاً في كل ذلك من بغداد، ولكن ما من شك أن طبيعتها الجبلية قد أثرت في أهلها مما جعل مواقفهم تتسم بالقوة والتعصب، والمتابعة غير المتأنية لأحمد بخلاف متابعة أهل بغداد، وقد ألح شيخ الإسلام ابن تيمية إلى بعض هذه المعاني فقال: «ولكن أهل خراسان لم يكن لهم من العلم بأقوال أحمد ما لأهل العراق الذين هم أخص به - ويقصد بهم المتابعين له، العارفين بأقواله مثل أبي بكر المروزي وأبي بكر الخلال اللذين جمعاه علمه - وأعظم ما وقعت فتنة اللفظ بخراسان، وتُعصب فيها على البخاري - مع جلالته وإمامته - وإن كان

(١) يشير ابن تيمية إلى ذلك فيقول: وقد رأيت طائفة تنتسب إلى السنة والحديث، كأبي نصر السجزي وأمثاله ممن يردون على أبي عبد الله البخاري، ويقولون: إن أحمد بن حنبل كان يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق، وذكروا روايات كاذبة لأريب فيها،... الخ مجموع الفتاوى ٦٥٩/٧، ومما أوقع الذهلي في مخالفة البخاري ما افتراه بعض الناس ونقلوه من أنه قال "لفظي بالقرآن مخلوق" صرح بذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٦٤/١٢. ومما يدل على اتخاذ الناس الكذب مطية لأي عارض هذه الرواية المكشوفة قال ابن تيمية: «... ووجرت للبخاري محنة بسبب ذلك حتى زعم بعض الكذابين أن البخاري لما مات أمر أحمد بن حنبل أن لا يصلى عليه، وهذا كذب ظاهر، فإن أبا عبد الله البخاري - رحمه الله - مات بعد أحمد بن حنبل بنحو خمس عشرة سنة... الخ» امجموع لفتاوى ٢٥٨/١٢.

الذين قاموا عليه أيضاً أئمة أجلاء، فالبخاري - رضى الله عنه - من أجل الناس^(١). وعبارته «وقد تعصب فيها على البخاري» تشير في غير ما لبس إلى أن القضية فهمت بميزانين مختلفين^(٢).

وقد بين الإمام ابن تيمية أن تصنيف الناس في تلك السنين قد أخذ مدى بعيداً، ولم يسلم منه أكابر العلماء فضلاً عن غيرهم... والبخاري ممن صنف مع اللفظية، مع الكرايسي، ونعيم بن حماد، والبويطي، والحارث المحاسبي^(٣) وكذلك قال مع طائفة من أهل العلم والسنة مثل محمد بن نصر المروزي: «أن الإيمان مخلوق، ومرادهم أفعال العباد وليس صفات الله»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٢

(٢) ومن الملابس التي قد يكون لها أثر في توجيه الأحداث ما يتناقله بعض الناس ويروجونه من أن الإمام البخاري ممن يقول «أن الموجود في القرآن حكاية عن كلام الله» - انظر معنى ذلك ص ٣٣٩ طائفة (ط) ومن ذلك ما ذكره أبو اليمن العليمي في المنهج الأحمد قال: «قال إبراهيم بن محمد: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما أن مات بخرنتك أردت حمله إلى مدينة سمرقند لعلني أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا، فدفناه بها فلما أن فرغنا ورجعت إلى منزلي الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر: سألقه أمس قلت له: يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن؟ فقال القرآن كلام الله غير مخلوق، قال: فقلت: إن الناس يزعمون أنك تقول: ليس في المصاحف قرآن، ولا في صدور الناس قرآن، فقال استغفر الله أن تشهد على بشيء لم تسمعه مني، أقول لك كما قال الله تعالى ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ سورة الطور آية (١، ٢). وأقول: في المصاحف قرآن، وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسييله سبيل الكفر» أ. هـ. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ٢٠٧/١ فهذه الرواية المأخذ فيها كلام صاحب القصر، وعلى فرض ثبوته فهو محمول على قوله بالحكاية بمعنى البلاغ عن الله عز وجل، فإذا برأنا ساحة البخاري من هذه التهمة بأن صاحب القصر رجل مبهم غير معروف، وثانياً بكلامه الواضح الصريح الذي لا يدع مجالاً لطاعن... فهذا من حيث حكمنا على الرواية... ولكن مدلول الرواية العام يدل على أن هناك ما يتناقله الناس عنه في هذا المضمار.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٢

(٤) مجموع الفتاوى ٦٥٨/٧

وقرر ابن تيمية مراراً وتكراراً أن النزاع في تلك المسائل بسبب الألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة^(١) والقول أيضاً عن القرآن «أنه حكاية عن كلام الله» مجمل مشتبه فيه حق وباطل، وإطلاقه هكذا يورث سوء الفهم، ومن أراد المعنى الباطل تذرّع به إلى أن الله لا يتكلم بحرف وصوت يسمع، وهذا الذي أنكره السلف ومنهم الإمام الذهلي^(٢).

أما الإمام البخاري فقد نفى في الرواية السابقة كل ذلك عن نفسه وهو الصادق البار رحمه الله، ولكن مثل هذه الأمور تنسب إليه لأنه لم يكتف بحياة الإمام أحمد، - بل رأى - وذلك يعود لنظرته للأحداث والمجتمع ووجوب البيان - أن يلوّح بالقول الحق كما في قوله في اللفظ، وأن يصرح كما في قوله بخلق الإيمان، ومقصوده في ذلك صحيح لا كما يريد المتذرعون بنفس القول إلى المعاني الجهمية مثل الكرايسبي، أو المخالفة لمنهج السلف مثل ابن كلاب أول من أحدث في الإسلام القول بأن ما في المصاحف حكاية عن كلام الله وأبي الحسن الأشعري قبل توبته الذي سلك مسلك ابن كلاب في إثبات أكثر الصفات واستدرك عليه بأن يخالف المعتزلة في قوله «حكاية» واستبداله «بالعبارة» فأنكر عليه أهل السنة والجماعة^(٣) ومنهم الحارث المحاسبي الذين حذر الإمام أحمد من

(١) من هذه المواضع مجموع الفتاوى ٦٥٨/٧.

(٢) قال ابن تيمية: «وكذلك من يقول: أن هذا القرآن ليس هو كلام الله، وإنما هو حكاية عنه، أو عبارة عنه، أو أنه ليس في المصحف والصدور إلا كما أن الله ورسوله في المصاحف والصدور، ونحو ذلك وهذا محفوظ» أي ذمه وإنكاره وتضليل قائله "عن الإمام أحمد وإسحاق وأبي عبيد، وأبي مصعب الزهري، وأبي ثور، وأبي الوليد الجارودي، ومحمد بن بشار، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، ومحمد بن يحيى ابن أبي عمرو العدني، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد ابن أسلم الطوسي، وعدد لا يحصيه إلا الله من أئمة الإسلام وهداته" مجموع الفتاوى ٤٢١/١٢، وانظر كذلك لوائح الأنوار للسفاريني ١٣٩/١، وكلام أبي الوفاء ابن عقيل بعد رجوعه عن الكلام وكيف أثبت أن القائلين بهذا جاؤوا بقول المعتزلة في صورة أخرى بقولهم «العبارة والحكاية» وأن القرآن الذي هو كلام الله قائم في نفس الحق غير ظاهر في إحساس الخلق. مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٤٩، ٤٥٠.

(٣) انظر في ذلك كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٧٢/١٢.

أقوالهم . . . بالرغم من قربهم من أهل السنة وإقرارهما بما يقرونه، هؤلاء ضم إليهم البخاري لسوء فهم أقواله، ولا اجتماعهم على البيان والبت في المسائل على اختلاف المشارب والمقاصد، فساغ للناس في كل مكان ألا يميزوا بين مناهج ومقاصد المتناولين لهذه المسائل المتداخلة. ولا تتصور أن الخلاف بين عدد محدود من العلماء فحسب، بل شارك معظم المعاصرين منهم لتلك الأحداث وبالتالي زادت الطوائف والأتباع، ووجد المبطلون بغيتهم فسعروا نيران الفتنة واختلط الحابل بالنابل وانعدم التمييز. لذا فإن من يتصور تلك الفتنة وموجانها بالناس لا شك أنه سيعذر الإمام الذهلي في مواقفه بناء على ما يسمع ويرى. وإن كنا نأخذ عليه عدم التأكد والتثبت من البخاري مباشرة.

إن هذه الأمور إذا اجتمعت في ذهن الذهلي أو وصلت إلى مسمعيه لكثرة القيل والقال آنذاك . . على الإحتمال البعيد صار لدينا ما يبرر مضايقته للبخاري. وبعد هذا يمكننا القول بأن الذهلي قد وجد في نفسه من الخلل الذي حدث في حلقة التي كانت قبلة العلماء وطلبة العلم بنيسابور . . .

بقية الأحداث :

لما وقع الاختلاف وتباينت المواقف بين الذهلي والبخاري. نادى عليه الذهلي ومنع الناس منه وانقطع عنه أكثر الناس غير الإمام مسلم لأنه كان على نفس مذهبه . . وكان هذا صلابةً وشدة من الذهلي في حق البخاري والتفسير الظاهري لهذا الفعل من الذهلي من وجهة نظره أن البخاري مبتدع يجب أن يهجر^(١) . . ولكن البخاري رحمه الله تعالى كان موقناً من مذهبه وقوله في المسألة، فلم يجد تفسيراً لفعل الذهلي إلا أنه حسده على ما آتاه الله من العلم

(١) اتسم أهل خراسان بالصلابة في الدفاع عن السنة، ونفس هذا الموقف وقفه أبو عبد الله بن مندة وكان على مذهب الذهلي مع أبي نعيم الأصبهاني، راجع ترجمتهما في الميزان وغيره وانظر للعظام التي بينهما كما ذكره الذهبي لبيان محدودية ما بين البخاري والذهلي بالنسبة لغيرهما .

والحظوة لدى طلبة العلم في جميع البلاد وما انتشر في الأصقاع عن ذكائه وحسن تصنيفه وصحته، والذهلي لم يكن أقل قدراً في العلم والتصنيف، فقد كانا طبقة واحدة من علماء الجرح والتعديل الأثبات الثقات وكلاهما طلب العلم على الآخر، وقد كانت للذهلي في نيسابور مهابة من نوع أحمد في بغداد ومالك في المدينة.

وعلى ضوء ما سبق فالبخاري والذهلي أقران فطاحلة في العلم، وأعلام مناضلة عن العقيدة، ومن كانت هذه صفاتهم جاز عليهم ماجاز على من سبقهم ولحقهم من العلماء الجهابذة من التغاير^(١) والقاعدة المتبعة في عموم الأمة في مثل هذه الأحوال «أن لا يعبأ بكلام أحدهم في الآخر . . . من حيث التهم الموجهة لكل طرف . . مع الثناء عليهما والاقرار بفضلهما، وبيان وجه الحق فيما دار بينهما . . .».

والمصدر الأول لنسبة الحسد إلى الذهلي هو الإمام البخاري، ونحن لانفيه، ثم تابعه بعض العلماء على ذلك^(٢)، والقوم لم نخالطهم رحمهم الله ولم نقف على دقائق أحوالهم، وهم أعلم بمراد بعضهم في بعض، والله يغفر لهم جميعاً . .

(١) كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم في بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زريها». جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض ١٥١/٢.

(٢) كبعض المعاصرين لهما. نقل الحاكم عن الحسن بن محمد بن جابر قال: سمعت محمد بن يحيى قال لنا لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور: إذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه، فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه. السير ٤٥٣/١٢، تاريخ بغداد ٣٠/٢، وهؤلاء شهود عيان ولعلمهم رأوا ما نقلوه بالسنتهم، ثم توالى العلماء كالسبكي وغيره وستأتي أقوالهم وتحليلاتهم.

وقد كان حال طلبة العلم انذاك حالاً عجيباً، فالبخاري والذهلي إمامان فاضلان عندهم فلما وقعت هذه الوحشة احتاروا قال الحاكم : حدثنا طاهر بن محمد الوراق سمعت محمد بن شاذل يقول : لما وقع بين محمد ابن يحيى والبخاري ، دخلت على البخاري فقلت : يا أبا عبد الله أيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى ، كل من يختلف إليك يطرد ، فقال : كم يعترني محمد بن يحيى الحسد في العلم ، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء ، فقلت : هذه المسألة التي تحكى عنك ؟ قال : يا بني هذه مسألة مشنومة ، رأيت أحمد بن حنبل ، وما ناله في هذه المسألة ، وجعلت على نفسي أن لا أتكلم فيها (١) .

وأصبح اختلاف الإمامين هو شغل أهل نيسابور والداخلين إليها . . . ويظهر من أقوال من يذهب ويحيى بينهما من أهل العلم التألم من حالهما ، ومحاولة الاستفهام عن حقيقة الوحشة دون التأثير على مشاعره وأحاسيسه « وهذا أمر وارد فالملأ من المخلص تؤله وحشته مع إخوانه وإن كانوا هم المخطئين » روى غنجار في تاريخه قال : " حدثنا خلف بن محمد إسماعيل ، سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر : النيسابوري الخفاف يقول : كنا يوماً عند أبي إسحاق القيسي ومعنا محمد بن نصر المروزي فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فقال محمد بن نصر : سمعته يقول : من زعم أنني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإنني لم أقله ، فقلت له يا أبا عبد الله ، قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه . فقال : ليس إلا ما أقول . قال أبو عمرو الخفاف ، فأتيت البخاري ، فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه فقلت : يا أبا عبد الله ها هنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة ، فقال : يا أبا عمرو احفظ ما أقول لك : من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أنني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كاذب ، فإنني لم أقله ،

(١) السير ٤٥٦/١٢ ، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ - ٢٦٠ ص ٢٦٨ .

إلا أنني قلت أفعال العباد مخلوقة^(١). فقول محمد بن نصر المروزي رحمه الله للبخاري « قد خاض^(٢) الناس في هذا وأكثروا » دليل على شيوع المقالة وانتشارها عنه في تلك النواحي . وتعداد البخاري لهذه البلاد الكثيرة إقامة حجة منه وبراءة أنه لم يقل ذلك سواء شاع عندهم ذلك أو لم يشع .

ومع توالي الأيام تزداد الشقة والوحشة ويبين كل منهما مذهبه وما يراه ، والطلبه ينقلون ذلك وهذا الذهلي يبين موقفه من كلام الناس في القرآن بما فيهم البخاري .

(١) السير ١٢/٤٥٧ ، ٤٥٨ ، تاريخ بغداد ٢/٣٢ ، طبقات السبكي ٢/٢٣٠ ، هدي الساري ٤٩١ .
(٢) يستفاد من هذه العبارة « خاض » بأنها مشعرة بأن الناس على مختلف مستوياتهم ما بين طلاب علم ومتعلمين وعلماء وعوام قد خاضوا ، وأخطر ما في هذا الأمر أن يصبح مادة في المجالس وفي المنتديات ، وفي شتى أماكن تجمع الناس ، تلوكها الألسنة وتضيف إليها الأفكار . فلا بد أن الإمام الذهلي قد قذفت إليه أمواج هذه المعركة ذلك الركام الهائل من تلك الأقاويل التي أضيفت إلى مقولة الإمام البخاري ، وبالتالي كان الإمام البخاري ينقل إليه صدق خوض الناس في هذه القصة وما زيد على كلامه ، فكان يتألم غاية الألم ولا يستطيع لذلك دفاعاً ولعل عبارة الإمام المروزي : في النص الذي نقلناه عنه حيث يصف الإمام البخاري أنه يتألم . لأنه معروف أن العوام حينما يخوضون في قضية وتلوكها ألسنتهم فإنه من الصعب إلجامهم عند حد ما وإنما يأخذ الأمر مداه حتى تهدأ رياح ذلك الخوض العنيف ، وغالباً ما يكون هناك ضحايا بالحق والباطل لمثل هذه الرياح ولعل انفعال الإمام البخاري في رده على الإمام المروزي ذلك الانفعال الشديد يمثل ما يجده الإمام البخاري في نفسه من الألم تجاه ما تتناقله الألسنة منسوباً إليه حيث قال رحمه الله مخاطب المروزي : " من زعم أنني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإني لم أقله ، فقال له المروزي : قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه ، فقال له : « ليس إلا ما أقول » وينبغي ونحن نرصد تطور هذه الفتنة وظهورها ألا نغفل ولا ينبغي لباحث قط أن يغفل دور المعتزلة وأشياعهم في تأجيج نار المعركة ، فإنهم بالتأكيد لم يقفوا مكتوفي الأيدي أو مسالمين ، وإنما ناسبتهم هذه الفرص فاهتبلوها مسرورين فزادوا في إشعالها ترويحاً لمذهبهم الباطل القائل بخلق القرآن ، ومتابعة وإحياء للقضية لما فشلوا مع الإمام أحمد فركبوا مطية مقولة الإمام البخاري وهي قسمين (مجملة فيها تلميح) وأضافوا إليها تحويراً وتطويراً وزيادة بما كان سبباً في تأزم القضية وإنتهاؤها على هذا النحو المؤسف ، وموقف المعتزلة هذا كان وسيكون صورة تتكرر في كل قضية يكون فيها اختلاف وبإمكان هؤلاء الدخول في زوايا هذا الاختلاف ترويحاً لبدنهم الباطل أو كذباً على أحد أطراف الخلاف نكاية فيه ورغبة في القضاء عليه ، وهي لهم على كل حال فرصة جيدة فأمثال هؤلاء إنما يصطادون في الماء العكر . راجع ٣٨٣ وقصته مع أحمد بن سيار .

قال أبو حامد ابن الشرقي : سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول :
 [القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته ، وحيث تصرف ، فمن لزم هذا
 استغنى عن اللفظ ^(١) ، وعما سواه من الكلام في القرآن ، ومن زعم أن القرآن
 مخلوق فقد كفر ^(٢) وخرج عن الإيمان ، وبانت منه امرأته ، يستتاب فإن تاب وإلا
 ضربت عنقه ، وجعل فيئاً بين المسلمين ولم يدفن في مقابرهم ، ومن وقف ، فقال
 : لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق ، فقد ضاهى الكفر ^(٣) ومن زعم لفظي بالقرآن
 مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم ^(٤) ، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد
 ابن إسماعيل البخاري فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل
 مذهبه] ^(٥) .

(١) الذهلي هنا يحكي تصميمه على متابعة أحمد في عدم التعرض للمسألة أساساً ، والإيمان بأن
 القرآن غير مخلوق على كل حال .

(٢) هذا حكمه على المعتزلة القائلين بخلق القرآن ، ويجب ألا نفهمه على البخاري كما هو واضح
 من تقسيماته الكلام على المعتزلة ثم الواقعة ثم اللفظية . ولا يظن بالذهلي أن يخرج الغضب
 إطلاقاً لتكفير البخاري ، فليفهم . وانظر حكمه هذا في المعتزلة القائلين بخلق القرآن في شرح
 أصول السنة للالكائي ٢ / ٣١٠ .

(٣) وانظر قوله في الواقعة ضمن علماء خراسان في شرح اعتقاد أصول السنة للالكائي ٢ / ٣٢٨ .
 قال : « وعن محمد بن يحيى الذهلي : من وقف في القرآن فمحلّه محل من زعم أن القرآن
 مخلوق » والواقعة كما هو ظاهر من كلام الذهلي هم الذين يققون في القرآن فلا يقولون مخلوق
 ولا غير مخلوق . وهو وصف يطلق على اتجاهين ، الأول : من يقف ولا يصرح بعقيدته لعدم
 وضوح الحق لديه فهذا شاك . وإذا لم يتب فهو كافر . الثاني : من يقف تورعاً مع اعتقاده « أن
 القرآن كلام الله » ولكنه كره الخوض في ذلك . فهو مبتدع لظهور المسألة ووضوحها . . . انظر
 الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، باعتناء بد البدر ص ١٦٧ - وأقوال السلف في
 تكفيرهم وتبديعهم في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٩ .

(٤) هذا ما يخص الإمام البخاري من كلام الذهلي وهو تبديعه لقوله ' لفظي بالقرآن مخلوق ' كما
 فهم ذلك الذهلي وجماعة من العلماء .

(٥) السير ١٢ / ٤٥٥ - ٤٥٦ .

وقال الحاكم : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ابن الأخرم ، سمعت ابن علي المخلدي ، سمعت محمد بن يحيى يقول : قد أظهر هذا البخاري قول اللفظية ، واللفظية عندي شر من الجهمية (١) .

وليس مقصود الذهلي رحمه الله أن البخاري وافق الجهمية في معتقداتهم ولا أن حكمه حكمهم ، فهذا دونه خرط القتاد فيهما رضي الله عنهما ، بدليل أنه

(١) السير ٤٥٩/١٢ ، هدى الساري ٤٩٢ ، والذي فهمه الذهلي من تفصيل القول في اللفظ أنه خروج عن السنة وعن حياد الإمام أحمد ، وظن ظناً بعيداً هو وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وأبو بكر ابن الأعين ، وأنه من الصنف الثالث من الجهمية الذين قسمهم الإمام أحمد والأئمة وقد سبق ولا بأس أن أعيده لأهميته قالوا : (افترقت الجهمية ثلاث فرق : فرقة قالت : القرآن مخلوق ، وفرقة قالت : نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق ، وفرقة قالت : تلاوة القرآن واللفظ بالقرآن مخلوق) أ. هـ انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢٦٠/١ ، وقول الفرقة الثالثة هو الذي اشتمل على حق وباطل ، وهو الذي دار فيه النقاش بين المحدثين وجرى عليه الاختلاف ولم يثبت فيه الإمام أحمد إلا بالحياد ، لأن كثيراً ممن قالوا به كان مقصدهم التجهم والقول بخلق القرآن ، ولكن لم يتجرأ على ذلك لغلبة أهل السنة ، فاستتروا بهذا القول ، كما قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى ٦٥٥/٧ عندما سئل عن الإيمان مخلوق أم غير مخلوق ، . . . فعندما فصل البخاري وتجرأ في ذلك لأمانة التبليغ والبيان وقوله هو الحق رحمه الله ، ولم يؤثر عن الإمام أحمد تفصيل بذلك بل التجيهم والتبديع حكمة منه رحمه الله في وقت نشوء الفتنة ، قال ابن قيم الجوزية : " فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه ، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله ، فإن الإمام أحمد سد الذريعة ، حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفيًا وإثباتاً على اللفظ " . مختصر الصواعق المحرقة ص ٤٣٨ .

« أقول » فلما فصل البخاري ولم يؤثر عن الإمام أحمد تفصيل ظن الذهلي وغيره مجانبته للسنة على جلالة قدره عندهم ، ومع هذا عادوه من أجل السنة كما فهموا من القضية ، وحصل أن ورد البخاري " مرو " سنة ٢٥٠ هـ وسمع منه أبو حاتم وأبو زرعة ثم تركا حديثه لما كتب إليهما محمد ابن يحيى أنه أظهر أن لفظه بالقرآن مخلوق . " الجرح والتعديل ١٩١/٧ وقد عقب على هذا الإمام الذهبي فقال " إن تركا حديثه أو لم يتركاه ، فالبخاري ثقة مأمون محتج به في العالم " السير ٤٦٣/١٢ ، والقضية فيها اضطراب كما قال ابن تيمية : « ومسألة القرآن قد كثر فيها اضطراب الناس حتى قال بعضهم : مسألة الكلام حيرت عقول الأنام ، وغالبهم يقصدون وجهاً من الحق ويعزب عنهم وجه آخر » مجموع الفتاوى ٢١١/١٢ .

بدّعه وأمر بهجره فقط كما مر معنا . وإنما مقصوده أنّه وافق من يقول منهم
« لفظنا بالقرآن مخلوق » وهم في حقيقتهم يريدون القول بخلق القرآن .

ويبين ابن تيمية أن تجهيم من يتلبس بإحدى مسائل الجهمية معناه « تضعيف
قوله في تلك المسألة بالذات » ويظهر للذهلي في ذلك العذر ، « لأنه كان يرى
حال البخاري حال من جهمهم أحمد » كما فهم من تصريحاته وما نسب إليه .
يقول ابن تيمية : « وغامة كلام أحمد إنما هو يجهم اللفظية . لا يكاد يطلق القول
بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية . وقد نسب إلى هذا القول غير واحد من
المعروفين بالسنة والحديث : كالحسين الكرابيسي ، ونعيم بن حماد الخزاعي ،
والبويطي ، والحارث المحاسبي ، ومن الناس من نسب إليه البخاري » (١) .

ويبدو من نص كلام الذهلي متابعته لأحمد فقد نقل العليمي سؤال أحمد
ابن إبراهيم للإمام أحمد قال : هؤلاء الذين يقولون : إن ألفاظنا بالقرآن
مخلوقة ؟ فقال : « هذا شر من الجهمية . من زعم هذا فقد زعم أن جبريل جاء
بمخلوق ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بمخلوق » أ. هـ (٢) .

ويتضح من كلام الذهبي الآتي صلابة الذهلي ووقوفه عند نصوص الإمام
أحمد والمنع من الخوض في المسألة كلية : وكان في ذلك يشكل منهجاً تربوياً
فكرياً فيه الحيطة والحذر الشديدين من المخالفة والحيدة عن السنة ، لذا لما تجرأ
البخاري فلوح وما صرح ظن به الذهلي الظنون ومع رفعه لمقامه من التجهيم
والإعتزال كلية إلا أنه يراه قد تلبس ببعض كلام الجهمية ، والتلبس ببعض كلام
الجهمية قد وقع فيه بعض أهل الإثبات لأسماء الله كابن رشد الحفيد ومثل ابن
كلاب والقلانسي والأشعري (٣) . ويقول الذهبي في هذا الصدد : « كان الذهلي

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٢ .

(٢) المنهج الأحمد ٢١/١ .

(٣) انظر عرض ابن تيمية لهذه المسائل في مجموع الفتاوى ٢٠٥/١٢ ، ٢٠٦ .

شديد التمسك بالسنة، قام على محمد بن إسماعيل لكونه أشار في مسألة «خلق العباد» إلى أن تلفظ القارئ بالقرآن مخلوق، فلوّح وما صرّح، والحق واضح، ولكن أبي البحث في ذلك أحمد بن حنبل وأبو زرعة والذهلي، والتوسع في عبارات المتكلمين سداً للذريعة، فأحسنوا أحسن الله جزاءهم، وما زال كلام المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده» (١).

وهذا قول آخر في عقيدته في القرآن :-

قال محمد بن نعيم سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول : «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف ولا نرى الكلام فيما أحدثوا فتكلموا في الأصوات والأقلام، والخبر والورق، وما أحدثوا من المثلي والمثلي، والمقري والمقري، فكل هذا عندنا بدعة، ومن زعم أن القرآن محدث فهو عندنا جهمي لا نشك في ذلك ولا نثري» (٢).

قال الذهبي بعد هذه الرواية عن الذهلي : «كان الذهلي إمام خراسان بعد إسحاق بلا مدافعة وكان رئيساً مطاعاً عظيم الشأن».

وهنا تبدو لنا مشابهة أقوال الذهلي لأحمد «فقوله القرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف» قد أثير نفسه عن أحمد والأئمة السابقين (٣) وباقي كلامه يدل على شدته المتناهية في عدم الخوض في الكلام بتاتاً حتى وإن كان فيه بيان للحق كالتفريق بين القراءة والمقروء كما فعله البخاري تديناً ومتابعةً لأحمد . . . والذي نعتقده فيه أنه يرى خلق أفعال العباد وأن قراءة العبد للقرآن مخلوقة «وإن لم يكن بين أيدينا نص في ذلك عنه»

(١) السير ١٢ / ٢٨٥ .

(٢) مختصر العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص ٢٠١ .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل ١ / ٢٦٥ بتحقيق محمد رشاد سالم .

ويؤكد هذا ويبينه السبكي رحمه الله قال : « وقال محمد بن يحيى الذهلي من زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم . . . ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر . . . وإنما أراد محمد بن يحيى - والعلم عند الله - ماأراده أحمد بن حنبل كما قدمناه في ترجمة الكرايسي^(١) من النهي عن الخوض في هذا، ولم يرد مخالفة البخاري ، وإن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثين قديم فقد باء بأمر عظيم ، والظن به خلاف ذلك ، وإنما أراد هو وأحمد وغيرهما من الأئمة النهي عن الخوض في مسائل الكلام ، وكلام البخاري عندنا محمول على ذكر ذلك عند الإحتياج إليه ، فالكلام في الكلام عند الإحتياج واجب والسكوت عنه عند عدم الإحتياج سنة ، فافهم ذلك ودع عنك خرافات المؤرخين ، واضرب صفحاً عن تمويهات المضلين ، الذين يظنون أنهم محدثون ، وأنهم عند السنة واقفون ، وهم عنها مبعدون ، وكيف يظن بالبخاري أنه يذهب إلى شيء من أقوال المعتزلة وقد صح عنه أنه قال : إني لأستجهل من لم يكفر الجهمية ، ولا يرتاب المنتصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد ، التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة »^(٢) .

والسبكي رحمه الله الذي قرر أن الذهلي قد لحقته آفة الحسد ، قد قال : « وكان البخاري على ما روى وحكى فيه ممن قال لفظي بالقرآن مخلوق »^(٣) .

وأعقب وأقول أن كلام السبكي هذا محض فهم وتحليل منه في هذه المعضلة ، وله ذلك فإننا جميعاً لا توجد لدينا نصوص كافية لدقائق الأحداث تجعلنا ننفي الحسد عن الذهلي وثورته ومن معه على البخاري وإن كنت أجعل

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى ١١٨/٢ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٠ ، تاريخ الإسلام حوادث « ٢٥١ - ٢٦٠ » ، ٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٢٩ .

نصيباً كبيراً من ذلك تديناً منه ورفضاً للبدع ، وكلامه في البخاري قاله لما فهم
ونقل من مخالفيه وعامة طلبة العلم ، وإن كان رحمه الله قد نفى ذلك ، وهو
الصادق ولكن في عرض مثل هذه الأمور يؤخذ في الاعتبار جميع الأطراف وقد
بين السبكي أن تحليلاته السابقة كانت فهماً من كلامهم في غير رواية . فقال
... : «والحاصل ما قدمناه في ترجمة الكرايسي من أن أحمد بن حنبل ،
 وغيره من السادات الموفقين ، نهوا عن الكلام في القرآن جملة وإن لم يخالفوا في
مسألة اللفظ ، فيما نظنه فيهم ، إجلالاً لهم وفهماً من كلامهم في غير رواية ،
ورفعاً محلهم عن قول لا يشهد له معقول ولا منقول ، ومن أن الكرايسي
والبخاري وغيرهما من الأئمة الموفقين أيضاً أفصحوا بأن لفظهم مخلوق ، لما
احتاجوا إلى الإفصاح ، هذا إن ثبت عنهم الإفصاح بهذا وإلا فقد نقلنا لك قول
البخاري أن من نقل عنه هذا فقد كذب عليه . فإن قلت : إذا كان حقاً لم لا
يفصح به ؟ قلت : سبحان الله قد أنبأناك أن السر في تشديدهم في الخوض في
الكلام في علم الكلام خشية أن يجرحهم الكلام فيه إلى ما لا ينبغي ، وليس كل
علم يفصح به ، فاحفظ ما تلقينه ، واشدد عليه يدك » (١) .

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٣١ .

إشتداد الوحشة بين البخاري والذهلي

قال الحاكم : وسمعت محمد بن صالح بن هاني ، سمعت أحمد بن سلمة يقول : دخلت على البخاري فقلت : يا أبا عبد الله هذا رجل مقبول بخراسان خصوصاً في هذه المدينة ، وقد لجّ في الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه ، فما ترى ؟ فقبض على لحيته ، ثم قال : ﴿ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ ^(١) اللهم إنك تعلم أنني لم أرد المقام بنيسابور أشراً ولا بطراً ، ولا طلباً للرئاسة ، وإنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين ^(٢) وقد قصدني هذا الرجل حسداً لما آتاني الله لا غير ، ثم قال لي يا أحمد إنني خارج غداً لتتخلصوا من حديثه لأجلي ، قال فأخبرت جماعة من أصحابنا ، فوالله ما شيعه غيري ، كنت معه حين خرج من البلد ، وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره ^(٣) .

(١) سورة غافر آية ٤٤ .

(٢) وطنه هو بخارى ولم أجد فيما قرأت من هم المخالفون له في بخارى وما سبب الخلاف وهل هو نفس القضية أم غيرها .

(٣) السير ١٢/٤٥٩ ، هدى الساري ٤٩٢ .

دفاع مسلم عن البخاري وقوله بمذهبه مما سبب الوحشة بينه وبين الذهلي وأدى إلى خروج البخاري من نيسابور

ويبدو أن الذهلي كان يكن للإمام مسلم محبة وتقديرًا لذا نراه لما وافق البخاري على مذهبه وأصر على القول باللفظ معه يشتد غضبه وتستحكم الوحشة بينه وبين الذهلي .

قال الخطيب البغدادي : أخبرني محمد بن علي المقرئ أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري قال سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول : لما استوطن محمد بن اسماعيل البخاري نيسابور ، أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ، ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر ، وخرج من نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم ، فإنه لم يتخلف عن زيارته ، فأنهى إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن حجاج على مذهبه قديماً وحديثاً ، وأنه عوتب على ذلك بالعراق والحجاز ولم يرجع عنه ^(١) فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه : ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا .

فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ما كان كتب منه وبعث به على ظهر جمال إلى باب محمد بن يحيى فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته ^(٢) .

وقال ابن كثير : « وترك الرواية عن الذهلي بالكلية فلم يرو عنه شيئاً في الصحيح ولا في غيره ، واستحكمت الوحشة بينهما » ^(٣) .

(١) في الكلام السابق دلالة على أن مذهب الذهلي كان سائداً في نيسابور والعراق والحجاز .

(٢) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٣ .

(٣) البداية والنهاية ١١ / ٣٤ . وقال الحافظ ابن حجر في هدي الساري ص ٤٩١ : « وقد أنصف مسلم فلم يحدث في كتابه لا عن هذا ، ولا عن هذا » .

قال الحاكم : وسمعت محمد بن يوسف المؤذن سمعت أبا حامد ابن الشرقي يقول : حضرت مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقال : ألا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا ، فقام مسلم بن الحجاج من المجلس . رواها أحمد بن منصور الشيرازي عن محمد بن يعقوب ، فزاد ، وتبعه أحمد بن سلمة . قال أحمد بن منصور الشيرازي : سمعت محمد بن يعقوب ابن الأخرم ، سمعت أصحابنا يقولون : لما قام مسلم وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي ، قال الذهلي : لا يساكنني هذا الرجل في البلد . فخشي البخاري وسافر (١) .

(١) السير ١٢/٤٦٠ ، وقال ابن حجر معقباً على موقف مسلم " وقد أنصف مسلم فلم يحدث في كتابه عن هذا ولا هذا « هدي الساري ٤٩١ ، وهناك رواية معلقة مرجوحة في سبب انقطاع مسلم عن الذهلي ، قال الحاكم : « وقال مكي بن عديان : وافى داود بن علي الأصبهاني نيسابور أيام إسحاق بن راهويه ، فعقد له مجلس النظر ، وحضر مجلسه يحيى ابن الذهلي ومسلم بن الحجاج ، فجرت مسألة تكلم فيها يحيى ، فزبره داود ، قال : اسكت يا صبي ولم ينصره مسلم ، فرجع إلى أبيه ، وشكا إليه داود ، فقال أبوه : ومن كان ثم ؟ قال : مسلم ولم ينصرني ، قال : قد رجعت عن ما حدثته به ، فبلغ ذلك مسلماً ، فجمع ما كتب عنه في زنبيل ، وبعث به إليه وقال لأروى عنك أبداً . قال أبو عبد الله الحاكم : علقته هذه الحكاية ، عن طاهر بن أحمد عن مكي ، وقد كان مسلم يختلف بعد هذه الواقعة إلى محمد بن يحيى ، وإنما انقطع عنه من أجل البخاري . . . الخ . سير أعلام النبلاء ١٢/٥٧١ . وقال الذهبي رحمه الله : ثم إن مسلماً لحدة في خلقه ، انحرف أيضاً عن البخاري ، ولم يذكر له حديثاً ، ولا سماه في صحيحه ، بل افتتح كتابه بالخط على من اشترط اللقي لمن روى عنه بصيغة « عن » . . . الخ ، السير ١٢/٥٧٣ .

خروج الإمام البخاري من نيسابور

قال أبو عبد الله الحاكم: أول ماورد البخاري نيسابور سنة تسع ومئتين، ووردها في الأخير سنة خمسين ومئتين فأقام بها خمس سنوات يحدث على الدوام^(١). وهناك رواية تذكر دخول البخاري إلى «مرو»^(٢) وأنه سئل فيها عن اللفظ، ولانعلم إن كان دخوله إياها أثناء إقامته بنيسابور، أو بعد خروجه منها في المرة الأخيرة وكانت قبل بخاري.

قال أحمد بن منصور الشيرازي سمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت إبراهيم وراق أحمد بن سيار يقول: لما قدم البخاري مرو استقبله أحمد بن سيار فيمن استقبله، فقال له أحمد: يا أبا عبد الله، نحن لانخالفك فيما تقول، ولكن العامة لاتحمل ذا منك. فقال البخاري: إني أخشى النار، أسأل عن شيء أعلمه حقاً أن أقول غيره، فانصرف عنه أحمد بن سيار^(٣).

ويبدو أن خروجه من نيسابور كان عام ٢٥٥ هـ وتوجه إلى بخاري وفيها حدث له من المحن والشدائد ما الله به عليم.

(١) السير ٤٠٤/١٢.

(٢) «مرو» الروذ والنسبة إليها «مروذي» ومرو الشاهجان والنسبة إليها «مروزي» وبينهما خمسة أيام والأخيرة هي أشهر مدن خراسان وبينها وبين نيسابور ٧٠ فرسخاً. معجم البلدان ١١٢/٥.

(٣) السير ٤٦٢/١٢، وانظر ترجمة أحمد بن سيار ص ٢٢٤.

محنة البخاري في بخاري* مع أميرها خالد بن أحمد الذهلي**

قال غنجار في تاريخه: «سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد المقرئ، سمعت بكر بن منير بن خليل بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخاري إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلي كتاب «الجامع» و«التاريخ» وغيرهما لأسمع منك فقال لرسوله: أنا لأذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس. فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضر في مسجدي، أو في داري. وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطان، فامنني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأنني لأكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار»^(١) فكان سبب الوحشة بينهما هذا^(٢). وقال الحاكم: «حدثنا خلف بن محمد حدثنا سهل بن شاذرية قال: كان محمد بن إسماعيل يسكن سكة الدهقان، وكان جماعة يختلفون إليه يظهرون شعار أهل الحديث من أفراد الإقامة، ورفع الأيدي في الصلاة وغير ذلك فقال حريث ابن أبي ورقاء وغيره: هذا رجل مشغب، وهو يفسد علينا هذه المدينة، وقد أخرجه محمد بن يحيى من نيسابور، فاحتجوا عليه بآبن يحيى، واستعانوا عليه بالسلطان في نفيه من البلد، فأخرج وكان محمد بن

(*) بخاري: بالضم، من بلاد خراسان، وهي بلد واسع يشق على المدن كبراً ومحاسن وكثرة أشجار، افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية رضي الله عنه، وقد استباحها التتر سنة ٦١٦هـ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٣٥٣، والروض المعطار للحميري ص ٨٢.

(**) سبقت ترجمته ص ٥٨.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٥٨) في كتاب العلم باب كراهية منع العلم (٤/ ٦٧) وأورده الألباني في صحيح أبي داود وقال: حسن صحيح ٦٩٦/٢.

(٢) السير ٤٦٤/١٢.

إسماعيل ورعاً يتجنب السلطان ولا يدخل عليهم»^(١). وفي رواية رواها الحاكم عن محمد بن العباس الضبي أن سبب اخراج البخاري هو عدم حمل كتابيه الجامع والتاريخ إلى أمير بخارى فاستعدى عليه ببعض أهل بخارى ومنهم حريث ابن أبي الورقاء وتكلموا في مذهبه ونفي عن البلد^(٢).

وهناك روايات فيها أن محمد بن يحيى الذهلي كتب إلى أمير بخارى خالد ابن أحمد بما أظهره البخاري في نيسابور من اللفظ مما كان سبباً في إخراجهم وهذه الروايات لا تخلو من ضعف واضطراب ومثال ذلك :-

رواية أحمد بن منصور الشيرازي قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : لما قدم أبو عبد الله بخاري نُصِبَ له القباب على فرسخ من البلد ، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور إلا استقبله ، ونُثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير ، فبقي أياماً . قال فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد الذهلي أمير بخاري أن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى ، فقالوا لانفارقة فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج»^(٣).

وهذه الرواية الوحيدة على انقطاع سندها كما هو واضح فإن الشطر الأخير منها يخالف تماماً ما نقله نفس الراوية ونفس النص^(٤) إلا جزءه الأخير والذي يفيد أن الذهلي لم يكن له في القضية أي تدخل ، وإنما وقع بين البخاري وبين أمير بخارى فامره بالخروج إلى بيكنند وهذا اضطراب ، إذ إن الروایتين كليهما رويتا عن الشيرازي وجزءا منها الأخيرين متناقضان تماماً . وقال الذهبي لما ذكرها : هذه رواية شاذة منقطعة والصحيح ما يأتي بخلافها^(٥).

(١) تاريخ بغداد ٣٣/٢ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٣٢ ، هدي الساري ص ٤٩٣ ، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٥ .

(٢) هدي الساري ٤٩٣ ، السير ١٢/٤٦٤ ، تاريخ بغداد ٣٣/٢ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٣٣ .

(٣) السير ١٢/٤٦٣ .

(٤) انظره في هدي الساري ٤٩٣ .

(٥) السير ١٢/٤٦٤ .

« وذكر ابن كثير أن كتاب الذهلي وصل إلى أمير بخارى في وقت اختلافه مع محمد بن إسماعيل . . . الخ » وكان كلامه رحمه الله عارياً من الاسناد والتوثيق وإن كان هو إمام المحدثين والناقدين . ولكنه كان أقرب إلى التعليق والتدليل على أن البخاري مستجاب الدعوة لأنه دعا على أمير بخارى فاستجاب الله دعاءه كما سأورده بعد قليل (١) .

وتم رواية ثلاثة أورها الذهلي في سيره قال : " سمعت ابن الأخرم يقول سمعت أحمد بن سلمة يقول : سئل محمد بن إسماعيل البخاري عن القرآن فقال : كلام الله . فقالوا كيفما تصرف ؟ فقال : والقرآن يتصرف بالأسنة ؟ فأخبر محمد بن يحيى فقال : من أتى مجلسه فلا يأتيني وأخرج جماعة ، فخرج إلى بخارى . وكتب الذهلي إلى خالد أمير بخارى وإلى شيوخها بأمره ، فهم خالد حتى أخرجه محمد بن أحمد بن حفص إلى بعض رباطات بخارى ، فبقي إلى أن كتب إلى أهل سمرقند يستأذنهم في القدوم عليهم ، فامتنعوا عليه ومات في قرية (٢) .

وهذه الرواية إجابات البخاري فيها تخالف ما عرف عنه من بيان لموقفه دون تردد « وتفصيله لمذهبه » الذي سبب له الخروج من نيسابور ، فكيف يكتب هنا بمثل هذه الإجابات وقد عاهد الله أن يقول الحق !

هذه هي الروايات التي تذكر أن للذهلي ضلعاً في إيذائه ببخارى وهي كما ترى لا تثبت أمام الروايات المذكورة والتي تؤكد أن محنته رحمه الله كانت محض خلاف ووحشة مع أميرها خالد الذي استعدى عليه بعض أتباعه واستغلوا موقف الذهلي منه فشهروا به وأخرجوه . وعلى فرض تماسك هذه

(١) البداية والنهاية ٢٧/١١ .

(٢) السير ٦١٧/١٢ . والذي أخرج البخاري إلى الرباط هو ابن الزبرقان وكان رفيقاً له أيام الطلب وكان كما ذكره الذهبي عالم ما وراء النهر ، إمام للحنفية ثقة ورعاً صاحب سنة واتباع . واسم القرية « خرتنك » كما سيأتي .

الروايات سنداً ومتناً وأن الذهلي قد كاتب أمير بخارى . . فإن البخاري موقفه متباين من الطائفتين . . . ففي حين نجده يعذر الذهلي فيما عمل معه ويؤول عمله بالחסد ومن ثم يروي عنه في صحيحه ٣٤ حديثاً، وفي غير الصحيح ويكتفي بالألا يذكر اسمه كاملاً^(١)، نجده في المقابل يدعو على أمير بخارى وابن أبي الورقاء ومن عاونهما عليه، وكأنه شعر أنهم يعادونه بهتاناً وظلماً ودوغماً سبب وجهه . . . وتروي لنا الأخبار أن الله استجاب دعاءه فأراه فيهم عجائب قدرته كما سيأتي بعد قليل .

وقد اشتدت المحنة بالبخاري في بخارى وكان صابراً مفوضاً أمره إلى الله، ولكنه أخيراً دعا عليهم فمزقهم الله .

قال محمد ابن أبي حاتم: « سمعت البخاري يقول : لم يكن يتعرض لنا قط أحد من أفتاء الناس إلا رمي بقارعة، ولم يسلم، وكلما حدث الجهال أنفسهم أن يمكروا بنا رأيت من ليلتي في المنام نارا توقد ثم تطفأ من غير أن يتنفع بها فأتأول قوله تعالى ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾^(٢)، وكان هجيراً من الليل إذا أتته في آخر الليل مقدمه من العراق ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾^(٣) .

وقال ابن أبي حاتم: أتى رجل إلى أبي عبد الله البخاري فقال : يا أبا عبد الله إن فلاناً يكفرك فقال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)^(٤) . وكان كثير من أصحابه يقولون له : ان بعض الناس

(١) البداية والنهاية ١١/٣٤ .

(٢) المائدة : ٦٤ .

(٣) آل عمران : ١٦٠ .

(٤) أخرجه في صحيحه الإمام البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ١٢٦/٧ من حديث أبي هريرة واللفظ له، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم : يا كافر ١/٧٩، من حديث عبد الله بن عمر بنحوه .

يقع فيك فيقول: «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»^(١) ويتلو «ولا يحق المكر السيء إلا بأهله»^(٢) فقال له عبد المجيد بن إبراهيم: كيف لاتدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟ فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من دعا على ظالم فقد انتصر»^(٤) (٥).

وقد جعلت ذكر أحواله هذه في محنته ببخارى لأننا لم نجده في أي رواية يرمي الذهلي بما يرمي به أهل بخارى من الكيد والمكر، بينما نجده في نيسابور صابراً مبيناً للناس مذهبه وكأنه كان عاذراً للذهلي، ويؤكد هذا أنه لم تمر بنا رواية واحدة تبين إصابة الذهلي بدعاء البخاري الذي دعاه على أهل بخارى فقال «اللهم أرهم ما قصدوني في أنفسهم وأولادهم وأهليهم» فاستجاب الله دعاءه. فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان وأشخص على إكاف ثم صار عاقبة أمره إلى الذل والحبس. وأما حريث ابن أبي الورقاء فانه أبتلي في أهله فرأى فيها مايجل عن الوصف، وأما فلان فانه أبتلي في أولاده فأراه الله فيهم البلايا»^(٦).

(١) النساء: ٧٦.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) آخر عبارة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ١٢٢/٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم ٧٣٨/٢، حديث رقم ١٠٦١، كلاهما من طريق عبد الله بن عاصم مرفوعاً بمثله.

(٤) حديث ضعيف أخرجه الترمذي في الدعوات ٥١٨/٥، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٣٥٥٢ وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي حمزة. وأخرجه أيضاً في العلل الكبير ٩٢٢/٢، وذكر فيه تضعيف البخاري الشديد لأبي حمزة، والحديث ضعفه أيضاً المناوي في فيض القدير ١٦٣/٦.

(٥) السير ٤٦١/١٢.

(٦) من رواية الحاكم عن أبي العباس الضبي، هدي الساري ص ٤٩٣، السير ٤٦٥/١٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٣٣. أما الأمير خالد فقد ذكر الخطيب البغدادي من أخباره ما يلي: «كان نصرك البغدادي يفيد خالد بن أحمد الأمير ببخارى عن ستمائة محدث، غير أن محمد بن =

أما البخاري فقد خرج إلى قرية خَرْتَنَك^(١) على فرسخين من سمرقند، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، ويروي عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي أنه سمعه ليلة يدعو وقد فرغ من صلاة الليل، اللهم إنه قد ضاقت على الأرض بمأرحتك فاقبضني إليك^(٢) فما تم الشهر حتى مات، وقبره بخرتنك.

وقال محمد ابن أبي حاتم: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: «إنه أقام عندنا أياماً فمرض، واشتد به المرض، حتى وجه رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد^(٣) فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفيه وتعمم، فما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها، وأنا أخذ بعضده، ورجل آخر معي يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت، فدعا بدعوات ثم اضطجع فقبض رحمه الله فسال منه العرق شيء لا يوصف، فما سكن منه العرق حتى أدرجناه في ثيابه... الخ^(٤) وكانت وفاته ليلة عيد الفطر عند صلاة العشاء عام ست وخمسين ومائتين من الهجرة النبوية.

= إسماعيل حبس عنه ببخارى وأظهر الاستخفاف به، فاعتل عليه خالد باللفظ فنفاه من بخارى حتى مات في بعض قرى سمرقند، وقد قال بعض أهل العلم: إن ما فعله بمحمد بن إسماعيل البخاري كان سبب زوال ملكه" وقصة ذلك ماوراه أبو رجاء السندي قال: كان خالد بن أحمد اشتد على الطاهرية في آخر أمورهم ومال إلى يعقوب بن الليث القائم بسجستان، فلما حمل محمد بن طاهر إلى سجستان كان خالد بهراً فتكلم في وجهه بما ساءه، ثم اجتاز خالد ببغداد حاجاً سنة تسع وستون فحبس ببغداد ومات في الحبس سنة تسع وستين ومائتين وقيل توفي سنة سبعين ومائتين. تاريخ بغداد ٣١٤/٨.

(١) خَرْتَنَك: قال ياقوت: بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وفتح التاء المثناة من فوق، ونون ساكنة، وكاف: قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ، بها قبر محمد بن إسماعيل البخاري، ينسب إليها أبو منصور غالب ابن جبريل الخرتنكي، وهو الذي نزل عليه البخاري ومات في داره. معجم البلدان ٣٥٦/٢ الباب ١/٤٣٠، مرصد الإطلاع، لصفي الدين البغدادي ٤٥٧/١.
(٢) تاريخ بغداد ٤/٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٣٢، السير ١٢/٤٦٦، هدي الساري ٤٩٣.
(٣) في هدي الساري «فمرض أياماً حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم» ص ٤٩٣.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٣٣، السير ١٢/٤٦٦، هدي الساري ص ٤٩٣.

المطلب الثالث

اعتذارات العلماء عن البخاري والذهلي وتوجيهاتهم لمثل هذه الاختلافات

وبعد هذه الجولة مع مسألة اللفظ، وما في ثناياها من الاختلاف، وما في طيات الأحداث بين الإمامين البخاري والذهلي من غصص وآلام لا بد أن ننشر على هذه الأحداث « زهوراً . . . فيأحة الشذا » من الاعتذرات أهدها أسلافنا لأسلافهم رحمهم الله أجمعين .

وأتوج هذه الاعتذارات والتوجيهات . . بموقف الإمام البخاري الأخلاقي النبيل الذي، تخطى حدود الاختلاف وتجاوز حظوظ النفس . . وهو روايته عن الذهلي أربعة وثلاثين حديثاً^(١) في جامع الصحيح الذي يعد أصح كتاب في الدين بعد كتاب الله واكتفي بالأذكر إسمه كاملاً . ففي إثباته هذه المرويات توثيق له ولعله التمس له عذر الاجتهاد في الأمر بخلاف أهل بخارى الذين دعا عليهم .

وقد جُمع البخاري والذهلي في مقامات الثناء والمتابعة للسنة وسلامة العقيدة في مواطن :-

* منها :- قول ابن تيمية رحمه الله عند كلامه على تعطيلات الجهمية وتأويلات غيرهم لصفات الله تبارك وتعالى « . . . ولما كان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد بن يحيى الذهلي »^(٢) .

* ومنها :- ما ذكره شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في رسالته القيمة « عقيدة السلف أصحاب الحديث » بعد كلام أبي رجاء قتيبة بن سعيد ،

(١) هذه الأحاديث متفرقة في كتاب الجامع وسأشير إليها جميعاً عند الحديث عن مرويات الذهلي .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/٢ .

وأحمد بن سلمة أن من أحب سفيان الثوري ومالكاً والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الأحوص وشريكاً ووكيماً ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن يحيى فهو صاحب سنة قال رحمه الله بعد هذا : « وأنا ألحقت بهؤلاء من أئمة الحديث الذين بهم يقتدون ، وبهداهم يهتدون ، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدّون ، وفي اتباع آثارهم يجدّون ، جماعة آخرين وذكر من كل طبقة عدداً . . . إلى أن ذكر محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري . . . إلى أن قال : وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها ، الناصرين لها الداعين إليها ، الدالين إليها ، . . . وهذه الجمل « يقصد ما أسلفه من عقيدة السلف » كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم » (١) .

* ومن هذه التوجيهات قول الإمام البيهقي « ولمحمد بن يحيى مع محمد بن إسماعيل البخاري رحمهما الله تعالى في ذلك قصة طويلة ، فإن البخاري كان يفرق بين التلاوة والتلو ، ومحمد بن يحيى كان ينكر التفصيل الخ » (٢) .

(١) الرسالة مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرة ١/ ١٠٥ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٦٧ .

ومن الاعتذارات في مثل هذه الأحداث بين الأقران على اختلاف الدوافع

ماقاله الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمته لأبي نعيم الأصبهاني وماحدث بينه وبين ابن منده في مسألة اللفظ^(١) قال : كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبا به لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وماينجو منه إلا من عصم الله وماعلمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك ، سوى النبيين والصديقين ، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس الخ» .

وقد سبق عرض بعض تحليلاته واعتذاراته^(٢) ومأعظم اعتذارات الإمام ابن تيمية رحمه الله فقد قال :

«وأعظم ماوقعت فتنة اللفظ بخراسان ، وتُعَصَّبَ فيها على البخاري - مع جلالته وإمامته - وإن كان الذين قاموا عليه أيضاً أئمة أجلاء ، فالبخاري رضى الله عنه من أجل الناس . وإذا حَسُنَ قَصْدُهم ، واجتهد هو وهم ، أثابة الله وإياهم على حسن القصد والاجتهاد . وإن كان قد وقع منه أو منهم بعض الغلط والخطأ فالله يغفر لهم كلهم ، ولكن من الجهال من لايدري كيف وقعت الأمور ، حتى رأيت بخط بعض الشيوخ الذين هم على علم ودين يقول : مات البخاري بقرية « خَرْتَنَك » فأرسل أحمد إلى أهل القرية يأمرهم أن لا يصلوا عليه لأجل قوله

(١) كان ابن مندة ممن يقول « اللفظ بالقرآن غير مخلوق » وأبي نعيم يقول « اللفظ به مخلوق » وهما ممن أتى بعد البخاري والذهلي ، وكان أيضاً ابن مندة من أصحاب أحمد « الخابلة » وأبي نعيم « كان من الأشعرية » وكان كلامهما في بعضهما شديداً . راجع سير أعلام النبلاء ٤٥٣ / ١٧
ترجمة أبي نعيم ، وراجع ميزان الاعتدال ١ / ١١١ .

(٢) انظر على سبيل المثال ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

في مسألة اللفظ وهذا من أبين الكذب على أحمد والبخاري، وكاذبه جاهل بحالهما، فإن البخاري رضى الله عنه توفي سنة ست وخمسين بعد موت أحمد بخمسة عشر عاماً^(١).

ومن أبين وأبلغ توجيهاته واعتذراته قوله: « واختلاف الناس في هذا الباب وغيره كثير منه يكون « اختلاف تنوع » مثل أن يقصد هذا حقاً فيما يثبت، والآخر يقصد حقاً فيما نقضه، وكلاهما صادق. ولكن يظنان أن بينهما نزاعاً معنوياً، ولا يكون الأمر كذلك، وكثير من النزاع يعود إلى إطلاق لفظية، لا إلى معان عقلية وأحسن الناس طريقة من كان إطلاقه موافقاً للإطلاقات الشرعية، والمعاني التي يقصدها معان صحيحة، تطابق الشرع والعقل^(٢). ويقول بعد كلام له طويل عن قضايا خلق القرآن واللفظ والحرف والصوت: « والمقصود هنا التنبيه على أن هذه مقامات دقيقة، مشكلة بسببها افتقرت الأمة واختلفت، فإذا اجتهد الرجل في متابعة الرسول والتصديق بما جاء به وأخطأ في المواضع الدقيقة التي تشبه على اذكاء المؤمنين، غفر الله له خطاياه، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وقد ثبت في الصحيح أن الله قال: قد فعلت^(٣). ويقول أيضاً رحمه الله -: والذي يعلم من حيث الجملة أن الإمام أحمد والأئمة الكبار الذين لهم في الأمة لسان صدق عام لم يتنازعا في شيء من هذا الباب، بل كان بعضهم أعظم علماً به وقياماً بواجبه من بعض، وقد غلط في بعض ذلك من أكابر الناس جماعات، وقد رد الإمام أحمد عامة البدع في هذا الباب هو والأئمة^(٤).

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢١٣/١٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٨٨-١٨٩/١٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٤١٧/١٢.

وآخر كلامه يقول : ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة ، وإن كان ذلك في المسائل العلمية ، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة . . . الخ^(١) .

قُلْتُ : رحم الله سَلَفَنَا الصالح ما أحسن سيرهم وما أعظم تفانيهم وما أحرصهم على دين الله ونقاته وصفائه ، حتى لو ذهبت حظوظ أنفسهم بل لو فقدت أرواحهم ، أسأل الله العزيز أن يوفقنا لاقتفاء آثارهم . . . والتحلي بأخلاقهم والتسامي لهممهم . . . والانتفاع بعلمهم . . . فلن يحفظ الدين إلا بأمثالهم .

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية ٤٨/٢ باعتناء عبدالرحمن الوكيل .

المبحث الخامس

أثر مسألة اللفظ في صفوف المحدثين

ما من شك . . أن من تمنع في هذه المسألة وعرف حقيقة أمرها . . وأنها لا تعدو مجرد خلاف لفظي عند مستقلمي الاعتقاد المتبعين لمنهج السلف في كل قضايا العقيدة وبالأخص ما يتعلق بالقرآن الكريم ، ما من شك أن القضية ستقف عند ذلك الحد .

بيد أن الملاحظ من استعراض الأحداث بين الإمامين الذهلي والبخاري أن المسألة قد أخذت مدى بعيداً . وهما جبالان من جبال العقيدة السلفية الصحيحة بشهادات الأئمة . وهذا يدلُ بجلاء ووضوح أن هذه المسألة ماهي إلا بذرة من بذور الخلاف والشقاق وكيد من الشيطان وأعوانه لمواكب الإيمان التي استعصت قبل في مسألة (القرآن) هل هو مخلوق أم لا؟ فلما تبدد حلمهم بتقويض كيان الأمة في اعتقادها في كتاب ربها ، داعبهم الأمل في توهين أمر المحدثين وتفريق صفوفهم ، وتشيت شملهم لأنهم عماد الأمة في حفظ عقيدتها . . فتصدع ذلك البناء الشامخ ولكنه لم يسقط ، وتضعض ذلك الركب المبارك ولكنه أبى إلا الصمود والثبات .

والحديث عن آثار هذه المسألة في صفوف المحدثين يحتاج إلى بحث مستقل واستقراء وتقصي . . . بيد أنه يكفي في هذه العجالة ذكر ما اتضح وظهر من آثارها .

١- خلخلة صفوف المحدثين وقطع حبال الود بينهم .

وأول حادثة لهذا ما حصل بين الإمام أحمد والكرابيسي وقد سبق بيانه . فإن الكرابيسي وإن كان من متكلمة السنة إلا أن له جهوداً قوية في العلم والتصنيف وكان بينه وبين الإمام أحمد ثقة ومحبة . ولما أظهر هذه المسألة تبدلت الأحوال .

قال الإمام ابن عبد البر في ترجمة الكرايسي : « وكانت بينه وبين أحمد بن حنبل صداقة وكيدة ، فلما خالفه في القرآن ، عادت تلك الصداقة عداوة ، فكان كل منهما يطعن على صاحبه . . . » (١) .

ويصور هذا المعنى أيضاً قول الإمام ابن قتيبة رحمه الله : « وكان آخر ما وقع من الاختلاف أمراً خصَّ بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين ، وبالإتباع قاهرين ، يداجون بكل بلد ولا يداجون ويستتر منهم بالنحل ولا يستترون ويصدعون بحقهم الناس ولا يستغشون لا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا ولا يتضع فيه إلا من وضعوا . ولا تسير الركبان إلا بذكر من ذكروا إلى أن كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها الله تعالى أصلاً في الدين ولا فرعاً في جهلها سعة وفي العلم بها فضيلة ، فتمى شرها وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم . . الخ » (٢)

ولعل أقرب الشواهد لما صورته الإمام ابن قتيبة افتراق الإمامين الذهلي والبخاري بسبب هذه المسألة . وبصرف النظر عن جميع ملابسات ذلك الافتراق والخلاف - وقد سبق بيان كل ذلك - فإن هذه المسألة قد كانت سبباً في ضياع الجهود وتمزق الصف إزاء الأعداء الحقيقيين كالجهمية والنواصب وسواهم . وقد ترجم ذلك الإمام الذهلي لما خرج لاستقبال الإمام البخاري حيث قال لمن حوله من طلبة العلم : « لا تسألوه عن شيء من الكلام ، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه ، وقع بيننا وبينه ، ثم شمت بنا كل حروري ، وكل رافضي ، وكل جهمي ، وكل مرجيء بخراسان » (٣)

وكان الإمام مسلم أيضاً طرفاً ثالثاً ناله ذلك الأثر ، فترك الرواية عن الإمام الذهلي ، وبعث بكل ما رواه عنه على ظهر حمال إلى بابه لما حرج الذهلي في

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، ص ١٠٦ .

(٢) الاختلاف في اللفظ ص ١١ .

(٣) السير ٤٥٨ / ١٢ .

مجلسه على من يقول بقول البخاري ألا يحضره . . . وقد كان أبوزرعة رحمه الله يتمنى لو تمهل مسلم في فعله ذلك ولم يفوت على نفسه الرواية عن شيخه الذهلي ويداريه ويتحمل تشدده في المسألة فقال : « هذا ليس له عقل ، لو دارى محمد بن يحيى لصار رجلاً . (١) »

٢- إضطراب الأئمة في التعامل مع من تفوه بشيء في المسألة . ولا شك أن دقة المسألة وخفاء المراد منها ، جعل عدداً من الأئمة - غير الذهلي - يشتدون على الإمام البخاري ويظنون به ظناً بعيداً وذلك بسبب تلويحه بالحق الذي في المسألة ومن ذلك ترك الإمامين أبي حاتم وأبي زرعة لحديث البخاري بعد أن سمعا منه في بلدهما « مرو » وذلك بعد أن كتب إليهما الذهلي بأمره في نيسابور . (٢) . وعقّب الإمام الذهبي على ذلك فقال : « إن تركا حديثه أو لم يتركا ، فالبخاري ثقة مأمون ، محتج به في العالم » (٣) . ومن ذلك أيضاً توهين أبي بكر الأعين (٤) لأمر الإمام البخاري . بعد ظهور المسألة وذلك لما تعرض للثناء على مشايخ ورجال خراسان حيث قال : مشايخ خراسان ثلاثة : قتيبة ، وعلي بن حجر ، ومحمد بن مهران الرازي ، ورجالها أربعة : عبدالله بن عبد الرحمن السمرقندي ، ومحمد بن إسماعيل البخاري قبل أن يظهر منه ما ظهر ، ومحمد ابن يحيى ، وأبوزرعة . (٥) وقد علق الذهبي على ذلك فقال : « هذه دقة من الأعين ، والذي ظهر من محمد أمر خفيف من المسائل التي اختلف فيها الأئمة في

(١) السير ١٢ / ٢٨١ .

(٢) الجرح والتعديل ٧ / ١٩١

(٣) السير ١٢ / ٤٦٣

(٤) هو محمد ابن أبي عتّاب الحسن بن طريف البغدادي روى عن علي ابن المديني وأحمد بن حنبل ، وعنه مسلم وأبوزرعة وأبو حاتم ، قال الخطيب : لم يكن بالحافظ للطرق والعلل وأما الصدوق فليس بمدقوع منه . قال عبدالله ابن أحمد : (. . .) فترحم عليه أبي ، وقال : إني لأغبطه ، مات وما يعرف إلا الحديث ، لم يكن صاحب كلام . مات سنة (٢٤٠) . سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٢٠ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٩٨

(٥) السير ١١ / ٥٠٩ .

القول في القرآن . . . الخ^(١) . والإمام الذهبي قد اتضح له الرؤى لتأخره الزماني فلم يفاجأ بالمسألة كحال المعاصرين لها . لذا فإن جدّة الموضوع وخطورة بعض جوانبه قد سببت هذا الإضطراب ، والله أعلم .

٣ - تجاوز الحد - في المنافرة - بسببها إلى الشتم والسباب والإعتداء بالفعل . ومن ذلك ما وقع بين الإمامين أبي عبد الله بن منده وأبي نعيم الأصبهاني^(٢) ، من إختلاف في المسألة على نحو إختلاف الإمامين الذهبي والبخاري .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقع بين أبي نعيم الأصبهاني وأبي عبد الله ابن منده في مسألة اللفظ ما هو معروف ، وصنّف أبو نعيم في ذلك كتابه في الرد على اللفظية الحلولية ، ومال فيه إلى جانب الثقات القائلين بأن التلاوة مخلوقة ، كما مال ابن مندة إلى جانب من يقول إنها غير مخلوقة ، وحكى كل منهما عن الأئمة ما يدل على كثير من مقصوده لا على جميعه ، فما قصده كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة ما يوافقه »^(٣)

وقد تطور هذا الخلاف بينهما إلى نوع من الإعتداء بالقول . وفي ذلك يقول الإمام الذهبي : « كان أبو عبد الله بن منده يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الإعتقاد المتنازع فيه بين الخنابلة وأصحاب أبي الحسن ، ونال أبو نعيم أيضاً من أبي عبد الله في «تاريخه» وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض . نسأل الله السماح »^(٤)

(١) السير ٥١٠/١١

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء ، كان من الأعلام المحدثين ، ولد سنة ٣٣٠ - وتوفي سنة ٤٣٠ هـ بأصبهان . وفيّات الأعيان ٩١/١ .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠٩/١٢ ، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٢٩٢/٣ .

(٤) السير ٤٦٢/١٧ .

وقد أحسن الإمام الذهبي إذ ردّ كلام كل منهما في الآخر - وهو منهج المحدثين - وأثنى عليهما جميعاً فقال : وكل منهما فصدوق في نفسه ، غير متهم في نقله بحمد الله^(١)

وقد شغب ابن منده على أبي نعيم حتى اختفى وقد روى أحد أحفاده واقعة في ذلك قال يحيى بن منده : سمعت عمي عبدالرحمن ، سمعت محمد بن عبدالله الطبراني يقول : قمت يوماً في مجلس والدك رحمه الله ، فقلت : أيها الشيخ ، فينا جماعة ممن يدخل على هذا المشؤوم - أعني أبا نعيم الأشعري - فقال : أخرجوهم . فأخرجنا من المجلس فلاناً وفلاناً ، ثم قال : على الداخل عليهم حرج أن يدخل مجلسنا أو يسمع منا ، أو يروي عنا ، فإن فعل فليس هو منا في حل . . .

وعلق الذهبي على ذلك قائلاً : قلت : ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة فيقع في الهجران المحرّم ، وربما أفضى إلى التكفير والسعي في الدم ، وقد كان أبو عبدالله وافر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده .^(٢)

وبالفعل فقد اندفع بعض الخنابلة من طلبة العلم المشغيين على رجل دعاهم للإستفادة من أبي نعيم في مجلسه وكادوا يقتلونه ، روى السلفي قال : سمعت محمد بن عبد الجبار الفرّساني يقول : « حضرت مجلس أبي بكر ابن أبي علي المعدّل في صغري مع أبي فلما فرغ من إملائه قال إنسان : من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم فليقم . وكان مهجوراً في ذلك الوقت بسبب المذهب ، وكان بين الخنابلة والأشعرية تعصب زائد يؤدي إلى فتنة ، وقال وقيل وصداع ، فقام إلى ذلك الرجل أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام ، وكاد أن يقتل »^(٣)

(١) السير ١٧/٣٤ .

(٢) السير ١٧/٤٠-٤١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٥ ، طبقات علماء الحديث ٣/٢٩١ .

وقد علمت مكانة أهل الحديث بين علماء الأمة قاطبة . من حيث الورع والتقوى وحسن السمات ، مع الحفاظ على العقيدة ونشرها والدفاع عنها بمثل ما أثر عن سيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم . من إقتناع وثبات مع تمني الهداية والرشاد للناس أجمعين وتلكم هي وظيفة هذه الأمة الربانية . وإن ثبت بعد التحري على شخص ماتلبسه ببدعة أو مخالفة لمنهج السلف ، فيجانب بعد أن ينصح ويحذّر . كما فعل الذهلي رحمه الله مع البخاري حسب اجتهاده وفهمه للمسألة . مع أن البخاري رحمه الله ، وأحسن مثواه كان على الحق . والذهلي كان يعتقد ما يعتقد البخاري ولكن تباينت توجهاتهما الدعوية وأساليبها الحركية في مجتمع يعيث فيه أصحاب الأهواء فساداً . . وقد سبق بيان ذلك .

والعلماء الأئمة رحمهم الله كانوا أقدر من غيرهم على ضبط المشاعر والتزوي . . بيد أن طلبية العلم قد شعّبوا المسائل وتعصّبوا وأساءوا ولذا بكتّهم الإمام الذهبي على صنيعهم بذلك الرجل فقال : «ما هؤلاء بأصحاب الحديث ، بل فجرة جهلة ، أبعد الله شرّهم» (١) وهكذا كانت هذه المسألة سبباً مباشراً في الاعتداء بالقول والفعل من كلا الطرفين .

٤ - أصبحت هذه المسألة سبباً في جرح أئمة كبار بما لا يوجب جرحاً . وهذا الأمر جدّ بعد نشوء مسألة اللفظ ووقوع الاختلاف فيها . فكثّر في كتب الجرح والتعديل وتراجم الرجال النبز باللفظ ، وأن فلاناً تكلم في اللفظ ، وغير ذلك ، والمؤلم في هذا أن الجرح والمجروح هم من أهل الحديث أو ممن يدور في فلكهم . . بعيدين عن أهل الأهواء والضلال . فتشانوا واتهم بعضهم بعضاً . وقد حكى ابن قتيبة حالهم فقال في مسألة اللفظ : «ثم انتهى بنا القول إلى غرضنا

(١) السير ١٧ / ٤٦٠ .

من هذا الكتاب ، وغايتنا من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن ، وتسانئهم ، وإكفار بعضهم بعضاً . وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة ، ولا مما يوجب الوحشه ، لأنهم مجمعون على أصل واحد وهو : (القرآن كلام الله غير مخلوق) الخ^(١)

ومن الأمثلة على ذلك : ما ذكره مسلمة بن قاسم في نعيم بن حماد الخزازي^(٢) قال : كان صدوقاً وهو كثير الخطأ وله أحاديث منكورة في الملاحم انفرد بها ، وله مذهب سوء في القرآن . كان يجعل القرآن قرآنين . فالذي في اللوح المحفوظ كلام الله تعالى ، والذي بأيدي الناس مخلوق .

وقد علق الحافظ ابن حجر على كلامه هذا فقال : « كأنه يريد الذي في أيدي الناس ما يتلونه بألستهم ويكتبونه بأيديهم . ولا شك أن المداد والورق والكتب والتالي وصوته كلُّ مخلوق وأما كلام الله سبحانه وتعالى فإنه غير مخلوق قطعاً . »^(٣)

ومن ذلك تجرؤ من لم يشتهر بالعلم على البخاري وأمثاله . قال الحاكم : سمعت أبا الوليد^(٤) - يقول : قال أبي : أي كتاب تجمع ؟ قلت : أخرج على كتاب البخاري : قال : عليك بكتاب مسلم فإنه أكثر بركة فإن البخاري كان ينسب إلى اللفظ .

قال الإمام الذهبي معلقاً : ومسلم أيضاً منسوب إلى اللفظ والمسألة مشكلة^(٥)

(١) الاختلاف في اللفظ ص ٤٣ .

(٢) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزازي ، كان في الحديث صدوقاً يخطيء كثيراً ، أما في السنة فكان صلياً ، ولصلايته عودي وافترى عليه ثم امتحن في مسألة خلق القرآن حتى مات في الحبس سنة ٢٢٨ هـ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤١٢ ، التقريب ، ص ٥٦٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٠ / ٤١٢ .

(٤) هو حسان بن محمد بن أحمد بن هارون القزويني النيسابوري الفقيه الشافعي قال الحاكم : هو إمام أهل الحديث بخراسان وأزهد من رأيت من العلماء وأعبدهم . توفي سنة ٣٤٤ - تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٩٥ .

(٥) المصدر السابق ٣ / ٨٩٥ .

٥ - استمرار الخلاف فيها بين الطائفتين إلى زمن متأخر جداً.

ومن أغرب آثار هذه المحنة استمرار الحرب بين الطائفتين في كل جيل من أجيال هذه الأمة. وقد حكى الإمام ابن قيم الجوزية تواتر ذلك إلى زمانه فقال: والحرب واقعة بين هذين الفريقين من بعد موت أحمد إلى الآن . . . الخ (١)

وما من شك أن انشغال خير أمة أخرجت للناس باطلاقات لفظية لاحقيقة لها في واقع الأمر. يقلل من هيبتها، ويطمع فيها عدوها . . . وقد بلغ من تصعيدهم لهذه المسألة أن عموماً امتحان الناس بها فتجاوزوا العلماء والمشايخ إلى الكهول والأحداث . . . وكان الأولى بكل فريق أن يتثبت ويميز الحق عن الباطل في كل إطلاق ويقف على حقيقة الخلاف قبل أن يبتلوا الناس بأمر لم يتقنوا فهمه.

ولذا يقول ابن قتيبة: «إنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه، ولم يكن معهم آلة التمييز، ولا فحص النظارين، ولا علم أهل اللغة . . . وكل من ادعى شيئاً، أو انتحل نحلة فهو يزعم أن الحق فيما ادعى، وفيما انتحل، خلا الواقف الشاك، فإنه يقر على نفسه بالخطأ، لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين اللذين وقف بينهما، وأنه ليس على واحد منهما».

ويصور رحمه الله ابتلاءهم المستبصرين والشيوخ والأحداث فقال: «وقد بُليَ بالفريقين المستبصر المسترشد - أي الذي يريد الحق - وبإعاتتهم ومحتتهم وإغلاظهم لمن خالفهم، وإكفاره وإكفار من شك في كفره، فإنه ربما ورد الشيخ المصر فقعد للحديث وهو من الأدب غفل، ومن التمييز ليس له من معاني العلم

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٤٠.

إلا تقادم سنه وأنه قد سمع ابن عيينة وأبا معاوية ويزيد بن هارون، وأشباههم فيدأونه قبل الكتاب بالمحنة .

فالويل له إن تلعثم، أو تمكث، أو سعل، أو تنحج، قبل أن يعطيهم الرضا، فيتكلم بغير علم، ويقول بغير فهم، فيتباع من الله في المجلس الذي أمّل أن يتقرب فيه منه ! وإن كان ممن يعقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار ما يحبون، ليكتبوا عنه !

وإن رأو حدثاً مسترشداً، أو كهلاً متعلماً سألوه، فإن قال لهم : أنا أطلب حقيقة هذا الأمر، وأسأل عنه، ولم يصح لي شيء بعد، وإنما صدقهم عن نفسه، واعتذر بعذر الله يعلم صدقه، وهم يعلمون أن الله لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ويبحث ليعلم كذبوه وأذوه، وقالوا : خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه ! . . . الخ» (١)

وابن قتيبة أحد من عاصر المحنة وحديثه عنها نقل للواقع . . . ولا شك أن مثل هذه الأفعال والأقوال تخليط واضطراب، وعصبية . . . يتنزه عن مثلها المحدثون الذين هم أهل العلم وحفظته .

وقد قال على ابن المديني رحمه الله في حديث النبي صلى الله عليه وسلم «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضُرُّهم من خالفهم» (٢) : هم أهل الحديث، والذين يتجاهدون مذاهب الرسول ويذبون عن العلم . لولا هم لم تجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء شيئاً من السنن. (٣)

فانظر كم خلّفت هذه الفتنة من آثار سيئة في صفوف صفوة الأمة، ولا شك أنه قد داخلهم وشرّدهم شرادهم من أهل البدع والأهواء، وأقاموا المسألة ولم يقعدوها .

(١) الاختلاف في اللفظ ص ٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه في كتاب الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :

«لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق . . . الخ» ١٨٩ / ٨

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ١٠ .

تنبيه

هذا ما استطعت التوصل إليه من آثار لمسألة اللفظ بين المحدثين، ومع التوسع والاستقصاء قد تظهر آثار جديدة وأمثلة أخرى . .

واني إذ أنوه بذلك لأؤكد أن هناك فوارق واضحة وفواصل جلية، بين المسائل الثلاث التي جرى حولها الخلاف، وامتحن بسببها الناس حول القرآن الكريم. مسألة القول بخلق القرآن، ومسألة التوقف في ذلك، ومسألة اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم لا؟

فالمسألة الأولى والتي قاد لواءها المعتزلة والجهمية هي أخطر المسائل وحالقة الدين والقاتل بخلق القرآن كافر باجماع الأمة (١)

والمسألة الثانية أمر الواقفين في القرآن فلم يقولوا مخلوق ولا غير مخلوق فهؤلاء شكك في أمر لا مجال فيه للشك لصراحة الآيات والأحاديث فيه. وهؤلاء ألحقهم بعض العلماء بالصنف الأول وترك آخرون الكتابة والرواية عنهم وبدعواهم.

والخلاف في هاتين المسألتين قائم بين طرفين متباينين: أهل السنة والجماعة ومن تابعهم وأهل الأهواء من جهمية ومعتزلة، وقد تلبس بمسألة الوقف في القرآن كثير من المحدثين.

أما المسألة الثالثة: وهي اللفظ بالقرآن فالخلاف فيها بين أهل الحديث الذين هم من أهل السنة والجماعة بل سادتهم. والحكم فيها مختلف عن السابقتين ولم يجر حكم التكفير فيها . . بل التجهيم لمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، والتبديع لمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق. وقد منع الأئمة الأعلام من الإطلاقين

(١) راجع في ذلك ما سبق في مبحث عقيدة الدهلي وحكمه على المخلوقية والواقفية، واستعرض أقوال أئمة السلف في تكفيرهم وذلك في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي «٢/ ٢١٦ - ٣٦٩».

كليهما كما سبق . والصحيح فيها التفصيل في كل إطلاق ، وتمييز الحق من الباطل فيه . ومن أجل عدم التمييز حصل اللبس والإشكال ثم العداوة والجرح .

وقد تعمّدت ذكر هذا التنبيه لئلا يقع الخلط بين حكم وأثار تلك المسألتين التي امتحنت بها الأمة في صلب دينها . وبين حكم وأثار مسألة اللفظ هذه .

وعلى ما سبق ذكره فإنني أنبه على خلط الشيخ عبدالفتاح أبو غدة^(١) - بين ردود فعل العلماء والأئمة على من رمي أو اتهم بأي من هذه المسائل .

فقد جمع موقف الذهلي وأبي زرعة وأبي حاتم من البخاري وتركهم إياه من أجل اللفظ مع موقف أحمد من علي ابن المديني ، ويحيى بن معين ، وأبي نصر التمار^(٢) لما أجابوا في محنة خلق القرآن تورية أو خوفاً من القتل ، وضم إلى ذلك ترك الناس لحديث علي ابن أبي هاشم الليثي البغدادي* لما وقف في القرآن .

وكان الأولى تمييز فتنه خلق القرآن ، عن الوقف فيه ، عن اللفظ به . لأن الشيخ بعد أن ساق منشأ فتنة خلق القرآن عنون لأثرها في صفوف الرواة المحدثين ، وكتب الجرح والتعديل . فجمع من جرحوا باللفظ مع الواقفين في القرآن مع الذين أجابوا في فتنة خلق القرآن . مع أن أساس حديثه عن ترك جماعة من المحدثين الرواية عن البخاري لمسألة اللفظ . . . ولا شك أن التلبس بشيء من

(١) في تعليقه الطويل وبيانه للمسألة مع أثرها في صفوف المحدثين ، في حاشية كتاب قواعد في علوم الحديث للعلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي ص ٣٦١ - ٣٨١ .

(٢) حيث كان يتكلم في علي لما أجاب في المحنة ولكنه إعتذر وتاب وأناب . تهذيب التهذيب ٣١١ / ٧ ، ويكره الكتابة عن يحيى وأبي نصر التمار لما أجابا . ميزان الاعتدال ٨٤ / ٦ . وأبي نصر هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن ذكوان ، التمار الإمام الزاهد ، قال أبو حاتم : ثقة يعد من الأبدال ، كان يتاجر بالتمر ، وقد علل الذهبي إجابة أبي نصر التمار في المحنة فقال : أجاب تقية وخوفاً من النكال ، وهو ثقة بحاله ولله الحمد ، توفي سنة ٢٢٨ هـ وعمره ٩١ سنة وكان قد عمي رحمه الله . الأنساب ٤٧٧ / ١ ، السير ٥٧١ / ١٠

(*) لم أجد ترجمته .

فتنتي الخلق والوقف أشد من التلبس بفتنة اللفظ ، فوجب حيثنذ التمييز وعدم
إقحام مثل موقف الذهلي من البخاري ، مع مواقف الإمام أحمد ممن أجاب في
فتنتي الخلق والوقف . والله أعلم .

الباب الثالث

أثر الإمام الذهلي في الحديث وعلومه

وتحتة تمهيد وخمسة فصول :

الفصل الأول : أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث .

الفصل الثاني : أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث .

الفصل الثالث : أثر الإمام الذهلي في علوم الحديث من حيث القبول والرد .

الفصل الرابع : أثر الإمام الذهلي في علوم المتن والسند .

الفصل الخامس : أثر الإمام الذهلي في العلوم المشتركة بين المتن والسند .

مقدمة :

كنت قد تحدثت في مقدمة الرسالة عن المنهج الذي التزمت به في تقسيم هذا الباب المهم منها ، وهو منهج فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمد السماحي رحمه الله .

والعلامة السماحي كان له فضل تطوير الترتيب المنطقي لعلوم الحديث الذي ابتدأه الحافظ ابن حجر في نخبة الفكر ، وشرحها نزهة النظر ، والذي خالف فيه ابن الصلاح وسواه الذين قسموا علوم الحديث إلى علوم دراية وعلوم رواية .

ولعل أبرز معطيات هذا الترتيب المنطقي أنه يفيدنا في معرفة التكامل والوحدة والشمول التي امتاز بها علم مصطلح الحديث ، فكل وحدة أو قسم يمثل ناحية مهمة بجميع أنواعه ، وبالتالي يكمل القسم الذي يليه .

فمثل علوم الرواة التي تنقسم إلى العلوم المعرفة بحال الراوي من الجرح والتعديل . . الخ تدفعنا لمعرفة أموره الشخصية ، مثل الوفيات والطبقات والإخوة والأخوات . . الخ .

ثم يدفعنا هذا القسم إلى معرفة علوم أسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأوطانهم وكلها في النهاية تعطي صورة لما وصل إليه علماء الحديث من عناية ودراية براوي الحديث ، وهو عنصر مهم جداً وأساسي في الرواية .

ثم يأتي قسم علوم الرواية وهو مرحلة تالية تهتم بفلان رواية الحديث كوحدة مستقلة بجميع فرعياتها . كمعرفة آداب الشيخ الراوي للحديث ثم الطالب المتلقي عن الشيخ ، ثم وسائل هذا التلقي وهي صيغ التحمل والأداء ، ثم مناهج المحدثين في كتابة الحديث ، ثم صفة رواية الحديث بجميع فنونها .

ثم تأتي مرحلة تبرز فيها علوم مصطلح الحديث مثل الصحيح والحسن والضعيف ، وكذا علوم المتن من حيث قائله ومن حيث درايته . ثم معرفة علوم

السند من حيث اتصاله وانقطاعه، ثم المرحلة الأخيرة معرفة العلوم المشتركة بين المتن والسند بعد معارضتهما ببعض.

وهذه التقسيمات المتدرجة المنطقية نفيدينا في بيان شمولية علم الإمام الذهلي ومشاركته في أغلب فنون مصطلح الحديث حسب المتوفر من المعلومات قلة وكثرة بعد البحث والتنقيب، وإلا فمن كان مثله يوصف بأمير المؤمنين في الحديث لا بد أن يكون ملماً بكل ما يتصل بهذا العلم الشريف في فترة هي أزهى فترات ظهوره وتكامله.

ومما تجدر الإشارة إليه أنني قد أضفت مباحث جديدة تشير إلى دقة وشمول منهج الإمام الذهلي في تناوله مختلف فنون هذا العلم.

ومن ذلك مبحث اهتمامه بسماعات الرواة وإمكان اللقاء بينهم. ومبحث المفاضلة والتمييز، والموازنة بين الرواة والأسانيد. ومبحث معرفته بشئون الرواة الخاصة، أضف إلى ذلك بيان خصائص منهجه في الرواية، وكذلك مقارناته ومعارضاته بين الروايات.

وكان تسطيري لهذا التقسيم آتياً من قناعة بجدارة هذا المنهج لأمرين :

الأول : أنه يبرز علم الإمام محمد بن يحيى الذهلي كعلم مؤصل متكامل مقعد موافق لمنهج كبار المحدثين الدقيقة، وذلك بمشاركته في كل الأقسام السابقة سواء قلت المشاركة أو كثرت.

الثاني : أن هذا المنهج يقرب للقارئ والمطلع فهم علوم المصطلح ويدربه على التعامل معها بشمولية وتدرج حتى يتمكن في نهاية المطاف من معرفة الأحاديث الصحيحة من الضعيفة من الموضوعة في أقصر وقت.

وكنت قد وعدت في مقدمة الرسالة بذكر مزايا هذا المنهج الذي تمثله الدكتور العتر وانتهجه في كتابه «منهج النقد في علوم الحديث».

قال : إنه كتاب ينقل مسائل هذا العلم من التفرق إلى التكامل ، ويأخذ بالقارئ من الجزئيات المبعثرة إلى النظرية الكاملة المتناسقة ، التي تتألف فيها أنواع علوم الحديث كافة ، لتبدو في مجموعها منطلقة بتسديد وإحكام نحو الغاية المنشودة .

إنه بهذا يواجه مناهج البحث العصرية العربية والأجنبية التي تزدهو بالمنهجية وصياغة النظريات ؛ ويبين عمق نظرة المحدثين ، وشمولها جوانب البحث النقدي في الأحاديث .

لقد تتبع الكتاب بالسبر والاختبار كل احتمالات القوة أو الضعف التي قد تطرأ على السند أو المتن أو عليهما معاً ، ونظر فيما يتبع كل واحد منهما من أنواع علوم الحديث .

ثم قسم الأنواع على أبواب رئيسية يختص كل منها بركن من أركان البحث في الحديث ، فتوصل بذلك إلى نتيجة هامة سيحس بها القارئ في متابعة أبحاث الكتاب ؛ ألا وهي شمول هذه الأنواع لجميع الاحتمالات التي أشرنا إليها جزئياً وكلياً ، من البحث في رواية الحديث واحداً واحداً ، إلى التحليل الشامل لمقومات الحديث في السند والمتن جميعها .

وحاصل النظرية التي بنينا عليها نظام الكتاب وترتيبه يقوم على قضية واحدة مسلمة ، وهي أنه لا بد لكي يكون الحديث مقبولاً أن نعلم أن راويه قد أدّاه كما سمعه ، وهذا لا يتحقق إلا إذا استوفى الراوي الشروط الكافية لذلك ، فكان لا بد أولاً من بحث العلوم المتعلقة بالرواية .

ثم إن أخذ الراوي عن أساتذته له أحوال وأحكام ، وكذلك تبليغه العلم يعتوره أحكام أيضاً ، فكانت دراسة علم الرواية مكتملة لما سبق ومتممه له .

ولما أن الأحاديث قد وصلت إلينا بنقل رجال السند واحداً عن الآخر حتى يبلغوا قائلها ، فإن من الواجب أن ندرس شروط القبول في السند والمتن ، وذلك

في تعريف الصحيح والحسن ونبين كفايتها لإثبات سلامة الحديث وأدائه كما
سُمع، كما نبين أن اختلال شيء منها يجعل الحديث ضعيفاً لما فيه من فقد المعيار
الذي يثبت سلامة الحديث.

ومن ثم فإننا ننتقل على ضوء ما سبق إلى السبر والدرس لكل جوانب
الحديث، ونوضح احتمالات الضعف والقوة فيها، مع بيان حكم كل منها.
ونبدأ بدراسة أحوال المتن فإنه المقصود من بحث الأسانيد، ثم يأتي بعد
ذلك البحث في تسلسل الإسناد وما يعرض له من اتصال أو انقطاع، ومن تعدد
سند أو غير ذلك، ثم نتبعه بالأنواع المشتركة بين السند والمتن، كالشاذ والمضطرب
والمعلل.

وإذا انتهى البحث الجزئي في كل جوانب الحديث جاء دور النظرة الشاملة،
وهي نظرة إجمالية توضح دقة نهج المحدثين وأنهم شملوا بالدرس والبحث كل
احتمالات القوة والضعف والعوامل المؤثرة فيهما سنداً ومتناً، وأعطوا كل حال
حكمه المناسب له، فجاء عملهم موفياً بالغرض المطلوب، وهو تمييز المقبول من
المردود على غاية من الدقة المنهجية. (١)

وهذا أوان استعراض جهود الإمام الذهلي وآثاره في الحديث وعلومه من
خلال الفصول القادمة.

(١) منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر بثصرف يسير ص ١٥-١٨.

الفصل الأول

أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث

وتحتة المباحث التالية :

المبحث الأول : العلوم المعرفة بحال الراوي .

المبحث الثاني : العلوم المعرفة بشخص الراوي .

المبحث الثالث : إهتمام الإمام الذهلي بسماعات الرواة

وإمكان اللقاء بينهم .

المبحث الرابع : المفاضلة والتمييز ، والموازنة بين الرواة

والأسانيد عند الإمام الذهلي .

المبحث الخامس : معرفة الإمام الذهلي بشئون الرواة

الخاصة .

مقـدـمـة :

هذا الفصل يعتبر أوسع وأطول فصول الباب . . وأكثرها أهمية لأن رواية الحديث هم الوسيلة الوحيدة في انتقاله إلينا ، فمعرفة المعرف التامة توصلنا لنتيجة أكيدة مطمئنة على درجة الحديث المروي من طريقهم .

يقول العلامة السماحي : فلما كان الرواة هم حملة الدين من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لمن بعدهم جيلاً فجيل ، عني علماء الحديث بالكشف عن أحوالهم ، فبحثوا عن مواليدهم ، ووفياتهم ، وعن عدالتهم وضبطهم ، واستجلوا أخبارهم ، وتتبعوا مروياتهم .^(١)

ومن استعراض مباحث هذا الفصل ومطالبه ندرك مدى اطلاع إمامنا الإمام الذهلي على أحوال الرواة ، وتمكنه من أخبارهم الخاصة ، الأمر الذي بوأه مكانة عالية بين أئمة عصره من المحدثين ، والنقاد والجهابذة .

(١) المنهج الحديث في علوم الحديث ، تأليف الدكتور محمد محمد السماحي (قسم الرواة ص ٣) .

المبحث الأول العلوم المعرفة بأحوال الرواة المطلب الأول

صفة من تقبل روايته ومن ترد

فضل الله تبارك وتعالى هذه الأمة على غيرها من الأمم بفضائل ومزايا كثيرة ، ومن تلك المزايا خاصية الإسناد وهو سلسلة الرواة لأي حديث قولي أو فعلي أو تقريري أو وصفي . . فكل ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم قد أحيط بهالة من التقدير والاهتمام والمحافظة ، ومن ثم النقد والبحث والتمحيص والتثبت من كل راو في السند . . لتمييز الحديث الصحيح من الضعيف بتمييز الرواة . . وهذا المنهج السليم المنطقي قد تلقاه سلفنا من منهج الكتاب والسنة في التثبت . .

قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾^(١) . وقال : ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾^(٢) .

وفي الصحيحين عن غير واحد من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن كذباً عليّ ليس ككذب عليّ أحد ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(٣) .

(١) سورة الحجرات : آية ٦ .

(٢) سورة الطلاق : آية ٢ .

(٣) صحيح البخاري (٤٠ / ١) كتاب العلم ، باب من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . مقدمة صحيح مسلم (١٠ / ١) باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسار الصحابة رضوان الله عليهم على هذا النهج - ومن بعدهم التابعين وتابعيهم - وتحروا في الرواية ونهوا عن التلقي عن الكذابين والضعفاء والمجروحين والمجهولين فقد قال ابن عباس : « . . . إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بأذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ^(١) وقال ابن سيرين : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ^(٢) وكما كانوا يقومون الراوي بتدينه وتقواه وصدقه . . . فإنهم يقومونه بضبطه لما يرويه ، فإن كان مغفلاً أو صاحب أوهام أو تخليط تركوه ، كما قال ابن المبارك عن بقية بن الوليد : « نعم الرجل بقية لولا أنه كان يكتني الأسامي ويسمي الكنى . كان دهرأ يحدثنا عن أبي سعيد الوحاظي ، فنظرنا فإذا هو عبد القدوس ^(٣) .

وأصبح هذا ديدن المحدثين الأثبات حرصاً على حفظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم غضاً سليماً مما يطرأ على سنده أو متنه . . . ووضعوا لمن تقبل روايته شروطاً . والرواة متفاوتون تفاوتاً كبيراً في مجال قبول رواياتهم بحسب تمكنهم من هذه الشروط .

وقد قال ابن الصلاح : « أجمع جماهير أئمة الحديث والفقهاء أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه ^(٤) .

وقد فصل العلماء هذين الشرطين بما يلي بأن يكون العدل [مسليماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة] وأن يكون الضابط [متيقظاً غير مغفل حافظاً إن حدث من حفظه ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه . . الخ] ^(٥) .

(١) مقدمة صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج ، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي . ١٣ / ١ .

(٢) المصدر السابق ١٥ / ١ .

(٣) المصدر السابق ٢٦ / ١ .

(٤) مقدمة ابن الصلاح وشرحها التقييد والإيضاح ، للعراقي ص ١١٤ ، وانظر تدريب الراوي للسيوطي ٣٠٠ / ١ .

(٥) المصدر السابق .

وقد سار الإمام الذهلي على سنن المحدثين قبله بالتيقظ لصفات من تقبل روايته أو ترد وأحوالهم . وهذه أمثلة الملح فيها لأصناف ممن ترد روايتهم لعارض معين ، بعبارات تدل على مدى الرد المطلق أو القبول المقيد .

١- إلماحه إلى رد رواية عبد الرزاق بسبب اختلاطه بعدما عمي مع تقييد قبولها بكونها من كتابه .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا عبد الرزاق قال محمد : كتبه من كتابه . قال أنبأنا : (أخبرنا) معمر عن الزهري . الخ (١) .

وعالم اليمن الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني كانت الرحلة في زمانه إليه حتى قيل إنه لم يرحل إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رحل إلى عبد الرزاق (٢) . وهذا الإمام الجهمي قد أضر في آخر حياته وعمي بصره فعز عليه النظر في كتبه فكان يلحن فيتلحن (٣) ، الأمر الذي جعله مختلطاً والسماع منه بعد ذلك ضعيف . . . وضابط تاريخ اختلاطه عام مائتين للهجرة .

فقد قال الإمام أحمد بن حنبل : أتينا عبد الرزاق قبل المائتين ، وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع (٤) .

وقال أيضاً : عبد الرزاق لا يعبأ بحديث من سمع منه وقد ذهب بصره ، كان يلحن أحاديث باطلة ، وقد حدث عن الزهري أحاديث كتبناها من أصل كتابه وهو ينظر جاءوا بخلافها (٥) .

(١) سنن أبي داود . كتاب السنة باب في الخلفاء (٢٧/٥) .

(٢) شرح علل الترمذي ٥٧٧/٢ .

(٣) وقد صور حاله تلميذه إسحاق ابن أبي إسرائيل ، قال : كان أصحاب الحديث يلقتون عبد الرزاق من كتبهم ، فيختلفون في الشيء ، فيقول لي : كيف في كتابك ؟ فإذا أخبرته صار إليه لما يعلم أنني كنت أتعب في تصحيحها . وقد استدلل الخطيب بهذه الرواية على جواز تلقين الضرير ما في أصل كتابه وروايته إذا وثق بالملحن له . انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب ص ٣٧٩ . وقد ذكر الحافظ ابن رجب فعل يزيد بن هارون لذلك لما عمي ، ومن ثم جواز العرض على الشيخ وإن كان ضريراً لا يحفظ ، كما ذكر ترخيص ابن معين في السماع ممن يتلقن إذا كان يعرف حديثه . انظر شرح علل الترمذي ٥١٠/١ ، ٥١١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٦٥/٩ ، الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات لمحمد بن أحمد ابن الكيال ، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٢ .

(٥) شرح علل الترمذي لابن رجب ٥٧٧/٢ .

والإمام الذهلي قد ارتحل إلى اليمن للسمع من عبد الرزاق مرتين :
إحداهما قبل الاختلاط صرح بذلك الإمام زين الدين العراقي فقال : (ومن سمع
من عبد الرزاق قبل الاختلاط أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي ابن
المديني ويحيى بن معين ووكيعة بن الجراح في آخرين أخرج لهم
الشيخان . . . ثم قال : (ومن أخرج له البخاري فقط عن عبد الرزاق مع علي
ابن المديني إسحاق بن إبراهيم السعدي . وعبد الله بن محمد المسندي ، ومحمد
ابن يحيى الذهلي . . الخ^(١) .

والمرة الثانية بعد الاختلاط ، صرح بذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ،
قال : (قدم علي عبد الرزاق مرتين ، إحداهما بعدما عمي)^(٢)

وكان في قول الذهلي سابقاً « كتبت من كتابه » إشارة إلى أن ذلك بعد
الاختلاط وهو سبب كاف لرد رواية عبد الرزاق مما اضطره إلى الأخذ من الأصل
وعدم الاكتفاء بالتلقي عنه بالسمع الشفهي . وفي هذه الإشارة مزية للإمام
الذهلي وتأصيل منه وتقعيد في كيفية تلقي الحديث عن ترد روايته لعارض
كالاختلاط . فإن الحاجة لأصولهم قائمة ، فتصريحه بالتحديث عن عبد الرزاق
كتابة من أصله . وهو مختلط . دليل على توثيقه تلك الرواية^(٣)

وفي حين يقيد قبول رواية الإمام عبد الرزاق بعد اختلاطه بكونها من
كتابه ، نجد ينكر مع الإمام أحمد حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن

(١) التقييد والإيضاح ص ٤٠٨ .

(٢) شرح علل الترمذي ٥٧٩/٢ .

(٣) ذكر ابن رجب الحنبلي ترخيص طائفة من المحدثين في التحديث من الكتاب لمن لا يحفظ ،
ومنهم مروان بن محمد وابن عيينة ، وابن مهدي ، وابن معين وغيرهم . وهذا إذا كان الخط
معروفاً موثقاً به ، والكتاب محفوظاً عنده . . . إلى آخر ما ذكر من أقوال العلماء في جواز
التحديث من كتاب الشيخ في حالة حفظه عن ظهر غيب ، أو عدم حفظه . انظر شرح علل
الترمذي ٥١٢/١ .

أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً: (الخيل معقود في نواصيها الخير)^(١). لكونه لم يكن في أصله. قال ابن رجب: أنكره أحمد ومحمد بن يحيى، وقال: لم يكن في أصل عبد الرزاق^(٢). وفي هاتين الحالتين دليل على تمكن الذهلي من معرفة أحوال القبول والرد في الرواة، وأن الأمور لا تؤخذ على إطلاقها.

٢ - رده رواية الراوي لقبوله التلقين^(٣)

ومعروف في علم الحديث أنه من الأمور التي يختل بها ضبط الراوي، ثم يترك حديثه (التلقين) والإمام الذهلي كان يقظاً لهذه القضية، وذلك يتجلى في موقفه التالي من رواية أبي اليمان^(٤) فيما يرويه عن مشايخه عن الزهري، وذلك أن أبا اليمان قد روى حديثاً بإسنادين الأول: عن ابن أبي حسين وهو الصحيح، والثاني عن الزهري وليس من حديثه ورأى الذهلي أنه قد لقنه فتلقن.

قال أبو عمرو البرذعي: قلت لمحمد بن يحيى: في حديث أنس، عن أم حبيبة^(٥)، حديث شعيب ابن أبي حمزة^(٦)، حدثكم به أبو اليمان؟ وقال: عن

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٣/٣) باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. ومنسلم في (الأمانة) (١٤٩٢/٣، ١٤٩٣) باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

(٢) شرح علل الترمذي ٧٥٧/٢.

(٣) التلقين هو: أن يعرض على المحدث الحديث الذي ليس من مروياته، ويقال له إنه من مروياته، فيقبله ولا يميزه، وذلك لأنه مغفل، فاقد لشرط التيقظ، فلا يقبل حديثه. انظر منهج النقد عند المحدثين، د. نور الدين العتر ص ٨٦، وأسباب اختلاف المحدثين د. خلدون الأحمد ١٣٨/١.

(٤) أبو اليمان سبقت ترجمته ص ١٤٢.

(٥) أم حبيبة هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب أم حبيبة القرشية الأموية أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفيت سنة ٤٤. أسد الغابة ١١٥/٧. والحديث في مسند أحمد ٤٢٧/٦.

(٦) سبقت ترجمته ص ٢٤٤.

ابن أبي حسين^(١)، فقال لي محمد بن يحيى: نعم. حدثنا به من أصله^(٢) عن ابن أبي حسين: فقلت له: حدثنا به غير واحد عن أبي اليمان، فقالوا عن الزهري فقال: لقنوه عن الزهري... الخ المسألة^(٣).

وهذه موافقات الأئمة للإمام الذهلي على توهيم أبي اليمان في عزوه الحديث للزهري.

قال أبو زرعة الدمشقي^(٤): سألت أحمد بن حنبل عن حديث الزهري، عن أنس عن أم حبيبة فقال: ليس هذا من حديث الزهري، هذا من حديث ابن أبي حسين، فسألت أحمد بن صالح^(٥) عنه فقال: ليس له أصل عن الزهري وأنكره^(٦).

وقد بين الإمام أحمد رحمه الله تعالى كيف وقع الوهم لأبي اليمان في هذا الحديث.

قال أبو زرعة: قال أحمد بن حنبل: كتاب شعيب عن ابن أبي حسين ملصق بكتاب الزهري، فبلغني أن أبا اليمان حدثهم به عن شعيب، عن الزهري، وليس له أصل، كأنه يذهب إلى أنه اختلط بكتاب الزهري، فرأيت أنه يعذر أبا اليمان ولا يحمل عليه فيه^(٧).

(١) هو عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسين الحارث بن عامر بن نوفل المكي التوفلي. قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. تهذيب التهذيب ٢٥٦/٥.

(٢) في تهذيب التهذيب ٢/٣٨٠ (من أصله عن شعيب عن ابن أبي حسين).

(٣) أجوبة أبي زرعة على البرذعي ضمن كتاب (أبي زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية تحقيق د.

سعدى الهاشمي ٢/٧٤٦). وانظر تهذيب التهذيب ٢/٣٨٠.

(٤) أبو زرعة سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٦٥.

(٦) تاريخ أبي زرعة الدمشقي للحافظ عبد الرحمن بن عمرو النصري، دراسة وتحقيق شكر الله قوجاني (١/٤٥٦) وانظر السير ١٠/٣٢٢.

(٧) تاريخ دمشق لأبي زرعة (١/٤٥٦) وتهذيب الكمال (٧/١٥٢) والسير ١٠/٣٢٣.

وقد أقر أبو اليمان رحمه الله بأنه غلط في روايته عندما سأله عن الحديث يحيى بن معين ، لكنه أصر على أنه من حديث الزهري وأنه إنما كتب حديث الزهري في آخر حديث ابن أبي حسين ، فغلط ، وحدث به من حديث ابن أبي حسين ، وهو صحيح من حديث الزهري^(١) .

وقال إبراهيم بن هاني النيسابوري ، قال لنا أبو اليمان : الحديث حديث الزهري ، والذي حدثكم عن ابن أبي حسين . غلطت فيه بورقة قَلَبْتُهَا^(٢)

ويحسم الإمام الذهبي الأمر ويقول : (تعين أن الحديث وَهْمٌ فيه أبو اليمان ، وصمم على الوهم ، لأن الكبار حكموا بأن الحديث ما هو عند الزهري^(٣))

ومهما يكن من سبب لهذا الإشكال . فإن أبا اليمان قد غلَّطه الأئمة ومنهم الذهلي ، وهذا العارض الذي عرض له - سواء التلقين كما يقول الذهلي أو الوهم أو الغلط - هو مما ترد به روايات الراوي . ومثل هذه العوارض تجري على كثير من الثقات وأكثرهم لا يذكر في كتب الجرح ولكن تضعف أحاديثهم تلك إما في بعض الأوقات كالمختلطين ، أو في بعض الأماكن والبلدان ، أو عن بعض الشيوخ كالخاصل في هذا المثال .

٣ - ومن ترد روايته : المجهول .

ومن المسائل المندرجة تحت هذا المطلب (مسألة المجهول) والمراد به عند الإطلاق مجهول العين .

(١) تهذيب الكمال (١٥٢ / ٧) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٨٠ - السير ١٠ / ٣٢٣ .

(٢) السير ١٠ / ٣٢٣ ، تهذيب التهذيب ٢ / ٣٨٠ .

(٣) السير ١٠ / ٣٢٣ .

وقبل أن نخوض في رأي الذهلي بم ترتفع جهالة الراوي؟ يحسن بنا أن نشير إلى تعريف المجهول عند أهل الحديث، وأقسامه، ثم نخرج على مذهبه في قبول روايته.

تعريف المجهول: قال الخطيب البغدادي: (المجهول عند أصحاب الحديث هو كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه، ولا عرفه العلماء به، ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد، مثل عمرو ذي مر، والهيثم بن حنش، ومالك بن أنجر... إذ لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي^(١))

أما أقسام المجهول فقد بينها الحافظ النووي فقال:

الأول: مجهول العدالة ظاهراً وباطناً^(٢)، فلا تقبل روايته عند الجماهير.

الثاني: المستور، وهو من كان عدلاً في الظاهر، مجهول العدالة باطناً، فهذا يحتاج بروايته بعض من رد رواية الأول،... الخ.

الثالث: مجهول العين، وقد يقبل مجهول العدالة من لا يقبل مجهول العين^(٣)

ورواية المجهول مسألة طويلة الذيل، وفي كل قسم من أقسامه أقوال في قبول روايته ليس هذا موضع بيانها.

ويعتبر الإمام الذهلي من أوائل من تعرض لهذه المسألة، ببيان ما ترتفع به الجهالة فقال: (إذا روى عن المحدث رجلان، ارتفع عنه اسم الجهالة)^(٤)

(١) الكفاية في علم الرواية. ص ١٤٩ بتصرف يسير.

(٢) أي مع كونه معروف العين برواية عدلين عنه. انظر تدريب الراوي ١/٣١٦.

(٣) إرشاد طلاب الحقائق، للإمام محيي الدين النووي، تحقيق وتخريج عبد الباري السلفي ١/٢٩٢-٢٩٥.

(٤) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص ١٥٠.

ومفهوم منطوق الذهلي هذا أنه إذا لم يرو عنه إلا واحد فهو مجهول وروايته مردودة . وهذا الذي ذهب إليه الإمام الذهلي قد قال به وذهب إليه جمهور المحدثين من بعده ؛ فمنهم الدارقطني حيث قال : (من روى عنه إثنان فقد ارتفعت جهالته وثبتت عدالته)^(١)

ومنهم الخطيب البغدادي حيث قال : أقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عن الرجل إثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم ، إلا أنه لا يثبت له حكم العدالة بروايتهما عنه)^(٢)

ومنهم ابن عبد البر حيث قال في الاستذكار شرح الموطأ باب ترك الوضوء مما مست النار : (من روى عنه ثلاثة ، وقيل اثنان ليس بمجهول).^(٣)

وقال أيضاً : (كل من لم يرو عنه إلا رجل واحد فهو عندهم مجهول ، إلا أن يكون رجلاً مشتهراً في غير حمل العلم كاشتهار مالك بن دينار بالزهد ، وعمرو بن معدي كرب بالنجدة)^(٤)

ومن ذهب مذهبهم الإمام النووي حيث قال : (ثم من روى عنه عدلان عيّناه ، ارتفعت جهالة عينه)^(٥)

وبه قال ابن حجر في النخبة والتزّهة : (. . . فان سمي وانفرد واحد عنه فمجهول العين ، أو اثنان فصاعداً ولم يوثق ؛ فمجهول الحال وهو المستور)^(٦)

(١) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ٥١).

(٢) الكفاية ص ١٥٠ .

(٣) كما نقله عنه اللكنوي في الرفع والتكميل ص ٢٥١ .

(٤) مقدمه ابن الصلاح ص ٣١٠ في النوع السابع والأربعون .

(٥) تقريب النووي للإمام محيي الدين النووي ، مع شرحه تدريب الراوي للسيوطي ٣١٧/١ بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٦) نزّهة النظر ص ٥٠ .

وقد ذهب الحافظ ابن الصلاح إلى أن الجهالة ترتفع برواية واحد ، قال معترضاً على الخطيب : قد خرج البخاري في صحيحه حديث جماعة ليس لهم غير راو واحد : منهم مرداس الأسلمي لم يرو عنه غير قيس ابن أبي حازم وكذلك خرج مسلم حديث قوم لا راوي لهم غير واحد منهم : ربيعة ابن كعب الأسلمي لم يرو عنه غير أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وذلك مصير منهما إلى أن الراوي قد يخرج عن كونه مجهولاً مردوداً برواية واحد عنه الخ (١)

ولم يسلم العلماء بذلك لابن الصلاح فقد تتبعوه فيما قال ، واحتجوا عليه بأن هؤلاء الذين اخرج لهم الشيخان ولم يرو عنهما غير واحد ، هم صحابة ، والصحابة عدول فلا يحتاج إلى رفع الجهالة عنهم بتعدد الرواة . قاله النووي والسيوطي . (٢)

وقال ابن كثير : (توجيه ابن الصلاح جيد لكن البخاري ومسلم إنما اكتفيا في ذلك برواية الواحد فقط ، لان هذين صحابيَّان وجهالة الصحابي لا تضر بخلاف غيره . (٣)

ومما سبق بيانه اتضح أن ما قاله الذهلي - من أن إرتفاع الجهالة لا تكون الا برواية اثنين عن الراوي - هو قول جماهير المحدثين . ومن لم يرو عنه الا راو واحد فيعتبر مجهول العين ، وروايته مردوده إلا اذا احتفت به أمور وقرائن ومسوغات لا يليق معها تجهيله ، وهذه المقدمة تسوقنا إلى معرفة رأي وقول الذهلي فيمن روى عنه اثنان هل تثبت عدالته ؟ .

(١) مقدمه ابن الصلاح ص ١٢٥ .

(٢) تدريب الراوي ٣١٨/١ .

(٣) اختصار علوم الحديث ، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، بشرح الشيخ أحمد شاكر (الباعث الحثيث) ص ٩٤ .

والحق أن هذا موضوع واسع والجزم فيه بصيغة مطردة فيه صعوبة
ومن خلال سبر أقوال العلماء في المجاهيل ثم الانتقال للواقع العملي في
مصنفاتهم وعملهم نجد أن هناك خلافات وعوارض ومرئيات ، فرضت توازناً
واضحاً وتتبعاً دقيقاً لأحوال الرواة كان من شأنها إعطاء الحكم اللائق بكل
شخص من حيث قبول حديثه أو رده . وهذا بالتالي يبين لنا مدى دقة العلماء
رحمهم الله في هذه المواضع ، كما يبين تعدد وجهات النظر .

حكم رواية مجهول العين عند الذهلي وغيره .

في رواية مجهول العين عند العلماء عدة أقوال نسردها على النحو التالي :

١ - أنها لا تقبل ، وهذا قول غالب المحدثين وغيرهم ، كما ذكره النووي
في مقدمته على شرح مسلم عن الجمهور^(١) ، والسيوطي في تدريب الراوي
حيث قال : وأما مجهول العين ، فردّه هو الصحيح الذي عليه أكثر العلماء من
أهل الحديث وغيرهم^(٢) .

٢ - تقبل مطلقاً ، وهو قول من لا يشترط في الراوي مزيداً على الاسلام ،
وعزاه ابن المواق للحنفية حيث قبلوا رواية المجهول على الإطلاق^(٣) كما
ذهب إلى ذلك ابن خزيمة حيث قال : ان جهالة العين ترتفع برواية واحد
مشهور^(٤) ، وكذا تلميذه ابن حبان حيث قال : "والعدل من لم يعرف فيه
الجرح ، . . فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه^(٥) . . . الخ .

(١) ٥٢/١ الطبعة الموافقة للمعجم المفهرس .

(٢) ٣١٧/١ .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٤٥/٢ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

٣ - التفصيل في ذلك : فان كان المنفرد عنه لا يروي الا عن عدل كابن

مهدي ويحيى بن سعيد ومالك قبل والا فلا (١)

٤ - التفصيل على وجه اخر : فان كان المنفرد عنه مشهوراً في غير العلم

بالزهد كمالك ابن دينار ، أو النجدة مثل عمرو بن معدي كرب ، قبل والا فلا .

وهذا التفصيل ذكره ابن عبد البر فقال : " واما الشهرة بالعلم والثقة

والأمانة فهي كافية من باب أولى " (٢)

٥ - التفصيل على غير الوجهين السابقين : وهو إن زكاه أحد من أئمة

الجرح والتعديل مع رواية احد عنه قبل والا فلا . وهو اختيار أبي الحسن ابن

القطنان في كتاب (بيان الوهم والايهام) (٣)

وهذا القول هو الذي ذهب اليه الامام الذهلي كما سيأتي ، وجرت عليه

تطبيقاته وتطبيقات جهاذة المحدثين في تعاملهم مع الرواة في هذا المضمار المهم .

فقد صححه الحافظ ابن حجر في نزهة النظر (٤) وقال السخاوي : (وعليه

يتمشى تخريج الشيخين في صحيحيهما لجماعة انفرد بالرواية عنهم واحد .

أفردهم الحافظ العراقي بالتأليف) . . وذكر منهم الحافظ السخاوي جماعة . . .

ثم قال بعد كلام طويل وأمثلة ضربها : (وبالجمله فرواية امام ناقل للشرعية

لرجل ممن لم يرو عنه سوى واحد في مقام الاحتجاج ، كافية في تعريفه

وتعديله (٥) وقال الحافظ شمس الحق العظيم آبادي : (إنه الصحيح المعتمد) (٦)

(١) فتح المغيث للعراقي ص ١٥٨ ، فتح المغيث للسخاوي ٤٦/٢ ، توضيح الأفكار ، للعلامة

محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٨٥/٢ .

(٢) التقييد والإيضاح ص ١٢٥ ، فتح المغيث ، للعراقي ص ١٥٨ ، فتح المغيث ، للسخاوي ٤٦/٢ ،

توضيح الأفكار ١٨٥/٢ .

(٣) فتح المغيث ، للعراقي ص ١٥٨ ، فتح المغيث ، للسخاوي ٤٧/٢ ، توضيح الأفكار ١٨٥/٢ ،

تدريب الراوي ٣١٧/١ ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن علي

الشوكاني ، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، ص ٥٣ .

(٤) ص ٥٠ . (٥) فتح المغيث ٤٧/٢ - ٥٠ .

(٦) غنية الألمي ص ١٦٣ رسالة ملحقة بالمعجم الصغير للطبراني .

وبين يدي مثال تطبيقي لأحد الرواة لم يرو عنه إلا راو واحد ، ومع هذا فقد وثقه الامام الذهلي . قال رحمه الله عن عبد الرحمن بن عمر اليحصبي (١) :
(عبد الرحمن بن عمر وعبد الرحمن بن خالد (٢) ثقتان ، ولا تكاد تجد لابن عمر حديثاً عن الزهري إلا ودون الحديث مثله . يقول : سألت الزهري عن كذا فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه ، ولا أعلم روى عنه غير الوليد (٣) . (٤)

وقد يبدو للناظر لأول وهلة أن هناك تعارض بين ما ذهب اليه الذهلي من ارتفاع الجهالة عن الراوي برواية اثنين عنه ، وبين توثيقه لابن عمر ولم يرو عنه إلا راو واحد .

وفي الواقع أنه لا تعارض يذكر ، بل إن ما ذكره من أنه لا ترتفع جهالة العين إلا برواية اثنين . هو المنهج الأحوط والأسلم الذي لم تجر عليه جميع تطبيقات المحدثين (٥) - خاصة إذا كان الراوي عن المفرد ضعيفاً أو نحو ذلك .
أما توثيقه لابن عمر على حاله تلك ، فهو نتيجة لاعتباره أموراً أخرى كتوثيق الأئمة له . قال ابن حبان : « من ثقات أهل الشام ومتقنيهم » (٦) وقال أبو زرعة : حديثه عن الزهري مستوي ، وقال أبو أحمد الحاكم : مستقيم الحديث (٧)

(١) هو عبد الرحمن بن عمر اليحصبي أبو عمرو الدمشقي . من ثقات أهل الشام ومتقنيهم ، يروي عن الزهري ، وروى عنه الوليد بن مسلم . ثقة من الثامنة . الثقات ، لابن حبان ٨٢ / ٧ ، التقريب ص ٣٥٢ .

(٢) هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر أبو الوليد الفهمي المصري ، روى عن الزهري ، كان عنده عنه كتاب ، وعنه الليث توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب ٦ / ١٥٠ . الخلاصة ص ٢٢٦ .

(٣) هو الوليد بن مسلم القرشي أبو العباس الدمشقي عالم الشام ، توفي سنة ١٩٤ ، تهذيب التهذيب ١١ / ١٣٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ٦ / ٢٥٨ .

(٥) انظر المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص ٣٣٤ ، د . فاروق حمادة .

(٦) الثقات ٧ / ٨٢ .

(٧) تهذيب التهذيب ٦ / ٢٥٨ .

والإمام الذهلي بهذا ووازن ووافق بين قوليه السابقين ، ففي حين يقول :
« ولا أعلم روى عنه غير الوليد » ، بيّن منزلته في فنون الرواية ، وأنه يأتي
بالحديث على وجهه - يعني مطابق لرواية شيخه حسن الإيراد له - كما أنه ثقة
في نفسه كما سبق بيانه .

ومن تطبيقات المحدثين في ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري .
في حديث أم سلمة أفعميا وان أنتما^(١) قال : إسناده قوي . وأكثر ما علل به
انفراد الزهري بالرواية عن نبهان وليست بعلّة قادحة ، فإن من يعرفه الزهري
ويصفه بأنه مكاتب أم سلمة ولم يجرحه لا ترد روايته^(٢)

كذلك ما مال إليه ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في حديث أبي ركانه في
التفريق بالعتّة حيث قال : ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض
بني رافع وهو مجهول ، ولكنه تابعي وابن جريج من الائمة الثقات العدول
ورواية العدل عن غيره تعديل له ما لم يعلم فيه جرح ، ولم يكن الكذب ظاهرا
في التابعين ، قال : ولا يظن بابن جريج انه حملها عن كذاب ولا عن غير ثقة
عنده ولم يبين حاله .^(٣)

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتابه الأدب ، باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال ٩٤ / ٥
وقال حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في مسنده ٢٩٦ / ٦ .

(٢) فتح الباري (٣٣٧ / ٩) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ، باعتناء شعيب وعبد القادر الأرئوط
(١٨١ / ٥) وقد تعرض لهذه المسائل وتطبيقات المحدثين عليها على اختلاف أقوالهم . الدكتور
فاروق حمادة في كتابه المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل عند حديثه عما ترتفع به جهالة
العين (٣٣٢ - ٣٣٨) فليراجع . ولكننا عند تطبيق قواعد المحدثين على هذا الحديث نجدهم
لا يحتجون به ، لوجود الجهالة في سننه ، قال الخطابي : في إسناده هذا الحديث مقال ، لأن ابن
جرير إنما رواه عن بعض بني أبي رافع ولم يسمعه ، والمجهول لا تقوم به حجة ، وكان الإمام
أحمد يضعف طرقه كلها ، مختصر سنن أبي داود (١٢٠ / ٣) .

والإمام ابن القيم رحمه الله وان كنا قدمنا عنه عدم حكمه الحكم الواضح على هذا الحديث على
المنهج الأحوط عند المحدثين في ارتفاع الجهالة برواية اثنين ، فقد بين رأيه بوضوح في تهذيب
سنن أبي داود (١٢١ / ٣) حيث قال : ولأبي رافع بنون ليس فيهم من يحتج به إلا عبيد الله بن
رافع ولا تعلم هل روى هذا الحديث أو غيره .

المطلب الثاني

أثر الإمام الذهلي في الجرح والتعديل

مقيد :

أ - أهميته : لما أتم الله عز وجل نعمته ببعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين ، وأنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء كما قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (١)

وقال ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾ (٢)

قام عليه أفضل الصلاة والسلام بما من أجله بعث وأرسل أحسن قيام وأدى الأمانة ، ونصح الأمة . . . حتى لحق بالرفيق الأعلى .

فبقي هذا البيان والبلاغ بعده بين يدي صفوة الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوه ورعوه وناضلوا عنه ، وكان فيهم من قوة الدين ، وكمال الورع ، وتمام الأمانة ، وصفاء الذهن مع الذكاء ما أهلهم لبلوغ أعلى مراتب المحافظة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كيف لا يكونوا كذلك وقد عدلهم الله من فوق سبع سموات . (٣)

فتعمد الكذب والتبديل عليهم ممتنع ، أما الخطأ والنسيان فهو وارد على جميع البشر ولذا كانوا رضي الله عنهم يتقنون بعضهم بعضاً في ذلك . وكان

(١) النحل آية (٤٤) .

(٢) النحل آية (٦٤) .

(٣) في مثل قوله تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ...) سورة التوبة آية (١٠٠) ، وقوله تعالى : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) سورة الحشر آية (٨) .

ضبطهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقوى فترات الضبط والتحري .

وكلما قل الصحابة والتابعون كلما تناقص الضبط للرواية وكثر الوهم والخطأ ، وكلما ظهر الكذب والوضع لكثرة الفرق السياسية والعقائدية . ولقلة الورع والدين في المتأخرين وغير ذلك من الاسباب ، وليس ذلك على الاطراد والشمول .

ومن هنا تبرز أهمية الجرح والتعديل للرواة وفحصهم ومعرفة مراتبهم لتمييز الصحيح من السقيم .

قال أبو محمد ابن أبي حاتم :

(فلما لم نجد سبيلا إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله ولا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة النقل والرواية ، وجب أن نميز بين عدول الناقلة والرواه وثقاتهم وأهل الحفظ والتثبت والاتقان منهم . وبين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة) (١) .

ب - مشروعيته وبيان خطأ من اعتبره غيبة : أشار القرآن الكريم إلى أهمية التوقي والتحري في قبول الاخبار ، حفاظاً على أسس الدين وقواعده من صيرورتها مسرحاً لوهم وغفلة وكذب ووضع الرواة . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ (٣)

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٥/١ .

(٢) الحجرات آية ٦ .

(٣) البقرة آية ٢٨٢ .

والمرضي من الشهداء من رضي عنه في دينه وأمانته ، ونقل الحديث وروايته ، فيه من النصح لله ورسوله وللمسلمين ما يفوق الشهادة المحصورة في نطاق ضيق .

والمحت السنة إلى حدوث الضعف والاختلاف ، وجاء الأمر بلزوم السنة الصحيحة ، وقد استنبط استحباب معرفة الضعفاء الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي من الحديث الذي رواه العرباض بن سارية أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعظ أصحابه موعظة بليغة ذرفت منها العيون وفي آخر الحديث : فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين (المهدين) عضوا عليها بالنواجذ الخ (١)

قال ابن خبان في المقطع الاخير من الحديث . . . : فيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم أمر أمته بمعرفة الضعفاء منهم من الثقات لأنه لا يتهياً لزوم السنة مع ما خالطها من الكذب والأباطيل إلا بمعرفة الضعفاء والثقات ، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون من ذلك في أمته إذ قال : " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " (٢) (٣)

وقد كان صلى الله عليه وسلم قد نهج لأئمة الجرح ما ذهبوا إليه من بيانهم لأحوال الرواة المجروحين مع بيان ما به جرحوا وعدم تجاوزه إلى غيره من المعايير فينقلب غيبة لأن المراد قد تحقق بجراح واحد إن كان بمثله يقوم الجرح بالراوي .

(١) الحديث سبق تخريجه في التمهيد لمسألة اللفظ ص ٢٩١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ٤٠ / ١ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث ، وحكم كتابة العلم ٢٢٩٨ / ٤ .

(٣) مقدمة المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ١٠ / ١ ، ذكر استحباب معرفة الضعفاء وقد استنبط ما يفيد ذلك من أحاديث أخرى .

فقد حدثت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها * أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له فبئس رجل العشيرة أو بئس رجل العشيرة » فلما دخل ألان له القول ، قالت عائشة : يا رسول الله قلت له الذي قلت ، فلما دخل ألتنت له القول . قال : « يا عائشة ، إن شر الناس منزلة يوم القيامة من ودعه الناس - أو تركه - الناس اتقاء فحشه »^(١) .

وقد استدلل الخطيب من قول الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل : بئس رجل العشيرة على أن فيه دليل أن إخبار المخبر بما يكون في الرجل من العيب على ما يوجب العلم والدين والنصيحة للسائل ليس بغيبه ، إذ لو كان ذلك غيبة لما أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما أراد عليه السلام بما ذكر فيه - والله أعلم - أن بئس للناس الحالة المذمومة منه ، وهي الفحش ، فيتجنبوها ، لا أنه أراد الطعن عليه والثلث له .

ج - نشأته : نشأ علم الجرح والتعديل مع نشأة الرواية في الاسلام وانتشارها في عهد الصحابة ثم عهود التابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، وأصبح ديدن العلماء تقييم الرواة وعدم قبول أي حديث إلا بعد معرفة رجاله واحداً واحداً ، واعطائهم ما يستحقونه من أوصاف العدالة والضبط دون محاباة أو محاحلة وضربوا بذلك أروع الأمثلة في التجرد لله والاحتساب لخدمة دينه . حتى أن الإبن لسجرح أباه كما فعل ابن المديني عندما سئل عن أبيه فقال (سلوا عنه غيري ، فاعادوا المسألة فأطرق ، ثم رفع رأسه ، فقال : « هو الدين ، إنه ضعيف »^(٢) ومن هذا التجرد ندرك مدى ما كان عليه سلفنا من مراقبة لله خولتهم شرف حراسة ميراث النبوة حتى من أقرب الناس إليهم .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ١١٣/٧ ،

ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب باب مداراة من يتقى فحشه ٢٠٢/٤ .

(٢) (ميزان الاعتدال ١١٥/٣) والإعلان بالتوبيخ للسخاوي ص ٦٦ ، وكان قوم يقولون « عليّ

يعق أباه لا يحدث عنه ، فلما كان بآخره حدث عنه » الجرح والتعديل ٢٣/٥ .

وهذا ما لم يتهياً مثله لأمة من الأمم السابقة مع أنبيائهم فكان علم الجرح والتعديل علماً فريداً تميزت به أمتنا ، وفي مقدمة ابن أبي حاتم للجرح والتعديل نخبة مختارة من أئمة هذا الفن أجاد وأطنب في ذكر أخبارهم (١)

وذكر ابن عدي الجرجاني في مقدمة كتابه الكامل فصلاً طويلاً (ذكر فيه من استجاز تكذيب من تبين كذبه . من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم إلى يومه رجلاً رجلاً) (٢) ومن استقراء ذلك وغيره ندرك أن هذا العلم قد نشأ على أيدي رجال هم صفوة تلك العصور المباركة ، بدءاً من الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعائشة أم المؤمنين ، وتثنيةً بالتابعين كابن المسيب وسعيد بن جبيرة وعطاء وابن سيرين وابن شهاب الزهري ، ومروراً بتابعي التابعين وإلى ما شاء الله ممن نذروا أنفسهم للحفاظ على دينه من كل عابث وفي ذلك من أخبارهم كل مستملح ومن جهودهم كل مستطرف . . . فعليهم سبحانه رحمت الله .

د - تعريف علم الجرح والتعديل : الجرح لغة : قال ابن منظور : (الفعل ، جرحه يجرحه جرحاً ، ويقال : جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره ، والاستجراح : النقصان والعيب والفساد ، وقال ابن عون : (استجرحت هذه الأحاديث) قال الأزهري : ويروى عن بعض التابعين أنه قال : كثرت هذه الأحاديث واستجرحت (أي فسدت وقل صحاحها وهو استفعل من جرح الشاهد إذا طعن فيه ورد قوله ، أراد أن الأحاديث كثرت حتى أحوجت أهل العلم بها إلى جرح بعض روايتها ، ورد روايته) (٣)

(١) وقد استغرق ذلك الجزء الأول بأكمله .

(٢) مقدمة الكامل في الضعفاء ١/ من ٤٧ - ١٣٩ .

(٣) لسان العرب ٢/ ٤٢٢ ، مادة جرح .

الجرح اصطلاحاً :

قال الدكتور محمد محمد السماحي انه : الطعن في راوة الحديث بما يسلب عدالتهم أو ضبطهم (١)

وقال الدكتور محمد عجاج الخطيب : هو ظهور وصف في الراوي ، يثلم عدالته ، أو يخل بحفظه وضبطه ، مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها وردها " (٢)

التعديل لغة :

تفعيل من المصدر « عدل »

والعدل هو ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور ورجل عدل بين العدل والعدالة : وصف بالمصدر معناه ذو عدل .

قال تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ (٣)

وقال : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ (٤)

وعدل الرجل : زكاه ، والعدكة والعدكة : المزكون

وقال ابراهيم : (العدل الذي لم تظهر منه ريبة) (٥)

التعديل اصطلاحاً :

قال الدكتور محمد السماحي : التعديل : هو الحكم على الراوي بانه عدل ضابط (٦)

وقال الدكتور الخطيب : « هو من لم يظهر في أمر دينه ومروءته ما يخل بهما » (٧)

(١) المنهج الحديث في علوم الحديث ، قسم الرواة ص ٨٢ . (٢) أصول الحديث (٢٦٠)

(٣) سورة الطلاق آية (٢) . (٤) سورة المائدة آية (٩٥) . (٥) لسان العرب ١١ / ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٦) المنهج الحديث في علوم الحديث قسم الرواة ص ٥٤ .

(٧) أصول الحديث (علومه ومصطلحه) د. محمد عجاج الخطيب ص ٢٦٠ .

تعريف علم الجرح والتعديل :

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواه وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ . (١)

وبعد هذا التمهيد الموجز عن علم الجرح والتعديل ، بقي أن تلفت الأنظار إلى جهود الإمام الذهلي في هذا الميدان الخطير الذي لا يتصدى له إلا قلة من أئمة هذا الشأن ، فالمجرح والمعدل قبل أن يقوم بمهمته يعلم أنه لا بد من تأمله لذلك الأمر .

ومن هذه الأمور التي تؤهل لهذه المهمة ما ذكره ابن ناصر الدين من أن الكلام في الرجال يستدعي أموراً في تعديلهم وردهم ، منها :-

١ - أن يكون المتكلم عارفاً بمراتب الرجال ، وأحوالهم في الانحراف والاعتدال ، ومراتبهم من الأقوال والأفعال .

٢ - أن يكون المتكلم من أهل الورع والتقوى .

٣ - أن يكون مجانباً للعصبية والهوى .

٤ - أن يكون خالياً من التساهل .

٥ - أن يكون عارياً من غرض النفس بالتحامل .

٦ - أن يكون عدلاً في نفسه متقناً .

٧ - أن يكون عارفاً بالأسباب التي يجرح بمثلها الانسان . (٢)

والإمام الذهلي كما مر بنا قبل قليل (٣) ممن شهد له بالامامة في نقد الرجال ولا بأس بأن نعيد تلك الشهادات بإيجاز مضافاً إليها شهادات أخرى .

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، للعلامة حاجي خليفة ٥٨٢/٢ ، باعتناء محمد شرف الدين بالتقبا ، ورفعت الكليسي ، وانظر أبجد العلوم للمحدث صديق حسن خان ٢/٢١١ .

(٢) الرد الوافر ص ٣٩ ، وانظر مقدمة العلامة المعلمي لتحقيق كتاب الجرح والتعديل ص (ب - ج) ، وأسباب اختلاف المحدثين ، للدكتور خلدون الأحذب ١/٤٧-٥٥ .

(٣) في مبحث مكانته بين نقاد الأخبار والرجال .

١ - شهادة الامام محمد بن حبان البستي :

قال : « ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد في الاخبار ، وانتقاء الرجال جماعة منهم : محمد بن يحيى الذهلي (١) .

٢ - شهادة الامام ابن ناصر الدين الدمشقي :

قال : بعد ذكره للشروط السابقة في حال المجرح والمعدل : " وإذا نظرنا في طبقات النقاد من كل جيل ، الذين قبل قولهم في الجرح والتعديل ، رأيانهم أئمة بما ذكر موصوفين ، وعلى سبيل نصيحة الأمة متكلمين ثم سرد عدة طبقات وبعدها قال : وبعدهم : طبقة البخاري محمد بن اسماعيل ، وقبيل الثلاثمائة بقليل : محمد بن يحيى الذهلي (٢) .

٣ - شهادة شيخ الإسلام ابن تيمية :

امتدح شيخ الاسلام ابن تيمية الامام الذهلي ضمن ثلثة من أئمة الحديث قبله وبعده بالخبرة بالاسانيد ثم قال : " وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده ، وحكامه ، وحفاظه ، الذين لهم خبرة ومعرفة تامة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم واحوال من نقل العلم والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين (وتابعيهم) ومن بعدهم من نقلة العلم (٣) .

٤ - شهادة الإمام أحمد بن حنبل :

اعتمد الإمام أحمد بن حنبل قول الذهلي في داود بن علي بما أحدث في نيسابور من بدعة أن القرآن يحدث وقال لابنه صالح عندما نقل افكار داود لذلك : محمد بن يحيى أصدق منه (٤) .

(١) المجروحين من المحدثين ٥٧/١ .

(٢) الرد الوافر ص ٣٩ .

(٣) منهاج السنة ٣١٠/٧ .

(٤) تاريخ بغداد ٨/٣٧٣-٣٧٤ ، الضعفاء لأبي زرعة ٥٥١/٢ .

٥ - شهادة الامام الذهبي :

قال : « والان نشرع بتسمية من كان إذا تكلم في الرجال قبل قوله ، ورجع إلى نقده ، الطبقة الخامسة رقم ٢٧٠ - محمد بن اسماعيل البخاري ، ٢٧١ - ومحمد بن يحيى الذهلي (١) .

٦ - شهادة الإمام السخاوي :

قال : « وأما المتكلمون في الرجال فخلق من نجوم الهدى ، ومصاييح الظلم ، المستضاء بهم في دفع الردى ، لا يتهياً حصرهم . . . الخ .

وفي الطبقة الحادية عشر قال : ثم خلفهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم : اسحاق الكوسج ، والدارمي ، والذهلي ، والبخاري ، والعجلي . (٢)

ج - منهج الذهلي في الجرح والتعديل

من استقراء أقوال الإمام الذهلي في الرواة وبيانه لأحوالهم تبرز أمامنا ملامح منهجه في نقدهم .

أولاً : في مجال التعديل :

١ - يجمع أكثر من راو للتمييز بينهما وقد يستطرد في وصف أحدهما

ومثال ذلك ما قاله في عبد الرحمن بن عمر اليحصبي (٣) .

قال : « عبد الرحمن بن عمر وعبد الرحمن بن خالد (٤) ثقتان ولا تكاد نجد لابن عمر حديثاً إلا ودون الحديث مثله ، يقول : سألت الزهري عن كذا ،

(١) ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل « ضمن أربع رسائل في علوم الحديث حققها الشيخ أبو غده ص ١٧٨ .

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ٣٥٨/٤ ، بتحقيق علي حسين علي ، والاعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ ص ٣٢٥ ، ورسالة المتكلمون في الرجال للذهبي ، حققها ضمن أربع رسائل في علوم الحديث ، الشيخ أبو غده ص ٨٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه ولا أعلم روى عنه غير الوليد (١) « (٢)

وبينما نجد الذهلي يوثق ابن ثمر في أول بيانه فجده يقول : « ولا أعلم روى عنه غير الوليد » مما يوهم تجهيله إياه على المشهور من مذهبه بأن الراوي لا يخرج عن الجهالة ما لم يرو عنه اثنان فصاعدا .

ولكن توثيقه السابق له يفصح لنا أن للذهلي اعتبارات أخرى في الوجدان إذا توافرت خرج الراوي من الجهالة وهو ما اعتمده كثير من العلماء .
٢ - بين قبله للراوي بروايته هو وحديثه عنه .

ومثاله « لما سأله أبو قريش محمد بن جمعة (٣) عن محمد بن حميد بن حيان الرازي (٤) فقال له : (ألا تراني هوذا أحدث عنه) (٥) .

ومحمد بن حميد قد رضيه أحمد ويحيى وحدثا عنه ، وسئل ابن معين عنه فقال : ثقة لا بأس به رازي كيّس ، كما وثقه مرة أخرى وبين أن الضعف في أحاديثه ليس من قبله فقال : وهذه الأحاديث التي يحدث بها ليس هو من قبله إنما هو من قبل الشيوخ الذين يحدث عنهم » (٦) .

٣ - تعديل الرواة مع بيان ما يحضره أو ما عنده من معلومات عن بلدانهم وأصولهم ومكانتهم العلمية .

ومن ذلك :

(١) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

(٣) هو أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف القهستاني الأصم ، صاحب التصانيف قال الحاكم : من الحفاظ المتقنين مات سنة ٣١٣هـ ، السير ١٤/ ٣٠٤ .

(٤) هو محمد بن حميد بن حبان التميمي أبو عبد الله الرازي ، قال ابن معين : ثقة كيّس ، وقال البخاري مات سنة ٢٤٨هـ ، الخلاصة ص ٣٣٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ٩/ ١١٢ .

(٦) المصدر السابق .

أ - تعديل الراوي مع بيان كونه من ثقات بلده .

كما قال في النعمان ابن أبي شيبه عبيد الصنعاني أو الجندي^(١) . . (من ثقات أهل اليمن)^(٢)

ب - تعديل الراوي مع بيان أصله ، ومكان سكناه ومكانته .

قال في عبد الله بن فروخ الخراساني اليمامي^(٣)
(وابن فروخ خراساني الأصل ، سكن المغرب ، ثقه)^(٤)

ج - تعديل الراوي مع ذكر بلده فقط .

كما قال في محرر بن هارون بن عبد الله بن محرز بن الهدير^(٥)
(بصري لا بأس به)^(٦)

٤ - تعديل الراوي بكونه ثبتاً في حديث شيخ بعينه ، أو ثبتاً في غير حديث شيخ آخر .

أ - فمثال الاول ، قوله عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله القيسي^(٧)
(كان ثبتاً في شعبة)^(٨)

(١) هو النعمان ابن أبي شيبه عبيد الصنعاني ، قال ابن معين عنه ثقة مأمون كُيس كُيس ، الخلاصة ص ٤٠٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠٥ .

(٣) هو عبد الله بن فروخ الخراساني ثم اليمامي ثم المغربي ، قال سعيد ابن أبي مريم : هو أرضى أهل الأرض عندي ، توفي سنة ١٧٥ ، الخلاصة ٢٠٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ٥ / ٣١٢ .

(٥) هو محرر بن هارون بن عبد الله بن محرز التيمي المدني ، قال أبو حاتم ليس بالقوي ، الخلاصة ص ٣٧٠ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٠ / ٥٠ .

(٧) هو الحكم بن عبد الله الأنصاري أو العجلي أو القيسي أبو النعمان البصري ، قال الذهبي : صدوق . الخلاصة ص ٨٩ ، الكاشف ١ / ٢٤٥ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٧٢ .

ب - ومثال الثاني قوله عن سليمان بن كثير العبدي (١)

(.) وهو في غير حديث الزهري أثبت (٢)

ثانيا : في مجال التجريح .

١ - يجرح الراوي ويبين سبب جرحه أحيانا وقد يخطيء في ذلك كغيره .

ومن ذلك :

أ - تجريح الرواة لابتداعهم وخروجهم عن منهج السلف في العقيدة .

أولا : قال في إسماعيل بن سميع الحنفي (٣) (كان ييهسياً (٤) كان ممن
يغض علياً) (٥)

ثانيا : راسل الإمام أحمد في شأن داود بن علي الظاهري (٦) في زعمه
حدوث القرآن .

وقال الإمام أحمد (هذا قد كتب إلي محمد بن يحيى النيسابوري في أمره
أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني) (٧)

ب - يجرح الراوي بما لا يكون جارحاً

مثل ضربه على حديث أبي قدامة السرخسي (٨) لكونه دخل عليه فلم يقم
له (٩) ومعلوم أن هذه كبوة للذهلي فالسرخسي ثقة وعمله لا يجرحه .

(١) هو سليمان بن كثير، العبدي، البصري، الحافظ، قال الذهبي، إمام مشهور ثقة توفي ١٦٣،
السير ٢٩٤/٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٦/٣٦٠، السير ٢٩٤/٧.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٧٠.

(٤) فرقة اليبهسية، هم أتباع أبي يهس الهيصم بن جابر الذي أمر الوليد بقطع يديه ورجليه، وهم
من كبار فرق الخوارج، ولهم آراء شاذة، يكفرون الرعية بكفر الراعي، وكانوا قدرية ومنهم من
يكفر بالسكر، الملل والنحل للشهرستاني ١/١٢٥.

(٥) تهذيب التهذيب ١/٢٦٧. (٦) سبقت ترجمته ص ٧٣. (٧) تاريخ بغداد ٨/٣٧٣.

(٨) سبقت ترجمته ص ١٩١.

(٩) تهذيب التهذيب ٧/١٦.

٢ - يجرح الراوي بالكناية بالقسم أن يذبح بدنه إن حدث عنه

قال في عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري^(١) :

(عليّ بدنه إن حدثت عنه حديثاً)^(٢) وضعفه جداً . وفي ذلك تنفير للناس من الرواية عنه لضعفه .

٣ - بيانه اضطراب الراوي في حديث شيخ معين مع إتيانه حديث غيره .
قال في سليمان بن كثير العبدي^(٣) :

(ما روى عن الزهري فانه قد اضطرب في أشياء منها ، وهو في غير حديث الزهري اثبت)^(٤)

٤ - جمعه لراوين أو أكثر مع بيان رواياتهم .

قال : شيخان تحيىء عنهما أحاديث عن الزهري صحاح ومناكير .
الوليد بن محمد الموقري^(٥) وعبد الرحمن بن يزيد بن تميم .^(٦) (٧)

(١) هو عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، المدني ، الأعرج ، متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلظه ، وكان عارفاً بالأنساب ، مات سنة ١٩٧ ، التقريب ص ٣٥٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/٣١٣ .

(٣) سبقت ترجمته قبل صفحة .

(٤) تهذيب التهذيب ٤/١٨٩ - وقد واطأ الذهلي على كلامه في سليمان العبدي عدد من الأئمة ، قال النسائي : ليس به بأس إلا في الزهري فإنه يخطئ عليه (تهذيب التهذيب ٤/١٨٩) ، وقال العقيلي : واسطي سكن البصرة مضطرب الحديث عن ابن شهاب وهو في غيره أثبت ، الضعفاء الكبير ٢/١٣٧ ، وقال ابن حبان : كان يخطئ كثيراً فأما روايته عن الزهري فقد اختلطت عليه صحيفته فلا يحتج بشيء يتفرد به عن الثقات ، المجروحين من المحدثين ٢/٣٣٠ .

(٥) هو الوليد بن محمد الموقري ، بضم الميم ، ويقاف مفتوحة ، أبو بشر البلقاوي ، متروك من الثامنة مات سنة ١٨٢ ، التقريب ص ٥٨٣ .

(٦) هو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمي ، الدمشقي ، ضعيف من السابعة ، التقريب ص ٣٥٣ .

(٧) تهذيب التهذيب ١١/١٣٢ .

٥ - أحيانا يبين سقم الرواية مع الحكم على أحد رواياتها

قال عن حديث رواه البيهقي : (أخاف أن يكون هذا موضوعاً وروح^(١) هذا مجهول^(٢))

هذه لمحات من منهجه في تناول الرواة بالجرح والتعديل . وإن عدم الوقوف على مؤلفات الذهلي ليحول بيننا وبين معرفة المزيد من منهجه وحسبنا ما سنقف عليه بعد قليل من سرد لأقواله في الجرح والتعديل المستنبطة من بطون الكتب .

ألفاظ الجرح والتعديل عند الإمام الذهلي تمهيد :

ألفاظ الجرح والتعديل كثيرة جداً ، وحصرها وجمعها متعذر ، ومع ذلك فمعاني بعضها متقاربة ، وعليه فلا بد للمتعرض لهذا الباب المهم أن يلم بهذه المعاني ومكانها من الدرجات والمراتب . وجميع أئمة هذا الشأن أرجعوا جميع ألفاظ الجرح والتعديل إلى ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى: مرتبة الاحتجاج ، وهي مرتبة الثقات الذين يعمل برواياتهم .
المرتبة الثانية : مرتبة الإعتبار وهي مرتبة من يكتب حديثهم ولا يحتج به ، ولكن ينظر ويعتبر .

المرتبة الثالثة : مرتبة الترك ، وهي مرتبة من ترد أحاديثهم ولا تكتب .

وكان الإمام الحافظ عبد الرحمن ابن أبي حاتم هو أول الأئمة الذين عنوا بهذه الالفاظ وميزوا المتشابه منها ، وجعل كل لفظ في مرتبته المناسبة له . فكان جهده نواة تتابعت عليها جهود الأئمة من بعده .

(١) هو روح بن غُطَيْف ، قال ابن حجر : عداؤه في أهل الجزيرة ، وقد وهَّاه ابن معين . لسان الميزان ٥٧٦/٢

(٢) السنن الكبرى ٤٠٥/٢ .

فقد أخبر رحمة الله أن الناقله للأثار والمقبولين على منازل وأن أهل المنزل العلياء الثقات وأن أهل المنزل الثانية أهل الصدق والأمانة قال رحمه الله : « وجدت الألفاظ في الجرح والتعديل على مراتب شتى وإذا قيل للواحد أنه ثقة أو متقن ثبت فهو ممن يحتج بحديثه ، وإذا قيل له أنه صدوق أو محل الصدق أو لا بأس به فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه وهي المنزل الثانية وإذا قيل شيخ فهو بالمنزل الثالثة يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية ، وإذا قيل صالح الحديث فانه يكتب حديثه للاعتبار ، وإذا أجابوا في الرجل بلين الحديث فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا ، وإذا قالوا ليس بقوي فهو بمنزلة الأولى في كتبه حديثه إلا أنه دونه ، وإذا قالوا ضعيف الحديث فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبر به ، ، وإذا قالوا متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذاب فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه وهي المنزل الرابعة » (١).

وللامام ابن أبي حاتم أيضا تقسيم آخر للطبقات وكان بمثابة تععيد وتأصيل لهذا الفن النادر في الأم قال في بدايته :

(ثم احتيج إلى تبين طبقاتهم ، ومقادير حالاتهم ، وتباين درجاتهم ليعرف من كان منهم في منزلة الانتقاد والجهيزة ، والتنقيح والبحث عن الرجال والمعرفة بهم ، وهؤلاء هم أهل التزكية والتعديل والجرح إلى آخر كلامه عن الطبقات) . (٢)

وكان الخطيب البغدادي من أوائل من تابع ابن أبي حاتم على ذلك التقسيم فاقصر في كفايته على ذكر أعلى مرتبة وأدون مرتبة وقد ذكر ذلك على سبيل الإعتماد عليه إذ أن استشهاده وتمثيله لذلك كان خاليا عن المعارضة والزيادة والنقصان . (٣)

(١) الجرح والتعديل ٣٧/٢ .

(٢) تقدمه الجرح والتعديل ٦/١ .

(٣) الكفاية ص ٥٩ .

ثم جاء بعده ابن الصلاح فاستحسن صنيع ابن أبي حاتم وأورده وزاد فيه ما بلغه عن غيره^(١) ووافقهما كذلك الإمام النووي في الإرشاد . (٢)

ولأقت هذه المراتب غاية تنظيمها وترتيبها واحكامها على ايدي الجهابذة الأئمة الحفاظ وفي مقدمتهم الإمام الذهبي^(٣) ثم الحفاظ العراقي^(٤) الذي تابع الذهبي في إضافة مرتبة قبل الأولى من مراتب ابن أبي حاتم وهي مرتبة تكرير اللفظ كثقة ثقة .

فوصلت المراتب على ايدي الذهبي والعراقي إلى خمس مراتب ، وجاء الحفاظ العلامة ابن حجر العسقلاني^(٥) فجعل ألقاظ الجرح والتعديل اثنتي عشرة مرتبة - التعديل ست مراتب والجرح ست مراتب ، وكأنه تابع الذهبي والعراقي في المراتب الخمس وجعل قبلهن مرتبة الصحابة لشرفهم رضوان الله عليهم . والثانية من أكد مدحه إما بافعل كأوثق الناس أو بتكرار الصفة لفظاً كثقة ثقة أو معنى كثقة حافظ ، ويلاحظ هنا أنه دمج المرتبتين أفعل وتكرير اللفظ .

بينما استقر عمله في نخبة الفكر وشرحها نزهة النظر على الفصل بينهما وجعل المرتبة الأولى ما كان يوصف أفعل كأوثق الناس . والمرتبة الثانية ما تأكد بصفتين . (٦)

وتابعه على ذلك الإمام السخاوي^(٧) واستقرت المراتب على هذا النظام المحكم الدقيق فرحم الله الجميع .

(١) مقدمه ابن الصلاح ص ١٣٣ .

(٢) ٣٢٠ / ١ .

(٣) مقدمته لكتاب ميزان الاعتدال ٤ / ١ .

(٤) التقييد والإيضاح ص ١٣٣ ، وانظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث له ومتابعته للذهبي وتأكيده لاختياره ص ١٧٢ .

(٥) مقدمة تقريب التهذيب ص ٧٤ .

(٦) نخبة الفكر وشرحها نزهة النظر، ص ٧٠ .

(٧) فتح المغيث ٢ / ١١٠ .

وبعد هذا التعريج الموجز على تاريخ نشوء مراتب الجرح والتعديل نحت
الرحال عند بيت القصيد من هذا المطلب المهم وهو مشاركات الإمام الذهلي في
الجرح والتعديل وهو من رواد هذا الميدان . . .

والمنهج المنتهج في عرض مشاركاته أن تقسم إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول : مراتب التعديل من الأعلى إلى الأدنى .

القسم الثاني : مراتب التجريح من الأدنى إلى الأعلى وكلاهما على
التقسيم الذي استقر عليه العلماء في هذا الشأن وهو تقسيم الإمامين ابن حجر
والسخاوي ، كل لفظ في مرتبته المناسبة وقد تخلو بعض المراتب حسب ما تيسر
جمعه من بطون الكتب وفي الحاشية نذكر خلاصة ما توصل إليه الإمامين الذهبي
في الكاشف وابن حجر في التقريب وقد أخرج عنهما أن لزم الأمر لوجود
إصطلاح خاص بالذهلي يتعين عليّ إزاءه موازنته ومقارنته بأقوال غيره من الأئمة
لنقع على مراده .

القسم الثالث : بيان بعض ألفاظ الإمام الذهلي الخاصة في الجرح
والتعديل .

القسم الأول : مراتب التعديل من الأعلى إلى الأدنى

المرتبة الأولى : الوصف بما دلّ على المبالغة أو ما كان على وزن أفعل أو دل لفظه على كونه فوق التعديد بتكرار اللفظ .

١ - قال في ترجمة يحيى بن يحيى النيسابوري (١)

(لو شئت لقلت هو أسن المحدثين في الصدق وكان ثبثاً) (٢)

٢ - قال مثنيّاً على ثلة من العلماء :

(أثبت من رأيت عبد الرحمن (٣) ووهب بن جرير (٤) ويزيد بن هارون (٥) وسليمان بن حرب (٦) (٧)

٣ - قال عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٨)

(١) سبقت ترجمته ص ١٥٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١ / ٢٦١ ، وقال الإمام الذهبي في الكاشف : « ثبت فقيه صاحب حديث وليس بالمكثر جداً » ٣ / ٢٧١ ، وقال ابن حجر « ثقة ، ثبت ، إمام » التقريب ٥٩٨ .

(٣) هو ابن مهدي سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٩٣ .

(٥) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٧١ .

(٧) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٨٣ . أما عبد الرحمن بن مهدي فقد قال عنه الذهبي : « كان أفقه من يحيى القطان » ونقل عن علي ابن المديني قال : « أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن » وعن الذهلي قال : « مارأيت في يده كتاباً قط » الكاشف ٢ / ١٨٧ ، وقال ابن حجر : « ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث » التقريب ص ٣٥١ .

وأما (وهب بن جرير) فقال عنه كل من الذهبي وابن حجر : « ثقة » الكاشف ٣ / ٢٤٥ ، التقريب : ٥٨٥ ، و(أما يزيد بن هارون) فقال عنه الذهبي : « أحد الأعلام » ونقل عن الإمام أحمد قوله : « حافظ متقن » وعن العجلي قال : « ثبت متعبد » ، الكاشف ٣ / ٢٨٧ ، وقال ابن حجر : ثقة متقن عابد « التقريب ص ٦٠٦ وأخيراً (سليمان بن حرب) فنقل الذهبي عن أبي حاتم قال : إمام من الأئمة لا يدلس ، ويتكلم في الرجال . . . الخ ، الكاشف ١ / ٣٩٢ . وقال ابن حجر : « ثقة إمام حافظ » التقريب ٢٥٠ .

(٨) سبقت ترجمته ص ١٦٠ .

« كان عبد الرزاق أيقظهم في الحديث وكان يحفظ » (١)

٤ - وقال عن محمد بن المبارك بن يعلى القرشي . (٢)

« كان أفضل من رأيت بالشام » (٣)

وقال أيضاً « كان أيقظ من رأيت بالشام » (٤)

المرتبة الثانية : ما كرر فيه لفظ التعديل لفظاً كثرة ثقة ، أو معنى كثرة حافظ ، أو كان لفظة واحدة ولكن مدلولها يقوم مقام اللفظتين.

١ - قال عن زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي (٥) : ثقة حافظ (٦)

٢ - وقال عن حجاج ابن أبي عثمان الصواف (٧) : « حجاج الصواف

متين » وقد بين ابن خزيمة مراد شيخه الذهلي بهذا اللفظ وهو من ألصق تلاميذه به فقال : يريد أنه « ثقة حافظ » (٨)

(١) تهذيب التهذيب ٦/٢٨١ ، قال عنه الذهبي : أحد الأعلام الكاشف ٢/١٩٤ : وقال ابن حجر : ثقة حافظ ، التقريب ٣٥٤ .

(٢) هو محمد بن المبارك بن يعلى القرشي أبو عبد الله السوري الدمشقي ، أحد العلماء ، وثقه أبو حاتم ، توفي سنة ٢١٥ ، الخلاصة ص ٣٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/٣٧٦ .

(٤) التعديل والتجريح ٢/٦٤٤ ، قال عنه الذهبي : أحد الأئمة الكاشف ٣/٩٢ ، وقال ابن حجر : ثقة : التقريب ص ٥٠٤ .

(٥) هو زائدة بن قدامة الثقفي من أهل الكوفة كنيته أبو الصلت كان من الحفاظ المتقنين ، مات سنة ١٦١ ، ثقات ابن حبان ٦/٣٣٩ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢/١٧٩ ، وقال عنه الذهبي : ثقة حافظ ، الكاشف ١/٣١٧ ، وقال ابن حجر : « ثقة ثبت ، صاحب سنة » التقريب ٢١٣ .

(٧) هو حجاج ابن أبي عثمان الصواف ، كنيته أبو الصلت مولى الثوامة بنت أمية بن خلف ، كان متقناً ، مات سنة ١٤٣ ، ثقات ابن حبان ٦/٢٠٢ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢/١٧٩ ، وإطلاق الذهلي لفظ « متين » يدل على مكانة حجاج ، وأنه في الذروة من الثقة والحفظ ، وقد استشهد بذلك مصطفى إسماعيل على أن هذه اللفظة في المرتبة الأولى على عمل ابن حجر في التقريب ، وهو دمج مرتبه المبالغة مع مرتبه تكرير اللفظ ، ولم يأخذ بآخر قوله ، وهو الفصل بينهما الذي استقر عليه في النزعة . . انظر شفاء العليل بالفاظ وقواعد الجرح والتعديل ، تأليف مصطفى إسماعيل ١/٢٦-٣٢ . وقد وصف الذهبي حجاجاً بأنه « ثقة » الكاشف ١/٢٠٧ ، وقال ابن حجر ، « ثقة حافظ » التقريب ص ١٥٣ .

٣ - سئل عن محمد بن المثني بن عبيد الله بن قيس العنزي المعروف بالزمن (١) فقال : حجة (٢)

٤ - قال أبو حامد ابن الشرقي : " كان الجارودي (٣) ثبتا عند محمد بن يحيى " (٤)

٥ - وقال عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر (٥) : « ثبت » (٦)

٦ - وقال عن نصر بن علي الجهضمي (٧) : « حجة » (٨)

٧ - وقال عن محمد بن عبد الله الرقاشي (٩) : « كان متقنا » (١٠)

المرتبة الثالثة : ما انفرد فيه لفظ التوثيق .

١ - قال عن النعمان ابن أبي شيبه عبيد الصنعاني أو الجندي (١١) (من ثقات أهل اليمن) (١٢)

(١) سبقت ترجمته ص ٢٤٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٧٨/٩ ، السير ١٢/١٢٤ ، تحفة الأحوذى ٦١/١ ، قال الذهبي : « ثقة ورع » الكاشف ٩٣/٣ ، وقال ابن حجر : « ثقة ، ثبت » التقريب ص ٥٠٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٩١ .

(٤) تهذيب التهذيب ٤٣٣/٩ ، وقال ابن حجر : « ثقة حافظ » التقريب ص ٥١٠ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٥٠/٦ ، وقال ابن حجر : « صدوق » التقريب ٣٣٩ .

(٧) هو نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي الحافظ أحد أئمة البصرة قال أبو حاتم : هو عندي أوثق من الفلاس وأحفظ ، قال البخاري توفي سنة ٢٥٠ ، الخلاصة ص ٤٠١ .

(٨) تاريخ بغداد ٢٨٩/١٣ ، وقال ابن حجر : « ثقة ثبت » التقريب ص ٥٦١ .

(٩) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي أبو عبد الله البصري ، والد أبي قلابه ، قال ابن حجر : ثقة مات سنة ٢١٩ هـ . التقريب ص ٤٩٠ .

(١٠) تهذيب التهذيب ٢٤٧/٩ ، تاريخ بغداد ٤١٣/٥ ، وقد نقل الذهبي عن الإمام العجلي قوله عنه : ثقة متعبد عاقل . الكاشف ٦٤/٣ . وهذه الصيغة يمكن دخولها في المرتبة الثانية على

ماذهب إليه الحافظ ابن حجر في التزهة ص ٧٠ .

(١١) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(١٢) تهذيب التهذيب ٤٠٥/١٠ ، وقال كل من الذهبي وابن حجر « ثقة » الكاشف ٢٠٦/٣ ، التقريب ص ٥٦٤ .

- ٢ - وقال عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ^(١) : « كان ثقة » ^(٢)
- ٣ - وقال عن عبد الله بن فروخ اليمامي ^(٣) : « . . ثقة » ^(٤)
- ٤ - في ترجمة صخر بن جويرية أبو نافع ^(٥) : « قال ابن حجر : (وقال الذهلي ثقة) ^(٦) »
- ٥ - في ترجمة عبد الله بن عمر بن الرماح ^(٧) قال الذهبي : (وثقه الذهلي) ^(٨)
- ٦ - في ترجمة دويد بن نافع الأموي ^(٩) قال ابن حجر : (ونقل ابن خلفون توثيقه عن الذهلي) ^(١٠)

(١) هو محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، البصري، ثقة، من العاشرة، مات سنة (٢٤٥) . التقريب ص ٤٩١ .

(٢) التوحيد لابن خزيمة ١/٥٤٠، وقال ابن حجر « ثقة » التقريب ٤٩١ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣١٢/٥ نقل الذهبي عن سعيد الأزدي : « هو أَرْضَى أهل الأرض » الكاشف ١١٨/٢، وقال ابن حجر، صدوق يغلط، التقريب ص ٣١٧ .

(٥) هو صخر بن جويرية، أبو نافع، مولى بني تميم أو بني هلال، البصري، الإمام الثقة المحدث قال الذهبي : احتج به أرباب الصحاح، انظر السير ٤١٠/٧ .

(٦) تهذيب التهذيب ٣٦١/٤ وقال الذهبي « ثقة » الكاشف ٢٦/٢، وقال ابن حجر : قال أحمد : ثقة ثقة، وقال ابن القطان : « ذهب كتابه ثم وجدته فتكلم فيه لذلك » التقريب ص ٢٧٤ .

(٧) هو أبو محمد عبد الله بن عمر بن الرماح البلخي ثم النيسابوري، العلامة قاضي نيسابور، وكان صاحب سنة وصدع بالحق وامتنع عن القول بخلق القرآن، وكفر الجهمية، مات سنة ٢٣٤ هـ، السير ١٢/١١ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) هو دويد بن نافع القرشي يروي عن الزهري، وروى عنه الليث، من السادسة، الثقات ٢٩٢/٦ .

(١٠) تهذيب التهذيب ١٨٥/٣، وقال الذهبي : « مستقيم الحديث » الكاشف ٢٩٥/١، وقال ابن حجر « مقبول، كان يرسل » التقريب ص ٢٠١ . وقد رجعت لكتاب ابن خلفون وهو مخطوط باسم : (المعلم بأسماء شيوخ البخاري ومسلم) ضمن مخطوطات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى تحت رقم خاص (٧٨٣، ٩٣٢) فلم أجد ترجمته ولا ترجمة الأربعة الآتين بعد قليل ولعل ذلك لترتيب خاص بالمؤلف أو لسقط ونحوه والله أعلم .

- ٧ - في ترجمة شبيب بن سعيد التميمي الحبطي ^(١) قال ابن حجر :
(ونقل ابن خلفون توثيقه عن الذهلي) ^(٢)
- ٨ - في ترجمة سنان بن هارون الكوفي ^(٣) . قال ابن حجر : (حكى
الحاكم في تاريخ نيسابور أن الذهلي وثقه) ^(٤)
- ٩ - في ترجمة سلمان الأغر مولى جهينة ^(٥) . قال ابن حجر : (وقال ابن
خلفون وثقه الذهلي) ^(٦)
- ١٠ - في ترجمة زيد ابن أبي أنيسه ^(٧) . قال ابن حجر : (وذكر ابن
خلفون أن الذهلي وابن غير والبرقي وثقوه) ^(٨)
- ١١ - في ترجمة سعد بن عبيد الزهري ^(٩) . قال ابن حجر : (ونقل ابن
خلفون توثيقه عن الذهلي وابن البرقي) ^(١٠)

- (١) هو شبيب بن سعيد الحبطي أبو سعيد من أهل مصر روى عنه ابن وهب وابنه أحمد، الثقات ٣١٠/٨.
- (٢) تهذيب التهذيب ٤/٢٦٩، وقال الذهبي «صدوق» الكاشف ٤/٢، وقال ابن حجر: لا بأس بحديثه من رواه ابنه أحمد عنه، التقريب ص ٢٦٣.
- (٣) هو سنان بن هارون البرجمي الكوفي أبو بسر من الثامنة، قال الدوري عن ابن معين: سنان بن هارون أخو سيف وسنان أحسنهما حالاً. التاريخ ٣/٤٢٢.
- (٤) تهذيب التهذيب ٤/٢١٣، وقال ابن حجر: صدوق فيه لين، التقريب ص ٢٥٦.
- (٥) هو سلمان الأغر أبو عبدالله مولى ابن الزبير مولى جهينة، أصله من أصبهان من كبار الثالثة. الثقات ٤/٣٣٣، التقريب ٢٤٦.
- (٦) تهذيب التهذيب ٤/١٢٣، وقال ابن حجر: ثقة، التقريب ص ٢٤٦.
- (٧) هو زيد ابن أبي أنيسه الجزري فقيهاً ورعاً مولى لغني كان يسكن الرها، روى عنه مالك وأهل بلده، مات سنة ١٢٥هـ (الثقات لابن حبان ٦/٣١٥).
- (٨) تهذيب التهذيب ٣/٣٤٣، وقال الذهبي: حافظ إمام ثقة. الكاشف ١/٢٣٦، وقال ابن حجر: ثقة له أفراد، التقريب ص ٢٢٢.
- (٩) هو سعد بن عبيد القرشي مولى عبدالرحمن بن أضر، كان من فقهاء المدينة ومفتيهم يروي عن عمرو عثمان وعلي، الثقات ٤/٢٩٥، مات سنة ٩٨هـ.
- (١٠) تهذيب التهذيب ٣/٤١٤، وقال ابن حجر: ثقة. التقريب ص ٢٣١.

- ١٢ - في ترجمة محمد بن بشار البصري^(١) . قال ابن حجر : (وثقه العجلي والنسائي و والذهلي)^(٢)
- ١٣ - في ترجمة محمد بن الفضل السدوسي^(٣) . قال ابن حجر : وقال الذهلي : (حدثنا محمد بن الفضل عارم ، وكان بعيداً عن العرامة ، صحيح الكتاب ، وكان ثقة)^(٤)

المرتبة الرابعة : من قصر عن الثالثة قليلاً كقوله : صدوق . أو لا بأس

- ١ - في ترجمة محمد بن جابر بن سيار السحيمي^(٥) . قال ابن حجر : قال الذهلي (لا بأس)^(٦)

٢ - في ترجمة محرر بن هارون بن عبد الله بن محرز^(٧)

قال ابن حجر : وقال محمد بن نصر المروزي : سألت محمد بن يحيى عنه فقال :

(بصري لا بأس به)^(٨)

-
- (١) سبقت ترجمته ص ١٩١ .
- (٢) هدي الساري ص ٤٣٧ ، وقال الذهبي : وثقة غير واحد الكاشف ٣/ ٢٣ ، وقال ابن حجر : ثقة ، التقريب ص ٤٦٩ .
- (٣) هو محمد بن الفضل الحافظ الثبت الإمام ، أبو النعمان السدوسي البصري . مات سنة (٢٢٤) السير ١٠/ ٢٦٥ .
- (٤) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٨ وقال ابن حجر : ثقة ثبت تغير في آخر عمره ، التقريب ص ٥٠٢ .
- (٥) هو محمد بن جابر بن سيار بن طارق الحنفي ، اليمامي ، روى عن حبيب ابن أبي ثابت ، وعنه السفينان . خلاصة تهذيب التهذيب الكمال ص ٣٣٠ .
- (٦) تهذيب التهذيب ٩/ ٧٨ ، وقال الذهبي : « سيء الحفظ » الكاشف ٣/ ٢٧ ، وقال ابن حجر : صدوق ، ذهب كتبه فساء حفظه وخلط كثيراً وعمي وصار يلقي ورجحه أبو حاتم على ابن لهيعة . التقريب ص ٤٤٠ .
- (٧) سبقت ترجمته ص ٣٢٠ .
- (٨) تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٠ ، وقال الذهبي : ضعفه ، الكاشف ٣/ ١٢٣ ، وقال ابن حجر ، « متروك » التقريب ص ٥٢١ .

٣ - ونقل أبو داود في سننه عن الذهلي قوله : (حدثنا محمد بن عبد الله خالد الصفار^(١) من أصله وكان صدوقاً)^(٢)

٤ - وسئل عن أحمد بن الأزهر بن منيع العبدي النيسابوري^(٣)

فقال : أبو الأزهر من أهل الصدق والأمانة ، نرى أن يكتب عنه قالها مرتين . (٤)

المرتبة الخامسة : من قصر عن الرابعة قليلاً

١ - في ترجمة عمر بن شقيق بن أسماء البصري^(٥)

قال ابن حجر : وقال الذهلي : (ما رأيت أحداً يضعفه)^(٦)

٢ - في ترجمة محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي^(٧)

قال ابن حجر : وقال الحاكم : (قال محمد بن يحيى هو حسن الحديث عنده غرائب)^(٨)

(١) لم أجد ترجمته

(٢) تهذيب سنن أبي داود لابن قيم الجوزية المطبوع بحاشية عون المعبود شرح سنن أبي داود للفيروزآبادي ، تحقيق وضبط عبد الرحمن محمد عثمان ١/ ٢٤٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٦٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ١٠ ، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣ ، ونقل الذهبي عن أبي حاتم وصالح جزرة «أنه صدوق» الكاشف ١/ ٥١ ، وقال ابن حجر في تقريبه «صدوق كان يحفظ ثم كبر فصار كتابه أثبت من حفظه» التقريب ص ٧٧ .

(٥) هو عمر بن شقيق بن أسماء الجرمي البصري . روى عن أبي جعفر الرازي وإسماعيل بن مسلم المكي ، قال ابن عدي هو قليل الحديث وذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٧ .

(٦) تهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٧ ، وقال الذهبي : «وثق» الكاشف ٢/ ٣١٤ ، وقال ابن حجر : «مقبول» التقريب ص ٤١٤ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٨) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٠ ، وقال الذهبي «كان صدوقاً من بحور العلم وله غرائب وحديثه حسن» الكاشف ٣/ ١٩ ، وقال ابن حجر : «صدوق يدلّس ورمي بالتشيع والقدر» التقريب ص ٤٦٧ .

٣ - في ترجمة محمد بن عبد الله ابن أبي عتيق القرشي (١)

قال ابن حجر : وقال الذهلي : (وهو حسن الحديث عن الزهري ، كثير الرواية مقارب الحديث) (٢)

٤ - وسئل عن إسماعيل بن سميع الحنفي (٣) فقال : « كان بيهسياً كان ممن ييغض عليا » (٤)

القسم الثاني : - مراتب التجريح من الأدنى إلى الأعلى :

المرتبة الأولى : وهي أسهلها وأقربها إلى أدنى مراتب التعديل .

١ - قال عن عبد الله بن عبد العزيز الليثي المدني (٥) ضعيف الحديث (٦)

(١) هو محمد بن عبد الله ابن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق القرشي التميمي المدني . ذكره ابن حبان في الثقات ، تهذيب التهذيب ٩/٢٤٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/٢٤٦ ، وقال ابن حجر : « مقبول » التقريب ص ٤٩٠ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٧٠ .

(٤) تهذيب التهذيب ١/٢٦٧ ، وقال الإمام الذهبي : ثقة فيه بدعة .

الكاشف (١/١٢٤) ، وقال ابن حجر : صدوق تكلم فيه لبدعة عن الخوارج ، التقريب ص ١٠٨ .

وقد وضعته في هذه المرتبة تبعاً للحافظ ابن حجر حيث قال في مراتبه الإثني عشرة .

المرتبة الخامسة : من قصر عن الرابعة قليلاً وإليه الإشارة بصدوق ، أو صدوق يهم أوله أو هام ، ويلتحق بذلك من رمي بنوع من البدعة ، كالشيع والقدر ، والنصب ، والإرجاء أو التجهم ، مع بيان الداعية من غيره ، التقريب ص ٧٤ .

(٥) هو : عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر الليثي أبو عبد العزيز المدني قال البخاري : منكر الحديث ، من السابعة ، تهذيب التهذيب ٥/٢٦٣ ، التقريب ص ٣١٢ .

(٦) الضعفاء الكبير ٢/٢٧٦ ، وقال الذهبي : ضعفه أبو حاتم « الكاشف ٢/١٠٥ ، وقال ابن حجر : « ضعيف واختلط بآخره » التقريب ص ٣١٢ .

٢ - وقال عن عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحراني أبو هاشم المعروف بالطرائفي^(١) (لين) الخ^(٢)

٣ - وقال عن حماد ابن أبي سليمان مسلم الأشعري^(٣) : كثير الوهم والخطأ .^(٤)

المرتبة الثانية :

١ - في ترجمة اسحاق بن يحيى بن علقمة الكلبي الحمصي^(٥)

قال ابن حجر : ... وقال الذهلي : مجهول^(٦) .

٢ - وقال عن سليمان بن داود الخولاني^(٧) : مجهول^(٨) .

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحراني وعن ابن عدي أنه لأباس به إلا أنه يحدث عن مجهولين بعجائب ، توفي سنة ٢٠٢ . والطرائفي نسبة لتتبع طرائف الأحاديث ، الأنساب ٥٧ / ٤ ، تهذيب الكمال ٤٢٨ / ١٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢٣ / ٧ وقال فيه الذهبي : كان يتبع طرائف الحديث ، وثق . الكاشف ٢٥٣ / ٢ ، وقال ابن حجر : « صدوق أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل فضعف بسبب ذلك حتى نسبه ابن غير إلى الكذب وقد وثقه ابن معين » التقريب ٣٨٥ .

(٣) هو حماد ابن أبي سليمان مسلم الأشعري أبو إسماعيل الكوفي . قال النسائي : ثقة مرجئ مات سنة ١٢٠ هـ . خلاصة التهذيب ص ٩٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ١٥ / ٣ ، وقال الإمام الذهبي : « ثقة إمام مجتهد » الكاشف ٢٥٢ / ١ ، وقال ابن حجر : فقيه صدوق له أوهام ، ورمي بالإرجاء ، التقريب ص ١٧٨ .

(٥) هو إسحاق بن يحيى بن علقمة الكلبي الحمصي ، المعروف بالحمصي ، خرج له البخاري في كتاب الأدب . ميزان الاعتدال : ١ / ٢٠٤ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢٢٣ / ١ ، قال الذهبي : « لا يعرف » الكاشف ١١٤ / ١ ، وقال ابن حجر « صدوق قيل أنه قتل أباه » التقريب ١٠٣ ، ميزان الاعتدال ١ / ٢٠٣ .

(٧) هو سليمان بن داود الخولاني الداراني الدمشقي . قال ابن معين : ليس بشيء . خلاصة التهذيب ص ١٥١ .

(٨) الضعفاء الكبير ١٢٧ / ٢ ، وقال فيه الذهبي نقلاً عن أبي حاتم : لأباس ، الكاشف ٣٩٣ / ١ وقال ابن حجر « صدوق » التقريب ص ٢٥١ .

٣ - وفي ترجمة علاج بن عمرو . (١)

قال ابن حجر : وقال الذهلي : لا يعرف (٢)

٤ - قال عن روح بن غطيف بن أعين الجزري (٣) . مجهول (٤)

(١) قال الذهبي : علاج بن عمرو عن ابن عمر . لا يعرف . له حديث واحد عند أبي داود . ميزان الاعتدال (٤/ ٢٧) .

(٢) تهذيب التهذيب ٨/ ١٧٤ ، وقال ابن حجر في المرجع السابق : « روى عنه أشعث بن سليم وأبو صخر جامع بن شداد وذكره ابن حبان في الثقات أ. هـ » ومعلوم تساهل ابن حبان في التوثيق بمجرد أن تنتفي جهالة عين الراوي فهو عنده عدل حتى يثبت فيه ما يجرحه ، وقد أجاب ابن حجر عن هذا المذهب لابن حبان بأن مذهب عجيب ! والجمهور على خلافه ، وبين أنه في كتابه الثقات ذكر خلقاً ممن نص أبو حاتم وغيره على أنهم مجهولون ، وكان عند ابن حبان جهالة العين تنتفي برواية واحد مشهور . . . وهو مذهب شيخه ابن خزيمة ولكن جهالة حاله باقية عند غيره ؟ أ. هـ .

انظر مذهب ابن حبان والرد عليه في لسان الميزان ١/ ٢٥ المقدمة . وقال ابن حجر في التقريب : « مقبول » ص ٤٣٦ .

وقد مر بنا قبل في مطلب « المجهول » المبحث الأول . . . تفاوت العلماء في تقرير ما ترتفع به جهالة العين عن الراوي . : وكان مذهب الذهلي والدارقطني والخطيب ارتفاع الجهالة برواية إثنين عنه .

بينما نجد الذهلي يوثق عبد الرحمن بن عمر اليحصبي من تصريحه بأنه لم يرو عنه إلا واحد . . . وكان الأمر عنده نسبي حسب مكانة الراوي عنه .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٤٣ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٤٠٥ ، وقال ابن أبي حاتم في ترجمته : « روى عنه عبد السلام بن حرب والقاسم بن مالك المزني ومحمد بن ربيعة سمعت أبي يقول ذلك وسمعتة يقول : ليس بالقوي منكر الحديث جداً ، الجرح والتعديل ٣/ ٤٩٥ ، وقال العقيلي حدثني آدم قال : سمعت البخاري يقول : هذا الحديث باطل - (أي حديث : « تعاد الصلاة من قدر الدرهم من الدم » الذي رواه روح بن غطيف) . . . وروح هذا منكر الحديث : الضعفاء الكبير ٢/ ٥٦ ، =

المرتبة الثالثة :

- ١ - في ترجمة عبد الجبار بن عمر الأيلي أبو عمر الأموي مولا هم (١)
قال ابن حجر وقال محمد بن يحيى الذهلي : ضعيف جداً . (٢)
 - ٢ - في ترجمة يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الكوفي لقب
جده بشمين (٣) .
أ - قال مرة : « ذهب كأمس الذاهب » (٤)
ب - وقال أخرى : « اضربوا على حديث الحماني بستة اقلام » (٥)
ج - وقال أخرى : « ما أستحل الرواية عنه » (٦)
 - ٣ - نقل المزي في ترجمة عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر (٧)
عن أحمد الكوفي قوله : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول : « عليّ
بدنة إن حدثت عن عبد العزيز بن عمران حديثاً ورأيت يضعفه جداً » (٨)
-
- = وقال ابن حبان : روح بن غطيف ، روى عنه القاسم بن الوليد ومحمد بن ربيعة ، كان يروي
الموضوعات عن الثقات لا تحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه المجروحين من المحدثين ٢٩٤ / ١ .
وانظر التعليق على روايته لهذا الحديث ص ٧٩٩ من الفصل الثالث .
- (١) هو عبد الجبار بن عمر الأيلي أبو عمر . سمع الزهري ، وربيعة ، وعنه ابن وهب والمقري . قال
أبو حاتم : ضعيف الحديث منكر الحديث جداً ليس محله الكذب . الجرح والتعديل ٣١ / ٦ .
 - (٢) تهذيب التهذيب ٩٤ / ٦ ، التمهيد لابن عبد البر ٣٦ / ١١ ، وقال الذهبي في الكاشف
١٤٨ / ٢ ، « وهأه أبو زرعة » ، وقال ابن حجر : ضعيف ، التقريب ٣٣٢ .
 - (٣) هو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الكوفي ، قال الذهبي : قد تواتر توثيقه عن يحيى بن
معين ، كما قد تواتر تجريحه عن الإمام أحمد . مات سنة ٢٢٨ هـ . السير (٥٢٦ / ١٠) .
 - (٤) تاريخ بغداد ١٧٥ / ١٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٢ / ١٠ ، تهذيب التهذيب ٢١٦ / ١١ .
 - (٥) تاريخ بغداد ١٧٦ / ١٤ ، السير ٥٣٣ / ١٠ .
 - (٦) تاريخ بغداد ١٧٤ / ١٤ ، ١٧٥ ، السير ٥٣٤ / ١٠ .
 - (٧) سبقت ترجمته ص ٤٤٢ .
 - (٨) تهذيب الكمال ١٨٠ / ١٨ ، وسيأتي الحديث عن هذه الصيغة في ألقاظه الخاصة ، والمراد هنا هو
شدة تضعيفه للراوي .

القسم الثالث : بيان بعض ألفاظ الذهلي الخاصة في الجرح والتعديل

١ - يا لك من رجل .

تذاكر البرذعي^(١) مع الإمام الذهلي في حديث فقال : سألت محمد بن يحيى عن حديث كان في كتابي عنه عن أحمد بن يونس ، عن طلحة بن زيد ، عن إبراهيم ابن أبي عبل^(٢)؟ فأبي أن يقرأه على . فقلت له : إن إبراهيم بن أبي عبل^(٣) أخبرنا ، أعني بحديثه فقال : إبراهيم ابن أبي عبل (يا لك من رجل) وطلحة بن زيد يدس الرجل ولا يستحق أن يروى عنه أو كلمة نحوها .

(١) سبقت ترجمته ص ٩٤ .

(٢) هو إبراهيم ابن أبي عبل شمر بن يقظان بن عبدالله المرتحل أبو إسماعيل ، ويقال أبو سعيد الرملي وقيل الدمشقي ، روى عن أنس بن مالك وأم الدرداء الصغرى وروى عنه مالك والليث وابن المبارك وسواهم ، وعَبْلُ بيا ساكنه معجمة بواحدة فهي « عَبْلَةُ بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم وهي أم أمية الأصغر بن عبد شمس واليه ينسب ولدها فيقال لهم : العَبَلَات » . انظر الإكمال لابن ماكولا ٣٠٧/٦ وانظر (حذف من نسب قريش) ص ٣٥ للنسابة مؤرج بن عمرو السدوسي ضمن مجموعه الرسائل الكمالية رقم (٩) في الأنساب بتحقيق المنجد . وانظر تبصير المتنبه بتحريр المشتبه لابن حجر ٩١١/٣ .

(٣) عبارة الذهلي هذه جاءت في موضع الثناء على ابن أبي عبل كما دلت على توثيقه إياه . ومن استعراض أقوال أئمة هذا الشأن يتضح لنا تربعه على عرش الوعظ والنصح مع الثقة والصيانة . . . [قال يحيى بن معين : ثقة ، وقال علي بن المديني : كان أحد الثقات ، وقال أبو حاتم صدوق ثقة ، وقال الدارقطني : الطرقات إليه ليست تصفو ، وهو بنفسه ثقة لا يخالف الثقات ، إذا روى عنه ثقة ، وقال الخطيب : « ثقة من تابعي أهل الشام يجمع حديثه . وقال النسائي في التمييز : لأبأس ، وقال مرة أخرى : ثقة ، وكذا قال دحيم ويعقوب بن سفيان . انظر التاريخ ليحيى بن معين ١١/٢ ، سؤالات الحاكم للدارقطني ص ١٨١ . دراسة وتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، الجرح والتعديل ١٠٥/٢ ، والتعديل والتجريح لأبي الوليد الباجي ٣٥٦/١ ، تهذيب الكمال للمزي ١٤٠/٢ ، ت لابن حجر ١٢٤/١ ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٥٢/١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٦/١ لابن القيسراني ، رجال صحيح مسلم ٤٤/١ لابن منجويه ، الثقات لابن حبان ١١/٤ ، مشاهير علماء الأمصار له ص ١١٧ .

٢ - قال عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب (١)

«ليس على عاصم بن عبيد الله قياس» (٢)

وهذا الاصطلاح من ألفاظ (المقابلة) !! فانه يدل على أن الراوي إما غاية في المدح أو غاية في الذم . أما في المدح فقد قال ابن المبارك : شريك (٣) أعلم بحديث بلده من الثوري .

فذكر هذا لابن معين ، فقال : ليس يقاس بسفيان أحد ، لكن شريك أروى منه في بعض المشايخ (٤)

وأما في الذم : فإن الإمام أحمد حمل حملاً شديداً على ابن الحماني (٥) في أمر الحديث ونقل الأثر من قوله « ابن الحماني ليس الآن عليه قياس ، أمر ذاك عظيم » أو كما قال ، وقال الأثرم : « رأيت شديداً الغيظ عليه » (٦) وأما كلام الذهلي عن عاصم هنا فانه في مجال الذم والتضعيف وقد واطأه على ذلك عدد من الأئمة . (٧)

(١) هو عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ضعيف من الرابعة ، مات في أول دولة بني العباس سنة ١٣٢ ، التقريب ص ٢٨٥ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٣/٥ .

(٣) هو شريك بن عبد الله ، العلامة الحافظ ، القاضي ، أبو عبد الله النخعي ، أحد الأعلام على لين فيه . مات بالكوفة سنة ١٧٧ . السير ٨/٢٠٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/٢٠٢ . (٥) سبقت ترجمته ص ٤٥٧ .

(٦) سير أعلام النبلاء ١٠/٥٣١ ، تاريخ بغداد ١٤/٧٤ ، وانظر شفاء العليل لمصطفى إسماعيل ١/٤١٠ .

(٧) سأل عثمان بن سعيد الدرامي يحيى بن معين عن عاصم بن عبد الله فقال : ضعيف « تاريخه عن يحيى بن معين ص ١٣٧ ، وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث ١/٦٥ : عاصم مضطرب الحديث » ، وقال الدار قطني في السنن ٢/٢٠٢ (غيره أثبت منه) وقال في العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، بتحقيق وتخريج الدكتور محفوظ الرحمن السلفي ٢/٢٢ « كان سيء الحفظ » . ونقل ابن رجب في شرحه علل الترمذي ٢/٨٧٦ - عن الإمام النسائي في قوله (لأنعلم ما لكأروى عن انسان ضعيف مشهور بالضعف إلا عاصم بن عبد الله . الخ) . وقال ابن حبان « كان سيء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ فترك من أجل كثرة خطئه » سمعت ابن خزيمة يقول ، انظر (تهذيب التهذيب ٥/٤٣) لبقية الأقوال ، وميزان الاعتدال ٣/٦٧ .

٣ - قال عن عبد العزيز عن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (١) : عليّ بدنة إن حدثت عنه حديثاً وضعفه جداً . (٢)

وهذه الصيغة عن الإمام الذهلي تدل دلالة واضحة على ضعف الرجل وأنه ليس من أهل صناعة الحديث وقد ضعفه جداً العلماء وتقاربت أقوالهم فيه (٣) .

٤ - في نهاية المسألة السابقة بين البرذعي والذهلي .

قال الذهلي : (. . . وطلحة (٤) يدس الرجل ولا يسحق أن يروى عنه أو كلمه نحوها (٥))

(١) سبقت ترجمته ص ٤٤٢ . (٢) ت ٣١٣/٦ .

(٣) فقد قال البخاري لا يكتب حديثه ، منكر الحديث ، ت الكبير ٢٩/٦ ، ت الصغير ٢٣٤/٢ ، الضعفاء الصغير ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد إبراهيم زايد ص ٧٨ . وسأل عثمان بن سعيد الدرامي يحيى بن معين عنه فقال : ليس بثقة ، وإنما كان صاحب شعر ، تاريخ عثمان عن يحيى بن معين ص ١٦٩ ، وفيما كتب عبدالله بن أحمد إلى ابن أبي حاتم قال سألت أبي عن عبدالعزيز بن عمران فقال : ما كتبت عنه شيئاً وقال أبو حاتم : متروك الحديث ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً ، الجرح والتعديل ٣٩١/٥ ، وقال العقيلي : حديثه غير محفوظ ، ولا يعرف إلا به ، الضعفاء الكبير ١٣/٣ ، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ، بتحقيق الدكتور موفق بن عبدالله ٢٨١ ، وقال ابن حبان في المجروحين ١٣٩/٢ : ممن يروى المناكير عن المشاهير فلما أكثر مما يشبه حديث الأثبات لم يستحق الدخول في جملة الثقات فكان الغالب عليه الشعر والأدب دون العلم . وقال ابن عدي : وقد حدث عنه جماعة من الثقات أحاديث غير محفوظة ، الكامل ٢٨٦/٥ وقال الذهبي في الكاشف ٢٠١/٢ : تركوه وقال ابن حجر في التقریب ٢٥٨ : متروك احترفت كتبه فحدث من حفظه فاشتد خلطه وكان عابراً بالأنساب من الثامنة ، توفي سنة ١٩٧ . أ. هـ .

(٤) هو طلحة بن زيد الرقي ، ويقال : الشامي ، كان أصله من دمشق ، منكر الحديث جداً ، وقال ابن المديني : كان طلحة بن زيد سيئاً يصنع الحديث . المجروحين لابن حبان ٣٧٩/١ . ميزان الاعتدال ٢٥/٣ .

(٥) الضعفاء لأبي زرعة ٧٥١/٢ وقال عنه أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث وفي رواية أخرى عنه ليس بشيء كان يضع الحديث (بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم) ص ٢١٨ وقال البخاري منكر الحديث (ت الكبير ٣٥١/٤) ونقل ذلك عنه العقيلي في الضعفاء الكبير ٢٢٥/٢ . وقال ابن حبان (منكر الحديث جداً ، يروي عن الثقات المقلوبات لا يحل الاحتجاج بخبره) المجروحين ٣٧٩/١ ، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ص ٢٢٥ ، وقال صالح بن محمد (لا يكتب حديثه) وقال أبو حاتم (منكر الحديث ضعيف الحديث ، لا يعجبني حديثه) ، انظر تهذيب التهذيب ١٥/٥ ، وميزان الاعتدال ٥٢/٣ ، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ، تحقيق أبو القداء عبد الله القاضي ٢٦٤/٢ والله أعلم .

وواضح من سياق نقده جرحه لطلحة وأنه ليس بأهل لأن يروى عنه، وأن من حاله أنه يضع الحديث يظهر ذلك من قوله (يدس الرجل) واللفظ فيه تصوير بتعمد التغيير والتبديل والتلفيق لرجال الاسانيد وافتعال وابتداع المتون. والدس كما قال ابن منظور «هو دسك شيئاً تحت شيء وهو الإخفاء»^(١)، وقال المناوي «الدس : الدفع الشديد بقهر»^(٢).

إستدراك وتنبيه :

في ترجمة أحمد بن صالح المصري أبو جعفر الطبري^(٣).

قال تاج الدين السبكي : «وقد تكلم النسائي في أحمد بن صالح ، فقال ليس بثقة ولا مأمون تركه محمد بن يحيى ورماه يحيى بن معين بالكذب»^(٤) وأبو جعفر إمام مجمع على إمامته وثقته وكان الإمام النسائي سيء الرأي فيه ، لذا يجب بيان وجه الحق فيما نسب إلى الذهلي وابن معين حسب ما قرره العلماء .^(٥)

(١) لسان العرب ٦/ ٨٢.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ص ٣٣٧.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٥.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢، وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦٦، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٥.

(٥) ولا يؤخذ بكلام النسائي على عواهنه... وهذا بعض كلام الأئمة في أحمد : قال ابن أبي حاتم سئل أبي عن أحمد بن صالح المصري فقال : ثقة ، الجرح والتعديل (٢/ ٥٦) وقال العجلي في تاريخ الثقات : «ثقة يكتنى أبا جعفر صاحب سنة» ص ٤٨ ، . . وقال الخليلي : «ثقة حافظ وكتب عنه محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو زرعه وأبو حاتم، وتكلم فيه النسائي واتفق الحفاظ على أن كلامه فيه تحامل ، ولا يقدح كلام أمثاله فيه : الإرشاد ١/ ٤٢٤» وقال ابن غير : حدثنا أحمد بن صالح وإذا جاوزت الفرات فليس تجد مثله ، وقال أبو زرعة : سألتني أحمد من خلفت بمصر؟ قلت : أحمد بن صالح فسر بذكره تهذيب التهذيب ١/ ٣٥ ، وقال يعقوب بن سفيان الفسوي : كتبت عن ألف شيخ وكسر ، ما أخذ منهم اتخذه عند الله حجة إلا أحمد بن حنبل وأحمد بن صالح (المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٧١) وهذا الإمام لم يجرحه فيما اطلعت عليه =

= غير النسائي وسبب ذلك ما رواه ابن عدي عن محمد بن هارون البرقي قال : هذا الخراساني يتكلم في أحمد بن صالح ، لقد حضرت مجلس أحمد ، فطرده من مجلسه ، فحمله ذلك على أن تكلم فيه ، قال ابن عدي : ولولا أنني شرطت في كتابي أن أذكر كل من تكلم فيه لكنت أجمل أحمد بن صالح أن أذكره ، الكامل في الضعفاء ١/ ١٨٣-١٨٤ .

وكان مما قاله النسائي في أحمد بن صالح « ليس بشقة ولا مأمون » ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ١٠٤ ، ويين قول ابن معين فيه وما رماه به ، قال أبو سعيد بن يونس : كان أبوه من طبرستان جندياً من العجم وكان أحمد حافظاً للحديث ذكره النسائي يوماً فرماه ، وأساء الشئاء عليه ، وقال : حدثنا معاوية بن صالح ، سمعت يحيى بن معين يقول : أحمد بن صالح كذاب يتفلسف ، قال ابن يونس : لم يكن عندنا بحمد الله كما قال النسائي ، ولم يكن له آفة غير الكبر ، تاريخ بغداد ٤/ ٢٠٢ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦٥ .

وأما مانسبه الإمام النسائي إلى الإمامين « الذهلي وابن معين » فقد وجهه العلماء ، قال الإمام العلامة عبدالرحمن المعلمي « أما قوله : « تركه محمد بن يحيى » فهم ، فإن رواية محمد بن يحيى عن أحمد بن صالح موجودة ، وقال ابن عدي : « حدث عنه البخاري والذهلي [محمد بن يحيى] واعتمادهما عليه في كثير من حديث الحجاز » وكان الذهلي لما سمع منه النسائي لم يحدثه عن أحمد بن صالح فظن النسائي أنه تركه ، ولعله إنما لم يحدثه عنه لأنه كان حياً ورأى الذهلي أن النسائي كغيره من طلبة الحديث إنما يرغبون في العوالي . التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ١/ ٣٠٩ .

وأما مانسبه إلى ابن معين أنه قال : (أحمد بن صالح كذاب يتفلسف)

فقد ذكر ابن حبان في ثقافته أن الذي قصده ابن معين هو أحمد بن صالح الشوموي . شيخ كان يضع الحديث بمكة ، ٨/ ٢٦ ، فإن صدق توجيه ابن حبان والافيكي مآقاله الإمام البخاري في أحمد بن صالح ابن الطبري : « ثقة صدوق ومارأيت أحداً يتكلم فيه بحجة » ، كان أحمد بن حنبل وعلي ابن المديني وابن غير وغيرهم يثبتون أحمد بن صالح ، وكان يحيى بن معين يقول : سلوا أحمد فإنه أثبت ، انظر التنكيل ١/ ٣٠٩ .

وللإمام الذهبي توجيه فيما نسب إلى ابن معين « وهو أنه من نوادره وشواذه وأن ذلك باجتهاد خاص ، ولعله شاهد مايلينه باعتبار العدالة لا الإتقان - ولعله ذلك الأمر الذي نقمه عليه عدد من العلماء وهو التيه والكبر - وبين الذهبي أنه ربما إطلع على بعض حاله في الشباب فلما شاخ وكبر لزم الخير - بتصرف وزيادة انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٨٢ .

ولابن حجر توجيه طريف ووجيه وهو أن ذلك سوء رأي من النسائي في أحمد بن صالح زاده مايلغه عن يحيى بن معين رسوخاً ، ولعل النسائي وهم في توجيه الكلام ولعله حقيقة في الأشموني - كما ذكره ابن حبان سابقاً - ونقل ابن حجر عن العقيلي أن أحمد بن صالح كان =

= من عادته أن لا يحدث أحد حتى يسأل عنه ، فلما قدم النسائي مصر جاء اليه وقد صحب قوماً من أهل الحديث لا يرضاهم أحمد فأبى أن يحدثه ، فذهب النسائي فجمع الأحاديث التي وهم فيها أحمد وشرع يشنع عليه . هدي الساري ص ٣٨٦ . والذين تاه عليهم أحمد بن صالح وتصلف جماعه منهم الذهلي وأبو زرعة ، قال ابن حبان : وكان بينه وبين محمد بن يحيى النيسابوري معارضة لصلفه عليه وكذلك أبو زرعة الرازي دخل عليه مسلماً فلم يحدثه ، فوقع بينهما ما يقع بين الناس . . قال : وان من صحت عدالته . وكثرت رعايته بالسنن والأخبار ، والتفقه فيها لما يجري ، أن لا تخرج لصلف يكون فيه أو تبه وجَدَ منه ، ومن الذي يتعرى عن موضع عقب من الناس ، أو من لا يدخل في جملة من يلزق فيه العيب بعد العيب . الثقات (٢٦/٨) .

وأحمد بن صالح وإن تصلف على الذهلي فإن رواياته عنه مثبتة في الكتب . ومذاكرته معه الزهريات معروفة وتعلمه عليه مشهور ، ولم أجد مرة واحدة أنه تركه ، وجل ما يهمننا هو بيان الأصح فيما نسب إلى الإمام الذهلي . والله أعلم .

ملاحق في الجرح والتعديل :

إن الحركة الدائبة في العلم والسؤال والاستفهام سبيل للوصول إلى الحقائق وانتهاجها .

وإن الاختلاط بطلبة العلم واجابتهم عما يستفهمون عنه . لدليل للجميع على اعترافهم بأهمية الفلك الذي يدورون فيه ، والعمل الذي من أجله يستفهمون وإذا سئلوا عنه يجيبون .

والإمام الذهلي رحمه الله تعالى من العلماء الذين أولوا ذلك الأمر جلّ اهتمامهم ، فتراه إن خفي عليه أمر سأل عنه من يعتد بقولهم . . . وإن تذاكر هو وأصحابه وتلاميذه الرجال نقل ما يحضره فيهم عن مشايخه . . .

وكذلك نجد تلاميذه يسلكون ذلك الطريق معه ومع غيره فيسألون عما خفي ، وينقلون ما سمعوه وينسبون كل قول لقائله . . . دوغما أي تبرم أو ملل بل يجدون في ذلك سعادتهم لما فيه حفظ للدين ، ومعرفة لأحوال المحدثين .

ولبيان ذلك نسرد هذه الملاحق الموجزة إتماماً للصورة المشرقة لأسلافنا وإهتماماتهم .

- أ - سؤالات الذهلي لمشايخه ونقله عنهم وعمن فوقهم .
- ب - سؤالات تلاميذه له ، ونقلهم عنه أقواله وآراؤه .
- ج - سرد بأسماء من ذكروا للذهلي فأثنى عليهم خيراً .
- أ - سؤالاته لمشايخه ، ونقله عنهم وعمن فوقهم آراءهم وأقوالهم .

أولاً : سؤالاته :

- ١ - قال الذهلي : قلت لابن المديني^(١) : محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أحب إليك ، أم معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ؟ قال : محمد أشهر ، وهذا أقوى . . (٢)

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٧ .

(١) سبقت ترجمته ص ١٧١ .

٢ - وقال : قلت لعلي ابن المديني حكيم ابن الأثرم من هو ؟ قال : أعيانا هذا !! (١)

٣ - وقال : سألت عبدالصمد بن عبد الوارث (٢) عن أبي معاوية الزعفراني عبدالرحمن بن قيس . (٣)

فقال : كان عبدالرحمن بن مهدي يكذبه . (٤)

٤ - وقال : قلت لأحمد في علي بن عاصم (٥) وذكرت له خطأه ، فقال أحمد : كان حماد بن سلمة يخطيء وأوماً بيده خطأ كبيراً (ولم ير بالرواية عنه بأساً) (٦) .

ثانياً : نقولاته عنهم وعن فوقهم :

٥ - قال البرذعي : « سمعت محمد بن يحيى يحكي عن علي ابن المديني في حرف ذكر له ، عن عياش بن الوليد الرقام (٧) صحف فيه عياش ، فقال علي : لست أعتد بعياش بعدها » (٨)

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٠٨/٣ .

(٢) هو عبدالصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان الإمام الحافظ الثقة البصري ، قال أبو حاتم صدوق ، توفي سنة (٢٠٧) السير ٥١٦/٩ .

(٣) هو عبدالرحمن بن قيس الزعفراني ، أبو معاوية ، من أهل البصرة ، كان ممن يقلب الأسانيد ، تركه أحمد بن حنبل ، المجروحين لابن حبان ٥٩/٢ .

(٤) تاريخ بغداد ٢٥١/١٠ .

(٥) علي بن عاصم هو مولى قرية بنت محمد ابن أبي بكر الصديق سبقت ترجمته ص ١٣١ .

(٦) ت ٣٠٣/٧ ، شرح علل الترمذي لابن رجب ٤٠٢/١ ، ومنطوق المسألة أن الإمام أحمد يسأل عن شخص فيجيب عن آخر وكأنه يستشهد بحال حماد بن سلمة وأنه يخطيء خطأ كبيراً ، ومع هذا لم ير بالرواية عنه بأساً ؟ ومفهوم ذلك قياس علي بن عاصم عليه .

(٧) هو عياش بن الوليد الرقام القطان أبو الوليد ، قال أبو حاتم : هو من الثقات . الجرح والتعديل ٦/٧ .

(٨) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي المطبوع مع كتاب الضعفاء لأبي زرعة ، بتحقيق د. سعدي الهاشمي ٧٤١/٢ .

٦ - وقال ابن الشرقي : «حدثنا محمد بن يحيى قال : سمعت علي بن عبد الله يقول : قلت لسفيان، إن أبا الربيع روى عن عمرو بن دينار، عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة في الرجل يعذب في إبله؟ فقال سفيان : إنما حدثنا بهذا المثني بن الصباح عن عمرو بن شعيب، وإنما قال عمرو بن دينار. سمعت جابر بن زيد يقوله، قال علي : قلت لسفيان : إن شعبة رواه هكذا عن جابر بن زيد !! فقال : إن شعبة كان من أهل الحفظ والصدق، ولم يكن ممن يريد الباطل» (١)

٧ - وقال البرذعي : حدثنا محمد بن يحيى قال : سمعت ابن أبي مريم (٢) يحدث عن خاله موسى ابن أبي سلمة (٣).

قال : قدمت المدينة فأتيت مالك بن أنس فقلت : إني قدمت لأحمل عنك العلم، وعمن تأمر به قال : عليك بابن أبي الزناد (٤). (٥) وإن عدم تعقيب الذهلي على هذه الرواية دليل على إقراره لقول شيخه وخال شيخه ابن أبي سلمة .

٨ - وفي ترجمة يحيى ابن أبي حية أبو جناب الكلبي الكوفي . (٦)

قال الذهلي : سمعت يزيد بن هارون يقول : كان صدوقاً ولكن كان يدلّس . (٧)

(١) الكامل لابن عدي ٣٧٨/١ .

(٢) سبقت ترجمته ص ١٤١ .

(٣) هو موسى ابن أبي سلمة المصري خال ابن أبي مريم، روى عن عبد الجليل اليحصبي، روى عنه سعيد بن الحكم. الجرح والتعديل ١٤٥/٨ .

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان أبو محمد المدني، قال ابن سعد : كان فقيهاً مفتياً، السير ١٦٧/٨ .

(٥) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٤٢٥/٢ .

(٦) هو يحيى ابن أبي حية أبو جناب الكلبي، روى عن عمير بن سعيد والشعبي، وعنه سفيان الثوري ووكيع. الجرح والتعديل ١٣٨/٩ .

(٧) تهذيب الكمال ٢٨٦/٣١ .

٩ - وقال الذهلي : قال علي ابن المديني : « لا أروى عن زياد بن عبدالله البكائي^(١) » (٢) .

١٠ - وقال البرذعي : شهدت محمد بن يحيى ذكر محمد بن حمران^(٣) فقال : (قال) علي ابن المديني يتقى هذا الشيخ ! (٤)

١١ - في ترجمة أيوب ابن أبي تميمة كيسان السخيتاني البصري . (٥)

نقل الذهلي عن ابن مهدي قوله فيه : (أيوب حجة أهل البصرة) . (٦)

١٢ - وحدث مرة فقال : سمعت أبا قتيبة يقول قدمت الكوفة فأتيت سفيان الثوري فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، قال : ما فعل أستاذنا شعبة ؟ (٧)

١٣ - وقال في أبي النعمان الحكم بن عبدالله القيسي^(٨) سمعت عبدالصمد^(٩) يثبته ويذكره بالضبط^(١٠) .

(١) هو زياد بن عبدالله بن الطفيل العامري البكائي ، راوي السيرة النبوية عن ابن إسحاق ، توفي سنة (١٨٣) السير ٥ / ٩ . والبكائي بفتح الباء والكاف المشددة ، نسبة إلى بني البكاء من بني عامر بن صعصعة ، الأنساب ١ / ٣٨٢ .

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي ٧٩ / ٢ .

(٣) هو محمد بن حمران بن عبدالعزيز القيسي أبو عبدالله البصري ، قال أبو حاتم ، صالح ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال ابن عدي : له أفراد وغرائب ، انظر الكامل لابن عدي ٦ / ٢٤٧ ، تهذيب الكمال ٩٣ / ٢٥ .

(٤) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٧٥١ / ٢ .

(٥) هو الإمام الحافظ ، سيد العلماء ، أيوب ابن أبي تميمة كيسان ، العتري ، أبو بكر البصري . توفي سنة (١٣١) السير ١٥ / ٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ١ / ٣٤٩ .

(٧) الكامل لابن عدي ٧٢ / ١ .

(٨) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٩) هو ابن عبدالوارث سبقت ترجمته ص ٤٦٥ .

(١٠) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٧٢ .

١٤ - وقال مرة : سمعت أبا نعيم ^(١) يقول : لم يكن في شيوخنا أكثر غلطاً من أبي بكر ابن عياش ^(٢) .

ب - سؤالات تلاميذه له ونقلهم عنه .

أولاً : سؤالاتهم .

١ - قال الخطيب : أخبرنا البرقاني أخبرنا أبو حامد بن محمد بن حسويه الهروي أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري قال : سئل محمد بن علي النيسابوري - كذا في كتاب البرقاني - وأحسبه محمد بن يحيى - عن نصر بن علي ^(٣) فقال : « حجة » ^(٤) .

٢ - في ترجمة إسماعيل بن سميع الحنفي ^(٥)

سئل عنه الذهلي فقال « كان يهسياً كان ممن يبغيض علياً » ^(٦)

٣ - وسأله محمد بن نصر المروزي عن محرر بن هارون ^(٧) فقال : بصري لا بأس به ^(٨)

٤ - وقال أبو قريش محمد بن جمعه : قلت لمحمد بن يحيى الذهلي : ماتقول في محمد بن حميد ^(٩) ؟

« فقال : ألا تراني هو ذا أحدث عنه » ^(١٠)

٥ - قال البردعي : سألت محمد بن يحيى عن حديث كان في كتابي عنه ، عن أحمد بن يونس عن طلحة بن زيد عن إبراهيم ابن أبي عبله فأبى أن يقرأه علي ، فقلت له : إن إبراهيم ابن أبي عبله أخبرنا ، أعني بحديثه ، فقال : إبراهيم ابن أبي عبله يالك من رجل ، وطلحة بن زيد يدس الرجل ولا يستحق أن يروى عنه ، أو كلمة نحوها . ^(١١)

(١) هو الفضل بن دكين سبقت ترجمته ص ١٧٤ . (٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠١) .

(٣) هو الجهمي سبقت ترجمته ص ٤٤٩ . (٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٩ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٧٠ . (٦) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧ . (٧) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٨) تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٠ . (٩) سبقت ترجمته ص ٤٣٩ .

(١٠) تهذيب الكمال ٢٥/ ١٠٠ . تهذيب التهذيب ٩/ ١١٢ ، تاريخ بغداد ٢/ ٢٦٠ .

(١١) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البردعي ٢/ ٧٥١ . الملحق بكتاب الضعفاء لأبي زرعة .

فهذه المسألة أبرزت لنا إخبار الذهلي عن حال طلحة بن زيد وكان وضاعاً، وحال ابن أبي عبله وهو ثقة، وقد سبق عرض هذه الأمثلة مع الحديث عن أصحابها.

ثانياً: نقلهم عنه :

١ - أُتُوِّج هذه الاهتمامات من تلاميذه بما نقله عنه الإمام أحمد بن حنبل من جرح في داود بن علي واعتماده على كلامه وتصديقه إياه . . . وهذا فخر للذهلي كما حُقَّ لأبي داود السجستاني أن يفخر لما كتب عنه الإمام حديثاً واحداً . (١)

ومادام الأمر نقلاً عن الذهلي فحقه أن يذكر هنا وإلا فمقام الإمام مقام مشايخه سناً وفضلاً وعلماً.

والمنقول هو قول الإمام أحمد في داود بن علي لما خاطبه ابنه صالح .
« هذا قد كتب إلي محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني » (٢)

٢ - في ترجمة أحمد بن صالح المصري

قال عبد الكريم ابن النسائي عن أبيه « ليس بثقة ولا مأمون » .

تركه محمد بن يحيى ورماه يحيى بالكذب » (٣)

هذه بعض الأمثلة عن سؤالاته لمشايخه وسؤالات تلاميذه له ولعل بعضها قد تكرر معنا في منهجه في الجرح والتعديل ، أو عرض ألفاظه فيهما وهذا التكرار يفرض نفسه لضرورة ضرب الأمثلة ، وبيان مدى اتساع الحركة العلمية في فترة الإمام الذهلي ، والاهتمام البالغ بينه وبين مشايخه من جهة ، وبينه وبين تلاميذه من جهة أخرى بأهمية السؤال والبحث والتنقيب والتجري في الرواة .

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢١١ .

(٢) تاريخ بغداد ٨ / ٣٧٣ ، ٣٧٤ - الضعفاء لأبي زرعة ٢ / ٥٥٥ .

(٣) سبق عرض هذا المثال والتعليق عليه ص ٤٦١ تحت عنوان استدراك وتنبية .

ج - سرد لأسماء من أثنى عليهم الذهلي :

والإمام الذهلي كما هو كاشف لأحوال وأعيان من لم يتأهلوا أن تقبل رواياتهم بله إعتقاد أقوالهم في مختلف فنون الحديث ، فهو كذلك ذو قلب يحفظ لأهل الفضل والاتباع مكانتهم ، وذو لسان يلهج بحامد ومناقب الرجال ، وذو نفس تتواضع فتمنح الحائز على منقبة أو غيرها وسام ما أعطاه الله من خير وهذا من عاجل بشرى المؤمن في الدنيا أن يذكر بخير وأن يثنى عليه وبالأخص ممن يزنون الرجال بمعايير ثابتة لا للكذب والتمحل إليها سييلا .

والإمام الذهلي نلمح فيه مثل هذا التوازن الذي هو بحق نعمة من نعم الله كما ذكر سبحانه في وصاياه لعباده في آخر سورة الأنعام

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ (١)

فكما أنه يجرح ويعدل نجده يثنى على أناس بما يدل على فضلهم ومنزلتهم بما لا يمكن إدراجه في مراتب التعديل وإن كان منهم من هو كالجبل ثقة . . . - « وسأسردهم بشنائه عليهم إما مجملا وإما مفصلا موضحا » -

١ - ثنائه على أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي (٢)

قال سعيد بن عمرو البرذعي : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول : « لا يزال المسلمون بخير ما أبقي الله عز وجل لهم مثل أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الأرض (٣) إلا وفيها مثل أبي زرعة يعلم الناس ما جهلوه ، ثم

(١) سورة الأنعام ١٥٢ .

(٢) سبقت ترجمته ص ١٢٧ .

(٣) هذا من باب الثقة بوعد الله وعدله باستخلاف الصالحين . وليس تألياً على الله عز وجل . وقريب من هذه الثقة ما ذكر من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، حين قاتل التتار مع جيوش المسلمين فكان يحرض السلطان والناس جميعاً ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم هذه المرة ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٧ / ١٤ .

جعل يعظم على جلسائه خطر ما حكى له من علة حديث من أحاديث الزهري التي تعب في جمعها ومعرفة عللها» (١)

١ - قال أبو بكر ابن نعيم : سمعت محمد بن يحيى يقول : وافقت إسحاق بن إبراهيم صاحبنا^(٢) سنة (٩٩) ببغداد ، اجتمعوا إليه في الرصافة أعلام الحديث ، فيهم أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما فكان صدر المجلس لإسحاق وهو الخطيب " (٣)

٢ - ثنائه على يحيى بن يحيى النيسابوري . (٤)

" قال حيكان : (٥) « كان أبي يرجع في كل المشكلات إلى يحيى بن يحيى ويقول : هو امام فيما بيني وبين الله تعالى " (٦)
٣ - ثناؤه على أبي عبد الله المروزي (٧)

قال ابن الأخرم : " سمعت اسماعيل بن قتيبة يقول : سمعت محمد بن يحيى الذهلي

يقول غير مرة إذا سئل عن مسألة : سلوا أبا عبد الله المروزي " (٨)

وهذا الإمام يصغر الذهلي بنحو ثلاثين سنة ، فلم يمنعه ذلك أن يعترف له بالتقدم في العلم والأهلية للفتوى ، لذا فانه قد خلف الذهلي في التصدر للفتوى

-
- (١) انظر الثناء بتمامه مع ذكر الحديث وبيان علته ص ٢٥١ ، عند الحديث عن اهتمامه بالزهريات .
(٢) هو ابن راهويه شيخ الذهلي سبقت ترجمته ضمن مشايخه ، وفي قوله صاحبنا إشارة للمحبة ورفع الكلفة بينهم رحمهم الله .
(٣) السير ١١ / ٣٨٠ ، ٣٨٢ .
(٤) سبقت ترجمته ضمن مشايخه .
(٥) هو لقب ابن الذهلي يحيى بن محمد سبقت ترجمته ص ٧٠ .
(٦) تهذيب التهذيب ١١ / ١٦١ ، وقد زاد حيكان على مديح أبيه في نفس الموضوع (ومارأيت بالشام أروع منه ولا أحسن بياناً) .
(٧) سبقت ترجمته ضمن تلاميذه .
(٨) تهذيب التهذيب ٩ / ٤٣٢ ، سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦ .

بنيسابور بعد وفاته ، لأن حيكان ومشيخة نيسابور أقرؤا له بالفضل والتقدم ، وفي تقديم الذهلي لأبي عبد الله المروزي للفتوى مع كونه القائم بها وقتذاك . . . إلماحة تربوية مهمة . . . إذ فيها من جانب الذهلي تخلص للنفس من حظ الشهرة وحب التسلط والتفرد بالمهمات ، وفيها لجانب المروزي إذابةً للحواجز الوهمية بين الشيخ وتلميذه ، من خروج عن التقدير والاحترام المعقول إلى ضرب من العبودية كما هو حال مشايخ التصوف مع مريديهم ، وفيها أيضا ترويض وتعويد للأفراد لمهمات الأمور متى كانوا أهلا لها حتى يتقلدوها باتقان . وفيها لطائف نفسية تشيع المحبة بين الشيخ وتلميذه وسائر المحيطين ، وهذا أسلوب تربوي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته في مواقف كثيرة .

٤ - ثناؤه على أبي صالح المصري (١)

قال الإمام المزي : وكان محمد بن يحيى يقول : حكم الله بيني وبين أبي صالح شغلني حسن حديثه عن الإستكثار من سعيد بن عفير " (٢) (٣) والاحتكام إلى الله من عزيز بالغ في إحسانه تظلم غريب من نوعه ، ولكنها المهارة في تصوير الحال والركة في الأسلوب ، والعفوية في اختيار الألفاظ مما جعل العبارة غاية في البلاغة .

٥ - وثناؤه على شريك بن عبد الله النخعي (٤)

قال الإمام المزي : وقال محمد بن يحيى : كان نبيلاً " (٥)

(١) سبقت ترجمته ص ١٤١ .

(٢) هو سعيد بن كثير بن عفير ، أبو عثمان الأنصاري ، من أهل مصر ، يروى عن الليث ، روى عنه الذهلي وأهل بلده . مات سنة بضع وعشرين ومائتين . الثقات لابن حبان ٢٦٦/٨ .

(٣) تهذيب الكمال ١٥/١٠٦ ، تهذيب التهذيب ٥/٢٢٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٥٩ .

(٥) تهذيب التهذيب ٤/٢٩٥ .

٦ - ثناؤه على محمد بن عثمان بن كرامة العجلي الكوفي (١)
قال الإمام المزي " وقال أبو محمد ابن الجارود (٢) ذكرته للذهلي فأحسن
القول فيه (٣).

٧ - ثناؤه على أحمد بن الأزهر بن منيع (٤)

قال ابن خراش : سمعت محمد بن يحيى يثني عليه (٥)

٨ - ثناؤه على محمد بن هلال الكتاني (٦)

قال الحافظ ابن حجر : " وقد أثنى عليه محمد بن يحيى الذهلي (٧)

وهنا ينقل الإمام الذهلي ثناء شيوخه على الرواة.

٩ - نقله عن شيخه الثناء على محمد بن جابر اليمامي (٨)

قال ابن أبي حاتم : نا عبد الرحمن نا محمد بن يحيى سمعت ابا الوليد

الطيالسي يقول : (نحن نظلم محمد بن جابر بامتناعنا عن التحديث عنه) (٩)

(١) هو محمد بن عثمان بن كرامة ، أبو جعفر العجلي ، يروى عن أهل العراق ، مات سنة (٢٦٥) .

الثقات لابن حبان ١١٧/٩ .

(٢) سبق ترجمته ضمن تلاميذه .

(٣) تهذيب التهذيب ٣٠٢/٩ .

(٤) سبق ترجمته ص ٦٩ .

(٥) تهذيب التهذيب ١٠/١ .

(٦) هو محمد بن هلال بن ردّاد الكتّاني ، من أهل الشام ، يروى عن أبيه ، يروى عنه الشاميون .

الثقات لابن حبان (٩/١٣٥) ، لسان الميزان (٥/٤٧١) .

(٧) لسان الميزان ٥/٤٧١ .

(٨) هو محمد بن جابر اليمامي السُّحِّمي أبو عبد الله ، عن حماد ابن أبي سليمان وقيس بن طلق ،

وليس بالقوي . التاريخ الكبير للبخاري ١/٥٣ . والسحيمي بضم السين وفتح الحاء ، نسبة إلى

سُحَيْم بطن من بني حنيفة ، الأنساب ٣/٢٢٩ .

(٩) الجرح والتعديل ٧/٢٢٠ ، تهذيب التهذيب ٩/٧٨ .

المطلب الثالث

معرفة بالاختلاط

الإختلاط في اللغة : قال ابن منظور : خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطاً وخالطه فاختلط : مزجه واختلطاً .

ويقال : خولط الرجل فهو مُخالط ، واختلط عقله فهو مختلط إذا تغير عقله (١) .

وقال الفيروز آبادي : « والخلاط بالكسر . . . » أن يخالط الرجل في عقله وقد خولط (٢) .

وفي اصطلاح المحدثين قال السخاوي : وحقيقته فساد العقل وعدم انتظام الأقوال والأفعال ، إما بخرف أو ضرر أو عرض أو مرض من موت ابن وسرق مال كالمسعودي ، أو ذهاب كتب كابن لهيعة ، أو إحراقها كابن الملقن (٣)

وقد قال ابن الصلاح : « هذا فن عزيز مهم لم أعلم أحداً أفردته بالتصنيف واعتنى به مع كونه حقيقاً بذلك جداً . (٤) »

ومن العلماء الذين اختلطوا عبدالرزاق بن همام ، وقد مرّ بنا قبل قليل تحديد سنة اختلاطه وأن الذهلي قد رحل إليه مرتين إحداها بعدما عمي ، وكان رحمه الله قد حرص على بيان كيفية تلقيه عن أمثال عبدالرزاق من المختلطين . فيصرح بنقله من كتاب الشيخ نفسه دفعا لوهم تلقيه عنه بالمشافهه حال الإختلاط .

(١) لسان العرب ٧/ ٢٩١ ، ٢٩٥ مادة خلط .

(٢) القاموس المحيط ٢/ ٣٥٨ بتصريف يسير .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٣٧١ .

(٤) مقدمه ابن الصلاح ص ٣٩١ .

وقد أفردته بالتصنيف بعده الإمام برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي (توفي سنة ٨٤١) في كتابه (الإغتياب بمن رمي بالاختلاط) وقد حققه وعلق عليه علاء الدين رضا في كتابه (نهاية الإغتياب بمن رمي من الرواة بالاختلاط) ، كما أفرد ابن الكيال في كتابه (الكواكب النيرات فيمن اختلط من الرواة الثقات) .

ومنهم عارم بن الفضل وقد قال ابن الصلاح : « فمارواه عنه البخاري
ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهما من الحفاظ ينبغي أن يكون مأخوذاً عنه قبل
اختلاطه (١) » .

ومعرفة تاريخ إختلاط الراوي أمر مهم للغاية وذلك لأن الرواة عنه
متفاوتون في ضبطهم لما يتحملونه ، فلا بد من ضابط في قبول مروياتهم وردّها .
فكان تعيين التاريخ مرحلة أو نقطة فاصلة بينهما ، فمن روى عنه قبل اختلاطه
فروايته مقبولة ، ومن روى بعد الإختلاط فهي مردودة .

ولالإمام الذهلي رحمه الله تعالى إشارات تدل على متابعتة أخبار المختلطين .

الإشارة الأولى : نقله عن شيخه عبد الوهاب الحَقَّاف (٢) سنة إختلاط سعيد
ابن أبي عروبه (٣)

قال الإمام المزي رحمه الله : وقال الذهلي عن عبد الوهاب الحَقَّاف :
« خولط سعيد سنة ٤٨ وعاش بعدما خولط تسع سنين (٤) »

الإشارة الثانية : حكمه بالمحفوظية على رواية ابن وهب (٥) لقدم سماعه
من ابن لهيعة (٦) .

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٤٠٨ .

(٢) هو الإمام الصدوق عبد الوهاب بن عطاء الحَقَّاف ، سكن بغداد ، حدث عن حميد الطويل ، وأبي عمرو بن العلاء وعنه أحمد بن حنبل وعباس الدوري ، قال ابن سعد : كان كثير الحديث ، لزم ابن أبي عروبة ، وعرف بصحبته ، قال ابن معين ثقة ، وقال البخاري ليس بالقوي ، توفي سنة ٢٠٤ . سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٥١ ، الكواكب النيرات ص ١٩٦ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ٤ / ٥٨ .

(٥) سبقت ترجمته ص ١٦٦ .

(٦) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري ، قال ابن وهب : حدثني والله الصادق البار ، عبد الله بن لهيعة وكان أحمد بن صالح يشي عليه ، توفي سنة ١٧٤ ، الكواكب النيرات ص ٤٨١ .

روى الإمام البيهقي في سننه الكبرى في كتاب صلاة العيدين ، قال :
(أخبرنا) أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي (وأخبرنا) أبو
الحسن بن عبدان أنبأ أحمد بن عبيدة قال ثنا شريك ثنا عمرو بن خالد ثنا ابن لهيعة
عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكبر في العيدين في الأولى سبع تكبيرات وفي الثانية
خمس تكبيرات قبل القراءة .

رواه أيضاً قتيبة عن ابن لهيعة عن عقيل ، ورواه ابن وهب عن ابن لهيعة عن
خالد بن يزيد عن ابن شهاب (أخبرناه) أبو محمد عبد الله بن يوسف وأبو بكر
أحمد بن الحسن في آخرين قالوا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر
قال قرئ على ابن وهب أخبرك ابن لهيعة فذكره بإسناده أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم : كبر في الفطر والأضحى سبعاً وخمساً سوى تكبيرة الركوع (١).
قال محمد بن يحيى : هذا هو المحفوظ لأن ابن وهب قديم السماع من ابن
لهيعة . . (٢)

وقد ساق البيهقي عبارة الذهلي في معرفة السنن والآثار بصورة أدق ، وأدل
على المراد وفيها التصريح بلفظ الاختلاط . . قال : محمد بن يحيى الذهلي :
المحفوظ عندنا حديث خالد بن يزيد لأن ابن وهب قديم السماع من ابن لهيعة ،
ومن سمع منه في القديم فهو أولى ، لأنه خلط بأخره . (٣)

(١) ضعف الإمام البخاري هذا الحديث ، ذكر ذلك عنه الإمام الترمذي بعد أن ساق له الحديث عن
ابن لهيعة بالطريقين السابقين ، طريق عقيل وطريق خالد بن يزيد كلاهما عن الزهري عن عروة
عن عائشة فضعه ، ثم قال (أي الترمذي) : رواه غير ابن لهيعة ؟ قال : لا أعلمه . علل الترمذي
الكبير (٢٨٩/١) .

(٢) السنن الكبرى (٣/٢٨٦) .

(٣) معرفة السنن والآثار (٥/٧١) .

أقول : ابن لهيعة ضَعَّفَه جماعة من أئمة الجرح والتعديل ، قبل اختلاطه وبعده ، وقد تتبع الإمام ابن حبان أحاديث المتقدمين والمتأخرين عنه ، فوجدها في حال الضعف وعدم الاحتجاج وقد بين ذلك بقوله : « قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجوداً وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيراً ، فرجعت إلى الاعتبار فرأيت أنه كان يُدَّلس عن أقوام ضعفى عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فالتزقت تلك الموضوعات به ثم قال : « وأما رواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه ففيها مناكير كثيرة وذلك أنه كان لا يبالي مادفع إليه قراءة ، سواء كان ذلك من حديثه أو من غير حديثه ، فوجب التنكب عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه لما فيها من الأخبار المدلسة عن الضعفاء والمتروكين ، ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه لما فيه مما ليس من حديثه » (١)

وحال ابن لهيعة قد ردَّه غير ابن حبان قبله وبعده ، فقد ضعفه أحمد بن حنبل (٢) وقال فيه يحيى بن معين : عبدالله بن لهيعة ليس حديثه بذلك القوي (٣) ومع هذا فقد صحح سماع من سمع منه قبل الاحتراق عدد من العلماء وجعلوا حديثه في درجة الاعتبار ولم يحتجوا به .

قال أبو الفضل : سمعت أبا عبدالله وقد سئل عن ابن لهيعة فقال : من كتب عنه قديماً فسماعه صحيح (٤) ، وسئل أبو زرعة عن سماع القدماء منه فقال : آخره وأوله سواء إلا أن ابن المبارك وابن وهب كانا يتبعان أصوله فيكتبان منه ، وهؤلاء الباقيون كانوا يأخذون من الشيخ ، وكان ابن لهيعة لا يضبط وليس ممن يحتج بحديثه من أجل ما قيل فيه (٥) وقال أبو حاتم وأبو زرعة : أما ابن

(١) المجروحون من المحدثين . . ١٢/٢ ، ١٣ .

(٢) الجرح والتعديل ١٤٧/٥ .

(٣) الجرح والتعديل ١٤٧/٥ ، والضعفاء الكبير للعقيلي ٢/٢٩٥ .

(٤) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/١٨٥ .

(٥) الجرح والتعديل ١٤٧/٥ .

لهيعة فأمره مضطرب يكتب حديثه على الاعتبار . . . الخ (١) وقال يحيى بن معين : يكتب ما كان قبل احتراق كتبه (٢).

وقال الدار قطني : يعتبر بما يروى عنه العبادلة ابن المبارك والمقريء، وابن وهب (٣).

وكان عبدالله بن وهب يشير باعتزاز إلى قدم سماعه من ابن لهيعة ومعرفته بحديثه القديم والحديث مع تتبع الأصول.

قال أحمد بن حنبل : حدثنا خالد بن خراش قال : قال لي ابن وهب ورأيتي لا أكتب حديث ابن لهيعة، قال : إني لست كغيري في ابن لهيعة فاكتبها، وقال لي : حديثه عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كان القرآن في إهاب مامسته النار » (٤) مارفعه لنا ابن لهيعة في أول عمره قط (٥).

وقد كان الإمام أحمد حسن الثناء على ابن لهيعة، قال مرة : من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه واتقانه، وقال : ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة، وقال أحمد بن صالح المصري : كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلاباً للعلم . (٦) وقد بين الإمام الذهبي أن رواية عبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب وأبي عبد الرحمن المقرئ عن ابن لهيعة أقوى من رواية غيرهم، وبعض

(١) المصدر السابق .

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥ .

(٣) الضعفاء والمتروكين ص ٢٦٥ .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، من طريق عبد الله بن يزيد، ثنا ابن لهيعة، عن مشرح بن عاهان، قال سمعت عقبة بن عامر، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق » وأخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٥٥، ورواه البيهقي عن عصمة بن مالك، وقد حسنه الألباني

كما في صحيح الجامع ٥/ ٦٢

(٥) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٨ .

العلماء يصححها، لكنه يرى أنها لا ترقى إلى الصحيح^(١) فقول الإمام الذهلي :
إن حديث ابن وهب هو المحفوظ من بين تلك الروايات لقدّم سماعه من ابن
لهيعة، جاء موافقاً لقول بعض الأئمة بصحة سماع القدماء عنه . وكان تعليقه
بمحفوظية الحديث بحجة درج على العمل بها أئمة هذا الشأن فيمن اختلط وأمكن
تمييز حديثه قبل الاختلاط وبعده .

الإشارة الثالثة : متابعتة أخبار عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة
المسعودي (٢) والراوين عنه . كان عبدالرحمن المسعودي من المحدثين الذين
اختلطوا بأخرة .

ساق الخطيب البغدادي سنده إلى محمد بن عبدالله النيسابوري قال :
قرأت بخط محمد بن يحيى الذهلي - قلت لأبي الوليد^(٣) : سمع عبدالرحمن
ابن مهدي من المسعودي ؟ فقال : سمع منه بمكة شيئاً يسيراً . قلت : وأبو داود^(٤)
سمع منه ببغداد ؟ قال : نعم ! قلت : وكم كان بين قدومه مكة وبغداد ؟ قال :
أكثر من سنة أو سنتين .^(٥)

وسؤاله هذا كان من أجل التوصل لتاريخ اختلاطه لأن عبدالرحمن بن
مهدي سمع منه بمكة قبل الاختلاط على قول، وأبو داود الطيالسي سمع منه
ببغداد، وقد اختلط عام ١٥٨ وتوفي عام ١٦٠ هـ^(٦)

(١) المصدر السابق .

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي الهذلي ، أخو أبي العيمس ، من كبار العلماء ،
روى عن أبي بكر بن حزم . الكواكب النيرات لابن الكيال ص ٢٨٢ .

(٣) هو هشام بن عبد الملك الباهلي مولاهم ، أبو الوليد الطيالسي البصري ، ثقة ثبت ، مات سنة
(٢٢٧) التقريب ص ٥٧٣ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٢٩ .

(٥) تاريخ بغداد ١٠/٢١٨ ، التقييد والإيضاح ص ٤٠٠ .

(٦) راجع التقييد والإيضاح ص ٤٠٠-٤٠١ ، نهاية الغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط ، تأليف
علاء الدين علي رضا ص ٢٠٥-٢١١ .

المطلب الرابع : معرفته بالوحدان

الوحدان لغة : الوحدان بضم الواو . . جمع واحد، وهو أول عدد،
ويجمع على أُوحدَان وقد يثنى ويجمع على واحدون^(١)

وفي اصطلاح المحدثين . « هو من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد »^(٢)

وقد قال الحافظ العراقي في ألفيته :

ومسلم صنف في الوحدان من عنه راوٍ واحدٍ لا ثاني .^(٣)

وفائدة هذا الفن معرفة مجهول العين إذا لم يكن صحابياً فلا يقبل .

قال الحافظ العراقي « مجهول العين وهو من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد »^(٤)

- وقد أُلّف فيه الإمام مسلم كتاباً فريداً أسماه « المنفردات والوحدان »^(٥)

- وللنسائي فيه جزء لطيف قوامه صفحتان سماه « المنفردات »^(٦) .

- وللحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين الأزدي^(٧) فيه كتاب (المخزون
في علم الحديث)^(٨) .

(١) أساس البلاغة ص ٤٩٣ ، مختار الصحاح ص ٧١٢ .

(٢) تدريب الراوي ٢ / ٢٦٤ ، وتوضيح الأفكار ٢ / ٤٨١ وانظر الرسالة المستطرفة للكتاني ص ٨٦ .

(٣) ألفية الحديث وشرحها فتح المغيث ص ٣٨٦ ، بتحقيق أحمد شاكر .

(٤) فتح المغيث للعراقي ص ١٥٨ .

(٥) حققه د . عبدالغفار البنداري ، وأخير ابن الصلاح عن الكتاب ولم يره ، المقدمة ص ٣٠٧ ، وبين

الحافظ العراقي أنه يمتلك نسخه منه بخط محمد بن طاهر المقدسي ، فتح المغيث ص ٤٨٦ ، وهو

مشمّل على الوحدان من الصحابة ومن بعدهم .

(٦) مطبوع في آخر المنفردات والوحدان للإمام مسلم ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٧) هو محمد بن الحسين بن أحمد أبو الفتح الأزدي الموصلي ، قال الخطيب : كان حافظاً . توفي

في شوال سنة (٣٧٤) السير ١٦ / ٣٤٧ .

(٨) حققه « محمد اقبال محمد إسحاق السلفي » ونشرته الدار العلمية بدلهي الهند ، وهو خاص

بالصحابه فقط ، ولمعرفة بقية المؤلفات راجع المخزون في الحديث ص ١٤ والرسالة المستطرفة

ص ٨٦ .

ومن أنواع علوم الحديث التي زادها السيوطي على الأنواع التي ذكرها الإمام النووي . النوع الحادي والتسعون « معرفة من لم يرو إلا حديثاً واحداً » وحتى لا يلتبس معناه بمعنى من لم يرو عنه إلا راو واحد (الوحدان) أذكر تفريق السيوطي بينهما .

قال : (بينه وبين الوحدان فرق ، فانه قد يكون روى عنه أكثر من واحد وليس له إلا حديث واحد ، وقد يكون روى عنه غير حديث وليس له إلا راو واحد ، وذلك موجود معروف)^(١)

وذكر رحمه الله أنه رأى للبخاري فيه تصنيفاً خاصاً بالصحابة ، ومن أمثله التي ذكرها « أدرع السلمى ، قال المزي : له حديث واحد جئت ليلة أحرس النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل قراءته عالية »^(٢) .

والحكم بالتفرد فيه شيء من الصعوبة . . . لذا نجد العلماء يتبعون بعضهم في ذلك ، وكثيراً لا يسلمون بدعوى التفرد عن راو واحد ، فتجدهم أحياناً ينقضون هذه الدعوى بذكر راو آخر أو رواية ، وبذلك تنتفي الجهالة على قول الذهلي والخطيب وسواهما كما ذكرناه في مبحث المجهول .

وقد شارك الإمام محمد بن يحيى الذهلي في هذا الفن النادر الصعب ، وكان رحمه الله يدرك أن الحكم بالتفرد والتوحد قد لا يسلم من قول قائل ينقضه . ولذا فإن منهجه في هذا الأمر التدرع بمقدار علمه حتى يسلم من الانتقاد فمرة يقول (لا أعلم روى عنه غير فلان) ومرة يقول (لم يرو عنه فيما علمت غير فلان) وثالثة (لم أعلم له راوياً غير فلان) الخ

(١) تدريب الراوي للسيوطي ٣٩٦/٢ .

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في الجناز باب ما جاء في حفر القبر ٤٩٧/١ . انظر باقي الأمثلة في

تدريب الراوي ٣٩٦/٢ - ٣٩٧ ، والوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، للشيخ محمد محمد أبو شعبة ٧٠٧ .

وهذا التوقي من الإمام الذهلي يفصح لنا عن مدى أمانته في نقل العلم،
وفيه جانب من تواضع العلماء وعدم التطلع إلى حكم حاسم قد لا يسلم من
الانتقاض .

ومن تناولهم في هذا المضمار

١ - إسحاق بن يحيى بن علقمة الكلبي الحمصي المعروف بالعوصي (١)

ذكره في الطبقة الثانية من أصحاب الزهري .

وقال عنه : « مجهول لم أعلم له رواية غير يحيى بن صالح الوحاظي » (٢) (٣) .

وقد وافقه فيما ذهب إليه :

أ - الإمام البخاري ، قال عنه : « سمع الزهري سمع منه يحيى بن
صالح » (٤)

ب - الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة ، قال ابن أبي حاتم : « روى عن الزهري
روى عنه يحيى بن صالح الوحاظي ، سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك » (٥)

ج - ذكره ابن حبان في ثقافته وقال : يروى عن الزهري ، وروى عنه يحيى
ابن صالح الوحاظي (٦) وتبين الذهلي حال أحاديثه بعد أن رأى أجزاء له
من حديث الزهري أخرجها إليه الوحاظي فوجدها مقاربه (٧) ، وقال
الدارقطني : « أحاديثه صالحة ، والبخاري يستشهد به ولا يعتمد في الأصول » (٨) .

(١) سبقت ترجمته ص ٤٥٥ .

(٢) هو يحيى بن صالح الوحاظي ، الحمصي ، صدوق من أهل الرأي ، من صغار التاسعة ، مات سنة

(٢٢٢) التقريب ص ٥٩١ .

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٤ .

(٤) التاريخ الكبير ١/ ٤٠٦ .

(٥) الجرح والتعديل ٢/ ٢٣٧ .

(٦) الثقات ٦/ ٤٩ .

(٧) ت ١/ ٢٢٤ .

(٨) سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني ص ١٨٥ .

٢ - عبدالرحمن بن نمر اليحصبي أبو عمرو الدمشقي (١)

ذكره في تلاميذ الزهري .

وقال عنه : « لا أعلم روى عنه غير الوليد (٢) (يعني ابن مسلم) » (٣)

ووافقه على ذلك .

أ - الإمام البخاري فقال عنه : « سمع الزهري ، سمع منه الوليد بن مسلم ، الشامي » (٤) .

ب - الإمام عبدالرحمن بن إبراهيم دحيم قال : « ما أعلم أحداً روى عنه غير الوليد » (٥) .

ج - الإمام أبو حاتم الرازي ، قال عنه : روى عن الزهري روى عنه الوليد ابن مسلم » (٦) .

د - الإمام ابن حبان البستي وقال عنه « يروى عن الزهري يروى عنه الوليد ابن مسلم » (٧) .

هـ - الإمام الكلاباذي وقال عنه : « حدث عن الزهري روى عنه الوليد بن مسلم في آخر الكسوف » (٨) .

ومع هذا الاتفاق من الأئمة على تفرد الوليد بن مسلم عنه بالرواية ، إلا أننا نجد أن اليحصبي قد وثقه عددٌ من الأئمة وعلى رأسهم الإمام الذهلي .

(١) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٣) تهذيب التهذيب ٦ / ٢٥٨ .

(٤) التاريخ الكبير ٥ / ٣٥٧ .

(٥) الجرح والتعديل ٥ / ٢٩٥ .

(٦) المصدر السابق ٥ / ٢٩٥ .

(٧) الثقات ٧ / ٨٢ .

(٨) رجال صحيح البخاري ١ / ٥٦ .

فقال : « عبدالرحمن بن عمر ، وعبدالرحمن بن خالد ^(١) ، ثقتان ولا تكاد
نجد لابن عمر حديثاً عن الزهري إلا ودون الحديث مثله يقول : سألت الزهري عن
كذا فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه ، ولا أعلم روى عنه غير
الوليد » ^(٢) .

وقال ابن حبان : « من ثقات أهل الشام ومتقنيهم » ^(٣) وقال دحيم :
« صحيح الحديث عن الزهري » . وقال أبو زرعة : « حديثه عن الزهري مستو »
وقال أبو أحمد الحاكم : « مستقيم الحديث » وقال ابن البرقي ثقة ^(٤) .

وساق له ابن عدي حديثاً عن الزهري ، عن عروة ، عن الزبير أنه سمع
مروان بن الحكم يقول : أخبرني بسرة بنت صفوان الأسدية : « أنها سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالوضوء من مس الذكر » ^(٥) والمرأة مثل
ذلك .

قال : وهذا الحديث بهذه الزيادة التي ذكرت في متنه (والمرأة مثل ذلك)
لا يرويه عن الزهري غير ابن عمر هذا ^(٦) .

وضعفه ابن معين في حديث الزهري وأخبر ابن عدي أنه ما أنكر عليه في
أسانيد ومتون ما روى عن الزهري إلا تلك الزيادة وقال أيضاً : له عن الزهري غير
نسخة وهي أحاديث مستقيمة ^(٧) .

(١) هو ابن مسافر سبقت ترجمته ٤٢٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦ / ٢٥٨ .

(٣) الثقات لابن حبان ٧ / ٨٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ٦ / ٢٥٨ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ١ / ١٢٦ في أبواب الطهارة باب الوضوء من مس الذكر من طريق
يحيى بن سعيد القطان عن هشام عن عروة عن الزبير عن بسرة به بنحوه بدون هذه الزيادة .

(٦) الكامل في الضعفاء ٤ / ٢٩٢ ، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٥٨ .

(٧) المصدرين السابقين .

وقد مرّ بنا قبل أن مذهب الذهلي في ما ترتفع به جهالة العين أن يروى عن الراوي اثنان ونجده هنا يوثق عبدالرحمن بن عمر اليحصبي ولم يرو عنه إلا الوليد ابن مسلم . وعمله هنا يبين لنا منهجه وقوله في مجهول العين متى يقبل حديثه . وهو أنه إذا وثق مجهول العين غير من يتفرد عنه قبل حديثه ، وقد وثق اليحصبي هنا أبو زرعة وهو قرين الذهلي ودحيم وابن حبان وابن البرقي وغيرهم .

وهو ما اختاره وسار عليه الحافظ ابن حجر في مجهول العين أن يقبل حديثه بأحد أمرين : -

أ - أن يوثقه غير من يتفرد عنه .

ب - إذا زكاه من يتفرد عنه إذا كان متأهلاً ذلك (١)

٣ - عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي (٢)

قال عنه الذهلي : " لم أعلم له راوياً غير ابن ابنه (٣) . الخ (٤)

ووافقه في ذلك ابن حبان فقال : " يروى عن الزهري روى عنه حجاج ابن أبي منيع (٥)

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٥١ ، وقد كتب الدكتور خلدون الأحذب فصلاً موسعاً في رواية المجهول وما به ترتفع الجهالة ، ضمن كتابه « أسباب اختلاف المحدثين » وانظر ما سبق عرضه من حديثه عن المجهول ص ٤٢٢ - ٤٢٩ .

(٢) هو عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي ، روى عن الزهري ، وعنه ابنه يوسف وحفيده حجاج ابن أبي منيع ، وثقه الدارقطني ، مات سنة (١٥٨) خلاصة التهذيب . ص ٢٥٠ . والرصافي بضم الراء وفتح الصاد ، نسبة إلى الرصافة بلدة بالشام ، الأنساب ٧١ / ٣ .

(٣) هو حجاج بن يوسف ابن أبي منيع الرصافي ، من أهل الشام ، كنيته أبو محمد ، سكن حلب ، يروي عن جده . الثقات لابن حبان (٢٠٢ / ٨) .

(٤) تهذيب التهذيب ١٣ / ٧ .

(٥) الثقات لابن حبان ١٤٥ / ٧ .

وقد خالفهما ابن سعد في طبقاته فقال : « وكان الزهري لما قدم على هشام بالرصافة^(١) وقبل ذلك كان نازلاً عندهم عشرين عاماً غير أشهر فلزمه عبيد الله بن أبي زياد فسمع علمه وكتبه فسمعها منه (ابنه يوسف) بن عبيد الله وسمعها منه ابن ابنه الحجاج بن يوسف^(٢) »

ونقل الحافظ ابن حجر بعد أن سرد أخبار إسحاق الكلبي ، وعبيد الله الرصافي من علل الزهري للذهلي نقل عن الذهبي قوله : « فهذان رجلان مجهولان من أصحاب الزهري مقارباً الحديث »^(٣)

فالإمام الذهبي هنا قد وافق الذهلي وابن حبان في أن الرصافي من الوجدان ، الذين انطبقت عليهم أوصاف المجاهيل .

٤ - محمد بن عبد الله ابن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق^(٤)

قال عنه الذهلي : « لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال^(٥) »

وذكر أنه سمع أيوب بن سليمان^(٦) سئل عن نسبه فذكره وقال : « ما علمت احداً روى عنه بالمدينة غير أبي^(٧) »

(١) الرصافة بضم الراء وفتح الصاد ، مواضع كثيرة ، والمقصود هنا رصافة هشام بن عبد الملك بالشام وهي قصور وحولها مساكن وقرى عامرة وأسواق ، وهي قنسرين ، فيها توفي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ ، الروض المعطار ص ٢٦٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ٤٧٤/٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٣/٧ .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ، يروي عن أبيه عن عائشة ، روى عنه ابن إسحاق ، وسليمان بن بلال . الثقات لابن حبان ٣٦٤/٧ .

(٥) هو سليمان بن بلال أبو محمد القرشي التيمي ، مولاهم المدني ، مولى عبد الله ابن أبي عتيق ، قال عنه أحمد بن حنبل : لا بأس به ، ثقة ، مات سنة (١٧٢) السير ٤٢٦/٧ .

(٦) هو أيوب بن سليمان بن بلال التيمي أبو يحيى المدني ، روى عن أبيه ، قال ابن حجر : في ذلك نظر ، روى عنه البخاري والذهلي ، مات سنة (٢٢٤) تهذيب التهذيب ٣٥٣/١ .

(٧) تهذيب التهذيب ٢٤٦/٩ ، سير أعلام النبلاء ٤٢٦/٧ .

وقد خالفهما في تفرد سليمان بن بلال عن محمد بن عبد الله الأئمة :

أ - قال الإمام البخاري : " روى عنه سليمان بن بلال ، وعبد العزيز بن محمد . وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير . (١)

ب - وقال أبو حاتم : « روى عن الزهري ونافع وروى عنه سليمان بن بلال وحاتم بن اسماعيل ويحيى بن أيوب ويزيد بن زريع (٢)

ج - وقال ابن حبان « روى عنه ابن إسحاق وسليمان بن بلال (٣)

ومن هذه المقتطفات نعلم أن الذهلي لم يصب في قوله " أن ابن أبي عتيق لم يرو عنه غير سليمان بن بلال ، وقد أحسن رحمه الله تعالى إذ استثنى ولم يجزم وعلق حكمه السابق فيما بلغه وعلمه من أخباره ولعله يشير بذلك إلى خبر أيوب بن سليمان عن أبيه فإنه بعد قوله « لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال قال : « قال لي أيوب بن سليمان : ما علمت أحدا . . . الخ » (٤)

(١) التاريخ الكبير ١/١٢٨ .

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/٢٩٩ .

(٣) الثقات ٧/٣٦٤ .

(٤) السير ٧/٤٢٦ . تهذيب التهذيب ٩/٢٤٧ .

منهج الامام الذهلي في بيانه للوحدان

من خلال عرضنا للأمثلة المتواضعة لبيان الذهلي للوحدان تطالعنا لمحات من منهجه في ذلك ومنها:

١ - عدم جزمه في جميع أقواله بتفرد أحد الرواة عن الذي يتناوله بالحديث ، بل يعلق ذلك بحسب ما بلغ علمه في ذلك الأمر .
وقد رأينا كيف ان الأئمة وافقوه في الثلاثة الأول .

وخالفوه في الأخير وهو ابن أبي عتيق ، وبذلك التوقي فهو قد حفظ لنفسه مكانتها الحديثية بين نقاد الحديث .

٢ - عدم الاكتفاء بنقل ما يدل على جهالة عين الراوي وأنه لم يرو عنه إلا فلان ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيضفي عليه معلومات قيمة تفصح عن حاله ومدى كثرة رواياته ومكانتها من الصحة والضعف وبيان موطنه ، ومن أمثلة ذلك :

أ - في ترجمة اسحاق بن يحيى الكلبي :

قال : « مجهول لم أعلم له رواية غير يحيى بن صالح الوحاظي فانه اخرج إليّ أجزاء من حديث الزهري فوجدتها مقاربة » (١)

ب - في ترجمة عبد الرحمن بن عمر اليحصبي :

قال : « عبد الرحمن بن عمر وعبد الرحمن بن خالد ثقتان ولا تكاد تجد لابن عمر حديثاً عن الزهري إلا ودون الحديث مثله ، ويقول سألت الزهري عن كذا فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه ولا أعلم روى عنه غير الوليد بن مسلم » (٢)

(١) تهذيب التهذيب ١/٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق ٦/٢٥٨ .

ج - في ترجمة " عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي : -

قال : " وعبيد الله ابن أبي زياد من أهل الرصافة لم أعلم له راوياً غير ابن
ابنه أخرج إليّ جزءاً من أحاديث الزهري فنظرت فيها فوجدتها صحاحاً فلم
أكتب منها الا يسيراً " (١)

د - في ترجمة محمد بن عبد الله ابن أبي عتيق القرشي : -

قال : " ابن أبي ذئب (٢) وابن أبي عتيق مقاربان في الرواية عن الزهري
فأما ابن أبي ذئب فمشهور وأما ابن أبي عتيق فهو مدني لم يرو عنه فيما علمت
غير سليمان بن بلال وسمعت أيوب بن سليمان بن بلال سئل عن نسبه فذكره .
وقال : " ما علمت أحداً روى عنه بالمدينة غير أبي "

وقال الذهلي أيضاً : وهو حسن الحديث عن الزهري كثير الرواية مقارب
الحديث لولا أن سليمان بن بلال يحدثه لذهب حديثه " (٣)

(١) المصدر السابق ١٣/٧ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث ابن أبي ذئب هشام بن شعبة ، الإمام أبو الحارث
القرشي ، كان رجلاً صالحاً قوالاً بالحق ، مات سنة (١٥٨) . تاريخ بغداد ٢/٢٩٦ ، السير
١٣٩/٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/٢٤٧ ، سير أعلام النبلاء ٧/٤٢٦ ، ٤٢٧ .

المبحث الثاني معرفته بالعلوم التي تعرف بأشخاص الرواة المطلب الأول

علوم الرواة التاريخية

- أولاً - معرفته بتواريخ وفيات الرواة .
- ثانياً - معرفته بطبقات الرواة (الصحابة وسواهم) .
- ثالثاً - معرفته بالأخوة والأخوات من العلماء الرواة .
- رابعاً - رواية الآباء عن الأبناء .
- خامساً - رواية الأبناء عن الآباء .

أولاً : تواريخ وفيات الرواة :

هذا الفرع من علوم الحديث بالغ الأهمية ، لما في معرفته واثقانه من فائدة الوقوف على إتصال أو انقطاع الأسانيد ، وكشف مزاعم وافتراءات من استحلوا المواساة^(١) والكذب . وقد وقع عدد من هذا الصنف في شباك حراس السنة المحمدية ، فأزالوا القناع عن أغاليطهم وأظهروا للناس عوارهم .
ومن ذلك :

ما رُوِيَ ابن الصلاح عن سفيان الثوري أنه قال : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ أو كما قال ، و رُوِيَ عن حفص بن غياث^(٢) أنه قال : إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه .

(١) المواساة من الوكس وهي الخيانة والخديعة قال الأزهري : وسمعت أعرابياً يقول لا مريء قُرف بسوء فيه : مالي فيه وكس ولا دكس ، أي مالي فيه خيانة ولا خديعة ، لسان العرب ٨٦/٦ .
(٢) هو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي ، أبو عمر الكوفي القاضي ، ثقة فقيه تغير حفظه قليلاً في الآخر ، من الثامنة . التقريب ص ١٧٣ .

ورُوِّيَ عن إسماعيل بن عياش^(١) قال : كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث فقالوا : ههنا رجل يحدث عن خالد بن معدان^(٢) فأتيته فقلت : أي سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟ فقال : سنة ثلاث عشرة يعني ومائة فقلت : أنت تزعم أنك سمعت من خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين ، قال إسماعيل : مات خالد سنة ست ومائة .

ورُوِّيَ عن الحاكم أبي عبد الله قال : لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي^(٣) وحدث عن عبد بن حميد^(٤) سألته عن مولده فذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين فقلت لأصحابنا : سمع هذا الشيخ من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة^(٥) .

والتواريخ جمع تاريخ وهو في اللغة : التعريف بالوقت ، والتواريخ مثله ، والواو فيه لغة ، وأرخ الكتاب وآرخه وقَّته .^(٦)

وفي الاصطلاح : التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال في المواليذ ، والوفيات ، والصحة والعقل والبدن . ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجلية من ظهور ملة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد^(٧)

وتأريخ المسلمين يبدأ من حدث هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد مشاورة المسلمين في ذلك وكان عام ست عشرة من الهجرة .

- (١) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .
- (٢) هو خالد بن معدان الكلاعي الحمصي ، أبو عبد الله ، ثقة عابد يرسل كثيراً ، من الثالثة مات سنة (١٠٣) وقيل بعد ذلك ، التقريب ، ص ١٩٠ .
- (٣) هو محمد بن حاتم بن خزيمة الكشي ، حدث عن الفتح بن عمرو الكشي ، روى عنه الحاكم وكذبه . أنظر سير أعلام النبلاء (١٥ / ٣٨٠) .
- (٤) سبقت ترجمته ص ١٦١ .
- (٥) مقدمه ابن الصلاح تحقيق الطباق ص ٣٨٢ ، الإرشاد للإمام النووي ٧٦٩/٢ ، تدريب الراوي ٣٤٩/٢ .

(٦) لسان العرب ٤/٣ ، القاموس المحيط (١ / ٢٥٦) .

(٧) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٨ .

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد (١) قال : « ما عدّوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا من متوفاه إنما عدّوا من مقدمه المدينة . » (٢)

وروى في تاريخه عن ابن عباس قال : كان التاريخ في السنة التي قدم فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى أيضا عن ابن المسيب ، قال عمر : متى نكتب التاريخ ؟ فجمع المهاجرين ، فقال علي : من يوم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكتب التاريخ " (٣)

وقد روى سعيد بن منصور في سننه بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « والفجر » قال : « الفجر شهر محرم وهو فجر السنة » (٤) وقال شيخ الاسلام ابن حجر في أماليه : بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تأخر التاريخ من ربيع الأول إلى المحرم بعد أن اتفقوا على جعل التاريخ من الهجرة . وإنما كانت في ربيع الأول (٥) .

والتصنيف في وفيات الرواة لم يبدأ إلا متأخراً بعد وفاة الذهلي ، فكان أول من صنف فيها أبو الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي (٦) وتبعه أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر الربيعي (٧)

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٥ .

(٢) الجامع الصحيح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب التاريخ ، من أين أرخوا التاريخ . (٤/ ٣٢١) .

(٣) التاريخ الصغير ١/ ٤١ ، التاريخ الكبير ٩/ ١٠٩ .

(٤) انظر تدريب الراوي (٢/ ٣٥٤) ولم أجد هذا الأثر في الأجزاء المطبوعة من سنن سعيد بن منصور . تحقيق سعد بن عبد الله آل حميد أثناء دفع هذه الأوراق للمطبعة .

(٥) تدريب الراوي ٢/ ٣٥٤ .

(٦) هو عبد الباقي بن قانع أبو الحسين الأموي . ولد سنة ٢٦٥ ، قال الخطيب البغدادي : « . . . رأيت عامة شيوخنا يوثقونه » تاريخ بغداد ١١/ ٨٨ .

(٧) هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زبر الربيعي ، محدث دمشق وابن قاضيها ، قال الكتاني : كان ثقة مأموناً ، نبيلاً ، توفي في جمادى الأولى سنة ٣٧٩ ، والربيعي بفتح الراء والباء ، نسبة ربيعة بن نزار ، الأنساب ٣/ ٤٣ ، السير ١٦/ ٤٤٠ .

وقد انتهى ابن زهر إلى سنة (٣٥٧) وعلى كتابه سار تذييل طويل في كتب الوفيات (١)

وتأتي أهمية تناول الامام الذهلي لهذا الفن المهم من فنون المصطلح ، لكونه عاش في فترة ما بين عدم الإعتناء التام بضبط الوفيات وتدوينها إلى قريب من زمن الإمام الشافعي (المولود سنة ١٥٠ هـ) كما ذكر ذلك الذهبي (٢) وقبل فترة الجمع والضبط والتدوين ابتداء من عصر ابن قانع المولود سنة (٢٦٥) ومن بعده .

وقد كان من مشايخه نخبة فاضلة اهتمت بهذا العلم وعملت على ضبطه واشتهرت به مثل الفضل بن دكين أبو نعيم ويحيى بن بكير ، وابن غير وسواهم ممن روى عنهم في ذلك سماعاً أو مكاتبة كما سيأتي بعد قليل .

وهذه إلماحات إلى اهتمامه بتواريخ الوفيات والاستفادة منها في معرفة التقاء الرواة من عدمه ، كما تبرز من خلالها منهجيته في تعيين سني الولادة والوفاة .

وأثني هذه الإلماحات بنقله عن مشايخه في هذا المجال مما يعكس اعتناؤه البالغ ومتابعته الدقيقة بالسماع والمكاتبة .

(١) تابع هذا التذييل في مقدمة تحقيق كتابه « تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » . للدكتور عبدالله بن أحمد الحمد ١/ ٣٥-٣٧ ، وذكر بعضاً منه الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه « بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ١٤١ ، وقبلهما الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٢١١-٢١٤ .

(٢) قال : (لم يعن القدماء بضبطها كما ينبغي بل اتكلوا على حفظهم فذهبت وفيات خلق من أعيان الصحابة ومن تبعهم إلى زمن الشافعي ...) مقدمة تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، جزء السيرة النبوية ١/ ١٦ .

أولاً : إلماحاته إلى تواريخ الوفيات .

(١) ربطه تاريخ الوفاة بإمكانية اللقاء .

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن يوسف . أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سالم قال : " كتب عبد الملك إلى الحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج ، فجاء ابن عمر رضي الله عنه وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس ، فصاح عند سرادق الحجاج فخرج عليه وعليه ملحفة معصفرة فقال : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : الرواح ان كنت تريد السنة . . . الخ . (١)

قال ابن حجر : « قوله (فجاء إن عمر رضي الله عنهما وأنا معه) القائل هو سالم ؟

ووقع في رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري " فركب هو وسالم وأنا معهما " وفي روايته قال ابن شهاب : " وكنت يومئذ صائماً فلقيت من الحر شدة ، واختلف الحفاظ في رواية معمر هذه فقال يحيى بن معين : " هي وهم ، وابن شهاب لم ير ابن عمر ولا سمع منه "

وقال الذهلي : (لست أدفع رواية معمر لان ابن وهب روى عن العمري عن ابن شهاب نحو رواية معمر ، وروى عنيسة بن خالد عن يونس عن ابن شهاب ، قال : " وفدت على مروان وأنا محتلم " قال الذهلي : ومروان مات سنة خمس وستين ، وهذه القصة كانت سنة ثلاث وسبعين . انتهى) .

وقال غيره : إن رواية عنيسة هذه أيضا وهم ، وإنما قال الزهري وفدت على عبد الملك ، ولو كان الزهري وفد على مروان لأدرك جلّة الصحابة ممن ليست له عنهم رواية إلا بواسطة ، وقد أدخل مالك وعقيل - وإليهما المرجع في حديث الزهري - بينه وبين ابن عمر في هذه القصة سالماً فهذا هو المعتمد (٢) .

(١) صحيح البخاري كتاب الحج باب التهجير بالرواح يوم عرفة (٢/٢١١) .

(٢) فتح الباري ٣/٥١١ .

والمراد من هذا النقل هو استفادته من معرفة تاريخ الوفاة لتقرير لقاء الرواة ولو على الاحتمال . (١)

٢ - والإمام الذهلي إذا لم يكن جازماً بسنة وفاة الراوي يستأنس بتاريخ وفاة مشاهير زمانه مع توهم السنة .

كما في ترجمة عمران بن ملحان العطاردى البصري . (٢)

قال المزى : وقال الذهلي : (مات قبل الحسن لا أدري في أي سنة غير أني أتوهمه سنة ١٠٧ هـ) وفي موضع آخر قال " لا أدري في أي السنين غير أني أتوهمه سنة تسع ومائة " (٣)

٣ - ويذكر سنة الولادة على الظن ويجزم بسنة الوفاة

كما قال عن ابن شهاب الزهري : وأظن مولد الزهري سنة خمسين أو نحو هذا وموته سنة أربع وعشرين ومائة " (٤)

٤ - وفي ترجمة محمد بن موسى أبو يحيى الجزري الحراني . (٥)

قال أبو عروبة : " حدثني محمد بن يحيى أنه مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين " (٦)

(١) انظر ماكتب حول هذا الموضوع في المثال الثاني من مبحث اهتمامه بسماعات الرواة ص ٥٧٠ .

(٢) هو عمران بن ملحان . بكسر الميم ، أبو رجاء العطاردى ، مشهور بكنيته ، ثقة معمر ، مات سنة (١٠٥) وعمره ١٢٠ سنة . التقريب ص ٤٣٠ .

(٣) تهذيب الكمال (٣٥٨ / ٢٢) تهذيب التهذيب ١٢٤ / ٨ ، رجال صحيح البخاري ٥٧٣ / ٢ .

(٤) التمهيد لما في الموطأ من الرواة والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التمرى الأندلسي ٧ / ١٠ ، ٨ .

(٥) هو محمد بن موسى بن أعين الجزري ، أبو يحيى الحراني ، صدوق ، من كبار العاشرة ، مات سنة (٢٢٣) . التقريب ص ٥٠٩ .

(٦) التعديل والتجريح لأبي الوليد الباجي ٦٤٤ / ٢ .

٥ - وفي ترجمة مؤمل بن الفضل بن مجاهد الحراني أبو سعيد
الجزري . (١)

قال أبو عروبة (٢) في تاريخ الجزرين : حدثني محمد بن يحيى أنه مات سنة
تسع وعشرين ومائتين (٣) .

٦ - وفي ترجمة عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحراني (٤)
قال : مات سنة ثلاث ومائتين هـ . (٥)

٧ - وفي ترجمة مالك بن ربيعة الساعدي (٦) قال : مات سنة ثلاثين
سنة اثنان وسبعون . (٧)

ثانياً : نقله وفيات الرواة عن مشايخه :

والإمام الذهلي كغيره من المحدثين يعتمد على أقوال مشايخه ومشايخهم
في ذكر وفيات الرواة وأحياناً ولادتهم وطرفاً من أخبارهم .

(١) هو مؤمل بن الفضل الجزري ، أبو سعيد ، صدوق ، من العاشرة ، مات سنة ثلاثين أو قبلها .
التقريب ص ٥٥٥ .

(٢) هو الإمام الخافظ المعمر ، الحسين بن محمد ابن أبي معشر مودود السلمي أبو عروبة الجزري
الحراني ، صاحب التصانيف ، مات سنة (٣١٨) السير ١٤ / ٥١٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٤٢ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٥٥ .

(٥) تهذيب التهذيب ٧ / ١٢٣ .

(٦) هو مالك بن ربيعة بن البدن ، أبو أسيد الساعدي ، مشهور بكنيته ، شهد بدرأ وغيرها ، مات سنة
(٣٠) . التقريب ص ٥١٧ .

(٧) رجال صحيح البخاري ٢ / ٦٩١ .

فمن ذلك ما ذكره مشايخه :

- ١ - في ترجمة حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري^(١)
قال : قال يحيى بن معين : مات سنة خمس ومائة^(٢)
- ٢ - في ترجمة القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق^(٣)
قال : نا نعيم بن حماد قال : القاسم بن محمد (يعني) مات في ولاية يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وأثنين ومائة^(٤)
- ٣ - وفي ترجمة عمران بن ملحان أبو رجاء العطاردي^(٥)
قال : سمعت سعيد بن عامر وذكر أبا رجاء العطاردي ، قال : بلغ ثلاثين ومائة سنة^(٦)

وعن مشايخ مشايخه :

- ٤ - في ترجمة إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص^(٧) قال الذهلي : أنا حيوة^(٨) قال : نا بقية^(٩) قال : مات إسماعيل بن أمية قبل أن أدخل مكة بيوم سنه ١٣٩ .^(١٠)

-
- (١) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، المدني ، ثقة ، من الثانية . التقريب ص ١٨٢ .
 - (٢) تهذيب التهذيب ٤٠ / ٣ .
 - (٣) هو القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق التيمي ، ثقة ، أحد الفقهاء بالمدينة . من كبار الثالثة . التقريب ص ٤٩٥ .
 - (٤) رجال صحيح البخاري ٦٦٦ / ٢ .
 - (٥) سبقت ترجمته ص ٤٩٥ .
 - (٦) رجال صحيح البخاري ٥٧٣ / ٢ .
 - (٧) هو إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص ، من فقهاء أهل مكة وقرائهم . كان ثبناً . مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٤٥ .
 - (٨) هو حيوة بن شريح بن صفوان الحضرمي أبو زرعة ، من عباد المصريين ، مات سنة (١٥٨) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٨٧ .
 - (٩) سبقت ترجمته ص ١٥٩ .
 - (١٠) رجال صحيح البخاري ٦٥ / ١ .

٥ - في ترجمة أيوب ابن أبي تيممة واسمه كيسان^(١) قال الذهلي : نا أبو النعمان^(٢) عن حماد^(٣) مثل قول قريش^(٤) سواء ، وقريش قال : مات سنة ١٣١ في الطاعون^(٥) .

٦ - وفي ترجمة إبراهيم ابن أبي عبله^(٦) قال ضمرة بن ربيعة^(٧) : مات سنة ١٥٢ وقال الذهلي : نا نعيم بن حماد نا ضمرة نحوه سواء^(٨) .

٧ - وفي ترجمة عمرو بن دينار^(٩) قال الذهلي نا علي بن عبد الله قال سمعت سفيان قيل له : مذكم مات عمرو بن دينار؟ قال : في أول سنة ١٢٥^(١٠) .

٨ - وفي ترجمة عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي^(١١) قال الذهلي نا أحمد بن يونس^(١٢) قال : سمعت أبا بكر بن عياش^(١٣) يقول : مات أبو إسحاق و هو ابن مائه ، أو مائة غير سنة .^(١٤)

(١) سبقت ترجمته ص ٤٦٧ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٤) هو قريش بن أنس الأنصاري ، ويقال الأموي ، أبو أنس البصري ، صدوق تغير بأخوه ، مات سنة (٢٠٨) التقريب ص ٤٥٨ .

(٥) رجال صحيح البخاري ٨١ / ١ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٥٨ .

(٧) هو ضمرة بن ربيعة الفلسطيني ، أبو عبد الله ، أصله دمشقي ، صدوق يهم قليلاً ، مات سنة (٢٠٢) . التقريب ص ٢٨٠ .

(٨) رجال صحيح البخاري ٥٣ / ١ .

(٩) هو عمرو بن دينار الأثري ، مولى بني باذان من مذحج ، أبو محمد ، من متقني التابعين . مات سنة (١٢٦) مشاهير علماء الأمصار ص ٨٤ .

(١٠) رجال صحيح البخاري ٥٤١ / ٢ .

(١١) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد ، أبو إسحاق السبيعي الهمداني ، ثقة مكشّر عابد ، مات سنة (١٢٩) . التقريب ص ٤٢٣ .

(١٢) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي الكوفي ثقة حافظاً ، مات سنة (٢٢٧) . التقريب ص ٨١ . واليربوعي بفتح الياء وسكون الراء ، نسبة إلى بني يربوع ، بطن من تميم ، الأنساب ٦٨٦ / ٥ .

(١٣) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

(١٤) رجال صحيح البخاري ٥٤٥ / ٢ .

٩ - وقال عن أسماء^(١) بنت أبي بكر الصديق : ناأحمد بن حنبل قال ناسفیان بن عیید قال : بقیت أسماء بعد أبيها^(٢) .

هذا ويصور لنا مدى اهتمام الإمام الذهلي الشديد البالغ بمعرفة أخبار الرواة والعلماء ووفياتهم ذلك النقل الكبير عن شيوخه [الفضل بن دكين أبو نعيم]^(٣) و [يحيى بن عبدالله بن بكير]^(٤) . وذلك من خلال كتاب « رجال صحيح البخاري » المسمى « الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه » للإمام أبي نصر الكلاباذي^(٥) .

وقد كان تحمله عن أبي نعيم بالمكاتبة ، وعن يحيى بن بكير بالسماع والمشافهة .

وقد تحمل أيضاً بالمكاتبة عن أبي بكر ابن أبي شيبة^(٦) وابن غير^(٧) وسأشير إلى ذلك في موضعه .

وجدير بالذكر أن ماجمعتهم من أقوالهما سواء كانا منفردين أو مع بعضهما يتعذر إثباته كله في مثل هذه الإلماحة عن إهتمامهم بالوفيات ، إذ أن ما حصرته عنهما « ١٣١ قولاً » ولذا فقد سلكت للإشارة إلى ذلك طريقاً يوقفنا على ذلك الجهد المبارك .

(١) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، زوج الزبير بن العوام ، من كبار الصحابة ، عاشت مائة سنة . ماتت سنة (٧٤) . التقريب ص ٧٤٣ .

(٢) رجال صحيح البخاري ٨٤٨/٢ .

(٣) سبقت ترجمته ضمن مشايخه ص ١٧٤ .

(٤) هو يحيى بن عبدالله بن بكير المخزومي ، مولا هم ، المصري ، ثقة في الليث ، من كبار العاشرة ، مات سنة (٢٣١) . التقريب ص ١٧٥ .

(٥) سبقت ترجمته ص ١٧٥ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٤ .

(٧) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

وهو أن أختار من أقوال الإمام يحيى بن بكير عدداً يناسب الكم الذي نُقل عنه، وكذلك عن الإمام أبي نعيم، وثالثاً أمثلة على ما نقل عنهما جميعاً في الراوي، ثم أشير في الحاشية إلى المواضع التي لم أنقلها بالجزء والصفحة ليسهل على المستفيد مراجعة ذلك عند الحاجة.

أولاً : بعض ما نقله الإمام الذهلي عن شيخه يحيى بن عبدالله بن بكير .
وعدة رواياته عنه منفرداً ٨٤ رواية .

١ - أسيد بن حضير الأنصاري ^(١) ، وقال محمد بن يحيى الذهلي : قال يحيى ابن بكير : مات سنة عشرين وحمله عمر بين عمودي السرير حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه ^(٢) .

٢ - بلال بن رباح أبو عبد الكريم ^(٣) وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات بدمشق في طاعون عمواس سنة سبع أو ثمان عشرة ^(٤) .

٣ - الحسين بن علي ابن أبي طالب ^(٥) وقال الذهلي : قال يحيى ابن بكير : قتل في صفر سنة إحدى وستين ، سنه ، ستة وخمسون ^(٦) .

٤ - حكيم بن حزام بن خويلد القرشي ^(٧) وقال الذهلي : قال يحيى ابن بكير : مات سنة ٥٤ ، سنه ١٢٠ سنه ^(٨) .

٥ - خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري ^(٩) قال الذهلي : قال يحيى ابن بكير : مات بالقسطنطينية سنة ٥٢ في غزوة يزيد بن معاوية ، وزعم مجاهد أنه حضر دفن أبي أيوب بالقسطنطينية ^(١٠) .

(١) هو أسيد بن حضير بن سمالك الأنصاري . توفي سنة (٢٠) . أسد الغابة ١/ ١١١ .

(٢) رجال صحيح البخاري ١/ ٩٩ .

(٣) هو بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق . شهد بدرأ والمشاهد كلها . أسد الغابة ١/ ٢٤٣ .

(٤) رجال صحيح البخاري ١/ ١٢١ .

(٥) هو الحسين بن علي ابن أبي طالب ، سيد شباب أهل الجنة ، كان كثير الصوم والصلاة . أسد الغابة ٢/ ١٨ .

(٦) رجال صحيح البخاري ١/ ١٦٩ .

(٧) هو حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي ، كان من أشرف قريش ووجهها . أسد الغابة ٢/ ٤٥ .

(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٢٠٨ .

(٩) سبقت ترجمته ص ١١٩ .

(١٠) رجال صحيح البخاري ١/ ٢٢٢ .

٦ - الزبير بن العوام^(١) . . . قتل يوم الجمل وكان يوم الجمل يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦، قتله عمرو بن حرموز بوادي السباع، قال خليفه بن خياط: وقال الواقدي مثله، وقال الذهلي: قال يحيى بن بكير نحو ذلك وزاد (سنة أربع وستون وشهد بدماء وهو ابن ٢٩ سنة)^(٢).

٧ - سلمة بن عمرو بن الأكوع^(٣) . . . قال محمد بن يحيى الذهلي: قال يحيى بن عبدالله بن بكير المصري: مات سلمة بن الأكوع يكنى أبا إياس سنة ٧٤ هكذا كناه^(٤).

٨ - عبدالله بن ذكوان أبي الزناد^(٥) . . . قال الذهلي: قال ابن بكير: مات في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة، سنة أربع وستون^(٦).

٩ - عبدالرحمن بن جبر بن عمرو الأنصاري^(٧) . . . قال الذهلي: قال ابن بكير: مات سنة أربع وثلاثين، سنة سبعون سنة (صلى عليه عثمان بن عفان^(٨)).

١٠ - عبيدالله ابن أبي يزيد الكتاني^(٩) . . . وقال محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري: قال يحيى بن بكير: مات سنة ١٣٦، سنة ست وثمانون^(١٠).

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، قتل يوم الجمل سنة (٣٦). أسد الغابة ٢٥١/٢.

(٢) رجال صحيح البخاري ٢٧٠/١.

(٣) هو سلمة بن الأكوع الأسلمي، كان شجاعاً رامياً، توفي سنة (٧٤) أسد الغابة ٤٢٣/٢.

(٤) رجال صحيح البخاري ٣٢٠/١.

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٣٦.

(٦) رجال صحيح البخاري ٤٠٥/١.

(٧) هو عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبس الأنصاري، توفي سنة (٣٤) أسد الغابة ٤٣١/٣.

(٨) رجال صحيح البخاري ٤٣٩/١.

(٩) هو عبد الله ابن أبي يزيد المكي، مولى آل قارظ بن شيبه، ثقة كثير الحديث. التقریب ص ٣٧٥.

(١٠) رجال صحيح البخاري ٤٧١/١.

- ١١- عبادة بن الصامت (١) . . . وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات بالرملة سنة أربع وثلاثين ، سنةً اثنتان وسبعون سنة (٢) .
- ١٢- عمرو بن العاص السهمي (٣) . . . قال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعون ، سنةً سبعون سنة (٤) .
- ١٣- قتادة بن النعمان (٥) . . . قال محمد بن يحيى الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر ، سنةً خمس وستون ، ونزل في قبره أبو سعيد الخدري ، ومحمد بن سلمة ، والحارث خزيمة ، وابن حرسة (٦) .
- ١٤- كعب بن عجرة الأنصاري (٧) . . . قال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات كعب ابن عجرة سنة اثنتين وخمسين ، وسنةً خمس وسبعون (٨) .
- ١٥- محمد بن مسلمة الأنصاري (٩) . . . وقال محمد بن يحيى حدثنا يحيى (يعنى) بن بكير : مات محمد بن سلمة بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة وصلى عليه مروان (١٠) .
- ١٦- معاوية ابن أبي سفيان (١١) . . . وقال الذهلي : قال يحيى : مات لأربع خلون منه (أي من رجب) وسنة ثمان وسبعون سنة (١٢) .

- (١) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، أبو الوليد المدني ، أحد النقباء ، توفي سنة (٣٤) أسد الغابة ١٦٠ / ٣ ، التقريب ص ٢٩٢ .
- (٢) رجال صحيح البخاري ٤٠٥ / ٢ .
- (٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، فتح مصر ووليها مرتين ، أسلم عام الحديبية ، أسد الغابة ، التقريب ص ٤٢٣ .
- (٤) رجال صحيح البخاري ٥٣٥ / ١ .
- (٥) هو قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري ، صحابي شهد بدرًا ، وهو الذي سقطت إحدى عينيه في غزوة فردها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانت أحسن عينيه ، أسد الغابة ٣٨٩ / ٤ ، التقريب ص ٤٥٤ .
- (٦) رجال صحيح البخاري ٦١٩ / ٢ . (٧) سبقت ترجمته ص ١٢٠ .
- (٩) هو محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري ، صحابي مشهور ، أحد قتالي كعب بن الأشرف ، أسد الغابة ١١٢ / ٥ ، التقريب ص ٥٠٧ .
- (١٠) رجال صحيح البخاري ٦٣٥ / ٢ .
- (١١) هو معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي الخليفة ، أسلم قبل الفتح ، وكتب الوحي ، توفي عام ٦٠ ، أسد الغابة ٢١١ / ٥ ، التقريب ص ٥٣٧ .
- (١٢) رجال صحيح البخاري ٧٠٤ / ٢ .

١٧- محمود بن الربيع^(١) . . . قال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة ٧٩ ، سنة ٧٣^(٢) .

١٨- المسور بن مخرمة بن نوفل^(٣) . . . قال الذهلي : قال ابن بكير : مات بمكة يوم جاء نعي «يزيد بن معاوية» إلى ابن الزبير سنة أربع وستين ، وصلى عليه ابن الزبير ، أصابه حجر منجنيق وهو يصلى في الحجر فمات في شهر ربيع وولد بعد الهجرة بستتين فقدم به المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان عام الفتح وهو ابن ست سنين ، وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين وكان أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر*^(٤) .

١٩- وائلة بن الأسقع^(٥) . . . وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة خمس وثمانين ، سنة ثمان وتسعون^(٦) .

٢٠- يونس بن عبيد البصري^(٧) . . . وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات يونس يكنى أبا عينية ، سنة أربعين ومائة^(٨) .

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٥ .

(٢) رجال صحيح البخاري ٧٢١/٢ .

(٣) هو مسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ، له ولأبيه صحبة ، قتل بحجر منجنيق وهو يصلي في الحجر سنة ٦٤ ، أسد الغابة ١٧٥/٥ ، التقريب ص ٥٣٢ .

* ذكر محقق الكتاب عبدالله الليثي « أن بحاشية الأصل مكتوب مايلي » . . هذا كله خطأ يرده ما أخرجه البخاري باسناد صحيح أن المسور قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يؤمئذ محتلم^١ . هـ .

(٤) رجال صحيح البخاري ٧٢٨/٢ .

(٥) هو وائلة بن الأسقع الكنانى ، من أهل الصفة ، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين . أسد الغابة ٤٢٨/٥ .

(٦) رجال صحيح البخاري ٧٦٢/٢ .

(٧) هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيد البصري ، ثقة ثبت ، التقريب ص ٦١٣ .

(٨) رجال صحيح البخاري ٨١٨/٢ .

= وهذه مواضع رواية الإمام الذهلي عن شيخه يحيى بن بكير التي لم تنقل .

ثانياً : بعض مانقله الإمام الذهلي عن شيخه أبي نعيم وعدة رواياته عنه منفرداً ٢٠ روايه وجميعها كانت بالمكاتبة . . . وفي هذا دليل على حرص الإمام الذهلي على العلم بكل الطرق .

١ - أنس بن مالك ^(١) . . . وقال البخاري : قال أبو نعيم : مات أنس سنة ٩٣ وقال الذهلي : وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله ^(٢) .

٢ - حبيب ابن أبي ثابت ^(٣) . . . مات في شهر رمضان سنة ١١٩ ، وقال البخاري كذلك ، ولم يذكر شهر رمضان ، وقال الذهلي : فيما كتب أبو نعيم مثله ^(٤) .

٣ - الحكم بن عتيبة يقال ابن النهاس ^(٥) . . . قال الذهلي : فيما كتب إلي أبو نعيم قال : مات سنة ١١٥ ^(٦) .

٤ - ربعي بن حراش الغطفاني ^(٧) . . . وقال الذهلي . . . وفيما كتب إلي أبو نعيم قال : وربعي بن حراش في زمن عمر بن عبدالعزيز يعني موته ^(٨) .

٥ - سالم ابن أبي الجعد ^(٩) . . . مات سنه سبع أو ثمان وتسعين في زمن سليمان بن عبد الملك قاله أبو نعيم قاله البخاري عنه . قال الذهلي : وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله سواء ^(١٠) .

= الجزء الأول (٥٥ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٨٣ - ٢٩٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٩ - ٣٢٠ - ٣٢٣ - ٣٤٣ - ٣٧٤ - ٣٨٣ - ٣٨٧ - ٣٨٩ - ٣٩٤ - ٤١١ - ٤١٤ - ٤١٦ - ٤٢٠ - ٤٣٣ - ٤٣٨ - ٤٤٩ - ٤٥٨)

الجزء الثاني

(٤٨٠ - ٤٩٩ - ٥٢١ - ٥٤١ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٦٩ - ٥٧٨ - ٥٨١ - ٥٨٨ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٦٣٠ - ٦٩٢ - ٧٠٩ - ٧١٤ - ٧١٦ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٥٥ - ٧٧١ - ٧٩٢ - ٧٩٧ - ٨١٣ - ٨٣٠ - ٨٨٧) هـ . ١

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٥ . (٢) الكلاباذي . رجال صحيح البخاري ١/ ٨٧ .

(٣) هو حبيب ابن أبي قيس ويقال هند الأسدي مولا هم ، ثقة فقيه . التقريب ص ١٥٠ .

(٤) رجال صحيح البخاري ١/ ١٩٠ .

(٥) هو الحكم بن عتيبة بن النهاس الكوفي ، قاضي الكوفة . الثقات ٤/ ١٤٤ . التقريب ص ١٧٥ .

(٦) رجال صحيح البخاري ١/ ١٩٦ .

(٧) هو ربعي بن حراش أبو مريم الكوفي ، ثقة عابد مخضرم ، مات سنة (١٠٠) . التقريب ص ٢٠٥ .

(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٢٥٢ .

(٩) هو سالم ابن أبي الجعد رافع ، عداة في أهل الكوفة ، مات في ولاية سليمان بن عبد الملك .

الثقات ٤/ ٣٠٥ .

(١٠) رجال صحيح البخاري ١/ ٣١٧ .

- ٦ - عبدالله بن قيس أبو موسى الأشعري^(١) . . . قال أبو نعيم : مات سنة أربع وأربعين ، وقال أبو بكر ابن أبي شيبة : مثله وزاد وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال ابن غير مثل أبي نعيم وهو ابن نيف وثلاثين سنة .
- وقال الذهلي : كتب إلي أبو نعيم مثله^(٢) .
- ٧ - عطاء ابن أبي رباح^(٣) . . . قال أبو نعيم مات سنة ١١٥ ، وقال الذهلي : وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله^(٤) .
- ٨ - مالك بن مغول بن عاصم^(٥) . . . قال البخاري : قال أبو نعيم : مات سنة ١٥٩ في أولها . وقال الذهلي : وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله ، ولم يقل في أولها^(٦) .
- ٩ - المغيرة بن مقسم الكوفي^(٧) . . . مات سنة ٣٣ . . . وقال البخاري : قال أبو نعيم : مات منصور بن المعتمر بعد ما قدم السودان بسنة ، ومات مغيرة بعده بأربع سنين ، وقال الذهلي : وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله^(٨) .
- ١٠ - وقدان أبو يعفور العبدي^(٩) ، قال أبو نعيم : مات سنة عشرين ومائة ، وقال الذهلي : فيما كتب إلي أبو نعيم مثله^(١٠) .

(١) سبقت ترجمته ص ١٣٤ .

(٢) رجال صحيح البخاري ٣٩١/١ .

(٣) هو عطاء ابن أبي رباح ، مفتي الحرم أبو محمد القرشي مولاهم ، ثقة فقيه فاضل كثير الإرسال ، السير ٧٨/٥ التقريب ص ٣٩١ .

(٤) رجال صحيح البخاري ٥٦٧/٢ .

(٥) هو مالك بن مغول الكوفي ، أبو عبد الله ، ثقة ثبت . مات سنة (١٥٩) . التقريب ص ٥١٨ .

(٦) رجال صحيح البخاري ٦٩٥/٢ .

(٧) سبقت ترجمته ص ١٢١ .

(٨) رجال صحيح البخاري ٧١٤/٢ .

(٩) هو وقدان أبو يعفور العبدي الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة ، التقريب ص ٥٨١ .

(١٠) رجال صحيح البخاري ٧٦٤/٢ . وهذه مواضع رواه الذهلي عن شيخه أبي نعيم التي لم تنقل

الجزء الأول ١٥٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٣٨ ، ٤٤٣ .

الجزء الثاني ٥٨٣ ، ٦٦٨ ، ٦٧٥ ، ٦٩٧ ، ٧٣٦ ، أ. هـ .

ثالثاً: بعض مانقله الإمام الذهلي عن شيخه أبي نعيم ويحيى بن بكير -
وعدة رواياته عنهما معاً «٢٦» رواية، وتحمله عن ابن بكير بالسماع، وعن أبي
نعيم بالمكاتبة أيضاً وكذلك كاتب أبا بكر ابن أبي شيبة وابن غير كما في ترجمة
(٦) عبدالله ابن أبي أوفى وترجمة (٧) عمر بن الخطاب.

١ - إبراهيم بن يزيد بن عمر النخعي^(١) . . . وقال الذهلي: قال يحيى بن
بكير موته ما بين ٩٤ إلى ٩٦ وهو ابن ٤٦. وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي
مات وهو ابن ٤٩ سنة، قال الذهلي: وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله^(٢).

٢ - إسماعيل ابن أبي خالد البجلي^(٣)، وقال أبو نعيم مات سنة ١٤٦
وقال الذهلي: فيما كتب إلي أبو نعيم مثله، وقال: قال يحيى بن بكير: مات
سنة ١٤٥^(٤).

٣ - جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري^(٥)، . . . قال الذهلي: قال يحيى
ابن بكير: مات سنة ٧٨، وسنه يومئذ أربع وتسعون وصلى عليه أبان بن عثمان
بن عفان والي المدينة، قال الذهلي: وفيما كتب إلي أبو نعيم قال: وجابر بن
عبدالله سنه تسع، قال الذهلي: أراد عندي وسبعين فحذف وسبعين لأن أبا نعيم
لا يهتم هذا الوهم^(٦).

٤ - سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب^(٧) . . . قال الواقدي: قال أبو
نعيم: مات سنة ١٠٦، وقال الذهلي: فيما كتب إلي أبو نعيم في آخرها، قال
الذهلي: نا يحيى بن بكير قال: مات في ذي القعدة سنة ١٠٦ وصلى عليه هشام
ابن عبد الملك^(٨).

٥ - طاوس بن كيسان اليماني^(٩)، مات سنة ١٠٥ قال البخاري:
ناعمر بن علي نا أبو عاصم قال: سمعت حنظلة يقول ذلك وقال البخاري: قال

(١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي، سمع من الصحابة، مات وهو متوارٍ من الحجاج، الثقات ٨/٤.

(٢) الكلاباذي «رجال صحيح البخاري» ٦٠/١.

(٣) هو إسماعيل ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي، ثقة ثبت، التقريب ص ١٠٧.

(٤) رجال صحيح البخاري ٦٩/١. (٥) سبقت ترجمته ص ١١٨. (٧) سبقت ترجمته ص ٢٤٠.

(٨) رجال صحيح البخاري ٣١٦/١. (٩) سبقت ترجمته ص ١٣٤.

أبو نعيم مثله، قال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله، قال الذهلي : نا يحيى ابن بكير قال : مات قبل التروية بيوم، بمكة سنة ١٠٦، وفيما كتب إليَّ أبو نعيم : وصلى عليه هشام بن عبد الملك (١).

٦ - عبد الله ابن أبي أوفى (٢) . . . قال محمد بن يحيى الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم قال : وعبد الله ابن أبي أوفى سنة سبع أو ثمان وسبعين يعني موته، قال الذهلي : قال يحيى : مات عبد الله سنة ستة وثمانين . فخالفه أبو نعيم فقال : سنة سبع أو ثمان وسبعين، وفيما كتب إليَّ ابن ثمر مات سنة ثمانين (٣).

٧ - عمر بن الخطاب (٤) . . . تولى الخلافة من لدن مات أبو بكر يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة إلى أن طعن - قال خليفة والواقدي : ثلاث بقين من ذي الحجة.

وقال الذهلي : كتب إليَّ أبو نعيم وأبي بكر ابن أبي شيبة يوم الأربعاء لأربع بقين سنة ثلاث عشرة وقال الذهلي : لسبع بقين منه (٥).

٨ - عمرو بن ميمون الأودي (٦) . . . قال البخاري : قال أبو نعيم : مات سنة أربع وسبعين، قال الذهلي : فيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله، وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة أربع أو خمس وسبعين (٧).

(١) رجال صحيح البخاري ١/٣٧٧.

(٢) هو عبد الله ابن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي، صحابي، عُمِّرَ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم دهرًا، وهو آخر الصحابة وفاة بالكوفة. توفي سنة ٨٦، أسد الغابة ٣/١٨٣، التقريب ص ٢٩٦.

(٣) رجال صحيح البخاري ١/٣٩٣.

(٤) هو عمر بن الخطاب القرشي أبو حفص، الخليفة الراشد، قتل سنة (٢٣). أسد الغابة ٤/١٤٥.

(٥) الكلاباذي «رجال صحيح البخاري» ٢/٥٠٦.

(٦) هو عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله ويقال أبو يحيى مخضرم مشهور ثقة عابد. التقريب ص ٤٢٧. والأودي بفتح الألف وسكون الواو نسبة إلى الأود بن صعب، من مذحج،

الأنساب ١/٢٢٦.

(٧) رجال صحيح البخاري ٢/٥٣٩.

٩ - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري^(١) . . . وقال الذهلي : نا يحيى قال : مات يوم سبع عشرة من رمضان سنة ١٢٤ ، وقال الذهلي : وفيما كتب إلي أبو نعيم قال : مات سنة ١٢٤^(٢) .

١٠ - مجاهد بن جبر^(٣) . . . قال أبو نعيم : مات سنة ثنتين ومائة ، وقال الذهلي : وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله ، وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة إحدى ومائة^(٤) .

ثانياً : معرفته بطبقات الرواة : (الصحابة وسواهم) :

لم يرد في القرآن الكريم لفظ «الطبقة» وإن كان قد ورد فيه لفظي «طبَّق» و«طَبَّق»

قال تعالى ﴿لَتَرْكِبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(٥) ، وقال ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَقًا﴾^(٦) .

وفي معاجم اللغة : المطابقة : الموافقة ، وقال ابن الأعرابي : الطَّبَق : الأمة بعد الأمة ، وقال الأصمعي : الطَّبَق ، بالكسر : الجماعة من الناس ، وقال ابن سيده : الطبق الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم ، وقول العباس في النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مضى عالم بدا طَبَق» فإنه أراد إذا مضى قَرْن ظهر قَرْن آخر ، وإنما قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتي طبق للأرض آخر^(٧) .

(١) سبقت ترجمته ص ١٠٦ .

(٢) رجال صحيح البخاري ٢/٦٧٨ .

وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق . انظر ترجمة الزهري المنفردة عنه بتحقيق شكر الله قوجاني ص ٤٧ .

(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولا هم ، المكي ، ثقة ، إمام في التفسير والعلم توفي في حدود سنة (١٠٣) وله ٨٣ سنة ، التقريب ص ٥٢٠ .

(٤) رجال صحيح البخاري ٢/٧٣٠ .

(٥) سورة الإنشقاق آية ١٩ .

(٦) سورة المللك آية ٣ ، سورة نوح آية ١٥ .

(٧) لسان العرب ١٠/٢٠٩-٢١١ ، وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣/٢٥٦ .

ومن هذا العرض الموجز لمعنى الطبقة عند العرب نتوصل إلى أن مدلولها .
في لغتهم : القوم المتشابهون .

وفي الاصطلاح : المراد بها التشابه في السن والأخذ عن المشايخ^(٤) .

وهذا الفن من المهمات ومن فوائده :

(١) الأمن من تداخل المشتبهين كالمفتقين في اسم أو كنية .

(٢) إمكان الإطلاع على تبين التدليس .

(٣) الوقوف على حقيقة المراد من العنينة^(٢) .

والباحث الناظر في هذا الفن يحتاج إلى معرفة المواليذ والوفيات ومن أخذوا عنه ومن أخذ عنهم ونحو ذلك^(٣) .

ومن المصنفات في هذا الباب « الطبقات الكبرى » لابن سعد^(٤) . والطبقات
« للإمام خليفة بن خياط »^(٥) . « والطبقات » لمسلم بن الحجاج^(٦) . قال الكتاني
كتب الطبقات هي التي تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ورواياتهم طبقة بعد
طبقة وعصراً بعد عصر إلى زمن المؤلف انظر سرده لكتب الطبقات^(٧) .

وللعلماء في ترتيب الطبقات مناهج متباينة^(٨) ، ومن المنظور العام نعلم أن
أول طبقات الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم « الصحابة رضوان الله
عليهم » يليهم التابعون كطبقة ثانية . ويعددهم أتباع التابعين « وهلمَّ جرّاً .

(١) فتح المغيث للعراقي ص ٤٧٤ ، فتح المغيث للسخاوي ٤/٣٩٤ .

(٢) فتح المغيث ، للسخاوي ٤/٣٩٤ .

(٣) علوم الحديث ، لابن الصلاح ، بتحقيق الطباخ ٤١٣ .

(٤) طبع في دار الفكر - بيروت .

(٥) بتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، نشر وتوزيع دار طبية الرياض .

(٦) بتحقيق الدكتور البندازي ، طبع في الكتب العلمية ، بيروت .

(٧) الرسالة المستطرفة ص ١٣٨ ، وانظر فتح المغيث للسخاوي ٤/٣٩٦ .

(٨) انظر تفصيل ذلك في « بحوث في تاريخ السنة المشرفة » للدكتور أكرم ضياء العمري ص ١٨٠ .

وكل طبقه من هذه الطبقات يمكن أن تقسم إلى أقسام أو طبقات عدة باعتبار كثرة لا تريد الإطالة بذكرها. وسأقتصر هنا على ذكر ما أثر عن الإمام الذهلي في طبقة الصحابة - وطبقات الرواة عن الزهري .

١ - طبقة الصحابة :

وللإمام الذهلي في شأن الصحابة رضوان الله عليهم جهود لا بأس بها، وفضل الصحابة رضي الله عنهم معلوم من الدين بالضرورة، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة بالثناء عليهم وذكر مناقبهم وفضائلهم، وقد اعتنى سلفنا الصالح بمعرفة الصحابة وحصر أسماءهم وطبقاتهم وتمييزهم عن غيرهم ممن لم تثبت له الصحبة، فليس من صحب النبي صلى الله عليه وسلم كمن من لم يصحبه، وأمر آخر يستدعي ذلك الجهد وهو تمييز الأحاديث المرفوعة من الموقوفة من المقطوعة .

ومن هذه الجهود :

(أ) **راوِ اُخْتَلَفَ فِي صَحْبَتِهِ وَفِي اسْمِهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا وَتَضَارَبَتِ الْأَقْوَالُ فِي اسْمِهِ وَفِي سَمَاعِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنِيهِ اضْطِرَابٌ كَثِيرٌ .**

قال الإمام المزي : « الحكم بن سفيان ، أو سفيان بن الحكم الثقفي ^(١) .

عن النبي صلى الله عليه وسلم « د س ق » في نضح الفرج بعد الوضوء ^(٢) .

(١) هو الحكم بن سفيان بن عثمان الثقفي ، وقيل سفيان بن الحكم ، قيل ليس له صحبة . انظر أسد الغابة ٢/ ٣٥ ، الإصابة ٢/ ٢٧٠ .

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة باب في الإنتضاح ١/ ١١٧ ، حديث ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، وأخرجه النسائي في الكبرى في الطهارة باب النضح ، ١/ ٨٦ ، حديث ١٣٤ ، ١٣٥ ، وأخرجه ابن ماجه في الطهارة باب ماجاء في النضح بعد الوضوء ١/ ١٥٧ ، حديث ٤٦١ ، وأخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤١٠ ، ٤/ ٦٩ ، ١٧٩ ، ٢١٢ ، ٥/ ٣٨٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ . قال الحافظ المنذري : اختلف في سماع الثقفي هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال النمرى (يعني ابن عبد البر حافظ المغرب) : له حديث واحد في الوضوء ، وهو مضطرب الإسناد ، وقال أبو عيسى الترمذي : واضطربوا في الحديث . مختصر سنن أبي داود ١٢٦/ ١٥٦ .

ولم يذكر رواية عنه غير مجاهد^(١) ثم ذكر الإضطراب الكبير في اسمه وفي تلقيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فالأقوال الأربعة الأولى عن مجاهد عنه عن أبيه ، والستة الباقية عن مجاهد عنه ليس فيها عن أبيه . . . وبعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) .

قال الإمام البخاري : وقال بعض ولد الحكم بن سفيان : لم يدرك الحكم النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) .

وروى الإمام أحمد عن أسود بن عامر قال : قال شريك : سألت أهل الحكم بن سفيان فذكروا أنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم^(٤) .

وقال الخلال عن ابن عيينة : الحكم ليست له صحبة ، وكذا نقله الترمذي في العلل عن البخاري^(٥) .

وقال ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه : الصحيح مجاهد عن الحكم بن سفيان عن أبيه ولأبيه صحبة^(٦) وكذا قال الترمذي في العلل عن [البخاري والذهلي] عن ابن المديني^(٧) .

وقد صحح أبو زرعة وإبراهيم الحربي أن له صحبة^(٨) .

وذكره ابن الأثير في « أسد الغابة في معرفة الصحابة »^(٩) وفي أمره إضطراب كثير .

(١) سبقت ترجمته ص ٥٠٨ .

(٢) تهذيب الكمال للإمام المزي ٩٤/٧ ، تهذيب التهذيب ٣٦٦/٢ .

(٣) التاريخ الكبير ٣٣٠/٢ ، تهذيب الكمال ٩٦/٧ .

(٤) المسند ٤١٠/٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ٣٦٦/٢ .

(٦) علل الحديث ٤٦/١ .

(٧) تهذيب التهذيب ٣٣٦/٢ ، علل الترمذي الكبير ترتيب أبي طالب القاضي ، تحقيق ودراسة حمزة ديب مصطفى ١٢٥/١ ، وانظر شرح العلل لابن رجب ٨٥٧/٢ ، بتحقيق د. همام ولم أجد فيهما ما ذكره ابن حجر عن الترمذي ويكفي توثيق ابن حجر للمعلومة .

(٨) علل الحديث لابن أبي حاتم ٤٦/١ ، تهذيب التهذيب ٣٦٦/٢ .

(٩) ٣٦/٢ .

وفي نهاية هذا العرض الموجز تبين لنا من نقل الإمام ابن حجر أن الإمامين البخاري والذهلي يميلان إلى ما نقلاه عن شيخهما علي ابن المديني . خاصة وأنه لم يرد منهما اعتراض عليه أو مخالفة ، وأن الأمر كما ذكر أبو حاتم أن اسمه الحكم بن سفيان وأن الصحبة لأبيه وليست له .

ب - صحابي اختلف في اسمه واسم أبيه وأكد الذهلي فيه قولاً .

روى ابن شهاب حديثاً عن عبدالله بن ثعلبة^(١) قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس قبل الفطري يوم أو يومين فقال : أدوا صاعاً من برٍّ أو قمح بين اثنين ، أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير ، على كل أحد صغير أو كبير^(٢) .

وقد اختلف أصحاب الزهري في اسمه مما سبب اعلال الحديث في سنده ، بالاضافة إلى وجود علة في متنه وسنعرض بشيء من التوسع لذلك في مبحث معرفته بعلة الحديث .

وهذا سرد إختلاف بعض أصحاب الزهري في تعيين اسمه مع ذكر قول الذهلي في ذلك "

أ - قال النعمان بن راشد^(٣) عن الزهري مرة فيما رواه عنه بالسند مسدد : ثعلبة ابن أبي صُعَيْر عن أبيه . وقال مرة فيما رواه عنه بالسند سليمان بن داود

(١) هو عبدالله بن ثعلبة بن صعير ، ولد عام الفتح ، قَاتِي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسح على وجهه وبرك عليه . توفي سنة (٨٩) . أسد الغابة ٣ / ١٩١ . وصُعَيْر بمهملتين مصغراً ، المغني في ضبط اسماء الرجال ، ص ١٥١ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣ / ٣١٨ .

(٣) النعمان بن راشد الجزري ، أبو إسحاق الرقي ، مولى بني أمية ، صدوق سعي الحفظ من السادسة . التقريب ص ٥٦٤ .

العتكي : عبد الله بن ثعلبة أو ثعلبة بن عبد الله ابن أبي صغير عن أبيه (١)

ب - وقال ابن جريج عن الزهري : عبد الله بن ثعلبة (٢)

ج - وقال بكر بن وائل (٣) عن الزهري : عبد الله بن ثعلبة بن صغير عن أبيه (٤)

وقد أورد الدارقطني صيغا كثيرة لتعيين راوي الحديث سنورها في مبحث

العلل .

ومن هذا التردد في اسم الصحابي بين (ثعلبة ابن أبي صغير ، أو عبد الله

بن ثعلبة ، أو ثعلبة بن عبد الله ابن أبي صغير ، جزم الإمام الذهلي انه (عبد الله بن ثعلبة)

فقال في علله : " وإنما هو عبد الله بن ثعلبة الخ " (٥)

ج - معرفته ببعض من شهد بداراً من الصحابة :

قال ابن الاثير : عمرو بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبدول الأنصاري

الخزرجي . المازني (٦) يكنى أبا داود ، ونسبه محمد بن يحيى الذهلي . وقال
شهد بداراً " (٧)

(١) رواه عنهما أبو داود في سننه (٢/ ٢٧٠) بإسنادهما إلى النعمان ، ورواه الإمام أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي عنه في شرح معاني الآثار ٢/ ٤٥ ، وكذلك الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٣٢ وقال فيه (عن ثعلبة ابن أبي صغير) .

(٢) رواه عنه عبيد الرزاق في المصنف في الأحاديث والآثار ٣/ ٣١٨ ، ورواه أحمد في المسند ٥/ ٤٣٢ وقال فيه عبد الله بن ثعلبة بن صغير .

(٣) هو بكر بن وائل بن داود التيمي ، الكوفي ، صدوق من الثامنة ، مات قديماً ، روى عن الزهري ، روى عنه أبوه . الثقات ٦/ ١٠٣ ، التقريب ص ١٢٧ .

(٤) رواه عنه الحاكم في المستدرک ٣/ ٢٧٩ .

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ١٦٨ ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد العظيم آبادي ، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ٥/ ٢٢ .

(٦) هو عمرو بن عامر بن مالك بن خنساء الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا داود . انظر أسد الغابة ٤/ ٢٤٨ .

(٧) أسد الغابة ٤/ ٢٤٨ .

وقد ذكره محمد بن إسحاق فيمن شهد بدرًا من بني مازن بن النجار ثم من بني خنساء ابن مبدول . ولكنه سماه " عمير " (١)

وذكره أبو عبد الله بن منده فقال : " عمرو بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبدول بن عمرو بن مازن بن النجار أبو داود المازني شهد بدرًا قاله محمد بن يحيى الذهلي (٢)

د - إتيانه بأنساب الصحابة على الوجه الصحيح :

قال أبو بكر ابن خزيمة : نا محمد بن يحيى ثنا الحميدي وثنا محمد بن عمرو ابن تمام المصري ، نا يوسف بن عدي قالا : ثنا مروان بن معاوية عن يحيى بن كثير الكاهلي عن مُسَوَّر بن يزيد الأسدي (٣) وقال محمد بن يحيى : الأسدي ، قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصلاة فترك شيئًا لم يقرأه ، فقال له رجل : يا رسول الله تركت آية كذا وكذا ، قال : " فهلا أدركتمونيها ؟ " زاد محمد بن يحيى فقال : كنت أراها نُسِختْ (٤)

وهنا خالف الإمام محمد بن يحيى الذهلي ، محمد بن عمرو بن تمام المصري في نسبة هذا الصحابي وتحت هذا النسب لم نجد السمعاني يذكر إلا

(١) السيرة النبوية للإمام محمد عبد الملك بن هشام ، باعتناء طه عبد الرؤوف مع تهذيبها الروض الأنف للإمام السهيلي ٩٨/٣ .

(٢) التقييد والإيضاح للعراقي ص ٣٢٩ بتحقيق الطباخ .

(٣) هو مسوّر بن يزيد الكاهلي . صحابي نزل الكوفة وكان قد شهد الصلاة التي سها فيها النبي صلى الله عليه وسلم أسد الغابة ١٧٦/٥ ، وقد ضبط ابن ماكولا مسوّر بضم الميم وفتح السين وتشديد الواو وفتحها ، الإكمال ٢٤٥/٧ . وانظر كذلك المغني في ضبط أسماء الرجال ص ٢٣١ ، التقريب ص ٥٣٢ .

(٤) صحيح ابن خزيمة ٧٣/٣ ، والحديث أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب « الفتح على الإمام في الصلاة » ٥٥٨/١ ، حديث رقم ٩٠٧ ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (حسن) ١٧١/١ .

الأسدي وهي بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وهي نسبة إلى الأزدي، فيبدلون
السين من الزاي .

والأسدي بفتح الألف والسين المهملة وهي نسبة إلى أسد، وهو اسم لعدة
قبائل، منهم أسد بن عبد العزى، وأسد بن خزيمه، وأسد بن ربيعة، وأسد بن
دودان، وأسد بن شريك^(١)

قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي شارح سنن أبي
داود : " والمالكي نسبة إلى بطن من بني أسد بن خزيمه " (٢)

وقد وافق الإمام الذهلي على صحة هذه النسبة عدد من الأئمة منهم : -

أ - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري فقال : " مسور بن يزيد الأسدي
المالكي " (٣)

ب - الأمير الحافظ ابن ماكولا فقال : " المسور بن يزيد المالكي الكاهلي
الأسدي له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم " (٤)

ج - الحافظ عز الدين ابن الأثير فقال : " المسور بن يزيد الاسدي ثم المالكي
يعد في الكوفيين له صحبة " (٥)

د - الحافظ ابن حجر العسقلاني فقال : «المسور بن يزيد الأسدي الكاهلي
نزل الكوفة له صحبة» . (٦)

(١) الأنساب ١/١٣٧ .

(٢) عون المعبود ٣/١٧٤ ، وكان أبو داود قد أورد نسبة المالكي في المسند بدلاً من الأسدي .

(٣) التاريخ الكبير ٨/٤٠ باب مسور .

(٤) الإكمال لابن ماكولا ٧/٢٤٥ باب مسور .

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/١٧٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٠/١٣٨ .

هـ - اعتناؤه بمعرفة أبناء الصحابة وأحفادهم :

قال الحافظ ابن عبد البر : قال محمد بن يحيى الذهلي سمعت أحمد بن حنبل يقول " وكذا كعب بن مالك " عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وفضاله ، ووهب ، ومعبد " .

قال محمد بن يحيى : وسمعت علي ابن المديني يقول : هم خمسة .

" عبيد الله بن كعب ، ومعبد بن كعب ، وعبد الرحمن بن كعب ، ومحمد بن كعب ، وعبد الله بن كعب " .

قال محمد بن يحيى : " فسمع الزهري من عبد الله بن كعب وكان قائد أبيه حين عمي ، وسمع من عبد الرحمن بن كعب وسمع من عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب قائد كعب ، وروى عن بشير بن عبد الرحمن بن كعب ولا أراه سمع منه " (١)

٢ - طبقات الرواة عن الزهري :

إعتنى الإمام الذهلي كما سلف ذكره إعتناءً بالغاً بالزهري والزهريات وعللها .

ولا شك أن له باعاً طويلاً في معرفة رجال الزهري وطبقاتهم وأحوالهم في القوة والضعف ، وإن كانت المصادر لم تسعفنا بالقدر الذي يتناسب مع جهود الذهلي وتبعاته وتحرياته زمناً طويلاً .

ومما لا شك فيه أن لطول الملازمة للشيخ وقصرها ، وممارسة حديثه من عدمها أثر كبير في تقديم بعض الرواة على بعض ، وبعض الأسانيد على بعض ، لذا نجد كبار النقاد يهتمون بتقسيم الرواة عن بعض الشيوخ إلى طبقات متفاوتة في طول الصحبة وقصرها ، وفي جودة التلقي والحفظ عنه ، وفي البراعة في الممارسة لحديثه وتمييزه ، الأمر الذي أعانهم على استخراج العلل والأوهام في رواياتهم ، وتمييز أهل الاضطراب والشذوذ والنكارة في أحاديثهم ، وعليه فقد قسم العلماء

(١) التمهيد ٥٥/١١ ، تسمية الأخوة الذين روي عنهم الحديث للإمام أبي داود السجستاني ص

طبقات الرواة عن الزهري إلى خمس طبقات متدرجة من القوة إلى الضعف وهذا سردهم على ما ذكره الحافظ ابن رجب رحمه الله قال :

الطبقة الاولى : جمعت بين الحفظ والإتقان وطول الصحبة للزهري ، والعلم بحديثه ، والضبط له ، كمالك وابن عيينة . وعبيد الله بن عمر ^(١) ومعمر ، ويونس ، ^(٢) وعقيل ^(٣) ، وشعيب ، وغيرهم وهؤلاء متفق على تخريج حديثهم عن الزهري .

الطبقة الثانية : أهل حفظ واتقان ، ولكن لم تطل صحبتهم للزهري وإنما صحبوه مدة يسيرة ، ولم يمارسوا حديثه ، وهم في إتقانه دون الطبقة الاولى كالأوزاعي ^(٤) والليث ، وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، والنعمان بن راشد ، ونحوهم وهؤلاء يُخَرِّجُ لهم مسلم عن الزهري .

الطبقة الثالثة : لازموا الزهري وصحبوه ، وروا عنه . ولكن تُكَلِّمُ في حفظهم كسفيان بن حسين ^(٥) ، ومحمد بن اسحاق ، وصالح ابن أبي الأخضر ^(٦) ، وزمعة بن صالح ^(٧) ونحوهم .

(١) هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب . ثقة ثبت ، من الخامسة . توفي سنة بضع وأربعين . التقريب ص ٣٧٣ .

(٢) هو يونس بن يزيد ابن أبي النُّجَّاد الأيلي ، مولى آل أبي سفيان . ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً ، توفي سنة ١٥٩ . التقريب ص ٦١٤ .

(٣) هو عُقَيْل بن خالد الأيلي ، مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، روى عن الزهري وعكرمة ، كان يصحب الزهري في السفر والحضر . الجرح والتعديل ٤٣/٧ .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحَمَّد ، عالم الشام ، وشيخ الإسلام ، قال الذهبي : كان الأوزاعي كبير الشأن ، مات سنة (١٥١) . السير ١٢٧/٧ .

(٥) هو سفيان بن حسين السلمي المعلم الواسطي ، يكنى أبا محمد ، قال يحيى بن معين : سفيان بن حسين ليس به بأس ، وليس من أكابر أصحاب الزهري ، الجرح والتعديل ٢٢٧/٤ .

(٦) هو صالح ابن أبي الأخضر ، يروي عن الزهري . وكان يخدمه ، قال أبو حاتم : لين الحديث مات سنة (١٤٠) التقريب ص ٢٧١ .

(٧) هو زمعة بن صالح ، روى عن عبد الله بن طاووس ، وعمرو بن دينار ، قال ابن معين : زمعة بن صالح يمان يكون بمكة ، ضعيف ، الجرح والتعديل (٦٢٤/٣) .

وهؤلاء يُخرج لهم أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وقد يخرج مسلم لبعضهم متابعة .

الطبقة الرابعة : « قوم رووا عن الزهري ، من غير ملازمة ، ولا طول صحبة ، ومع ذلك تُكلم فيهم ، مثل اسحاق بن يحيى الكلبي ، ومعاوية بن يحيى الصديقي ، وإسحاق ابن أبي فروة ، وإبراهيم بن يزيد المكي^(١) والمثنى بن الصباح^(٢) ونحوهم ، وهؤلاء قد يخرج الترمذي لبعضهم .

الطبقة الخامسة: قوم من المتروكين والمجهولين كالحكم الأيلي^(٣) وعبد القدوس بن حبيب^(٤) ومحمد بن سعيد المصلوب^(٥) وبحر السقا^(٦) ونحوهم .

فلم يخرج لهم الترمذي ، ولا أبو داود ، ولا النسائي ، ويخرج ابن ماجه لبعضهم ، ومن هنا نزلت درجة كتابه عن بقية الكتب ولم يعدّه من الكتب المعتمدة سوى طائفة من المتأخرين " أ. هـ^(٧)

(١) هو إبراهيم بن يزيد المكي ، الحوزي ، متروك الحديث ، سكن مكة ، توفي سنة (١٥١) . الجرح والتعديل ١٤٦/٢ . والحوزي يضم الخاء وكسر الراء ، نسبة إلى شعب الخوز بمكة ، الأنساب ٤١٦/٢ .

(٢) المثنى بن الصباح اليماني ، الأبنائي ، نزيل مكة ، ضعيف اختلط بأخيه . توفي سنة (١٤٩) . التقريب ص ٥١٩ .

(٣) هو الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي ، قال يحيى : ليس بثقة . الكامل ٢٠٢/٢ .

(٤) هو عبد القدوس بن حبيب الشامي ، متروك ، كذبه ابن المبارك وغيره . التاريخ الكبير (١١٩/٦) .

(٥) هو محمد بن سعيد المصلوب ، متهم بوضع الحدث ، ويقال إنه صلب على الزندقة . التاريخ الكبير ٩٤/١ ، التهذيب ١٨٤/٩ .

(٦) هو بحر بن كنيز الباهلي ، أبو الفضل البصري المعروف بالسقاء ، ضعفه أبو حاتم وابن معين ، قال ابن سعد : مات سنة (١٦٠) ، الجرح والتعديل ٤١٨/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٦٦/١ . والسقا ، بفتح السين والقاف نسبة لمن يسقي الناس الماء ، الأنساب ٢٦٢/٣ .

(٧) شرح علل الترمذي لابن رجب ٦١٣/٢ وانظر شروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي ص ٥٧ .

وفيما تحصل لي من معلومات ، وبالنظر لتقدم الإمام الذهلي الزمني على الإمامين الحازمي وابن رجب وغيرهما من المتأخرين الذين ذكروا هذه الطبقات الخمس وتوسعوا وفصلوا فيما ضيقه وأجمله المتقدمون . أجد أن العلامة البارع الذهلي قد قسم طبقات الرواة عن الزهري إلى طبقتين في غاية الشمول والإيجاز ، على منهج المتقدمين في تعريفاتهم وتقسيماتهم ، ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يتناول أصحاب الزهري بالتصنيف على الطبقات أحد ممن سبق الإمام الذهلي أو عاصره فيما اطلعت عليه من مصادر ، وفي هذا سبق له وتميز ، ساعده على ذلك تخصصه واعتناؤه البالغ بالزهري والزهريات .

وهذا ذكر الطبقتين على ما استنبطته .

الطبقة الأولى : طبقة أمل الحفظ والاتقان .

الطبقة الثانية : من نزل عن هذه الرتبة ، وتستغرق هذه المرتبة حتى الموصوفين بالضعف والاضطراب .

وهذا ذكر من صنفهم في الطبقتين على قلة عددهم . أعقبه بمن ذكر روايتهم عن الزهري بدون تصنيف على الطبقات *

١ - في الطبقة الأولى : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (١)

قال : " وابن جريج إذا قال حدثني وسمعت فهو محتج بحديثه داخل في الطبقة الأولى من أصحاب الزهري " (٢)

(*) صرفت النظر هنا عن مقارنة كلام الإمام الذهلي بكلام غيره من الأئمة في أصحاب الطبقات ، لأن في ذلك اختلافاً واسعاً سببه أولاً : تعدد مناهج العلماء في تصنيف الرواة ما بين متشددين ومتوسطين ومتساهلين ، وثانياً الاختلاف في وضع الطبقات ، مثال ذلك إسحاق بن يحيى الكلبي ، ذكره الذهلي في الطبقة الثانية في حين ذكره الحازمي وابن رجب في الطبقة الرابعة .

(١) سبقت ترجمته ص ١٦١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦ / ٣٦٠ .

٢ - في الطبقة الثانية :

١ - محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله الزهري . (١)

٢ - أسامة بن زيد (٢)

٣ - ابن إسحاق (٣)

٤ - ابن أويس (٤)

٥ - " فليح (٥) " (٦)

٦ - إسحاق بن يحيى الكلبي (٧)

ومن المفيد ذكره هنا قوله : " إذا اختلف أصحاب الطبقة الثانية كان المفضّل إلى الطبقة الأولى (٨)

وهناك رواية آخرون عن الزهري ذكرهم الذهلي وبين أحوال معظمهم في القوة والضعف ومنزلة رواياتهم . دون أن يصنفهم في إحدى المراتب وهم :-

١ - سليمان بن كثير العبدي (٩)

٢ - عبد الرحمن بن ثمر اليحصبي (١٠)

(١) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ . (٢) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ . (٣) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٤) هو عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي ابن عم مالك بن أنس ، وصهره على أخته ، قال أبو داود : صالح الحديث ، مات سنة (١٦٧) تهذيب التهذيب ٥/ ٢٤٥ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٦) ذكر خمستهم ابن حجر في ترجمته لمحمد بن عبد الله الزهري نقلاً عن العقيلي قال : « . . . وأما محمد بن يحيى فجعله في الطبقة الثانية من أصحاب الزهري مع أسامة بن زيد وابن إسحاق ، وابن أويس ، وفليح . قال : هؤلاء كلهم في حال الضعف والإضطراب » تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٨ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٤٥٥ . قال الإمام المزي : ذكره محمد بن يحيى الذهلي في الطبقة الثانية من أصحاب الزهري ، وقال : مجهول ، لم أعلم له رواية غير يحيى بن صالح الوحاظي ، تهذيب الكمال ٢/ ٤٩٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٨ .

(٩) انظر ماكتب عنه ص ٤٤١ .

(١٠) انظر ترجمته وماذكر عنه ص ٤٢٨ .

٣ - عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي (١)

٤ - ابن أبي ذئب (٢)

٥ - ابن أبي عتيق (٣)

٦ - يونس بن يزيد (٤)

٧ - شعيب ابن أبي حمزة (٥)

٨ - سعيد بن عبد العزيز (٦)

٩ - سليمان بن داود (٧) (٨)

١٠ - الوليد بن محمد المقرئ (٩)

١١ - عبد الرحمن بن يزيد بن تميم (١٠)

١٢ - إبراهيم بن سعد الزهري (١١)

(١) انظر ترجمته وماذكر عنه ص ٤٨٥ .

(٢) و(٣) انظر ترجمتهما وماذكر عنهما ص ٤٨٦ - ٤٨٩ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٥١٧ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٦٩ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٤٥٥ .

(٨) ساق الإمام العقيلي حديث الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في الدييات . من

طريق هؤلاء الأربعة : يونس ، وشعيب ، وسعيد بن عبد العزيز ، وسليمان بن داود ، عنهم عن

الزهري . ثم أورد تعليق الإمام الذهلي على رواياتهم قال : قال محمد بن يحيى : لم يسند

الحديث يونس ، ولا شعيب ، ولا سعيد بن عبد العزيز ورواه سليمان بن داود بطوله

. . . الخ «الضعفاء الكبير ٢/ ١٢٧-١٢٨ .

(٩) و(١٠) انظر ترجمتهما وماذكر عنهما ص ٢٤٢ .

(١١) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

ثالثاً : معرفته بالاخوة والأخوات :

هذا الفن من العلوم العزيزة والمهمة ، وفائدة ضبطه الأمن من ظن من ليس بأخٍ أخاً للإشتراك في اسم الأب أو ظن الغلط . (١)
وقد صنّف فيه الأئمة علي ابن المديني ، وأبي داود (٢) ، ومسلم بن الحجاج ، والنسائي وأبي العباس السراج (٣) والجعابي ثم الدمياطي (٤)
وأورد جملة منهم أبو عبد الله الحاكم في معرفة علوم الحديث تحت النوع السادس والثلاثين (٥)

ومن مشاركات الإمام الذهلي في هذا المضمار ما يلي :

أولاً : أمثلة للإثنين من الأخوة

أ - يعقوب بن إبراهيم بن سعد (٦) ، وسعد بن إبراهيم بن سعد (٧)

قال أثناء التعريف بيعقوب وروايته :

-
- (١) معرفة علوم الحديث ١٥٣ ، فتح المغيث للسخاوي ١٧٢/٤ .
(٢) إستقى د . باسم فيصل الجوابره من بعض كتب ابن المديني وبالأخص : « تسمية من روي عنه من أولاد العشرة وغيرهم » . الفصل الأول منه ، ما كون مادة كبيرة في هذا الموضوع وضم إليه كتاب « تسمية الإخوة الذين روي عنهم الحديث » لأبي داود السجستاني ، وحققهما واستدرك عليهما جميعاً تحت اسم " الرواة من الإخوة والأخوات " للإمامين رحمهما الله ، ونشرته دار الراية بالرياض عام ١٤٠٨ هـ .
(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمته ص ١٨٧ .
(٤) فتح المغيث للسخاوي ١٧٢/٤
(٥) معرفة علوم الحديث ص ١٥٣ .
(٦) هو يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، من أهل المدينة ، سكن العراق ، ثقة فاضل ، مات بقم الصلح سنة (٢٠٨) . الثقات ٢٨٤/٩ ، التقريب ص ٦٠٧ . والصلح نهر كبير فوق واسط ، معجم البلدان ٢٧٦/٤ .
(٧) هو سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، يروي عن أبيه ، ثقة ولي قضاء واسط ، مات ببغداد سنة (٢٠١) . الثقات ٢٨٣/٨ ، التقريب ص ٢٣٠ .

وكان قد سمع هو وأخوه سعد الكتب ، فمات أخوه قبل أن يكتب عنه كثيراً جداً ، وبقي يعقوب فكتب عنه الناس فوجدوا عنده علماً جليلاً .^(١)
 ب - أبو نبيه ابن إبراهيم التيمي^(٢) ، محمد بن إبراهيم التيمي^(٣)
 - قال أبو داود في تسمية الاخوة

سمعت محمد بن يحيى بن فارس يقول : أبو نبيه الذي حدثني عنه ابن إسحاق في الإزار^(٤) عن عائشة هو « أخو » محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي^(٥)

ج - إسحاق بن راشد^(٦) ، والنعمان بن راشد^(٧) الجزريان .
 قال ابن حجر : ومن جزم أن إسحاق والنعمان أخوان الذهلي وابن حبان وأبو زرعة وأبو داود .
 فقال الذهلي : صالح ابن أبي الاخضر^(٨) ، وزمعة بن صالح^(٩) ،
 ومحمد ابن أبي حفصة^(١٠) في بعض حديثهم اضطراب ، والنعمان وإسحاق^(١١) ابنا " راشد الجزريان أشد اضطراباً

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٤ .

(٢) هو أبو نبيه ابن إبراهيم التيمي ، روى عنه محمد بن إسحاق . التاريخ الكبير . الكنى ٧٧/ ٨ ، الثقات ٥٧١/ ٥

(٣) هو محمد بن إبراهيم التيمي الحافظ ، من علماء المدينة ، مع سالم ونافع ، قال ابن سعد : كان فقيهاً محدثاً ، السير ٥/ ٢٩٤ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥٨/ ٦ عن أبي نبيه سمعت عائشة تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تحت الكعب من الإزار في النار . وأصل الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب اللباس ، باب ما أسفل الكعبين فهو في النار ٧/ ٤٤ ، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار » .

(٥) تسمية الاخوة الذين روي عنهم الحديث لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق د . باسم الجوابرة ص ١٩٦ .

(٦) هو إسحاق بن راشد الجزري ، من أهل حرّان ، يروي عن الزهري ، روى عنه موسى بن أعين ، الثقات ٥١/ ٦ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٥١٢ . (٨) سبقت ترجمته ص ٥١٧ . (٩) سبقت ترجمته ص ٥١٧ .

(١٠) هو محمد ابن أبي حفصة ميسرة ، أبو سلمة البصري ، صدوق يخطئ ، روى عنه الثوري وابن المبارك ، تهذيب التهذيب ٩/ ١٠٨ ، التقريب ص ٤٧٤ .

(١١) تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٠ .

د - عبد الله ابن أبي مليكة^(١) ، وأبو بكر ابن أبي مليكة^(٢)

قال أبو داود : عبد الله ابن أبي مليكة ، وأبو بكر ابن أبي مليكة وهما ابنا عبيد الله بن عبد الله ابن أبي مليكة كذا قال علي .

قال أبو داود : سمعت محمد بن يحيى بن فارس ذكر معناه إلا أنه قال :

" أبو عبد الله ابن أبي مليكة لم يذكر بينهما عبد الله " ^(٣)

ثانياً : أمثلة للثلاثة من الإخوة

أ - عبد الله^(٤) ، عبيد الله^(٥) ، محمد^(٦) " بنو عبد الله بن الحارث بن نوفل " ^(٧)

قال محمد بن يحيى الذهلي : لعبد الله بن الحارث بن نوفل ثلاثة بنين " عبد الله وعبيد الله ومحمد بنو عبد الله بن الحارث بن نوفل " ^(٨)

ويؤيد كلام الذهلي ما ذكره ابن عبد البر عن أحمد بن صالح . قال : روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث ، وعن عبد الله بن عبد الله بن الحارث ، وعن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل وهؤلاء كلهم أخوة " ^(٩)

(١) هو عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة واسمه زهير التميمي المدني ، أدرك ثلاثين من الصحابة ، مات سنة (١١٧) . السير ٨٨/٥ .

(٢) هو أبو بكر ابن أبي مليكة المكي ، مقبول من الثلاثة ، قال الحافظ : هو أخو عبد الله ، تهذيب ٣٦/١٢ .

(٣) تسمية الأخوة ص ٢٠٩

(٤) هو عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، أبو يحيى المدني ، ثقة ، مات سنة (٩٩) . التقريب ص ٣٠٩ .

(٥) هو عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، يروي عن أم هاني ، روى عنه الزهري . الثقات ٧٠/٥ .

(٦) هو محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، يروي عنه عمر بن عبد العزيز ، المدني ، مقبول ، من الثلاثة . الجرح والتعديل ٣٠٦/٧ ، الثقات ٣٥٥/٥ .

(٧) هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، لقبه ، بَيْه ، وكان أصم ، خرج مع ابن الأشعث فلما هزم ، هرب إلى عمان ، فمات سنة (٦٢) المعارف لابن قتيبة ص ١٢٧ .

(٨) التمهيد ، لابن عبد البر ٣٤١/٨

(٩) نفس المصدر السابق .

وقد أورد الحافظ ابن عبد البر بعد كلام الذهلي السابق أحاديث عدة وكلاماً طويلاً عن محمد بن عبد الله بن الحارث ، وعندما ترجم لعبد الله بن عبد الله ابن الحارث ، أشار لعبيد الله ومحمد ، ومعرفة أهل الأثر والنسب بهما ، وأضاف أخوين آخرين عن أهل النسب هما الصلت ^(١) بن عبد الله بن الحارث بن نوفل . كان من رجال قريش وكان فقيهاً وكان له حظ من العلم ، وعون ^(٢) بن عبد الله بن الحارث .

ثم قال ابن عبد البر : فأما قول الذهلي بأنَّ بيه ^(٣) كان له ثلاثة بنين فإنما أخذه من الأحاديث ولم يطالع ما قاله أهل النسب ، والله اعلم ^(٤)

قلت : يبدو أن تعليق ابن عبد البر على الذهلي لكونه لم يذكر الأبناء الآخرين . ولا غضاضة في ذلك على الذهلي ، لأن كل متحدث يورد ما وصل إليه علمه ، ولعله استنبط أولئك من الأحاديث كما قال ابن عبد البر ولكنه لم ينف غيرهم . . . ولولا متابعة العلماء والاستدراك على بعضهم البعض لما غمى العلم وترعرع وأفاد . فابن عبد البر قبل قليل يستدرك بأخوين آخرين ، وهذا الإمام الذهبي يستدرك بأخ غيرهما وهو إسحاق ، قال في السير في ترجمة أبيه عبد الله ابن الحارث : حدث عنه " ابنه " إسحاق وعبد الله ، ووافق ابن عبد البر في إضافة " عبد الله ، ومحمد وعون " ^(٥) فرحم الله الجميع .

(١) هو الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، مقبول من السادسة ، كان الصلت فقيهاً عابداً .

طبقات ابن سعد ٣١٧/٥ ، الجرح والتعديل ٤٣٦/٤ ، التاريخ الكبير ٢٩٩/٤ .

(٢) هو عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، روى عنه أبو معشر فجيح ، ذكره أبو داود السجستاني في كتابه تسمية الإخوة ، ص ١٨٦ .

(٣) هو لقب لعبد الله بن الحارث بن نوفل ، انظر نزهة الالباب في الألقاب ١١١/١

(٤) التمهيد ٨/٣٦٤ ، ٣٦٥

(٥) السير ١/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢

ثالثاً : مثال للأربعة من الأخوة

إسماعيل بن جعفر (١) ، ومحمد بن جعفر (٢) ، ويحيى بن جعفر (٣) ، وكثير بن جعفر (٤) ، بنو أبي كثير .

قال أبو داود : إسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن جعفر ابن أبي كثير

قال أبو داود : قال محمد بن يحيى بن فارس : ويحيى بن جعفر ، قال :

يحيى أقدمهم

قال محمد بن حزم : " وكثير بن جعفر ، روى له ابن كاسب " (٥)

(١) هو إسماعيل بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري ، ثقة ، روى عن مالك ، مات سنة (٨٠) . الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، للخليلي ١/٢٢٨ .

(٢) هو محمد بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري ، من أهل المدينة ، ثقة ، من السابعة ، الثقات ٧/٤٠٢ .

(٣) هو يحيى بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري ، يعد في أهل المدينة . التاريخ الكبير ٨/٢٦٥ ، الثقات ٧/٥٩٦ .

(٤) هو كثير بن جعفر ابن أبي كثير مولى بني زريق الأنصاري ، روى عن أبي طوالة ، الجرح والتعديل ٧/١٥٠ .

(٥) تسمية الأخوة ، لأبي داود السجستاني ص ٢٠٧ .

إستدراك :

يلحق بما ذكره الإمام الذهلي عن الأخوة مباشرة ، ما ذكره عن مشايخه نقلاً عنهم ، وقد ساق إلينا رحمه الله تعالى عن شيخه علي ابن المديني ، وأحمد بن حنبل ، ما يصلح أن يكون مثالاً للخمسة من الأخوة ، والستة منهم كذلك ، وهم أبناء أحد الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن في عرض الشيخين بعض الاختلاف .

أولاً : مثال للخمسة من الأخوة :

قال الحافظ ابن عبد البر : قال محمد بن يحيى : سمعت علي ابن المديني يقول هم خمسة : عبيد الله بن كعب (أ) ، ومعيد بن كعب (ب) ، وعبد الرحمن بن كعب (ج) ، ومحمد بن كعب (د) ، وعبد الله بن كعب (هـ) « (و) »

(أ) هو عبيد الله بن كعب بن مالك ابن أبي القين السلمي الأنصاري ، عداؤه في أهل المدينة . الثقات ٥/٧٣ والسلمي يفتح السين واللام نسبة إلى بني سلمة حي من الأنصار ، الأنساب ٣/٢٨٠ . =

رابعاً - معرفته برواية الآباء عن الأبناء

قال الإمام السخاوي : وهما نوعان مهمان ، وفائدة ضبط أولهما الأمن من ظن التحريف الناشيء عنه كون الابن أباً (١) .

وقد صنف فيه الخطيب البغدادي كتاباً سماه " رواية الآباء عن الأبناء " (٢)

ومن أمثلته :

رواية سليمان بن طرخان التيمي (٣) عن ابنه معتمر (٤) لحديثين ، وعند الخطيب من رواية معتمر قال : حدثني أبي قال : حدثتني أنت عني عن أيوب -

= (ب) هو معبد بن كعب بن مالك الأنصاري ، المدني ، مقبول ، من الثالثة ، التقريب ص ٥٣٩ .

(ج) هو عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري ، أبو الخطاب المدني ، قال ابن سعد ، كان ثقة ، تهذيب التهذيب ٢٣٣/٦ .

(د) هو محمد بن كعب بن مالك الأنصاري ، السلمي بالفتح ، المدني ، ثقة ، من الثالثة . التقريب ص ٥٠٤ .

(هـ) هو عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، ثقة ، يقال له رؤية . التقريب ص ٣١٩ .

(و) التمهيد ٥٥/١١ ، تسمية الاخوة ص ١٩٥ .

ثانياً : مثال للسته من الأخوة :

ويسرد لنا الإمام الذهلي أبناء كعب بن مالك عن شيخ آخر وهو الإمام أحمد بن حنبل ولكن باختلاف يسير ، فيذكر الأربعة السالفين الذين ذكرهم الإمام علي ابن المديني ما عدا محمد بن كعب ويضيف إليهم ، فضالة ووهب .

قال ابن عبد البر قال محمد بن يحيى الذهلي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : " ولد كعب ابن مالك " عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وفضالة (أ) ، ووهب (ب) ، ومعبد (ج)

(أ) لم أجد ترجمته في كتب التراجم المشهورة ، وأخشى أن يكون هناك وهماً .

(ب) لم أجد ترجمته في كتب التراجم المشهورة ، وأخشى أن يكون هناك وهماً .

(ج) التمهيد ٥٥/١١ .

(١) فتح المغيث ١٨٠/٤

(٢) إرشاد طلاب الحقائق للإمام النووي ٦٣٢/٢ ، فتح المغيث للمراقي ٣٧٨

(٣) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

هو السخيتاني^(١) - عن الحسن - هو البصري^(٢) أنه قال : ويح كلمة رحمة - قال ابن الصلاح : وهذا طريق يجمع أنواعاً ، يعني . . . " كرواية الآباء عن الأبناء وعكسه ، والأكابر عن الأصاغر ، والمدبج ، والتحديث بعد النسيان ، واجتماع ثلاثة من التابعين في نسق " ^(٣)

وقد ساق الحافظان العراقي والسخاوي أمثلة على رواية الآباء عن أبنائهم ومن ذلك قولهما " ومحمد بن يحيى الذهلي عن ابنه يحيى " ^(٤) ولعل أوضح مثال لذلك ما ذكره أبو عبد الله الحاكم من رواية الذهلي عن ابنه يحيى .

قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب : قال ثنا أبو عمرو المستملي قال حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثني ابني أبو زكريا الخ ^(٥) ومما ذكره الذهلي في هذا المجال ، بيانه دوران حديث إبراهيم بن سعد الزهري^(٦) على ابنه يعقوب^(٧) حيث قال : روى عن الزهري ، وعن أصحاب الزهري عنه ، وكثرت روايته لحديث الزهري وأغرب عنه ، ومدار حديثه على ابنه يعقوب بن إبراهيم . الخ ^(٨)

(١) سبقت ترجمته ص ٤٦٧ .

(٢) هو الحسن ابن أبي الحسن ، واسم أبيه « يسار » . كانت أمه مولاة أم سلمة أم المؤمنين ، مات سنة ١١٠ . المعارف لابن قتيبة ، ص ٤٤١ .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ١٨١/٤ ، مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠١ ، إرشاد طلاب الحقائق ٦٣٣/٢ ، فتح المغيث للعراقي ص ٣٧٨

(٤) فتح المغيث للعراقي ص ٣٧٩ ، فتح المغيث للسخاوي ١٨١/٤

(٥) معرفة علوم الحديث ص ٢١٨ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٥٢٢ .

(٨) تهذيب الكمال ٣٢/٣١٠ ، السير ٩/٤٩٢ .

خامساً - معرفته برواية الأبناء عن الآباء :

وهو عكس الأول وأكثر منه ، ورواية الرجل عن أبيه عن جده من المعالي ، كما قال أبو القاسم منصور بن محمد العلوي : الإسناد بعضه عوال ، وبعضه مقال ، وقول الرجل حدثني أبي عن جدي من المعالي " (١)

بل قال مالك قبله في قوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ (٢) : وهو قول الرجل حدثني أبي عن جدي . (٣)

وأهم ما في هذا النوع ما إذا أبهم اسم الأب أو الجد وهو قسمين :-

١ - القسم الاول : أن تكون الرواية عن أبيه فقط دون جده كرواية " أبي العشراء الدارمي (٤) عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن أباه لم يسم في طريق الحديث ، واختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال أشهرها أنه " أسامة بن مالك بن قهطم (٥)

٢ - القسم الثاني : أن يزيد فيه بعد ذكر الأب أباً آخر فيكون جداً للأول أو يزيد جداً للأب - فمثال زيادة الأب رواية « بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فحكيم هو ابن معاوية بن حيدة القشيري ، فالصحابي هو معاوية وهو جد بهز .

(١) فتح المغيـث للعراقي ، ص ٣٨٠ .

(٢) سورة الزخرف آية ٤٤

(٣) فتح المغيـث ، للسخاوي ١٨٧/٤ ، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، تصحيح أحمد البردوني ٩٣/١٦ ، وأحكام القرآن لابن العربي ، تحقيق علي البجاوي ١٦٨٣/٤ وقال بعد ذكره قول مالك السالف : ولم أجد في الإسلام هذه المرتبة إلا ببغداد فإن بني التميمي بهايقولون : حدثني أبي ، قال : حدثني أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك شرفت أقدارهم وعظم الناس شأنهم وتهمت الخلافة بهم . أ. هـ

(٤) قيل اسمه أسامة بن مالك بن قهطم ، وقيل عطارد وقيل يسار وقيل سنان بن برز أو بلز ، وقيل اسمه بلاز بن يسار وهو أعرابي مجهول من الرابعة / التقريب ص ٨٨ .

(٥) فتح المغيـث للعراقي ، ص ٣٨٠ ، فتح المغيـث للسخاوي ١٨٨/٤ .

ومثال زيادة الجذ رواية " عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وشعيب هو ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فالصحابي هو عبد الله بن عمرو وهو جد شعيب " (١)

ومما يذكر عن الإمام الذهلي في هذا النوع : ما نقله البرذعي عنه في سؤالاته له قال : قلت : (وبشر ابن أبي حمزة) (٢) سمع الكتب من أبيه ، أو هي إجازة ؟ فقال ما أدري إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي " (٣) ومما يمكن ذكره هنا :

- معرفته بالصحيح من أسماء أبناء الرواة عن آبائهم .
ومنهم عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق . (٤)

قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس النيسابوري حدثنا محمد بن سنان حدثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم عن (بن) * عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله ابن أبي الحمساء .

قال : " بايعت النبي صلى الله عليه وسلم بيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه ، فنسيت فذكرت (ثم ذكرت) بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه ، فقال ، يا فتى لقد شققت عليّ ، أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر " .

قال أبو داود : قال محمد بن يحيى (هذا عندنا عبد الكريم بن عبد الله بن

شقيق)

قال أبو داود : هكذا بلغني عن علي بن عبد الله (٥)

(١) فتح المغيث ، للعراقي ٣٨١ ، فتح المغيث ، للسخاوي ١٨٨/٤

(٢) هو بشر بن شعيب ابن أبي حمزة سبقت ترجمته ص ١٤٥ .

(٣) الضعفاء وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٧٤٦/٢٣

(٤) هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق العُقَيْلي ، البصري ، مجهول ، من السادسة . التقريب

ص ٣٦١ . المغني في ضبط أسماء الرجال ، ص ١٤٤ ، الأنساب ٢١٨/٤ .

(*) ما بين القوسين إضافة من الباحث ، لضرورة عرض المسألة بجميع الأقوال .

(٥) هو ابن المديني سبقت ترجمته ص ١٧١ .

قال أبو داود : بلغني أن بشر بن السري^(١) رواه عن عبد الكريم بن عبد الله ابن شقيق^(٢)

هذه الفائدة عن الإمام الذهلي تدل على تمكنه الكبير من معرفة الرواة والأسانيد ، ولعل أحد النقلة لهذا الحديث المتقدمين قد أخطأ في إسناده مما سبب أوهاماً وقع فيها بعض الرواة ، وكان هذا التنصيص من الإمام الذهلي على ما صح عنده من إسم هذا الراوي ، حاثلاً دون إستمرار الوهم والاختلاف وقد صوب الأئمة ما ذهب إليه وسيأتي إثبات ذلك .

ومما يستأنس به فيما ذهب إليه الإمام الذهلي ، ما سبق وأن أشار إليه الإمام أبو داود عن الإمامين علي بن عبد الله ، وبشر بن السري أنه بلغه عنهما مثل ما قال الإمام الذهلي .

وقد استظهر العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مما بلغ الامام أبي داود عن الامامين السالفي الذكر ومن كلام الامام المنذري^(٣) الآتي أن الصحيح (عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق) .

قال المنذري : " أخرجه من حديث إبراهيم بن طمهان عن بديل عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله ابن أبي الحمساء ، وقال : قال محمد بن يحيى : هذا عندنا عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق .

وقال أبو علي سعيد بن السكن في كتاب الصحابة له ، روى حديثه إبراهيم ابن طمهان عن بديل بن مسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبيه ، ويقال عن بديل عن عبد الكريم المعلم ، ويشبه أن يكون قول ابن السكن الصواب . وعبد الكريم المعلم هو ابن أبي الخارق لا يحتج بحديثه . انتهى كلام المنذري .^(٤)

(١) هو بشر بن السري ، البصري ، الأفوه ، نزيل مكة ، كان فصيحاً بالمواعظ ، مفوهاً ذا صلاح وقال أحمد : كان متقناً للحديث عجباً . توفي سنة (١٩٥) . شذرات الذهب ١/٣٤٣ .

(٢) سنن أبي داود ٥/٢٦٩ ، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/١٩٨ .

(٣) هو الامام العلامة المحقق ، زكي الدين أبو محمد ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي ، كان متين الديانة ، ذا نُسك وورع ، توفي سنة (٦٥٦) . السير ٢٣/٣١٩ .

(٤) عون المعبود ١٣/٣٤١ .

والذي ذهب إليه العلامة أبي الطيب من بلاغي أبي داود عن ابن المديني وابن السري ، الأظهر أنه يؤيد ما قاله الإمام الذهلي (أن الصواب عن عبد الكريم ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه) وأما كلام الإمام المنذري فغاية ما فيه ما نقل عن ابن السكن أن للحديث عن بديل طريقان ، الأول عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن أبيه ، والثاني عن بديل عن عبد الكريم المعلم ، ثم لم يجزم بصواب قوله بل اشتبه بتصويبه ، يضاف إلى ذلك صيغة التضعيف في الطريق الثاني (يقال) .

وهذه مقتطفات من كلام أئمة هذا الشأن في صواب ما ذهب إليه الذهلي ولم أراعي التسلسل الزمني للأئمة لضرورة المقدمات والنتائج .

أولاً : الإمام جمال الدين المزني .

قال في ترجمة الصحابي عبد الله ابن أبي الحمساء (١) : " له حديث واحد مختلف في إسناده ، رواه بديل بن ميسرة (د) عن عبد الكريم ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه ، عنه . وقيل : " عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه ، عنه ، وهو الصواب إن شاء الله " (٢)

وفي ترجمة عبد الله بن شقيق العقيلي أورد الإمام المزني ابنه عبد الكريم ضمن الرواة عنه ورمز أمامه بحرف (د) إشارة لسنن أبي داود راوي الحديث . (٣)

ثانياً : الإمام البزار (٤)

قال : " أظن هذا خطأ من الناقل - يعني قوله من قال : عن عبد الكريم ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه - قال : لأن شقيقاً والد عبد الله بن شقيق

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله ابن أبي الحمساء العامري ، عداده في البصريين ، وقيل سكن مكة . أسد الغابة لابن الأثير ٢١٧/٣ .

(٢) تهذيب الكمال ٤٣٣/١٤ ، وتهذيب التهذيب ١٦٨/٥

(٣) تهذيب الكمال ٩١/١٥ ، وانظر تهذيب التهذيب ٢٢٣/٥

(٤) هو الشيخ الإمام ، الحافظ ، أبو بكر ، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، البصري ، البزار ، صاحب المسند الكبير الذي تكلم على أسانيده ، قال الدارقطني : ثقة يخطئ ، مات سنة (٢٩٢) السير

جاهلي لا أعلم له إسلاماً ، وإنما هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه ،
..... الخ " (١)

وحجة الإمام البزار في ذلك قوية لأن شقيق لا مكان له في معاجم
الصحابة، ومنها على سبيل المثال : " أسد الغابة لابن الاثير ، والإصابة لابن
حجر ، ، والإستيعاب لابن عبد البر " وفيها الغناء والكفاية .

ثالثاً : الإمام البخاري :

قال في ترجمة شقيق :

٢٦٨٢ - شقيق (٢) والد عبد الله بن شقيق العقيلي عن عبد الله ابن أبي
الحمساء عن النبي صلى الله عليه وسلم : انتظرتك منذ ثلاث - قاله لي محمد
بن يوسف نا محمد بن سنان نا إبراهيم بن طمهان عن عبد الكريم بن عبد الله بن
شقيق عن أبيه عبد الله " (٣)

رابعاً : ابن حجر العسقلاني :

في ترجمته للمصحابي الجليل عبد الله ابن أبي الحمساء أشار إلى أن أبا داود
والبزار أخرجا حديثه هذا وتبين أن الطريق هو : " عبد الكريم بن عبد الله بن
سفيان (٤) عن أبيه عنه الخ " (٥)

(١) نقلاً عن تهذيب التهذيب ٤٣٤/١٤ وانظر تهذيب التهذيب ١٦٨/٥

(٢) ترجمة البخاري لشقيق توهم ظاهراً أنه هو الراوي عن ابن أبي الحمساء ، الأمر الذي يتقضى
حجة البزار السابقة وما أثبت من عدم وجوده ضمن الصحابة ، ولكنه يزيل هذا الإيهام بقوله
: عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عبد الله ، ولعله أورد الترجمة ليشير إلى وجود
الاختلاف وقيام أوجه الاحتمال .

(٣) التاريخ الكبير ٢٤٦/٤ .

(٤) هذا تصحيف يخالف ما ثبت عنه رحمه الله في تهذيب التهذيب في ترجمه عبد الكريم بن عبد الله
ابن شقيق ٣٣٣/٦ ، وفي ترجمة شقيق العقيلي ٣١٨/٤ وفي ترجمة ابن أبي الحمساء ١٦٨/٥
وقد يكون خطأ في الطباعة .

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٦٠/٦) .

وفي ترجمته لعبد الكريم قال : روى عن أبيه حديث عبد الله ابن أبي
الجمساء . . . الخ^(١)

**خامساً : أشار العلامة محمد أيوب السهارنبوري في ترجمة
عبد الله بن شقيق إلى رواية ابنه عبد الكريم عنه .**

قال : وعنه ابنه عبد الكريم .^(٢)

ويلاحظ أن ما ذهب إليه الأئمة في هذه المقتطفات عليه سمة الترجيح
والتصويب ، لا التأرجح والخلاف كالذي أشار إليه منهم المزي وابن حجر عندما
ترجما لعبد الله بن شقيق فقالا : " روى عن . . . وأبيه شقيق العقيلي على
خلاف في ذلك " ^(٣)

وكتحفظهما من إطلاق محفوظية ذلك عندما ترجما لأبيه شقيق العقيلي .
فقالا : " روى عنه ابنه عبد الله إن كان محفوظاً " ^(٤)

ومكان هذه الفائدة أولى أن يكون في العلل ، ولكن فيها ما يفيد إثبات
رواية الابن عن أبيه ، وورود الخلاف في ذلك على ضعفه لا يضير والله
أعلم .

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٣٣ .

(٢) تراجم الأبحار من رجال شرح معاني الآثار ٢/ ٢٧٩ .

(٣) تهذيب الكمال ١٥/ ٩٠ - تهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٣ .

(٤) تهذيب الكمال ١٢/ ٥٥٨ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٨ .

المطلب الثاني

معرفته بعلوم أسماء الرواة ونحوها

تمهيد :

هذا المطلب في غاية الأهمية ، إذ أنه يحيط بعلوم أسماء الرواة ، والإحاطة بهذه العلوم لا بد منها للمتعرض لدراسة الحديث النبوي الشريف ؛ لأنه يقوم بأمرين أساسيين :

١ - السند : وهو سلسلة الرجال الموصلة للمتن .

٢ - المتن : وهو ما ينتهي إليه السند من الكلام .

فالأول منهما وهو رواية الحديث قد يخطيء فيه كبار أئمة المحدثين ، بله من دونهم . . . فأعدادهم تصل للألوف بل مئات الألوف بدءاً من الصحابة رضوان الله عليهم ثم التابعين ثم تابعيهم ، وهكذا إلى عصور متطاولة تشرفوا بأسرهم بالانضمام لموكب الاسناد المبارك الذي لم تحظى به أمة في الزمن الغابر ولا الوقت الحاضر إلا الأمة الإسلامية .

وطبعي ، بل ولا بد أن تتفق أسماء رواة وأسماء آبائهم خطأً ولفظاً وتختلف أشخاصهم ، أو أسمائهم وكناهم وأنسابهم . . . فيجب حينئذ التفريق بينهم وهو ما يسمى بعلم المتفق والمفترق .

وقد تتفق الأسماء أو الألقاب أو الكنى أو الانساب خطأً ، وتختلف لفظاً ، فيتعين البيان وقتها وهو ما يسمى بالمؤتلف والمختلف .

وقد يوصف راو بأسماء وألقاب أو كنى مختلفة ، فيظنه بعضهم أشخاص متعددون وهو شخص واحد ، وهناك رواية اشتهروا بكنائهم فالبحث عن أسمائهم وارد حتى لا يظن أن أحدهم شخصان إذا اجتمع الاسم والكنية .

وقس على ذلك باقي علوم الرواة والتي تصل إلى ثيف وعشرين علماً^(١) صنف فيها العلماء المصنفات وبينوا لجمهور طلاب الحديث ما التبس واختلط

(١) انظر لمعرفة حصرها تيسير مصطلح الحديث د. محمود الطحان ص ١٩٦ الفصل الثاني معرفة الرواة، ومنهج النقد في علوم الحديث د. نور الدين عتر، الفصل الثاني في العلوم التي تبين شخص الراوي.

على غيرهم ، وتصيب هذه الجهود في ساحة الأمن من الظن غير اللائق ، والوقوع في الأخطاء الجسام نتيجة عدم التحري في أسماء الرواة .

يقول الحافظ ابن الصلاح مبيناً أهمية معرفة الأسماء والكنى : لم يزل أهل العلم بالحديث يعتنون به ويتحفظونه ويطارحونه فيما بينهم ويتقصون من جهله (١) . أ. هـ .

كما عيَّبَ الجمال بن هشام إمام العربية بأنه رام الكشف عن ترجمة ابن الزناد فلم يهتد لمحلّه من كتب الأسماء لعدم معرفة اسمه مع كونه معروفاً عند مبتدئ الطلبة .

وقد رُوِيَ عن أبي ذر رضي الله عنه أنه أخذ بحلقه باب الكعبة وقال : أنا أبو ذر الغفاري ، من لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

قال الإمام السخاوي ذاكراً عيوب إغفال وإهمال هذا الفن المطلوب : -
وربما ينشأ عن إغفاله زيادة في السند أو نقص منه وهو لا يشعر ، فقد روى الحاكم من حديث أبي يوسف عن أبي حنيفة عن موسى ابن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن أبي الوليد عن جابر مرفوعاً : " من صلّى خلف الإمام فإن قراءته له قراءة " وقال : إن عبد الله هو أبو الوليد ، كما بيّنه علي ابن المديني ، فعن زائدة " قال : ومن تهاون بمعرفة الأسامي أورثه مثل هذا الوهم .
وعكسه أن تسقط " عن " كما اتفق للنسائي مع جلالته حيث قال : عن أبي أسامة حماد بن السائب " (٣)

(١) علوم الحديث ص ٣٢٢ ، فتح المغيث للسخاوي ٢١٣/٤ .

(٢) المعارف ص ٢٥٢ ، فتح المغيث للسخاوي ٢١٣/٤ ، فتح المغيث للعراقي ص ٣٩٢ .

(٣) فتح المغيث ، للسخاوي ٢١٣/٤ ، والصحيح : «عن أبي أسامة عن حماد بن السائب ، لأن أبا أسامة هو حماد بن أسامة ، وشيخه حماد هو محمد بن السائب أبو النضر الكلبي ، وقد كان أبو أسامة يسميه حماداً . انظر فتح المغيث ، للسخاوي ٢٠٣/٤ ، ٢١٣ . تهذيب التهذيب ١٥٩/٩ .

وتنسحب هذه الأهمية على بقية علوم الرواة، كمعرفة أوطان الرواة وبلدانهم وألقابهم وغير ذلك. وإمامنا الحافظ محمد بن يحيى الذهلي، له في هذا المجال مشاركات متنوعة مع غيره من جهابذة المحدثين لها أثرها الملموس. سواء في بيان الصحيح فيما كان خطأ أو وهماً عند غيره، أو ما أدى إليه نقله وبيانه عن مشايخه «من انتهاء احتمال أو تأرجح بين قولين اثنين بتعيين أحدهما». وستأتي الأمثلة على ذلك.

أولاً : معرفته بمن ذكر بأسماء أو نعوت مختلفة . *

المثال الأول : بكر بن وائل الكوفي ^(١) أحد الرواة الذين عرفوا بنعوت مختلفة

فذكره البخاري بقوله : " بكر بن وائل بن داود الليثي الكوفي " ^(٢)

وذكره ابن أبي حاتم بقوله : " بكر بن وائل بن داود . . كوفي " ^(٣)

وقال ابن حجر العسقلاني " بكر بن وائل بن داود التيمي الكوفي " ^(٤)

وقد أدرك الإمام الذهلي أن لهذا الراوي في معرفة شخصه عدة صيغ، فلم يفته التنبيه على ذلك عندما يرد ذكره في الإسناد .

قال الإمام أبو داود السجستاني :

« حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام

عن بكر الكوفي قال محمد بن يحيى : هو بكر بن وائل بن داود » ^(٥)

المثال الثاني : عمارة بن أكيمة الليثي الجندي المدني ^(٦)

وهو ممن عرف بأسماء مختلفة . فقد ذكره كل من البخاري ^(٧) وابن أبي

حاتم ^(٨) بإسم عمارة .

(*) وهو النوع الثامن والأربعون عند ابن الصلاح .

(١) سبقت ترجمته ٥١٣ . (٢) التاريخ الكبير ٩٥ / ٢ . (٣) الجرح والتعديل ٣٩٣ / ٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ٤٢٨ / ١ . (٥) سنن أبي داود ٢٧١ / ٢ .

(٦) هو عمارة بن أكيمة أبو الوليد المدني، ثقة من الثالثة، مات سنة (١٠١) . التقريب ص ٤٠٨ .

(٧) التاريخ الكبير ٤٩٨ / ٦ . (٨) الجرح والتعديل ٣٦٢ / ٦ .

أما ابن حبان^(١) فقال : اسمه عمار ، ولكنه استدرك بأقوال أخرى
 فقال : « وقد قيل : عمرو بن مسلم بن أكيمه ، ويقال : " عمار بن أكيمه »
 أما الإمام الذهلي فقد ذكر أسماء متعددة وبين أن المحفوظ عنده منها
 « عمار » وبين أن عمرو بن مسلم هو . . . حفيده . . . لا أنه هو كما قال ابن حبان .
 قال ابن خزيمة : « قال لنا محمد بن يحيى يعني الذهلي : ابن أكيمه وهو
 عمار ويقال عامر والمحفوظ عندنا عمار وهو جد عمرو بن مسلم^(٢) الذي يروي
 عنه مالك بن أنس ومحمد بن عمرو بن علقمة^(٣) حديث أم سلمة إذا دخل
 العشر^(٤) »^(٥)

المثال الثالث : سالم بن عبد الله النصري^(٦)

وهذا الراوي عرف بنعوت مختلفة وكثيرة جداً .

قال العلامة الذهبي : " سالم بن عبد الله مولى النصريين ، وهو سالم
 مولى المهري ، وهو سالم الدوسي ، وهو سالم مولى أوس بن الحدثان النصري ،
 وهو سالم مولى شداد بن الهاد^(٧) »

(١) الثقات ٥/ ٢٤٢ .

(٢) هو عمرو بن مسلم بن أكيمه ، الليثي ، المدني ، صدوق ، من السادسة . التقريب ص ٤٢٧ .

(٣) هو محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، المدني ، صدوق له أوهام ، من السادسة . التقريب
 ص ٤٩٩ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي ، باب (٧) نهى من دخل عليه عشر ذي
 الحجة . . . الخ ٣/ ١٥٦٥ . والدارمي في الأضاحي أيضاً ، باب (٢) ما يستدل من حديث النبي
 صلى الله عليه وسلم أن الأضحية ليست بواجب ٢/ ١٠٤ .

(٥) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥٩ .

(٦) هو سالم بن عبد الله النصري ، أبو عبد الله المدني ، صدوق من الثالثة ، مات سنة (١١٠) .
 التقريب ص ٢٦٦ .

(٧) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٥ .

وقال ابن حجر : . . « سالم بن عبد الله النصري ، أبو عبد الله وهو سالم مولى شداد بن الهاد ، وهو سالم مولى النصريين ، وهو سالم سبلان ، وهو سالم مولى مالك بن أوس بن الحدثان ، وهو سالم مولى دوس ، وهو سالم أبو عبد الله الدوسي ، وهو سالم مولى المهري ، وهو أبو عبد الله الذي روى عنه بكير بن الأشج (١) »

- وقد شارك الإمام الذهلي باثنين من هذه النعوت الكثيرة فكان سابقاً لمن جاء بعده في إثبات هاتين الصفتين :

قال ابن خزيمة : " نايونس بن عبد الأعلى ، نا ابن وهب أخبرني حيوة عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله مولى شداد بن الهاد أنه شهد أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل له : لا أداها الله عليك فإن المساجد لم تكن لهذا " (٢)

قال ابن خزيمة : « سمعت محمد بن يحيى يقول : أبو عبد الله هذا هو سالم الدوسي ، يقال « سبلان » (٣) »

(١) تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٩ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب في كراهية إنشاد الضالة في المسجد ١/ ٣٢١ ، والحديث صححه الألباني ، في صحيح أبي داود ١/ ٩٤ .

(٣) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٣ .

ثانياً : معرفته بالأسماء والكنى *

أ - معرفته بمن له كنيتان فأكثر وجزمه بإحداهما **

المثال الأول : نافع ابن أبي نافع أبو عبد الله (١)

إسم هذا الراوي متفق عليه عند جمع من المحدثين أما كنيته فقد قال ابن حبان :

« كنيته أبو عبد الرحمن » (٢)

وعرفه كل من البخاري (٣) وابن أبي حاتم (٤) بنافع ابن أبي نافع ولم يذكر كنيته .

وذكر ابن حجر أن كنيته أبو عبد الله ، مرة على سبيل التضعيف فقال :

« نافع ابن أبي نافع البزاز مولى أبي أحمد ، يقال : كنيته أبو عبد الله (٥)

ومرة على سبيل الجزم فقال : " نافع ابن أبي نافع البزاز ، أبو عبد الله ، مولى أبي أحمد » (٦)

وقد ذكر الأئمة البخاري وابن حبان وابن حجر . أنه الذي يروي عن أبي هريرة حديث : « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » (٧)

(*) وهو النوع الموفي خمسين عند ابن الصلاح .

(**) وهو الضرب الرابع من الضروب التسعة من النوع الخمسين عند ابن الصلاح .

(١) هو نافع ابن أبي نافع البزاز ، أبو عبد الله ، مولى أبي أحمد ، ثقة ، من الثالثة . التقريب ص ٥٥٨ .

(٢) الثقات ٤٦٨/٥ .

(٣) التاريخ الكبير ٨٣/٨ .

(٤) الجرح والتعديل ٤٥٣/٨ .

(٥) تهذيب التهذيب ٣٦٦/١٠ .

(٦) التقريب ص ٥٥٨ .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد ، باب في السبق ٦٣/٣ ، حديث (٦٧) . وابن ماجه في الجهاد باب السبق والرهان ٩٦٠/٢ . وقال الألباني في صحيح أبي داود ٤٨٩/٢ : صحيح .

وبيّنوا جميعاً بما فيهم ابن أبي حاتم أن الراوي عنه ابن أبي ذئب .
ثم يعود ابن حجر في أبواب الكنى عند ترجمة أبي عبد الله المزني مولى
الجندعيين .

فيقول : " عن أبي هريرة : لا يحل سبق إلا في خف أو حافر ، وعنه
سليمان بن يسار " .

ثم يستدل بقول الذهلي أن مولى الجندعيين هذا هو أبي عبد الله نافع ابن
أبي نافع .

قال : قال الذهلي : أبو عبد الله هذا هو نافع الذي روى عنه نعيم بن
المجمر ^(١) وابن أبي ذئب ^(٢)

والذهلي هنا قد جزم بتلك الكنية مما يدل على تصحيحه إياها . . . والله
أعلم .

المثال الثاني القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أبو بكر ^(٣)

اتفق المحدثون على اسم هذا الراوي إلا أبي حاتم فقد قال « أبو بكر ابن
عبيد الله بن عبد الله بن عمر لا يسمى » ^(٤) وكأنه يذهب إلى أن كنيته اسم له .
أما كنيته فقد مال جمع منهم إلى أنه أبو بكر ، وذهب ابن حجر
العسقلاني إلى أنه أبو محمد .

(١) هو نعيم بن عبد الله المجمر أبو عبد الله المدني مولى آل عمر بن الخطاب ، كان يبخر مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ابن حبان أن المجمر لقب أبيه لأنه كان يأخذ الجمرة قدام
عمر ، السير ٥/٢٢٧ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤١٤ ، نزهة الألقاب ٢/١٥٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢/١٦٨ ، التقريب ص ٦٥٤ .

(٣) هو القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، أبو محمد المدني ، من السادسة . التقريب
ص ٤٥١ .

(٤) الجرح والتعديل ٩/٣٤٠ .

وكان الإمام الذهلي من أوائل من كناه بأبي بكر .

قال ابن الجارود : حدثنا يوسف بن موسى ، ومحمد بن يحيى ، قال ثنا قبيصة ، قال : قال ثنا سفيان ، عن عمر بن محمد ، عن القاسم عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يأكل أحد بشماله ، ولا يشرب بشماله ، فإن الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله ^(١)

- وقال - حدثنا محمد بن يحيى ، قال ثنا اسماعيل ابن أبي أويس ، قال ثني أخي عن سليمان بن بلال عن عمر بن محمد ، أن أبا بكر ابن عبيد الله بن عبد الله ، أخبره أن سالم بن عبد الله أخبره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بهذا الخبر ، قال أبو محمد :

سمعت محمد بن يحيى يقول : القاسم عندنا هو أبو بكر بن عبيد الله إن شاء الله ^(٢)

ومن ذكره بهذه الكنية الأئمة البخاري ^(٣) ومسلم ^(٤) والبيهقي ^(٥)

وسبقت الإشارة إلى أن ابن حجر كناه أبو محمد ^(٦)

وجميعهم أشاروا إلى أنه راوي حديث الزجر عن الأكل والشرب بالشمال المذكور آنفا .

ب - معرفته بمن عرفت كنيته واختلف في اسمه (أو شخصه) وهو الضرب السادس من تقسيمات النوع الخمسين :

المثال الاول : أبو هريرة الدوسي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ١٥٩٨/٣ .

(٢) المتقى ص ٣٢٦ .

(٣) التاريخ الكبير ١٦٥/٧ ، الكنى ٩/٨ .

(٤) صحيح مسلم ١٥٩٨/٣ كتاب الأشربة .

(٥) السنن الكبرى ٢٧٧/٧ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢٩٢/٨ ، التقريب ٤٥١ .

ساق الإمام الذهبي رواية عن عمرو بن علي ، حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري ، عن المحرر^(١) قال : كان اسم أبي : عبد عمرو بن غنم .
قال الذهلي : « هذا أوقع الروايات عندي على القلب »^(٢)

المثال الثاني : بشر بن رافع العجلي عن أبي الأسباط النجراني^(٣)

اختلف الأئمة رحمهم الله في تعيين شخص بشر بن رافع هل هو أبو الأسباط أم غيره؟

فذهب ابن معين إلى أنه شيخ كوفي ،^(٤) وذهب النسائي إلى أن بشر بن رافع غير أبي الأسباط^(٥)

وذهب رهط من العلماء إلى أن بشر بن رافع هو أبو الأسباط الحارثي النجراني .

وهم : " الإمام البخاري قال الإمام ابن عدي : " وعند البخاري أن بشر بن رافع هذا هو أبو الأسباط الحارثي^(٦) .

والإمام أبو حاتم الرازي فقد قال : " أبو الأسباط بشر بن رافع الحارثي ضعيف الحديث منكر الحديث . وكذلك ابنه عبد الرحمن ابن أبي حاتم : " قال : بشر بن رافع أبو الأسباط " ^(٧)

(١) هو محرر ابن أبي هريرة الدوسي ، يروي عن أبيه ، روى عنه الشعبي ، وأهل الكوفة . التاريخ الكبير ٢٢ / ٨ ، الثقات ٤٦٠ / ٥ .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩ / ١٠٧ / ١ ، السير ٥٨٧ / ٢ .

(٣) هو بشر بن رافع الحارثي ، أبو الأسباط النجراني ، فقيه ، ضعيف الحديث ، من السابعة . التقريب ص ١٢٣ .

(٤) الكامل لابن عدي ١٣ / ٢ ، تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٣ .

(٥) نفس المصدرين السابقين .

(٦) نفس المصدرين السابقين .

(٧) الجرح والتعديل ٢ / ٣٥٧ .

وأبو جعفر العقيلي^(١) وأبو أحمد الحاكم النيسابوري^(٢) وابن حبان^(٣)
وابن عدي^(٤)

أما الإمام الذهلي فقد سبق هذا الرهط إلى ما ذهبوا إليه .

قال ابن حجر : حكى الحاكم عن الذهلي أيضاً أن أبا الاسباط هو بشر بن
رافع^(٥)

قال ابن عدي : وما قاله البخاري فمحتمل وما قاله يحيى والنسائي
فمحتمل أيضاً ، والله أعلم أنهما واحد أو اثنان .^(٦)

ج - معرفته بأسماء وكنى الرواة من غير اختلاف *

المثال الاول : أبو النعمان الحكم بن عبد الله القيسي^(٧) . وقال الإمام
الذهلي : كان ثبتاً في شعبة عاجله الموت سمعت عبد الصمد يثبته ويذكره
بالضبط^(٨)

وقد ذكره الأئمة البخاري^(٩) وابن أبي حاتم^(١٠) وابن حجر^(١١) بهذه
الصفة بغير اختلاف في الاسم والكنية .

(١) الضعفاء الكبير ١ / ١٤٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٣ .

(٣) المجروحين من المحدثين ١ / ١٨٨ .

(٤) الكامل ١١ / ٢ ، تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٣ ، انظر المستدرک للحاكم ١ / ٨٩ .

(٦) الكامل في الضعفاء ١٣ / ٢ .

(*) وهو الضرب الثامن من ضروب النوع الخمسين عند ابن الصلاح .

(٧) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٧٠ .

(٩) التاريخ الكبير ٢ / ٣٤٢ .

(١٠) الجرح والتعديل ٣ / ١٢٢ .

(١١) التقريب ص ١٧٥ .

المثال الثاني : أبو يونس الحسن بن يزيد بن فروخ (١)

وقال ابن ماجه : " حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخزم قالا : ثنا الضحاك بن مخلد ، ثنا الحسن بن يزيد بن فروخ . قال محمد بن يحيى : وهو أبو يونس القوي . . . الخ (٢)

وقد ذكره بهذا الاسم والكنية الإمام ابن حبان (٣) ، وقال ابن أبي حاتم في ترجمته : حكى عباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال : هو أبو يونس القوي . فقال أبي : ليس هو بأبي يونس ولكنه الحسن بن يزيد الضمري . (٤)

وقد حكى الإمام المزري : تفريق أبي حاتم بينهما .

ثم قال : قال يحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي : الحسن بن يزيد بن فروخ هو أبو يونس القوي وهذا القول أولى بالصواب والله أعلم (٥) وأكد ما صوّبه في تحفة الأشراف فقال : أبو يونس القوي هو الحسن بن يزيد بن فروخ . (٦)

المثال الثالث : أبو سلمة حماد بن سلمة (٧)

قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، ثنا أبو سلمة حماد بن سلمة . الخ (٨)

(١) هو الحسن بن يزيد بن فروخ الضمري ، ويقال العجلي المكي سكن الكوفة ، قال ابن معين : هو الذي يقال له الطواف . وقال أبو حاتم : ثقة مأمون ، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ٧٧٩ .

(٣) الثقات ٦/ ١٦٩ .

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ٤٣ .

(٥) تهذيب الكمال ٦/ ٣٤٤ .

(٦) تحفه الأشراف بمعرفة الأطراف ، للإمام جمال الدين يوسف المزري ، تحقيق عبد الصمد شريف الدين ١١/ ٨٣ .

(٧) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٨) سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٣٤ ، السير ٧/ ٤٤٤ .

ثالثاً: بيانه للمهمل من أسماء الرواة:

ومن ذلك ما ذكره ابن خزيمة قال: " وقد روى أبو بكر ابن عبد الله ابن أبي

مريم .

قال ، قال : حدثني عبد الله ابن أبي قيس عن أمهات المؤمنين أنهن حدثنه
أن الله عز وجل دل نبيه على دليل فقال لهن : أدللتني على ما دل الله عليه نبيه ،
فقلن : إن الله دلَّ نبيه على قيام الليل " .

" حدثناه محمد بن يحيى ، نا أبو المغيرة ، نا أبو بكر - يعني ابن أبي مريم
- حدثني عبد الله - قال ابن يحيى - وهو ابن أبي قيس (١) » (٢)

رابعاً: معرفته بالمتفق والمفترق :

وهو ما يتفق لفظاً وخطاً ولكنه يفترق في مسمياته ، ويسميه
الاصوليون " المشترك اللفظي " (٣) ، ولعلماء البلدان فيه ما يسمى " المشترك
وضعاً والمفترق صقلاً " (٤)

وقد عرفه الدكتور / محمد الطحان في تيسيره فقال : هو أن تتفق أسماء
الرواة وأسماء آبائهم فصاعداً خطأ ولفظاً وتختلف أشخاصهم .. (٥)

ومن فوائده:

أ - الأمن من اللبس والخلط ما إذا اشتبه راويان متفقان في الأسماء أو
الشيخ أو الرواة عنهما بسبب المعاصرة .

(١) هو عبد الله ابن أبي قيس ، أبو الأسود النصري الحمصي ، يروي عن أمهات المؤمنين ، ثقة ، من
الثانية . تهذيب التهذيب ٥ / ٣٢٠ ، التقريب ص ٣١٨ .

(٢) صحيح ابن خزيمة ١٧٨ / ٢ .

(٣) انظر روضة الناظر لابن قدامة ، وشرح نزاهة الخاطر العاطر لابن بدران ١٢٧ / ٢ .

(٤) مثل كتاب «المشترك وضعاً والمفترق صقلاً» لياقوت الحموي .

(٥) تيسير مصطلح الحديث ص ٢٠٥ .

ب - ربما يكون أحد المشتركين ثقةً والآخر ضعيفاً ، فيضعف ما هو صحيح ويصحح ما هو ضعيف .

وقد أُلّفَ فيه الخطيب البغدادي كتاب « موضح أوهام الجمع والتفريق »^(١) قال في مقدمته : « قد أوردنا في هذا الكتاب جماعة كثيرة من الرواة ، انتهت إلينا تسمية كل واحد منهم وكنيته التي يعزى إليها كنسبته على وجوه مختلفة في روايات مفترقة ، ذكر في بعضها حقيقة اسمه ونسبه ، واقتصر في البعض على شهرة كنيته أو لقبه ، وفي غير موضع اسمه واسم أبيه وموه ذلك بنوع من أنواع التمولية ، ومعلوم أن بعض من انتهت إليه تلك الروايات ، فوقوع الخطأ في جمعها وتفريقها غير مأمون عليه ، ولما كان الأمر على ما ذكرته بعثني ذلك على أن بيته وشرحته . . الخ »^(١) .

قال ابن الصلاح : " وهو مع أنه كتاب حفيظ ، غير مستوف للأقسام التي أذكرها إن شاء الله »^(٢)

ومما شارك فيه الإمام الذهلي في هذا الباب وكان مُتَنَزِّلاً على أحد أقسام الحافظ ابن الصلاح . ما يلي :

المثال الأول : متنزلٌ على القسم الأول قال : وهو " المفترق ممن اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم "

الحسن بن يزيد بن فروخ الضمري^(٣) ، والحسن بن يزيد أبي يونس القوي

(١) حققه العلامة اليميني عبدالرحمن بن يحيى العلمي ، وطبعته مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند عام ١٣٧٨ هـ في مجلدين .

(٢) موضح أوهام الجمع والتفريق ٢/١ ، التقريب للتووي ٣١٦/٢ ، والإرشاد للتووي ٧٣٠/٢ ومقدمة ابن الصلاح ص ٣٥٦ ، فتح المغيث للعراقي ص ٤٢٦ ، فتح المغيث للسخاوي ٢٦٨/٤ ، تدريب الراوي للسيوطي ٣١٦/٢ ، تيسير مصطلح الحديث للطحان ص ٢٠٥ .

(٣) مضت ترجمته قريباً ص ٥٤٥ .

فرَّق ابن أبي حاتم بينهما تبعاً لقول والده، فترجم أولاً للحسن بن يزيد أبو
يونس القوي، فقال: مكِّي روى عن أبي سلمة الخ وروى عنه أبو
عاصم النبيل وذلك برقم ١٧٩ .

ثم قال: في رقم ١٨٢، الحسن بن يزيد بن فروخ الضمري روى عن أبي
سلمة روى عنه أبو عاصم .

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي وقيل له: الحسن بن يزيد الذي روى عن
أبي سلمة حكى عباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين انه قال: هو أبو
يونس القوي .

قال أبي: ليس هو بأبي يونس ولكنه الحسن بن يزيد الضمري (١)

ولكن الإمام المزي رحمه الله صوّب ما ذهب إليه ابن معين والذهلي
فقال: قال يحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي: الحسن بن يزيد بن فروخ
هو أبو يونس القوي (٢). ويقصد الحسن بن يزيد المعروف بأبي يونس القوي .

المثال الثاني: متنزّل على المثال السادس وهو ما وقع الإشتراك فيه في
الاسم أو الكنية خاصة وأشكل مع ذلك لكونه لم يذكر بغير ذلك .

ومن الأمثلة على ذلك الحمادان حماد بن سلمة (٣) وحماد بن زيد (٤)

نقل الإمام الذهبي في سيره عن محمد بن يحيى الذهلي قال: إذا
قال حجاج (٥): أخبرنا حماد، فهو ابن سلمة، وما روى سليمان بن

(١) الجرح والتعديل ٣/ ٤٢، ٤٣ .

(٢) تهذيب الكمال ٦/ ٣٤٤ - تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٣ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٥) هو حجاج بن منهال أبو محمد البصري الأنطاقي، قال أبو حاتم: ثقة فاضل. السير ١٠/ ٣٥٢ .

والأنطاقي بفتح الألف وسكون النون، نسبة إلى بيع الأنطاك وهي الفرش التي تبسط،
الأنساب ١/ ٢٢٣ .

حرب (١) ، وأبو النعمان (٢) ، عن حماد فهو ابن زيد وجميعهم سمعوا من الحمادين . (٣)

وقد نقل ابن الصلاح عن ابن خلاد أن عفان، (٤) إذا قال حدثنا حماد فإنه يمكن أن يكون أحدهما (٥) . ويبقى الأمر متأرجحاً بينهما بدون مرجح .

وكان لنقول الذهلي واهتمامه الواضح بمثل هذه الأخبار، أثر في رفع هذه الاحتمالات فقد عثر ابن الصلاح على قول له يرفع هذا الاحتمال ويرجح أحد طرفيه .

قال ابن الصلاح : ثم وجدت عن محمد بن يحيى الذهلي عن عفان قال : إذا قلت لكم حدثنا حماد ولم أنسبه فهو ابن سلمة . (٦)

خامساً : معرفته بالمؤتلف والمختلف .

هذا الفن من فنون الحديث يقبح جهله كما قال أهل العلم، ومن لم يعرفه ويتقنه يكثر عثاره ولا يعدم مخجلاً ، ويحتاج إليه لدفع معرة التصحيف ، ولذا قال علي ابن المديني : أشد التصحيف ما يقع في الأسماء وقد وجه بعض العلماء كلامه هذا : بأنه شيء لا يدخله قياس ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده (٧)

وقد ألف فيه السالفون والخالفون مؤلفات قيمة، حصرها وأوردها العلامة اليميني عبد الرحمن بن يحيى المعلمي في مقدمته على كتاب الإكمال في

(١) سليمان بن حرب، سبقت ترجمته ص ٧١ .

(٢) أبو النعمان هو محمد بن الفضل عازم سبقت ترجمته ص ٤٥٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٢ ، وذكر ابن خلاد ما يقارب كلام الذهلي، انظر مقدمه ابن الصلاح ٣٦٠ .

(٤) هو عفان بن مسلم بن عبد الله أبو عثمان البصري، قال أبو حاتم : ثقة إمام . السير ٢٤٢/١٠ .

(٥) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦٠ .

(٦) المصدر السابق وانظر سير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٢ .

(٧) فتح المغيث للسخاوي ٢٣٠/٤ .

رفع الإرتياب عن المؤلف والمختلف في الاسماء والكنى والاسانيد، وبلغت ستة وعشرين مصنفاً ما بين صغير وكبير وكان أول هؤلاء المصنفين " ابن حبيب " وكتابه « مختلف أسماء القبائل ومؤلفها " وآخرهم ابن حجر العسقلاني خاتمة الحفاظ وكتابه (تبصير المتنبه بتحرير المشتبه) وبينهما كوكبة من العلماء كالدارقطني و عبد الغني بن سعيد الأزدي، والخطيب البغدادي وسواهم . (١) وصورة هذا الفن من الأسماء والأنساب والألقاب « ما يأتلف خطأ ويختلف لفظاً » .

سواء كان مرجع الاختلاف النقط أم الشكل كما ذكر ابن حجر (٢) ومن مشاركات الإمام الذهلي في هذا الباب المهم من علوم الرواة ، وكان الراوي الذي تحدث عن الصحيح من اسم أبيه هو : طارق بن محاشن، ويقال ابن أبي محاشن الأسلمي (٣) وقد اختلف الأئمة في اسم أبي هذا الراوي على عدة أقوال فمنهم من قال : طارق ابن أبي محاشن ، وهو ابن سعد في طبقاته (٤) ومنهم من قال : طارق بن محاسن، وهو أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (٥) وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ، (٦) قال في التقریب : طارق بن محاسن بمهملتين وقيل بمعجمتين (٧) .

(١) للتوسع في معرفة هذه المصنفات راجع فتح المغيث للسخاوي ٢٣٠ / ٤ . ومقدمة العلمي لكتاب الإكمال لابن ماكولا .

(٢) انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٣٣٣ ، والتقریب للنووي والتدريب للسيوطي ٢٩٧ / ٢ ، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢١٨ ، فتح المغيث للسخاوي ٢٣٠ / ٤ ، نزهة النظر لابن حجر ص ١٢٦ .

(٣) هو طارق بن محاشن الأسلمي ، يروي عن أبي هريرة ، كان ينزل المدينة . الطبقات الكبرى ٢٤٨ / ٥ ، التاريخ الكبير ٣٥٤ / ٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢٤٨ / ٥ .

(٥) المعرفة والتاريخ ٤١٢ / ١ .

(٦) ٧ / ٥ .

(٧) ص ٢٨١ .

وقال الجمهور: «طارق بن مخاشن» وفي مقدمتهم الإمام الذهلي. قال ابن حجر: صحَّ الذهلي أنه طارق بن مخاشن^(١) ومنهم الإمام البخاري. وقد أيد ما ذهب إليه برواية الزبيدي عن الزهري عن طارق بن مخاشن ويقول ابن أخي الزهري: ابن مخاشن^(٢). والإمام ابن أبي حاتم^(٣) والإمام ابن حبان البستي^(٤)، والأمير ابن ماكولا^(٥) والإمام الحافظ جمال الدين المزي^(٦) والخزرجي^(٧).

فاتضح مما سبق موافقة الجمهور للإمام الذهلي في نطق اسم هذا الراوي بأعجام الحروف هكذا "مخاشن" لا إهمالها. والله أعلم.

(١) تهذيب التهذيب ٧/٥.

(٢) التاريخ الكبير ٣٥٤/٤.

(٣) الجرح والتعديل ٤٨٦/٤.

(٤) الثقات ٣٩٥/٤.

(٥) الإكمال ٢٢٥/٧.

(٦) تهذيب الكمال ٣٤٩/١٣.

(٧) خلاصه تذهيب تهذيب الكمال ص ١٧٨.

سادساً : معرفته بالمتشابه المقلوب

هذا النوع من علوم الحديث هو ما يحصل الاتفاق فيه لراويين في اسمين لفظاً وخطاً ، لكن يحصل الاختلاف أو الإشتباه بالتقديم والتأخير ، بأن يكون اسم أحد الراويين كاسم أبي الآخر خطأ ولفظاً ، واسم الآخر كاسم أبي الأول .

مثاله : يزيد بن الأسود ، والأسود بن يزيد .

ومن المصنفات فيه " رافع الارتباب في المقلوب من الأسماء والأنساب " للحافظ الخطيب البغدادي .

وفائدة الاهتمام به وضبطه الأمن من توهم القلب ، خاصة وقد انقلب على إمام صنعة الحديث الإمام البخاري ، عندما ترجم لمسلم بن الوليد المدني (١) ، جعله الوليد بن مسلم .

وقد بين الإمام السيوطي « أن الاشتباه فيه يقع في الذهن لا في الخط » . (٢)
من ذلك ما يلي :

المثال الاول : عمرو بن عثمان بن هانيء المدني مولى عثمان " (٣)

ذكر ابن حجر العسقلاني خبر رواية الإمام أحمد عنه منقلبا ثم ذكر رواية الذهلي له على الصواب .

قال ابن حجر : « ووقع في رواية أحمد بن حنبل عن أبي عامر عن هشام بن سعد عن عثمان بن عمرو بن هانيء فكأنه انقلب ، وقد رواه الذهلي عن أبي همام عن هشام بن سعد على الصواب » (٤)

(١) انظر مقدمه ابن الصلاح ص ٣٧٢ ، تدريب الراوي للسيوطي ٣٣٤ / ٢ ، فتح المغيث للسخاوي ٢٩٠ / ٤ ، اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٢٥ ، ابن حجر نزهة النظر ص ٦٧ .

(٢) تدريب الراوي ٣٣٤ / ٢ .

(٣) هو عمرو بن عثمان بن هانيء المدني ، مولى عثمان ، ويقال عثمان بن عمرو بن هانيء ، مستور ، من السابعة . التقريب ص ٤٢٤ .

(٤) تهذيب التهذيب ٦٩ / ٨ .

وقد ذكره الإمام الذهبي على الصواب المذكور فقال : " عمرو بن عثمان مدني " (١)

وقال ابن حجر في التقريب : " عمرو بن عثمان بن هانيء ، مولى عثمان ، ويقال عثمان بن عمرو بن هانيء . . . قلبه بعضهم " (٢)

المثال الثاني : سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة البلوي (٣)

قال الإمام البيهقي : " أخبرنا أبو زكريا نا أبو العباس ، أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي ثنا مالك عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ، أن فريعة بنت مالك بن سنان أخبرتها أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة . . . الخ وروى الحديث من طرق أخرى كلها عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة .

وفي طريق رابع قال : " ورواه حماد بن زيد عن إسحاق بن سعد بن كعب بن عجرة . . .

ثم قال : " وقيل عن حماد عن سعد بن إسحاق .

قال : " وإسحاق من رواية حماد أشهر وسعد من رواية غيره أشهر وزعم محمد بن يحيى الذهلي فيما يرى أنهما اثنان . . . والله أعلم (٤) وقد ذكره على أنه سعد بن إسحاق كل من أبي حاتم (٥) ، وابن حبان (٦) وابن حجر . (٧) وسواهم .

(١) المجرد في أسماء رجال سنن ابن ماجه ، للحافظ الإمام الذهبي ، تحقيق د. باسم الجوابرة ص ١٦٥ ، الكاشف ٣٣٦/٢ .

(٢) التقريب ص ٤٢٤ .

(٣) هو سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، البلوي ، المدني ، حليف الأنصار ، ثقة من الخامسة ، التقريب ص ٢٣٠ . والبلوي يفتح الباء واللام نسبة إلى «بلي» قبيلة من قضاة ، الزنساب ٣٩٥/١ .

(٤) السنن الكبرى ٤٣٥/٧ . (٥) الجرح والتعديل ٨١/٤ .

(٦) الثقات ٣٧٥/٦ . (٧) تهذيب التهذيب ٤٠٤/٣ .

وقد اشتبه هذا الاسم على أبي نعيم فقلبه . وغلطه في ذلك أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان .

قال ابن أبي حاتم : " إسحاق بن سعد بن كعب بن عجرة روى عن أبيه وروى عنه عبد الرحمن بن النعمان أبو النعمان الأنصاري ، قال أبو زرعة : هكذا قال أبو نعيم ، ونراه أراد سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، يعد في المدنيين قال : سمعت أبي يقول : هكذا قال أبو نعيم " وهو سعد بن إسحاق وغلط فيه عبد الرحمن بن النعمان أو أبو نعيم " (١)

وأورد هذا الاشتباه أيضاً الإمام البخاري في تاريخه ، ولم يرجح طرفاً على آخر .

قال : " إسحاق بن سعد بن كعب بن عجرة الأنصاري عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أقام الصلاة » روى عنه عبد الرحمن بن النعمان ، قاله لنا أبو نعيم ، وقد روى هذا الحديث سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن ابن حبان عن ابن محيريز عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خمس صلوات كتبهن الله على عباده) فالله أعلم يعني بإسحاق أنه محفوظ أم لا ، لأن إسحاق ليس يعرف إلا بهذا ، لا أدري حفظه أم لا ، قال أبو عبد الله : « أهاب أنه أراد سعد بن إسحاق » (٢) .

وعلى ما سبق اتضح أن هذا الاسم مشتبه ، وقد انقلب على بعضهم وجزم البعض بأنه سعد بن إسحاق وتحفظ آخرون فلم يرجحوا جانباً على آخر .

بينما يرى الذهلي أنهما اثنان ، على ما نقله عنه الإمام البيهقي ، ولم ينقل إلينا نص كلامه ، ولا تحليله لما قال ، بل نستشف من كلامه أنه قيد قوله " فيما يرى " فلم يجزم بصيغة تفيد القول الفصل .

(١) الجرح والتعديل ٢/ ٢٢١ .

(٢) التاريخ الكبير ١/ ٣٨٨ .

المثال الثالث : عياض بن هلال الانصاري (١)

قال الإمام ابن ماجه رحمه الله حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الله بن رجاء انبأنا عكرمة ابن عمار عن يحيى ابن أبي كثير عن هلال بن عياض عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يتناجى اثنان . . الخ " .
حدثنا محمد بن يحيى ، ثنا سليم بن إبراهيم الوراق ، ثنا عكرمة ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عياض بن هلال قال محمد بن يحيى : وهو الصواب (٢)
وتصويب الإمام الذهلي للاسم على النحو السابق قد وافقه عليه عدد من الأئمة ووهموا من قاله مقلوباً .

وأولهم أبو حاتم الرازي ، فقد قال ابن أبي حاتم : " عياض بن هلال الانصاري ويقال هلال بن عياض وعياض بن هلال أشبه . . . سمعت أبي يقول ذلك " (٣)

وأورده الإمام مسلم في الوجدان بهذا الاسم ثم ساق الأسماء الأخرى المنسوبة إليه .

فقال : " عياض بن هلال أو هلال بن عياض ، وقال شيبان عن يحيى : عياض بن عبد الله " (٤)

وذكره ابن حبان في ثقاته مرجحاً لهذه التسمية موهما من زعم خلافها (٥)
وأورده ابن حجر في تهذيبه بالتسميات الثلاثة ، ثم ذكر مذهب الإمامين الذهلي وأبي حاتم السابق فقال : قال الذهلي وأبو حاتم عياض بن هلال أشبه (٦)

(١) هو عياض بن هلال ، وقيل ابن أبي زهير الأنصاري ، من الثالثة ، مجهول . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : من زعم أنه هلال بن عياض فقد وهم . الثقات ٥ / ٢٦٥ ، التقريب ص ٤٣٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ١ / ١٢٣ وزاد طريقاً ثالثاً قال فيه عن عياض بن عبد الله .

(٣) الجرح والتعديل ٦ / ٤٠٨ .

(٤) المنفردات والوجدان ، للإمام مسلم بن الحجاج ، تحقيق د . عبد الغفار البنداري ١٥٩ .

(٥) الثقات ٥ / ٢٦٥ .

(٦) تهذيب التهذيب ٨ / ١٨١ .

سابعاً : معرفته بالألقاب المحدثين :

هذا الفرع من علوم الرجال من أجل الفروع وأكثرها أهمية ، لأن الجهل بالألقاب يوقع صاحبه في اللبس والخلط بين الرواة وظن الراوي الواحد اثنين .

قال ابن حجر : " ومن أنفس ذلك معرفة ألقابهم لأنها قد تأتي في سياق الأسانيد مجردة من أسمائهم ، وقد لا يعرفها الطالب الحصيف " (١)

وقال السخاوي : " واجعل أيها الطالب من عنايتك الإهتمام بمعرفة الألقاب للمحدثين والعلماء ومن يذكر معهم (فربما جعل الواحد اثنين) حيث يجيء مرة باسمه وأخرى بلقبه " (٢)

وإذا كان الجهايزة من المحدثين يقعون في الوهم واللبس ، فوقع من هو دونهم فيه أولى . يقول الإمام السخاوي : وقد وقع ذلك لجماعة من أكابر الحفاظ كعلي ابن المديني وعبد الرحمن بن يوسف بن خراش وأبي أحمد بن عدي ، اذ فرقوا بين عبد الله ابن أبي صالح أخي سهيل ، وبين عباد ابن أبي صالح . وجعلوهما اثنين ، وليس عباد بأخ لعبد الله ، بل هو لقبه حسبما قاله أحمد وابن معين وأبو حاتم الرازي وأبو داود السجستاني وموسى بن هارون بن عبد الله البغدادي (٣) ومحمد بن إسحاق السراج ، وربما جهله الطالب أصلاً ورأساً كما اتفق لبعض الأعيان حيث قال لشيخنا : فتشت كتب الرجال عن تتمام فلم أقف عليه ، فقال له : هو لقب واسمه محمد بن غالب بن حرب . (٤)

والأصل في لفظ الألقاب القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ (٥) .

(١) نزهة الألباب في معرفة الألقاب ٣٥ / ١ .

(٢) فتح المغيث ٢٢١ / ٤ .

(٣) هو موسى بن هارون بن عبد الله ، أبو عمران البزار المعروف والده بالحمال . توفي سنة (٢٩٤) تاريخ بغداد ٥٠ / ١٣ .

(٤) هو محمد بن غالب بن حرب ، أبو جعفر الضبي التمار ، المعروف بالتمتاع ، من أهل البصرة ، كان كثير الحديث ، صدوقاً حافظاً ، مات في رمضان سنة ٢٨٣ ، وقد ضبط السمعاني لقبه ، بفتح التاء وسكون الميم ، انظر تاريخ بغداد ٣ / ١٣٤ ، الأنساب ١ / ٤٧٧ ، نزهة الألباب ١ / ١٤٧ .

(٥) الحجرات آية ١١ .

وتنقسم كما قال ابن الصلاح إلى ما يجوز التعريف به وهو ما لا يكرهه الملقب ، وما لا يجوز وهو ما يكرهه الملقب " (١)

ولعل من أجمع المصنفات فيها كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني " نزهة الألباب في الألقاب " والذي رتبته على ثلاثة أبواب :

الأول : في الألقاب بألفاظ الأسماء وقد ألحق به الصنائع والحرف كالقبائل والصفات كالأعمش .

الثاني : في الألقاب بألفاظ الكنى .

الثالث : في الألقاب بألفاظ الأنساب إلى القبائل والبلدان وغيرها . (٢)

وللامام الذهلي مشاركات لا بأس بها في هذا الفرع منها علي سبيل المثال .

المثال الأول : الحسن بن يزيد بن فروخ العجلي (٣)

روى ابن ماجه في سننه عن محمد بن يحيى وزيد بن أخزم قالا : ثنا الضحاك بن مخلد . ثنا الحسن بن يزيد بن فروخ . قال محمد بن يحيى وهو أبو يونس القوي ، قال : سمعت أبا سلمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يحلف عند هذا المنبر عبد " ، ولا أمة ، على يمين آثمة ، ولو على سواك رطب ، إلا وجبت له النار " (٤)

فالإمام الذهلي عرف الحسن بن يزيد بكنيته ولقبه (القوي) وقد أكد الإمام المزي ما قاله الذهلي بقوله : وقال يحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي : الحسن بن يزيد بن فروخ هو أبو يونس القوي . وهذا القول أولى بالصواب (٥)

(١) مقدمه ابن الصلاح ص ٥٤٥ .

(٢) نزهة الألباب ٣٩/١ ، وانظر لمزيد من الإيضاح والأمثلة ، مقدمة ابن الصلاح ص ٢٣٠ ، وتقريب النووي ٨٩/٢ .

(٣) سبق ترجمته ص ٥٤٥ .

(٤) السنن ٧٧٩/٢ كتاب الأحكام ، باب اليمين عند مقاطع الحقوق .

(٥) تهذيب الكمال ٣٤٤/٦ ، وانظر الأنساب للسمعاني ٥٦٣/٤ .

وقال كل من الأمير ابن ماكولا^(١) وأبي سعد السمعاني^(٢) وابن حجر^(٣)
تحت لقب القوي

قالوا : هو أبو يونس الحسن بن يزيد العجلي ، وسبب تلقيبه بهذا اللقب ما
ذكره الأئمة حسين الجعفي^(٤) وابن حبان والدارقطني سمي أبو يونس القوي
(لقبته على العبادة) وذلك أنه قدم مكة فطاف في يوم واحد سبعين أسبوعاً
فسمي القوي . وكان من عباد الكوفة وقرائهم^(٥)

وقال وكيع وأبو القاسم الطبراني : بكى حتى عمي ، وصلى حتى
حذب ، وطاف حتى أقعد^(٦) " إلا أن الطبراني ذكر بدلاً من صلاته " وصام
حتى خوي " ^(٧)

المثال الثاني : سالم بن عبد الله مولى النصرين " سبلان " ^(٨)

قال ابن خزيمة : نا يونس بن عبد الأعلى نا ابن وهب أخبرني حيوة عن
محمد بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله بن شداد بن الهاد أنه شهد أبا هريرة
يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سمع رجلاً ينشد
ضالة في المسجد فليقل له : لا أداها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا .

(١) الإكمال ٨٨/٧ .

(٢) الأنساب ٥٦٣/٤ .

(٣) نزهة الألباب ١٠٥/٢ ، وانظر في ذلك فتح الوهاب فيمن اشتهر من المحدثين بالألقاب للشيخ
حماد الأنصاري ص ١٠٦ .

(٤) هو الحسين بن علي الجعفي أبو عبد الله ، كان موصوفاً بالفضل والتقوى والتأله ، توفي سنة
٢٠٣ ، السير ٣٩٧/٩ .

(٥) الثقات لابن حبان ١٦٩/٦ ، تهذيب الكمال ٦ / ٣٤٤ ، تهذيب التهذيب ٢/٢٨٣ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢/٢٨٣ .

(٧) الأنساب ٥٦٣/٤ .

(٨) سبقت ترجمته ص ٥٣٨ .

ثم قال ابن خزيمة : " سمعت محمد بن يحيى يقول : أبو عبد الله هذا هو سالم السدوسي يقال له : سبلان . (١)
وعن قال بلقيه من العلماء الإمام البخاري (٢) والأمير الحافظ ابن ماکولا (٣)

والإمام الذهبي (٤) ، وقال ابن حجر في نزهة الألباب : " سبلان " جماعة منهم سالم مولى مالك بن أوس بن الحدثان . (٥)

وقال صفى الدين الخزرجي : " سالم سبلان أبو عبد الله المدني " (٦)
ولم يبين أحد منهم سبب تلقيبه بذلك ، ولا معنى هذا اللقب وإن كان لا يبعد من معنى الطول ، كما اتفق لابن ماکولا عندما ترجم " لخالد بن عبد الله بن الفرّج مولى بني عنس (٧) وذكر أن سبب تلقيبه سبلان : لطول كان في لحيته . (٨)
المثال الثالث : محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان المعروف بعارم (٩)
قال الإمام الذهبي راوياً عنه " حدثنا محمد بن الفضل عارم وكان بعيداً عن العرامة " (١٠)

وقد ذكره بهذا اللقب الإمام البخاري (١١) والأمير ابن ماکولا (١٢)
والسمعاني وقال : أبو النعمان محمد بن الفضل السدوسي الملقب بعارم من أهل

(١) صحيح ابن خزيمة ٢/٢٧٣ .

(٢) التاريخ الكبير ٤/١٠٩ .

(٣) الإكمال ٤/٢٥٠ .

(٤) السير ٤/٥٩٥ .

(٥) نزهة الألباب في الألقاب ١/٣٦٠ ، وانظر تهذيب التهذيب ٣/٧٩ .

(٦) خلاصة تهذيب الكمال ص ١٣١ .

(٧) هو خالد بن عبد الله بن الفرّج مولى بني عنس ، يعد في الشاميين ، يروي عن كهيل بن حرملة ، روى عنه خالد بن دهقان ، الإكمال لابن ماکولا . (٤/٢٥٠) .

(٨) المصدر السابق .

(٩) سبقت ترجمته ٤٥٢ .

(١٠) السير ١٠/٢٦٦ .

(١١) التاريخ الصغير ٢/٣٢٢ .

(١٢) الإكمال ٦/٢٠ .

البصرة^(١) وابن حجر العسقلاني في نزهة الألباب تحت لقب « عارم »^(٢) وأورده
الشيخ حمّاد بن محمد الأنصاري في كتابه فتح الوهاب^(٣) .
والعرامة هي : الفساد والقسوة والشدّة .^(٤)

وجدير بالذكر أن الخطيب البغدادي أورد في جامعته في مبحث أصحاب
الألقاب : عدد من اشتهر بلقبه وغلب على اسمه فقال :

« قد غلبت ألقاب جماعة من أهل العلم على أسمائهم ، فاقتصر الناس
على ذكر ألقابهم في الرواية عنهم ، ثم ذكر منهم عارم ونقل عن أبي
داود قولاً بصيغة التضعيف أن عارماً اسمٌ لمحمد بن الفضل لا لقبٌ له . فقال :
« انا أبو نعيم محمد بن علي بن عمرو أبو سعيد قال . قال : سمعت أبا عمر
محمد بن الحسين القيسي يقول : سمعت إبراهيم بن همام الباهلي يقول :
سمعت أبا داود يقول : سمعت عارم بن الفضل يقول سماني أبي عارماً وسميت
نفس محمدأ وكان اسم أخي شغباً » .

وقال الخطيب : « والمشهور أن اسم أخي عارم بسطام ، ولعل أباه
أيضاً سماه شغباً وتسمى هو بسطاماً . والله أعلم »^(٥)

(١) الأنساب ٢٦٣/٣ .

(٢) نزهة الألباب ٩/٢ .

(٣) فتح الوهاب فيمن اشتهر من المحدثين بالألقاب ص ٩١ .

(٤) راجع ص ٣٣١ من هذا الفصل ، وانظر تدريب الراوي للسيوطي ٢/٢٩١ .

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٧٤/٢ .

ثامناً : معرفة أوطان الرواة وبلدانهم .

هذا النوع من فنون الحديث قد زلق فيه جماعة من كبار العلماء للاشتباه بين الرواة ، ومعرفة يفتقر إليها حفاظ الحديث في تصرفاتهم ومصنفاتهم (١) وقد كانت العرب تنسب إلى الشعوب والقبائل والعشائر والبيوت قال الله تعالى : ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ (٢) والعجم إلى رساتيقها (٣) ، وبنو إسرائيل إلى أسباطها (٤) ، فلما جاء الإسلام وانتشر الناس في الأقاليم والمدن والقرى وغلب عليهم سكانها صار انتسابهم إليها كالعجم ، وقد ينسبون إلى أصغر من ذلك من المواطن كالبلدة الصغيرة أو الضيعة أو السكة أو الزقاق ونحوها .

وقد ينتقل الراوي من إقليم إلى آخر ومن بلدة إلى أخرى ، وقد يسكن ضيعة أو قرية فينسب إليها من الأكبر إلى الأصغر أو من الأعم إلى الأخص ، وان عكس الأمر فجائز ، كمن يكون من قرية (داريا) إحدى قرى دمشق ، ودمشق من إقليم وناحيته الشام .

فإما أن يقال الشامي ثم الدمشقي ثم الداري . أو العكس الداري الدمشقي الشامي (٥)

ومن فوائد هذا العلم معرفة شيخ الراوي ، فربما اشتبه بغيره ، فإذا عُرِفَ بلده تَعَيَّنَ ببلدته غالباً ، ومن صور الاشتباه ما ذكر أن بعض الحفاظ استشكل رواية يونس بن محمد المؤدب (٦) عن الليث لاختلاف بلديهما ، وسأل المزي أين

(١) معرفة علوم الحديث ، للحاكم ص ١٩٠ ، التقريب ، للنووي ٢/ ٢٨٤ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٣) الرساتيق جمع رستاق وقد سبق بيان معناه ص ٧٨ ، وفيه لغة أخرى « رستاق » وهو البيوت المجتمعة ، والرستاق الصف من الناس : لسان العرب ١٠/ ١١٦ .

(٤) الأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب ، مختار الصحاح ص ١٢٠ .

(٥) انظر فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٤٠٤ ، التقريب للنووي ٢/ ٣٨٤ ، معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٩٠ ، التقييد والإيضاح للعراقي ص ٤١٧ ، فتح المغيث للعراقي ٤٧٦ ، الإرشاد للنووي ٢/ ٨٠٤ ، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٤٢ .

(٦) هو يونس بن محمد بن مسلم البغدادي أبو محمد الحافظ المؤدب ، مات سنة (٢٠٧) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٣ .

سمع منه ؟ فقال : لعلّه في الحج ثم قال : بل في بغداد حين دخول الليث لها في
(الرسالية) (١)

وقد قسم أبو عبد الله الحاكم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ذكر تفرق الصحابة من المدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانجلائهم عنها ، ووقوع كل منهم إلى نواحي متفرقة وصبر جماعة من الصحابة بالمدينة لما حثهم المصطفى صلى الله عليه وسلم على المقام بها ثم سرد من سكن من الصحابة في الكوفة ثم مكة ، ثم البصرة ، ثم مصر ، ثم الشام ثم الجزيرة ، ثم خراسان .

القسم الثاني : روايته لأحاديث معينة ثم يذكر مواطن روايتها ليكون مثالا لسائر الروايات .

القسم الثالث : معرفة قوم من المحدثين تغربوا عن أوطانهم إلى بلاد شاسعة فطال مكثهم بها فنسبوا إليها . . . وهو من دقيق هذا العلم .

وهذه بعض مشاركات الإمام الذهلي في هذا الباب المهم ، وإطلاقاته فيها متنوعة ، فحيناً يذكر أن فلان سكن البلد الفلاني كما في المثال الأول ، وحيناً يبين أصل الراوي ثم يشير إلى مكان سكناه كما في المثال الثاني . ونجده أحيانا يقول فلان من أهل البلد الفلانية كما في الأمثلة الثالث والخامس والسابع ومرات ينسبه إلى بلده كما في الأمثلة الرابع والسادس ، وقد راعيت في ذلك الترتيب الهجائي للرواة .

المثال الأول : سليمان بن كثير العبدي أبو داود (٢)

قال الذهلي : سمعت سليمان بن كثير العبدي ، سكن البصرة ما روى عن الزهري فإنه قد اضطرب في أشياء منها وهو في غير حديث الزهري أثبت . (٣)

(١) انظر اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٤٢ وفتح المغيث للسخاوي ٤/٤٠٥ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٤٧٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٤١ .

(٣) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/١٣٧ ، تهذيب التهذيب ٤/١٨٩ .

المثال الثاني : عبد الله بن فروخ الخراساني (١)

قال ابن حجر : وقال الذهلي في علل حديث الزهري : وابن فروخ خراساني الأصل سكن البصرة ثقة (٢)

وهذا المثال يمكن أن يوظف في القسم الثالث من تقسيمات أبو عبد الله الحاكم السابقة، وهو " معرفة من تغربوا عن أوطانهم إلى بلاد شاسعة فطال مكثهم بها فنسبوا إليها "

المثال الثالث : عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي (٣)

قال ابن حجر : وقال الذهلي في علل حديث الزهري بعد ان ذكر إسحاق الكلبي : « عبيد الله ابن ابي زياد » من أهل الرصافة " لم أعلم له راوياً غير ابنه الخ " (٤)

المثال الرابع : محمد بن عبد الله ابن ابي عتيق القرشي التيمي المدني (٥)

قال ابن حجر : وقال الذهلي : " وأما ابن أبي عتيق فهو مدني لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال . . . " (٦)

المثال الخامس : محمد بن المبارك بن يعلى القرشي الصوري القلانسي (٧)

قال أبو الوليد الباجي : قال محمد بن يحيى النيسابوري : كان أيقظ من رأيت بالشام " (٨)

وقال ابن حجر : وقال الذهلي : كان أفضل من رأيت بالشام " (٩)

(١) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣١٢/٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٨٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ١٣/٧ .

(٥) سبقت ترجمته ٤٨٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢٤٦/٩ .

(٧) سبقت ترجمته ٤٤٨ .

(٨) التعديل والتجريح ٦٤٤/٢ .

(٩) تهذيب التهذيب ٣٧٦/٩ .

المثال السادس : محرر بن هارون بن الهدير التيمي (١)

قال محمد بن نصر المروزي (٢) « سألت » محمد بن يحيى عنه فقال :
بصري ، ليس به بأس » (٣)

المثال السابع : النعمان ابن أبي شيبة عبيد الصنعاني أو الجندي . (٤)

قال ابن حجر : « وقال الذهلي النعمان ابن أبي شيبة من ثقات أهل
اليمن » (٥)

(١) سبقت ترجمته ٤٤٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٩١ .

(٣) تهذيب التهذيب ٥٠ / ١٠ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٥) تهذيب التهذيب ٤٠٥ / ١٠ .

تاسعاً: معرفته بالموالي من العلماء والرواة .

قبل ديباجة هذا العنوان من المستحسن أن نلم بإيجاز بمعنى المولى .
قال الإمام ابن اليزيدي^(١) : مولى العبد : سيّده ، والمولى : المنعم .
والمولى : المنعم عليه^(٢)

وقال ابن فارس : الواو واللام والياء : أصل صحيح يدل على قرب ،
ومن الباب المولى : المعتق والمعتق ، والصاحب ، والحليف ، وابن العم ،
والناصر ، والجار كل هؤلاء من المولى وهو القرب^(٣) .

وقال أيوب بن موسى الكفوي : المولى : هو لفظ مشترك يطلق لمعان ، هو في
كل منها حقيقة المعتق والمعتق والمتصرف في الأمور والناصر والمحبوب . . الخ^(٤)
مما سبق يتضح أن لفظ مولى من الألفاظ المشتركة المستعملة لكل من
الضدين ، كما قرره الإمام السخاوي وغيره كما سيأتي . وقد اطلق محمد
عبدالرؤوف المناوي اللفظ على جانب واحد من الضدين فقال المولى : الولي
اللازم الولاية ، القائم بها ، الدائم عليها لمن تولاه باسناد أمره إليه فيما ليس
بمستطيع له .^(٥)

قال الإمام السخاوي : واعلم أن المولى من الأسماء المشتركة بالإشتراك
اللفظي ، الموضوع لكل واحد من الضدين ، اذ هي موضوعة للمولى من أعلى
وهو المنعم المعتق بكسر المثناة ، والمولى من أسفل وهو المعتق بفتحها ومعرفة كل
منها مهمة .^(٦)

-
- (١) هو إبراهيم بن يحيى بن مبارك أبو إسحاق بن أبي محمد ابن اليزيدي ، كان ذا قدر وفضل .
إنباه النحاة ، للوزير علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٢٢٤ .
(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه ، للإمام إبراهيم اليزيدي ، تحقيق د . عبد الرحمن العثيمين ص ٣١ .
(٣) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ٦/ ١٤٠ .
(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي ، باعتناء د . عدنان درويش و محمد المصري ص ٣٠٠ .
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٦٨٦ . وانظر للتوسع في المعنى اللغوي النهاية في غريب
الحديث لابن الأثير ٥/ ٢٢٨ ، ولسان العرب ١/ ٤٠٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٤/ ١٩٦ .
(٦) فتح المغيث ٤/ ٤٠٤ .

- وهذا الفن من فنون الحديث تأتي أهميته من حيث أن بعض الرواة ينسب إلى إحدى القبائل على الإطلاق كفلان القرشي أو الأزدي أو الهذلي وهو ليس منهم صليبة أي من ولد لصلب . بل هو من موالي القبيلة أو إحدى بطونها على اختلاف أنواع الموالات ، وهي على سبيل الإيجاز ثلاثة : ولاء العتاقة ، وولاء الحلف ، وولاء الدين والاسلام .

وقد أشار الإمام الذهلي رحمه الله إلى بعض ذلك مما يدل على اعتنائه بأخبار الرواة وتتبعه لأحوالهم ولو عن مشايخه .

وقد تحدث عن أحد مشايخ الزهري الموالي وبين إحدى رواياته فقال :

" أبو حميد مولى مسافع عن أبي هريرة ، روى عنه الزهري ، حديث
"لَتُنْقَنَ كَمَا يُنْقَى التَّمْرُ" (١)

ومن نقله عن مشايخه ما ذكره عن شيخه يحيى بن بكير عن طاووس بن
كيسان اليماني .

قال الكلاباذي : قال ابن سعد قال الواقدي ، وقال الذهلي : قال يحيى
ابن بكير : قالوا : إنه مولى بحير بن ريسان الحميري (٢) :

(١) سبقت ترجمة أبو حميد مع تخريج الحديث ص ٢٤٣ .

(٢) رجال صحيح البخاري ١/٣٧٧ .

المبحث الثالث إهتمام الإمام الذهلي بسماعات الرواة وامكان اللقاء بينهم من عدمه

المطلب الأول : أهمية السماعات عند المحدثين

تمت نعمة المولى جل شأنه بحفظ الكتاب الكريم : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١)

وتدخل السنة النبوية المطهرة في هذا الحفظ بعد القرآن دخولاً لزومياً، لأنها صنو للكتاب الكريم، ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه . . .» (٢)، فهي تالية للقرآن في حفظ الله لها، ومثله في الحجية والتشريع، وفي الإتياع والعمل، ولأنها تطبيق عملي للوحي الأول القرآن الكريم، وما دامت بهذه المنزلة الرفيعة في الدين فقد قيض لها في كل زمان ومكان رجال حفظوها من الضياع، وميزوا ما اختلط بها من وضع وكذب الكذابين، وكان المعوّل عليه بالدرجة الأولى في هذا الحفظ والبقاء هو «الإسناد». والإسناد هو قول الراوي حدثنا فلان، أو سمعت فلان. الأمر الذي يدل على التلقي المباشر المتصل من الشيخ عن مثله إلى صاحب القول سواء كان الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابي، أو التابعي، أو تابع التابعي. والإسناد خصيصة تميزت بها أمتنا على سائر أمم الأرض، سابقاً ولاحقاً، لأنها الأمة الوحيدة التي بذلت جهوداً جبارة في الحفاظ على سنة نبيها صلى الله عليه وسلم كلمة كلمة بأساليب شتى، من شأنها الحفاظ على السنة النبوية المطهرة من التغيير والتبديل.

(١) سورة الحجر آية (٩)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة ١٠/٥.

وقد بين العلامة الأندلسي الأصولي الإمام الشاطبي أن أرفع وأفضل طرق العلم المشافهة والسماع، وذلك ضمن كلام له طويل عن طرق تلقي العلم قال: فصل، وإذا ثبت أنه لا بد من أخذ العلم عن أهله فلذلك طريقان أحدهما (المشافهة) وهي أنفع الطريقتين وأسلمهما. الخ. (١)

واهتمام المحدثين بسماع الرواة بعضهم عن بعض أمر بات معلوم بالضرورة، إذ هم أول من سن تلك الخصيصة من بين أصحاب الفنون والعلوم الأخرى. فهذا عبد الله بن المبارك يقول: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء، ما شاء) (٢) وقال: (بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد). (٣)

وقس على ابن المبارك رحمه الله ذلك الركب المبارك من محدثي الأمة الحمديدية الذين نذروا أنفسهم لهذا الشرف المنيف ومن أولئك الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى، فقد كان ممن يولي سماع الرواة بعضهم اهتماماً كبيراً، وهذه بعض الشواهد على ذلك.

(١) الموافقات، للعلامة إبراهيم بن موسى الشاطبي، شرح عبدالله دراز، المقدمة الثانية عشرة ٩٦/١.

(٢) صحيح مسلم، المقدمة ١٥/١.

(٣) نفس المصدر السابق.

المطلب الثاني

نماذج من اهتمامه بالسماعات واللقاء

المثال الأول : (سؤاله عن سماع الرواة من المختطين وتقدير ذلك بالتاريخ)

قال الخطيب البغدادي : أخبرني محمد بن علي المقرئ أخبرنا محمد بن عبدالله النيسابوري الحافظ قال : «قرأت بخط محمد بن يحيى - يعني الذهلي - قلت لأبي الوليد : سمع عبدالرحمن بن مهدي من المسعودي بمكة شيئاً يسيراً؟ قال : نعم ! قلت ، وأبو داود سمع منه ببغداد؟ قال : نعم ! قلت : وكم بين قدومه مكة وبغداد؟ قال : أكثر من سنة وستين^(١) .

وهذا الإهتمام والتساؤل من الذهلي لأن المسعودي قد اختلط ، والسماع في مثل هذا الحال يحتاج لتأكد هل هو قبل الاختلاط أم بعده؟ وابن مهدي كان ممن سمع منه أحاديث مختلطة كما بينه ابن غير^(٢) .

وكانت وفاته سنة ستين ومائة على المشهور ، وقد بين الإمام يحيى بن سعيد أنه لقيه بمكة مع عبدالله بن عثمان وعبدالرحمن بن مهدي سنة ثمان وخمسين ومائة فلم يكلمه .

وأما سؤاله عن سماع أبي داود الطيالسي ، هل كان في بغداد فلأنه كان يروي عن المسعودي حين اختلاطه قال أبو قتيبة : رأيت المسعودي سنة ثلاث وخمسين ومائة وكتب عنه وهو صحيح ، ورأيت سنة سبع وخمسين والذري يدخل في أذنه ، وأبو داود يكتب عنه ، قلت له : أتطمع أن تحدث عنه وأنا حي^(٣) ؟ ومن هنا نعرف سبب اهتمام الذهلي بذلك .

(١) تاريخ بغداد ١٠/٢١٨ وفيه خطأ ظاهر (سمع عبدالرحمن بن عبدالله المسعودي --- شيئاً يسيراً) وقد أثبت الصواب من مقدمة ابن الصلاح انظر ص ٤٠٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/١٩١ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣/٢٨٩ .

المثال الثاني: تجويزه مشاهدة الزهري لابن عمر مستدلاً بالرواية وتقدير السنين .

قال أبو عمر بن عبد البر: حديث خامس لابن شهاب عن سالم يجري مجرى المسند .

مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أنه قال : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أن لا تخالف عبد الله بن عمر في أمر الحج ، قال : فلما كان يوم عرفه جاءه عبد الله بن عمر حين زاغت الشمس - وأنا معه - فصاح به عند سرادقه : أين هذا ؟ فخرج إليه الحجاج وعليه ملحفة معصفرة فقال : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : الرواح إن كنت تريد السنة ، فقال : أهذه الساعة ؟ قال : نعم . قال : فأنظرني حتى أفيض عليّ ماءً ثم أخرج ، فنزل عبد الله حتى خرج الحجاج فصار بيني وبين أبي ، فقلت له : إن كنت تريد أن تصيب السنة فأقصر الخطبة ، وعجل الصلاة . قال : فجعل ينظر إلى عبد الله بن عمر كيما يسمع ذلك منه فلما رأى ذلك عبد الله قال صدق .

قال أبو عمر : هذا الحديث يخرج في المسند لقول عبد الله بن عمر للحجاج : الرواح هذه الساعة إن كنت تريد السنة ، ولقول سالم : إن كنت تريد السنة ، فأقصر الخطبة وعجل الصلاة ، وقول ابن عمر : صدق .

وروى معمر عن الزهري أنه كان شاهداً مع سالم وأبيه هذه القصة مع الحجاج ، وذكر ذلك عبد الرزاق وغيره ، عن معمر عن الزهري ، وذلك عند أهل العلم وهم من معمر ، وقال : يحيى بن معين ، وهم في ذلك معمر ، وابن شهاب لم ير ابن عمر ولا سمع منه شيئاً ، وقال أحمد بن عبد الله بن صالح : قد روى الزهري عن عبد الله بن عمر نحو ثلاثة أحاديث .

قال أبو عمر : هذا مما لا يصححه أحد سماعاً ، وليس لابن شهاب سماع من ابن عمر ، غير حديث معمر هذا - ان صح عنه - وأما محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري ، فقال : ممكن أن يكون الزهري قد شاهد ابن عمر مع سالم في قصة

الحجاج، واحتج برواية معمر، وفيها: فركب هو وسالم وأنا معهما حين زاغت الشمس، وفيها قال الزهري، وكنت يومئذ صائماً، فلقيت من الحر شدة (قال محمد بن يحيى): وقد روى ابن وهب، عن عبدالله العمري عن ابن شهاب نحو رواية معمر في حديثه.

قال ابن شهاب: وأصاب الناس في تلك الحجة من الحر شيء لم يصبنا مثله، واحتج أيضاً بأن عنبة^(١) روى عن يونس عن ابن شهاب قال: وفدت إلى مروان - وأنا محتلم، قال - ومروان مات سنة خمس وستين، ومات ابن عمر (في تلك الحجة) سنة ثلاث وسبعين.

(قال) وأظن مولد الزهري سنة خمسين أو نحو هذا، وموته سنة أربع وعشرين ومائة، فيمكن أن يكون شاهد ابن عمر في تلك الحجة، فلست أدفع رواية معمر. هذا كله كلام الذهلي^(٢).

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على رواية معمر السابقة: واختُلفَ في رواية معمر هذه فقال: يحيى بن معين: هي وهم، وابن شهاب لم ير ابن عمر ولا سمع عنه^(٣).

ثم أورد احتجاج الذهلي لطريق معمر هذا برواية أخرى عن ابن وهب عن عبدالله العمري عن ابن شهاب نحو رواية معمر في حديثه، (وهذا إثبات لطريق لم ينفع أحد وفيه زيادة تأكيد).

واحتج ابن حجر رحمه الله على ماذهب إليه الذهلي من إمكانية مشاهدة الزهري لابن عمر برواية عنبة بن يزيد بأن هذه الرواية وهم أيضاً، ووجه الوهم

(١) سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٢) التمهيد ٨، ٧/١٠.

(٣) فتح الباري ٥١١/٣.

فيها أن الزهري قال : وفدت على عبد الملك ، قال ابن حجر : ولو كان الزهري وفد على مروان لأدرك جلة الصحابة ممن ليست له عنهم رواية إلا بواسطة ، وقد أدخل مالك وعقيل - واليهما المرجع في حديث الزهري - بينه وبين ابن عمر في هذه القصة سالماً فهذا هو المعتمد .^(١)

وقد أورد الحافظ ابن عساكر رواية عنبة هذه في ترجمة الزهري من تاريخه المشهور ، ونقل قول يحيى بن بكير في عنبة عندما نقل إليه مارواه عن عمه يونس بن يزيد عن ابن شهاب أنه وفد إلى مروان وهو محتلم .

قال : إن من يحدث^(٢) عنبة مجنون ، وكان عنبة غلاماً ، يخلف العمال ، ويستخرج الخراج ، وربما استعملوه ، وكثيراً ما كان يختبي في أسفل داري ، ولم يكن عرضوا لكتابة الحديث منه ، وسماع العلم منه^(٣) .

وقد نقض الإمام الذهلي استدلاله برواية عنبة الموهمة بإيراده لرواية عبد الأعلى بن عبد الله ابن أبي فروة عن ابن شهاب . . . وفيها أنه وفد على عبد الملك بن مروان^(٤) .

ومعلوم أن الوهم يحصل من النسيان أو الغفلة أو كثرة الخطأ ، ولا بأس ألا نوافق الإمام الذهلي على رواية عنبة ، ولنفرض جدلاً أنه لم يفد على أحد . . . ، فإن استدلاله له بالتاريخ له وجهة كبيرة . فإذا كان تاريخ مولده قد اختلف فيه على أربعة أنحاء .

(١) المصدر السابق ٥١١/٣ .

(٢) في أصل الكتاب «إنما روي عنبة مجنون» وهي كلمة غير مستقيمة وما أثبت هو ماصوبه محقق الكتاب شكر الله ص ٣٦ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ، ترجمة الزهري ص ٣٦ .

(٤) تاريخ دمشق ترجمة الزهري ص ١٧ ، سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٥ ، وانظر روايات ابن عساكر في ذلك في تاريخه من ص ١٢ إلى ص ٣٤ وكلها تؤكد أنه عبد الملك .

(أ) مذكروه أحمد بن صالح أنه سنة خمسين .

(ب) ما نقله خليفة أنه سنة إحدى وخمسين .

(ج) ما قاله يحيى بن بكير أنه سنة ست وخمسين (١) .

(د) وقال الواقدي ووافقه ابن كثير سنة ثمان وخمسين (٢) .

فلنأخذ بآخرها وهو الأحوط سنة ٥٨ وحادثة حجة مع عبدالله بن عمر والحجاج وسالم أمر لا غرابة فيه لأن عمره حيثئذ يكون خمسة عشر عاماً، لأن ابن عمر توفي على قول الواقدي سنة أربع وسبعين، وعلى قول الزبير بن بكار وآخرون سنة ثلاث وسبعين ورجح ابن كثير الأول (٣) .

وإن أخذنا بالقول الأول والذي قال به جميع العلماء فإن سنة آنذاك ثلاث وعشرون سنة، وعلى كل فهذه بعض أقوال من رأى أنه لقيه وروى عنه .

(١) قال الذهلي ناعبدالرزاق، قال: قلت لمعمر، هل سمع الزهري من ابن عمر قال: نعم، سمع منه حديثين (٤) .

(٢) قال الحافظ العجلي، في ترجمة الزهري، وروى عن عبدالله بن عمر نحواً من ثمانية أحاديث (٥) .

(٣) وقال ابن كثير في ترجمة ابن عمر وروى عنه «..... والزهري» (٦) .

(١) تاريخ مدينة دمشق، ترجمة الزهري ص ٣٦-٣٧، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٨، البداية والنهاية ٩/ ٣٤١ .

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٥ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ترجمة الزهري ص ٥١، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٦ .

(٥) تاريخ الثقات ٤١٣ .

(٦) البداية والنهاية ٩/ ٥ .

(٤) وقال ابن أبي حاتم: في ترجمة الزهري: ورأى ابن عمر...» (١).

وامكانية الرؤية أو الرواية وإن قلتُ هو ما أراد الذهلي التحفظ من نفيه معتمداً في ذلك على رواية معمر ورواية ابن وهب السابقة الذكر، وإن لم يسلم له برواية عنبسة، فإن تقديره التاريخي لإمكانية الرؤية أو الرواية لا غبار عليه على أبعد الاحتمالات.

المثال الثالث: (وصفه زمان سماع ابن وهب من ابن لهيعة بالقدم)

ساق الحافظ البيهقي (*) عدة أسانيد عن حديث عائشة في عدد تكبيرات صلاة العيد.

وكان ابن لهيعة هو مدار السند فقد أورد البيهقي الرواة عنه كما يلي:

(١) عمرو بن خالد عن ابن لهيعة عن عقيل (٢).

(٢) قتيبة عن ابن لهيعة عن عقيل.

(٣) ابن وهب عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد.

ثم نقل قول الذهلي عن المحفوظ من تلك الأسانيد. قال: قال (محمد بن يحيى):

« هذا هو المحفوظ لأن ابن وهب قديم السماع من ابن لهيعة » (٣).

(١) الجرح والتعديل ٧١ / ٨، كما نقل عن شيخه علي ابن المديني قوله: «قد سمع الزهري من ابن عمر حديثين» المراسيل، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط، ص ١٥٢.

(*) قد سبقت دراسته هذه الفائدة في الإشارة الثانية من مطلب الاختلاط في المبحث الأول من هذا الفصل (ب).

(٢) التمهيد ٥٥ / ١١.

(٣) السنن الكبرى ٢٨٧ / ٣.

المثال الرابع : (سياقه سماعات الزهري من أولاد وأحفاد الصحابي كعب بن مالك وروايته عن بعضهم بدون سماع)

(١) نقل ابن عبد البر عن الذهلي سماعات الإمام الزهري من أولاد وأحفاد الصحابي الجليل كعب بن مالك ومن روى عنه بدون سماع .

قال : قال محمد بن يحيى : (فسمع الزهري من عبدالله بن كعب ، وكان قائد أبيه حين عمي ، وسمع من عبدالرحمن بن كعب ، وسمع من عبدالرحمن ابن عبدالله بن كعب قائد كعب ، وروى عن بشير بن عبدالرحمن ابن كعب ولا أراه سمع منه)^(١) .

(٢) وقال أبو علي الجياني : قال محمد بن يحيى الذهلي في كتاب العلل : (سمع الزهري من عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، وسمع من عبدالرحمن ابن عبدالله بن كعب بن مالك ، ومن أبيه عبدالله بن كعب)^(٢) .

المثال الخامس : جزمه بأن الحجاج بن أرطاة لم ير الزهري ولم يسمع منه .

ساق الحافظ ابن حبان سنده إلى الإمام الذهلي قال : (وأما الحجاج بن أرطاة فإنه لم يسمع من الزهري ولم يره)^(٣) .

المثال السادس : ظنه عدم سماع عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب من جده كعب . وتأكيده روايته عن أبيه وعمه .

ذكر أبو علي الجياني عن محمد بن يحيى قوله : (ولا أظن سمع عبدالرحمن بن عبدالله ابن كعب من جده شيئاً . . . وإنما رواية عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب)^(٤) .

(١) التمهيد ٥٥/١١ .

(٢) التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين ص ١٧١ .

(٣) المجروحين من المحدثين ٢٢٦/١ .

(٤) التنبيه على الأوهام ص ١٧١ .

وذكر ذلك ابن حجر عند ترجمته لعبد الرحمن في التهذيب فقال : قال
الذهلي في العلل : « ماأظنه سمع من جده شيئاً »^(١) .
المثال السابع : إثباته سماع محمد^(٢) بن عبدالله^(٣) بن زيد من أبيه ، ونفيه سماع
عبد الرحمن^(٤) ابن أبي ليلى من عبدالله بن زيد .

قال ابن خزيمة : « سمعت محمد بن يحيى يقول : ليس في أخبار عبدالله بن
زيد في قصة الأذان خبر أصح من هذا^(٥) ، لأن محمد بن عبدالله بن زيد سمعه
من أبيه ، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى لم يسمعه من عبدالله بن زيد »^(٦) .

(١) تهذيب التهذيب ٦ / ١٩٥ .

(٢) هو محمد بن عبدالله بن زيد بن عبدربه الأنصاري ، المدني ، الثقة ، من الثالثة ، التقريب ص
٤٨٨ .

(٣) عبدالله بن زيد بن عبدربه الأنصاري ، أبو محمد ، شهد العقبة ، وبدراً ، والمشهد كلها . أسد
الغابة ٣ / ٢٤٧ .

(٤) هو عبد الرحمن ابن أبي ليلى الأنصاري ، المدني ، ثم الكوفي ، ثقة من الثانية . التقريب ص
٣٤٩ .

(٥) يعني من هذا الخبر الذي ساقه عن شيخه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن إسحاق عن التيمي
عن محمد بن عبدالله بن زيد بن عبدربه عن أبيه قال : انظر الحديث بتمامه في ص
٧٧٩ ، عند الحديث عن حكمه بأصح الطرق والروايات في باب معين .

(٦) صحيح ابن خزيمة ١ / ١٩٣ .

المبحث الرابع

المفاضلة والتمييز والموازنة بين الرواة والأسانيد عند الإمام الذهلي المطلب الأول : مفاضلته بين الرواة

١ - المفاضلة بصيغة أيقظ .

أ - كان الإمام الذهلي يعرف لشيخه عبدالرزاق بن همام الصنعاني (١) مكانته بين الأئمة من حيث النباهة والبُعد عن الغفلة، ومن حيث الحفظ، وثناؤه جاء عن معرفة تامة عرفها من خلال رحلته إلى اليمن مع أئمة نيسابور وبغداد إلى محدثها عبدالرزاق، لذا فإنه قد استغل وجوده هناك فلم يتوانى في الإكثار من الرواية عنه كما سبق بيانه عند الحديث عن مشايخه.

وقد أثنى على يقظته وحفظه فقال : (كان عبدالرزاق أيقظهم في الحديث وكان يحفظ) (٢).

ب - وكرر هذا الثناء في شيخه بالشام محمد بن المبارك القرشي الصوري (٣).

فقال : (كان أيقظ من رأيت بالشام) (٤).

٢ - المفاضلة بصيغة أفضل .

كرر رحمه الله الثناء على شيخه السابق محمد بن المبارك بصيغة أخرى فقال : «كان أفضل من رأيت بالشام» (٥).

(١) سبقت ترجمته ص ١٣٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨١ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٤٨ .

(٤) التعديل والتجريح، لابي الوليد الباجي ٢/ ٦٤٤ .

(٥) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٦ .

٣ - المفاضلة بصيغة أولى :

أ- فاضل الإمام الذهلي بين الإمام مالك بن أنس ، والإمام عبدالله بن جعفر المخرمي^(١) عندما روى حديثاً في فضل صلاة القائم على القاعد عن شيخهما إسماعيل بن محمد بن سعد^(٢) ثم اختلف الطريقان فساقه مالك عن مولى لعمر بن العاص أو لعبد الله بن عمرو ، عن عبدالله بن عمر ، وساقه المخرمي عن أنس ؟

ثم بين أن طريق المخرمي غير محفوظ لعدم ثبوت طريق أنس من وجه يعرفه ، ولأن حديث عبدالله بن عمرو مستفيض ، ثم قال : «ومالك أولى لحفظه»^(٣).

(١) هو عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري روى عن إسماعيل بن محمد ابن سعد ويزيد بن الهاد ، روى عنه ابن مهدي وأبو عامر العقدي ، قال أحمد : ليس بحديثه بأس ، وقال مرة أخرى : ثقة ، وقال ابن معين : " صدوق " ليس به بأس وليس بثبت ، وقال ابن حبان : كان كثير الوهم في الأخبار حتى يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات فاستحق الترك . . . وقد تعقبه الذهبي في سيره فقال : وكيف يترك وقد احتج مثل الجماعة به سوى البخاري ووثقه مثل أحمد ، وبين الذهبي في ميزانه أن ابن معين تردد فيه ، وذهب إلى ما قاله أبو حاتم والنسائي : " ليس به بأس " مات سنة سبعين ومائة . انظر الجرح والتعديل ٥٠ / ٢٢ ، المجروحون لابن حبان ٢ / ٢٧ ، الضعفاء لابن الجوزي ٢ / ١١٧ ، تهذيب الكمال للمزي ١٤ / ٣٧٢ ، ميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ١١٧ ، السير للذهبي ٧ / ٣٢٩ ، والمخرمي بفتح الميم وسكون الحاء وفتح الراء نسبة إلى المسور بن مخرمة . انظر الانساب ٥ / ٢٢٢ .

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن سعد ابن أبي وقاص الزهري المدني ، من تابعي أهل المدينة ومحدثيهم ، قال ابن سعد : ثقة وله أحاديث . مات سنة (١٣٤) . تهذيب التهذيب ١ / ٢٨٦ .

(٣) مختصر قيام الليل للإمام محمد نصر المروزي باختصار أحمد المقرئ ص ١٩٩ ، وطريق المخرمي الذي أشار إليه الذهلي أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ١ / ٣٨٨ ، وأما طريق مالك بن أنس ففي الموطأ ، بتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب صلاة الجماعة باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد ١ / ١٣٦ ، وأخرجه من طرق أخرى ابن ماجه والإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جواز النافلة قائماً وقاعداً ١ / ٥٠٤ ، والنسائي في الكبرى ، كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب فصل صلاة القائم والقاعد ١ / ٤٢٨ .

وقد طُلبَ من الإمام علي ابن المديني أن يفاضل بين المخرمي وابن أبي ذئب الذي يقارن بالإمام مالك في العلم والحفظ والثقة فقال : « ابن أبي ذئب أحب إليَّ، ثم قال : ابن أبي ذئب صاحب حديث، وأي شيء عند المخرمي من الحديث » (١).

ب - وفاضل أيضاً بين وهيب بن خالد (٢) ومعمربن راشد في روايتين رواهما عنه ابن ماجه في سننه قال :-

حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر عن أيوب (٣) عن ابن سيرين (٤) عن أم عطية (٥) قالت : لم تكن نرى الصفرة والكدره شيئاً.

قال محمد بن يحيى : ثنا محمد بن عبد الله الرقاشي (٦) ثنا وهيب عن أيوب عن حفصة (٧) عن أم عطية قالت : كنا لا نعد الصفرة والكدره شيئاً .
قال محمد بن يحيى : وهيب أولاهما عندنا بهذا (٨).

وقد أخرج الإمام البخاري هذا الحديث من طريق قتيبة بن سعيد قال حدثنا إسماعيل (٩) عن أيوب بن محمد عن أم عطية قالت : كنا لانعد الكدره والصفرة شيئاً .

(١) تاريخ بغداد ٣٠٣/٢، تهذيب التهذيب ١٥١/٥ .

(٢) هو وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي مولا هم، أبو بكر البصري، ثقة ثبت، تغيّر بأخرة مات سنة (١٦٥) . التقريب ص ٥٨٦ .

(٣) أيوب هو السخيتاني سبقت ترجمته ص ٤٦٧ .

(٤) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر البصري، ثقة، ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، مات سنة (١١٠) . التقريب ص ٤٨٣ .

(٥) هي نُسبية بنت كعب، ويقال : بنت الحارث، أم عطية الأنصارية، صحابية مشهورة، مدنية، ثم سكنت البصرة . أسد الغابة لابن الأثير ٧/ ٢٨٠ التقريب ص ٧٥٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٤٩ .

(٧) هي حفصة بنت سيرين، أم الهذيل الأنصارية، البصرية، ثقة، من الثالثة، ماتت بعد المائة . التقريب ص ٧٤٥ .

(٨) سنن ابن ماجه ٢١٢/١ .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

قال الحافظ ابن حجر، ونقل عن الذهلي أنه رجع رواية وهيب. وما ذهب إليه البخاري من تصحيح رواية إسماعيل أرجح لموافقة معمر له، ولأن إسماعيل أحفظ لحديث أيوب من غيره، ويمكن أن أيوب سمعه منهما^(١).

وإسماعيل الذي صحح البخاري روايته هو ابن إبراهيم بن عليّ وقد جمعه الأئمة مع وهيب في مقامات الثناء والمفاضلة وكانا كفرسي رهان، إلا أن للإمام أحمد بن حنبل فيه رأياً خاصاً بسبب كلام غلط فيه.

والإمام الذهلي لم يبين سبب تفضيله وهيب على معمر، ولا سبب عدم عدم سياقه الحديث عن إسماعيل بن عليّ ولكني استشف من خلال كلام الأئمة عن هؤلاء الثلاثة مايلي:

أولاً: أنه تابع أحمد بن حنبل في تفضيل وهيب على إسماعيل بمراحل بعدما كان حسن الرأي فيه بسبب قصته مع الأمين^(٢) وكلامه في القرآن، وقد مرّ معنا في مسألة اللفظ مدى صلابة الذهلي في هذا الأمر، ومتابعته النصيّه الكليّه لأحمد في فتتي خلق القرآن واللفظ به.

ثانياً: أمّا عدم تقديمه معمرأ على وهيب فإنه لم يكن ليخفى عليه وهو شيخ شيخه باليمن الإمام عبدالرزاق، وجدير بالذكر أن رواية الذهلي عن عبدالرزاق تشكل نسبة كبيرة جداً بالنسبة لمشايخه الآخرين وعبدالرزاق مكثراً جداً عن معمر، ولكن لعله كان يرى رأي يحيى ابن معين في معمر (أن أحاديثه عن العراقيين ماعدا الزهري وابن طاووس غير مستقيمة) وهذا باختصار سرد أقوال الأئمة وما استنتجته منه.

أولاً: كلامهم عن وهيب وإسماعيل بن عليّ.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٢٦/١

(٢) سبقترجمته ص ٣٤ وانظر قصته معه ص ٥٨٢.

قال أبو العباس السراج، أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: كانوا يقولون: الحفاظ أربعة: ابن عُلَيَّة وعبد الوارث^(١)، وهيب، ويزيد بن زريع^(٢)،^(٣).

وسأل معاوية بن صالح ابن معين، من أثبت شيوخ البصريين قال: وهيب ابن خالد مع جماعه سماهم^(٤).

وقال أبو حاتم: ما أنقى حديث وهيب لا تكاد تجده يحدث عن الضعفاء وهو الرابع من حفاظ البصرة، وهو ثقة. ويقال: إنه لم يكن بعد شعبه أعلم بالرجال منه^(٥).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كان من أبصر أصحابه بالحديث والرجال^(٦)، وقال عثمان بن سعيد الدرامي^(٧) سألت يحيى بن معين ما حال وهيب في أيوب؟ فقال: ثقة^(٨).

أما إسماعيل بن عليّة فقد سئل عنه ابن مهدي فقال: ثقة، وقال يزيد بن هارون: دخلت البصرة، وما بها خلق يفضل على ابن عليّة في الحديث، وقال أحمد بن حنبل: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، وقال أبو حاتم: ثقة، متثبت في

(١) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العبدي مولاهم، أبو عبيدة التنوري، مات سنة (١٨٠).
التقريب ص ٣٦٧. والعبدي بفتح العين وسكون النون نسبة إلى بني العبدي من بني تميم،
الأنساب ٢٤٥/٤.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٦٣.

(٣) السير ٢٢٤/٨.

(٤) الجرح والتعديل ٣٥/٩، وتهذيب التهذيب ١٤٩/١١.

(٥) الجرح والتعديل ٣٥/٩، تهذيب التهذيب ١٥٠/١١، السير ٢٢٤/٨.

(٦) الجرح والتعديل ٣٥/٩، تهذيب التهذيب ٤٩/١١، السير ٢٢٤/٨.

(٧) هو عثمان بن سعيد الدارمي، أبو سعيد السجستاني، سكن هراة، مات سنة (٢٨٠). الثقات ٤٥٥/٨. والدارمي بفتح الدال وكسر الراء نسبة إلى بني دارم بن مالك من بني تميم،
الأنساب ٤٤٠/٢.

(٨) تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين ص ٥٤.

الرجال^(١) . وقال حاتم بن وردان : كان يحيى وإسماعيل وهيب وعبد الوهاب يجلسون إلى أيوب ، وإذا قاموا جلسوا كلهم حول إسماعيل يسألونه كيف قال؟ وابن عليّة يرد! ^(٢) وقال شعبة : ابن عليّة ربحانة الفقهاء وفي رواية سيّد المحدثين ^(٣) .

وقدّمه على وهيب كل من يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي في التثبّت في الحديث ، ^(٤) وفي الوقت ذاته يقدم ابن مهدي وهيباً على إسماعيل في معرفة الرجال ^(٥) .

ويظهر أن الأئمة ابن حنبل وابن مهدي وحماد بن سلمة ^(٦) وسواهم قد غيرت نظرهم لابن عليّة من جهة عدالته لوقوعه في هفوة لسان . . . أخطأ في التعبير عما في نفسه . . . ففهم منه مراد بعيد في قضية حساسة .

قال الخطيب البغدادي : (حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة قال : ما كنا نشبه شمائل إسماعيل عليّة إلا بشمائل يونس بن عبيد ، حتى دخل فيما دخل فيه . وقال عفان . حتى أحدث ما أحدث : قال الخطيب البغدادي : والحديث الذي حفظ على ابن عليّة ، شيء يتعلق بالكلام في القرآن . وساق سنده إلى إبراهيم الحربي - وسأله أبو يعقوب - فقال : دخل ابن عليّة على محمد بن هارون فقال له : يا ابن كذا وكذا ، أي شتمه - ايش قلت؟ فقال : أنا تائب إلى الله لم أعلم ، أخطأت فقال : إنما كان حدث بهذا الحديث : « تحيي البقرة ، وآل عمران يوم القيامة كأنهما - غمامتان - أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف - يحاجان

(١) الجرح والتعديل ١٥٣/٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥

(٢) تاريخ بغداد ٢٣٢/٦ .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٢٠/١

(٤) الجرح والتعديل ١٥٣/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٤١/١٠

(٥) الجرح والتعديل ٣٥/٩

(٦) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

عن صاحبهما^(١) قال: فقيل لابن عليّة، ألهما لسانان قال: نعم، فكيف تكلما! فقيل إنه يقول: القرآن مخلوق، وإثما غلط^(٢).

ويروي الفضل بن زياد تفاصيل تفضيل الإمام أحمد وعبد الرحمن بن مهدي لوهيب على ابن عليّة بسبب تلك الهفوة فيقول: سألت أحمد بن حنبل عن وهيب وإسماعيل بن إبراهيم بن عليّة، قلت: أيهما أحب إليك إذا اختلفا؟ فقال: وهيب، كان عبد الرحمن بن مهدي يختار وهيباً على إسماعيل، قلت في حفظه؟ قال: في كل شيء مازال إسماعيل وضيعاً من الكلام الذي تكلم به إلى أن مات، قلت: أليس قد رجع وتاب على رؤوس الناس، فقال: بلى، ولكن مازال مبغضاً لأهل الحديث بعد كلامه ذاك إلى أن مات، ولقد بلغني أنه دخل على محمد بن هارون- ثم قال لي ابن هارون- قلت: نعم أعرفه، قال: فلما رآه زحف إليه وجعل محمد يقول له: يا ابن... يا ابن... تتكلم في القرآن؟! قال: وجعل إسماعيل يقول له، جعله الله فداه، زلّة من عالم جعله الله فداه زلة من عالم، رده أبو عبد الله غير مرة وفخم كلامه، كأنه يحكى إسماعيل^(٣). وقال الذهبي في سيره: «معذور الإمام أحمد فيه».

وقد بين الإمام الذهبي حال ابن عليّة الحقيقي فقال: إمامة إسماعيل وثيقة لانزاع فيها، وقد بدت منه هفوة وتاب فكان ماذا! إني أخاف الله، لا يكون ذكرنا له من الغيبة، وأما القرآن فقد قال عبد الصمد بن يزيد بن مردويه^(٤): سمعت ابن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٥٥٣/١)، والدارمي في سننه ٥٤٣/٢.

(٢) تاريخ بغداد ٢٣٧/٦، طبقات الختابة لابن أبي يعلى ١٠١/١، ميزان الاعتدال للذهبي ٢١٩/١. وقال الذهبي بعد ذلك: انظر كيف كان الصدر الأول في انكفافهم عن الكلام، فانه لو قال ايضاً يتكلم بدون لسان لخطئوه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الاسراء آية ٣٦.

(٣) تاريخ بغداد ٢٣٨/٦، طبقات الختابة ١٠١/١، ميزان الاعتدال ٢١٩/١، السير ١١١/٩.

(٤) هو عبد الصمد بن يزيد بن مردويه الصائغ، من أهل بغداد، مات سنة (٢٣٥). الثقات ٤١٥/٨.

عليّة يقول « القرآن كلام الله غير مخلوق »^(١) وقال الإمام أحمد بعد سياقه قصته ،
بعد هو ثبت »^(٢) .

قلت : فلعل الإمام الذهلي كان متأثراً بما وقع فيه ابن عليّة فلم يخرج له
حتى وإن كان ثبتاً ، وكلام الإمام أحمد أنه مازال مبغضاً لأهل الحديث بعد هفوته
تلك ، يجعل الذهلي يتحفظ ، ويروي الإمام أحمد قصه أخرى في بغضه لأهل
الحديث .

قال رحمه الله : كان معنا رجل من الأنصار يختلف ، فأدخلني على
إسماعيل فلما رأيته غضب وقال : من أدخل هذا عليّ ؟ فلم يزل مبغضاً لأهل
الحديث بعد ذاك الكلام ، لقد لزمته عشر سنين إلا أن أغيب ، ثم جعل يحرك
رأسه كأنه يتلهف ، ثم قال : : وكان لا ينصف في الحديث الخ »^(٣) .

ولا يضير تخريج البخاري له وهو أمير المؤمنين فإن منهجه أن يروي حتى
عَمَّن رمي ببدعة تاب أو لم يتب بشرط أن لا يكون داعيةً إليها ، وعلى هذا
العمل عند كثير من أهل الحديث ، ولكن مصيبة القول بخلق القرآن لها وقع
متميز ومن تلبس بها ضيق عليه الخناق . . . وقد مرّ تصوير حال الحنابلة معهم في
فصل مسأله اللفظ .

فالأغلب أن الذهلي تحفظ عنه لهذا ، وهذا التحفظ أثر عن البخاري في
إسماعيل بن سميع الحنفي^(٤) . فقد قال فيه : أما في الحديث فلم يكن به بأس به ،
وكأنه يشير إلى أن به بأس في معتقده ، لذا لم يرو عنه من الأئمة أمثال ابن عيينة
الذي قال : كان يهسياً^(٥) فلم أذهب إليه ولم أقربه ، وقال الأزدي والعقيلي :

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٢٢٠

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٢٧٠ .

(٥) سبق تعريف اليهسية ص ٢٧٠ .

كان مذموم الرأي غير مرضي المذهب يرى رأي الخوارج فأما في الحديث فلم يكن به بأس، وقال عنه الذهلي: كان يهسياً كان ممن يبغض علياً^(١).

أما معمر بن راشد فثقتة وإمامته معلومة ومن يعاين ترجمته^(٢) لا يجد عليه مثلبة تحط من قدره وثقتة ولكنه إذا حدث بالبصرة يكون في أحاديثه أغاليط، قال أبو حاتم: «معمر بن راشد ما حدث بالبصرة ففيه أغاليط وهو صالح الحديث»^(٣).

ويقول يحيى بن معين: «إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالقه إلا عن الزهري وابن طاووس^(٤)، فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا، وما عمل في حديث الأعمش شيئاً وقال يحيى: وحديث معمر عن ثابت وعاصم ابن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كبير الأوهام»^(٥).

ولعل من أسباب ذلك أنه إذا زار والدته بالبصرة لا يأتي بكتبه كلها من اليمن فيحدث من حفظه فيقع في الوهم، لذا صحح على ابن المديني سماع عبدالرزاق عنه باليمن لأنه يحدث من كتبه، وأما سماع عبدالأعلى^(٦) عنه بالبصرة ففيه أوهام، ومع هذا بقي كلام ابن معين عنه قائماً في أحاديث العراقيين ماعدا الزهري وابن طاووس.

(١) بتصرف يسير تهذيب التهذيب ٢٦٧/١

(٢) انظر ترجمته وثناء الأئمة عليه في الجرح والتعديل ٢٥٦/٨، تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن معين في ترجمته رقم ٣، ٨، ٢٠، المعرفة والتاريخ ٢/٢٠٠، ٨١٩، ٨٢٠، تهذيب الاسماء واللغات ٢/١٠٧، تذكرة الحفاظ ١/١٩٠، ١٩١، السير ٥/٧.

(٦) الجرح والتعديل ٢٥٧/٨

(٤) هو عبد الله بن طاووس بن كيسان سبقت ترجمته ص ١٣٤.

(٥) تهذيب التهذيب ١٠/٢٢٠

(٦) هو عبد الأعلى بن عبد الأعلى الشامي أبو محمد القرشي البصري، توفي سنة ١٨٩، السير

والذهلي متخصص في الزهري ويميز حديثه من حديث غيره، لذا فضل
وقدّم وهيباً على معمر لأن روايتهما عن أيوب السختياني وهو بصري . وقيد
كلامه بقوله « عندنا » دلالة على أن هذا رأيه الخاص والله أعلم .

٤ - المفاضلة بصيغة أسوق .

تحدث الحافظ ابن حجر في هدي الساري عن الأحاديث المعلقة في صحيح
البخاري وأشار إلى من غلّقها ووصلّها وكان منها متابعة^(١) هلال بن رداد
الطائي^(٢) لعقيل بن خالد^(٣) عن الزهري^(٤) .

فقال : ومتابعة هلال بن رداد عن الزهري وصلّها الذهلي في
الزهريات^(٥) .

وفي تعليق التعليق ساق سنده الخاص إلى الإمام الذهلي مورداً تغليقه
ووصله لهذه المتابعة فقال :

(١) انظر معنى المتابعة ص ٨٦٨ في المبحث الثاني من الفصل الخامس .

(٢) هو هلال بن رداد الطائي أو الكناني، الشامي، الكاتب، مقبول من السابعة . التقريب ص ٥٧٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٥١٧ .

(٤) وجدير بالذكر أن متابعة هلال بن رداد كانت في أول موضع تذكر فيه المتابعات في صحيح
البخاري كما ذكره بدر الدين العيني في عمدة القاريء شرح صحيح البخاري : ٧٦/١ "
والحديث الذي حصلت فيه المتابعة هو الحديث الثالث في الجامع الصحيح قال الامام البخاري :
حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم
المؤمنين أنها قالت : أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا
الصادقة الخ " صحيح الإمام البخاري، كتاب بدء الوحي ، باب ٣ ، ٤ / ١ .

ثم يّين في نهاية الحديث الرابع أن عبد الله بن يوسف وأبو صالح (عبد الله بن صالح) قد تابعا
الليث عن عقيل ، ثم جاءت المتابعة الثانية في هذا الحديث وهي متابعة هلال بن رداد عن عقيل
عن الزهري " فتح الباري ٢٧/١ ، تعليق التعليق ١٥/٢ وكان قد أوضح في هدي الساري من
وصلّ متابعتي عبد الله بن يوسف وأبي صالح ، انظر ص ٢٠ وانظر كلام بدر الدين العيني في
تفصيل هذه المتابعات في عمدة القاريء ٧٦/١ .

(٥) هدي الساري ص ٢٠

وأما متابعة هلال بن رداد فقال أبو عبدالله محمد بن يحيى الذهلي ، في جمعه لحديث الزهري : أخبرني محمد بن مسلم الرازي ، حدثني أبو القاسم بن هلال بن رداد الطائي ، ثنا أبي - وكان من كتبة هشام - قال : سمعت ابن شهاب . . . إلخ » .

ثم ذكر تعليق الذهلي على هلال بن رداد فقال : قال الذهلي : وكان هلال ابن رداد الطائي أسوقهم^(١) للحديث باقتصاصه^(٢) . « قال ابن حجر يعني لحديث الزهري . أ. هـ^(٣) .

(١) معنى صيغة المبالغة والمفاضلة هذه أن هلال أكثرهم سوقاً وإيراداً للحديث فكأنه يتميز عن سواه بالاجتهاد والتجري في أدائه .

(٢) أورد ابن حجر هذه العبارة مرة أخرى في تهذيب التهذيب ٦٩ / ١١ إلا أنه قال : باختصاصه ولعل الأقرب ما أثبتته عنه في المتن من تعليق التعليق وما ذكره التاج السبكي في طبقاته . قال : باختصاصه ٤٠٥ / ١٠ ، لأن لفظ الاقتصاص أقرب لمعنى كلامه من الالفاظ الأخرى . وجاء في لسان العرب ٧ / ٧٤ اقتصصت الحديث ، رويته على وجهه ، إلخ .

(٣) تعليق التعليق ١٧ / ٢ .

المطلب الثاني تمييزة بين الرواة

١ - تمييز الراوي بذكر أمه ومن روى عنه

في حرف العين من أبواب الكنى في تهذيب التهذيب ذكر الحافظ ابن حجر (أبو عائد الله) ثم قال : ويقال ابن عبدالله بن ربيعة روى عن عائشة وعنه الزهري ، قرنه بعروة في قصة سالم مولى أبي حذيفة وقد أخرجه النسائي من رواية يحيى بن سعيد الأنصاري عن الزهري عن عروة وابن عبدالله بن ربيعة [عن عائشة^(١)].

وكذا قال يونس عن الزهري ، وقال عقيل وشعيب عن الزهري عن عروة [وأبي عائد الله] بين ربيعة ، ورواه يونس وشعيب وعقيل أيضاً ومعمروا بن أخي الزهري ومالك عن ابن شهاب عن عروة وحده ، ورواه عبدالرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عن عروة وعمر عن عائشة .

(١) أخرجه أحمد بن شعيب النسائي في السنن الصغرى (المجتبى) بشرح السيوطي وحاشية السندي وترقيم أبو غدة ٨/٢٦ في كتاب النكاح باب تزويج المولى العربية ٦٢/٦ . وهو في السنن الكبرى له بتحقيق البنداري والكسروي ٣/٢٦٨ قال رحمه الله : أخبرنا محمد بن نصر حدثنا أيوب سليمان (بن بلال) حدثني أبو بكر ابن أبي أويس عن سليمان هو ابن بلال قال : قال يحيى (يعني ابن سعيد) وأخبرني ابن شهاب حدثني عروة بن الزبير وابن عبد الله بن ربيعة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان ممن شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى سالماً وهو مولى لامرأة من الأنصار كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأنكح أبو حذيفة بن ربيعة سالماً ابنة أخته هند بنت الوليد بن عقبة ابن ربيعة وكانت هند بنت الوليد بن ربيعة من المهاجرات الأول وهي يومئذ من أفضل أيامي قريش فلما أنزل الله عز وجل في زيد بن حارثة ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ سورة الاحزاب (٥) وأخرجه مالك في الموطأ كتاب الرضاع باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبر ٦٠٥/٢ عن ابن شهاب عن عروة عائشة . الخ " التمهيد ٨/٢٥٠ وأخرجه مسلم في صحيحه من طرق عن القاسم بن محمد ابن أبي بكر عن عائشة كتاب الرضاع ، باب رضاعة الكبير ١٠٧٦/٢ ، حديث ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ وراجع تخريج البخاري وأبو داود له في الرضاع !! وأخرجه البخاري من طريق شعيب عن الزهري عن عروة وحده في النكاح باب الأكفاء في الدين ٩/١٣١ . وأبو داود من طريق يونس عن ابن شهاب عن عروة وحده في النكاح باب من حرم به ٥٤٩/٢ .

قال الذهلي : وهذه الوجوه كلها محفوظة إلا قول ابن مسافر ، غير أنني لست أقف على هذا الرجل المقرون مع عروة إلا أنني أتوهم أنه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي^(١) وأمه أم كلثوم بنت أبي بكر^(٢) فإن الزهري قد روي عنه حديثين ، وهذا مراد يونس ويحيى بن سعيد بقولهما عن ابن عبد الله ابن أبي ربيعة فيما أظن إلى أن قال وأما عائذ الله فمجهول لا يعرف^(٣) .

نجد هنا أن الذهلي قد أنكر معرفة ابن عبد الله بن ربيعة واستثنى من إنكاره هذا أنه ربما كان إبراهيم المخزومي ، ولم يعرف أبو عائذ ألبتة في آخر كلامه وجهله .

وقد نقل كلام الإمام الذهلي هذا حافظ المغرب ابن عبد البر بنحوه فقال :

قال محمد بن يحيى : وهذه الوجوه كلها محفوظة غير أنني لا أعرف من ابن عبد الله بن ربيعة وابن عائذ الله بن ربيعة وأظنه إبراهيم بن . . . الخ^(٤) . قلت : ان لم يكن أبو عائذ الله أو ابن عائذ الله هو ابن عبد الله بن ربيعة فهو على ما قال الذهلي «مجهول لا يعرف» والأقرب أنه هو ولعل الاختلاف في الاسم خطأ من بعض الناقلة أو أنهما اسمان على عَلم واحد ، ولذا فقد ذكر في نسخ التمهيد الاسمين في هذا الموضع^(٥) .

(١) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي المدني . أمه أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، روى عن عائشة أم المؤمنين ، قال ابن القطان لا يعرف ، تهذيب التهذيب ١٢١/١ .

(٢) هي أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، توفي أبوها وهي حَمْل ، ثقة من الثانية . التقريب ٧٥٨ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٢٢/١٢

(٤) التمهيد ٨/٢٥٤

(٥) بدليل ما أثبتته محقق الجزء الثامن من التمهيد محمد الفلاح في حاشيته ص ٢٥٣ عند ذكر ابن عبد الله بن ربيعة فقال : " عبد الله ب ، عائذ الله أ ، خ "

والذي يعنينا في هذا المبحث هو تمييز الذهلي لابن عبدالله بن ربيعة وتعريفه به على ما تَوَهَّمَ وتَوَقَّعَ أنه إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة . . . وميَّزَه بذكر أمه أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وبرواية الزهري عنه حتى لا يلتبس بغيره ممن يحمل هذا الاسم، كما وقع للحافظ المزي في تحفة الأشراف إذ قال في زياداته على ابن عساكر عن «ابن عبدالله بن ربيعة»: وأظنه ابن أبي ربيعة وهو الحارث بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي^(١)، والله اعلم^(٢).

وقد استدرك الحافظ ابن حجر في نكته الظراف على الأطراف على الإمام المزي قوله أنه الحارث المخزومي فقال: قلت: خالف ذلك في التهذيب فذكر عن الذهلي أنه «إبراهيم بن عبدالله بن عبد الرحمن ابن أبي ربيعة» قال ابن حجر: قلت: وهذا هو المعتمد^(٣).

ولما راجعت ترجمة إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة، وترجمة الحارث بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزوميان . . . وجدت الزهري يروي عنهما جميعاً ولكن بين والديهما بون شاسع. فالأول أمه أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنهما وخالته عائشة أم المؤمنين راوية الحديث^(٤).

والثاني أمه أم ولد حبشية نصرانية ماتت على دينها وشيعها ابنها وبعض الصحابة^(٥).

(١) هو الحارث بن عبدالله ابن أبي ربيعة بن المغيرة، المخزومي، المكي، أمير الكوفة المعروف بالقُبَاع. التقريب ص ١٤٦.

(٢) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ١٢/١٠٠.

(٣) النكت الظراف ١٢/١٠٠ وقد خالف المزي رحمه الله في تسميته هنا، وفي التهذيب إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن.

(٤) انظر التاريخ الكبير ١/٢٩٦، وتهذيب التهذيب ١/١٢١، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/٧٣.

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٥/٢٩، التاريخ الكبير ٢/٢٧٣. المعرفة والتاريخ ١/٣٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/١٨٢، وتهذيب التهذيب ٢/١٢٥.

وبهذا يكون قد اتضح وجه إقران ابن أبي ربيعة بعروة بن الزبير إذ كليهما يروي عن خالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهما ويكون توقع الإمام الذهلي وتمييزه قد أصاب وعليه اعتمد ابن حجر .

٢ - تمييزه بين الرواة ببيان تفاوتهم في الاضطراب قوة وضعفاً .

قال أبو الوليد الباجي في ترجمه إسحاق بن راشد الجزري^(١)

قال محمد بن يحيى الذهلي العالم بالحديث ، لاسيماً حديث الزهري ، صالح ابن أبي الأخضر^(٢) وزمعة بن صالح^(٣) ، ومحمد ابن أبي حفصة^(٤) في بعض حديثهم اضطراب ، والنعمان^(٥) وإسحاق بن راشد الجزريان أشد اضطراباً من أولئك .^(٦)

فالإمام الذهلي هنا ميّز بين مجموعتين من الرواة الذين تفاوتوا في شدة الاضطراب وبين أن الاضطراب في المجموعة الأولى يكون في بعض حديثهم ، وعلى هذا فهم أخف من المجموعة الثانية التي وصفها بشدة الاضطراب .

٣ - تمييزه بين راويين عن الزهري ببيان مكانتهما الحديثية عن الزهري ومدى الشهرة بالحديث ، وذكر البلد وأمر أخرى .

قال الإمام المزي في ترجمته محمد بن عبدالله ابن أبي عتيق بن عبدالرحمن ابن أبي بكر الصديق^(٧) .

قال الذهلي : « ابن أبي ذئب^(٨) وابن أبي عتيق مقاربان في الرواية عن الزهري ، فأما ابن أبي ذئب فمشهور ، وأما ابن أبي عتيق فهو مدني لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال^(٩) . وسمعت أيوب بن سليمان سئل عن نسبه

(١) سبقت ترجمته ص ٥٢٣ . (٤) سبقت ترجمته ص ٥٢٣ . (٧) سبقت ترجمته ص ٤٨٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٥١٧ . (٥) سبقت ترجمته ص ٥١٢ . (٨) سبقت ترجمته ص ٤٨٩ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٥١٧ . (٦) التعديل والتجريح ٣٧٧/١ . (٩) سبقت ترجمته ص ٤٨٦ .

فذكره، وقال: ما علمت أحداً روى عنه بالمدينة غير أبي، وقال الذهلي: وهو حسن الحديث عن الزهري كثير الرواية مقارب الحديث لولا أن سليمان بن بلال يحدثه لذهب حديثه، (حديثه عند البخاري مقرون^(١)) (٢).

٤ - تمييزه الراوي عن غيره ببيان بعض من روى عنه وقد يؤكد بإحدى مروياته أو أقاربه.

أولاً: تمييزه بذكر بعض من روى عنه.

أ - قال أبو داود السجستاني: قال محمد بن يحيى «وكثير بن جعفر» (٣) روى له ابن كاسب» (٤).

ب - قال ابن حجر: قال الذهلي: أبو عبدالله هذا هو نافع ابن أبي نافع (٥) الذي روى عنه نعيم المجمر - (٦) وابن أبي ذيب (٧) (٨).

(١) عبارة (حديثه عند البخاري مقرون) ليست من كلام الذهلي وإنما هي من كلام المزي أو ابن حجر في تهذيبه.

أي مقرون بأسانيد أخرى عن الزهري، وروى عنه سليمان بن بلال مفرداً وقد أشار إلى ذلك الكلاباذي فقال: روى عنه سليمان بن بلال في (الإستقراض) مفرداً وفي (الجهاد) و (التوحيد) و (الاعتكاف) و باب (شهود الملائكة بدرأمن المغازي) مقروناً بأسانيد رجال صحيح البخاري ٢/ ٦٩٠، وذكر نحو هذا أبو الوليد الباجي إلا أنه جعل باب (شهود الملائكة... الخ) ضمن ما روى عنه سليمان مفرداً (التعديل والتجريح ٢/ ٦٥٦)، انظر بعض تلك المواقع وعلى سبيل المثال (كتاب الاعتكاف) ٤/ ٢٨٣ باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه وكتاب الاستقراض ٥/ ٦٠ باب من استعاذ من الدين / كتاب المغازي ٧/ ٣١٥ باب شهود الملائكة بدرأ.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٦.

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٢٦.

(٤) تسمية الأخوة ص ٢٠٧.

(٥) سبقت ترجمته ص ٥٤٠.

(٦) سبقت ترجمته ص ٥٤١.

(٧) سبقت ترجمته ص ٤٨٩.

(٨) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٨، والتقريب ٦٥٤.

ثانياً : زيادة التمييز بذكر رواية له

ج - قال أبو داود : سمعت محمد بن يحيى بن فارس يقول : «أبو نبيه^(١) الذي حدث عنه ابن إسحاق^(٢) في الإزار عن عائشه الخ»^(٣) .

ثالثاً : تمييز الراوي بذكر المحفوظ عنده في اسمه ، وذكر حفيده ، وتمييزه الحفيد بالرواة عنه والرواية له .

قال ابن خزيمة : قال لنا محمد بن يحيى يعني الذهلي : ابن أكيمة وهو عمار^(٤) ويقال عامر والمحفوظ عندنا عمار ، وهو جد عمرو بن مسلم^(٥) الذي روى عنه مالك بن أنس ومحمد بن علقمة^(٦) حديث أم سلمة اذا دخل العشر^(٧)»^(٨) .

٥ - تمييز الراوي المنقلب اسمه بصيغة أشبه .

في ترجمة عياض بن هلال بن عبدالله ، وقيل ابن أبي زهير ، وقيل هلال ابن عياض الأنصاري .

قال المزي : قال الذهلي وأبو حاتم : [عياض بن هلال^(٩) أشبه^(١٠)] .

(١) سبقت ترجمته ص ٥٢٣ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٣) تسمية الأخوة الذين روي عنهم الحديث ص ٦٩٦ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٥٣٧ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٥٣٨ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٥٣٨ .

(٧) سبق تخريجه ص ٥٣٨ .

(٨) تهذيب التهذيب ٣٥٩/٧ .

(٩) سبقت ترجمته ص ٥٥٥ .

(١٠) تهذيب التهذيب ١٨١/٨ .

المطلب الثالث مفاضلته بين الأسانيد

١ - المفاضلة بصيغة أشهر وأمتن.

(أ) قال أبو حامد ابن الشرقي : سألت محمد بن يحيى فقلت : أي الإسنادين أصح محمد بن عمرو^(١) عن أبي سلمة^(٢) عن أبي هريرة . أو معمر عن همام بن منبه^(٣) عن أبي هريرة . فقال : إسناد محمد بن عمرو أشهر وإسناد معمر أمتن^(٤) .

ويظهر أن الإمام الذهلي قد تابع شيخه ابن المديني في تقرير حال هذين الإسنادين فقد وجه هو هذا السؤال إليه ولكن بصيغة أحب .

فقال : قلت لابن المديني : محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أحب إليك ؟ أم معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ؟ قال : محمد أشهر ، وهذا أقوى .^(٥) ومتابعته هذه لشيخه تسفر عن اقتناعه بماذهب إليه ، وإن اختلف تعبيرهما عن الإسناد الثاني فالمعنى مقارب فالقوة والمتانة مؤداها واحد .

ويطالعنا أبو عبد الله الحاكم باجتهاد خاص به ، فإن الاختلاف في مسألة أصح الأسانيد أمر بدهي ، فالصحابة الرواة عن الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) سبقت ترجمته ص ٥٣٨ .

(٢) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، أحد أعلام المدينة ، ثقة إمام ، توفي سنة (٩٤) . السير ٢٨٧/٤ .

(٣) هو همام بن منبه بن كامل بن سبيح ، من أبناء فارس الذين سكنوا اليمن ، مات سنة (١٣١) . مشاهير علماء والأمصار ، لابن حبان ص ١٢٣ .

(٤) معرفه علوم الحديث ، للحاكم النيسابوري ص ٥٦ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٠/٧ .

كثيرون، والرواة عنهم من التابعين أكثر، وهكذا تتعدد الأسانيد إلى الصحابي الواحد، لذا نجده يقول: « فلا يمكن أن يقطع الحكم في أصح الأسانيد لصحابي واحد»^(١).

وبعد أن ساق أصح أسانيد عدد من الصحابة رضوان الله عليهم. قال:
وأصح أسانيد اليمينيين «معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة»^(٢) واستشهد بقول الذهلي السابق... ولأن المسألة سبر أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً وتحملاً وأداء، فقد أبدى لشيخه أبا أحمد الحاكم^(٣) وجهة نظره بحسب ماتوصل إليه عن رجال الإسنادين.

فقال: قلت لأبي أحمد الحافظ: محمد بن يحيى إمام غير مدافع إمامته ولكني أقول معمر بن راشد أثبت من محمد بن عمرو، وأبو سلمة أجل وأشرف وأثبت من همام بن منبه، فأعجبه هذا القول وقال فيه ما قال^(٤).

ب - تحدث الأئمة عن حديث روي عن الزهري من عدة أوجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن فأرة سقطت في سمن، فقال « ألقوها وما حولها فاطر حوه، وكلوا سمنكم»^(٥).

(١) معرفة علوم الحديث ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣٢.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٧٣.

(٥) الحديث أخرجه مالك في الاستئذان باب ما جاء في الفأرة تقع في سمن ٩٧١ / ٢ عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم سئل... الحديث، ومن طريقه أخرجه البخاري في الوضوء باب من يقع في التجاسات في السمن والماء ٣٤٣ / ١ عن ابن أبي أويس عنه به، وفي الذبائح والصيد باب إذا وقعت الفأرة في السمن الجامد أو الذائب ١٦٧ / ٩ عن عبيد العزيز بن عبد الله عنه به، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، كتاب الفرع والعتيرة باب الفأرة تقع في السمن ١٧٨ / ٧ عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ومحمد بن يحيى النيسابوري عن عبد الرحمن عنه به.

والوجه الأول منها هو . . . الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (١) عن ابن عباس عن ميمونة (٢) ،

والوجه الثاني . . . الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

والوجه الثالث . . . الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر .

والوجه الرابع . . . أشار ابن القيم إلى أنه عن ابن جريج عن ابن شهاب .

= ومن طريق سفيان بن عيينة عن الزهري أخرجه أحمد في المسند ٣٢٩/٦ وأخرجه أبو داود في الأطلعة باب الفأرة تقع في السمن ١٨٠/٤ مسدد ، وأخرجه الترمذي في الأطلعة باب ما جاء في الفأرة تموت في السمن ٢٢٥/٤ ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وأبو عمار ، والنسائي في السنن الصغرى كتاب الفرع والعتيرة باب الفأرة تقع في السمن ١٧٨/٧ عن قتيبة ، والدارمي في الطهارة باب الفأرة تقع في السمن عن محمد بن يوسف ، كلهم عن سفيان بن عيينة عن الزهري به .

ومن طريق معمر عن الزهري أخرجه عبد الرزاق في مصنفه كتاب الطهارة باب الفأرة تموت في الودك ٨٤/١ وأبو داود ١٨٢/٤ عن أحمد بن صالح ، والنسائي ١٧٨/٧ عن خشيش بن أصرم كلاهما عن عبد الرزاق عن عبد الرحمن بن بوزية عن معمر عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله . . . الخ ، وأخرجه من طريق الأوزاعي أحمد في مسنده ٣٣٠/٦ عن محمد بن مصعب عنه به . وأما طريق معمر عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة فقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٨٤/١ ، وأحمد في المسند ٢٣٢/٢ ، ٤٩٠ من طريق محمد بن جعفر وص ٢٦٥ من طريق عبد الرزاق ، وأخرجه أبو داود ١٨٠/٤ عن أحمد بن صالح والحسن ابن علي كلاهما عن عبد الرزاق ، عن معمر عنه به وأخرجه أيضاً البغوي في شرح السنة من طريق محمد بن يحيى [الذهلي] عن عبد الرزاق عن معمر عنه به ٢٥٧/١١ ، وأما طريق الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه ، فقد أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٨٧/٣ من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عنه به .

وأما طريق ابن جريج فأخرجها عبد الرزاق عن عطاء ، وعمر بن دينار في المصنف ٨٥/١ ، ٨٦ .

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٦ .

(٢) هي ميمونة بنت الحارث الهلالية ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، تزوجها بسرف ، سنة سبع

وماتت بها سنة (٥١) على الصحيح ، أسد الغابة ٢٧٢/٧ ، التقريب ص ٧٥٣ . وسرف موضع

على ستة أميال من مكة ، معجم البلدان ٢١٢/٣

وقد بين الحافظ ابن قيم الجوزية ضعف الوجه الرابع وان لم يشر إلى مكان الضعف وكذلك ضعف الوجه الثالث لوجود عبد الجبار بن عمر الأيلي^(١) الذي قال عنه إنه ضعيف لا يحتج به .^(٢)

وبقي الوجهان الأول والثاني فأما الأول منهما وهو حديث ميمونة فقال عنه ابن القيم : « رواه الناس عن الزهري بهذا المتن والاسناد، ومثته أخرجه البخاري في صحيحه والترمذي والنسائي وأصحاب الزهري كالمجمعين على ذلك » .

وقال عن الوجه الثاني الذي رواه معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه : « إن كان جامداً فألقوها وما حولها وإن كان مائعاً فلا تقربوه » قال : ولما كان ظاهر الإسناد في غاية الصحة . صحح الحديث جماعة ، وقالوا هو على شرط الشيخين ، وحكى عن محمد بن يحيى الذهلي تصحيحه .^(٣)

لذا أورد الحافظ ابن حجر طريق معمر في الفتح ونقل كلام الإمام الذهلي عن الطريقين فقال :

قال الذهلي في الزهريات : « الطريقان عندنا محفوظان لكن طريق ابن عباس عن ميمونة أشهر »^(٤)

وحيث أن هذا المقام مقام ذكر مفاضلته بين الطرق والأسانيد ، فإنني اكتفيت فيه بما يدل على المراد ، وأما تسليط الضوء على كلام الأئمة في المحفوظ من طرق الحديث ومكان اختيار الذهلي منهم ، فله موضعه الذي يليق به في هذا الباب وهو « مبحث جهوده في علل الحديث » .

(١) سبقت ترجمته ص ٤٥٧ .

(٢) تهذيب سنن أبي داود المطبوع بحاشية عون المعبود ٣٢٣/١٠ .

(٣) تهذيب سنن أبي داود المطبوع بحاشية عون المعبود ٣١٩، ٣١٨/١٠ .

(٤) فتح الباري ٣٤٣/١ .

٢ - المفاضله بصيغة أصح :

في حديث عبدالله بن زيد بن عبدربه^(١) في الأذان

قال ابن خزيمة : «سمعت محمد بن يحيى يقول : ليس في أخبار عبدالله بن زيد في قصة الأذان خبر أصح من هذا لأن محمد بن عبدالله بن زيد^(٢) سمعه من أبيه ، وعبدالرحمن ابن أبي ليلى^(٣) لم يسمعه من عبدالله بن زيد^(٤) . وسيكتمل الكلام عن هذا الحديث في مبحث تصحيحه للأحاديث .

(١) سبقت ترجمته ص ٥٧٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٥٧٦ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٧٦ .

(٤) صحيح ابن خزيمة ١/١٩٣ ، سنن الترمذي ١/٣٥٩ ، السنن الكبرى للبيهقي ١/٣٩١ ، السنن الصغرى له ١/١١٩ ، تلخيص الحبير ١/٢٠٩ ، فتح الباري ٢/٧٨ وتمام سند الحديث كما في الصحيح . قال ابن خزيمة نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن ابراهيم حدثني أبي عن ابن إسحاق حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبدربه ، حدثني أبي عبد الله بن زيد قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثاقوس ، فعمل ليضرب به للناس في الجمع للصلاة . . . الخ . وأصل الحديث مخرج في السيرة النبوية لمحمد بن اسحاق التي هذبها ابن هشام ٢/٢٥٣ وانظر تعليقات السهيلي عليها في الروض الأنف ٢/٢٨٤ ومن طريق ابن إسحاق عن التميمي عن محمد بن عبد الله عن أبيه أخرجه أحمد ٤/٤٣ وأبو داود في الصلاة باب كيف الأذان ١/٣٣٧ والترمذي في الصلاة باب (١٣٩) ما جاء في بدء الأذان ١/٣٥٨ وانظر كلام العلامة أحمد شاکر ١/٣٦٠ ، ٣٦٢ والدارمي في الصلاة باب بدء الأذان ١/٢٨٦ وابن ماجه في الأذان باب بدء الأذان ١/٢٣٢ بالفاظ مقاربة وأخرجه من طريق ابن جريج عن نافع عن عبد الله بن عمر أحمد في مسنده ٢/١٤٨ والبخاري في الأذان باب بدء الأذان ١/١٦٩ ومسلم في الصلاة باب بدء الأذان ١/٢٨٥ والنسائي في السنن الصغرى . كتاب الأذان باب بدء الأذان ٢/٢ بنحوه ، وأخرجه مختصراً عن أبي قلابه عن أنس البخاري في الموضع السابق ١/١٦٩ ، وفي الانبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/١٧٤ ، ومسلم في الموضع السابق ١/٢٨٦ ، والنسائي في الموضع السابق ٢/٣ ، وأخرجه من طريق ابن إسحاق البيهقي في السنن الكبرى ١/٣٩٠ ، والصغرى ١/١١٩ .

٣ - المفاضلة بصيغة أوقع .

ذكر الإمام الذهبي سنداً عن عمرو بن علي حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن المحرر^(١) قال : « كان اسم أبي عبد عمرو بن عبد غنم »
قال الذهبي : « هذا أوقع الروايات عندي على القلب »^(٢) .

٤ - المفاضلة بصيغة أشبه (*)

ساق الإمام البيهقي سنده إلى محمد بن عمرو^(٣) قال : « سمعت محمد ابن يحيى يقول هذا الحديث^(٤) برواية يونس والزبيدي وابن عيينة وشعيب وابن

(١) المحرر سبقت ترجمته ص ٥٤٣ .

(٢) السير ٥٨٧/٢ وكان الحافظ الذهبي قد ذكر قبله سند محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة (عبد شمس) وذكر أن ابن خزيمة قرأه وقال : هذه دلالة أن اسمه كان عبد شمس
ثم قال : وهو أحسن اسناداً من حديث سفيان بن حسين عن الزهري إلا أن يكون له اسمان قبل ،
ثم ساق طريق عمرو بن علي السابق وترجيح الذهبي له واعتماد النسائي له . " أ . هـ وانظر
تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩/١٠٧/١ .

(*) تحدث الدكتور همام في كتابه (العلل في الحديث دراسة منهجية في ضوء شرح علل الترمذي لابن رجب) عن حيدة النقاد عن البيان الواضح وتصريحهم بأن هذا الحديث يشبه حديث فلان أو هو بحديث فلان أشبه ، أو الاسناد الفلاني أشبه بالصواب ، وانطلق في حديثه عن هذه العبارات من قاعدة مهمة من قواعد الحافظ ابن رجب ، وتوصل في نهاية بحثه المانع أن عبارة أشبه في كتب العلل تعني (الأسلم والأقرب إلى الصواب) وهو المعنى الذي أراد به الإمام الذهبي في عبارته كما دل عليه السياق .

وقد بين الحافظ ابن رجب في قاعدته المشار إليها أن مثل هذه العبارات إنما يرجع فيها أهلها إلى مجرد الفهم ، والمعرفة ، التي خصوا بها عن سائر أهل العلم

قال رحمه الله : " حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث ، ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم ، لهم فهم خاص يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان ولا يشبه حديث فلان فيعللون الأحاديث بذلك ، وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره ، وإنما يرجع فيه أهل إلى مجرد الفهم ، والمعرفة ، التي خصوا بها عن سائر أهل العلم . "

شرح علل الترمذي لابن رجب ٨٦١/٢ ، والعلل في الحديث دراسة منهجية للدكتور همام عبد الرحيم ص ١٠٩ ، ١٥٩ .

(٣) هو محمد بن عمرو بن سليمان عمرويه سبقت ترجمته ص ٢٤٢ .

(٤) ومثته . . . « الوتر حق فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل ومن لم يستطع فليوم إيماء . . . » وهذا لفظ وهيب عن =

أبي إسحاق وعبدالرزاق عن معمر أشبه أن يكون غير مرفوع وانه ليتخالج في النفس من رواية الباقرين مع رواية وهيب عن معمر والله أعلم^(١).

٥ - المفاضلة بصيغة أشرف

قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، وعلي بن محمد، قالوا: ثنا وكيع. ثنا سفيان عن بكير بن عطاء^(٢) سمعت عبدالرحمن بن يعمر الديلي^(٣)،

= معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري . موقوفا عليه .
وقد رواه مرفوعا أحمد ٤١٨/٥ ، والدارمي ٣٧١/١ ، وأبو داود ١٣٢/٢ باب كم الوتر ،
والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٩١/١ ، والدارقطني ٢٢/٢ ، ٢٣ ، والبيهقي ٢٧/٣ من
طرق مختلفة عن الزهري عن عطاء عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه
موقوفا على أبي أيوب كل من عبد الرزاق في مصنفه ٤٦٣٣ عن معمر ١٩/٣ ، والنسائي في
الصغرى ٢٣٨/٣ من طريق أبي مُعَيْد ، وفي ٢٣٩/٣ من طريق الحارث بن مسكين ،
والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٩١/١ من طريق يونس كلاهما عن سفيان . والحاكم في
صحيحه ٣٠٣/١ من طريق محمد بن اسحاق أربعتهم عن الزهري عن عطاء عن أبي أيوب
الأنصاري .

وقد نقل صاحب عون المعبود عن المنذري قوله " ومحمّل أن يكون يرويه من فتياه ومرة من
روايته ٢٩٦/٤ ، ولكن ما ذهب إليه الذهلي من توقع واشتباه في كون الحديث موقوفاً لم يكن
بدعاً ونشازاً من القول فقد رواه عنه وعن غيره من أساطين علل الحديث الحافظ ابن حجر
وصوبه ، قال رحمه الله : " وصحح أبو حاتم والذهلي والدارقطني في العلل والبيهقي وغير
واحد وقفه وهو الصواب " تلخيص الحبير ١٤/٢ .

وانظر في ذلك في التعليق المغني على الدارقطني للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق ٢٣/٢
وفي نيل الأوطار للشوكاني في ٢٩٢/٣ ونقله كذلك عنه الإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني
في سبل السلام شرح بلوغ المرام ٨/٢ ونقل أيضاً ترجيح النسائي وقفه ثم علق قائلاً : وله حكم
الرفع إذ لا مسرح للاجتهاد فيه ، أي في المقادير " .

(١) السنن الكبرى ٢٧/٣ .

(٢) هو بكير بن عطاء الليثي ، الكوفي ، ثقة ، روى عنه الثوري ، الثقات ٧٦/٤ . التقريب
ص ١٢٨ .

(٣) هو عبد الرحمن بن يعمر الديلي . سكن الكوفة ، روى عنه بكير بن عطاء . أسد الغابة
٥٠٣/٣ .

قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف بعرفة . وأتاه ناس من أهل نجد . فقالوا : يا رسول الله ! كيف الحج ؟ قال : « الحج عرفة فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع ^(١) فقد تم حجه ، أيام منى ثلاثه ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه » ثم أردف رجلاً خلفه فجعل ينادي بهن .

وقال : حدثنا محمد بن يحيى . ثنا عبدالرزاق . أنبأنا الثوري عن بكير بن عطاء الليثي ، عن عبدالرحمن بن يعمر الديلي ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعرفة ، فجاءه نفر من أهل نجد فذكر نحوه .

قال محمد بن يحيى : [ما أرى للثوري حديثاً أشرف منه] ^(٢)

٦ - المفاضلة بين الأسانيد بتقديم بعضها على بعض .

قال الإمام ابن خزيمة « حدثنا محمد بن يحيى ثنا سليمان بن داود الهاشمي ^(٣) قال أخبرنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي ^(٤) أن أبا هريرة رضى الله عنه أخبره أن الناس قالوا يا رسول الله الخ » ^(٥) .

(١) جَمْع : علم للمزدلفة ، سميت به لأن آدم عليه السلام وحواء لما أهبطا اجتماعاً بها ، النهاية في غريب الحديث ٢٩٦/١ .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب المناسك باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ١٠٠٣/٢

(٣) هو سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس ، من كبار الأئمة ، مات سنة (٢١٩) . السير ٦٥٢/١٠ .

(٤) هو عطاء بن يزيد الجندعي الليثي ، أصله من المدينة ، كان مولده سنة (٢٥) ، ومات سنة (١٠٥) . مشاهير علماء الأمصار ١١٣ . والجندعي بضم الجيم وسكون النون ، نسبة إلى جندع وهو بطن من ليث ، الأنساب ٩٣/٢ .

(٥) هذا الإسناد والذي يليه في التوحيد لابن خزيمة ٦٨٣/٢ باب [٦٢] ذكر الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بقوله فيصرون فحماً ، أي أبدانهم خلا صورهم وأثار السجود منهم ، الخ ، حديث رقم (٢ ، ٣) . وذكر أيضاً في ٥٦٧/٢ باب [٤٩] ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل .

وقال : حدثنا محمد قال ثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عطاء
ابن يزيد الليثي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الناس يا رسول الله .
قال محمد بن يحيى ، وساقا جميعاً الحديث بهذا الخبر ، غير أنهما ربما
اختلفا في اللفظ والشيء والمعنى واحد .
قال أبو بكر : « قدّم محمد بن يحيى إسناد عبدالرزاق على حديث
الهاشمي » (١)

ولاشك أن تقديم الذهلي لإسناد عبدالرزاق على إسناد حديث الهاشمي
نابع من معرفة تامة بالرجال ورواياتهم وممارسة مستفيضه لأحاديثهم ، ولا جدال
في تخصص معمر بن راشد في حديث الزهري وضبطه له بالمقارنة مع إبراهيم بن
سعد ، ومن جهة أخرى فعبد الرزاق في طليعة تلاميذ معمر في اليمن ، إن لم يكن
قد حاز علمه كله ، وعليه فإن إسناد عبدالرزاق عن معمر عن الزهري يقدم
لعوامل طول الصحبة والممارسة والفهم الثاقب لأحوال المشايخ حال الرواية
وسواها (٢) .

ونص المتن كما في حديث رقم [١] (أن الناس قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟
فذكر الحديث بطوله وقال : (حتى إذا أراد رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا
من كان يعبد الله ، فيخرجونهم ، ويعرفونهم بأثار السجود ، وحرم على النار أن تأكل أثر
السجود ، فيخرجون من النار ، وقد امتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة فينبئون كما تنبت الحبة
في حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ، وهو آخر
أهل الجنة دخولا) الخ ٦٨٢ / ٢ .

والحديث أخرجه البخاري بتمامه في الأذان ٢١٩ / ١ باب [١٢٩] فضل السجود ، وفي الرقاق
٢٦١ / ٧ ، باب (٥٢) الصراط جسر جهنم ، عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري به .
ومسلم في الإيمان ٦٣ / ١ باب (٨١) معرفة طريق الرؤية عن طريق يعقوب بن إبراهيم وشعيب
كلاهما عن الزهري به .

(١) التوحيد لابن خزيمة ٦٨٣ / ٢ .

(٢) راجع في معرفة تقديم الأسانيد (العلل في الحديث) للدكتور همام عبدالرحيم ص ١٠٩ و ص
١٥٩ حيث يبين أن التمييز بين الأسانيد بالتقديم أو تعيين الأشبه بالصواب له عدة مبررات يعرفها
أهل الصنعة الجهابذة ، وأرشد من تلك المبررات لتقديم الإمام الذهلي لإسناد عبدالرزاق على
إسناد الهاشمي ما ذكره بقوله : « لأنه أضبط أو أتقن ، أو أوثق ، أو أثبت في شيخ ما الخ .

المطلب الرابع موازنته بين الأسانيد

المثال الأول :

قال ابن خزيمة^(١) نا محمد بن يحيى ، نا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي سلمة وعبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة قال : سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركعتين ، فقال له ذو الشمالين^(٢) ، من خزاعة حليف لبني زهرة ، أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ قال : كل لم يكن فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال «أصدق ذو اليمين» ؟ قالوا : نعم ! فأتى ما بقي من صلاته (ولم يسجد سجدي السهو حين يقنه الناس)^(٣) .

ثم ساق ابن خزيمة خمسة أسانيد أولها مرسل لم يذكر فيه أبو هريرة والباقية مرفوعة عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : سمعت محمد بن يحيى يقول في كتاب العلل بعد ذكره أسانيد هذه الأخبار ، وقال بين ظهراني هذا الأسانيد :

- وحدثنا محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة^(٤) وأبي بكر بن سليمان^(٥) عن أبي هريرة .

(١) في باب (٤٢٤) ذكر خبر روي في قصة ذي اليمين ، أدرج لفظه الزهري في متن الحديث ، فتوهم من لم يتبحر في العلم ولم يكتب من الحديث إلا تنقياً أن أبا هريرة قال تلك اللفظة التي قالها الزهري في آخر الخبر وتوهم أيضاً أن هذا الخبر الذي زاد فيه الزهري هذه اللفظة خلاف الأخبار الثابتة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد يوم ذي اليمين بعدما أتم صلاته . أ. هـ
(٢) هو عمير بن عبد عمرو ، صحابي شهد بدرًا وقتل بها ، أسد الغابة ٢ / ١٧٤ ، نزهة الألباب في الألقاب ١ / ٢٩٦ .

(٣) ما بين القوسين مدرج من كلام الزهري وليس من الحديث ، انظر كلام ابن خزيمة في هذا الصدد في صحيحه ٢ / ١٢٧ . والحديث أخرجه البخاري في الأذان باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس عن أبي هريرة بنحوه ١ / ١٩٧ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٥٩٤ .

(٥) هو أبو بكر بن سليمان ابن أبي حشمة ، عبد الله بن حذيفة العدوي المدني ، ثقة . التقريب ص ٦٢٣ .

- حدثنا محمد، قال: فيما قرأت على عبد الله بن نافع، وحدثني مطرف^(١) عن مالك عن ابن شهاب عن أبي بكر بن سليمان ابن أبي حثمة قال: بلغني.

- وثنا محمد أيضاً، قال: وثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، نا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن أبا بكر بن سليمان ابن أبي حثمة أخبره أنه بلغه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بهذا الخبر.

- ثنا محمد، نا أبو اليمان، قال، أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو بكر بن سليمان ابن أبي حثمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم... الخ.

- وثنا محمد، نا مطرف، وقرأته على ابن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن. مثل ذلك.

- ثنا محمد. ونا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، نا أبي عن صالح. قال، قال ابن شهاب، وأخبرني هذا الخبر سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. قال: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر ابن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله.

سمعت محمد بن يحيى يقول: وهذه الأسانيد عندنا محفوظة عن أبي هريرة إلا حديث أبي بكر بن سليمان ابن أبي حثمة، فإنه يتخالج في النفس منه أن يكون مراسلاً لرواية مالك وشعيب وصالح بن كيسان وقد عارضهم معمر فذكر في الحديث أبا هريرة. والله أعلم.^(٢)

المقال الثاني:

قال الدار قطني: «حدثنا أبو بكر النيسابوري ثنا محمد بن يحيى وإبراهيم ابن هانئ^(٣) قالاً: نا أبو عاصم ح

(١) هو مطرف بن عبد الله المدني أبو مصعب، روى عن مالك بن أنس، وهو ابن أخته، ثقة مات سنة (٢٢٠). الجرح والتعديل ٨/ ٣١٥، التقريب ص ٥٣٤.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢/ ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

(٣) هو إبراهيم بن هانئ النيسابوري، سكن بغداد، يروي عن يزيد بن أهارون، كان من اخوان أحمد بن حنبل، الثقات ٨/ ٨٣.

وحدثنا أبو بكر النيسابوري نا محمد بن يزيد بن طيفور وإبراهيم بن مرزوق

قالا: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري . ح

وحدثنا أبو بكر النيسابوري: نا أبو الأزهر والحسن بن يحيى قالا: حدثنا

عبدالرزاق .

كلهم عن ابن جريج، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا قاء^(١) أحدكم أو قلس^(٢)، أو وجد مذيأ وهو في الصلاة فليصرف فليتوضأ،

وليرجع فليبين على صلاته ما لم يتكلم»

قال لنا أبو بكر: سمعت محمد بن يحيى يقول: هذا هو الصحيح عن ابن

جريج، وهو مرسل، وأما حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة^(٣) عن عائشة

الذي يرويه إسماعيل بن عياش^(٤) فليس بشيء^(٥).

قال الحافظ البيهقي في المعرفة بعد نقله هذه العبارة:

وهكذا قال أحمد بن حنبل، وغيره من الحفاظ.^(٦) فنجد هنا أن الإمام

الذهلي وازن بين الطرق المروية عن أبي عاصم والأنصاري وعبدالرزاق ثلاثهم

عن ابن جريج عن أبيه مرسلًا.

(١) قاء فلان ما أكل يقيئه قئاً إذا ألقاه. لسان العرب ١/ ١٣٥ .

(٢) القلُس: أن يبلغ الطعام إلى الخلق ملء الخلق أو دونه ثم يرجع إلى الجوف، وقيل القيء، لسان العرب ٦/ ١٧٩ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٢٤ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .

(٥) سنن الدار قطني ص ١/ ١٥٥ ، وانظر معرفة السنن والآثار للبيهقي ١/ ٤٢٣ ، والسنن الكبرى له ١/ ١٤٣ .

(٦) معرفة السنن والآثار ١/ ٤٢٣ . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي .

ويبين الطريق الذي يرويه إسماعيل بن عياش عنه عن ابن أبي مليكة عن عائشة، وحكم بأنه ليس بشيء، وذلك لأن الأئمة يحتجون بحديثه عن الشاميين، وأما حديثه عن أهل الحجاز فلا يصححونه.

قال أبو طالب سمعت أحمد بن حنبل يقول : « إسماعيل بن عياش ماروى عن الشاميين صحيح، وماروى عن أهل الحجاز فليس بصحيح »^(١).

وهو كما قال ابن عدي في نهاية ترجمته « حديث العراقيين إذا رواه ابن عياش عنهم فلا يخلو من غلط يغلط فيه، إما أن يكون حديث موصول يرسله أو مرسل يوصله أو موقوفاً يرفعه، وحديثه عن الشاميين إذا روى عنه ثقة فهو مستقيم، وفي الجملة إسماعيل بن عياش ممن يكتب حديثه، ويحتج به في حديث الشاميين خاصة »^(٢).

وإسماعيل بن عياش قد روى هذا الحديث عن ابن جريج على أوجه أخرى.

قال الإمام البيهقي بعد إيراده للوجه الذي انتقده الإمام الذهلي .

قال : « هكذا رواه إسماعيل بن عياش عن ابن جريج^(٣)، ورواة مرة أخرى عن ابن جريج عن أبيه عن عائشة، وكلاهما غير محفوظ^(٤)، ورواه

(١) الكامل لابن عدي ٢٩٢/١، التعليق المغني على الدارقطني، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ١٥٥/١، السنن الكبرى للبيهقي ١٤٢/١.

(٢) الكامل ٣٠٠/١.

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ماجاء في البناء على الصلاة ٣٨٥/١ وقال الحافظ شهاب الدين البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه : في إسناده إسماعيل بن عياش وقد روى عن الحجازيين وروايته عنهم ضعيفه (١٤٤/١) وأخرجه الدارقطني ١٥٣/١ والبيهقي في السنن الكبرى ١٤٢/١.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ١٤٢/١.

مرة ثالثة عن ابن جريج عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا، وهو المحفوظ» (١)

وسأل أبو طالب أيضاً الإمام أحمد عن حديث ابن عياش، عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: [من قاء أو رعف أو أحدث في صلاته فليذهب فليتوضأ ثم لين على صلاته].

فقال: هكذا رواه ابن عياش، إنما رواه ابن جريج. ، فقال عن أبي، وإنما هو عن أبيه، ولم يسنده عن أبيه ليس فيه عائشة ولا النبي صلى الله عليه وسلم. وعلق على حديثه عن أهل المدينة وأهل العراق بأن فيه ضعف وأنه يغلط (٢).

وعلى هذا فتضعيف الذهلي لذلك الطريق جاء موافقاً لما عرف عن إسماعيل في حديثه عن الحجازيين، وتصحيحه للمرسل عن ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم لحفظ أصحاب ابن جريج الآخرين له على تلك الحالة من الإرسال.

(١) أخرجه الدارقطني في سننه ١/١٥٤، والبيهقي في سننه الكبرى ١/١٤٣، وفي معرفة السنن والآثار ١/٤٢٣.

(٢) الكامل لابن عدي ١/٢٩٢.

المبحث الخامس معرفة بشئون الرواة الخاصة

سبق وأن اطلعنا في المباحث السابقة على جهود الإمام الذهلي في الكشف عن أحوال الرواة العامة، بما له أثر في التعريف بهم وبأوطانهم ووفياتهم وسماعاتهم، وفي هذا المبحث نستعرض بعض لمساته على أحوالهم الخاصة، سواء كانت خاصة بروايتهم للحديث، أو خاصة بهم كأشخاص رووا الحديث. وفي لمساته هذه دلالة على مدى تقصيه لكل مايسلطان الضوء على الرواة ويبرزهم للعيان.

المطلب الأول : معرفته بمقدار ما عند الرواة من الحديث

أولاً: كنيته عن كثرة أحاديث الرواة بلفظ «التبحر» وعن التوسط بلفظ «قطيع».

في ترجمة سليمان بن بلال التيمي القرشي^(١). قال الإمام المزي: أ - قال الذهلي: ما ظننت أن عند سليمان بن بلال من الحديث ما عنده حتى نظرت في كتاب ابن أبي أويس^(٢)، فإذا هو قد تبهر في حديث المدنيين^(٣).

ب - وزاد الذهبي على رواية المزي قوله: «وإذا هو قد روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري^(٤) قطعاً من حديث الزهري، وعن يونس الأيلي^(٥)»^(٦).

(١) سبقت ترجمته ٤٨٦.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس الأصبحي المدني، قال ابن حنبل: هو عالم كثير العلم. مات سنة (٢٢٦) السير ٣٩١ / ١٠.

(٣) تهذيب التهذيب ١٥٤ / ٤.

(٤) هو يحيى بن سعيد بن قيس أبو سعيد الأنصاري، عالم المدينة، قال العجلي: كان رجلاً صالحاً فقيهاً ثقة. مات سنة (١٤٣) تاريخ الثقات ص ٤٧٢، السير ٤٦٨ / ٥.

(٥) سبقت ترجمته ٥١٧.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤٢٦ / ٧، ٤٢٧.

ثانياً : تصريحه بمدى كثرة أو قلة روايتهم للحديث .

أ - قال : إبراهيم بن سعد روى عن الزهري ، وعن أصحاب الزهري عنه ، وكثرت روايته لحديث الزهري ، وأغرب عنه^(١) ، ومدار حديثه على ابنه يعقوب ابن إبراهيم ، سمع هو وأخوه سعد الكتب ، قال : فمات سعد قبل أن يكتب عنه كبير أحد ، وبقي يعقوب ، فكتب الناس عنه ، فوجدوا عنه علماً جليلاً من حديث الزهري وغيره^(٢) .

ب - وقال عن ابن أبي عتيق^(٣) :

هو حسن الحديث عن الزهري كثير الرواية . . . الخ^(٤) .

ج - وقال عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي^(٥) . وأمه أم كلثوم بنت أبي بكر ، فإن الزهري قد روى عنه حديثين^(٦) .

المطلب الثاني : معرفته بمن تدور عليهم أحاديث الرواة .

لمعرفة من تدور عليهم الأحاديث أو الأسانيد أهمية كبرى في علم علل الحديث ، إذ يادراك مدى كثرة رواية الراوي عن شخص بعينه أثر في معرفة أوثق الناس في هذا الراوي ، وثانياً في معرفة أكثرهم جمعاً ورواية عنه . ومن ثم يتكون لدى الناقد الحصيف منهجاً دقيقاً يستعين به في نقده للرواة .^(٧)

(١) الإغراب : هو الإتيان عن المحدث بما لا يعرف عنه ، ومن ذلك ما رواه الإمام مالك : شر العلم الغريب ، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس . انظر شرح علل الترمذي لابن رجب ٦٢١/٢ - ٦٢٤ .

(٢) تهذيب الكمال (٣٢/٣١٠) ، السير ٩/٤٩٢ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٨٦ .

(٤) تهذيب التهذيب ٩/٢٤٦ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٥٨٩ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٢/١٦٢ .

(٧) بتصرف انظر العلل في الحديث دراسة منهجية للدكتور همام عبدالرحيم .

- ١ - قال عند ترجمته إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري. (١): «ومدار حديثه على ابنه يعقوب بن إبراهيم» (٢).
 ٢ - وقال في تعليق له على حديث الوسوسة (٣).
 (.....) وكان يحيى بن عمار (٤) عامة روايته عن أبي سعيد (٥) (٦).

المطلب الثالث : معرفته بأقارب الرواة

أولاً: الجدُّ

- أ - قال في تعريفه بعمارة بن أكيمة الليثي المدني: «ابن أكيمة وهو عمار ويقال عامر والمحفوظ عندنا عمار، وهو جدُّ عمرو بن مسلم... الخ» (٧).

- (١) سبقت ترجمته ص ١٥١.
 (٢) سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٢، وقد نقل ابن حجر في التهذيب ١١/ ٣٣٤ كلام الذهلي السابق ولكن فيه خطأ [على أبيه يعقوب] والأقرب أنه تصحيف من ابنه.
 (٣) انظر الحديث بتمامه في تعظيم قدر الصلاة للإمام محمد بن نصر المروزي، تحقيق د. عبدالرحمن بن عبد الجبار الفريواني ٢/ ١٠٠٤ حديث (١٠٧٩) مروى عن طريق الذهلي عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا أبي عن الزهري عن يحيى بن عمارة ابن أبي حسن المازني أنه بلغه أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة التي وسوسها الشيطان في أنفسهم... الحديث... وأورده المؤلف بحديث رقم ٧٨٢، ٧٨٤، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٣/ ١٠٢٢ حديث رقم ١٢٢٨، وأحمد ٦/ ١٠٦ ووكيع في الزهد (حديث رقم ٢٢٦) وهناد السري في الزهد (حديث رقم ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤) وأخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٣٨٨. كلهم من طرق مختلفة.
 وله شواهد عند مسلم ١/ ١١٩ الإيمان باب بيان الوسوسة، وأبوداود في السنن ٥/ ٣٣٦ الأدب باب في رد الوسوسة وابن منده في الإيمان (٢/ ٤٧١، ٤٧٣) عن أبي هريرة.
 (٤) هو يحيى بن عمارة ابن أبي الحسن المازني الأنصاري، من أهل المدينة، يروي عن أبي سعيد، روى عنه الزهري وابنه عمرو. الثقات ٥/ ٥٢٢.
 (٥) أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، مشهور بكنيته، من فضلاء الصحابة، توفي عام (٧٤). أسد الغابة ٢/ ٣٦٥.
 (٦) تعظيم قدر الصلاة ٢/ ١٠٠٥.
 (٧) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥٩ وانظر التعريف بالجد وحفيده في معرفته بالأسماء والكنى ص ٤١٠-٤١١.

ب - وقال عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري .
« ما أظنه سمع من جده شيئاً »^(١) .

ثانياً: الأب والعمر .

أ - قال بعد أن روى حديثاً عن عبّاد بن العوام : اضطرب الناس في هذا الحديث ببغداد فذهبت أنا وأبو بكر الأعين إلى العوام بن عباد بن العوام فأخرج إلينا أصل أبيه فإذا الحديث فيه^(٢)

ب - قال عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري :
« » وإنما رواية عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه وعمه عبيدالله بن كعب^(٣)

ج - قال عن محمد ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم^(٤) عند تعرضه لعله أحد الأحاديث :

« . . . فكأن الحديث قد صار عن الزهري عن محمد ابن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه^(٥) .

ثالثاً : الأمر .

عرّف إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي وميزه عن غيره بأمه فقال : وأمه أم كلثوم بنت أبي بكر الخ^(٦) .

(١) تهذيب التهذيب ١٩٥/٦ ، والتنبيه على الأوهام للجواني ص ١٧١ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢٢٥/١ ، وانظر ترجمة الرواة ص ٤٥٦ .

(٣) التنبيه على الأوهام للجواني ص ١٧١ ، وقد سبقت تراجم الرواة . ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

(٤) هو محمد ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني ، أبو عبد الملك ، كان على القضاء بالمدينة ، مات سنة (١٣٢) . مشاهير علماء الأمصار ص ١٢٨ .

(٥) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ١٠٠٥/٢ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٦٢/١٢ . وقد سبقت تراجم الرواة . ص ٥٨٩ .

رابعاً : الإخوة

أ - قال عند تعريفه يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري : وكان قد سمع هو وأخوه سعد الكتب فمات أخوه قبل أن يكتب عنه كثير جداً الخ^(١) .

ب - قال معرفاً بأبي نبيه التيمي أبو نبيه الذي حدث عنه ابن إسحاق في الإزار عن عائشة هو «أخو» محمد ابن إبراهيم بن الحارث التيمي^(٢) .

خامساً : الأبناء .

أ - ذكر أبناء راشد الجزري فقال :

« والنعمان ، وإسحاق أبناء راشد الجزريان الخ »
ومفهوم كلامه هذا أنهما أخوان ، لذا قال ابن حجر : ومن جزم أن إسحاق والنعمان أخوان الذهلي^(٣) .

ب - وذكر أبناء عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فقال :
« لعبد الله بن الحارث بن نوفل ثلاثة بنين : عبد الله وعبيد الله ومحمد بنو عبد الله بن الحارث بن نوفل »
وقد أيد كلام الذهلي الحافظ أحمد بن صالح فذكر نحوه ثم قال :
وهؤلاء كلهم أخوة^(٤) .

(١) تهذيب التهذيب ١١ / ٣٣٤ ، وانظر التعريف بهما في معرفته بالإخوة .

(٢) أبو داود السجستاني : تسمية الأخوة الذين روي عنهم الحديث ص ١٩٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ١ / ٢٠٢ ، وانظر التعريف بهما ص ٥٢٣ في معرفته بالأخوة

(٤) التمهيد ٨ / ٣٤١ وانظر التعريف بهم ص ٥٢٤ في معرفته بالأخوة

سادسا : ابن الابن .

قال في علل حديث الزهري عن عبيدالله ابن أبي زياد الرصافي :

«وعبيدالله ابن أبي زياد من أهل الرصافه لم أعلم له راوياً غير ابن ابنه
..... الخ»^(١).

المطلب الرابع : متفرقات في أخبار الرواة الخاصة

أولاً : معرفته بوظائف الرواة .

١ - قال عن هلال بن رداد الطائي : «كان من كتبة هشام
الخ»^(٢).

وفيما ذكره البدر العيني في شرحه على البخاري قال : قال الذهلي :
كان كاتباً لهشام»^(٣).

٢ - وقال عن أبي صالح : حدثنا حجاج بن منهال وأبي صالح كاتب
الليث»^(٤).

ثانيا : معرفته بمن كان يقود كعب بن مالك حين كُفَّ بَصَرُهُ من أبنائه وأحفاده.

سَرَدَ الإمام الذهلي أبناء وأحفاد كعب بن مالك الذين رآهم أو سمع
منهم .

(١) تهذيب التهذيب ١٣/٧ ، وانظر التعريف به ص ٤٨٥ .

(٢) الأغلب أنه هشام بن عبدالمملك ، وما يستأنس به للتدليل على ذلك ما ذكره الإمام المزي عن
شعيب ابن أبي حمزة أنه كان من كتاب هشام بن عبدالمملك على نفقاته ، تهذيب الكمال
٥١٩/١٢ .

(٣) انظر نقل المزي لذلك عنه في تهذيب التهذيب لابن حجر ٧٠/١١ وفي جوابه عن حال هلال
الطائي الذي ضمنه السبكي طبقاته الكبرى للشافعي (٤٠٤/١٠) وانظر عمدة القاري
٣٠٥/١ .

(٤) متقى ابن الجارود ، باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٧٩ .

فقال: «سمع الزهري من عبدالله بن كعب، وكان قائد أبيه حين عَمِي . . . الخ»^(١)

هذه رواية ابن عبدالبر وأما أبو علي الغساني الجياني فقال: «... عبدالله ابن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِي»^(٢) وجدير بالذكر أنه حين سرد من رآهم أو سمع عنهم من أبناء وأحفاد كعب بن مالك قد قال: «وسمع من عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب قائد كعب...» وهو بهذا كرر من يقود كعب مرتين، إحداهما عند ذكر ابنه عبدالله، والأخرى عند ذكر ابن ابنه عبدالرحمن... ولا أعلم أهو يريد الإشارة إلى أن عبدالرحمن كان يقود جده كعب بن مالك أيضاً؟ ويتقوى هذه الظن بما ذكره ابن حجر في الإصابة^(٣) أنه من ضمن الرواة من الأبناء والأحفاد عن كعب وعلى هذا فممكّن أن يكون شارك أباه في هذا البر الغالي.

ثالثاً: معرفته بالمبتدعة من الرواة

سئل رحمه الله عن إسماعيل بن سميع الحنفي فقال: كان يبهسياً كان ممن يبغيض علياً»^(٤)

رابعاً: معرفته بأهل العبادة من الرواة.

قال عن فديك بن سليمان القيسراني العابد^(٥): كان من العبّاد^(٦)

(١) التمهيد ٥٥/١١، وقد سبق نقل سياقه كاملاً في مادة اعتناؤه بمعرفة أبناء الصحابة.

(٢) التنبيه على الأوهام ص ١٧١.

(٣) قال في ترجمته كعب بن مالك: «روى عن أولاده عبدالله وعبدالرحمن وعبيدالله ومعيد ومحمد، وابن ابنه عبدالرحمن بن عبدالله» الإصابة في تمييز الصحابة ٣٠٥/٨.

(٤) تهذيب التهذيب ٢٦٧/١، التقريب ١٠٨، الكاشف ١٢٤/١، وانظر ترجمته والتعريف في ص ٢٧٠.

(٥) هو فديك بن سليمان أبو معشر القيسراني، روى عن الأوزعي. ذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب ٢٣١/٨.

(٦) تهذيب التهذيب ٢٣١/٨.

خامساً : وقوفه على زمن رحلة يحيى بن معين إلى أبي اليمان :

قال أبو عمرو البرذعي : قلت لمحمد بن يحيى : في حديث أنس ، عن أم حبيبة حديث شعيب ابن أبي حمزة ، حدثكم به أبو اليمان وقال عن ابن أبي حسين ؟ فقال لي محمد بن يحيى : نعم حدثنا به من أصله عن ابن أبي حسين . فقلت له : حدثنا به غير واحد ، عن أبي اليمان ، فقالوا : عن الزهري فقال : لقنوه ، عن الزهري . قلت : يحيى بن معين رحل إليه قبلك أو بعدك ؟ وذلك أن يحيى روى هذا عن أبي اليمان ، وقال : عن الزهري . فقال لي محمد بن يحيى : يحيى رحل إليه بعدي الخ » (١)

سادساً : ذكره بعض صفات الرواة الخلقية :

قال أبو عمرو المستملي (٢) : سمعت محمد بن يحيى يقول : حدثني سفيان ابن يحيى الواسطي (٣) وكان شيخاً قصيراً ، أحمر الرأس واللحية ، كتبت عنه أربعة أحاديث بواسطة سنة تسع وتسعين ومائة . « (٤) »
سابعاً : معرفته بمن كان ثباتاً في شيخ بعينه .

١ - قال عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله القيسي (٥) : « وكان ثباتاً في شعبة » (٦)

(١) أسئلة البرذعي لأبي زرعة ملحق بكتاب الضعفاء لأبي زرعة . ٧٤٦/٢ وانظر التراجم ومعنى التلقين وعرض المعلومة بإيجاز في معرفته بالتلقين وأنه يقدح في ضبط الراوي ص ٤٢٠-٤٢١ الفصل الأول .

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٢ .

(٣) لم أجد ترجمته .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٨٢ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٦) التهذيب التهذيب ٢/٣٧٢ .

٢ - وقال عن زائدة الثقفي (١): « . . . وهو متقن عن الأعمش (٢) » (٣)

ثامناً : معرفته بلهجات بعض البلاد مما له أثر في معنى الحديث

أخرج ابن ماجه حديث البطاقة في سننه وفي آخره قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « . . . فطاشت السجلات وثقلت البطاقة » (٤)

ثم قال محمد بن يحيى : « البطاقة الرقعة ، وأهل مصر يقولون للرقعة : بطاقة » (٥)

ومن كلامه رحمه الله نستشف أن أهل نيسابور وماجاورها يسمونها رقعة .

تاسعاً : ذكره مفاجأة الموت لبعض الرواة .

أ - قال عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله القيسي (٦) السالف الذكر : « وكان ثبتاً في شعبه عاجله الموت » (٧)

ب - في حديثه السابق عن يعقوب وسعد ابني إبراهيم بن سعد الزهري . قال عنهما : « سمع هو وأخوه سعد الكتب ، قال فمات سعد قبل أن يكتب عنه كبير أحد ، وبقي يعقوب فكتب الناس عنه » (٨) . وقوله هذا موح بأن سعداً لو عاش لكانت له مكانة حديثية ، ومثل هذه الإشارة أثرت عن الأئمة فقد قال

(١) سبقت ترجمته ص ٤٤٨ .

(٢) الأعمش هو سليمان بن مهران سبقت ترجمته ص ١٢٢ .

(٣) فتح الباري (١٩/٢) .

(٤) أخرجه الترمذي في الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله . ٢٥/٥ ، وأحمد في مسنده ٢١٣/٢ .

(٥) سنن ابن ماجه ١٤٣٧/٢ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٧) تهذيب التهذيب ٣٧٢/٢ .

(٨) تهذيب الكمال ٣١٠/٣٢ ، والسير ٤٩٢/٩ .

الحافظ ابن حجر في محمد بن علي بن أيبك السروجي « لو علت سنُّه لكان
أعجوبة الزمان » (١)

وكما قال قبله الذهبي في عمر بن عبد العزيز : « أن موته قريب من موت
شيوخه فلم ينتشر علمه » (٢)

عاشراً : تتبعه لأحوال مالك بن أنس واستعارته صاعه المعير على صاع النبي
صلى الله عليه وسلم لمعرفة مقداره .

قال الحافظ البيهقي : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي
عمرو المستملي سمعت محمد يحيى الذهلي يقول : استعرت من اسماعيل ابن
أبي أويس (٣) صاع مالك بن أنس فوجدت عليه مكتوباً صاع مالك بن أنس معير
على صاع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا أحسبني إلا غيرته بالعدس فوجدته
خمسة أرطال وثلاث (٤)

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٦٤ المذيل على تذكرة الحفاظ للذهبي . .

(٢) تذكرة الحفاظ ، ١ / ١١٩ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٦٠٨ .

(٤) سنن البيهقي الكبير ٤ / ١٧١ .

الفصل الثاني

أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث

وتحتة المباحث التالية :

المبحث الأول : أثره في آداب طالب الحديث من خلال
التزامه بها .

المبحث الثاني : أثره في آداب المحدث من خلال
اتصافه بها .

المبحث الثالث : أثره في أنواع الآداء والتحمل .

المبحث الرابع : أثره في كتابة الحديث .

المبحث الخامس : أثره في رواية الحديث .

قـهـيـد :

بعد الاطلاع على تضلع الإمام محمد بن يحيى الذهلي بعلوم رواة الحديث المعرفة بأحوالهم العلمية، أو أحوالهم الشخصية. نأتي في هذا الفصل والذي يعتبر مرحلة تالية وطبيعية للفصل الأول.

والرواية عند المحدثين هي: حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عُزِّيَ إليه بصيغة من صيغ الأداء. (١)

وفي هذا الفصل نعيش مع الإمام الذهلي مواقف تربوية أدبية علمية من خلال التزامه بأداب طالب الحديث، ومن كان كذلك حاله أيام الطلب، فإنه يتصف بها وينشرها حال التحديث والأداء والتعليم، وهذا ما سنلمسه في المبحثين الأول والثاني.

ثم نتعرف على جهوده العلمية في صيغ الأداء والتحمل، والتي تعتبر نتيجة عملية لتلقي علم الحديث وغيره من العلوم.

ويرتبط بذلك أثره في كتابة وتدوين الحديث من خلال بعض الإشارات التي أعتبرت قواعد يرجع إليها في هذا الفرع المهم من فروع مصطلح الحديث.

ونَظَّلُ في المبحث الخامس على أحوال الإمام الذهلي وهو يروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبذوها بعشرة أمثلة من رواياته ثم نطالع منهجه في الرواية، فنستخلص في القسم الأول خصائص منهجه في عشرة فروع متوالية، نُلَمِّحُ من خلالها كم أثرى هذا العلم بتقعيداته وتأصيلاته.

ونقارن في القسم الثاني بين رواياته وروايات غيره من المحدثين، ونختمه بمقارنته ومعارضته بين الروايات.

ومن خلال صفحات هذا الفصل ندرك مدى اتساع أفق الإمام الذهلي العلمي والأدبي، وكذلك مدى تأهله لرواية الحديث النبوي الشريف، وتحليه بصفات أهله.

(١) المنهج الحديث في علوم الحديث، قسم الرواية للدكتور محمد السماحي ص ٢٩.

المبحث الاول

أثره في آداب طالب العلم

آداب طالب العلم كثيرة ومتنوعة ، وقد ذكر جماعها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ونظم بحبات اللؤلؤ عقد حقوق العالم على المتعلم ،^(١) كما بين الأصمعي خصال المتعلم وصفاته الأساسية فقال : " واما التي في المتعلم ، فالحرص والفراغ والحفظ والعقل لانه ان لم يكن له عقل لم يفهم ، وان لم يكن له حرص لم يتعلم وان لم يفرغ قلبه للعلم لم يعقل عن معلمه وساء حفظه واذا ساء حفظه كان ما يكون بينهما مثل الكتاب والماء " ^(٢) وقد أثر عن الإمام الذهلي رحمه الله تعالى أيام طلبه للعلم صور من الآداب والأخلاق النبيلة تضاف إلى ديوان هذه الامة المجيدة ، كما يسترشد بذكرها . ومنها :

أولا : (الصبر) :

أ- صبره على قنec مشايخه .. مع يقينه بخيرة الله له :

كان الإمام الذهلي قد ألح على ابراهيم بن الحكم بن أبان^(٣) أن يحدثه بحديث عنده فامتنع عليه وكان يعلم ان هذا الشيخ ليس كغيره في الثقة والحفظ ، بل كان كما ذكر الدارقطني : ضعيفا وكما قال ابن معين : ليس بثقة ، وكما ذكره يعقوب الفسوي في باب من يرغب عن الرواية عنهم^(٤) وكان الذهلي يريد هذا

(١) قال رضي الله عنه : من حق العالم على المتعلم أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية ، وان تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيدك ، ولا تعتمد بعينيك غيره ، ولا تقولن قال فلان خلاف قوله ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا تطلبن عثرته ، وان زل قبلت معذرتة ، وعليك أن توقره لله تعالى ، وان كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ولا تسار في مجلسه ، ولا تأخذ بشو به ، ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تشيع من طول صحبته فانما هو كالنخله تنتظر متى يسقط عليك منها شيء . . . الخ" تذكره السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ليدر الدين ابن جماعة الكناني . ص ١٠٠ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣٤٣/١ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٦٠ .

(٤) انظر تهذيب التهذيب ١/١٠٠ .

هذا الحديث بالذات وإن كان موقوفاً على ابن عباس فلم يعن رحمه الله في
اللاحاح بل تركه ولسان حاله يقول : " اللهم خر لي واختر لي " . لأنه بين أمرين
إما أن يترك طلب هذا الحديث وهذا عسير عليه - ونهم الذهلي بالحديث وجمعه
ومعرفه علله معلومة - وإما أن يلح على شيخه وهو يتمنع على " نف وحالة غير
مرضية عند العلماء .

وفي مثل هذه الأحوال يتوجب سلوك طريق السلامة من بلبلة لا طائل من
ورائها ، وارتياح منتجع يحفظ فيه ماء الوجه ، وقد عدد القاضي عياض جملة من
آداب طالب السماع فقال : يجب على كل طالب علم التخلق بالخصلاق أهله ،
والتزام زيهم والتأدب بآداب حملته ، ولزوم السكينة والوقار ، وإخلاص
النية لله فيه ، والتواضع لمن يأخذ عنه ، وتعظيمه وتوقيره والصبر على ما يلقيه
منه . . . الخ " (١)

والإمام الذهلي صبر على تمنع إبراهيم بن الحكم حتى خار الله له بشيخ
أوثق . وهذه القصة بكاملها مع ذكر نهاية صبره الحسنة .

قال إمام الأئمة ابن خزيمة (حدثنا محمد بن يحيى - أسكنه الله فسيح
جنته - ثنا يزيد ابن أبي حكيم العدني (٢) ثنا الحكم بن ابان سمعت عكرمة
يقول : سمعت ابن عباس : سئل « هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟
قال : نعم ، قال : فقلت لابن عباس : أليس الله يقول " لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار . . »

قال : لا أم لك ، ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء " (٣)

(١) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص ٤٥ ، للقاضي عياض ، تحقيق - سيد صقر .

(٢) سبقت ترجمته ص ١٣٧ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٥٣ ، ومن سورة النجم ٣٦٨/٥ ، وابن أبي عاصم في
كتاب السنة باب ٩٤ ، ما ذكر من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ، ١٨٨/١ ،
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، في سياق ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
رأى ربه بقلبه ٥٢١/٣ .

قال محمد بن يحيى : (امتنع عليّ إبراهيم بن الحكم في هذا الحديث ،
فخار الله اجل منه يعني يزيد ابن أبي حكيم اجل من إبراهيم بن الحكم أي انه
اوثق منه .

قال محمد بن يحيى : قال لي ابنه : يعني إبراهيم بن الحكم تعالى حتى
يحدثك فلم أذهب " (١)

قلت : وفي هذه الرواية نلمس مدى حب وتقدير ابن خزيمة لشيخه الذهلي
حيث اعترض اسناده بتلك الدعوة الغالية مما يدل على تأثره بعلمه وأخلاقه
ومنهجه .

ونلمس من الذهلي أدب الصبر وقياس الأمور على أساس مبني على
العلاقة بالله وانتظار فرجه وخيرته وتوفيقه وهو ما يجب على كل متحل
بالعلم اتباعه .

ب - صبره على الانتقاد اللاذع في العمل العلمي وتقبله بكل رحابة صدر :

ومن كان متصدياً لعمل علمي يرجو بركته وفائدته ، فانه لا يستغني بحال
عن ارشادات وتوجيهات وانتقادات السابقين له في هذا المضمار ، والإمام الذهلي
قد أولى مرويات الإمام محمد بن شهاب الزهري عناية كبرى وأمضى في جمعها
الأيام والليالي ، فكان أن عرضها أولاً على شيخه علي ابن المديني فنظر فيها
فقال : أنت وارث الزهري " فبلغ ذلك أحمد بن صالح المصري ، فلما دخل
مصر قال له أحمد بن صالح - وكانا يتذاكران حديث الزهري - أنت الذي
سماك علي ابن المديني وارث الزهري ؟!! فقال : نعم ! قال : بل أنت فاضح
الزهري !!! فقال : لم ؟ قال : " لأنك ادخلت في جمعك أحاديث للضعفاء

(١) التوحيد للإمام ابن خزيمة ٤٨١/١ .

عن الزهري ، قال رحمه الله : فلما تبهرت في العلم ، ضربت على الأحاديث التي أشار إليها وبينت عللها " . (١)

فلم تتملل به الأرض لما فجأه بذلك النقد اللاذع ، بعد تعب وسهره وثناء من أثنى عليه ، بل ساء له بكل رحابة صدر عن السبب وعمل بمقتضاه ، فكانت نتيجة توطئ النفس على مثل هذه المواقف لها أبلغ الأثر في التوجه العلمي السليم والانتاج المتميز عند الإمام الذهلي .

جـ - ومما يدل على تحمله الانتقاد ومقابلته بالخجل المحمود :

أنه ذكر حديثاً فيه ضعف عند أحمد بن حنبل ، فقال له أحمد : لا تذكر مثل هذا الحديث فكأن محمد بن يحيى دخله خجله ، فقال له أحمد : إنما قلت هذا إجلالاً لك يا أبا عبد الله . (٢)

وأردت بالخجل المحمود ذلك الشعور الفطري في مثل هذه المواقف ، لا الحياء والخجل الذي لا محصلة من ورائه إلا التواري عن الاعين والبعد عن مواطن التعرض للمساءلة .

ثانياً : الحرص على طلب العلم بالاحاح والمساءلة مع وفرة الادب :

من آداب طالب العلم الحرص على اقتناص الفرائد وتحصيل الفوائد وذلك بالاقدام والملاطفة مع المشائخ وترك الخجل غير اللائق فانه يفوت ما من أجله ضربت أكباد الإبل .

وقد كان طلبة العلم يقطعون الفيافي والقفار ، ويسIRON الأيام والليالي بل والشهور للقاء شيخ بعينه وتحصيل العالي من الاسانيد ، لذا فمن الحمق ان يحصل مطلوبه ثم لا ينهل منه الادب والعلم .

(١) الإرشاد للخليلي ١/٤١٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/٤١٨ .

ولم يكن المشائخ على وتيرة واحدة من الاستعداد للتحديث دائماً بل هم في ذلك مذاهب شتى وقد نقل الخطيب البغدادي صوراً من ذلك فقال :

" مذاهب المحدثين في الرواية تختلف فمنهم من يتدبّر بها احتساباً من غير أن يسأل .

* ومن المحدثين من لا يروي شيئاً إلا بعد أن يسأل ، ويحكى مثل هذا من المتقدمين عن إبراهيم النخعي وعبد الله بن طاووس .

* ومنهم من يتمنع وإن سئل ، اعتماداً على قول شعبة بن الحجاج : " تمتنع أشهى "

* وكان بعض السلف يتمنع من التحديث إذا كان السامع ليس من أهل العلم "

* وكان غير واحد من المتقدمين يقتصر على رواية الشيء اليسير ولا يتوسع في التحديث " ثم ساق آداباً للطالب إن كان شيخه ممن يتمنع وتعسر في الحديث . . . الخ (١)

وإن قابل هذا التمتع والتعسر عند الشيخ حياءً وخجلاً وقلة إقدام عند الطالب ضاع العلم وتبعثرت الجهود وقد قال مجاهد (٢) " لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر " (٣)

أ - وهذه صورة تجمع في طياتها أخلاقاً عديدة ، ومنهجاً هادئاً ذا نتيجة أكيدة ليس في أطر العلم والتعليم فحسب ، وإنما في كل مجتمع يحتك فيه الإنسان بالناس .

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢٠٢/١ - ٢١٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٨٤ .

(٣) الإلماع للقاضي عياض ص ٥٣ .

روى ابو العباس الدغولي قال : " سمعت محمد بن يحيى قال : لما رحلت بإبني إلى العراق صحبني جماعة من الغرباء ^(١) فسألوني : أي حديث عند أحمد بن حنبل أغرب ؟ فكننت أقول : إذا دخلنا عليه ، سألته عن حديث تستفيدونه . فلما دخلنا سألته عن حديث يحيى بن سعيد ، عن عثمان بن غياث عن أبي بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر حديث الايمان . ^(٢)

فقال : يا أبا عبد الله ، ليس هو عندي عن يحيى بن سعيد ، فخجلت ، وقمنا ، فأخذ أصحابنا يقولون : انه ذكر الحديث غير مرة ثم لم يعرفه أحمد وأنا ساكت لا أجيبهم ، قال : " ثم قدمنا بغداد فدخلنا على أحمد فرحب بنا وسأل عنا ثم قال : اخبرني يا أبا عبد الله " اي حديث استفدت عن مسدد عن يحيى بن سعيد ؟ فذكرت له حديث الايمان . فقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، ثم أخرج كتابه وأملأه علينا " فسكت محمد بن يحيى ، ولم يقل : سألتك عنه ، فتعجب أصحابه من صبره ، قال : فاخبر أحمد بأنه كان سأله عن الحديث قبل خروجه إلى البصرة فكان أبو عبد الله إذا ذكره يقول : " محمد بن يحيى العاقل ^(٣) وتتجلى في هذه الحادثة آدابا جمة منها :

١ - صبره على انكار شيخه أحمد كون الحديث عن يحيى بن سعيد ، وفي ذلك تخجيل له اضافة إلى ما يكون من همس الجلساء والرفقة والشك في المقدرة على إيضاح المطلوب ، وهو ما يسمى عند المحدثين بالتخليط على المحدث

(١) الغرباء : هم « الواردين من الآفاق على المشايخ وأهل العلم ، ولا يتمكونون من طول الإقامة والثواء ببلد . الجامع لأخلاق الراوي ١/ ١٥٥ بتصرف ، وقد كان الشافعي يوصي بهم تلميذه البويطي ويقول : أصبر للغرباء وغيرهم من التلاميذ . تذكرة السامع لابن جماعة ص ٦٦ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان . الخ ١/ ٣٨ من طريق محمد بن حاتم ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا عثمان بن غياث بهذا الإسناد وأخرجه من طرق عن كههمس عن عبد الله بن بريدة به ١/ ٣٦

(٣) السير ١٢/ ٢٧٨ .

وعدم معرفة كيفية السؤال . وقد روى مالك بن أنس في ذلك موقفاً من مواقف سلفنا الجادة في حياتهم العلمية ، قال : " جاء ابن عجلان إلى زيد بن أسلم ، فسأله عن شيء فخلط عليه ، فقال له زيد : اذهب فتعلم كيف تسأل ، ثم تعال فسل " (١)

والذهلي رحمه الله لم يخلط بل كان سؤاله واضحاً ، ولكن الإمام أحمد وهم فلما أحضر كتابه وجد الحديث فيه .

٢ - تجنبه إملال وإحراج شيخه وتوهمه وهو من هو قدراً وجلالة . . . وهو ما يسمى العفو في الحديث " ورغم معرفة الذهلي أنه على الصواب فقد اكتفى بهذا الرد من شيخه مع يقينه أنه ربما نسي أو سها وكلاهما جائز على البشر . . . وهذا خلق استعمله المحدثون تأديبا مع مشايخهم في الإقلال عليهم وعدم إضجارهم بالمسألة والرواية : وقد قال يحيى بن سعيد : كنت آخذ العفو في الحديث " (٢)

وانشد أبو مزاحم الخاقاني لنفسه :

لم أكره العلماء فيما نلتهم فاستعملن معي الذي استعملته
أو لا فلا تتعن في قصدي لما قبلي فقد أعذرت فيما قلت (٣)

وقال ابن جماعة في آداب طالب العلم : " وإذا سكت الشيخ عن الجواب لم يلح عليه وإن أخطأ في الجواب لم يرد عليه في الحال . (٤)

وقال : " وإذا أصر الشيخ على قول أو دليل ولم يظهر له ، أو على خلاف صواب سهواً فلا يغير وجهه أو عينيه أو يشير إلى غيره كالمنكر لما قاله بل يأخذه ببشر ظاهر . . . " (٥)

(١) الجامع لأدب الراوي ١/ ٢١٣ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢١٦ .

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥٧ .

(٥) المصدر السابق ص ١٠١ .

٣ - حرصه في أدب على إثبات ما يعلم صحته وعدم تباهيه لما وافقه في الرواية .

وذلك لما سأل بعد عودته من البصرة عما استفاد من حديث يحيى بن سعيد فذكر له حديث الايمان نفسه . . . ولما اثبتته أحمد من أصله لم يعرفه بما كان . . . وفي ذلك أدب جم وتعقل واحترام للآخرين أكسبها المحبة والثناء .
ب - ومن صور حرصه كثرة المحاولة مع الشيخ المتنع :

من ذلك ما رواه ابن عدي قال : " ثنا أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي ، ثنا محمد ابن يحيى ، ثنا حماد بن مسعدة ، عن عبيد الله بن موهب عن القاسم بن محمد عن عائشة : " أنه كان لها غلام وجارية زوج فأرادت أن تعتقهما فقال لها رسول الله : " وإذا أعتقتهما فأبدئي بالغلام قبل الجارية " (١)
قال محمد بن يحيى حدثني حماد بهذا الحديث " بعد جهد "

ثم علق ابن عدي على ذلك فقال : وهذا الحديث جود إسناده محمد بن يحيى ، ولا اعلم رواه عن ابن موهب غير حماد بن مسعدة " (٢)
ج - وإذا لم يفهم المعلومة يسأل بأدب جم حتى تتضح له جلياً :

وذلك أنه سمع يحيى بن معين يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله ، فقال ليحيى : الرجل ينفق ماله ، ويتعب نفسه ، ويجاهد فهذا افضل منه ! قال : نعم ، بكثير . " (٣)

وقد ذكر ابن جماعة من آداب العلم " أن لا يستحي من سؤال ما أشكل عليه ما لم يتعقد بلطف وحسن خطاب وأدب وسؤال وقد قال عمر رضي الله عنه من رقق وجهه رقق علمه " (٤) .

(١) أخرجه ابن ماجه في العتق باب من أراد عتق رجل وامرأته فليبدأ بالرجل . ٨٤٦/٢ .

(٢) الكامل في الضعفاء ٣٢٨/٤ .

(٣) السير ٥١٨/١٠ .

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥٧ .

د - ومن مؤشرات حرصه الشديد على تحصيل الحديث :

إكثاره الواضح عن شيخه عبد الرزاق في رحلته إلى اليمن فإنه قد روى عنه نسبة كبيرة من مروياته عن جميع مشايخه الآخرين . . حتى في ليلة وداعه إياه حدث عنه (١)

ولعل عبد الرزاق كان لا يتبرم أو يمل من مدارس وتحديث الذهلي ، فرغم إكثاره عنه حتى في ليلة الوداع لم نجد ما يدل على ذلك بخلاف ما روي عنه لما أكثر عنه سلمه بن شبيب (٢)

قال سلمة : " كنا عند عبد الرزاق ، فكننت قد أوعيت ما عنده ، فإذا خرج قلت له : كيف أصبحت يا أبا بكر ؟ قال : بشر ما رأيت وجهك ، وفي رواية أخرى : " بشر ما رأيت وجهك فإنك مبرم " (٣)

ثالثا : الاعتراف للآخرين بما لهم من سابقة فضل وعلم :

وأكاد أجزم أن من أولى الأدب والأخلاق لطالب العلم سلامة صدره من الأحقاد ورؤية النفس ، ومن ثم ترجمة هذه السلامة إلى صفاء النفس وتمني الخير والتوفيق للناس . . وان كان لاحدهم سبق وحياسة فضل وعلم فلا يتردد في اظهار هذه المزية له .

وهذا اعتراف من الذهلي لأبي زرعة بالتفوق العلمي .

قال ابن أبي حاتم : ذكر سعيد بن عمرو البرذعي قال : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول : " لا يزال المسلمون بخير ما أبقي الله عز وجل لهم مثل

(١) قال رحمه الله : « حدثني عبد الرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع » متفقين ابن الجارود (٣٦٦)

(٢) هو سلمة بن شبيب أبو عبد الرحمن الحجري ، المسمعي ، نزيل مكة ، ثقة ، مات سنة ٢٤٧ . تهذيب التهذيب ١٢٩/٤ . والمسمعي بفتح الميم الأولى وكسر الثانية نسبة إلى المسامعة ، محلة بالبصرة ، الأنساب ٢٩٧/٥ .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي ٢١٨/١ ، ٢٢٠ .

أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زرعة ، يعلم الناس ما جهلوه ، ثم جعل يعظم على جلسائه خطر ما حكى له من علة حديث ابن اسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « . . . ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك » .

قال سعيد : وكنت حكيت له عن أبي زرعة أن محمد بن إسحاق اصطحب مع معاوية ابن يحيى الصدفي من العراق إلى الري فسمع منه هذا الحديث في طريقه .

وقال (أي الذهلي) لم أستفد منذ دهر علماً أوقع عندي ولا أثر من هذه الكلمة ، ولو فهمتم عظيم خطرها لاستحليتموها كما استحليته ، وجعل يمدح أبا زرعه في كلام كثير ^(١) .

رابعاً : ومن آداب طالب العلم التي اتبعها الذهلي اختيار الرفقة الصالحة في الرحلة لطلب العلم :

وقد سبق الحديث عن الرحلة وأغراضها وصفتها ، والإمام الذهلي قد عرف مكانة الرحلة فلم يفرط . . . بل جاب الأقطار ومن رحلاته الكبرى رحلته إلى عبد الرزاق في اليمن .

وكان بعد المكان يوجب المزيد من الحرص والكثرة من الكتابة والتأليف ، لذا فلم يكن يستطيع السفر في أي وقت . . . الأمر الذي فوته أئمة كباراً في مكة وغيرها .

قال الذهبي عن الإمام الذهلي ما كان يمكنه لقي سفيان (يعني ابن عيينه) لأنه مات في وسط السنة ، ولا كان يمكنه المسير إلى مكة إلا مع الوفد .

(١) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٣٣٠ .

وقد عَرَفَ قيمة الرحلة فعندما نصحه علي بن سلمة اللبقي بأن يرحل ولا يفوت العمر، عمل فيه قوله وبدأ في ذلك الأمر بنفس متوثبة، وقد بات معلوماً أن من آداب الرحلة ومهماتها اختيار الرفقة^(١).

قال الخطيب: وينبغي للطالب أن يتخير لمرافقته من يشاكره في مذهبه، ويوافقه على، غرضه ومطلبه^(٢) وساق قول الاوزاعي: "الرفيق بمنزلة الرقعة في الثوب، إذا لم تكن منه شأنته"^(٣).

وكانت رفقته مع أساطين الرواية والعلم في زمانه، أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، ومحمد بن رافع، قال أبو عمرو المستملي: أتيت أحمد بن حنبل، فقال: من أين أتيت؟ قلت: من نيسابور قال أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس؟ قلت نعم، قال: "لو أنه عندنا لجعلناه إماماً في الحديث. ثم ذكرت محمد بن رافع، فقال: من محمد بن رافع؟ ثم سكت ساعة ثم قال: لعله الذي كان معنا عند عبد الرزاق قلت: نعم"^(٤).

وكما كانت رفقته الأولى إلى صنعاء مع الأئمة الكبار، فقد كانت رحلته الثانية لملاقاة عبد الرزاق مع محمد بن يحيى الجوريزي رحمه الله^(٥) الذي كان مفخرة إسفرايين في ذلك الوقت علماً وفضلاً.

(١) انظر في ذلك ديباجة رحلاته العلمية مع رحلتيه إلى مكة واليمن.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/٢٣٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) السير ١٢/٢٨٠.

(٥) انظر نزهة الألباب في معرفة الألقاب ١/٢٢٦، والجوريزي هو محمد بن يحيى الاسفراييني.

انظر ترجمته ص ٧٦.

المبحث الثاني أثره في آداب المحدث

طلب العلم لا ينتهي حتى آخر العمر ولكن قد يحصل الطالب منه قدراً كبيراً وفهماً دقيقاً، فيتوجب عليه حينئذ أن يبذل ما حصله وما ذاكرته استوعبته، براءة لساحته أمام الله بتبليغ ما آتاه . ونشراً للعلم والفضل بين الناس وهذه مرتبة عظيمة وقد عُدَّ ابن جماعة الكناني غايات المعلم من تعليم الناس فقال : أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ونشر العلم وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها، واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعضهم وبركة دعائهم له، وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم، وعداده في جملة مبلغى وحى الله تعالى واحكامه فان تعليم العلم من أهم أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها يصلون على معلم الناس الخير » ^(١) لعمرك ما هذا إلا منصب جسيم وإن نيله لفوز عظيم، نعوذ بالله من قواطعه ومكدراته وموجبات حرمانه وفواته " ^(٢)

وقد تحلى الإمام الذهلي بصفات العلماء والرواة، وزادها شيئاً من حُلِيّ بإشارات ومواقف تربوية ومنها :

أولاً : التقوى والورع :

١ - قال أبو العباس الأزهري : سمعت خادمة محمد بن يحيى وهو على السرير يغسل تقول : خدمته ثلاثين سنة ، وكنت أضع له الماء فما رأيت ساقه قط وأنا ملك له " ^(٣)

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٤ / ٤٨ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٧ .

(٣) السير ١٢ / ٢٧٩ .

وحين نراه يتورع ويتقي ربه حتى فيما أحل الله له في الخلوة وفي البيت بعيداً عن أنظار الخلق . . نجد هذه الصفات والأداب تتجلى في جانب الرواية .

قال البرذعي^(١) : " قرأت على محمد بن يحيى حديث عكراش بن ذؤيب^(٢) فلما بلغ آخر الحديث قوله : (هكذا الوضوء مما غيرت النار)^(٣) لم يقرأه عليّ ، وقال استعظم أن أحدث مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهابه " (٤)

ومن ذلك ما سبق ذكره من رفضه قراءة حديث كان عنده واستفسره عنه البرذعي وكان فيه وضاعاً فأبى ذلك وبين السبب فيه (٥)

ومن أثر عنه الورع في التعليم من علماء الأمة المبرّد العلامة اللغوي : فإنه امتنع من قراءة كتاب سيويه على أحد أهل الذمة لاشتماله على آيات قرآنية . (٦)

ثانياً : الاهتمام بالهندام وتحسين المظهر :

ان الاهتمام بنظافة البدن والهندام من الأمور التي يحبذها الدين الإسلامي ، ويدعو إليها وكل ذي ذوق سليم يميل إلى ذلك ، والناس متفاوتون في اختيار اللباس ، فبينما يبالغ البعض في اقتناء الغالي والمترف ، نجد البعض الآخر ، لا يعير هذا الأمر أدنى اهتمام ، فهو كريحه الرائحة شعث الشعر ، بل متسخ الثياب أحياناً ، وقد يحتج بعضهم بالحديث النبوي الشريف " البذاذة^(٧)

(١) سبقت ترجمته ص ٤٨ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٨ .

(٣) سبق تخريجه ص ٤٨ .

(٤) الضعفاء لأبي زرعة ٧٤٨ / ٢ . وقد سبق في ص ٤٨ عرض المثال ، وسبب تهيه من رواية هذه الرواية .

(٥) الضعفاء لأبي زرعة ٧٥١ / ٢ ، وسبق ذكره في مطلب الجرح والتعديل ص ٣٣٩ .

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٦ ، وفيات الأعيان ٢٨٤ / ١ .

(٧) البذاذة : أي رثاءة وسوء الهيئة والتجوز في الثياب . ويقال : بذ الهيئة : أي رث اللبسة : أراد التواضع « النهاية في غريب الحديث ١ / ١١٠ » .

الايان " (١) وعلى فرض صحة إسناد الحديث وجواز الاحتجاج به نقول نعم ، ولكن بنظافة كاملة في البدن والثياب وان رثت وبليت وقد قال ابن جماعة في آداب طالب العلم : " ينبغي أن يحضر على أحسن الهيات وأكمل الطهارات " (٢) .

ويحدثنا منصور أبو سلمة الخزاعي عن هيئة مالك ونظافته إذا أراد التحديث قال : " كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث ، توضأ وضوءه للصلاة ولبس أحسن ثيابه ولبس قلنسوة ومشط لحيتسه فقبل له في ذلك ، فقال : " أوقر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣)

وقد أثر عن الإمام الذهلي اهتمامه بلباسه ونظافته حتى صار وصفاً له من بين تلك الأوصاف التي يعرف بها . .

وهذا تلميذه فضلك (٤) يرسل المحدث صالح بن محمد جزرة (٥) إلى الذهلي في نيسابور ليستفيد منه حديثاً لم يحفظه فوصفه قائلاً : " إذا دخلت نيسابور ترى شيخاً حسن الشيب ، حسن الوجسه ، راكباً حماراً مصرياً « حسن اللباس » فإذا رأيته فاعلم أنه محمد بن يحيى . . (٦)

وحدث ذات مرة أن انتهى من مجلس الحديث فوقف على رأسه محمد بن أحمد بن زيد ، (٧) وكان بيده قلم فنقط نقطة على ثوبه ، فرفع إليه رأسه ، فقال : تراني أحبك بعد هذا !!! (٨)

(١) أخرجه أبو داود في أول كتاب الترجل ٣٩٣/٤ . وابن ماجه في الزهد باب من لا يؤبه له ١٣٧٩/٢ . قال أبو عمر النعمري : اختلف في إسناد قوله البذاذة من الإيمان اختلافا سقط معه الاحتجاج به ولا يصح من جهة الاسناد . انظر عون المعبود ١١/٢٢٠ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٣٥ .

(٣) المحدث الفاضل للرامهرمزي ص ٥٨٥ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٨٧ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٨٧ .

(٦) السير ٢٧٧/١٢ ، وفي تاريخ بغداد ٣/٣١٧ (بهي حسن الوجه)

(٧) زوج ابنة ابنه يحيى وكان يلقب حيكان كذلك ، انظر ترجمته ص ٦٨ .

(٨) السير ١٢/٢٨٢ .

وهذه دعابة فيها توجيه للأدب بين يدي المشايخ بأخذ الحيطة مما قد يؤذيهم ، وارشاد لأهمية المحافظة على نظافة الهندام .

ثالثاً: التصنيف في العلم ومكابدته وتوقير من ورثه بدءاً بالرسول صلى الله عليه وسلم وتثنية بالصحابة ومن بعدهم :

قال تلميذه أبو علي محمد بن أحمد بن زيد المعدل سمعت يحيى بن الذهلي يقول : دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة ، وهو في بيت كتبه وبين يديه السراج وهو يصنف فقلت : يا أبة ، هذا وقت الصلاة ، ودخان هذا السراج بالنهار ، فلو نفست عن نفسك قال : يا بني ، تقول لي هذا ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين " (١)

وفي ثنايا السياق اشارة إلى مكتبته وقضائه فيها اوقات التصنيف .

رابعاً: التواضع :

حث ديننا الحنيف على خلق التواضع ونَّبه على الرأفة بذوي الحاجات والمساكين ، وطلبة العلم ومن انقطعت بهم أسباب العيش بالتقرب منهم ، وخفض الجناح لهم واجابتهم إلى ما يريدون وعدم كسر نفوسهم بقول أو فعل أو نظرة فيكون سبباً في تباعدهم عن الخير والعلم ، قال ابن جماعة الكناني في الباب الرابع عشر من تذكروته " : ينبغي للعالم أن يتواضع مع الطالب وكل مسترشد سائل اذا قام بما يجب عليه من حقوق الله تعالى وحقوقه ويخفض له جناحه ويلين له جانبه . قال تعالى لنبيه : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ (٢)

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " ان الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " (٣)

(١) السير ٢٧٩/١٢ .

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر ، باب استحباب العفو والتواضع ٢٠٠١/٤ .

وهذا لمطلق الناس فكيف بمن له حق الصحبة وحرمة التردد وصدق التوحد
وشرف الطلب " (١)

روي شهر بن حوشب (٢) قال كنا نأتي أبا سعيد الخدري ونحن غلمان
نسأله ، فكان - وفي حديث أبي نعيم - فكان يقول : مرحبا بوصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيأتيكم
ناس يتفقهون ففقهوهم واحسنوا تعليمهم فكان يجينا بمسائلنا وفي حديث أبي نعيم :
قال : فكان يجينا لمسائلنا فاذا نفدت مسائلنا " نا " (٣) بعد حتى غل " (٤)

وكان وكيع يمضي في الحر - وقت القيلولة للجمال - إلى قوم سقائين
يحدثهم ويقول : « هؤلاء قوم لهم معاش ، لا يقدرُونَ يأتوني ، فيحدثهم
يتواضع » (٥)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم
السكينة والحلم وتواضعوا لمن تُعلمون ، وتواضعوا لمن تَعْلَمون منه ، ولا تكونوا
جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم " (٦)

وقال عبد الرحمن بن مهدي (٧) : كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من
هو في فوقه العلم فهو يوم غنيمته ، سأله وتعلم منه وإذا لقي من هو دونه في العلم
علمه وتواضع له ، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودارسه الخ
كلامه " (٨)

(١) تذكرة السامع ص ٦٤ .

(٢) هو شهر بن حوشب الأشعري ، قال ابن عدي : «وعامة ما يرويه هو وغيره من الحديث فيه من
الإنكار ما فيه ، وشهر هذا ليس بالقوي في الحديث» . وقال ابن حجر : صدوق كثير الأوهام ،
من الثالثة . الكامل في الضعفاء ٤ / ٤٠ ، التقريب ص ٢٦٩ .

(٣) «نا» اختصار حدثنا .

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١ / ٢٠٢ .

(٥) الجامع لأخلاق الراوي ١ / ٢٠٣ .

(٦) المصدر السابق ١ / ٩٣ .

(٧) سبقته ترجمته ص ٥٢ .

(٨) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ٢٠٦ .

ومع أن إمامنا محمد بن يحيى الذهلي كانت له مهابة في نفوس الناس كمهابة أحمد في بغداد ومالك في المدينة،^(١) إلا أنه زانها بذلك التواضع والقرب من طلبه العلم والسير معهم في حوائجهم الأمر الذي مكن حبه في قلوبهم ، فنلمس ترحم ابن خزيمة عليه من الاعماق عندما ساق عنه حديثاً فقال : حدثنا محمد بن يحيى " أسكنه الله فسيح جناته " ^(٢) وكما قال محمد بن نصر المروزي : حدثنا محمد بن يحيى " رحمه الله " ثم ساق بقية السند . ^(٣)

وهذه بعض صور تواضع الذهلي لاهل العلم

أ - سعيه معهم فيما يشكل عليهم من العلم

أخرج ابن ماجه في سننه حدثنا محمد بن يحيى ثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا عباد ابن العوام عن عمر بن إبراهيم عن قتاده عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم » . قال ابن ماجه : سمعت محمد بن يحيى يقول : اضطرب الناس في هذا الحديث ببغداد فذهبت أنا وأبو بكر الاعين ^(٤) إلى العوام ^(٥) بن عباد بن العوام ، فاخرج إلينا أصل أبيه فإذا الحديث فيه ^(٦) وأبو بكر بن الاعين كان من أقران الذهلي قال عنه ابن معين : لم يكن من أصحاب الحديث ، وفسر كلامه هذا الخطيب فقال : يعني لم يكن بالحافظ للطرق والعلل ^(٧) فكان الذهلي انتدب نفسه

(١) ذكر ذلك الذهبي في السير ٢٧٤ / ١٢ .

(٢) التوحيد لابن خزيمة ٨١ / ١ .

(٣) قيام الليل ص ٢٣٠ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٩٧ .

(٥) قال ابن حبان : عوام بن عباد العوام ، يروى عن أبيه ، روى عنه العباس بن إسماعيل الغريق ، الثقات (٨ / ٥٢٥) .

(٦) سنن ابن ماجه ٢٢٥ / ١ . كتاب الصلاة ، باب وقت صلاة المغرب ، وقال الألباني : صحيح ، انظر صحيح سنن ابن ماجه ١١٤ / ١ .

(٧) تهذيب التهذيب ٢٩٨ / ٩ .

لمصاحبة قرينه كسباً لتعليمه وتفقيحه ، وخدمة لطلبة العلم عندما اضطربوا في الحديث ، فنظر في أصول عباد فوجد الحديث فيها وقد قال ابن جماعة " ينبغي للمعلم " أن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما تيسر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك وسلامة دينه وعدم ضرورته ، فإن الله تعالى في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . . . الخ " (١)

ب - بث شكوي المبتلين بالتعذيب والفتنة في الدين

كان أبو يعقوب يوسف بن يحيى صاحب الإمام الشافعي ، بل أخص وأقرب أصحابه وخليفته في مقام الدرس والفتوى بعد وفاته . وكان قد امتحن في مصر بفتنة خلق القرآن فلم يجب وحمل إلى بغداد وطالت به الايام والليالي وهو في الحديد والقيود والتعذيب فكتب ينصح صاحبه الربيع بن سليمان المزني قائلاً : " إنه ليأتي عليّ أوقاتاً لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي ، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقك واستوص بالقريبى خاصة خيراً ، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت .

أهين لهم نفسي لاكرمهم بها ولن تكرم النفس التي لا تهينها (٢)

وهذا الإمام الكبير لما طالت به المحنة وحرم صلاة الجمعة وغيرها وعجز عن أداء الفرائض من الطهارة وسواها .

كتب إلى الذهلي رساله يثبه فيها شجونه وأساه على فوات العبادة ، ويدعوه أن يرغب أهل حلقتة في الدعاء له بالثبات والفرج والأجر : قال ابو عمرو المستملي : حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي إليه واذا فيه " : والذي أسالك ان تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم فاني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له " (٣)

(١) تذكرة السامع ص ٦١ .

(٢) البيهقي ، مناقب الشافعي ١٠١/٢ ، ١٤٧ .

(٣) طبقات الشافعية ١٦٥/٢ .

ج - الاعتراف بالحق امام المجموع عند الخطأ والاقرار للمصيب :

ذكر الخطيب البغدادي في باب (٢٣) " ذكر الحكم فيمن روى من حفظه حديثاً فخولف فيه " آداباً في الرواية " ومن ذلك إذا أخطأ المحدث فعارضه أحد طلبته فماذا يفعل ؟ "

وقال الخطيب : « يجب على المحدث الرجوع عما رواه إذا تبين أنه أخطأ فيه ، فإذا لم يفعل كان آثماً »^(١)

وقال عبد الرحمن بن مهدي : " لا يكون العالم إماماً في العلم حتى يعرف عمن يحدث ، ولا يحدث عن كل واحد ، ولا يقيم على الغلط " ^(٢)

وقال ايضاً : " كان سفيان يخطيء فيرجع من يومه ، وكان شعبة يخطيء فيمكث الأيام حتى يقال له فيرجع عنه " ^(٣)

قال ابو حامد ابن الشرقي : " سمعت محمد بن يحيى الذهلي وأملى حديثاً فرد عليه الجارودي ^(٤) . فزبره ^(٥) محمد بن يحيى ، فلما كان المجلس الثاني قال الذهلي : ها هنا ابو بكر ، قال : نعم ، قال : الصواب ما قلت ، فاني رجعت إلى كتابي ، فوجدته على ما قلت " ^(٦)

د - الاستعانة بالمتخصص في فن :

قال أبو أحمد الحاكم : كان محمد بن يحيى الذهلي يستعين بعربية أبي بكر الجارودي وببسته عنده " ^(٧)

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٤٠ / ٢ .

(٢) المصدر السابق ٤١ / ٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٦ .

(٥) سبق معنى الكلمة ص ٣٣ .

(٦) السير ٥٤٣ / ١٣ .

(٧) السير ٥٤٢ / ١٣ ، تذكرة الحفاظ ٦٧٣ / ٢ ، تهذيب التهذيب ٤٣٣ / ٩ .

وأبو بكر الجارودي من أصحاب وجيران الإمام الذهلي، ويظهر أنه كان مبرزاً في معرفة اللغة العربية، لذا نلاحظ المباشرة بينهما وارتفاع الكلفة . . . فنجد الذهلي يدعو للمبيت عنده في المنزل ويسهران الليالي للمدارسة والمذاكرة، ومن ذلك استفادته منه في اللغة العربية وكأن الذهلي يريد تعمق فيها والاستزادة منها، لأن التمكن فيها ضرورة قصوى، وقد ندب السلف الصالح لتعلمها واتقانه فقال عمر بن الخطاب : " تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة " (١)

وقال شعبة : " من طلب الحديث فلم يبصر العربية فمثله مثل رجل عليه برنس وليس له رأس " (٢)

وقال أبو زيد النحوي : " كان الذي حداني على طلب الأدب والنحو أنني دخلت على جعفر بن سليمان ، فقال : ادنه ، فقلت : " أنا دني ، فقال : لا تقل يا بني أنا دنيء ولكن قل : أنا دان " (٣)

وقد أكد الأئمة العلماء على مثل هذا المنهج فقال وكيع : « لا يكون الرجل عالماً حتى يسمع ممن هو أسن منه، وممن هو دونه، وممن هو مثله » وفي رواية : « حتى يكتب » . .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : « دخلت أنا وابن جريج مسجداً ومعني ألواح ومعه ألواح فجعل يكتب عني وأكتب عنه ، وفي رواية أخرى : « كان ابن جريج يأخذ بيدي ، فيذهب بي إلى منزله فيكتب عني وأكتب عنه » (٤)

(١) الجامع للخطيب ٢/ ٢٥٠ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٧٠ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢١٦ .

خامساً : المذاكرة مع المشائخ والأقران والطلبة :

عما لا شك فيه أن مذاكرة العلم مع المشائخ والأقران وسواهم من أهم ما يثبت العلم ويزيده رسوخاً، بل إن مذاكرة ساعة تكون أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أيام . (١)

وقد ذكر ابن جماعة ما فيها من النفع العظيم ، وحدد وقتها من لحظة قيام المتذاكرين من مجلس الشيخ قبل تفرق أذهانهم ، وتشتت خواطرهم ، وشذوذ بعض ما سمعوه عن أفهامهم ثم يتذكرونه في بعض الأوقات . (٢)

وفضّل الخطيب أن تكون بعد العشاء وقال : " كان جماعة من السلف يبدؤن في المذاكرة من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا آذان الصبح . (٣)

والمذاكرة عملية استرجاع وترسيخ وربط للمعلومات ، ودخول الوهم والخطأ في مثل هذا الحال وارد جداً ، لذا جاء النهي عن كثير من السلف أن يكتب عنه في حال المذاكرة .

فقال عبد الرحمن بن مهدي : " حرام عليكم أن تأخذوا عني في المذاكرة حديثاً لأنني إذا ذكرت تساهلت في الحديث " (٤)

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢١٦ .

(١) بتصرف من حاشية تذكرة السامع والمتكلم ص ٤١ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٤ . وقد ذكر قتبية بن سعيد مذاكرة عجيبة بين وكيع والإمام أحمد : قال : كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل ، فيقف على الباب فيذاكره ، فأخذ ليلة بعضادتي الباب ، ثم قال : يا أبا عبدالله أريد أن ألقى عليك حديث سفيان قال : هات . قال : تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا ، قال : نعم .

حدثنا يحيى فيقول سلمة كذا وكذا ، فيقول : حدثنا عبد الرحمن . فيقول : وعن سلمة كذا وكذا . فيقول : أنت حدثتنا حتى يفرغ من سلمة ، ثم يقول أحمد : فتحفظ عن سلمة كذا وكذا فيقول وكيع : لا ، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ . قال : فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية . فقال : قد طلع الكوكب أو قالت الزهرة . طبقات الشافعية ١/ ٢٠٠ ، حاشية تذكرة السامع والمتكلم ص ١٤٥ .

وقال عبدالله بن المبارك: «لا تحملوا عني في المذاكرة شيئاً»^(١) لذا ذكر الخطيب البغدادي استحباب العلماء لمن حفظ عن بعض شيوخه في المذاكرة شيئاً وأراد الرواية عنه أن يقول حدثناه في المذاكرة^(٢).

والمذاكرة تكون مع الشيوخ والمسنين، وتكون مع الأقران والأصحاب، وتكون مع الأتباع والطلبة.

والإمام الذهلي كان يعلم أهمية المذاكرة القصوى، ومدى عودها على المذاكر بالفائدة والتثبيت. وقد مرّبنا أنه لما صنف كتابه الشهير الزهريات عرضه على العلماء ليقّيموه، فلما دخل مصر تذاكر مع شيخه أحمد بن صالح المصري^(٣) في الزهريات، فعاب عليه بعضها، لوجود الضعفاء في أسانيدھا، فعلم على أماكن ذلك ثم انتفع بعد بهذه المذاكرة فنقّح زهرياته منها^(٤)، ومرّ قبل قليل مذاكرته لشيخه الجليل أحمد بن حنبل في حديث يحيى بن سعيد.

وله مع أصحابه وطلّبه مذاكرات وأجوبة حول ما يستشكلونه، وقد اخترت مثاليّن لمذاكرته مع أبي عثمان سعيد بن عمرو البرذعي^(٥).

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٣٧/٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٥. وجدير بالذكر أن الحافظ أحمد بن صالح له اهتمام بحديث الزهري وعلمه، وقد ساق الإمام الذهبي في سيره ١٦٩/١٢، قصة طريقة في موافاته للإمام أحمد بن حنبل في العراق ومذاكرتهما لحديث الزهري واستفادته من ابن حنبل في ذلك اللقاء..

(٤) راجع هذه الرسالة ص ٢٤٦، والقصة مذكورة في الإرشاد للخليلي ٤١٠/١، فتح الباري ٢٧٣/٣.

(٥) سبقت ترجمته ص ٩٤، وقد أورد هاتين المذاكرتين البرذعي ضمن أسئلته لأبي زرعة وعدد من يحضر مجلسه من الأئمة.

المثال الأول :

قال الإمام البرذعي(*) : وقلت لمحمد بن يحيى : في حديث أنس ، عن أم حبيبة^(١) ، حديث شعيب بن أبي حمزة ، حدثكم به أبو اليمان^(٢) ؟ وقال : عن ابن أبي حسين ؟

فقال لي محمد بن يحيى : نعم حدثنا به من أصله^(٣) ، عن ابن أبي حسين^(٤) ، فقلت له : حدثنا به غير واحد ، عن أبي اليمان^(٥) فقالوا عن الزهري ، فقال : لقنوه عن الزهري ، قلت : يحيى بن معين رحل إليه قبلك أو بعدك ؟ وذلك أن يحيى روى هذا عن أبي اليمان ، وقال : عن الزهري ، فقال لي محمد بن يحيى : يحيى رحل إليه بعدي ، قلت : فيقال إنه لم يسمع من شعيب ابن أبي حمزة غير حديث واحد والبقية عرض . قال : لأعلم . قلت : وبشر ابن شعيب ابن أبي حمزة سمع الكتب من أبيه ، أو هي إجازة ؟ فقال : ما أدري إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي^(٦) .

المثال الثاني : هذه مذاكرة أخرى تبدأ بحكاية البرذعي للإمام الذهلي مذاكرة وسؤالات بين عبدالله بن الحسن^(٧) وابن المديني نقلها عن شيخه أبي زرعة فقال :

يحضر مجلسه من الأئمة .

(*) المذاكرة أوردها المزي في تهذيب الكمال ١٥٠ / ٧ ، تحقيق د . بشار عواد ، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٣٨٠ / ٢ ، وبين إيرادهما إختلاف يسير ، وسأشير في الهامش إلى الإختلاف الواقع بين كتاب الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي .

(١) سبقت ترجمتها ص ٣٠٣ .

(٢) الحكم بن نافع سبقت ترجمته ص ٨١ .

(٣) في تهذيب التهذيب ٣٨٠ / ٢ (حدثكم به أبو اليمان فقال : نعم ثنا به من أصله)

(٤) في تهذيب التهذيب ٣٨٠ / ٢ (من أصله عن شعيب عن أبي حسين)

(٥) في تهذيب الكمال للمزي ١٥١ / ٧ (عن أبي اليمان يعني عن شعيب)

(٦) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٧٤٦ / ٢ .

(٧) هو عبدالله بن الحسن أبو شعيب الحراني ، معمر ، صدوق ، قال الدارقطني : ثقة مأمون ، وقال

قال أبو زرعة عن عبدالله بن الحسن قال : ألقيت على علي ابن المديني حديث أبي ذر في الخناء والكتم^(١) فأنكره عليّ، وقال : ليس هذا من حديث معمر، وقال أبو زرعة : وكان فيه لين يعني في عبدالله بن الحسن، قال فقلت لعلي : هذا هو عندك ! فقال علي : عندي ؟ قلت : نعم أليس قد كتبت عن عبدالرزاق^(٢)، وانت لا تحفظه .

قال أبو زرعة : لقد كان من العلم بمكان، يعني عبدالله بن الحسن .

قال أبو عثمان البردعي : فحكيت أنا هذه الحكاية لمحمد بن يحيى النيسابوري عن أبي زرعة، عن عبدالله بن الحسن . قال : ترى وقع إلينا هذا الحديث، عن عبدالرزاق، فقام فدخل بيته ثم خرج إلى فأمله عليّ من كتابه . قال : أنا عبدالرزاق، نا معمر . «^(٣)» .

(١) الكتم : نبت يخلط مع الوسمة، ويصبغ به الشعر، أسود، وقيل هو الوسمة . النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٥٠) . والحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الجامع باب صباغ وبتف الشعر (١١/ ١٥٣) عن معمر عن سعيد الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أحسن ما غير هذا الشعر الخناء والكتم) . ومن طريق أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الترجل باب في الخضاب (٤/ ٤١٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب (٤/ ٢٠٤) من طريق سويد بن نصر عن ابن المبارك عن الأجلح عن عبد الله بن بريدة به بنحوه، ثم قال هذا حديث حسن صحيح .

(٢) في كتاب الضعفاء وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البردعي « أليس قد كتب عن عندك » ولا معنى له والصحيح (عبدالرزاق) من السياق ولعل أبرز ما نستفيدة من هذه المذاكرة أن من أولى مقومات المحدث أن يكون لديه أصول يرجع إليها متى شك أو نسي، فإنه لما أخبره البردعي بتلك القصة إهتم للأمر ودخل بيته وأحضر كتابه عن عبد الرزاق وأمله عليه .

وفي مبحث قادم عن السماعات والأصول وكتابة الحديث ستأتي إلماحة عن أهميتها وقيمتها العلمية . . الخ .

(٣) الضعفاء وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البردعي ٧٧٤/٢ .

سادساً : الصدع « بلا أعلم ولا أدري » .. وهي نصف العلم.

مهما عظم قدر العالم ، ومهما علت في الأفلاك مراتبه ، فإنه يبقى بشراً يغيب عنه الكثير ، والعالم الحق الذي عرف قدره ومكانته لا يرى غضاضة إذا لم يعلم أن يقول : لا أعلم . . . وهذا زيادة على أنه خلق كريم إذ يتجرد المرء من دواعي الظهور والتعالم ، فإنه ورع وتجرد لله إذا لا يقحم الإنسان نفسه فيما لا يعلمه . . . حتى وإن كان في فروع العلم وثانوياته . فتختلط عليه أوراقه ، ويورد نفسه مواردأ كان أغنى مايكون عنها ، ففي المذاكرة الأولى السابقة في الأدب الخامس عندما يسأل البرذعي الإمام الذهلي عما يقال عن أبي اليمان : إنه لم يسمع من شعيب ابن أبي حمزة غير حديث واحد والباقي عرض فيقول : لا أعلم .

ثم يسأله عن بشر بن شعيب ابن أبي حمزة هل سمع الكتب من أبيه . أو هي إجازة؟ فيقول : « ما أدري إلا أنه كان يقول حدثنا أبي »^(١) نجد أن هذين الموقفين تقعيد منه وتأصيل لهذه القاعده العظيمة .

وقد كان سيد المرسلين وإمام المرين وقدوة العالمين اذا سئل عما لا يدري ، قال لا أدري وانتظر العلم من الله .

وقد ساق الحاكم أبو عبدالله سنده إلى جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أي البلاد شر؟ فقال : لا أدري ، فلما أتاه جبريل قال : يا جبرئيل أي البلدان شر؟ قال : لا أدري حتى أسأل ربي .

فانطلق جبريل فمكث ماشاء الله أن يمكث ثم جاء فقال : يا محمد ، إنك سألتني أي البلاد شر وأناي قلت لا أدري وأناي سألت ربي فقلت : أي البلاد شر فقال : أسواقها»^(٢)

(١) انظر المذاكرة بتمامها ص ٦٤٤ .

(٢) المستدرک على الصحيحين ١/ ٨٩ ، ٩٠ .

قال الحاكم : هذا الحديث أصل في قول العالم لأدري .

وقد وعى سلفنا الصالح هذا المبدأ الغالي وضمنوه نصائحهم وخطبهم ، ونظموه في عقد أخلاقهم وآدابهم ، فحسنت صورتهم ، وتعاليت في الأفلاك قيمتهم .

وهذا الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يؤكد ذلك فيقول : « خذوا عني هؤلاء الكلمات ، فلو رحلتم فيها المطي حتى تنضوه لم تبلغوه ، لا يرجو العبد إلا ربه ، ولا يخشى إلا ذنبه ، ولا يستحي إذا كان لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لأعلم ، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس له »^(١) .

وقد أجاد العلامة ابن جماعة الكتاني . حيث قال : (واعلم أن قول المسؤول لأدري لا يضع من قدره ، كما يظنه بعض الجهلة بل يرفعه لأنه دليل عظيم على عظم محله وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته (وحسن تثبته ، وقد روينا مثل ذلك عن جماعة من السلف ، وإنما يأنف من قول (لأدري) من ضعفت ديانته وقلت معرفته ، لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين وهذه جهالة ورقة دين وربما يشتهر خطؤه بين الناس فيقع فيما فرّ عنه . . الخ »^(٢) .

سابعاً : رحابة الصدر عند امتحان الطلبة وتقليبهم الأسانيد .

كان طلبة العلم فيما مضى يفاضلون بين مشايخهم ويتخيرون ذا الصفات العلية من علو الإسناد والتقوى والشهرة بطلب الحديث وكثرة الفوائد .

وجرت العادة أحياناً أن يمتحنوا شيخاً بعينه ليقفوا على مدى ضبطه وعدم قبوله التلقين كما اتفق للإمام البخاري رحمه الله لما ورد بغداد . . . والقصة مشهورة^(٣) .

(١) الامام للقاضي عياض ص ٢١٥ ، جامع بيان العلم لابن عبد البر ١ / ٩٠ ، المدخل للميهقي ص ٥٣ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) انظر القصة في تاريخ بغداد ٢ / ٢٠ .

والعلماء يتفاوتون في مدى تقبل مثل هذا الصنيع إذا اتضح لهم ، فمنهم من يضيق به ، ومنهم من يغضب ، ومنهم من يعاقب عليه بالقول ، وأحياناً بالفعل ، ومنهم من يتقبله برحابة صدر ويتوقع مثل هذا ويعطى طلبة العلم فسحة للاستيثاق والاختبار .

وهذه صور من تباين المواقف والاستعداد للإمتحان ، وعلى ضوءها نستطيع تقييم موقف الذهلي لما أمتحن .

الصورة الأولى : من تقلب عليه الأحاديث وهو لا يدري .

عن حماد بن سلمة ^(١) . قال : قلبت أحاديث على ثابت البناني ^(٢) فلم تنقلب ، وقلب على أبان ابن أبي عيَّاش ^(٣) فانقلبت ^(٤) .

الصورة الثانية : استنكار بعض العلماء لمثل هذا الصنيع .

سأل حرمي ^(٥) بهزأ ^(٦) عن أبان ابن أبي عيَّاش - فذكر عن شعبة قال : كتبت حديث أنس عن الحسن ، وحديث الحسن عن أنس فدفعها إليه ، فقرأها عليّ ، فقال حرمي : بش ماصنع ، وهذا يحل ^(٧) ؟

الصورة الثالثة : من يعاقب بالدعاء الشنيع

دخل حفص بن غياث ، ويوسف بن خالد السمطي ، ومليح بن وكيع على محمد بن عجلان ^(٨) بعد أن قلبوا أسانيد حديثه ، فسألوه ، فمرّ فيها ، فلما كان

(١) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٢) هو ثابت بن أسلم البناني البصري ، أبو محمد ، يروي عن ابن عمر وابن الزبير ، وصحب أنساً (٤٠) سنة . مات سنة (١٢٧) . الثقات ٨٩/٤ .

(٣) هو أبان ابن أبي عيَّاش فيروز ، أبو إسماعيل ، مولى عبد القيس البصري ، روى عن أنس . متروك ، مات سنة (٤٠) . تهذيب التهذيب ٨٥/١ ، التقريب ص ٨٧ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ١٣٦/١ . (٥) سبقت ترجمته ص ١٦٦ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .

(٧) الجامع لأخلاق الراوي ١٣٦/١ .

(٨) هو محمد بن عجلان أبو عبدالله القرشي المدني ، بقية الأعلام ، الإمام القدوة ، كان فقيهاً ، عابداً صدوقاً له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات سنة ١٤٨ هـ ، السير ٣١٧/٦ ، ميزان الاعتدال ٩٠/٤ .

عند آخر الكتاب انتبه الشيخ . . . فأعادوا عليه العرض وردّ كل إسناد مكانه ، ثم أقبل على يوسف بن خالد فقال : إن كنت أردت شيني وعيبي فسلبك الله الإسلام .

وأقبل على حفص فقال : إبتلاك الله في دينك ، ودنياك . وأقبل على مليح فقال : لا نفعك الله بعلمك .

قال يحيى بن سعيد روي القصة : فمات مليح ولم ينتفع به ، وابتلى حفص في بدنه بالفالج ، وبالقضاء في دينه ، ولم يميت يوسف حتياًتهم بالزندقة^(١) .

الصورة الرابعة : من يغضب ويعاقب على الامتحان بالفعل .

قال أحمد بن منصور الرمادي^(٢) : خرجت مع أحمد ويحيى بن معين إلى عبد الرزاق خادماً لهما ، قال : فلما عدنا إلى الكوفة ، قال يحيى بن معين : أريد أن أختبر أبا نعيم^(٣) ، فقال أحمد : لا تُرُدْ ، فالرجل ثقة ، قال يحيى : لا بُدْلي . فأخذ ورقة ، فكتب فيها ثلاثين حديثاً وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ، ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم ، فخرج وجلس على دكان طين ، وأخذ أحمد بن حنبل ، فأجلسه عن يمينه ، ويحيى عن يساره ، وجلست أسفل الدكان ، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث ، فلما قرأ الحادي عشر ، قال أبو نعيم : ليس هذا من حديثي ، اضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثاني ، وأبو نعيم

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي ص ٣٩٩ ، ميزان الاعتدال ٩١ / ٤ .

وقد انتقد الإمام الذهبي هذه الحكاية في أسنادها عند الرامهرمزي وقال عن مليح : لا يدري من هو ، ولم يكن لو كيع بن الجراح ولد يطلب أيام ابن عجلان ، ولم يكن ظهر لهم قلب الأسانيد على الشيوخ ، إنما فعل هذا بعد المتين . السير ٣٢١ / ٦ ، وقد أوردت هذه الحكاية للعلم بها ، وليقاس عليها غيرها من ردود الفعل .

(٢) هو أحمد بن منصور الرمادي أبو بكر ، يروي عن عبد الرزاق ، ويزيد بن هارون ، مستقيم الأمر في الحديث ، الثقات (٤١ / ٨) .

(٣) هو الفضل بن دكين سبقت ترجمته ص ١٠٩ .

ساكت ، فقرأ الحديث الثاني ، فقال أبو نعيم : ليس هذا من حديثي فاضرب عليه
ثم قرأ العشر الثالث ، ثم قرأ الحديث الثالث ، فتغير وجه أبو نعيم ، وانقلبت
عيناه ، ثم أقبل على يحيى ، فقال : أما هذا - وذارع أحمد بيده - فأورع من ان
يعمل مثل هذا ، وأما هذا - يريدني - فأقل من أن يفعل ذاك ، ولكن هذا من
فعلك يا فاعل ، وأخرج رجله ، فرفس يحيى ، فرمى به من الدكان ، وقام ، فدخل
داره ، فقال أحمد بن حنبل ليحيى : ألم أمنعك وأقل لك : إنه ثبت ، قال : والله
لرفسته لي أحب إلى من سفرتي^(١) .

ولاشك أن العالم قد تعدد ردود فعله تجاه هذا الأمر بحسب الممتحن
وهيئة ومكاته وحسب الحالة الطبيعية التي يكون عليها العالم نفسه ، لأن
الامتحان له عمليه استيثاق مما لديه وجس نبض لشخصيته . . . وهذا أمر لا يرضاه
كل أحد ، وكل عالم يفسره من جهة .

وقد امتحن الحافظ صالح بن محمد جزيرة شيخه الذهلي عندما قدم
نيسابور وكان غرضه كما ذكر الخطيب^(٢) : النظر في أمره هل يقبل التلقين أم لا ؟
فوجده ضابطاً لروايته ، حافظاً لأحاديثه ، محترزاً من الوهم بصيراً بالعلم .

وهذا سرد القصة كما ساقها الخطيب قال : حدثت عن إبراهيم بن محمد
بن يحيى المزكي قال سمعت أبو العباس الدغولي يقول : سمعت صالح جزيرة
يقول : لما خرجت من الري قلت لفضلك عمن أكتب بنيسابور؟ قال : اذا قدمت
نيسابور فانظر إلى شيخ بهي ، حسن الوجه ، حسن الثياب ، راكبا حماراً ، وهو
محمد بن يحيى فاكتب عنه ، فإنه من قرنه إلى قدمه فائدة ، قال : فلما قدمت
نيسابور استقبلني محمد بن يحيى فعرفته بهذه الصفة ، فذهبت معه ، وانتخبت

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٧٩ ، وتاريخ بغداد ص ٣٥٣ / ١٢ ، تهذيب التهذيب
ص ٢٤٦ / ٨ سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٤٨ .

(٢) تاريخ بغداد ٣ / ٤١٨ .

عليه مجلساً وقرأته عليه، فلما فرغت قلت له: أفادني الفضل بن العباس الرازي حديثاً عنك عند الوداع لاسمعه من الشيخ. فقال: هات.

فقلت: حدثكم سعيد بن عامر^(١) حدثنا شعبة عن عبد الله بن صبيح عن محمد بن سيرين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «هذا خالي فليبرَّ امرء خاله»^(٢)

فقال محمد بن يحيى: من يتتخب مثل هذا الإنتخاب، ويقرأ مثل هذه القراءة، يعلم أن سعيد بن عامر لا يحدث بمثل هذا الحديث. فقال صالح: نعم، حدثكم سعيد بن واصل^(٣)»^(٤).

ومن هذا المثال الموجز عن امتحان جزرة لشيخه الذهلي نراه لا يستنكر ذلك الإمتحان بل يوجه للصحيح فيما ألقى إليه بأسلوب تربوي هادي.

(١) سبقت ترجمته ص ١٢٩.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ٦٠٧/٤ بلفظ هذا خالي فليبرني امرء خاله. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٣) هو سعيد بن واصل الحرشي، روى عن شعبة وغيره، روى عنه سعيد بن عون الهاشمي، قال أبو حاتم: لين الحديث، الجرح والتعديل ٧٠/٤.

(٤) تاريخ بغداد ٤١٧/٣.

المبحث الثالث

معرفة الإمام الذهلي بتحمل الحديث وأدائه وما يتنظمهما من الضبط ورعاية الأصول والتدقيق

إن حركة الرواية المتميزة التي انتظمته أمة محمد صلى الله عليه وسلم حفاظاً على سنته لا بدّ لها من طرفين: طرفين سماع وتحمل، وطرفين إسماع وأداء. ولهذا السماع والإسماع وجوه وطرق حصرها علماء هذا الشأن في ثمانية.

- | | |
|---------------|-------------------------------|
| (١) السماع | (٢) العرض (القراءة على الشيخ) |
| (٣) الإجازة | (٤) المناولة. |
| (٥) المكاتبة. | (٦) إعلام الشيخ. |
| (٧) الوصية. | (٨) الوجادة. |

وهذه الأنواع تتفاوت في القوة والكيفية تفاوتاً واضحاً، فليس الذي يسمع من لفظ الشيخ كالذي يتحمل عنه بالمكاتبة وليس الذي يعرض ويقرأ على الشيخ كالمثحمل عنه بالوصية أو يحكي الوجادة. (١)

وقد أحاط المحدثون علم الرواية بسياج منيع من الإهتمام والعناية والاحتراز في جميع كیفیاته ومختلف هيئاته، فكما أنهم فحصوا الرواة وعرضوهم على منظار الجرح والتعديل.

فإنهم أولوا عملية الرواية رعاية قصوى، ويمكننا تسمية هذه الرعاية «بالضبط» (٢).

(١) قال الحافظ ابن كثير: الوجادة ليست من باب الرواية، وإنما هي حكاية عما وجدته في الكتاب. إختصار علوم الحديث ص ١٢٣، فتح الباقي على ألفية العراقي، للحافظ زكريا بن محمد الأنصاري، باعتناء محمد بن الحسين العراقي ١١٣/٢.

(٢) ولأهمية الضبط في الرواية وضرورة إطلاق مسمى كل نوع من أنواع التحمل الثمانية على الهيئة التي وقعت أثناءها الرواية: أرى من المستحسن أن يعرف الضبط وأن تذكر أنواعه.

فلم يكونوا يأخذون عن كل متصد للرواية والتعليم، بل يحرصون كل الحرص على أهل العلم المتمتعين بصفتي الضبط والعدالة، ويتركون أهل الصلاح والزهادة والورع لقلة حفظهم أو لما قد يتلبسون به من الغفلة أو الخطأ الكبير أو قلة المبالاة بالأصول وضبط المحصول.

= أولاً : تعريف الضبط في اللغة : ضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم ومنه الأ ضبط الذي يعمل بكلتا يديه، والضبط لزوم الشيء وحبسه، وضبطت البلاد وغيرها إذا قمت بأمرها قياماً ليس فيه نقص. (لسان العرب ٧/ ٣٤٠ - القاموس المحيط ٢/ ٣٧٠) (المصباح المنير ص ١٣٥)

أما في الاصطلاح فالمعنى مقارب والمراد منه أن يكون الراوي ثابتاً على حفظه صائناً كتابه الذي يحدث منه منذ تحمله إلى أدائه.

قال ابن الأثير في تعريفه : " هو عبارة عن احتياط في باب العلم وله طرفان طرف وقوع العلم عند السماع وطرف الحفظ بعد العلم عند التكلم، حتى إذا سمع ولم يعلم لم يكن شيئاً معتبراً كما لو سمع صياحاً لا معنى له، وإذا لم يفهم اللفظ بمعناه على الحقيقة لم يكن ضبطاً، وإذا شك في حفظه وسماعه بعد العلم والسماع لم يكن ضبطاً (جامع الأصول ١/ ٣٥).

ثانياً : أنواع الضبط.

١ - ضبط صدر

٢ - ضبط كتاب

أما ضبط الصدر : فهو أن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء .
وأما ضبط الكتاب : فهو صيانتَه لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه (انظر توضيح الأفكار للصنعاني ٢/ ١١٩، ١٢٠) (نزهة النظر، لابن حجر ٢٩)

وقد أشار أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي إلى هذين النوعين بأسلوب آخر، فقال :
" اعلم أن الضبط الذي يؤخذ في صحة الحديث كان له في الأمة المرحومة ثلاثة أحوال .

الأول : أنهم كانوا يحفظون الأحاديث في زمن الصحابة والتابعين عن ظهر غيب ويقتصرون عليها وكان ضبطهم يومئذ في جودة الحفظ فقط .

الثاني : أنهم كانوا يكتبون الأحاديث في زمن تبع التابعين وأوائل المحدثين إلى الطبقة السابعة أو الثامنة وكان ضبط ذلك الوقت في تبيين الخط والاحتياط في الثقات، والحركات، والسكنات، وتصوير الحروف، ومقابلتها على أصولها الصحيحة وحفظ الكتاب عن العوارض الطارئة عليه ونحوها .

الثالث : أنهم أي الحفاظ صنفوا كتباً جمّة في أسماء الرجال وغريب الحديث وضبط الألفاظ المشكّلة، وصنفوا شروحاتها حافلة وتعرضوا بما يليق به التعرض والبحث عن أحوالها .
(الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ١٣٠)

فالاول هو ضبط الصدر والثاني والثالث هو ضبط الكتاب .

لذا فقد عقد الحافظ الخطيب البغدادي باباً في^(١) (ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عرف بالصلاح والعبادة) وساق على ذلك أمثله منها :

قول ربيعة ابن أبي عبد الرحمن^(٢) : « إن من إخواننا من نرجو بركة دعائه - ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها^(٣) وقول يحيى بن سعيد : « مارأيت الصالحين في شيء أشد فتنة منهم في الحديث »^(٤) .

وقول مالك بن أنس : " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين - وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقولون : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أخذت عنهم شيئاً ، إن أحدهم لو اتّمن على بيت مال لكان به أميناً ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب وهو شاب فتزدهم على بابه " ^(٥)

وقال أيضاً : لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك ، لا يؤخذ من رجل صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه ، وإن كان من أروى الناس ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لاتتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث ^(٦)

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٢٤٧ .

(٢) هو ربيعة ابن أبي عبد الرحمن ، فروخ ، الإمام مفتي المدينة ، وعالم الوقت ، أبو عثمان ، المشهور بريعة الرأي ، مات عام (١٣٦) . السير ٨٩ / ٦ .

(٣) الكفاية ص ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الكفاية ص ٢٤٨ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٤٩ .

ومراد هؤلاء الأئمة وسواهم أن مجرد الصلاح ليس بمسوغ للتحديث ، لأن هذا المقام يحتاج فيه إلى صفات يجب توافرها في المحدث الذي يحدث من حفظه وأخرى لمن يحدث من كتابه .

لذا ساق الخطيب بعد ذلك أوصاف وشرائط من يحتج بروايته إذا كان يحدث من حفظه فقال :

١ - أول شرائط الحافظ المحتج بحديثه إذا ثبتت عدالته أن يكون معروفاً عند أهل العلم بطلب الحديث وصرف العناية إليه واستشهد بقول عبد الله بن عون : " لا نكتب الحديث إلا ممن كان عندنا معروفاً بالطلب " .

٢ - أن يكون ضابطاً لما سمعه وقت سماعه متحفظاً على شيخه في روايته ، من أن يدلّسه له إن كان ممن يعرف بالتدليس فإن شعبة كان يتحفظ على قتادة في مثل ذلك .

وساق قوله في ذلك : " كنت أجلس إلى قتادة فإذا سمعته يقول : سمعت فلاناً وحدثنا فلان كُتبت ، فإذا قال قال فلان وحدث فلان لم أكتب .

وأورد مثلاً لمن خُبثَ تدليسه بأن هشيماً كان يحدث فجعل يقول : أخبرنا - يرفع صوته ثم يسكت فيقول فيما بينه وبين نفسه - فلان - ثم يرفع صوته - داود عن الشعبي - عن فلان - عن فلان .

٣ - يجب أن يتثبت في الرواية حال الأداء ، ويروي ما لا يرتاب في حفظه ويتوقف عما عارضه الشك فيه .

وأورد قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه - : " أما بعد فإنني أريد أن أقول مقالة قدر أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن وعّاها وعقلها ، وحفظها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته ، ومن خشي ألا يعيها فإنني لا أحل لأحد أن يكذب علي " (١)

(١) الكفاية : باب الكلام في أحكام الأداء ص ٢٥١ ، ٢٥٧ .

أما من لم يستطع حفظ حديثه واتقانه فرخص بعض الأئمة في أن يحدث من الكتاب بشرطين :-

١ - أن يكون الخط معروفاً موثقاً .

٢ - وأن يكون الكتاب محفوظاً عنده .

وقد ضرب أبو حاتم ابن حبان أمثلة لمن تهاون بكتابه فلم يحفظه ، وتعرض لمن يضع أو يدس عليه الحديث فقال في النوع الرابع عشر من أنواع جرح الضعفاء :

" ومنهم من امتحن بآبن سوء أو ورأق سوء كانوا يضعون له الحديث ، وقد أمن الشيخ ناحيتهم ، فكانوا يقرأون عليه ويقولون له : هذا من حديثك فيحدث به ، فالشيخ في نفسه ثقة إلا أنه لا يجوز الاحتجاج بأخباره ولا الرواية عنه لما خالط أخباره الصحيحة الأحاديث الموضوعة " (١)

وبعد هذا التعريج على صفات من يحتج بحديثه ، إن حدث من الحفظ أو الكتاب ، نشرع في استعراض لمسات الإمام الذهلي على أنواع الأداء والتحمل سواءً بالتصريح أو التلميح ، ومن استعراض لمساته تلك ، واستعماله لبعضها ، والإشارة للبعض الآخر ، ندرك مدى ما تركه من أثر له دور بالغ في إرساء قواعد هذا الفن من فنون المصطلح .

الوجه الأول : السماع من لفظ الشيخ .

وهو أن يقرأ الشيخ الحديث من حفظه أو من كتابه والحضور يسمعون أو يكتبون عنه أو يضبطون عليه في كتبهم لفظه :
وهو أرفع درجات التحمل عند الجمهور .

(١) المجروحين ٧٧/١ ، وانظر الموضوعات لابن الجوزي ١٠٠/١ .

وقد أشار الإمام الذهلي إلى أقسام هذا الوجه وذلك باستخدامه الفعلي لها .

القسم الأول : السماع من لفظ الشيخ في الاملاء .

قال ابن ماجه : " حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق " إملأ عليّ من كتابه وكان السائل غيري " (١)

وقال ابن حجر العسقلاني : إن هذا القسم أرفع درجات السماع من الشيخ ، لما يلزم منه تحرز الشيخ والطالب " (٢)

وفسر السخاوي ذلك بأن الشيخ مشغول بالتحديث والطالب بالكتابة ، فهما لذلك أبعد عن الغفلة وأقرب إلى التحقيق ، وتبين الألفاظ مع جريان العادة بالمقابلة بعده . الخ " (٣)

وفي قوله : وكان السائل غيري إشارة إلى أهمية التنويه بهيئة السماع والأسئلة والاستملاء في المجلس وهذا من الأمانة .

(١) سنن ابن ماجه ٢٠٣/١ .

(٢) فتح الباري ١٥٠/١ . وقد ذهب الأئمة إلى تجويز الكتابة حال السماع من الشيخ . قال الخطيب : ومن صحح السماع مع الاشتغال بالكتابة عبدالله بن المبارك وحسبك به ديناً وفضلاً ، وعلماً ونبلاً ، وغير واحد من السلف ، ونقل قول علي ابن المديني . قال : كنا عند جرير فجعلنا نشدد في شيء من السماع فقال : أنتم أفقه من ابن المبارك ؟! لقد كنت أقرأ عليه وما ينظر في الكتاب ، وهو ينسخ شيئاً آخر .

وقد فعله أبو حاتم فقال : « كتبت عند عارم وهو يقرأ ، وكتبت عند عمرو بن مرزوق وهو يقرأ » وسأل عبيدالله ابن أحمد التميمي موسى بن هارون الحمال عن الرجل ينسخ في المجلس وهو يسمع ؟ قال : لا بأس ، وسأله مرة أخرى : المحدث يحدث والرجل ينسخ ، هل له سماع ؟ فقال : جائز « انظر الكفاية ص ١٢٢ بتصرف يسير .

وقد ذكر ذلك الخطيب دلالة على جوازه خلافاً لمن منع صحة هذا السماع ، وحجتهم في ذلك انشغال القلب عن ضبط ما يقرأ .

(٣) فتح المغيث ١٥٢/٢ .

القسم الثاني : السماع من حفظ الشيخ :

وقد بين رحمه الله أن سماعه من شيخه عبد الرحمن بن مهدي كله من هذا النوع، قال : " ما رأيت في يد عبد الرحمن بن مهدي كتاباً قط، وكل ما سمعت منه سمعته حفظاً " (١)

وهذا القواريري يذكر مثل ذلك قال : " أملى عليّ ابن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً " (٢)

وقد بين أقسام هذا الوجه القاضي عياض فقال : وهو منقسم إلى إملاء أو تحديث ، وسواء كان من حفظه أو قراءة من كتابه " (٣)

(١) تاريخ بغداد ١٠/٢٤٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٣٣٠ .

(٣) الإلحاح إلى أصول الرواية وتقييد السماع ص ٦٩ .

إستدراك : قال أبو عمر بن عبد البر : «يقولون : إن سماع أبي أويس ومالك بن أنس من الزهري كان واحداً، بعرض واحد، كذلك قال محمد بن يحيى النيسابوري وغيره والله أعلم» . -- التمهيد ١١/٢٧ .

وبيت القصيد من نقل ابن عبد البر هذا عن الإمام الذهلي أن تحمل الإمام مالك وابن عمه وصهره عبدالله بن عبدالله الأصبحي عن شيخهما الإمام الزهري كان فيه تشابه . ولاستطيع الجزم بماهية التشابه هل هي في المسموع ومقداره ، أم في مدة السماع ، أم في كيفية التحمل . لأن من نقل ذلك لم يفسره . قال أبو داود السجستاني قلت لابن حنبل : أبو أويس ؟ قال : ليس به بأس (أو قال ثقة) كان قدم هاهنا فكتبوا عنه ، زعموا أن سماع أبي أويس وسماع مالك كان شيئاً واحداً تاريخ بغداد ١٠/٧ ، ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/٣٦٩ . فقال ابن حجر : والحكاية التي قالها أبو داود بلفظه زعموا ذكرها البزار وعنده قال : «كان يقال أن سماعه من الزهري شبيه بسماع مالك» تهذيب التهذيب ٥/٢٤٦ .

وفي عبارة ابن عبد البر وجه إشارة إلى أن التشابه كان في التحمل عن الإمام الزهري ، وإخال أن الإمام الذهلي كان ناقلًا للمعلومة لأن قول ابن عبد البر «يقولون» فيه دلالة على ذلك ويؤكد قول الإمام أحمد وهو شيخ الذهلي «زعموا» فالعبارة قيلت قبل الذهلي . ولذا فإن جمع هيتي السماع والعرض لا تصور عن الذهلي الذي عرف عنه التفريق بينهما ، واعتبارهما هيتان لكل منهما عبارة في الأداء والتحمل ، ولعله كان يرمي إلى أحدهما إما السماع أو العرض ، ثم جاء من المالكية من سَوَّى بينهما على مذهبه . والله أعلم .

الوجه الثاني : القراءة على الشيخ

ويسميه أكثر المحدثين " العرض " ^(١) لأن المحدث يعرض ما يقرؤه على المحدث ، وعمدة المحدثين في هذا النوع من التحمل حديث ضمام بن ثعلبة حين قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : " آله أمرك أن تصلى الصلوات ؟ قال : نعم . . . الحديث . قال : هذه القراءة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر ضمام قومه بذلك فأجازوه . ^(٢)

قال ابن الصلاح : " وسواء كنت أنت القارئ أو قرأ غيرك وأنت تسمع أو قرأت من كتاب أو من حفظك ، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أو لا يحفظ ، لكن يمسك أصله هو أو ثقة غيره ، ولا خلاف أنها رواية صحيحة إلا ما حكي عن بعض من لا يعتد بخلافه " ^(٣)

(١) قال البخاري : « وكان أصله من وضع عرض شيء على عرض شيء آخر ، لينظر في استوائيهما وعدمه » فتح المغيث ١٦٨/٢ . وقال الشيخ حماد الأنصاري « قراءة الأستاذ تسمى إملاء وقراءة التلميذ عرضاً » يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر . ص ٥٩ .

(٢) وقد بوب البخاري رحمه الله على الحديث بقوله « باب القراءة والعرض على المحدث » انظر صحيح البخاري ، باب القراءة والعرض على المحدث ٢٦/١ .

(٣) علوم الحديث ١٤٢ ، وانظر في ذلك الإلماح للقاضي عياض ص ٧٠ ، أما قوله (إلا ما حكي عن بعض من لا يعتد بخلافه) فعُدّ بعضهم السيوطي في ترتيب الراوي ١٣/٢ ، وهم :

(أ) أبو عاصم النبيل إن ثبت عنه فقد قال إسحاق بن سيار ، سمعت أبا عاصم يقول : زعم سفيان أن القراءة جائزة ، قيل له : كيف يقول إذا قرأ عليك كتاباً فيه ألف درهم ؟ قال : لأبأس أن يقول أشهدني ، وسمعت أبا حنيفة يقول (للمحدث الفاضل ، للراهمزمي ٤٢٠) باب في القراءة على المحدث .

(ب) ووكيع حيث قال : ما أخذت حديثاً قط عرضاً . . .

(ج) ومحمد بن سلام حيث قال : أدركت مالك بن أنس ، فإذا الناس يقرأون عليه ، فلم أسمع منه لذلك .

(د) وعبد الرحمن بن سلام الجمحي حيث قال : دخلت على مالك بن أنس وكان على يابه من يحجبه وكان بين يديه ابن أبي أويس ، وهو يقول : حدثك نافع ، حدثك ابن شهاب ، حدثك فلان وفلان ؟ فيقول مالك : نعم . . . نعم ، فلما فرغت قلت : يا أبا عبد الله عوضني مما حدثتني بثلاثه أحاديث تقرؤها عليّ : قال : أعراقي أنت ؟ أخرجه عني .

انظر الكفاية للخطيب باب « ذكر الرواية ممن كان يختار السماع من لفظ المحدث على القراءة عليه ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

وقد أشار إلى انقراض الخلاف في هذه الصيغة الحافظ ابن حجر فقال :
" قد انقراض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لا تجزي ، وإنما كان يقوله بعض
المتشددين من أهل العراق .

وساق على ذلك قول إبراهيم بن سعد « لا تدعون تنطعكم يا أهل العراق ،
العرض مثل السماع »^(١) .

ثم أشار إلى الضد من أهل العراق وهم أهل المدينة حيث قرروا أن القراءة
على الشيخ أرفع من السماع من لفظه ، ومنهم مالك في رواية عنه^(٢) .

وذكره الخطيب عن شعبة ، وابن أبي ذئب ، ويحيى القطان ، واعتلوا بأن
الشيخ لو سها لم يتهياً للطالب الرد عليه^(٣) ، ثم ألح إلى المذاهب المتوسطة بين
الضدين وهم من يرون أن السماع والعرض بمنزلة واحدة وعلى رأس هؤلاء مالك
في المشهور والمعروف عنه والثوري^(٤) .

وقال ابن الصلاح : « قد قيل إن التسوية بينهما مذهب معظم علماء الحجاز
والكوفة ، ومذهب مالك وأصحابه وأشياخه من علماء المدينة ومذهب البخاري
وغيرهم »^(٥) .

ويطالعنا مذهب جمهور أهل المشرق وهو مذهب متوسط بين الطرفين ،
غير أنه يخالف أصحاب التسوية بينهما « ويجعل السماع من لفظ الشيخ أقوى من
القراءة عليه » .

(١) فتح الباري ١/ ١٥٠ .

(٢) الإلماع للقاضي عياض ص ٧٤ .

(٣) انظر أقوالهم في الكفاية ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٤) الكفاية ص ٣٩٠ ، وبقية أقوال مالك في نفس الباب من ص ٣٨٣ - ٣٩٤ .

(٥) علوم الحديث ص ١٤٢ .

قال القاضي عياض : « وذهب جمهور أهل المشرق وخراسان إلى أن القراءة درجة ثانية وقال : وهو مذهب أبو حنيفة في أحد قولي ، والشافعي ، وهو مذهب مسلم بن الحجاج ، ويحيى بن يحيى التميمي . . . » (١)

وصححه ابن الصلاح (٢) والنووي والسيوطي (٣) .

وقال ابن حجر : « وعند الجمهور السماع أقوى من القراءة . . » (٤) .

وأشار إلى صحة هذا المذهب العراقي في ألفيته إذ قال .

« وعكسه اصح وجل أهل الشرق نحوه جنح . »

وقال في شرحها فتح المغيث « وذهب جمهور أهل الشرق إلى ترجيح السماع من لفظ الشيخ على القراءة عليه وهو الصحيح » (٥) .

ووافقه على قوله السخاوي في شرحه لها أيضاً وأضاف : « لكن محله مالم يعرض عارض يصير العرض أولى بأن يكون الطالب أعلم أو أضبط ونحو

(١) الإلماع ص ٧٣ ، وقد بالغ بعض القائلين بهذا حتى أنه لم يعتبر القراءة شيئاً وهو إسحاق بن عيسى الطباع ، فقد نقل إلينا تلميذه الذهلي قوله « لأعد القراءة شيئاً بعدما رأيت مالكا يقرأ عليه وينعس » ، الكفاية ص ٣٩٥ . وهذا الخبر إن صح فلأنما هو يحكي ردة فعل لدى رؤية معينه وليست تلك الحالة على الدوام وإن كان قد أثر عن مالك في تهيهه للعلم ما يخالفها . ومن طريق ما يروى من أخبار من يقرأ عليه وينعس من المحدثين ، ما ذكر عن أبي الحسن ابن بندار القزويني - من كثرة نومه حين السماع ، فشق على الطلبة تنبيهه وإيقاظه ، فعمد أحد السامعين وأعد قرطاساً فيه قطع حلاوة شديدة العقد ، صعبة المضغ ، فكان إذا رأى الشيخ يغارله النوم ، أدخل في فيه قطعة منها فيشتغل الشيخ بلوكها ، وتوقظه حلاوتها وشدة مضغها ، فاذا فئت ، وعاد إلى النوم فعل به ذلك ، فاستراحوا من تعب إيقاظه بهذه الحيلة التي شكرت لفاعله » الإلماع ص ١٤٤ .

(٢) علوم الحديث ص ١٤٢ .

(٣) التقريب للنووي ١/١٥ ، وشرحه تدريب الراوي للسيوطي .

(٤) فتح الباري ١/١٥٠ .

(٥) فتح المغيث للعراقي ص ١٨٦ .

ذلك ، كأن يكون الشيخ في حال القراءة عليه أوعى وأيقظ منه في حال قراءته هو ، وحينئذ فالحق أن كلما كان فيه الأمن من الغلط والخطأ أكثر كان أعلى مرتبة» (١) .

ويعد هذه الوجازة في اتجاهات أهل العلم في القراءة على الشيخ ، نعود لإمام أهل المشرق وخراسانه في زمانه إمامنا الذهلي فنجدته ينحو منحى أهل جهته وهم الجمهور كما قال ابن حجر العسقلاني .

وهذه إشارات التي نستشف منها تفريقه بين السماع والعرض .

أولاً : تفريقه بين السماع والعرض بإطلاق لفظ القراءة دون السماع .

في ترجمة روح بن عباد (٢) بن العلاء بن حسان العنسي أبو محمد البصري .

قال ابن حجر : « وقال محمد بن يحيى : قرأ روح على مالك ؟ » قال ابن حجر : « فبين السماع من القراءة » (٣) .

(١) فتح المغيث للسخاوي ١٧٤/٢ .

(٢) هورؤح بن عباد بن العلاء بن حسان أبو محمد القيسي الحافظ ، قال الخطيب : صنف الكتب في السنن والأحكام وجمع تفسيراً وكان ثقة . مات سنة (٢٠٥) تذكرة الحفاظ ١/٣٥٠ ، وانظر تهذيب التهذيب ٣/٢٥٥ ، ميزان الاعتدال ٢/٢٥٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣/٢٥٤ ، وتعقيب الحافظ ابن حجر على كلام الإمام الذهلي جاء مبيناً لمذهبه وهو التفريق بين السماع والقراءة وأن الأولى أقوى من الثانية ، وهو قول الجمهور ، كما جاء لمغزى آخر وهو أن روح بن عباد على أنه مرضي عند الجمهور « فقد وصفه البزار في مسنده بأنه ثقة مأمون ، ونقل ابن أبي خيثمة عن يحيى قوله : ثقة صدوق ، ونقل أبو داود عن أحمد قوله فيه : لم يكن به بأس ولم يكن متهماً بشيء » تهذيب التهذيب ٣/٢٥٥ . إلا أنه لم يسلم من طعون لم تثبت عليه كما قال أبو مسعود أحمد بن الفرات : « طعن على روح بن عباد اثنا عشر أو ثلاثة عشر فلم ينفذ قولهم فيه » تهذيب الكمال للمزي ٩/٢٤٥ ، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن مهدي ولكنه تراجع وكأنه طلب التحلل منه ، وعفان بن مسلم لم يرضى حديثه ثم عاد فققواؤه بعد أن حاجه أبو خيثمة بأنه لا يملك ضده ما يضعفه (تهذيب الكمال ٩/٢٤٣) ومنهم =

ثانياً : تفريقه بين السماع والعرض من خلال صيغ الاداء :

أثر عن أئمة الحديث رحمهم الله آراء متباينة عن الصيغة التي يؤدي بها الحديث إذا سمع الطالب من لفظ الشيخ ، أو قرأ عليه .

قال الخطيب البغدادي : " قلت ما يسمع من لفظ المحدث الراوي له بالخيار فيه بين قوله " سمعت " و " ثنا " و " أخبرنا " و " أنبأنا " إلا أن أرفع هذه العبارات ، سمعت ... الخ ^(١)

أن حاجه أبو خيثمة بأنه لا يملك ضده ما يضعفه (تهذيب الكمال ٩/٢٤٣) ومنهم =
= القواريري الذي نقده يحيى بن معين قال أبو داود : « كان القواريري لا يحدث عن روح وأكثر ما أنكر عليه تسع مائة حديث حدث بها عن مالك سماعاً تهذيب الكمال للمزي ٩/٢٤٤ ، ميزان الاعتدال للذهبي ٢/٢٥٠ . وكان يحيى بن معين لم يرض قول القواريري فقال : « القواريري يعني عبيدالله - يحدث عن عشرين شيخاً من الكذابين » .
ثم يقول : (لا أحدث عن روح بن عبادة) تهذيب الكمال ٩/٢٤٣ ، وقال الذهبي " تكلم فيه القواريري لكونه يروي عن مالك تسعمائة حديث ، فاستعظم كثرتها " تذكرة الحفاظ ١/٣٥٠ - وقال الخليل " ثقة أكثر عن مالك " ت ٣/٢٥٥ - وكأنه لا يرى ما رآه القواريري - والاكتار عن بعض الشيوخ أمر ليس بمستغرب .

" هذه الاحاديث التسعمائة هل كانت كلها سماعاً أو قراءة ؟ لا نجزم بأي من ذلك ولكن يظهر أن من قالوا رواها سماعاً عن مالك يذهبون مذهبه في التسوية بين السماع والقراءة على الشيخ ، وما يدل على هذه التسوية قول يحيى بن اسماعيل الواسطي : " القراءة على مالك بن انس مثل السماع من غيره ، شرح علل الترمذي ١/٥٠٩ ، واستشف أن محمد بن يحيى الذهلي كان لديه ما يدل على قراءة روح على مالك وعرضه عليه ، لذا فانه يمكننا القول بأن بعضها كان سماعاً من لفظ مالك وبعضها قراءة عليه .

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٤١٢ باب ما جاء في عبارة الرواية عما سمع من المحدث لفظاً ، وقد فصل ذلك ابن حجر في مواضع شتى من شرحه على البخاري فقال : « عند المتقدمين يجوز إطلاق التحديث ، والإخبار ، والإنباء ، وقال لنا .

وعند المتأخرين التحديث والإخبار وهذه مواضع كلامه بالجزء والصفحة ، هدي الساري ص ١٧ ، فتح الباري ١/١٤٥ ، ٢/٥٦٤ ، ٣/٣٧٦ ، ٤/٣٨٨ ، ٥/٤٠٠ ، ٦/٢٨٠ ، ٧/٢٦٠ ، ١١/٢٥٦ .

وقال الشيخ حماد الأنصاري أقوى الصيغ وأصرحها « سمعت » لأنها لا تحتمل الوساطة بخلاف

أما بالنسبة لمن سمع من المحدث قراءة عليه ، فقد صحح القاضي أبو بكر محمد بن الطيب أنه لا يجوز أن يقول سمعت فلانا ولا حدثني ولا أخبرني ، وعلل ذلك بأن قوله «سمعت» يفيد أن المحدث نطق به ، وأن القائل " سمعته " يحكي لفظه وهو باطل وإخبار بالكذب . (١)

ثم قال : فان قيل فكيف يجب أن يقول قاريء الحديث إذا أراد أن يحدث به عمن قرأ عليه ؟

قيل : يجب أن يقول : حدثنا ، وأخبرنا قراءة عليه ، ليرفع بذلك الإيهام لسماعه منه بلفظه .

قال الخطيب البغدادي : " وهذا الذي ذكر القاضي وجوبه هو مذهب خلق كثير من أصحاب الحديث وقد قال محمد بن ادریس الشافعي وغيره يكفي الراوي أن يقول فيما سمعه قراءة أخبرنا ، ولا يحتاج إلى أن يقول قراءة ، وقال جماعة من الأئمة : و البيان أولى فان كان سمع بقراءته يقول قرأت ، وان كان سمع بقراءة غيره يقول قريء وأنا أسمع ، ولا يجوز أن يقول : حدثنا ولا أخبرنا وأجاز قوم ذلك ، وأن يقول أيضا ، وسمعت " (٢)

= متن البصرة فإنه لم يسمع من ابن عباس ، يعني أن (سمعنا) اسم على الحكاية لرفع الصيغ كلها في الإملاء على الطالب وهو يكتب لما فيه ذلك من التثبت والتحفظ . يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر ص ٥٩ .

(١) بتصرف الكفاية ٤٢٧ - ٤٢٨ باب القول في العبارة بالرواية عما سمع من المحدث قراءة عليه ، وانظر إيجاز ذلك في الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ٤٩ / ٢ (باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا) .

وأوجز كذلك الحافظ ابن حجر مذاهب العلماء وبالأخص المشاركة فقال : «مذهب ابن جريج والأوزاعي ، والشافعي ، وابن وهب ، وجمهور أهل المشرق تخصيص الإخبار بما يقرأ على الشيخ ، وجوز ابن راهويه ، والنسائي ، وابن حبان وابن منده وغيرهم التحديث أيضاً بقيد القراءة عليه (فتح الباري ١ / ١٤٥) .

وانظر إيجاز الحافظ ابن رجب في هذه المسألة والأقوال فيها في شرح علل الترمذي ٥١٥ - ٥١٨ «المسألة الثانية : فيما يقول من عرض الحديث إذا حدث به» تحقيق د . عبد الرحيم همام .

(٢) الكفاية ص ٤٢٨ .

أما الإمام الذهلي رحمه الله تعالى فقد شدد في المسألة ، وانضم مع من لم يجز فيما عرضه الرواي في الأداء بـ " سمعت " وحدثنا " وأخبرنا " وإنما أوجب البيان عن السماع كيفما كان . (١)

والدليل على ذلك دقته الواضحة في إطلاق ألفاظ الأداء ، فإن كان تحمله سماعاً في جماعة قال : حدثنا أو أخبرنا (٢) وإن كان سماعاً مفرداً قال : حدثني ، وإن كان تحمله قراءة على الشيخ قال : قرأت على فلان أو فيما قرأت على فلان ، وقد يعنن عن نفس الشيخ إشارة إلى إختلاف طريقة التحمل عنه . وقد حصرت إستشهاداتي لذلك على ثلاثة من مشايخه لقصد الوقوف على إختلاف صيغه عن الشيخ الواحد ، مما يدلُّ على إختياره لهذا المذهب وتبنيه إياه .

أ - بيانه التحمل بالسماع عن شيخه مطرف (٣) في جماعة ، وإختياره التحديث مرة ، والإخبار مرة أخرى .

(١) ساق الخطيب البغدادي باباً في ذلك وهو (باب ذكر الرواية عن قال : يجب البيان عن السماع كيف كان) وما رواه في هذا الباب قول الإمام أحمد : « إذا سمعت من المحدث فقل : حدثنا ، وإذا قرأت عليه فقل : قرأت ، وإذا قرأ عليه : قرأ عليه ، وقال : وأحب إلى أن تبيِّن كما كان الخ .

وروى عن أبي موسى محمد بن المثنى قال : سألت الأنصاري عن رجل يقرأ على الرجل يقول حدثني فلان ؟

قال : لا ولكن يقول : قرأت على فلان . الكفاية ص ٤٣١ - ٤٣٣ .

ونقل ابن رجب الحنبلي عن عوف قال : « إذا قرأ العالم على العالم فقال حدثني فهي كذبية » وعن عثمان ابن أبي شيبة ، كان ابن المبارك يقول : قرأت على ابن جريج ولا يقول (أنا) ، شرح علل الترمذي لابن رجب ٥١٦/١ .

(٢) بيَّن الخطيب أن أرفع صيغ الأداء : سمعت ثم حدثنا ثم أخبرنا وبيَّن أن الأخيرة كثيرة الاستعمال ، وذكر من كان يؤدي بها عما يسمعه حماد بن سلمه ، وابن المبارك ، وهشيم بن بشير وعبيد الله بن موسى ، وعبدالرزاق بن همام ، ويحيى بن يحيى التميمي ، وابن راهويه وسواهم ، الكفاية ص ٤١٣ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٦٠٤ .

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى قال : ثنا مطرف (١)

٢ - قال ابن الجارود أيضا : حدثنا محمد بن يحيى قال : أنا مطرف (٢)

ب - بيانه التحمل بالقراءة على شيخه عبد الله بن نافع (٣) بمفرده ،
وبالسماع من روح بن عباد (٤) في جماعة .

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى : وفيما قرأت على عبد الله
ابن نافع ، وحدثنا روح بن عباد عن مالك (٥) .

٢ - قال ابن خزيمة : حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على
عبد الله بن نافع وثنا روح عن مالك (٦)

ج - بيانه التحمل بالقراءة على شيخه عبد الله بن نافع والسماع من شيخه
مطرف في حديث واحد وفيه إلماحة لتفرده عن مطرف دون جماعة .

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى قال : قرأت على عبد الله
ابن نافع وحدثني مطرف (٧)

٢ - وقال أيضا : حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على ابن نافع
وحدثني مطرف عن مالك (٨)

د - بيانه التحمل عن شيخه عبد الله بن نافع بالقراءة مرة ، وبالعنونة مرة

أخرى .

(١) المتقى باب ٧٨ في العدد ص ٢٨٨ .

(٢) المتقى باب ٧٩ في الديات ص ٢٩٧ .

(٣) عبد الله بن نافع سبقت ترجمته ص ١٤٠ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٦٦٢ .

(٥) المتقى باب ٧٤ في الخلع ص ٢٨٣ .

(٦) التوحيد ، باب ذكر اثبات اليد للخالق ١/١٣٦ .

(٧) المتقى باب (٢٢) طهارة الماء والقدر الذي ينجس ولا ينجس ص ٣٦ .

(٨) المتقى باب (٣٥) في القبلة . ص ٧٤ .

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على ابن نافع عن مالك^(١)

٢ - وقال أيضاً : حدثنا محمد بن يحيى عن ابن نافع عن مالك^(٢)

ثالثاً : ومن صور تفريقه بين السماع والعرض عدم إنكاره على البرذعي التفريق بينهما

قال البرذعي : قلت لمحمد بن يحيى في حديث أنس ، عن أم حبيبة ، حديث شعيب ابن أبي حمزة ، حدثكم به أبو اليمان ؟ وقال : عن ابن أبي حسين ؟ فقال لي محمد بن يحيى نعم حدثنا به من أصله عن ابن أبي حسين .

فقلت له : حدثنا به غير واحد ، عن أبي اليمان فقالوا عن الزهري : فقال : لقنوه عن الزهري ، قلت : يحيى بن معين ، رحل اليه قبلك او بعدك ؟ وذاك أن يحيى روى هذا عن أبي اليمان ، وقال : عن الزهري . فقلت : لي محمد بن يحيى : يحيى رحل اليه بعدي ، قلت : فيقال إنه لم يسمع من شعيب بن أبي حمزة غير حديث واحد والبقية عرض . قال الله أعلم^(٣) الخ المسألة .

والذي يعيننا من هذه المسألة هو المقطع الأخير وهو قوله " فيقال إنه لم يسمع من شعيب ابن أبي حمزة غير حديث^(٤) واحد والبقية عرض !!

(١) المنتقى باب (٧١) في النكاح ، ص ٢٧٠ .

(٢) المنتقى باب (٧٢) في كتاب الطلاق ، ص ٢٧٩ .

(٣) أسئلة البرذعي لأبي زرعة ٢/ ٧٤٦ .

(٤) نقل البرذعي بنفسه قريباً من هذا عن شيخه أبي زرعه : «لم يسمع أبو اليمان من شعيب الا

حديثاً واحداً والباقي إجازة» . تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ .

وقريباً منه ما نقله الآجري عن أبي داود أنه قال : «لم يسمع أبو اليمان من شعيب الا كلمة»

تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨١ .

ومن جواب الإمام الذهلي " لا أعلم " نقف على عدة مهمات :

الأولى : أدب العالم وأمانته بقول الحق فيما يدرك علمه وفيما لا يدركه وقد سبقت الإشارة إليه في آداب المحدث .

الثانية : وهي مرادنا من سياق المعلومة : عدم إنكاره على البرذعي ، تقسيم تحمل أبي اليمان عن شعيب إلى سماع وعرض . الأمر الذي يدل على ذهابه هو أيضاً لهذا التقسيم .

الثالثة : قوله " لا أعلم " : كان نتيجة لكثرة تضارب الأقوال من أبي اليمان ومن غيره في كيفية هذا التحمل وعدم الجزم بشيء بعينه (١)

(١) والذي يبدو لي أنه لم يرجح السماع من العرض لانعدام الدليل على ترجيح أحدهما . وهذا الإمام أحمد بن حنبل يستغرب قول أبي اليمان أخبرنا شعيب ، ويرى أنه استحל هذه الصيغة بشيء عجيب ، وذلك أن شعيباً كان عسراً جداً في الرواية ، وقد طلبه بعض أهل حمص أن يأذن لهم بالرواية عنه فرفض ذلك ثم كلموه أخرى بحضرة أبي اليمان ، فقال لهم : ارووا تلك الأحاديث عني .

قال الأثرم : قلت لأبي عبد الله : «مناولة»؟ قال : «لو كان مناولة ، كان لم يعطهم كتاباً ولا شيئاً ، إنما سمع هذا فقط فكان ولد شعيب يقول : «إن أبا اليمان جاءني ، فأخذ كتب شعيب مني بعد ، وهو يقول : أخبرنا ، فكأنه استحل ذلك بأن سمع شعيباً يقول لقوم ، ارووه عني (السير ٣٢٠ / ١) ، وترد رواية أخرى ، وفيها يستفهم أحمد بن حنبل عن تحمل أبي اليمان ، قال إبراهيم ابن ديزيل ، سمعت أبا اليمان يقول : قال لي أحمد بن حنبل : كيف سمعت الكتب من شعيب؟ قلت : قرأت عليه بعضه ، وبعضه قرأ عليّ ، وبعضه أجاز لي وبعضه مناولة قال : فقال في كله أخبرنا شعيب . السير ٣٢١ / ١ ، ويورد الخطيب البغدادي في كفايته رواية تنفي سماع أبي اليمان من شعيب ولكنها نقلت بصيغة التضعيف : قال أبو علي صالح بن محمد البغدادي : (يقال) لم يسمع أبو اليمان من شعيب ، ولا شعيب من الزهري ، ولكنه كان كتاب ، الكفاية ص ٤٩٨ . وخالفه الخليلي في الإرشاد ٤٥٢ / ١ ، قال عن شعيب : ثقة ، متفق عليه ، مخرج في الصحيحين ، مكث عن الزهري .

وقال يعقوب الفسوي في تاريخه : حدثني سليمان ابن الكوفي قال : قلت لأبي اليمان : مالي أسمعك إذا ذكرت صفوان بن عمرو تقول : حدثنا صفوان ، وإذا ذكرت أبابكر ابن أبي مریم تقول : حدثنا أبو بكر ، وإذا ذكرت شعيب ابن أبي حمزة ، قلت أخبرنا شعيب؟ فغضب ، =

تقول : حدثنا أبو بكر ، وإذا ذكرت شعيب بن أبي حمزة ، قلت أخبرنا شعيب ؟ فغضب ، =

= فلما سكن ، قال لي : مرض شعيب مرضه الذي مات فيه ، فأتاه إسماعيل بن عياش ، وبقية بن الوليد ، ومحمد بن حمير في رجال من أهل حمص أنا أصغرهم ، فقالوا : كنا نحب أن نكتب عنك ، وكنت تمنعنا ، فدعا بقية له ، فقال : ما في هذه إلا ما سمعته من الزهري ، وكتبته وصححته ، فلم يخرج من يدي ، فإن أحببت فاكْتُبها ، فقالوا : فنقول ماذا؟ قال : تقولون : أنبأنا شعيب ، وأخبرنا شعيب وإن أحببت أن تكتبوها عن ابني ، فقد قرأتها عليه . السير ١٩٠ / ٧ .

ويورد الحافظ المزي طريقة تحمله بنفسه قال : قال أبو اليمان : كان عسراً في الحديث (أي شعيب) فدخلنا عليه حين حضرته الوفاة فقال : هذه كُتبي قد صححتها فمن أراد أن يأخذها فليأخذها ، ومن أراد أن يعرض فليعرض ، ومن أراد أن يسمعها من ابني فليسمعها ، فإنه قد سمعها مني . تهذيب الكمال ٥١٩ / ١٢ ، السير ١٩٠ / ٧ ، الكفاية للخطيب ص ٤٦٢ .

وقد علق الحافظ الذهبي على الروايتين الأخيرتين بقوله : (قلت) : فهذا يدل على أن عامة ما يرويه أبو اليمان عنه بالإجازة ، ويعبر عن ذلك «بأخبرنا» وروايات أبي اليمان عنه ثابتة في «الصحيحين» وذلك بصيغة أخبرنا . ومن روى شيئاً من العلم بالإجازة عن مثل شعيب بن أبي حمزة في إتقان كتبه وضبطه ، فذلك حجة عد المحققين ، مع اشتراط أن يكون الراوي بالإجازة ثقة ثباتاً أيضاً ، فمتى فقد ضبط الكتاب المجاز واتقانه وتحريره ، أو اتقان المجاز له ، انحط المروي عن رتبة الاحتجاج به ، ومتى فقدت الصفات كلها لم تصح الرواية عند الجمهور .

وشعيب رحمه الله قد كانت كتبه نهاية في الحسن والاتقان والإعراب ، وعرف هو ما يجيز ولمن أجاز ، بل رواية كتبه بالوجادة كاف في الحجة ، وفي رواية أبي اليمان عنه بذلك دليل على إطلاق «أخبرنا» في الإجازة كما يتعانه فضلاء المحدثين بالمغرب ، وهو ضرب من التدليس ، فإنه يوهم أنه بالسمع والله أعلم» السير ١٩٠ / ٧ - ١٩١ .

لذا فإن جواب الذهبي للبرذعي «لا أعلم» فيه تحفظ وتريث ، وذلك لأن إطلاق التحمل من سماع وعرض ومناولة وإجازة . خاصة (عند اختلاف درجات المتحمّلين والمؤدّين ثقة وضبطاً) لم تكن قولاً واحداً عند جميع المحدثين .

الوجه الثالث : الإجازة :

ومعناها في اللغة " مأخوذ من جواز الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث ، يقال منه استجزت فلاناً فأجازني ، إذا أسقاك ماءً لأرضك أو ماشيتك " (١)

وترد في كلام العرب للعبور ، والانتقال ، وللإباحة القسيمة للوجوب والامتناع .

وعليه ينطبق الاصطلاح ، فإنها إذن في الرواية لفظاً أو كتباً تفيد الإخبار الاجمالي عرفاً^(٢) وكذلك طالب العلم ، يسأل العالم أن يجيزه علمه ، فيجيزه إياه والطالب مستجيز والعالم مجيز " (٣)

قال الخطيب : " ويقال إن الأصل في صحة الإجازة حديث النبي صلى الله عليه وسلم المذكور في المغازي حيث كتب لعبد الله بن جحش^(٤) كتاباً وختمه ودفعه إليه ، ووجهه في طائفة من أصحابه إلى ناحية نخلة^(٥) ، وقال له : لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم انظر فيه " (٦)

وصورة الإجازة : أن يأذن المحدث للطالب أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً أو كتباً من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه ، وكان يقول له : أجزت لك أن تروي عني كتاب كذا ، فيروي عنه بذلك الاذن من غير سماع أو قراءة .

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٤٩٤ ، وانظر الكفاية للخطيب ص ٤٤٦

(٢) فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢١٤

(٣) الكفاية للخطيب ص ٤٤٧ ، وانظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٥٩

(٤) هو عبد الله بن جحش بن رباب ، أبو محمد الأسدي ، ابن عمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، أسلم قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ، استشهد يوم أحد رضي الله عنه ، أسد الغابة ٣/ ١٩٤ .

(٥) موضع على ليلة من مكة . وكان بها لقريش وبني كنانة بعض الطواغيت التي كانت تعظمها مع الكعبة . الروض المعطار ص ٥٧٦ .

(٦) الحديث أخرجه البيهقي في سننه ٩/ ١٢، ٥٨، ٥٩ ، وذكره ابن سعد في طبقاته ٢/ ١٠، ١١ ،

وابن سيد الناس في عيون الاثر ١/ ٣٥٩ ، وابن القيم في زاد المعاد ٣/ ١٦٧ وانظر الكفاية ص ٤٤٧ . والاماع ص ٨١ .

وللإجازة أنواع ، تقصّأها وأجاد فيها وأفاد القاضي عياض^(١) بما لم يسبق إليه . وبلغ بها ستة أنواع وزاد عليها ابن الصلاح نوعاً سابعا .

والامام الذهلي من العلماء الدهماء الذين كانوا يصححون العمل بأحاديث الإجازة ، ويرون قبولها^(١) وقد سرد الخطيب البغدادي من المتقدمين

(١) في كتابه الامناع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، وقد امتدح جهده وله ذلك فقال : « وقد نقصنا وجه الإجازة بما لم نسبق إليه ، جمعنا فيه تفاريق المجموعات والمسموعات والمشافهات والمستتبطات ، بحول الله وعونه » الامناع ص ١٠٧ ،

ووصف محقق الكتاب د . سيد صقر جهده في ذلك بأنه ذروة الكمال وعزا ذلك إلى إirاده النصوص القيمة من كتب الفقهاء ، ومن كتب هي الآن في عداد المفقود أو المحفوظ كالوجازة لابي العباس المالكي وكتاب أبي مروان الطبري ، والبرهان للجويني ، والماوردي والباجي وهذه أنواعها بإيجاز شديد .

١ - أعلاها الإجازة (لمعين) في كتب معينة وأحاديث مخصوصة مفسرة ، وقد جوزها الجمهور .
٢ - الإجازة لمعين على العموم والابهام ، دون تعيين الكتب والأحاديث كقولك : قد أجزت لك جميع روايتي ، وقد جوزها الجمهور .

٣ - الإجازة للعموم من غير تعيين المجاز له كقولك : أجزت لمن لقيني ، أو أجزت للمسلمين .

٤ - الإجازة للمجهول أو بالجهول ، وهو على ضروب . . . وهي فاسدة .

٥ - الإجازة للمعدوم كقولك أجزت لفلان وولده ، أو لكل من دخل بلد كذا من طلبه العلم وفيها خلاف .

٦ - الإجازة لما لم يروه أو يسمعه بعد كقولك أجزت لك أن تروي : عني ما سأسمعه والصحيح بطلانها على قول القاضي عياض وابن الصلاح .

٧ - إجازة المجاز مثل أن يقول الشيخ : أجزت لك مجازاتي أو أجزت لك رواية ما أجز لي روايته وقال ابن الصلاح : « والصحيح الذي عليه العمل أن ذلك جائز » علوم الحديث ص ١٥٩ .

بتصرف يسير أنظر الامناع (٨٨-١٠٧) علوم الحديث لابن الصلاح (١٥١-١٥٨) اختصار علوم الحديث لابن كثير (١١٤-١١٧) . وانظر معه شرحها القيم الباعث الخيث للشيخ أحمد شاكر .

وقد أوصلها الإمام العراقي في ألفيته إلى تسعة وقال السخاوي معللاً إيراد العراقي لهذا العدد أنه لمسيس الحاجة إليه وإلا فأنها متركة من الأنواع التي أشار إليها ابن الصلاح مع ادراجها الخامس

في الرابع ، والسابع في السادس بحيث كانت عنده سبعة . انظر فتح المغيث للسخاوي ٢/٢١٧ ، وانظر تعليق ابن الصلاح على إقتصاره على السبعة في علوم الحديث ص ١٥٩ ،

ومن أشار إلى كونها تسعة أنواع المحدث العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في مقدمة كتابه (الوجازة في الإجازة) بتحقيق بديع الزمان محمد شفيع النيبالي

فقال « وأرفع أنواعها التسعة . . . » ص ٢٥ .

منهم خمسة وأربعين عالماً وكان الإمام الذهلي السابع والثلاثين بينهم حسب ترتيب طبقة مع البخاري وغيره ، قال : " ومن سمي لنا أنه كان يصحح العمل بأحاديث الإجازة ويرى قبولها من المتقدمين ... و... ومحمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري ... » (٢)

وقد أشار أبو الطيب محمد شمس الحق إلى أنها (الإجازة) من مطالب السلف الصالحين ، والرواية بها والعمل بالمروى بها مشهور بين الأئمة المحدثين " (٣)

وكما أن الإمام الذهلي لم يقف على حقيقة تحمل أبي اليمان عن شيخه شعيب هل هو سماع ام عرض فانه ايضاً لم يرجح هيئة تحمل ابنه بشر عنه هل هو سماع ام اجازة !!!

قال البرذعي : « قلت : وبشر بن شعيب ابن أبي حمزة . . . سمع الكتب من أبيه أو هي إجازة ؟ فقال : « ما أدري إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي » (٤)

(١) وقد لخص الخلاف في جوازها والعمل بها الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فقال : أبطلها كثير من العلماء ، قال بعضهم : « من قال لغيره " أجزت لك أن تروي عنى مالم تسمع ، فكأنه قال : أجزت لك أن تكذب علي ! لأن الشرع لا يبيح رواية مالم يسمع » . وهذا صحيح لو أذن له في رواية مالم يسمع مع تصريح الرواي بالسماع ، لأنه يكون كذباً حقيقة ، أما إذا كان يروي عنه على سبيل الإجازة فلا . وقال ابن حزم : « إنها بدعه غير جائزة » ومنع الظاهريه من العمل بها ، وجعلوها كالحديث المرسل ، وهذا القول يعني إبطالها - ضعفه العلماء وردوه . وتغالي بعضهم فزعم أنها أصح من السماع ، وجعلها بعضهم مثله ، والذي رجحه العلماء أنها جائزة ، يروى بها ويعمل ، وإن السماع أقوى منها ، قال ابن الصلاح ص ١٥٢ : « إن الذي استقر عليه العمل وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم - القول بتجوز الإجازة وإباحة الرواية بها . . . الخ » الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ، للشيخ أحمد شاكر ص ١١٦ وقد ذكر الخطيب بعض أسماء وأقوال من ردها ولم يعمل بها ومن كان يقول بها ويستعملها في الكفاية من (٤٤٦ - ٤٦٥) وانظر حجج وبراهين ودوافع كل من الفريقين في فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢١٧ - ٢٢٩ .

(٢) الكفاية ص ٤٥٠ / .

(٣) الوجازة في الإجازة ص ٢٥ .

(٤) الضعفاء وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٤٦ .

وهذا الاستدراك من الإمام الذهلي . . " إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي " يَشِيءُ بالتوقي والتحفظ وتخصيص كل طريقة بما يناسبها من الالفاظ . . وبشر بن شعيب رُوِيَ في تحمله عن أبيه شعيب عدة روايات .

" فبينما يقول أبو زرعة " إن سماعه كسماع أبي اليمان ، إنما كان إجازة " (١)

نجد أن أبا اليمان يعارض ذلك النقل بقوله : " سمعنا من شعيب وقد احتضر يقول : من أراد أن يسمع هذه الكتب فليسمعها من ابني ، فإنه قد سمعها مني " (٢)

وفصل في أمره ابن حبان فقال : " كان متقناً ، وبعض سماعه من أبيه مناولة وسمع نسخة شعيب سماعاً " (٣)

وكان رد الإمام الذهلي على سؤال البرذعي في ذلك مثل رد الإمام أحمد ابن حنبل على ابنه عبد الله لما سأله نفس السؤال :

قال عبد الله بن أحمد : " سألت أبي : كيف سماع شعيب من الزهري ؟ قال : حديثه يشبه حديث الإملاء ثم قال أبي : الشأن فيمن سمع شعيب ، كان رجلاً ضيقاً في الحديث : قلت : كيف سماع أبي اليمان منه قال : كان يقول : أنبأنا شعيب . قلت (فسماع ابنه بشر ؟ كان يقول : حدثني أبي) . . الخ (٤)

(١) تهذيب الكمال ٤/١٢٨ ، ميزان الإعتدال ١/٣١٨ .

(٢) ميزان الإعتدال ١/٣١٩ ، الكفاية ص ٤٦٢ ، تهذيب الكمال ٤/١٢٨ ، وقد استدلل الحافظ ابن حجر برواية أبي اليمان هذه على أن تحمل بشر عن أبيه كان سماعاً ، وذلك بمباشرة سماع أبي اليمان من شعيب ، بخلاف الرواية التي أوردها ابن أبي حاتم المتقطعة التي تعارض ذلك حيث قال : سئل أبي عنه فقال : ذكر لي . أن أحمد بن حنبل قال له : سمعت من أبيك ؟ قال : لا . قال : فقرأ عليه وأنت حاضر ؟ قال : لا ، قال : فقرأت عليه ؟ قال : لا ، قال : فأجاز لك ، قال نعم ، قال : فكتب عنه على معنى الاعتبار ولم يحدث عنه . قال ابن حجر : ومما يؤيد ذلك أن أبا حاتم قال في تلك الحكاية إن أحمد لم يحدث عن بشر وليس الأمر كذلك بل حديثه عنه في المسند . تهذيب التهذيب ١/٣٩٥ .

(٣) الثقات ٨/١٤١ .

(٤) السير ٧/١٨٨ .

والذي أميل إليه أن قول الإمامين أحمد والذهلي : " كان يقول حدثني أبي المقصود منه أنه سماع ، لا إجازة (مع إمكانها) ، وذلك لما عرف عنهما من التشديد في ألفاظ الأداء^(١) ووجوب مطابقتها لحالة التحمل ولتضافر الأقوال على سماع بشر بن شعيب من أبيه سواء النسخة التي سمعها أيضا أبو اليمان أو غيرها والله اعلم .

الوجه الرابع : المناولة :

وهي لغة : العطية ، ومنه حديث قصة الخضر مع موسى " فحملوها بغير نول^(٢) " أي إعطاء .

واصطلاحاً : إعطاء الشيخ الطالب شيئاً من مرويّه مع إجازته به صريحاً أو كتابة^(٣) .

قال القاضي عياض : وهي أيضا على أنواع .^(٤)

وقد سرد الحافظ ابن رجب أنواعها وصورها وذكر الذهلي فيمن فعل النوع الثاني فقال : " ومن أنواع المناولة أن يأتي الطالب إلى العالم بجزء من حديثه قد كتبه من أصل صحيح ، فيدفعه إلى العالم ويستجيزه إياه ، فيجيزه له ، ويرده إليه ، إلا أنهم اشترطوا أن ينظر فيه العالم إن كان يحفظ ما فيه ، وأن يقابل به

(١) انظر ذلك في حاشية ص ٦٦٨ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ ٤٤ / ١ . ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام ١٨٤٧ / ٤ ، وأحمد ١١٨ / ٥ .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٢ / ٢٨٥ .

(٤) انظر هذه الأنواع بالتفصيل في الاماع للقاضي عياض ص ٧٩ . والكفاية للخطيب ص ٤٦٦ ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦٢ ، وشرح علل الترمذي لابن رجب ١ / ٥٢١ .

أصله ، إن كان لا يحفظه وقد فعل ذلك مالك ^(١) ، وأحمد ^(٢) " ومحمد بن يحيى الذهلي " واشترطه أحمد بن صالح المصري ^(٣) .

وهذه صورة إجازة الإمام الذهلي على هذا النمط لبعض طلبة العلم الأصبهانيين ويلاحظ فيها دقته في كتابتها وإتيانه بشرطها وهو النظر فيما يجيزه والاقرار بأنه حديثه ، ويختمها بلفظ الإجازة لمجموعهم وأفرادهم . ويؤكددها بأنها بخطه .

قال الخطيب : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال أنا محمد بن نعيم الضبي قال : قرأت بخط محمد بن يحيى يعني الذهلي إجازة كتبها للأصبهانيين .

بسم الله الرحمن الرحيم

أتاني سعيد بن عمرو أبو عثمان البرذعي ^(٤) بهذه الأحاديث المتضمنة هذه الرقعة ^(٥) وسألني أن أجيزها ليوسف بن زياد ^(٦) ، ومحمد بن مهدي ^(٧) ،

(١) صورة مناولة الإمام مالك : جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ! الرقعة ، فأخرج رقعة ، وقال : قد نظرت فيها وهي من حديثي فاروها عني . فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٩٠ .
(٢) صورة مناولة الإمام أحمد : جاءه رجل بجزئين وسأله أن يجيزه بهما ، فقال : ضعهما وانصرف . فلما خرج أخذهما فعرض بهما كتابه وأصلح له بخطه ثم أذن له فيهما ، فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٩٠ .

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٥٢٢ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٩٤ .

(٥) سيأتي ذكر أن أهل خراسان يسمون البطاقة رقعة ص ٨١٧ .

(٦) يوسف بن زياد لم أجد ترجمته .

(٧) هو محمد بن مهدي أبو صالح ، من الرحالة ، كتب بمصر والشام ، والعراقيين ، ومات قديماً ، حدث عن الحارث بن مسكين ، روى عنه محمد بن يحيى بن منده ، أخبار أصبهان ٢/ ٢٠٢ . لأبي نعيم الأصبهاني .

ومحمد بن يحيى بن منده (١) ومحمد بن هارون (٢) . وأحمد بن علي بن الجارود (٣) ، ومحمد بن عبد الله ابن مَمَك (٤) ، وعلي بن الحسن بن سلم (٥) ، وهذه أحاديثي قد سمعتها من هؤلاء الرهط المسمين في هذه الرقعة ، فقد أجزتها لهم ، فليرووها عني إن أحبوا ذلك ، وأحب كل واحد منهم على الانفراد فقد أبحث (٦) لهم ذلك ، وكتبه محمد بن يحيى بخطه " (٧)

والإمام الذهلي قد حقق بهذه الكلمات معنى الإجازة ومعنى المناولة التي هي أعلى أنواع الإجازة ، وذلك بتعيينه المجاز وهو ما في الرقعة من الأحاديث ، وتعيينه للمجاز له وهم الرهط الأصبهانيون .

وجدير بالذكر إن إتيان البرذعي بالرقعة المتضمنة لأحاديث الذهلي إليه وطلبه منه إجازتها يسمى عند أئمة الحديث عرضاً ، ولكي يميزوه عن عرض السماع الذي هو القراءة على الشيخ قيّد بقولهم (عرض المناولة) . (٨)

-
- (١) هو محمد بن يحيى بن منده بن سنّده ، أبو عبد الله العبدي جدّ صاحب التصانيف محمد بن إسحاق بن منده ، مات سنة (٣٠١) . السير ١٤ / ١٨٨ .
- (٢) هو محمد بن هارون بن هاشم الأصبهاني ، حدث عنه محمد بن النضر الجارودي ، وأثنى عليه وقال : كان صاحب حديث . أخبار أصبهان ٢ / ٣٠٥ .
- (٣) هو أحمد بن علي بن الجارود الأصبهاني ، له رحلة وهمّة ، ومعرفة تامة ، توفي سنة (٢٩٩) . السير ١٤ / ٢٣٩ .
- (٤) هو محمد بن عبد الله بن مَمَك . لم أجد ترجمته .
- (٥) خرج إلى الري ، ومات بها ، روى عن العراقيين والأصبهانيين . أخبار أصبهان ٢ / ٩ .
- (٦) لفظ الإباحة قسيم للإجازة كما بيّنه السخاوي في فتح المغيث ٢ / ٢١٤ .
- (٧) الكفاية في علوم الرواية للخطيب ص ٤٦٨ .
- (٨) قال ابن الصلاح : « وقد سبقت حكايتهما في القراءة على الشيخ أنها تسمى عرضاً فلنسم ذلك عرض القراءة وهذا عرض المناولة ، علوم الحديث ص ١٦٠ ، فتح الباري ١ / ١٤٩ .

الوجه الخامس : المكاتبه

وهي أن يكتب الشيخ شيئاً من حديثه بخطه ، أو يأمر غيره فيكتب عنه بإذنه ، سواء أكتبه أم كتب عنه إلى غائب عنه ، أو حاضر عنده ، وهذا الوجه من أوجه التحمل ينقسم إلى قسمين :-

١ - مكاتبه مجردة عن الإجازة .

٢ - مكاتبه مقرونة بالإجازة بأن يكتب إليه ويقول : " أجزت لك ما كتبتك لك ونحو ذلك من العبارات التي تؤدي الغرض "

والقسم الأول وهو المكاتبه المجردة عن الإجازة صححها وأجاز الرواية به كثير من المتقدمين والمتأخرين وهي عندهم معدودة في المسند المتصل . . ومنهم أيوب السخيتاني ومنصور ، والليث وغير واحد من الشافعيين منهم أبو المظفر السمعاني الذي جعلها أقوى من الإجازة وإليها صار جماعة من الأصوليين .

ولم يصححها قوم آخرون كالمارودي في الحاوي ، والآمدي وسواهم (١)

قال الحافظ ابن حجر : " منع منها قوم إذا تجردت عن الإجازة ، والمشهور الجواز . (٢) "

والإمام الذهلي ممن تحمل عن مشايخه بهذا الوجه وقد كاتب عدداً منهم وعندما أدى عنهم كانت صفة أدائه هي الصفة التي اختارها كبار المحدثين كابن الصلاح والنووي والعراقي وابن حجر وصححوها ووصفوها بأنها اللفظ اللائق

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦٥ ، التقريب للنووي ٥٥/٢ وشرحه تدريب الراوي للسيوطي ، وفتح المغيث للعراقي ٢٢٥ ، وانظر اختصار علوم الحديث لابن كثير ١٢٠ وشرحه الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر .

(٢) فتح الباري ١٣/١٣٨ .

بأهل التحري والتزاهة. وهي قول : كتب إليّ فلان " أو " فيما كتب إليّ
فلان " (١)

واختيار الذهلي لهذه الصيغة جاء أيضا موافقا لما حذره كبار الأئمة أن يؤدي
الراوي علمه بمثل الحالة التي تحمل بها .

ومنهم يحيى بن سعيد قال : ينبغي للرجل أن يحدث الرجل كما
سمع (فان سمع يقول - ثنا ، وان عرض يقول : عرضت وان كان إجازة يقول
إجاز لي " وأثر مثل قوله عن الأوزاعي وأحمد بن حنبل وقال : " وأحب إليّ أن
تبين كما كان . . . " ويحيى بن معين وسواهم (٢)

وقد سئل أحمد بن بن منصور عن الاخبار عن المكاتبة ، فقال : " أحبه إليّ
أن يقول " كتب إليّ فلان - حدثنا فلان ، وهذا هو مذهب أهل الورع والتزاهة
والتحري في الرواية وكان جماعة من السلف يفعلونه " (٣)

وهذه أمثلة على تأديته للمكاتبة بهذا اللفظ المختار الدقيق.

١ - تأديته مكاتبة أبي نعيم :

في ترجمة جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري : قال الذهلي : قال يحيى
بن بكير ، مات سنة ٧٨ وسنه يومئذ أربع وتسعون ، وصلى عليه أبا ن بن عثمان

(١) وقد ذهب الليث بن سعد ومنصور إلى جواز إطلاق حدثنا ، وأخبرنا ، والذي اختاره المحققون
من المحدثين تقييد ذلك بالكتابة ، فيقول : حدثنا أو أخبرنا كتابة ، أو أخبرني في كتابه ، انظر فتح
المغيث للعراقي ص ٢٢٤ وعلوم الحديث لابن الصلاح ١٦٥ ، وفتح الباري ١٣/١٣٨ ، وقد
أورد الخطيب أمثله من تجويز الليث ومنصور وغيرهما لاطلاقها . الكفاية ص ٤٨٩ - ٤٩٢ ،
وانظر استجازة ابن جريج لذلك في فتح الباري ٨/٦٦٧ .

(٢) الكفاية للخطيب البغدادي ٤٣٠ ، ٤٣١ ، باب ذكر الرواية عن قال « يجب البيان عن السماع
كيف كان » .

(٣) ومن أمثله ذلك مكاتبة نافع مولى ابن عمر إلى أيوب السخيتاني ، ومكاتبة هشام بن عروة إلى
جعفر بن ربيعة ، ومكاتبة كثير بن عبد الله المزني للإمام مالك ، في الكفاية ٤٤٨ ، ٤٨٩ باب ذكر
كيفية العبارة بالرواية عن المكاتبة .

ابن عفان والي المدينة ، قال الذهلي : " وفيما كتب إليّ أبو نعيم قال : وجابر بن عبد الله سنّه تسع ، قال الذهلي : أراد عندي وسبعين فحذف وسبعين لأن أبا نعيم لا يهم هذا الوهم " (١)

٢ - تأديته مكاتبة ابن غير :

في ترجمة عبد الله ابن أبي أوفى ، قال الذهلي :
وفيما كتب إليّ ابن غير مات سنة ثمانين . (٢)

٣ - تأديته مكاتبة أبي بكر ابن أبي شيبة :

في ترجمة عمر بن الخطاب : قال الكلاباذي : تولّى الخلافة من لدن مات أبو بكر يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة إلى أن طعن . . . وقال الذهلي : كتب إليّ أبو نعيم وأبو بكر ابن أبي شيبة يوم الأربعاء بقين سنة (ثلاث عشر) . . . الخ (٣)

الوجه السادس : الإعلام

قال القاضي وهو : " إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث من روايته وأن هذا الكتاب سماعه فقط ، دون أن يأذن له في الرواية عنه ، أو بأمره بذلك ، أو يقول له الطالب هو روايتك أحمله عنك ؟ فيقول له : نعم ، أويقره على ذلك ولا يمنعه " (٤)

(١) رجال صحيح البخاري للكلاباذي : ١٤١/١ وجدير بالذكر أن الكلاباذي نقل في كتابه الآنف الذكر صوراً متنوعة لمكاتبة أبي نعيم للذهلي وقد سردت طرفاً منها في مطلب تواريخ الرواة والوفيات.

(٢) رجال صحيح البخاري ٣٩٣/١.

(٣) المصدر السابق ٥٠٦/٢.

(٤) الإلماع ص ١٠٨ وانظر علوم الحديث ص ١٦٦، وتنقيح الأنظار للحافظ محمد بن إبراهيم الوزير، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٣٤٣/٢ وشرحه توضيح الأفكار للصنعاني، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٢١، وشرح ألفية العراقي في الحديث المسمى فتح المغيث له ص ٢٢٥ وللسخاوي ١٣/٣.

وقد اورد البرذعي ذات مرة لشيخه الذهلي حديثا في إحدى مذكراتهما
للحديث فقال :-

قلت لمحمد بن يحيى في حديث أنس ، عن أم حبيبة ، حديث شعيب ابن
أبي حمزة ، حدثكم به أبو اليمان وقال : عن ابن أبي حسين ؟ فقال محمد بن
يحيى : نعم حدثنا به من أصله عن ابن أبي حسين (١) « (٢)

قال القاضي عياض : « فهذا أيضا وجه وطريق صحيح للنقل والعمل عند
الكثير ، لأن اعترافه به وتصحيحه له أنه سماعه ، كتحديثه له بلفظه وقراءته عليه إياه
وإن لم يجزه ، وبه قال طائفة من المحدثين ونظار الفقهاء المحققين . . . الخ » (٣)

الوجه السابع : الوجداء :

وقد نعتها القاضي عياض بالخط وعرّفه فقال : " وهو الوقوف على كتاب
بخط محدث مشهور يعرف خطه ويصححه ، وإن لم يلقه ولا سمع منه ، أو لقيه
ولكن لم يسمع منه كتابه هذا وكذلك كتب أبيه وجده بخط أيديهم " (٤)

وقد يكون الموجود حديثاً واحداً " وتبليغ الوجداء يتأدى بصيغ منها :
وجدت بخط فلان ، أو في كتاب فلان ، أو قرأت بخط فلان عن فلان ، وقد

(١) في تهذيب التهذيب : « قال حدثنا به من أصله عن شعيب عن ابن أبي حسين » ٣٨٠ / ٢ .

(٢) الضعفاء ، وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٧٤٦ / ٢ .

(٣) الالماع ص ١٠٨ ، وتوضيح الأفكار ٣٤٣ / ٢ .

(*) لم أجد هذا المصدر ضمن مصادر كلمة وجد في معاجم اللغة ، والذي ذكره ابن منظور من
مصادر مايلي : « وَجَدًا ، وَجْدَةً ، وَوُجْدًا ، وَوُجُودًا ، وَوُجْدَانًا ، وَوُجْدَانًا » لسان العرب
٤٤٥ / ٣ ، وقد أشار ابن الصلاح إلى أن هذه اللفظة مصدر لوجد يجد مولد غير مسموع من
العرب ، ثم قال : رَوَيْنَا عَنْ الْمُعَافِي بْنِ زَكْرِيَّا النَّهْرَوَانِيِّ الْعَلَامَةِ فِي الْعُلُومِ أَنَّ الْمَوْلِدِينَ فَرَعُوا
قَوْلَهُمْ وَجَادَةً فِيمَا أَخَذَ مِنَ الْعِلْمِ صَحِيفَةً مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ وَلَا إِجَازَةٍ وَلَا مَنَاقِلَةٍ مِنْ تَفْرِيقِ الْعَرَبِ
بَيْنَ مَصَادِرِ وَجَدَ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَعَانِي الْمَخْتَلِفَةِ يَعْنِي قَوْلَهُمْ وَجَدَ ضَالَتَهُ وَجَدَانًا وَمَطْلُوبُهُ وَوُجُودًا ،
وَفِي الْغَضَبِ مَوْجِدَةٌ وَفِي الْغَنَى وَجْدًا ، وَفِي الْحُبِّ وَجْدًا . انظر علوم الحديث ص ١٦٣ .

(٤) الالماع ص ١١٦ .

يجري التدليس على الوجادة فيقال : عن فلان أو قال فلان . ووصفه ابن الصلاح بأنه تدليس قبيح ، والوجادة كما قال ابن كثير : ليست من الرواية وإنما هي حكاية عما وجدته في الكتاب ، أما من حيث اسنادها فهي من قبيل المنقطع والمرسل غير أنها تأخذ شوباً من الاتصال إذا قيدت بخط فلان ، وجازف بعضهم فأطلق عليها حدثنا واخبرنا واعتبر هذا كذباً صريحاً وأنكره العلماء . (١)

وللشيخ أحمد شاكر تلخيص مهم عن حكم العمل بها ، نقل فيه ما اختاره ابن الصلاح من وجوب ذلك خاصة في الأعصار المتأخرة ، لأنه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيها (٢)

ويحكي لنا الإمام الذهلي إحدى وجاداته ، وهي وجادة منقطعة لانه وجدها في كتاب شيخه أيوب بن سليمان (٣) وليست في كتابه أو أصله عنه ، وهي مع ذلك موقوفة ولا ضير في ذلك فقد رواها سماعاً من نفس الشيخ متصلة السند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك فإن إخباره بها يدل على معرفته بهذا المصطلح الحديثي ، واستعماله له .

وهذا سياق سنده المتصل . . . ثم وجادته الموقوفة .

قال ابن خزيمة رحمه الله : " نا محمد بن يحيى ، ثنا إسماعيل ابن أبي أويس ، حدثني أخي ح : ثنا محمد أيضاً ثنا أيوب بن سليمان حدثني أبو بكر ابن أبي أويس عن سليمان ابن بلال عن عمر بن محمد - وهو ابن زيد - عن

(١) بتصرف علوم الحديث ص ١٦٨ ، اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٢٣ ، وتقريب

النووي ، وتدريب الراوي ٦١ / ٢ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٢٢٥ .

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ١٢٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٦٧ .

سالم بن عبد الله عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا صلى أحدكم ، فلا يدري كم صلى ثلاثاً أو أربعاً فليركع ركعة يحسن ركوعها وسجودها ويسجد سجدتين " (١)

قال محمد بن يحيى : " وجدت هذا الخبر في موضع آخر من كتاب أيوب موقوفا " (٢)

وذكره الوجادة بهذه الصيغة جاء موافقا لما قعده ائمة الحديث في هذه المسألة وهو أن يقول : وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه حدثنا فلان ويسوق الاسناد والمتن (٣) . . فقد ذكر أنها في كتاب شيخه وهذا توثيق لنسبته إليه ثم بين أن الإسناد متصل بموقوفاً ، وليس على الإتصال والرفع كالإسناد الذي سبقه ، وفي هذا دقة منه في العبارة كالذي عهد عنه في سائر الانواع . . والله اعلم .

(١) قال الحاكم أبو عبد الله : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، المستدرک ١ / ٢٦٠ - ٢٦١ ووافقه الذهبي .

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢ / ١١٢ .

(٣) انظر في ذلك تقريب النووي وشرحه التدريب ٢ / ٦١ ، وقد بين السيوطي أن مثل ما ذكره الذهلي يعتبر من باب الوجادة المنقطعة وهي أن يجد في كتاب شيخه لا كتابه . تدريب الراوي ٢ / ٦٢ وهي على هذا النحو لا تأخذ شيئاً من الاتصال على الإطلاق .

المبحث الرابع أثر الإمام الذهلي في كتابة الحديث

تمهيد

بعد الحديث على طرق تحمل الحديث وأدائه ، تأتي مرحلة تالية وهي كيفية تدوين وكتابة ما جمع وتلقي من أي وجه كان .

وكتابة الحديث كان النهي والاباحة فيها كفرسي رهان منذ عهده صلى الله عليه وسلم . ومن أثرت عنه كراحتها من الصدر الأول . . . عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى وأبو سعيد الخدري وسواهم من الصحابة والتابعين .

فقد روى أبو سعيد الخدري قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تكتبوا عني شيئاً ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمححه " (١)

وأثرت الاباحة عن علي بن أبي طالب وابن الحسن وانس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وسواهم .

ومما اعتمدوا عليه في الإباحة حديث أبي شاه (٢) اليميني في التماسه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام فتح مكة وقوله صلى الله عليه وسلم : " اكتبوا لابي شاه " (٣)

وعلل العلماء : الاذن بالكتابة لمن خشي عليه النسيان ، والنهي عنها في حق من وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب ، وقيل نهى عنها خيفة اختلاط القرآن بالحديث ، وأذن حين زال ذلك الخوف .

(١) انظر علوم الحديث ص ١٧٠ ، تقيد العلم ص ٣٢ ، جامع بيان العلم ، والحديث أخرجه مسلم في الزهد (٣٠٠٤) باب التثبت في الحديث ، وحكم كتابة العلم ٢٢٩٨/٤ . والدارمي في مقدمة سنته (٤٢) باب من لم ير كتابة الحديث ١/١٣٠ .

(٢) رجل من أهل اليمن ، يقال إنه كليلي ، ثبت ذكره في الصحيحين ، حضر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام ابن عبد البر النمري ، تحقيق طه محمد الزيني (٣١٨/١١) ، الإصابة ١٩٠/١١ .

(٣) انظر علوم الحديث ص ١٧٠ .

ثم جاء وقت زال فيه الخلاف وأجمع^(١) المسلمون على أهميتها
وضرورتها، خوفاً من دروس العلم بالاعتماد على حفظ الرجال الذين قد تتغير
أذهانهم، بل ويفارقون الحياة، والكتاب فيه صون للعلم، وضبط له مع البقاء
آماد تصل إلى قرون متطاولة.

وقد خصص الحافظ المؤرخ الخطيب البغدادي كتابه «تقييد العلم» لجرد
وسرد الروايات والأقوال والآثار والأخبار في كراهة كتابه العلم وإباحتها عن
الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، مع ذكر الأسباب والعلل في
كل حالة، ثم ختمه بفضل الكتب ومنافعها^(٢)

ومما أثر في فضل الكتاب قول ابن المبارك: لولا الكتاب ما حفظنا،
وقول الخليل ابن أحمد: "ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبت شيئاً إلا
حفظته، ولا حفظت شيئاً إلا انتفعت به"^(٣)

وسأل إسحاق بن منصور الإمام أحمد: من كره كتابه العلم؟ قال: كرهه
قوم كثير، ورخص فيه قوم، قال إسحاق: لو لم يكتب، ذهب العلم، قال
أحمد: "ولولا كتابته، أي شيء كنا نحن"^(٤)

ويلاحظ من هذه الأقوال وسواها أن الكتاب له أهمية كبرى مع التعويل
ابتداءً على الحفظ... وقد قال أحمد بن حنبل: "حدثونا قوم من حفظهم،
وقوم من كتبهم، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن"^(٥)

(١) قال القاضي عياض: «ووقع بعد هذا الاتفاق والاجماع من جميع مشايخ العلم وأئمة وناقليه»
الاماع ص ١٤٧. وقال ابن الصلاح: «وأجمع المسلمون على تسوين ذلك وإباحته، ولولا
تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة» علوم الحديث ص ١١٧.

(٢) تقييد العلم، وانظر في ذلك، جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣، ٧٧، علوم الحديث ص
١٧٠. الإرشاد للنووي ٤٢٤/١.

(٣) تقييد العلم للخطيب ص ١١٤.

(٤) المصدر السابق ص ١١٥.

(٥) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ١١٥.

لذا أوجب المحدثون على طلبة العلم صرف الهمّة إلى ضبط ما يكتبونه ، وأهم أسباب ذلك طول الأسانيد وتشعبها وقلة الحفظ كلما تقدم الزمان ، وقد بلغ أسلافنا المحدثون في فن الكتابة وآدابها وضبط المكتوب بشتى الوسائل (١) شأواً عظيماً وشوطاً كبيراً جعلهم قدوة لطوائف العلماء في العلوم الأخرى .
والإمام الذهلي من العلماء الذين أولوا كتابة الحديث عناية واهتماماً بالغين ومن آثاره في هذا المضمار

أولاً : الاهتمام بشكل الحروف وتقييدها بالعلامات الاعرابية :

والشكل هو اعلام الحرف بالحركة ، تقول شكلت الكتاب شكلاً إذا علمته بعلامات الإعراب وقد قيل : شكلُ الكتاب يمنع من إشكاله ، والإشكال (١) وهذا سرد موجز لهذه الوسائل والقوانين التي وضعت لضبط الكتاب أسوقها من علوم الحديث لابن الصلاح لشموله :

- (أ) الإعتناء بضبط الملتبس من أسماء الناس .
- (ب) تكرير ضبط الألفاظ المشكّلة في المتن والهامش .
- (ج) ورود الكراهة للخط الدقيق من غير حاجة .
- (د) اختيار التحقيق في الخط دون المشق والتعليق .
- (هـ) ضبط الحروف المعجمة بالنقط والمهملة بما يدل على إهمالها .
- (و) تجنب الاصطلاحات والرموز الخاصة إلا إذا بين في كتابه ذلك .
- (ز) الفصل بين كل حديثين بدارة للتمييز بينهما .
- (ح) الكراهة في الأسماء المشتملة على التعبيد أن يكتب عبد في آخر السطر وبقية في السطر التالي .
- (ط) المحافظة على كتابه الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم السأمة .
- (ي) مقابلة الكتاب بأصل السماع .
- (ك) كيفية إثبات اللحق في الحاشية أو بين السطور .
- (ل) العناية بالتصحيح والتضييب والتمريض .
- (م) العناية بكيفية الضرب والمحو والحك .
- (ن) إذا اختلفت الروايات يجعل ضابطاً بالحمرة أو سواها عند مكان الاختلاف .
- (س) معرفة اصطلاحات المحدثين في اختصار رموز التحديث ثنا .
- (ع) كتابة اسم الشيخ بعد البسملة وسياق المسموع وذكر من سمعه معه وتاريخ السماع . علوم الحديث من ص ١٧٢ - إلى ١٨٣ .

الإلتباس ، واستحسان الضبط متفق عليه بين العلماء ، الا أنهم اختلفوا فيما يضبط : المشكل فقط ، أو هو وغيره ، فقال البعض : إنما يشكل ما يشكل ولا حاجة إلى الشكل مع عدم الإشكال ، وقال البعض الآخر : إنما يشكل ما يشكل وما لا يشكل ، وذلك لعدم تمييز المبتدئ غير المتبحر في العلم المشكل من غيره وعلى كل فالشكل فيه أمان من الإلتباس حتى مع جودة الحفظ ، وقد يطول الزمن ويتغير الحفظ والعقل . (١)

المثال الأول :

قال الخطيب البغدادي : " باب ذكر الرواية عمن كان لا يرى رفع حرف منصوب ولا نصب حرف مرفوع أو مجرور وإن كان معناه سواء (٢)

أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي قال ثنا محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي قال ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث قال ثنا محمد بن يحيى بن فارس ومجاهد بن موسى - وهو أتم - (٣) قال ثنا يعقوب بن إبراهيم قال ثنا أبي عن صالح قال ثنا نافع أن عبد الله بن عمر أخبره - : أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللين والجريد ، وعمده - قال مجاهد وعمده - خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبنائه على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باللين والجريد واعداد

(١) توجيه النظر إلى أصول الأثر ، تأليف طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي ص ٣٥٢ ، ارشاد طلاب الحقائق للنووي ٤٢٨ / ١ .

(٢) الكفاية ، ص ٢٧٩ .

(٣) يعني روايته لهذا الحديث أتم من رواية الذهلي ، وقد أشار إلى حد روايته تلميذه إمام الأئمة ابن خزيمة فقال : قال محمد بن يحيى : وعمده خشب النخل ، ولم يذكر القصة ، صحيح ابن خزيمة ٢٨٣ / ٢ .

عَمَدَه (قال مجاهد عُمَدَه) خشباً ، وغيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وساق بقية الحديث . " (١)

" الشاهد هنا هو لفظ عمده وقد رواها الإمام الذهلي بفتح العين والميم ، ورواها مجاهد وعلي النسوي في رواية ابن خزيمة بضمهما وقد أشار ابن حجر إلى جواز ذلك في الفتح ^(١) والاطلاقين معناهما واحد وهو جمع كثرة لعمود البيت ، ولكن الخطيب استشهد باطلاق الذهلي على النصب وإطلاق مجاهد على الرفع يشير إلى وقوفهما عند لفظ السماع والتحري في الكتابة على ما سمع . لذا ساق بعد هذا الباب باباً آخر وهو " إتباع المحدث على اللفظة وإن خالف اللغة الفصيحة "

وروى فيه قول أبي عبيد : " لأهل الحديث لغة ، ولأهل العربية لغة ، ولغة أهل العربية أقيس ولا تجد بداً من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع " (٢)

المثال الثاني :

" قال ابن خزيمة : حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا حجاج بن منهال الأنماطي ثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال : " يلقي في النار أهلها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يأتيها ربها فيضع قدمه عليها ^(٣) ، فينزوي بعضه إلى بعض وتقول :

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب بتيان المسجد ١/ ١٣١ ، عن علي بن عبد الله ، وأبو داود كتاب الصلاة باب ماجاء في بناء المساجد ١/ ٣١١ ، عن الذهلي ومجاهد بن موسى . ومن طريقه أخرجه البغدادى في الكفاية باب ذكر الرواية عن كان لا يرى رفع حرف منصوب . . الخ ص ٢٧٩ ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن الذهلي أيضاً وعن علي بن سعيد النسوي ، كتاب الصلاة باب صفه بناء المسجد ٢/ ٢٨٢ ، أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الخ السند به وألفاظهم متقاربة غير أن الذهلي لم يتم الحديث كما أشار إليه أبو داود وابن خزيمة . « وبقية متن الحديث بعد قوله عن عمر فزاد فيه زيادة كثيرة : وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج » انظر سنن أبي داود ، وصحيح ابن خزيمة في المواضع السابقة .

(٢) الكفاية ص ٢٨٠ .

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب ١/ ٢٢٣ .

هكذا قال لنا محمد بن يحيى ثلاثاً ، قط ، ينصب القاف " (٢)

ومرادنا من هذا النقل هو تعليق ابن خزيمة الأخير وذكره نصب القاف عن الإمام الذهلي وسبق أن نقل الكلمة بخفض القاف في رواية جميل بن الحسن الجهمي (٣)

- (١) ساق ابن خزيمة هذا الحديث ضمن مساق لاثبات الرجل لله عز وجل ، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية (التوحيد ١/ ٢٠٢) ، وهذه الصفة ثابتة لله تبارك وتعالى وذكرها في مثل هذا الحديث امتحان وفتنة ، فمن آمن بها وأمرها إمراراً ولم يؤلها ووكل كيفيتها إلى الله عز وجل . . . مع الإيمان الجازم بها فقد سلك طريق سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، ومن أولها وأقبح عقله وآلته من اللغة وسواها في تعيين هذه الصفة وسواها فذاك سبيل المؤولة . . . قال الحافظ بن حجر : « واختلف في المراد بالقدم فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله ، وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك » فتح الباري ٨/ ٥٩٦ ، ومن ضمن تلك التأويلات في معنى القدم « إذ لال جهنم » و « الفرط السابق » و « مخلوق يسمى قدم » وقيل « قدم ابليس » وقيل « الجماعة » وقد بالغ ابن فورك ، فجزم بأن الرواية بلفظ الرجل غير ثابتة ورد عليه لثبوتها في الصحيحين ، انظر فتح الباري ٨/ ٥٩٦ ، ومشكل الحديث وبيانه لأبي بكر بن فورك ص ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ . وانظر تأويلات الإمام محمد الأنصاري القرطبي في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ص ٤٩٨
- (٢) أورد الحافظ ابن حجر أوجه إطلاق هذه اللفظة في الروايات فقال : « في رواية سعيد » قط قط « وفي رواية التميمي عن قتادة » قد بالدال ، وعند أحمد « قدني ، قدني » ومعنى قط ، قط أي حسبي حسبي ، كما ثبت عن عبد الرزاق وذكر أن النطق بها على تخفيف الساكن وهو الطاء (قط) ويجوز فيها الكسر بغير اشباع (قط) ، ووقع بالاشباع قطي ، قطي ، وقطني بزيادة نون مشبعة ، وقدني وكلها بمعنى يكفي . وقيل هي صوت جهنم والأول هو الصواب عند الجمهور » فتح الباري ٨/ ٥٩٥ ، وتفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق د. مصطفى مسلم ٢/ ٢٣٩ .
- (٣) انظر رواية جميل الجهمي بخفض القاف في التوحيد ١/ ٢١١ ، وانظر كلام الإمام الذهلي بنصب القاف في نفس الكتاب ١/ ٢٢٣ ، والحديث أخرجه البخاري في التفسير باب « وتقول هل من مزيد » ٦/ ٥٦ وفي الإيمان والنذور باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ٧/ ٢٨٥ ، وفي التوحيد باب قول الله تعالى ، « وهو العزيز الحكيم » ، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون » ٨/ ٢١٠ ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٨ ، والإمام عمرو بن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٣١ ، بتحقيق وتخريج الألباني المسمى ظلال الجنة في تخريج السنة .

ويحكي رحمه الله أنه لم يقف في أول الأمر على تقييد لهذه اللفظة فقال :
« ولم أجد في التصنيف هذه اللفظة مقيدة لا بنصب القاف ولا بخفضها » (١)
وكانه وجد فيما بعد تقييدها فحكاه قائلاً :

" اختلف رواة هذه الأخبار في هذه اللفظة في قوله (قَط ، قُط) فروى بعضهم بنصب القاف وبعضهم بخفضها وهم أهل اللغة ومنهم يقتبس هذا الشأن .

ومحال أن يكون أهل الشعر أعلم بلفظ الحديث من علماء الآثار ، الذين يعنون بهذه الصناعة ، يروونها ويسمعونها من ألفاظ العلماء ويحفظونها وأكثر طلاب العربية إنما يتعلمون العربية من الكتب المشتراه أو المستعارة من غير سماع .

ولسنا ننكر أن العرب تنصب بعض حروف الشيء وبعضها يخفض ذلك الحرف لسعة لسانها .

قال المطلبي رحمه الله عليه : " لا يحيط أحد علماء بالسنة العرب جميعاً غير نبي " فمن ينكر من طلاب العربية هذه اللفظة بخفض القاف على رواة الأخبار ، مغفل ساه ، لأن علماء الآثار لم يأخذوا هذه اللفظة من الكتب غير المسموعة ، بل سمعوها بأذانهم من أفواه العلماء الخ " (١)

ومفهوم منطوقه رحمه الله أن هناك من ينكر خفض القاف هنا من طلاب العربية ، ومعناه أن الأغلب على نصبها والمعنى كفى ، وحَسْبُ ، أما إذا خفضت فقد ذكر ابن منظور من معانيها " النصيب " ومنه عجل لنا قطناً أي نصيبنا ، والصَّكَّ بالجائزة ، والصحيفة المكتوبة ، وثم لغة ثالثة برفع القاف " قُط " ومعناها الزمان ، حكاه ابن منظور عن ابن سيده " (٣)

(١) التوحيد ١/٢١٤ .

(٢) التوحيد ١/٢٢٧ .

(٣) لسان العرب ٧/٣٨١ ، ٣٨٢ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٧٩ .

ومن هذه المعاني ، نستشف أن ما ذكره الذهلي من نصبها أقرب للمعنى المراد في الحديث .

ثانيا : الاهتمام باعجام الحروف وتوقيه الشديد من تعديل النقط إلا بشروط

والاعجام هو النقط تقول أعجمت الحرف إذا أزلت عجمته وميزته عن غيره بالنقط والاعجام الاستغلاق يقال " استعجم عليه الكلام واستغلقواستبهم إذا أرتج عليه فلم يقدر يتكلم" (١)

وهذا التحري والتوقي فيما كتب هو الذي جعل للكتاب مكانته وحفظ له حرمة من العبث ، وقد أوصى معاوية رضي الله عنه كاتبه عبيد بن أوس الغساني بنقط الكتاب : فقال : يا عبيد أرفش كتابك ، فاني كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً رقصته . قال عبيد : قلت : وما رقصه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أعط كل حرف ما ينوبه من النقط . (٢)

وبعض الحروف في الكتب قد تكون منقوطة ويكون في نقطها خطأ وقد لا تنقط أصلاً لسهواو غيره والنقط كما هو معلوم له أهمية كبرى في إيضاح اللفظ فما العمل في مثل هذا الحال ؟

هذان مثالان لمنهج الذهلي في ذلك .

المثال الاول : اثبات ما قيده من النقط وان خالف الصحيح مع الإشارة

للسحيح خارج النص

قال الخطيب البغدادي (٣) : " أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الحيري قال انا حاجب أحمد الطوسي قال ثنا محمد بن يحيى - يعني أبا

(١) توجيه النظر لأبي طاهر الجزائري ص ٣٥٢ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٢٦٩ .

(٣) الكفاية باب ذكر الرواية عمن لم يجز إبدال حرف بحرف وإن كانت صورتها واحدة ص ٢٧٥ .

عبد الله الذهلي - قال ثنا يزيد بن هارون قال أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وبيننا أنا نائم إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فُتِلَّتْ في يدي . . . » .

قال محمد بن يحيى : « هكذا قيدنا عن يزيد بن هارون وإنما هي " فُتِلَّتْ " ^(١) في يدي »

واثبات الإمام الذهلي للمرجوح حسب السماع مع علمه بالراجع والاصح . . . فيه دلالة على تشدده في الرواية وعدم إبدالها وإن كانت الفوارق فيها حروفاً . . . وتزداد معرفتنا بمنهجيته السليمة واحترامه للنصوص والمتون من خلال قوله بعد الحديث : « هكذا قيدنا عن يزيد بن هارون وإنما هي فُتِلَّتْ في يدي » . . . وهذه التعليقة الموجزة تعتبر تقعيداً وتأصيلاً لناهج التحقيق عند المتأخرين وفي عصرنا الحاضر . (٢)

(١) قال ابن الأثير في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « فُتِلَّتْ : أي أُلْقِيَتْ ، وقيل : التَّلَّ الصَّب ، فاستعاره للإلقاء ، يقال تَلَّ يَتَلُّ إذا صبَّ ، وتَلَّ يَتَلُّ إذا سقط ، وأراد ما فتحه الله تعالى لأمته بعد وفاته من خزائن ملوك الأرض . هـ النهاية في غريب الحديث ١/١٩٥ ، وقال ابن منظور : (وقال ابن الأعرابي : صُبَّتْ في يدي ، والمعنيان متقاربان ، وقال أبو منصور : وتأويل ذلك ، هو ما فتحه الله تعالى جل ثناؤه لأمته بعد وفاته من خزائن ملوك الفرس ، وملوك الشام وما استولى عليه المسلمون من البلاد ، حقق الله رؤياه التي رآها بعد وفاته من لدن خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، إلى يومنا هذا ، هذا قول أبو منصور ، رحمه الله ، والذي نقوله نحن في يومنا هذا ، إنا نرغب إلى الله عز وجل ونتضرع إليه في نصرة ملته واعزاز أمته وإظهار شريعته ، وأن يبقى لهم هبة تأويل هذا المقام وأن يعيد عليهم بقوته ماعدا عليه الكفار للإسلام . لسان العرب ٧٨/١١ .

(٢) يقول الدكتور عبدالسلام هارون في كتاب تحقيق النصوص ونشرها تحت مبحث الزيادة والحذف ص ٧٦ : وهما أخطر ما تعرض له النصوص ، والقول ماسبق « أن النسخة العالية يجب أن تُؤدَّى كما هي دون زيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل » وتحت مبحث التغيير والتبديل ص ٧٧ قال : لا ريب أن إحداثهما في النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانة العلمية ، ولا سيما =

المثال الثاني : تجويزه التدخل في النص بشرط أن يكون المكتوب (

غير مقيد) بنقط فله روايته على الصحيح .

وقال الخطيب أيضاً (١) : " إذا كان قد حصل في الكتاب بعض الحروف مضبوطاً على الخطأ كالباء بنقطة من فوقها وتجعل نونا وكالسين المهملة بنقط ، وما أشبه ذلك فقد اختلف أهل العلم فمنهم من قال : " لا يجوز تغييره ومنهم من قال ذلك جائز (٢)

ثم ساق سنده إلى " حيكان " أبي زكريا يحيى بن محمد يحيى قال : سمعت أبي يقول : " اذا وجدت في كتابك شيئاً غير مقيد فلك أن تقول له على الصحيح ، وإذا وجدته مقيداً ولم يكن على الصواب ، فليس لك أن تقول غير ما في كتابك من التقييد إلا بالشك " .

وهذا التدخل في النص الذي أجازاه الذهلي في حالة خلو المكتوب من التقييد بالنقط ويكون محتملاً لأكثر من وجه ، وعليه أجاز للراوي روايته على الصحيح (هو التدخل المستساغ) أما إذا كان مقيداً بنقط ولم يكن صواباً فلم

= التغيير الذي ليس وراءه الاتمسين الأسلوب ، أو تنميق العبارة أو رفع مستواها في نظر المحقق ، فهذه تعد جناية علمية صارخة إذا قرن لها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل ، وهو أيضاً انحراف جائز عما ينبغي إذا قرن ذلك بالنية . إ.هـ .

وخلاصة هذا القول : التحذير من التصرف في النسخة : «الأصل - أو المتن» سواء كانت له أو لغيره ، ووجوب تأديته للألفاظ كما هي عليه ، وإن كانت خطأ والإشارة في النهاية أو في الحاشية لذلك الخطأ وإيراد الصواب .

والوقوف عند هذه القاعدة لا يجده مطرداً عند الإمام الذهلي ، فقد يسمح بالتدخل في النص ، ولكن في نطاق ضيق ومنطقي أيضاً : كما سيأتي عرضه في المثال الآتي .

(١) الكفاية باب (ما جاء في تغيير نقط الحروف لما في ذلك من الاحالة والتصحيح » ص ٣٦٤ .

(٢) ومن هؤلاء عبدالله بن داود (لعله الخريبي شيخ الذهلي ومسدّد) فإنه قال : إذا كان كتابي مقيداً لم ألتفت إلى ما يقول أصحاب الحديث وإذا لم يكن مقيداً واتفقوا على شيء انتهيت إلى قولهم ، الكفاية ص ٣٦٤ وكان الذهلي كان متأثراً بمنهجهم .

يجوز رواية غيره . . . (إلا بالشك) أي يروي ما يراه صواباً مع ذكر شكه في صحة المكتوب . . . ليوقف القاريء على الاطلاقين فقد يكون ما رآه صواباً في حقيقة الأمر خطأ، وإما إذا كان جازماً بصحة روايته فليبين بشرط أن يكون البيان خارج النص^(١) كما في المثال الأول . وهذه المرونة والمسيرة المتأنية الحذرة مع النصوص بغية إبرازها أقرب ما تكون من الصحة ، هو الواجب فيمن يتصدى لهذه الميادين .

ثالثاً : الحرص على ابقاء الكتب سليمة من الحك والضرب والتغيير :

وهذا من قواعد النقد العام عند المحدثين قبل النقد الخاص للأسانيد والمتون . . . فإن المحدثين في تقديمهم للأحاديث المروية لم يقفوا عند حدود معرفة ضبط الراوي وعدالته ، أو مقابلة ومعارضة الأحاديث بعضها ببعض ، بل تشعب وتنوع إلى درجة اختبار وفحص المواد الكتابية من كاغد وحبر وسواهما ، وبالأخص إذا دارت الشكوك حول راو بأنه يسرق الحديث أو يغير ويبدل .

(١) يقول الحافظ ابن كثير : (وأما إذا لحن الشيخ ، فالصواب أن يرويه السامع على الصواب وهو محكي عن الأوزاعي وابن المبارك والجمهور ، وحكى عن محمد بن سيرين وأبي معمر عبد الله ابن سخبرة أنهما قالاً : يرويه كما سمعه من الشيخ ملحوناً ، قال ابن الصلاح : وهذا غلو في مذهب اتباع اللفظ . وعن القاضي عياض : أن الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياء : أن ينقلوا الرواية كما وضلت إليهم ، ولا يغيروها في كتبهم ، حتى في أحرف من القرآن ، استمرت الرواية فيها على خلاف التلاوة ، ومن غير أن يجيء ذلك في الشواذ ، كما وقع ذلك في الصحيحين والموطأ ، ولكن أهل المعرفة منهم ينبهون على ذلك عند السماع وفي الحواشي ، ومنهم من جسر على تغيير الكتب وإصلاحها ، ومنهم أبو الوليد هشام بن أحمد الكتاني الوقش لكثرة مطالعته وافتنانه قال : وقد غلط في أشياء من ذلك ، وكذلك غيره ممن سلك مسلكه . قال : والأولى سد باب التغيير والإصلاح ، لئلا يجسر على ذلك من لا يحسن ، وينبه على ذلك عند السماع . إ.هـ . اختصار علوم الحديث ص ١٤٠ ، وانظر علوم الحديث ص ١٩١ تحت التاسع من تفريعات صفة روايه الحديث ، والاملاء للقاضي عياض ، ص ١٨٥ .

وهذا مثال يدل على اعتناء الإمام الذهلي بنقد ظواهر الكتب قبل بواطنها .

قال سعيد بن عمرو البرذعي : قال أبو عبد الله محمد بن يحيى النيسابوري أخذت كتاب قيس^(١) ، من يحيى الحماني^(٢) فرأيت على ظهره شيئاً مضروباً عليه ! قال محمد بن يحيى : فبلغني أنه كان كتاب محمد بن الصلت^(٣) ، وأنه كان ضرب على اسمه " (٤)

وقد سبق قول الإمام الذهلي في ابن الحماني ، وأنه لا يستحل رواية حديثه^(٥) وأرجيء ذلك لما اشتهر عنه من التغيير والتبديل في كتب غيره وسرقة الأحاديث^(٦) وإن تنبه الإمام الذهلي إلى موضع الضرب أو الحك ومعرفة تعليه ذلك ، ليدل على اهتمامه البالغ بالمحافظة على الكتب والحرص على سلامتها من امتداد يد العبث إليها .

(١) هو قيس بن الربيع الكوفي الأسدي ، أبو محمد ، قال شعبة : ما أتينا شيخاً بالكوفة إلا وجدنا قيس قد سبقنا إليه ، وجود حديثه سفيان بن عيينة . الجرح والتعديل ٩٧/٧ .

(٢) يحيى بن عبد الحميد سبقت ترجمته ص ٤٥٧ .

(٣) هو محمد بن الصلت أبو جعفر الأسدي الكوفي ، قال أبو زرعة : ثقة . الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٨) .

(٤) الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي ٧٤٦/٢ ، وتاريخ بغداد ١٧٥/١٤ .

(٥) تاريخ بغداد ١٧٥/١٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٤/١٠ .

(٦) وما يروى عنه في ذلك ما ساقه الخطيب البغدادي بسنده إلى أحمد بن سعيد المروزي قال : سمعت أبي يقول : سمعت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي يقول : قدمت الكوفة فنزلت بالقرب من يحيى الحماني فذاكرته بأحاديث سمعتها بالبصرة من أحاديث سليمان بن بلال ، وكان يستغريها ويقول : ما سمعت هذا من سليمان . ثم أردت الخروج إلى الشام فأودعت كتيبي وختمت عليها ، فلما انصرفت وجدت الخواتيم قد كسرت . فقلت ماشأناً هذه الكتب وهذه الخواتيم ؟ فقال : ما أدري . ووجدت تلك الأحاديث التي كنت ذاكرته بها عن سليمان بن بلال قد أدخلها في مصنفاته ، فقلت له سمعت من سليمان بن بلال ؟ قال : نعم ! . تاريخ بغداد ١٧٤/١٤ .

وقد روى الذهلي عن شيخه السمرقندي قصة أخرى في ذلك : ومفادها أنه أودع كتبه إلى يحيى الحماني وكان فيها أحاديث خالد الواسطي عن عمرو بن عون ، وفيها أحاديث سليمان بن بلال عن يحيى بن حسان ، ولم يكن منها عند الحماني حديث واحد فيما سمعه منه السمرقندي =

= من قبل ، فلما عاد وجد كتبه قد تغيرت ، واذا الحماني قد نسخ حديث خالد وسليمان ووضع في
المسند .

قال الذهلي بعد روايه هذه الحكاية : ما أستحل الروايه عنه . تاريخ بغداد ١٤ / ١٧٤ ، وقد نقل
ابن الصلاح عن ابن خلاد عن أصحابه «أن الحك تهمة» علوم الحديث ص ١٨٠ .
وقد ساق الخطيب أيضاً رواية ثالثة للدارمي السمرقندي مع الحماني في هذا الأمر قال : قدمت
الكوفة حاجاً فأودعت يحيى بن عبد الحميد كتباً لي وخرجت إلى مكة ، فلما رجعت من الحج ،
أتيت فطلبته منه فجحدني وأنكر ، فوقف به فلم ينفع ذلك ، فصايحته فاجتمع الناس علينا ،
فقام إليّ ورأقه فأخذ بيدي فنحاني وقال لي إن أمسكت تخلص لك الكتب ، فامسكت فإذا
الوراق قد جاء بالكتب وكانت مشدودة في خرقة ولبد ، فإذا الشد متغير ، فنظرت في الأخرى
فإذا فيها علامات بالحمرة ولم يكن نظر فيها أحد ، واذا أكثر العلامات على حديث مروان
الطاطري عن سليمان بن بلال ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ، فافتقدت منها جزئين ،
تاريخ بغداد ١٤ / ١٧٥ .